

# كتاب العبر وكنوز المبتكر والحبيب في أيام العرب النعم والبرز ومن فاضلهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف  
د. علي الدين عبد الرحمن بن محمد رابن خلدون

الكتاب الأول : المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأه وبارك الله في أصوله والذوق راغباً في ما فيه ومبارك  
إبراهيم شوبح إسمان عباس

2006



# كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر

في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف

ولي الدين عبد الرحمن بن محمد رابن خلدون

الكتاب الأول : المقدمة

الجزء الأول

قرأه وعارضه بأصول المؤلف، وأعد معاينه وقارينه

إبراهيم شقوب  
إحسان عباس

تونس 2006





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



أُولَى سِيَادَةِ الرَّئِيسِ زَيْنُ الْعَدْلِ الْبَاقِرِ بْنِ عَلِيٍّ رَئِيسِ الْجُمْهُورِيَّةِ  
الْأُتُونِسِيَّةِ، نَابِغَةُ تُونِسَ، الْعَلَامَةُ غَبَالَةُ الْحَمْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، الزَّجَّالُ دُونِ،  
حَلِيلَ الْإِعْتِبَارِ وَكَدِيمِ الْإِنْصَافِ، فَأَذِنَ سَيَادَتُهُ  
بِالْإِجْتِهَالِ بِذِكْرِهِ الْمَثْوِيَةِ السَّادِسَةِ، نَقْدِيراً  
لِإِسْهَامِهِ الْمُمَيِّزِ فِي رِسَالَةِ أُسُسِ عِلْمِ الْعُمَرَانِ  
الْبَشَرِيِّ، وَإِثْرَاءِ الْفِكْرِ الْمُسْتَنِيرِ.



## ابن خلدون

هذا الرجل الفاضلُ حسنُ الخلق، جَدُّ الفضائل، بَاهِرُ الخُصُل، مَرِيعُ  
القَدَمِ، ظَاهِرُ الحَيَاءِ، أَصِيلُ المَجْدِ، وَقُورُ المَجْلِسِ، خَاصِي النَزِي، عَالِي الهِمَّةِ،  
عَزُوفٌ عَنِ الضَّمِيرِ، صَعْبُ المَقَادَةِ، قَوِي المَجَاشِ، طَامِعٌ لِنَسَنِ الرِّئَاسَةِ، خَاطِبٌ  
لِلحِظِّ، مُتَقَدِّمٌ فِي فُنُونِ عَقْلِيَّةٍ وَثَقَلِيَّةٍ، مُتَعَدِّدُ المَنَازِلِ، سَدِيدُ البَحْثِ، كَثِيرُ  
الحِفْظِ، صَحِيحُ التَّصَوُّرِ، بَارِعٌ فِي الخَطِّ، مُغَرِّمٌ بِالتَّجِلَّةِ، جَوَادُ الكَفِّ، حَسَنُ  
العِشْرَةِ، مُبْذُولُ المِشَارِكَةِ، مَقِيدٌ لِرُسُومِ التَّعْيِينِ، عَاصِفٌ عَلَى مَرَعِي خِلَالِ  
الأَصَالَةِ، مَفْخَرَةٌ مِنْ مَفَاخِرِ التَّخَوُّمِ المَغْرِبِيَّةِ .



كتاب العبر وديوان المبتدئ والخبير





## تَمْهِيدٌ

أَبْقَى ابْنُ خَلْدُونِ قَبْلَ رِحْلَتِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ نُسخَتَهُ الْأَوَّلَى الْمُكْتَمَلَةَ مِنْ كِتَابِ تُزْجَانِ الْعَبَرِ، آثَرَهَا خَزَانَةُ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَفْصِيِّ، بَعْدَ مَغَامَرَةٍ فِكْرِيَّةٍ طَوِيلَةٍ بَدَأَتْ سَنَةَ 776هـ / 1347م فِي قَلْعَةِ تَاوَعَزَوْتُ، أَوْ ابْنِ سَلَامَةَ<sup>(1)</sup> فِي مَقَاطِعَةِ وَهْرَانِ مِنَ الْجُمْهُورِيَّةِ الْجَزَائِرِيَّةِ، وَانْتَهَتْ فِي تُونِسَ نَحْوَ سَنَةِ 782هـ / 1380.

وَتَبَيَّنَ الْكِتَابُ، كَمَا يَقُولُ فِي مُسْتَهْلَ الْمَقْدَمَةِ، عَلَى أَخْبَارِ الْجِيلَيْنِ اللَّذَيْنِ عَمَرَا الْمَغْرِبَ فِي عَصْرِهِ، وَمَا كَانَ لَهَا مِنَ التَّوَلُّ، وَمَنْ سَلَفَ لَهَا مِنَ الْمُلُوكِ، وَهَمَّا الْعَرَبُ وَالْبُرُجُ: "الْجِيلَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَأْوَاهُمَا، وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَخْقَابِ مَثْوَاهُمَا، حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُ عَنْهُ مَثْوَاهُمَا، وَلَا يَعْرِفُ أَهْلُهُ مِنْ أَجْيَالِ الْأَدَمِيِّينَ سِوَاهُمَا".

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مَضَرَ سَنَةَ 784هـ / 1382م، فَأَفَادَ - كَمَا يَذْكُرُ - "مَا نَقَضَهُ مِنْ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَالتَّرَكِّ وَمِمَّا لَكُهُمْ، وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْأَخْيَالِ مِنْ أُمَمِ التَّوَاهِي"، وَبَدَأَ فِي الْإِضَافَةِ وَالْمَرَاجَعَةِ الشَّامِلَةِ وَالتَّهْذِيبِ.

وَكَانَتْ سَنَوَاتُ إِقَامَتِهِ الْأَوَّلَى مَوْزَعَةً بَيْنَ سَفَرِهِ إِلَى الْحَجِّ، وَتَوْفِيرِهِ وَسَائِلِ اسْتِقْرَارِهِ، وَالْجَدِّ فِي التَّدْرِيسِ، وَتَفْتِيهِ رَوَابِطَهُ بِرِجَالِ التَّوَلُّ؛ وَكَانَتْ دُرُوسُهُ الَّتِي

(1) كَانَتْ رِبَاطًا لِبَعْضِ الْمُتَنَفِّطِينَ مِنْ سُوَيْدٍ، وَسَلَامَةَ الَّتِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ، هُوَ سَلَامَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَصْرِ بْنِ سُلْطَانِ رَيْسَ بَنِي يَنْدَلْتَنَ مِنْ بَطُونِ تَوْجِينِ، سَكَنَ تَاوَعَزَوْتُ، وَاخْتَصَّ بِهَا الْقَلْعَةَ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ، انْظُرْ: الْعَبَرُ 7: 130.

عَرَفَ فيها بِمَنْزِلَتِهِ مُنْصَبُهُ عَلَى تَدْرِيسِ الْفِقْهِ وَأَصُولِهِ وَتَدْرِيسِ مُقَدِّمَةِ الْعِبَرِ<sup>(1)</sup>. ولم يفرغ للكتاب واستكمالَه إلا بعد فِئْتَةِ النَّاصِرِيِّ الَّتِي امْتَحَنَ فِيهَا<sup>(2)</sup> وَأَلْزَمْتُهُ الْغَزَلَةَ، فَانْكَبَتْ عَلَى مَرَاجَعَةِ عَمَلِهِ فِي الْعِبَرِ، وَاسْتِكْمَالَ مَوَادِّهِ وَتَحْرِيرِهَا، وَأَخْرَجَ نُسخَتَهُ الْأَوَّلَى فِي مِصْرَ سَنَةِ 797هـ / 1394م بَلِيَّةً إِيْدَانِهَا لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ، بَعْدَ أَنْ غَيَّرَ تَسْمِيَةَ الْكِتَابِ، وَأَضَافَ إِلَيْهِ فَضْلَ التَّعْرِيفِ لِلْمَرَّةِ الْأَوَّلَى، وَلَكِنْ يَبْدُو أَنَّ النُّسخَةَ لَمْ تُصَلِّ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا، وَلِأَسْبَابٍ مَا بَقِيَ عِنْدَهُ، وَبَدِئَ فِي انْتِسَاخِ النُّسخِ الْكَامِلَةِ بِقُدَاهَا. وَلَعَلَّ مِنْ أَشْهُرِ مَا عَرَفْنَا مِنْهَا وَقَدْ رَأَيْنَا بَعْضَهَا - وَهِيَ مِنَ النُّسخِ الْخَزَائِنِيَّةِ - أَجْزَاءٌ مِنْ بَقِيَّةِ نُسخَةِ الْقُرَوَيْنِ (الْفَارَسِيَّةِ)، مُؤَرَّخَةً فِي سَنَةِ 799هـ / 1396م، وَأَجْزَاءٌ مِنْ نُسخَةِ الْخَزَانَةِ الْمَقْرِيَّةِ السَّعْدِيَّةِ الصَّاحِبِيَّةِ، وَأَجْزَاءٌ مِنْ وَقْفِ عَبْدِ الْبَاسِطِ بْنِ خَلِيلٍ الشَّافِعِيِّ؛ وَأَحْدَثَ هَذِهِ النُّسخَ تَارِيحاً فِي حَيَاةِ الْمُؤَلِّفِ هِيَ الْمُؤَرَّخَةُ عَلَى الْيَقِينِ بِآخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ، وَأَمَّا الْمَقَدِّمَةُ فَكَانَتْ بِوَجْهِ خَاصٍ مُلَازِمَةً لَهُ، يُضِيفُ عَلَيْهَا بِلَا انْقِطَاعٍ مَا يَعْضُرُ لَهُ مِنْ تَعْدِيلٍ وَتَهْذِيبٍ وَالْحَاقِ، وَاسْتَمَرَّتْ فِي تَطَوُّرِهَا إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ.

وَعِنْدَمَا رَحَلَ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا سَنَةَ 808هـ / 1406م، كَانَتْ تُونِسَ تَحْتَفِظُ بِالنُّسخَةِ الْأَوَّلَى فِي خَزَائِنِ وَرَثَةِ السُّلْطَانِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ، وَقَدْ كَانَ لِهَذِهِ النُّسخَةِ ذِكْرٌ ضَمِيلٌ يَبْدُو فِي نُدْرَةِ نُسخِهَا. وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ نَصْرُ الْهُورِينِيِّ<sup>(3)</sup> مِصْحَحَ مِطْبَعَةِ بُولَاقِ أَنَّهُ اعْتَمَدَ فِي طَبْعَتِهِ لِلْمَقَدِّمَةِ سَنَةَ 1274 عَلَى الْمَخْطُوطِ 612<sup>(4)</sup> (تَارِيخُ تِمُورِ

(1) السَّخَاوِيُّ: الضُّوْءُ اللَّامِعُ 8: 233.

(2) يَأْتِي فِي التَّعْرِيفِ بِمَخْطُوطِ الظَّاهِرِيِّ.

(3) الْإِعْلَامُ.

(4) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَدَوِي: مَوْلُفَاتُ ابْنِ خَلِّوْنَ 62.

(١) قوله **أتممت هذه السبعة** منه الخ وجد  
 في نسخة بخط بعض خطاطي المخطوط زيادة قبل  
 قوله **أتممت** وبعد قوله **وأدرت** ما به ونسها  
 التثنية **الكتفوا** الذي يأتي بعد الاستمرار  
 منونه • ويلحق بمداركه الشريفة معناه  
 الصحيح **وفاقيته** • ويميزه في المعارف بما  
 دونه • **فسمعت** فكثير في قضاء الوجوه  
 وأجلت نظري ليل التمام والعبود • بين  
 التهام والعبود • في العلم الركن السعيد •  
 والحق أقبل الكرم بالحد • حتى وقف  
 الاختيار حسا لكال • وطافت الاختيار  
 بوقف الأقال • وفطرت أيدى الماسي  
 فالأقال • يتبدى المعارف في شرفه  
 ضرر الجلال • وحدائق العلوم الواقعة الفلال  
 من العين والجمال • فأنتم سائل • الاقتار  
 في مصائبها • وحلوت بحاسن الاقتار على  
 متعانتها • وأتممت بدو أنها مقاصد إرواها  
 وأطلعت كوكبا وفادا إلى أفق عزها وصوابها  
 ليكون آية للفضل • يتبدون بنازه • ويعرفون  
 فضل الدار الآتية في آياته • وهي خزنة  
 • ولأن السلطان الأيام له أحد النافع الماهد  
 إلى آخراته • واثبت المذكور شاه قال الخليفة  
 • أما المؤمنين المتوسل عن رب العالمين أبو  
 العباس أحمد ابن مولانا الأمير الفاضل  
 المنقذ أبي عبد الله محمد ابن مولانا الخليفة  
 المنقذ أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ابن  
 الخلفاء الراشدين من أئمة الموحدين الذين  
 جسدوا الدين ونهجوا السبل للهدى  
 ومحروا آثار البغاة الفاسدين من البسة  
 والمؤمنين سلامة أبي حفص والفاروق والقبه  
 النامة على تلك المفارس أراكه والبروق  
 والنور القلالي من تلك الأضواء والبروق فأوردته  
 من مودعها العلى بحيث مقرر الهدى ورياض  
 المعارف خشفه الذي إلى آخر ما ذكر غشا  
 أنزله ليتبدل الأمانة القاصية لكن السخنة  
 المذكورة مختصرة عن هذه السخنة المشهورة  
 من خزنة الكتب القاصية ولم يتل فيها  
 • كانت الرسالة التي الترقى الخ

• نص الإهداء لأبي العباس الحفصي من حاشية طبعة نصر الهوريني للمقدمة

يعظم أهل الرأية • فضل المدونة • تأسى • شمسكم القاب السعد • ورأى الصبح  
 المعاهد • التزم المذهب الصالح • قورانه الواضح المرشد • وضعت الصنية المراد • ولقد  
 الكثر بالمرامد قد تأسى • ورحمة الكريمة القاطن • التي وسعت صلاح الزمان القاصد • وإن تأسى  
 المأثور من الأحوال والمراد • ذهبت بالخطوب الأواب • وخلعت على الزمان روق الشبابة الصالح  
 وقت التي لا يخلو انكار الجسد ولا شباهات المعاد • **(أمر الزين)** أبو فارس عبد العزيز بن سواد  
 السلطان الكبير • بن محمد المقدس أمير المؤمنين • أبي الحسن ابن السادة الأعلام من بني عريق • الذين  
 بدؤوا لهم • ونهسوا الدليل المهددين • وهجوا الخرافات القاصدين • أضافوا على الأئمة ثلاثة  
 ولقد في خبره عزة الأعلام • وكتبه على خزانته الموقرة لليلة السبع جميع القرويين من مدينة قاس  
 حشرتهم بسلامهم • وكفى سلطانهم • حشرتهم الهدى • ورواها للمعارف شطه القدي • وقضا الاسرار  
 الرأية فسيح المدى • والإمامة الكريمة الضاربة الغزاة إن شأنا الله تفرها الشريف • وقد تأسى  
 التقى من الشريف • تبسط من العناية مهادا • وتوسع في جانب القبول آمدا • فتوضع على يده  
 على روضه وانشادا • فتعرفه على صنائع الكتاب • وعلى خبرتها فكيف يكتب المعلوم والأدب •  
 ومن مدد بها رها القوت نتائج الزمان والألب • وانه وزنا شكرتها • وبورغنا سطوا المواجه  
 من روضها • ويعتق على شوق شديدا • وبهتاس الساجدين مدينا • الجليل في حرمها •  
 وبش على أهل البائس • وما أدى من الإسلام الحرم عائلها • لبس حايها لحرمتها • وهو سبحانه  
 المأثور • لا يتبدل • عناية خاصة في وجهها • ربيت شواب الفتى وشبهتها • وهو حسنا من نوكيل

(السندي)

في فضل علم قاريج تحقيق رحمه الله وأولع لا يميز بين من تأسى له واما ذكر شمس من أسياها  
 (علم) أن فن السارخ فن عزير المذهب جرم القوائد شريف القباية ادعو يوقنا على أحوان الماشين  
 من الامم في أخلاقهم • والاعمال في سيرهم • والمخلوق في دولهم وسياسهم • حتى ترفأله بالافتاء في ذلك  
 ابن روم في أحوال الدين والديانة فهو يحتاج إلى ما تشد عذدة ومعارف متنوعة وحسن نظرويت  
 بضمان صاحبها إلى الحق وسكانه من المرات والمخالفات لأن الأشياء إذا اعتدتها على مجرد النقل  
 ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العرمان والأحوال في الاجتماع للإنسان ولا تيسر الغلاب  
 سببا ما تأسى • والمناظر القاصد • فربما لم يؤمن فيها من العنور مرملة التقدم والجد من جنة الصدق • وكثيرا  
 رافع المؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المخالف في الحكايات والوقائع لا تجد لهم فيها على مجرد النقل غشا  
 ألومنا لغير شواها على أصولها ولا قاسوها بأبأها ولا شروها ببيها والحكمة والوقوف على طبائع  
 الكائنات وتفهم التفرق البصر في الأخبار فضلها من الحق وتأهوا في بداء الوهم والظلم سقايا أساء  
 الاعداء من الأحوال والعساكر إذا عرضت في الحكايات أذهى مثلة الكذب وسطة الهدى ولا بد من ودعا  
 إلى الأصول وعرضها على القواعد • وهذا كائنا من المبردى وكثير من المؤرخين في جبريت من أسرارهم  
 وأن موسى عليه السلام أسأله الله بعد أن أجاز من يطبق حل السلاح خاصة من ابن عشرين خافوا فيها  
 فكأن أسأله الله أو يزيدون • وفيه على قد تقدم مصر والام • وأسأله على هذا العدد من خبر  
 لكي • يمكنه من المألف حسنة من الحساسة تسع لها وتقوم بوفااتها وتقضي حوائجها • تشبه بذلك الله  
 المعروفة وأحوال المألفة • فمن مثل هذه الجورث المألفة إلى مثل هذا العدد • حتى يشتم بها رضى • وقال  
 بنسب ساحة الأرض عنها • وبعد هذا إذا عطف على مدى البصر من أوثر أو لا يذوق كيف يشتمل هذا  
 خبر بكان أو تكون غلة أحد الفطن وتي من جوابه لا يميز الجانب الآخر والخاضر يشبه ذلك قاله  
 تشبه ذلك من المبالاة • وقد سكت كل القوس ودولهم • عظم من على ابن أسرار • بكم يشهد  
 تشبه ما كان من قلبه تحت نصره لعدائهم • ولادهم وأسلته على أمرهم وقرب من يفتقد من كاهلهم  
 وسعناهم • وحسن يصف جمال ملكة قار • يشتم له سكان حرم زيان المغرب من خومها • وكلت عنانهم

قول اغاربه أى القصيدة  
 إلى الإمبراطور أبي فارس المتقدم  
 ذكره ونظم هذا قول خزانة  
 الأدب في القصيدة  
 صاحبها وهو أبو بكر  
 على أنه أبو فارس عبد العزيز  
 ابن سواد بن سواد  
 أبو فارس بن سواد

بدار الكتب المصرية)، وقابله على نسختين لم يحدد موقعهما، الأولى مُهداة لأبي فارس عبد العزيز المريني، والثانية نسخة مهداة للخليفة أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين أبي العباس أحمد الحفصي<sup>(1)</sup>.

ولا ندري هل هي نسخة كُتبت في تونس عن أصل، أم هي تما قديم به ابن خُلقون عند حضوره إلى القاهرة، ونُسخت عنه هناك. ونُسخة أخرى تحمل الإهداء نفسه، محفوظة بالمكتبة البريطانية

BL. Additional Mss 9574

فهل يرجع تقلص انتشار النسخة الحفصية الأولى إلى الانصراف عن انتساخها بعد أن ظهرت النسخة الكاملة الموسعة والمستوفية للأحداث، والممتدة إلى الحُقب والوقائع القريبة، حتى أصبح الكتاب في مصر رائجاً ومُتسَخاً في أكثر المكتبات العامة.

فلما جاء العثمانيون وبدأت تعمر مكتبات إستانبول، بما انتقل إليها من خزائن الشام ومصر، وظهر التسابق لألقاط التوارد والأصول المهمة، تحولت إلى هناك ذخائر المكتبات الخاصة والعامة بوقفياتها المسجلة عليها نحو خزائن السلاطين والوزراء وكبار الرجال؛ بما في ذلك النسخ والأجزاء المختلفة المهمة من كتاب العبر، وكان للمقدمة حضوراً بعد ذلك في الفكر التركي<sup>(2)</sup>، بدءاً بالقرن الحادي

(1) انظر نص الإهداء على حاشية طبعة الهوريني .

(2) انظر الترجمات التركية وابن خُلقون عند المؤرخين الأتراك، عند عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خُلقون 169 -

عشر للهجرة (17م)، فقد ترجمها محمد صاحب المعروف ببيري زاده سنة 1138هـ/1725م وطبعت سنة 1860، وأصبح اسم ابن خلدون معروفاً فُخّر المكتبات بوجود أصوله المهمة فيها، كما نرى في العناية التي لحقت أضله المباشر الذي استقر في مكتبة عاطف مصطفى.

لقد احتجبت المخطوطات المهمة في تركيا داخل مستقرها الجديد، ولم تُعرف في العالم العربي، ولم يرد لها ذكر فيما أعلم، عدا بعض النسخ الحديثة المتقولة عنها، فإنها عُرِفَ طريقها إلى مِصر خاصة بفضل عناية العلامة أحمد تيمور باشا وأحمد طلعت باشا وغيرهما من العلماء الذين كانوا يترددون على دار الخلافة، ويترادون مكتباتها ويستنسخون نفائسها.

وأصبحت النسخة الفارسية في القرويين بعد انقطاع أمر النسخة الحفصية التونسية واحتجاب الأصول المهمة من نُسخ المؤلف المصححة في مكتبات إستانبول وبعض الآفاق الأخرى، أصبحت هي المصدر الأوثق والمهم والأكثر ترويحاً لكتاب العبر، وذلك منذ دخلت المغرب إلى أن أدركها التلاشي. فأقبل عليها النساخ إقبالاً شديداً، يدلّ عليه هذا الكم الوافر من النسخ الخاصة والعامة التي يتصدها الإهداء لخزانة أبي فارس عبد العزيز؛ وتوالدت النسخ من بغضها، وأكثرها إن لم أقل كلها كُتبت بالخط المغربي المتلاحق المقور المعروف.

وآفة هذه النسخ المتصلة بالفارسية أن أضلها الذي كتبه ابن الفخار سنة 799 هـ (1396م) كان قد أعدّه - فيما يبدو - متعجلاً ليرسل إلى المغرب الأقصى مع



وصار في افع واسه عيوه ان يحرق بيدر جام فاذن حه من قبل الناس في  
 حشد الخوا من اصحاب طاهر فحشد من اصحابه يحرق طالوت ويحرق  
 القوا القاس من بخا اصابه مردد القسي مرادمه من شربل سم  
 سار سفه حتى كان في بيوتهم واشتروا على محمد بن زيد بحسك من لزم وفند  
 اشار عليه اصحابه بالرجوع الى الاهواز في الحضر ما حيا به تومه الازد  
 من الحضر فزع وامر طاهر بن شربل باتباعه قبل ان يحضر بالاهواز  
 فخرج بذلك وقانه محمد بن زيد الى الاهواز وجا على امره فاقبلوا فبالسند  
 وقد اصحاب محمد استناب هو وماله حتى ملوا وبذلك طاهر الاهواز  
 وولى على الهامه والبحرين وجام سار الى واسط وبها السندى بن يحيى  
 الحريش الحضر شعبه خلفه حرمه نجا زهر باعنها وبكها طاهر وقت  
 فادار فاداه الكوفه وبها العباس بن المهدي علم الامن وابع لما مول  
 ترك بذلك الى عام وكونه من الحضر الى الحضر والضم والمطرب  
 عتاه الله من هذا الملك الموصل وادهر طاهر على العلم وبعث الحضر بن همام  
 ودادود بن يحيى الى قصر همدان وادامه هو بجرجانا والمطرب الحضر بذلك كله  
 نالى الامن بن محمد بن سليمان اعايد محمد بن حماد البرمكي الى قصر ابن همدان  
 فقام طاهر للكرث ودادود فبالسندى وهو يوم الى بغداد وبعث الحضر ايضا  
 الفضل بن موسى بن عيسى على الكوفه فبعث اليه طاهر محمد بن الوليد في حشد  
 فلقنه وطريقه فاراد مسالمة بطاعة المأمون كاداسر فامله فانهم الى  
 احد ادم سار طاهر الى الدار وعطها البرمكي في المد فحصل له كل يوم قود  
 برش من صيل فلما اشرق عليهم واخذ البرمكي في العبيه فكانت لاهم بالكل  
 سئل الناس وذهب بعضهم بعضا نحو بغداد وملك طاهر لدار وفي الحضر  
 نزل حصر وعقد بها جساها بيتة الحجاز المأمون ولما اقام  
 كبا العهد من قار داد بن عيسى كان على مكة والمدسة صلح المأمون كاهم  
 في القاس ونكر بعض العهد وذكهم ما اضر السندى عليهم من الجاهل ولائسه  
 والمسلح للبرام ان تولوا على الطالير وان جعلوا بالظلم والفتك وحل  
 وباب لطفل صغير وضع واحدا كان من النساء فمصره  
 حيا الى سعة والسعة المأمون فبالسندى بذلك في حجاب مكة

19  
 78



بعثة الملك الظاهر، فكان خطّه فيها أقلّ أناقةً وتحقيقاً للحروف، وأكثر تداخلاً وإهمالاً للتقطيع. ولغرابة أخطاء المالك وبعض البلدان والوقائع وأسماء أهل الأمم القديمة، فقد وردت - فيما خطّوه عنها - محرفة أو مصحّفة أو يُترك لها فراغ، وهذا شمل أقساماً شتّى من الكتاب وامتدّ إلى ممالك التّرك والعجم بخاصة. ثم ترهّل مع الزّمن ذلك الأصل الفارسيّ وأخذت بعض أوراقه تتساقط وتُخنفي، فينتقل النّاسخ ما بقي منه. وندرت النّسخ الصحيحة من الكتاب.

يذكر المؤرخ أحمد بن أبي الصّيف<sup>(1)</sup> أنّ عليّ بن تاج الثّقصيّ الآجريّ (المتوفي سنة 1225هـ/1810م) وهو من أهل العلم، أمره باي تونس "أن ينسخ له تاريخ ابن خَلّون، وجمع له نسخاً جميعها محرّفة، وهو الذي أصلح تحرّيفه"<sup>(2)</sup>، وقد عمّد بعض النّسّاخ إلى استكمال الفراغات التي تُصادفهم من مصادر أخرى<sup>(3)</sup>، ثمّ أدخل الإرباك والخلط على وحدة النّص.

وعندما بدأت الطّباعة العربيّة في الشرق في القرن 19م كان كتاب العبر من بين ما شملته العناية ليُنشر ويُنشر، تجاوباً مع صيت مؤلّفه. فظهر الكتاب الأول (المقدمة) أولاً في قطع كبير بتضحيح الشيخ نصر الهوريني<sup>(4)</sup> سنة 1274هـ/1858م،

(1) إتحاف أهل الزّمان 7: 59.

(2) يوجد من آثاره في مكتبة طلعت رقم 2106 (تاريخ طلعت، بدار الكتب المصرية) الجزء الثاني من العبر كُتبهُ للباي حموده باشا سنة 1211هـ/1797م، ورأيت المقدمة بخطه في مكتبة شيخنا محمد الشاذلي التيفر.

(3) النسخة التي كتبها محمد الصغير الباجي رقم 6128 بدار الكتب التونسية، وكان الباجي ناسخها بعبر في حواشي الكتاب عن استغفاله للتكرار، وتساوله عن الفائدة من إعادة التذكير والربط التي درج عليها ابن خَلّون.

(4) الأعلام 8: 29.

معتدلاً على النسخة الحديثة التي كان الإهداء فيها موجهاً إلى أبي فارس عبد العزيز المربني.

ثم نُشر كتاب العبر كاملاً للمرة الأولى في سبعة أجزاء، وأعيد معه طبع المقدمة، وذكر تاريخ طبعه على الجزء السابع وهو سنة 1284هـ / 1867م مع كلمة من مصحح المطبعة محمد الصباغ.

ويجدر التنبيه أنَّ الجزء الثاني طُبع على مَرحلتين، فقد وُجد قسمٌ يمثل نصف الجزء تقريباً (190 صفحة) ولم يعثر على تكملته، وبعد البحث أمدَّهم ضبحي بيك(?) ببقيّة الجزء من مجموعته (338 صفحة) لندرة وجوده في المكتبات، وصَحَّح القسمين نصرُ الهورينيّ معتدلاً في عمله على كامل ابن الأثير وبداية ونهاية ابن كثير، وعلى شرح المواهب اللدنية.

وواقع هذه الطبعة الأولى لكامل الكتاب، يؤكّد حقيقةً فساد الأصول المخطوطة والجهولة التي اعتمدت في نشرها، ويُشير الإهداء الذي يتصدرها أنها استندت على المخطوطات المنقولة عن النسخة الفارسية، وهذا الفرع من النسخ يصبح أكثر تشوهاً كلما كان أحدث نسخاً.

وقد عارضتُ - للتدليل على ذلك - صحائف من طبعة بولاق هذه، على ما يُقابلها من نسخة الظاهريّ، في جملة من المواضع، وأقدم هنا أحدها مثلاً:

في الجزء الثالث صفحة 22 (طبعة بولاق) ينتهي فضلُ "سُرّ الحسن إلى الكوفة ومقتله" بقوله: فأشار عليه سرجون، ثمّ بياض بقدر خمسة أسطر].

وفي مخطوط الظاهري، يوجد بقية الفصل تاماً، وبعده الفصول التالية  
الساقطة من المطبوع:

- [ ولاية سلم بن زياد خراسان وسجستان
- ولاية الوليد بن عتبة على الحجاز، وعزل عمرو بن سعيد
- خلع أهل المدينة يزيد، ووقعة الحزة، وجصار مكة
- وفاة يزيد وبيعة معاوية ابنه ومهلكه
- انتقاض أمر ابن زياد ورجوعه إلى الشام
- بيعة مروان ووقعة مزح راهط
- انتقاض خراسان على سلم بن زياد، واستقرارها لابن حازم
- مفارقة الخوارج لابن الزبير
- خروج سليمان بن صرد في التوابين من السبعة
- وفاة مزوان وبيعة عبد الملك
- فتنة خراسان ]
- فتنة المختار بالكوفة وأخباره

ويعود ارتباط النص المطبوع أثناء هذا الفصل.

وتتكرر مثل هذه الفجوات التي تبلغ العشرة والعشرين من الصفحات،  
ويترك في المطبوع مكان سطرٍ أو سطرين، وفيه إشارة تقول: يباض بالأضل.

هذا إلى جانب الأخطاء القبيحة في تحريف الأسماء، وسوء القراءة، كأن يقول: اشتغلأف زياد، بذل استلأف زياد، وخلافة أهل الكوفة، بدل: خلاف أهل الكوفة، والجراح، بدل الحراج. والمطالع للكتاب تصادفه البقع البيضاء المنتشرة في كل أجزائه بدون انقطاع.

وتناسلت من نسخة بولاق هذه طبعاآ أخرى لم تُضف غير زيادة الأخطاء، وليس فيها للتحقق جُهد ولا للعلم أثر، فابتعد النص الخأفوني عن البحث التاريخي، ولم يأخذ موقعه اللاأق به. وربما كان الكتاب الأول أكثر خطأ وأقل تعرضاً للاألال، لما لحقه من العناية والتصحيح، ولكنه يأنى غير سالم من النقص والتحريف بنسبة أقل، مع أن أكثر الطبعاآ نقلت من بعضها بدون جُهد تصحيح على الأصول، وفي حالة واحدة حاول الدكتور عبد الواحد وافي يرحمه الله، أن يستشير بعض مخطوطات دار الكتب المصرية ولم يتجاوزها، واهندى إلى النسخة التيمورية المنقولة عن الأم نسخة عاطف مصطفى؛ فصوب الكثير مما شاع من الخطأ. ولو أن المستوى الفنى لطبعته كان ضعيفاً للغاية، وأنه وجه جُده إلى التعليق على ما يتصل باختصاصه في علم الاجتماع، ورأط مادة المقدمة ببعضها ما استطاع، وشرح الكلمات من القاموس؛ ولما في عمله من ضعف، فقد نقده الدكتور عبد الرحمن بدوي<sup>(1)</sup>، واعتبر نشرته غير علمية، لأنها لم تقم على قواعد منهج التحقيق النقدي للنصوص. ومع كل هذا، فقد استغللت طبعته، ونهب نأفها. واأأصر ما به الحاجة من تعاليقه، تعمية وتمويهاً لا يأنى. أما عن متابعتة لحياة ابن خأون فقد كانت وافية.

(1) مؤلفات ابن خأون 222 .

وفي أوروبا وفي غير البلاد العربية ظهرت ترجمات<sup>(1)</sup> ونشرت نقدية جزئية من المقدمة والتاريخ؛ من أهمها، عمل Etienne Quatremère الذي نشر المقدمة<sup>(2)</sup> في السنة التي ظهرت فيها بمصر نُشرُ الشيخ نصر الهوريّ سنة 1858م ، وهي نشرة مهمّة لم يُستفد منها في كلّ ما ظهر من نشرات في المشرق العربيّ، ويبدو أن السبب نُدرة هذه النشرة واختجائها عن أعين الدارسين قبل أن تنتشر أخيراً بالتصوير. وميزة عمل كاترمير أنه اعتمد أربع مخطوطات اتّجه لانتقاها لأوّل مرّة من بعض الأصول المهمّة في مكّبات إستانبول ، ولم يتعامل معها مباشرة وإتّما انشِخ من هناك عن نسخة الظاهريّ بأجزائها الأربعة عشرة ، ثم المخطوط الذي اشترى من تركيا وحفظ بعد ذلك مع النسخة المنقولة عن الظاهريّ في المكتبة الوطنية برقم 1733 .

واستعمل في نشرته المنهج "اللائشمانى" في التقيد النصيّ، وحرص على إثبات فروق النسخ في الحاشية، وإلى جانب بقض المآخذ التي حُيِّبَتْ عليه، ومنها إسقاط نصّ إهداء النسخة التي اعتنقها للملك الظاهر برفوق، فإنّ نشرته ظهرت مُتسلسلة لا وقُفّ فيها ولا ابتداء، فلم يستعمل أيّ شكل من أشكال الترميم التي تُساعد على فهم النصّ، وإبراز قواصله، وإيضاح جملة الطويلة، ولم

(1) انظر تفاصيل ذلك عند عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خَلّون 169 ، وما بعدها، وموسوعة المستشرقين 314 - 311 .

(2) لعله أوّل من أفرد وروّج للكتاب الأوّل من العبر ، باسم: مقدمة ابن خَلّون: PROLEGOMENES D'EBN. KHALDOON ، على حين ظهرت طبعة الشيخ نصر الهوريّ على أنها الجزء الأوّل من كتاب العبر.

يَضْبُطُ أَيَّ كَلِمَةٍ كَانَتْ عِلْماً لِشَخْصٍ أَوْ لِبَلَدٍ أَوْ قَبِيلَةٍ ، وَهَذَا يُجْعَلُ الْإِسْتِظْفَافُ مِنْهَا مَحْدُودَةً ، وَتَحْتَاجُ إِلَى بَذْلِ مُجْهِدٍ إِضَافِيٍّ لِلتَّحْقِيقِ وَمُتَابَعَةِ الْمَغْنَى .

وَنَشْرُ *Le Baron de Slane* الْقِسْمَ الرَّابِعَ مِنَ الْكِتَابِ الثَّانِي ، ثُمَّ الْكِتَابِ الثَّالِثَ بِأَمْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي فِيهِ " الْحَبْرُ عَنْ زَنَافَةِ مِنْ قِبَائِلِ الْبَرِّيرِ وَمَا كَانَ بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ مِنَ الْعَزِّ وَالظُّهْرِ ، وَمَا تَعَاقَبَ فِيهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ وَالْحَدِيثَةِ " ، وَظَهَرَ هَذَا الْعَمَلُ فِي الْجَزَائِرِ فِي جُزْأَيْنِ كَبِيرَيْنِ سَنَتَيْ 1847 و 1851 بِعَنْوَانِ : " كِتَابُ تَارِيخِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ " <sup>(1)</sup> . وَهُوَ أَسْبَقَ ظَهُوراً مِنْ طَبْعَةِ بُولَاقِ الْيَمَنِ لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْهُ فِي تَصْحِيحِ الْأَجْزَاءِ الْمُتَطَاقَةِ وَالْمُخْتَلَفَةِ الْأَصُولِ .

إِنْ تَرَادَفَتْ نَشْرَاتُ الْمَقْدَمَةِ فِي نَصِّهَا الْعَرَبِيِّ ، وَتَوَالَى التَّرْكِيزُ عَلَى الْبُحُوثِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعُفْرَانِيَّةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا ، بِالإِضَافَةِ لِمَا يُنْشَرُ فِي أَوْرَبَا عَنْهَا بِالْعَاقِبَةِ أَقْصَى حُدُودِ الْكَثْرَةِ الَّتِي تَعَدُّ بِالْمِائَاتِ مَا بَيْنَ كُتُبِ وَدِرَاسَاتِ ، كُلِّ هَذَا ، فَضَّلَ الْمَقْدَمَةُ أَوْ الْكِتَابَ الْأَوَّلَ عَنْ جَسَدِهِ ، وَأَضْحَجَ وَكَانَتْهُ عَمَلٌ مُسْتَقَلٌّ حَاجِبٌ كِتَابَ الْعَبْرِ وَقَلَّلَ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَلَمْ يُثْبِلِ الْبَاحِثُونَ عَلَى ابْنِ خَلْدُونِ الْمُؤَرِّخِ ، وَعَلَى جَوَانِبِهِ الَّتِي يَتَفَرَّدُ بِهَا فِي تَارِيخِ الْبَرِّيرِ وَالْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ ، لِمَا عَلَيْهِ طَبْعَةُ بُولَاقِ الْوَحِيدَةِ مِنْ أَخْطَاءٍ وَأَنْقَاصٍ وَسُوءِ طِبَاعَةٍ .

وَأَدْرَكَ هَذَا الْخَلَلَ فِي هَذَا الْمَصْدَرِ الْمَهْمِ ، نَجَبَةٌ مِنْ مَفْكَرِي الثَّلَاثِيَّاتِ ، فَعْمَلُوا عَلَى إِضْدَارِ طَبْعَةٍ جَدِيدَةٍ مُحَقَّقَةٍ مِنَ الْكِتَابِ ، وَابْتَدَرَ النَّاشِرُ مُحَمَّدُ الْمَهْدِي

<sup>(1)</sup> انظر تفاصيل ذلك عند عبد الرحمن بدوي: مؤلفات ابن خلدون 195 ، وما بعدها .

الحبابي لتبني المشروع، وازداد إلى العمل فيه الأستاذان علاء القاسي وعبد العزيز ابن إدريس - رحمهم الله - فتوليا مراجعة الكتاب وضبط أعلامه، وشرح ما احتاج إلى شرح وتعليق من عبارات المؤلف، والكشف عن مادة الكتاب بوضع عناوين جانبية صغيرة، وإعداد فهراس مفصلة جيدة في الآخر. فصدر سنة 1936م<sup>(1)</sup> جزآن، اشتغبا الجزء الثاني بقسميه من طبعة بولاق، يتدان من أول الكتاب الثاني "في أخبار العرب وأخبارهم ودولهم منذ مبدأ الخليقة إلى هذا العهد" إلى "تبعة الحسن وتسليمه الأمر لمعاوية".

وأثنى الناشر على الذين لاق منهم المساندة والعون، واعتذر المحققان أو المصححان، بأن أملهما في النسخة الفارسية التي كانت بالقرويين قد تلاشى، لضياح سيرها الأول (كنا)، وبذلك اضطررا للمراجعة على المصادر التي اختصر منها ابن خلدون نصه. وبذلا الجهد في ضبط الأسماء، واستفادة من نسخة الشنقيطي المحفوظة بدرا الكتب المصرية (رقم 1 ش تاريخ)، والتي كتبت لخزانة الخليفة الشريف ابن مولانا إسماعيل ابن مولانا الشريف ابن أبي الحسن العلوي<sup>(2)</sup>.

وردد الأستاذ أحمد أمين ما ذكره الناشر من أن وزارة السلطان محمد الخامس قد أذنت له بالمراجعة على نسخة ابن خلدون الموقوفة على القرويين، عدا الجزء الأول، وذلك تعميماً للفائدة. وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لم يعتمد الجزء الثاني في نشر القسمين الذين اضطلع بهما؟

<sup>(1)</sup> طبع الجزآن في مطبعة النهضة بمصر، وطبع معها جزء مُقتَرَد من التعليقات والحواشي المطولة على بعض موضوعات الكتاب، حررها الأمير شكيب أرسلان.

<sup>(2)</sup> انظر عن وصف هذه السعة، بدوي: المرجع السابق 84- واعتبرها من النسخ الرديئة، ص 235.

وقد قَرَّرَ هذا المشروعُ الَّذي انطلق بحمايس سرعان ما حَقَّت، ولم يُعْرِف القائلون عليه كيف يَتَدَاوَنُ البِدَايَةُ الصَّحِيحَةُ. وَتَحَوَّلَ إِلَى اجْتِهَادٍ فِي التَّصْحِيحِ الْمَطْلُوقِ مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى أَصُولٍ صَحِيحَةٍ لِلْكِتَابِ نَفْسِهِ.

ولَكِنَّ أَهْمَ مَا قَدَّمَهُ هَذَا الْمَشْرُوعُ وَقْتُهَا مِنْ زَمَنٍ مَتَّسِعِ الدَّلَالَةِ، هُوَ أَنَّ تِلْكَ النَخْبَةَ<sup>(1)</sup> الَّتِي آزَرَتِ التَّائِشَ وَالتَّقَتْ حَوْلَهُ، وَتَعَهَّدَتْ بِإِعْدَادِ أَجْزَاءِ الْكِتَابِ، كَانَتْ عَمِيقَةَ الْإِيمَانِ بِأَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ خُلْدُونَ، الْحَضَرِيَّ الْأَصُولِ، التُّونِسِيَّ الْمَوْلَدَ وَاللِّشَاءَ، الْأَنْدَلُسِيَّ الْمَغَارِبِيَّ فِي تَجَرِبَتِهِ وَتَطَوَّرَ وَغِيهِ، الْمَصْرِيَّ الَّذِي أَنْهَى حَيَاتِهِ فِي رَحَابِ الْقَاهِرَةِ، بَعْدَ ثَقَلَبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ بِالْحَقْفُضِ وَالرَّفْعِ، أَنَّ هَذَا التُّونِسِيَّ الصَّارِبَ فِي الْآفَاقِ الْبَاحِثَ عَنْ مُسْتَقَرٍّ، قِيَمَةً إِنْسَانِيَّةً كَبْرَى، وَرَمَزٌ بَارِزٌ وَمُتَفَرِّدٌ مِنْ رَمُوزِ الثَّقُورِ، وَحَصِيلَةُ ثَقَافَةٍ عَظِيمَةٍ. وَبِذَلِكَ تَمَدَّدَ وَطَنُهُ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ، وَمَلَأَ الدُّنْيَا وَشَغَلَ النَّاسَ، وَأَصْبَحَ تَرَانًا إِنْسَانِيًّا.

وَلَا أَشْكُ فِي أَنَّ ظَهُورَ مَشْرُوعِ الْحَبَائِيَّ سَنَةِ 1936 وَاخْتِفَاءَهُ فُجْأَةً، كَانَ لَهُ أَثَرٌ فِي عَقْلِ الْوَاقِدِ الْجَدِيدِ مِنْ طَنْجَةِ عَلَى الْقَاهِرَةِ سَنَةِ 1938، فَقَدْ وَطَّدَ الشَّابَّ الْعَالَمَ مُحَمَّدَ بْنَ تَاوَيْتِ الطَّنْجِيَّ صَلَّتهُ الْحَمِيمَةُ الَّتِي لَمْ تَنْقُطْ بِإِنِّ خُلْدُونَ، بَعْدَ أَنْ تَشَجَّعَ بِالثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي رَحَابِ الْقُرُوبِيِّينَ بِفَاسَ، وَأَخَذَ عَنْ كِبَارِ شُيُوخِ عَصْرِهِ، وَعِنْدَمَا تَحَقَّقَ بِجَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ، كَانَ تَمَيَّزُهُ لَافْتًا لِأَسَاتِذَتِهِ الَّذِينَ اسْتَنْجَبُوهُ، وَأَحَاطُوا

<sup>(1)</sup> هُم كَمَا فِي الْوِثَاقِ: عَلَالُ الْفَاسِي، عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ إِدْرِيسَ (الْمَغْرِبِ)، الْحَضَرُ حَمِينَ (تُونِسَ)، أَحْمَدُ أَمِين، عَبْدُ الْحَمِيدِ الْعَبَّادِي، عَبْدُ الرَّهَّابِ عَزَّامُ (مِصْرَ)، مُحَمَّدُ كَرْدُ عَلِيٍّ، خَيْرُ الدِّينِ الزُّرْكَانِي (سُورِيَةَ)، شَكِيبُ أَرْسَلَانَ (لُبْنَانَ).



بتكوينه العلمي، وتعميق نظره، وتبنيته مناهج البحث عنده. فتقدم للميدان بحُطًى ثابتة.

درس على الدكتور طه حسين وأحمد أمين وأستاذه أمين الخولي وغيرهم من علماء تلك الجُبة الحافلة، وأثر هؤلاء بَيِّن في فكره وعمله، وفيما كتبه من أبحاث جديدة النتائج، وما قدّمه من نصوص مختارة مُحَقَّقة أمثل تحقيق.

وسعدت بمعرفته وهو في أوج تألق ذهنه في إستانبول، مستقرّه الأثير الذي بدأ فيه مُغامرة هجرته، وفارقه ثم عاد إليه الغود الأخير عندما بَنَت به الأوطان. وامتدّت الصُحبة بيننا عند تردّدي على عاصمة بني عُثمان، وعند زيارته المتكررة إلى دِمَشق التي كَت أقيم فيها وقتها خبيراً في المديرية العامة للآثار والمتاحف، وحفظت عنه صورة لِعَلِّمه وتواضعه وإخلاصه في بُغث مقدّمة ابن خلدون، بعد أن نشر "التعريف"، وذلك على منهج تناول به عمله على مدى امتدّ أكثر من عقدين؛ فلا يَمُرُّ بدلالة اصطلاحية إلاّ شرحها وحدّد مفهوما، أو بإشارة لحديث من التاريخ أوردته المؤلف للمقايسة والتذكير برِبط أسبابه وما يترتب عليها، إلاّ تَوَسَّع في غرضه ويَبِّن منه ما كان غائياً، ولم يُذكر كتاب صُفِّت في علم من العلوم إلاّ لاحقه ووَصَلَ بك إلى الرِّف الذي يُشبع فيه مخطوطاً، مع رقم الوصول إليه محدّداً.

وقد قام بهذا الجُهد المديد مستمتعاً به، متحرراً من وهم سَبَق النُّشر، وبَدَل فيه طاقة من العلم والفهم والصبر لا تُشاح لغيره.

ثم فارق دُنيانا سنة 1975، واختفى معه جمده وأثره<sup>(1)</sup>.

وقد انغمَلَ في نفسي هذا المصير المأساوي الذي انتهى إليه ما أعدّه هذا العالم المغربي المغترب، في تراث المفكر التونسي الذي بددته الغربة، وأخذ هذا الشعور عندي يتحوّل إلى حُطّة تهدف إلى تحقيق وحدة كتاب العبر بكتبه الثلاث، ومحاولة التوصل إلى إعادة تركيب نصّه، ليكون أقرب إلى الأصل الذي صنعه عليه مؤلفه، متخلصاً من الأخطاء التي تراكبت عليه مع الزمن. وأداة هذا المنهج وضع شجرة نسبٍ للنسخ المخطوطة، وتُمييز النسخ الكثيرة التي لا قيمة لها في بناء النص وإسقاطها، وتغليب القراءة الأصعب على القراءة البسيطة، وهو ما يحقّق النقد النصّي، على أسلوب العالم الألماني كارل لاتشمان Karl Lachman (1793-1851)<sup>(2)</sup>."

فقدت على مدى سنوات متلاحقة، بزيارة المكتبات الكبرى التي ضمت أجزاء من ثراث ابن خلدون، وقخصها قحساً أثرياً وإعياً شمل الجانب الكوديكولوجي للتأكد من غرضها، ولتبيين ما سكّث عنه الحروف المكتوبة؛ وتصفّحت المجلدات المختلفة بحثاً عن أثر أهندي به، أو تغليق في الحاشية بخط مُغاير يُنبئ عن صاحبه، ويوثق النسخة ويُضفي عليها قيمة لم تُحتسب لها؛ وألممت بأكبر عدد من فهارس المخطوطات، بما تجمع خاصة في مكتبة مؤسسة آل البيت

(1) كان قد حقق كتاب الفهرست لابن النديم على الطبط الصعب من العمل، وأثره بالبيانات التي تجعل منه بحق مصدراً لا يُداني في التعريف بأصول الثقافة العربية. وقد أطلعتني عليه بدمشق، وذئّر فيما ذئّر بعده.

(2) من نقدي لكتاب أ.د. بشار عوّاد: في تحقيق النص. (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005).

للفكر الإسلامي في عمان (المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية - سابقاً)، وعددها تجاوز الألفين والثلاثمائة فهرساً. وَفُتِحَتْ لِي الصَّدَاقَاتُ - الَّتِي اُعْتَرَّ بِهَا - مغالِقُ المكتبات الخاصة، وكان كلُّ ذلك على زَمَنٍ طال، وتيسَّر لي فيه بعد كلِّ ما رأيتُهِ ومِزَّتُهُ واستَوْعِبْتُهُ، أن أَعَدَلَ خُطَّةَ العملِ في ضَوْءِ واقعِ ثُرَاتِ الرَّجُلِ وَمُسْتَوَى الْأَصُولِ الْبَاقِيَةِ من أَعْمَالِهِ وَالْمُتَّصِلَةِ بِهِ مُبَاشَرَةً، بما خُطَّهَ عَلَيْهَا مِنْ إِضَافَةٍ وَتَعْدِيلٍ. وكان بَعْضُ هذه الْأَصُولِ مَعْرُوفاً فِي مَوَاقِعِهِ، وَبَعْضُهَا تَمَّا وَقَفْتُ لِاكتِشافِهِ وَتَحْدِيدِ نِسْبَتِهِ وَغَضَرِهِ. وَأَصْبَحَ بِالْإِمْكَانِ أَنْ يُنْشَرَ كُلُّ الْكِتَابِ مُوْتَقِفاً بِأَصُولِ الْمُؤَلِّفِ وَلَيْسَ غَيْرِهَا، إِلَّا فِي حَالَاتٍ نَادِرَةٍ وَجُزْئِيَّةٍ يُمْكِنُ فِيهَا اسْتِشَارَةُ بَعْضِ الْأَجْزَاءِ ذَاتِ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ التَّوْثِيقِ .

وكانت مَخْطُوطَةُ الظَّاهِرِيِّ - وَبِرْدُ وَصْفِهَا وَتَحْلِيلُهَا - هِيَ النُّسخَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي وَصَلْنَا مِنْ هَذَا الْمُسْتَوَى الْمَوْثُوقِ فِي نِسْبَتِهِ، كَامِلَةً، وَمَجْزَأَةً إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ جُزْأً، وَتَعْرِفُ تَارِيخَ نَسْجِهَا عَلَى التَّحْدِيدِ. وَأَمَّا بَقِيَّةُ الْأَصُولِ الْمَعْتَمَدَةِ الْآخَرَى فَتَتَفَاوَتْ أَجْزَاؤُهَا الْبَاقِيَةِ مِنْ وَاحِدٍ إِلَى أَرْبَعَةٍ حَسَبِ التَّقْسِيمِ الشُّبَاعِيِّ لِلْكِتَابِ.

واعتباراً لأن هذا المخطوط "الظاهري" يَكُونُ الْعُمُودَ الْفَقْرِيَّ لِكُلِّ الْعَبْرِ، وَيَسْتَمِرُّ اسْتِعْمَالُهُ فِي مُعَارَضَةِ كُلِّ الْكِتَابِ مَعَ الْأَجْزَاءِ الْمَعْتَمَدَةِ الْآخَرَى، فَقَدْ اتَّخَذْنَاهُ بَدْءاً بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ (المقدمة) أَسَاساً لِلنَّصِّ، ثَبَّتْ سِيَاقَهُ كَمَا وَزَدَ، وَنُضِيفَ إِلَيْهِ بَيْنَ حَاضِرَتَيْنِ مَا تَضَيَّفُهُ النُّسخُ الْمَقَابِلَةُ مِنْ إِيضَاحٍ أَوْ تَمْدِيدٍ لْجُمْلَةٍ أَوْ إِنْحِاقٍ لِفَائِدَةٍ. وَفِي حَالَةٍ خَطَأٍ نَاسَخَ الظَّاهِرِيُّ نَعْوُضَ قِرَاءَتِهِ أَوْ مَا أَخْطَأَ فِيهِ بِالْقِرَاءَةِ الصَّحِيحَةِ، وَثَبَّتَهُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْفُرُوقِ.

واستفادة من ضبط تاريخ هذه المخطوطة وهو سنة 797هـ / 1394م، فقد استطعنا أن نوّرخ الكثير من الأجزاء التي لا تحمل تاريخ كتابتها، وأمکن الاستدلال على ذلك بما نقص منها أو طرأ عليها من زيادات تجاوزت بها نص الظاهري أو نقصت عنه.

وقد تجمّع لنا من الكتاب الأول (المقدمة) خمس مخطوطات، فكان بذلك أكثر حظاً في التأريخ لنصّه والتوثيق لمحتواه، خاصة بما تميّز به من وجود مسوّد المؤلف (مخطوطة عاطف مصطفى، ويرد الحديث عنها) التي صاحبته حياته بمصر، رغم ضياع الكراس الأخير منها<sup>(1)</sup>.

فقد تمكّنا بعد المقابلة والمقارنة بين هذا الأصل الأمّ، وبقية الأصول التي عليها أثر المؤلف، أن نرتبها ترتيباً تاريخياً لتفاوتها في نقل أقسام من الحواشي والإحاقات المضافة عليها بحسب ما وصل إليه تسجيل ابن خلدون وقت نقل كلّ نسخة، بما في ذلك نسخة الظاهري.

ونحدد هذه الأصول المخطوطة المعتمدة في نشر الكتاب الأول، حسب المنهج الذي التزمناه في اعتماد خمس نسخ لا سادس لها - فيما علمناه - وهي:

- 1 • مخطوط عاطف مصطفى (وهو مسوّد المؤلف)، ورمزنا له بالحرف (ع)
- 2 • مخطوط مكتبة السلطان أحمد الثالث، ورمزنا له بالحرف (ي)

<sup>(1)</sup> وهذا له شأن كبير فيما يعرف بالنسخة الأمّ، لأن بعد الحائقة تُسجّل القراءات والساعات ومن نقل منه ومن خضر مجالس قراءته دراية، إلى غير ذلك من الإفادات.

3 • مخطوط الظاهري ، ورمزنا له بالحرف (ط)

4 • مخطوط حالت أفندي ، ورمزنا له بالحرف (ل)

5 • مخطوط بني جامع ، ورمزنا له بالحرف (ج)

وقد رتبناها هذا الترتيب كما ذكرنا استناداً إلى المفاصل الزمنية المضبوطة من حياة النسخة الأم التي تمتد من وصول المؤلف إلى القاهرة إلى وفاته، والتواريخ المثبتة على بعض النسخ الأخرى (ظ، ج) والمدى الذي وصلته النسختان الباقيتان (ي، ل) في نقل الحواشي.

وهذا بيان تحليلي بالمخطوطات الخمس المعتمدة ، والمشار إليها :

المعلومات المتضمنة في تحقيق هذا الجزء من الكتاب الأول (المقدمة)  
وجمهورها الثاني

808	804	799	797	791	784
مخطوطات تاملت في تحقيق					
مخطوطات نسخة تاملت في					
مخطوط الظاهري					
مخطوطات أفندي					
مخطوط بني جامع					

## 1 • مخطوط عاطف مصطفى (ع)

مكتبة عاطف - رقم 1936

إن نُسخة مكتبة عاطف مصطفى<sup>(1)</sup> رقم 1936 في إستانبول ، هي أهم النسخ الباقية من نص المقدمة [الجزء الأول من الجبر]، وأكثرها اليحماً واتصلاً بحياة مؤلفها، وهي سجلٌ واضح موثق بخطه ، للإضافة والتعديل والتضويب والتنقيح والتهديب، الذي أدخله على هذا القسم من الكتاب ، على مدى مُتصل ، يبدأ من تاريخ استيفاراه بمصر - باعتبار خط مثن النسخة المشرقي - إلى أواخر حياته ، كما تدل الإضافات التي بقيت ، أو التي كانت مُثبتة عليها قبل أن تُفقد ، وقَبْل ضياع الكراس الأخير من هذا الأصل.

وأبعاد هذه النسخة 26.5 x 18.5 سم ومساحة المکتوب في صفحاتها 13 x 20 سم، ومُسَطَرها 25 سطرًا، وتجليدها مفلوکی معاصر لكتابتها، وهي مغشاة بجلد بُني قاتم، توسّط دُزْفَتِيه زخرفه على هيئة (شكل ليموني مُدبب الأطراف) تطوّقه خيوط مضفّرة، وينتهي طرفاها بعمودين مضفرين، ينتهيان قريباً من أعلاهما بصفيرة رُباعية.

(1) كان عاطف مصطفى بن مصطفى الإستانبولي الدققي - رئيس الدفترية - في عهد السلطان عبد المجيد الأول؛ وقد بنى مكتبته سنة 1741م وبها 2406 مخطوطاً عربياً.

وورق المخطوط سميًا جَد الصقل، يميل إلى صُفرة فاترة، وورقتا الخريطة المتقابلتين هي من أصل النسخة ومادتها، وليستا مُضافتين.

وتتصدر النسخة أوراقٌ يتضاء، أُلحمت عليها أثناء التخليد، سُجلت فيها إفاداتٌ لغوية، وإحالاتٌ على ما اشتمل عليه الكتاب من نُصوص مُهمّة، كرسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب، ووَصية طاهر بن الحسين لابنه عبد الله، وذكر الحالومة، مع الإشارة إلى زُعم الصّحائف.

ثم يليها فهرسٌ مُفصلٌ في صَفحتين، كُتب بخط التعليق، بحبر أسود، ورُقم الصفحة تحت كل موضوع بالحبر الأحمر، ولم يُلزم واضعه بذكر فُصول الكتاب كما وُزِدَت، وإِنما عمد إلى إجمال مَغناها ومُحتواها؛ ويُفهرس لمُوضوعات داخلية وردت ضمن الفصل، وأبرزَ كتابةً بعض العناوين الّتي تُغنيه بالحبر الأحمر، وبأدَل أرقام صفحاتها بالحبر الأسود.

وأرقام الصفحات في هذا الفهرس غيرُ مُتطابقة على أيّ اعتبارٍ، سواءً بحساب ما يَتقدّم النسخة من أوراقٍ أو بدونها.

ثم يلي ما تقدّم ترجمةٌ قصيرة للمؤلف منقولة عن السخاوي. وفي صفحة تامة تُقريظُ كُتبه بخطه محمد بن يوسف بن محمد الإسفيجاني<sup>(1)</sup> - ولا نعرفه - يوم السبت 24 شعبان سنة 804هـ / 29 مارس 1402م، بعد أن: "اتفق له مُطالعة هذا التفسير الأول من كتاب العبر، في أخبار العرب والعجم والبربر، فوجده - كما يذكر -

(1) نسبة إلى إسفيج، فتح الحمة كما ضبطها ياقوت، من بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان، وكانت واسعة العمار، ثم كُتبت على يد خوارزم شاه، ثم بالتتار سنة 616هـ / 1219م، انظر معجم البلدان 1: 179، ابن سبهي زاده: أروض المسالك 151.

مشحوناً بالفوائد الكثيرة، والعوائد الجمّة القليلة، لم يُسبق بمثله في الإحاطة  
باللطائف، والاكتناز بكنوز الفوائد الطرائف، دلّ بحسن تركيبه، وغرابة نظمه وتزئبه،  
على كمال مُصنّفه في التراتية، وسبقه على الأقران في الجُفُظ والرواية، وكتب هذه  
الأسطر بعد الوقوف على مآثر هذا الكتاب، تذكرة لصاحبه مُتّع به وبأمثاله".

وتعدّ هذا يندأ نض الكتاب بالصفحة الخارجية المخصّصة عادة للعنوان، والتي  
خَفِظَتْ قِصَّتُهُ وصِيرُورَتُهُ ورُخِلَتْهُ الطَّوِيلَةُ من القاهرة إلى مكّة إلى خِزائن دار  
الخِلافة في إستانبول. فعلى الزّاوية اليُسرى من هذا الصّفح، مُرتّع مَخْصُور بإطار  
أخمر، كتب فيه ابنُ خَلْدُون بِحَظِّهِ الأندلسي الواضح الشّبه بخطّ "العلامة التي كان  
يكتبها" شهادة تُوثّق أهميّة هذه النّسخة الأُمّ من مقدّمة العِبر، بعد أن صاحبته جِثْبَةٌ  
مديدة من الزّمن، أُجْزِي عَلَيْهَا وعلى الكتاب ما أُجْزِي من مراجعات وإضافات،  
وألحق بمجموعه كلّ من الإلفاء والتّعديلات والإلحاق والإكمال الذي من أوسعها  
استكمال أكثر مواد الجزء الخامس الخاصّ بالعجم. وفي هذه الشّهادة يقول:

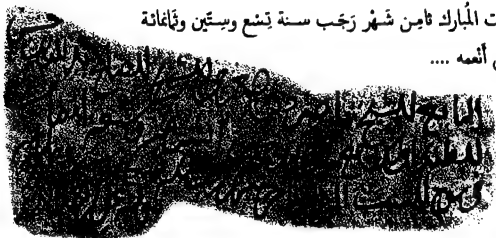
هذه مستودة المقدمة من كتاب العبر في أخبار العرب والعجم والبربر  
ومع علمية كلها لا لبس فيها في  
الدارج فاللهما جليل ومحتما  
وليس يوجد نسخها الصّحيفة  
وكتب مولانا عبد الرحمن خلدون  
ومعه الله تعالى وعفا عنه بمّته.

"هذه مُسَوَّدَةُ المقدّمة من  
كتاب العبر، في أخبار العرب  
والعجم والبربر. وهي علميّة  
كلّها كالتيباجة لكتاب التاريخ،  
قائمتها بخمسة وخمسين،  
وليس يوجد في نُسَخِها  
أصحّ منها. وكتب مؤلّفها عبد  
الرحمن ابن خلدون وفقه الله  
تعالى، وعفا عنه بمّته".

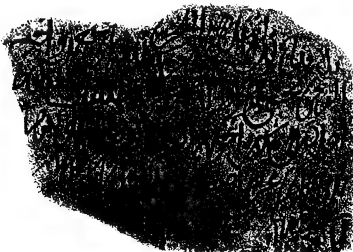


وينتشر على بقية الصفحة مجموعة من التملكات المتزاخرة، والأختام، أكثرها مؤرخ، نعرض لها وقدّمها مرتبة بحسب تلك التواريخ، الأقدم فما يليه، وهي تُظهر رحلة الكتاب منذ خرج من يد ورثة صاحبه الظنّين به، إلى مُستقرّة الأخير:

- 1 • البايغ الشيخ ناصر دين الغمري للشيخ الصالح بذّر الدين حسن الطنّنداني<sup>(1)</sup>.... مع ثمن الكتاب خمسة أشرفيّة وسبعة أنصاف، في يوم السبت المبارك ثامن شهر رَجَب سنة يَسَع وستين وثلاثمائة / وله على أنعمه ....



- 2 • انتقل هذا الجزء/ بالاتباع القرعي من يملك الشهابي أحمد وأخيه/ الرقي (كنا) يحيى أولاد الشيخ حسن الطنّنداني المذكور / أغلاه، إلى يملك أخيه الفقير إلى الله تعالى [محيي] التمين / محمد في حادي وعشرين صفر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة



(1) هو حسن بن أحمد، القرعي الضري، ولادته سنة 802هـ / 1399م، ووفاته سنة 888هـ / 1483م. (السخاوي: الضوء اللامع 3: 94).



3 • الحمد لله الحفيّ لطفه / في  
ثوبة / فقير رحمة ربه، محمد أبي الفتح  
[الرا ...] / الحفيّ، بالاتباع الشرعي  
من الشيخ / أبي الفضل المكي  
التاجر بسوق / الكبير <sup>(1)</sup>، بتاريخ  
ألف من زجب الفرد الحرام /  
تمام... أحسن الله العاقبة للـ...  
[خير]



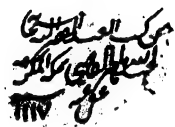
4 • من نعم الله سبحانه / من  
عنده، على عبده المحتاج إلى الله  
الصّمد، / أوّيس بن محمد <sup>(2)</sup>،  
المفروق بويحيى، / بالاتباع  
الشرعي بمدينة يضر، خُصّت باليزر  
/ والتضر، في غرة شهر رمضان  
/ المعظم، من شهر سنة 1006  
(أبريل 1598م).

<sup>(1)</sup> ربما قرأ: الكعب.

<sup>(2)</sup> ويُعرف أيضاً باسم ويحيى أفندي، شاعر وكاتب تركي (1561-1628م) درس في المدارس العثمانية، وعُين قاضياً في مصر والأناضول والرومل وأسكوب، اشتهر بكتابة التتر المسج، وينظم شعر الغزل. انظر Aeydan Larousse، 137 ص xx، 19 (إستانبول 1992).



5 • تم أنعم الله سبحانه وتعالى  
به / على غنبد الحقير سُليمان / بن  
يوسف الحنين (كذا) رمضان سنة  
1076هـ (مارس 1666م).



6 • من كُتب القنبد الفقير إليه  
سُبحانه، / غنبد الله باهر،  
القاضي بمكة المكرمة، غني عنه،  
سنة 1117هـ / (1705م).



• ختم مُستدير به:  
7 • وقَف هذا الكتاب / الحاج  
مُصطفى / عاطف، بشرط أن / لا  
يُخرج من جِزائته / 1154هـ (1741م).

وفي الصفحة بخط المملِك الأخير الواقف، بعد كلام:  
رحمة الله على من نظرَ وقرأ، وتَمَلَّك هذه المجلدة من قَبْل وتَقَدَّ، وإيَّته لله  
الأخذ الصَّمَد. أنا الفقيرُ إليه سُبحانه وتعالى عاطِف مُصطفى بن مُصطفى /  
الإستانبُولي التَغَتَرِي غَنِي عنها.



• تملكات غير مؤرخة:



- 8 من نعم الله تعالى على علي بن  
غاتم الخزرجي المقدسي



- 9 مزحوم شيخ الإسلام علي  
قدسي حضرتلر خط شريفلر ...



• ختم صغير به:

- 10 وبالشكر / تدوم النعم كلها

• تملك غير واضح :



- 11 لم يتمكن من قراءته لتشطبي  
حروفه ، ويقراً في السطر الأخير:  
عبد الله بن أحمد المولوي عفي  
عنه.

وفي ظهر صفحة الشهادة والملكات والأختام، يبدأ الفهرس الذي صنعه واعتمده المؤلف نفسه للكتاب الأول، قبل أن يضيف عليه ما أضاف، وهو فهرس مُنابِج لفصول هذا الكتاب الأول واحداً واحداً، وفي بعض حواشيه بعض التعديلات المهمة بعد إلغاء النص من سياقه، وإضافة البديل في الحاشية، بخط ابن خلدون، وهي إصلاحات نجدها مُعَمَّدة ومُنْقولة فيما كُتِبَ بعدُ من النسخ المُعاصرة الأخرى. من ذلك ما ورد في نص الفهرس: "في أنّ الأعجام من علماء الملة قاصرون عن ملكات العلوم من علماء الغرب". وأُدرج في الحاشية بعد إلغاء هذا، بخطه: "في أنّ العُجَمَة إذا سَبَقَتْ إلى اللسان، قَصُرَتْ بصاحبها في تَخْصِيل العلوم عن أهل اللسان العربي"، وسنورده بنصه الكامل آخر هذا التعريف لما له من أهمية - ولو جزئياً - في المساعدة على تأريخ تطوّر المقدمة. وبأعلى سطور هذه الفهرسة، كتب مصطفى عاطف صاحب النسخة: "إتمام تأليف الكتاب 804هـ (1402م)؛ وقد أزيك هذا النص بعض من درسوا هذا المخطوط وأوقع الكثير في الخطأ، وتابعوه عليه واعتبروه في تاريخ التأليف؛ وربما استند ذلك عنده إلى تاريخ تَفرِيط الإسفيجايّ المتقدّم ذكره.

وفي أسفل صفحة منفردة يتقدّم نص الكتاب، أعاد صاحب التملك رقم (3) المتقدّم إثبات ملكيته بالخطّ المتقدّم نفسه، تتّضح بعض كلماته متطابقة مع ما سبق، وتتغلّق الأخرى بسبب التداخل وتقسّي الخبر حول الحروف.

وببدأ نص الكتاب الأول من العبر (المقدمة)، في ظهر صفحة العنوان، بعد البسملة مباشرة، بما استهلّ ابن خلدون هذه النسخة به، فقد كُتِبَ بخطه المتأنيّ القائم الزوايا:

يقول العبدُ الفقيرُ إلى رَحْمَةِ رَبِّهِ، العَفِيُّ بَلُطْفِهِ / عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْدُونِ الْحَضْرَمِيِّ، وَقَفَهُ اللَّهُ /

يَعْنِي الْعَبْدُ الْبَغِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ الْتَغْنِيَةُ بِقُلُوبِهِ  
عَنْ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْدُونِ الْحَضْرَمِيِّ وَقَفَهُ لِلَّهِ

ثم ترك للتاسخ كتابة نص الكتاب . وهذه الحالة نفسها في تسجيل مُسْتَهْلٍ هذه النسخة بخطّه، أعادها في نُسخة (ج) التي كتبها ابنُ الفَخَّار سنة 799 هـ (1397م)، ويردّ وَضْعُهَا والحديثُ عنها في موقِعهَا. ويتّضح من مقارنة الصّفحة الأولى لهذه النسخة بمائِلَتِهَا من نسخة (ج)، ما يدعو إلى التأكيد أن هذه النسخة كتبها ابن الفخّار أيضاً في بداية أيام ابن خلدون في مصر، ولم تكن يَدُهُ قد ثبتت وقويت بالصورة التي نجدها في خطّه لنسخة (ج) وغيرها.

وقد كتبت بخطّ نسخ معتاد، غير موحد، يتفرّج أحياناً وينقبض أخرى، وبأفلام غير مُتقاربة القطّ، تدقّ مَرَات، وتغلظ أحياناً. هذا ولعلّ أصل النص متخلياً عن الإضافاتِ والحواشي والتعديلات وعن البطائق المُضافة، هو النصّ الذي قديم به من تونس، أو الأقرب إلى الأصل التونسي<sup>(1)</sup>، وخوّله التايخ (ابن الفخّار) في مصر إلى هذه النسخة التي التزم بها أبو زَيْد واتخذها مجالاً مُباشراً ومُسْتَمَرّاً للتطوير إلى آخر حياته<sup>(2)</sup>، وعنها نُسخَت النسخُ المباشرة الأخرى، واشتدّت ما عليها من أَلْهَاق وإضافة بكلّ أمانة والتزام.

(1) كتب التايخ اسم الكتاب في مَدْخَلِ المَقْدَمَةِ: في أيام العرب والبربر. وأضاف المؤلف بخطّه في الحاشية، لفظ: والعجم.

وهو موضوع الجزء الخامس الذي أضافه بعد الرحلة إلى الشرق .

(2) ترد مناقشة صلة هذه النسخة بابن خلدون ، وتحقيق خطّه فيما يلي .

وقد علّم بالأحمر الأرجواني فواصل الفقر المُستجّعة في مُقدّمة المقدّمة،  
وكلمات الانتقال مثل : أما بعد ، وهذا ، ولما ، ومنها ؛ وكذلك تسميات الكتاب،  
وعناوين الفصول والكلمات التي يبدأ بها إفادة جديدة، وأكتفى في حالات عدّة بوضع  
خطّ أحمر حيث ينبغي التنبيه ، أو فوق الكلمات المهمة ، لتيسير الرجوع إليها.

ولا تخلو صفحات هذه النسخة بدرجات متفاوتة في الكثافة، من تعديل  
كلمات، وإفحام تكملة، وتعويض مُلغى، وإضافة جُملة، واستكمال بيان، وإلحاق  
صفحة أو بطاقة تشتمل على تكملة فضل أو إنشاء فصول كاملة، وكلّها بخطّ  
صاحب الكتاب، عدا تدخّلات محدودة بتسجيل سُروح لغوية كُتبت بخطّ فارسيّ  
متأخّر من مالكي النسخة. ولعلّ أكثرهم تعليقاً عليها هو عاطف مصطفى الدفّريّ،  
كما يتّضح من المقارنة مع خطّه على صدر الجزء.

ويلاحظ أنّ الإضافات على هذه النسخة على مُستويين:

● إضافات مطوّلة استغرقت الصفحة والصفحتين - وكتبها المؤلّف بخطّ  
دقيق في أسطر مُتقاربة، وكتب بعضها مائلة تبدأ من إحدى زوايا الصّفح، وتجنّبه  
من أسفل إلى أعلى - كان يُعدّها في مُسوّدة تُستكمل مادّتها وتفاصيلها ، ثم ينقلها  
مُواجهَةً لعلامة المُخرَج التي يضعها في موقعها من النصّ، موجهةً إلى اليمين أو إلى  
اليسار □ □ ، أو يُخرّجها بخطّ أحمر ينتهي بسهم يربط بين المكان والإضافة،  
ويُسجّل بأعلى الصفحة المضافة نصّ تأكيد لموقعها، بأن يقول: "يُتصلُ بآخر الصّفح  
الأيسر قبل الترجمة الّتي نُصّها ... "، أو: "يُتصل في الصّفح المُقابل بعد قوله..."،

أو: "يتصل التخرج في الصفح الأيمن في السطر الخامس عشر بعد قوله..." وقد أعد هذه المخرجات المطولة في الجزء الأول من المقدمة وكتبها بعناية فائقة، تدل على ثبات اليد وتمكّنها واشترسالتها بدون تَعَثُّر ولا إلغاء لخطأ يَطرأ. وتدل أيضاً أنه بدأ يُفكّر في مادة هذا الجزء [المقدمة] ويطوره بانتظام يتفق مع تجدد تجربته واتساع مدى رؤيته وما يتكشف له أثناء تدريسها.

وقد افتقدت هذه النسخة عدداً من هذه الإضافات المطولة وسقطت منها، بعضها لم يصل إلينا وذلت عليها علامة الإخراج المُفحمة في مكان الإضافة، وبعضها نقلته - قبل صياغها - الأصول الأربعة الأخرى المعاصرة لها أو بعضها، كما هو الشأن في "فصل أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أصلها" وهي الوثيقة المنقولة عن الكتاب المسمى "جرب الدولة" لأبي طالب الحسن بن عمار الكتاني، والمتعلقة بما كان يُحمل إلى بيت المال ببغداد أيام المأمون، فقد نقلتها عنها بعض الأصول كما أشرنا في موضعه.

ومن هذه الإضافات الصائغة، الفضل الذي جاء في نشرة الدكتور عبد الواحد وافي [المقدمة: 2: 760] وعنوانه: "فصل في اتساع نطاق الدولة أولاً إلى نهايته، ثم تضايقه طوراً بعد طور"، إلى فناء الدولة واضمحلالها". وأورده كاترمير Quatremère في نشرة باريس [2: 114] وموقعه في نسخة عاطف مصطفى آخر فصل "كيفية طروق الحلل للدول"، فقد وضع علامة المخرج ملتفتة إلى اليمين، وجعلها تنجم على ثلاث دوائر صغيرة، ولا يوجد عنوان هذا الفضل الصانع في الفهرس الذي نَحَدَّثنا عنه، وأنه في صدر الجزء، والذي يُمثل مواد المقدمة عندما



نُسخَت وقبل أن يضاف إليها أيُّ إلحاق. هذا ولم يرد هذا الفضل الضائع في أيِّ نسخة من النسخ الأربع المعتمدة التي عليها خط المؤلف. فما معنى ذلك؟ يبدو لي أنَّ هذه الزيادة ألحقها المؤلف بنسخته بعد انقضاء القرن الثامن الهجري، لذلك لم ترد في الأصول التي اعتمدناها لوثاقتها، وأحدثها تاريخاً نسخة (ج) المؤرخة في سنة 799هـ (1397م). وقد نقلتها بعد هذا التاريخ نُسخ أخرى، منها نسخة أحمد تيمور باشا. [355 تاريخ، دار الكتب المصرية].

وحسب ما اعتمدناه في إخراج هذا العمل، فإننا لم ندرج في صلب النص ما لم يرد في الأصول التي اتخذناها أساساً للتحقق والنشر، والتي توفرت فيها المعايير المقدرة. وإننا نثبتها آخر الكتاب ضمن ملحق مُفرد لذلك، مع توثيقها وتأكيد نسبتها جهد الطاقه.

● وثمة إضافات متوسطة في حجمها ومحتواها، ومُتفاوتة في الاعتماد على كابل حواشي الصفحة أو على جزء منها، ولم يكن خطها موحداً من حيث ثباته ووضوحه، فإنَّ من بينها ما هو على درجة قصوى من التداخل والقُصوص على غير ما اتَّسم به خط ابن خلدون في أكثر ما كُتب، وقد احتاجت إلى تدقيق وتأمل طويل وتأوّل أحياناً، وذلك لطابع العجلة البين الذي كُتبت به، وبغضها لم يُخرجه التصوير مقروءاً، فاضطررنا إلى العكوف على الأضل التقيس في مكتبة عاطف مصطفى في أكثر من زيارة، لاستخراج ما وقَّعنا إلى استخراجها منها بالقراءة المباشرة.

وكان عمل المؤلف يتداخل أحياناً مع عمل التاسخ، فيكتب بخطه في متن الكتاب ما لا يتفق في أدائه من الكاتب، ففي فصل "حدثان الدول والأمم، والكلام على الملاجم" تولى كتابة الشجر العائى، وأضاف في آخر الفصل نفسه إفادات على صفحات المساحة المكتوبة من الكتاب ذاته، وهذه سمة بارزة عند ابن خلدون الذي حرص في أغلب أجزاء التاريخ أن يضع بنفسه شجرات النسب، ويرمز بترتيب الحروف ودلالاتها العددية إلى الذين تداولوا الحكم منها.

هذا ويتفرد هذا الجزء الأول من العبر (المقدمة)، على عكس النسخ الأخرى التي نقلت عنه، بأشتماله على خريطة لصورة الأرض، أشبه بما قدمه الإذريسي لخريطة العالم؛ ومُشاكلة لها في رموزها وتسمياتها إلى أقاليم سبعة، مع ذكر المُستقيات من البلدان والشعوب؛ وهي خريطة دائرية كُرّية، استعمل في رسمها التلوين المتعدد، من الأصفر والأزرق والأخضر والبنفسجي. ورُسمت البحار باللون الأزرق الداكن، تغطي سطحها خطوط منكسرة يتضاء. وتدلّ الاتجاهات إلى الجنوب من أعلى والشمال من أسفل، والغرب إلى اليمين والشرق إلى اليسار. وكتب ابن خلدون بخطه المائل المؤلف لدينا وبحبر أحمر، كل الأسماء الداخلية لهذه الخريطة النادرة.

فقد أثبت في أغلاها ما ذكره في موضوع الجغرافيا، قوله: "خال وراء خط الاستواء لشدة الحر"، ومن جهة الشمال من تحت، ما يفيد الخلاء من شدة البرد. وقسم ما تحت خط الاستواء إلى خطوط غرضية قوسية دقيقة، يحرص كل خطين منها إقليماً من الأقاليم السبعة، وزع في كل إقليم بعض ما اشتمل عليه من البلاد

والشعوب، وقد قرأنا مُختَوَاهَا الدَّاخِلِي وَأَثْبَتَاه فِي ظَهَرِ الخَرِيطَةِ. وَهِيَ - كَمَا أَشْرَحْتُ -  
نَسْخَةُ مُطَابَقَةٍ لخرِيطَةِ الإِذْرِيسِيِّ، لَا تُضَيَّفُ جَدِيدًا<sup>(1)</sup>. وَإِنَّمَا تَرْجِعُ أَهْمِيَّتُهَا وَأَهْمِيَّةَ  
فَصْلِ<sup>(2)</sup> الجغرافيا الَّذِي يَلِيهَا، إِلَى تَصَوُّرِ ابْنِ خَلْدُونِ فِي أَنَّ العُمُرَانَ أَسَاسُهُ الأَرْضُ  
وَالإِنْسَانُ، وَمَا يَنْشَأُ بِهِمَا عَلَى الزَّمَانِ المْتَمِّدِ، مِنْ رَوَابِطٍ وَنُظُمٍ وَذُؤُلٍ وَمَعَارِفٍ  
وَصَنَائِعٍ.

وَتُنْتَهِي هَذِهِ النِّسْخَةُ أَثْنَاءَ الفَصْلِ 59 الخاصِّ "بِأَشْعَارِ القَرَبِ وَأَهْلِ الأَنْصَارِ  
لِهَذَا العَهْدِ"، عِنْدَ قَوْلِهِ فِي بِدَايَتِهِ: "وَيَأْتُونَ مِنْهَا بِالمَطْوَلَاتِ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَذَاهِبِ  
الشَّعْرِ وَأَغْرَاضِهِ".

وَأَضَيَّفُ فِي آخِرِ الصَّفْحَةِ سِبْطَ نَاسِخٍ مُخَدَّثٍ، كَلِمَةً: "وَاللَّهِ وَلِيَّ  
التَّوْفِيقِ، آخِرُ الكِتَابِ" وَأَزْدَفُهُ بِسِطْرٍ آخَرَ مَشْطُوبٍ، فِيهِ: "تَمَّتْ مَقْدَمْتُ (كَذَا)  
تَارِيخِ ابْنِ خَلْدُونِ، يَلِيهِ الجُلْدُ الأوَّلُ مِنَ التَّارِيخِ المَذْكُورِ المَسْتَقَى بِالعَبَرِ". وَبَعْدَهُ فِي  
الزَّائِيَةِ اليمْنَى لِلصَّفْحَةِ تَعْلِيقٌ بِخَطِّ فَارِسِيِّ هُوَ خَطُّ عَاطِفِ مِصْطَفَى: "السِّطْرُ  
المَشْطُوبُ مُذَلَّلٌ مِنْ دَسَائِسِ الصَّخَافِينَ". وَخَطُّ هَذَا المَذَلَّلِ مَالُوفٌ لَدَيْنَا لَوُجُودِهِ  
عَلَى أَكْثَرِ الأَجْزَاءِ المَتَنَاسِرَةِ والأَصِيلَةِ مِنَ العِبَرِ، تَمَّا تيسَّرَ لِي رُؤْيُهَا فِي مَكْتَبَاتِ  
مَتَرَقَّةٍ، وَكَأَنِّي بِهِ كَانَ لَهُ إِشْرَافٌ مَا بِالمَلِكِ أَوْ الاِسْتِعَارَةِ لَمَّا فِي تَرَكَّةِ ابْنِ خَلْدُونِ مِنْ  
أَصُولٍ كَانَتْ تَبَيَّنَ يَدِيهِ.

(1) (انظر خريطة الإذريسي عند الدكتور فؤاد سركين: مختارات من الجغرافيا الرياضية والكرتوغرافيا عند العرب

والمسلمين، معهد تاريخ العلوم - فرنكفورت 2000)

(2) نظر كراتشكوفسكي إلى هذا الفصل نظرةً جغرافيةً بحتةً، وأثبت انعدام أصالته (تاريخ الأدب الجغرافي العربي 1: 439)

وفي الصّفح التالي نَصّ مَحْطَط كُتِب بِحِطِّ مُغَايِر عَنْ أَشْعَار الْعَرَبِ،  
وَيَتَوَقَّفُ عِنْد الْبَيْت الثَّالِثِ مِنْ قِصِيدَةِ الشَّرِيفِ ابْنِ هَاشِمٍ الْعَامِيَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمُ الْكِتَابُ  
بِالنَّصِّ الَّذِي التَّزَمَ بِهِ الْمُؤَلِّفُ مِنْذِ النُّسخَةِ الْأُولَى "أَخِرُ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ الْعِبَرِ:  
الْمُقَدِّمَةُ". وَهُوَ إِثْبَاتُ تَارِيخِ الْكِتَابِ بِالْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ، ثُمَّ التَّنْقِيحُ وَالتَّهْذِيبُ، فِي  
خَمْسَةِ أَشْهُرٍ آخِرِهَا مُنْتَصَفُ عَامِ 779هـ / 1377م.

وَهَكَذَا يَتَأَكَّدُ نَصُّ كِرَاسَةِ ثَانِيَةِ مِنْ هَذِهِ النُّسخَةِ بَعْدَ خَطِّ عَاطِفِ مُصْطَفَى،  
وَمَعْنَاهُ أَنَّ التَّنْقِصَ كَانَ مَوْجُوداً عِنْدَ انْجِرَارِ الْمَلِكِيَّةِ إِلَيْهِ سَنَةَ 1154هـ / 1741م، وَكَانَ  
ضِيَاعُهَا فِي الْمُدَّةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ خُرُوجِهَا مِنْ مِلْكِيَّةِ وَيَسِي أَفَنْدِي وَدُخُولِهَا فِي مِلْكِيَّةِ،  
تَمَّ دَعَاؤُهُ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى التَّزْيِيفِ الْوَاضِحِ وَالْمُغَالَطَةِ بِانْتِهَاءِ الْكِتَابِ. وَقَدْ أَدْرَكَ عَاطِفُ  
مُصْطَفَى أَهَمِّيَّةَ هَذِهِ النُّسخَةِ الَّتِي تَمَلَّكَهَا وَأَصْبَحَتْ مَصْدَرِ اغْتِرَازِهِ، وَلَكِنْ رُبَّمَا كَانَتْ  
مُتَنَقِّلَةً عَلَيْهِ بِمَا ظَهَرَ عَلَى جَوَانِبِهَا مِنْ إِضَافَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ وَشُرُوحٍ تَدْخُلُ فِي سِيَاقِ  
النَّصِّ وَتَزِيدُهُ وَضُوحاً، وَتَرَاجَعَ صِيَاجُهُ بَعْضُ الْمَعَانِي وَتَضَيَّفَ إِلَيْهَا دَقَّةٌ فِي الدَّلَالَةِ لَمْ  
تَكُنْ لَهَا فِي السِّيَاقِ الْأَوَّلِ.

فَعَهْدُ إِلَى أَحَدِ نَسَاحِي عَصْرِهِ وَهُوَ حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الَّذِي عَانَى اسْتِخْرَاجَ  
نُسخَةٍ تَامَةٍ مُتَسَاوِفَةٍ، حَيْثُ دَمَجَ كُلَّ مَحْتَوَى النُّسخَةِ فِي سِيَاقٍ وَاحِدٍ كَمَا أَرَادَهَا  
الْمُؤَلِّفُ، وَأَتَمَّ نَقْلَهَا فِي شَهْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ 1140هـ (مَآيُو 1728م) وَتَوَلَّى عَبَّاسُ  
ابْنَ مُصْطَفَى بِتَكْلِيفٍ مِنْ عَاطِفِ مُصْطَفَى مُقَابَلَةَ النُّسخَةِ بَعْدَ عَقْدِهِ مِنْ اسْتِنْسَاقِهَا،  
وَأَنْتَهَى ذَلِكَ آخِرَ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ 1155هـ / 1742م .

وَأَلَّ هذا المخطوط المنتسخ عن أصل عاطف مصطفى بعد ذلك إلى ملكية أحمد تيمور باشا في مصر، وأصبح منتسباً إليه. ولكن لم يرَ في نُسخة التَّيمورية هذه ما يُشير إلى ذلك الانقطاع في الأصل، بل واصلَ كاتِبُها النَّسخَ على نسخة أخرى من غير أن يهتم بتوثيق الثقل الذي استمده من مُصدر آخر [التَّيمورية من الورقة 312 إلى 322].

وبذلك لم تكن نسخة التَّيمورية شاهداً أميناً على نُسخة عاطف مصطفى الدفترية في نقل كلِّ تفاصيلها وتوثيق زياداتها، والتنبيه على ورود الزَّيادات المهمة ومن أين أُخذت، بل كانت نسخة استندت في الأصل إلى نُسخة عاطف، ثم اعتمدت إكمال النص من حيثما اتفق، بدون إدراكٍ لدرجات الوثاقة والسند المتصل بصاحبها مؤلفها.

فقد أشرنا أثناء وصف هذه النسخة إلى الكراسة الضائعة من موضوع "الحروب ومذاهب الأمم في ترتيبها"، إلى "فضل انقسام الدولة الواحدة بدولتين". وكيف نَبّه مالكُ النسخة ويسى أفندي عند شرائها على ذلك الحزم، ودعى الله أن يعيدها بعينها، وربما قام هذا المالك بعد تعقّب الكتاب، بانتساح هذه الكراسة الضائعة من مصدر آخر، أو انُسخَتْ بعده، ولكن نُسخة التَّيمورية تتأدى مواصلةً نقل نص الكتاب، من غير إشعار بتبدل مُستوى النسخة أو تَصْييص في الحاشية على تغيير الأصل.

وبالإضافة لما يتخللها من تضييف وتحريف، فإن هذه المآخذ تحدّد مستواها في اعتبار منازل نُسخ الكتاب؛ وهي على الإجمال نسخة تأليفية جمّعت مادّتها من نسخ شتّى لم تذكرها .

ولقد ضاعت الكرّاسة الأخيرة من مخطوط عاطف، وكانت صفحاتها ولا شك تحتفظ بإفادات مهمّة، عن اسم الناسخ في آخرها، وعن التواريخ التي سُجلت عليها بعد سنة 804هـ / 1402م المستفاد من أول المقدمة. وربّما عن أسماء الذين نقلوا عن هذا الأصل، كما هو الشأن في تقاليد التّقل عن نسخة المؤلّف.

وربّما كانت مجموعة الأشعار البدوية العاميّة قد ضُبطت بالحركات، فثبّتت التّلقّق بها، وفُهم مفرداتها، كما رأينا فعله في الأبيات التي كتبها بخطّه في "فصل حدثان الدّول والأُمم والكلام على الملاحم والكشف عن مُسمّى الجفّر". وبذلك فإنّ الافتراض بأنّ ابن خلدون قد أنهى علاّقته بهذه النسخة سنة 804هـ / 1402م هو افتراض قسريّ خاطيء لا يقوم على حُجّة؛ بدأ هذا الافتراض من شبهة في فكر عاطف مصطفى، وأسيء فهم تقريظ الاسفيجانيّ الذي اعتبره فرانز روزنتال أول من ملّك هذه النسخة.

وقد عوملت نسخة عاطف أفندي عند بعض الباحثين بشيء من التّردّد في شأنها، هل هي على مُستوى الشّهادة التي تُصدّرها بخطّ المؤلّف، بأنّها أصحّ النّسخ وأجدرها بالثقة، وبالتّساؤل عمّا أُلجأ إلى هذا الاعتبار ما دامت حواشيتها حافلة باستكمال النقص الذي ظهر فيها؛ والتّساؤل عمّا إذا كان توقيع المؤلّف عليها صحيح أم مزيف ، بل دعت إلى مجموعة من الافتراضات التي لا تقوم على برهنة صحيحة.

فعندما تناول فرانز روزنتال بحث هذه النسخة ضمن تقديمه للمخطوطات التي اعتمدها لنشرته للمقدمة<sup>(1)</sup>. لاحظ ما بدا له من "أن أكثر التفسيرات اختيلاً، والتي تظل مع ذلك قائمة على التخمين، هو أن هذا المخطوط نُسخ سنة 804هـ (1401-1402م) عن أصل قديم، يُفترض أن يكون نُسخة ابن خلدون الخاصة، وقد نُقلت الإضافات والتصحيحات الموجودة على هذه النسخة بنسخها دون زيادة أو نقصان، على يد الناسخ نفسه، وكان ابن خلدون قد حدّد في نسخته بأن سنة 804هـ هي التاريخ الذي توقف فيه عن العمل في المقدمة (موقتاً على الأقل) (!!) وفيما نقد وفي العام ذاته، قام الأسفنجيبي - وهو على الأرجح المالك الأول لهذه النسخة - بوضع ملاحظته المعبرة عن إعجابه بالكتاب بعد قراءته"<sup>(2)</sup>.

ويمضي الدكتور عبد الرحمن بدوي<sup>(3)</sup> بعيداً في هذه الاتجاه، عندما ختم عرضه لهذه النسخة "بأن أمرها يُثير العجب، لكثرة ما فيها من نقص واستدراك بقلم آخر، فما الذي يحمل ابن خلدون على اعتماد هذه النسخة [يشير إلى شهادته التي تصدّرها] وفيها كل هذا النقص، ثم استدراكه في أوراق مستقلة أو في الهامش، خصوصاً، وأنّ هذا النقص يشمل أحياناً ما ورد في نُسخة تونس الأصلية"<sup>(4)</sup>.

<sup>(1)</sup> Rosenthal, F. Ibn Khaldun, The Muqaddimah, an introduction to history. Translated from the Arabic, New York, 1958.

<sup>(2)</sup> ذكر هذا في الفصل الذي تحدث فيه عن التاريخ النصي للمقدمة 1 المخطوطات ص 47. The Textual History of The Muqaddimah I Manuscripts, p. XCVII.

<sup>(3)</sup> عبد الرحمن بدوي : مؤلفات ابن خلدون 108 .

<sup>(4)</sup> لا تعرف حدود نسخة تونس الأصلية، وكيف وصل استاذنا بدوي لهذا الاستنتاج الذي يفترض أن يقوم على المقابلة بنص موجود وثابت النسبة.

وعندي أن سبب هذا الإشكال والشك المثار، هو وجود حلقة مفقودة في سيرة هذه النسخة ونحتمل، تتمثل في المعرفة بخط ابن خلدون؛ الذي ينبغي أن يكون من أوليات ما يجب معرفته للتعامل مع تراث الرجل.

إن الاشتقاء الواسع لمخلفات أبي زيد التي تحمل ما يُشير إلى معاصرتها له، بل وإلى الصلة به، توقفنا على نموذجين مُتميّزين من خطّه، ومُتّجدين في أصولها.

النموذج الأول، يتمثل في الأمثلة المحدودة القدد، ويحمل بعضها توقيعاً صريحاً بكامل اسمه، من ذلك :

توقيعه على الوثيقة التي تصدر أجزاء نسخة العبر، الموقفة على طلبة العلم بمدينة فاس، ومقرها مكتبة جامع القرويين، وقد نشر النموذج الذي على الجزء الخامس منها ليفي بروفنسال<sup>(1)</sup> سنة 1923؛ ثم الإجازة التي حرّرها ووقعها بخطه لابن حجر ورفاقه، في شغبان سنة سبع وتسعين وسبعمائة (يونيو 1395م)، ونشرها هلموت ريتز<sup>(2)</sup> سنة 1953.

وكان خطّه فيها على القاعدة الأندلسية، ذات الحروف المحققة المبيّنة والزوايا القائمة، ضلماً كبير التقوير لما تحّت السطور، يعتمد الثّقط على الطريقة

(1) E. Lévi-Provençal. "Note sur L'exemplaire du Kitab al-Ibar offert par Ibn Khaldun à La Bibliothèque d'al Qarawiyyin à Fes *Journal Asiatique*, CCIII 161-168. (Paris, 1923).

وتفضل على بنسخة عنها صديقي الدكتور أحمد شوقي بنين، مدير المكتبة الحسنية بالرباط.

(2) Hellmut Ritter, *Autographs in Turkish Libraries*, in *Oriens*, VI 83 and pl XII, (1953).



الإفريقية القديمة، متأثراً بالتمط الذي اعتاد عليه في كتابة "الغلامه"، وظلّ مرتبطاً بالتمودج الذي كتبه وهو ابنُ تسعة عشر عاماً سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (1351م)، وهو كتاب لُباب المحصل<sup>(1)</sup> في أصول الدين، لابن خطيب الرزيّ فخر الدين الرزائيّ.

ثمّ الشهادة الموقّعة على نُسخة عاطف مصطفى واشتهلأه لها بخطّه، واشتهلأه للنسخة بّي جامع (ج)، وهما الاثنان بخطّ ابن الفخّار، وعندما استفتح بكتابة اسمه في صدر النسخة إيداناً بابتداء النص، عمّد في كتابة القاف والفاء إلى طريقة أهل المغرب بنقّط القاف بواحدة فوقية والفاء بواحدة تحتية، وهي الطريقة التي دخلت بها الكتابة إلى إفريقية والأندلس، واستمرت عليها إلى وقت قريب. على حين جاءت كلّ تعليقاته واستدراكاته المُدْرَجَة في الحواشي وفي البطائق على عكس ذلك، فقد أجرى كتابته فيها على طريقة المُشارَقة بالتقط من فوق، بواحدة وبأثنتين.

والتمودج الثاني، نتلمّسه فيما كتبه بمصر - وقد كان كثيراً - فقد اضطرّ بحُكم وظيفة القضاء ومُتطلّباتها، والاشتجابه لداعي الإسراع في الكتابة، خاصّة بعد إنجازهِ العِبَر بأجزائه المتعددة، وضرورة التّظَر في النسخ التي تصدر عنه ومراجعتها حتى لا يتفشّى الغلطُ عنه، اضطرّ إلى أن يأخذ أولاً بالرّسم المشرفيّ للحروف ونقشها حتى لا يُزيك قارّهُ، ثمّ تراه عمّد إلى الكتابة باستلقاء خفيف، مع الارتباط

<sup>(1)</sup> نشرة الاب لوسيانو روبيو - Fr. Luciano Rubio - مطبوعات معهد مولاي الحسن، النص العربي - تطوان - دار الطباعة المغربية، 1952م، ونشر في دار المشرق - بيروت، 1995م.

بما التصق به من تقاليد الخط، وبما أخذت به يده من عادة لا تتعداها في الانقباض والثوثر، وهذا الاسترخاء المنافي للأناقة والواضح في إسرعه أحياناً، جعل كتابته تبدو في تلاخُطها متداخلة ولكن لا تبعد به عن تشكيل الحرف الذي يُضطلع عليه بالأندلسي الذي درج عليه .

ثم أصبح مع الزمن هذا الخط المائل المُستلقي أكثر أناقة ورشاقة وتناسباً في تركيبه وسطوره، خاصة إذا كتب به الصفحة الكاملة والأكثر، وكان ينقل من مُسوَّدة أعدّها وأبقى على ما به الحاجة، بحيث لا يظهر في المبيضة شطب ولا إلغاء.

وهذه الخطوط التي احتفظت بها نُسخة عاطف، والأجزاء المختلفة التي وقَّفتنا على خضرها من التاريخ، مما هو معروف ومما وقَّفتنا إلى الكشف عنه للمرة الأولى، والمعبرة عن التدخُّل في النص بالإضافة والتنقيح والتهذيب والإلغاء، تُقصِّح عن أنَّ هذا العمل لا يجرأ عليه غير صاحب النص الأصلي الذي لا يتقطع عن المراجعة لما أعدّه النساخون من نُسخ الكتاب.

إنَّ موقوف فرانسز روزنثال وعبد الرحمن بدوي وغيرها جاء من أنهم لم يتعرفوا على هذا الخط الخليلوني الذي يُوسَّع كل أعماله الباقية، لذلك كانت استنتاجاتهم غريبة، ولم تَمَّ على تحليل ومقارنة واسعة لنماذج خطه على مختلف المخطوطات، ولم يتساءلوا عن طبيعة التدخُّل أمام كل حالة تُشير بإفصاح أنه تدخُّل صاحب النص ويخطه الذي لا يتغيَّر على كل الأجزاء المتباعدة في المكان والزمان.

إنَّ الكشف عن حقيقة خط ابن خلدون غير الموقع والمتكرر على خواشي كُتبه ليس جديداً ، فقد خلَّل Rieu<sup>(1)</sup> الجزء المهم من العبر الذي تحتفظ به مكتبة المتحف البريطاني رقم 23، 272 Add وتُتبع حواشيه الكثيرة بدقّة وثقّصيل، وتُمثّل النموذج الثاني للخط الذي سُجِّلَ به خواشي نسخة عاطف مصطفى للأوّل من العبر (المقدمة) وكان المفهرس على يقين من أنّها من عمل المؤلف نفسه. لتدخلها المباشرة في سياق النصّ تدخل الوثائق من شرعيّة فعله.

وأكد استاذنا عبد الرحمن بدوي<sup>(2)</sup> هذه الحقيقة في تقديمه لمخطوط المتحف البريطاني، دون أن يطلع على صورة النسخة ، ولعلّه لو باشر رؤيتها وقارنها بما شكّك فيه سابقاً ، لما وقع فيما وقع فيه.

وكان الأستاذ الطنجي من الأوائل بعد Rieu الذي تعرّف على خط ابن خلدون المسجّل على خواشي كُتبه التي اطلع عليها في تركيا، وخاصة نسخة عاطف مصطفى، ولم يكن قد اطلع على جزء التاريخ المحفوظ بالمتحف البريطاني وغيره، لأنّه لم يكن وقتها يعنيه مباشرة. وقد بقي من آثاره نصّ رسالة كتبها إلى صهره الأستاذ عبد الله ككون، رحمهما الله، تاريخها 1947/9/8م يذكر فيها أن من بين ما اعتمده لإعداد النصّ الخلدونيّ للمقدّمة "نسخة المؤلف التي كان يملكها، والتي كانت تتعرّض

(1) Catalogus Codicum Manuscriptorum orientalium qui in Museo Britannico , p. 565-565,

(London 1846)

(2) مؤلفات ابن خلدون 129 .

لكل ما يظراً على فكره من جديد، بهامشها - بخطه - إضافات وتعديلات في مُنتهى الخطورة<sup>(1)</sup>."

إن خط المؤلف يُوسَّح هذه النسخة في أكثر صفحاتها. فلا حاجة إلى حصره في قائمة، ولكن التنازع التي أرفقناها نُشير إلى الكثير بما أردنا التعبير عنه، وهو ما يُسمح بالمقارنة مع ما نُثبت من شواهد هذا الخط المسجلة على النسخ التالية.

ومن خلال هذه الشواهد العديدة المتكررة المثبتة على الأجزاء المتفرقة والمتباعدة من المُقدمة والتاريخ، نَقُف على تدخل كاتبٍ واثقٍ من نفسه في سياق النص، يتكرر عمله بالطريقة نفسها وبالخط نفسه ، ومنها اختلف حاله وبسته أثناء التسجيل والكتابة ، فإن ذلك لا يُفقد الاحتياط القائم بما اعتادت يده أن تسجل به الحروف . مما يؤكد صلة النسب والقراءة الوثيقة بين صاحب هذه الخطوط والكتاب، ولا يكون غير مؤلفه .

(1) محمد كيون الحسني : العلامة ابن تاروت الطنجي ، جوانب من حياته ونماذج من رسائله (الكتاب التذكاري عن محمد ابن تاروت الطنجي - منشورات مدرسة الملك فهد العليا للترجمة - طبعة 1997)

## (٥) فهرست ما تَصَمَّتْهُ سَفَرُ هذه المقدمة من الأبواب والفصول

الخطبة وفيها تقسيم الكتاب إلى مُقَدِّمة، وثلاثة كُتب:

المُقَدِّمة : في فَضْلِ علم التاريخ

والكتاب الأول: في الغفران وما يفرض فيه من الملْك والمعايش والصَّناعات والعلوم، وهذا الكتابُ الأوَّلُ ذَهَبَ بِاسْمِ المقدمة حتَّى صارَ علماً عليها، وهو الَّذي تَضَمَّنَهُ هذا السَّفَرُ.

والكتاب الثاني: في أخبار الغرب منذ مَبْدَأِ الخليفة ولهذا العهد في أربع طَبَقَاتٍ: العامية، والمستغفريّة، والتابعة للغرب، والمُسْتَعْجِمة المتأخِّرة، ودُولُ المعاصرين<sup>(١)</sup> لهم في كلِّ طبقة، من: النُّبُط والسَّريانيِّين والفُرسِ وبني إسرائيل والقبط ويونان والروم، ثمَّ في الدَّولة الإسلاميَّة: دول الكُرْد والترك والتركيَّان والفرنج. والكتاب الثالث: في أخبار البَحرِ وزَنَاتِهِ بديار المَغْرِبِ.



المُقَدِّمة: في فَضْلِ التاريخ وشيْء من أَغْلَاط المؤرِّخين.

(٥) هذا ما عُدَّتْ به عطلوة (ع) وقابلناها على نسخ ط ل ج ، ولم يرد في عطلوة ي .

(١) ل: التابعين.

- الكتاب الأول: في طبيعة العُمران وما يتّرض فيها من البدو والحضر والتغلب والمعاش والعلوم والصنائع، وعِلل ذلك وأشباهه، وأنحصر الكلام في ذلك في ستة فصول:
- الأول: في العُمران البشريّ على الجملة وأصنافه وقسّمه من الأرض.
  - الثاني: في العُمران البدويّ<sup>(1)</sup> والأُمم المتوحّشة.
  - الثالث: في القول والحلافة والملّك ومزاتيها.
  - الرابع: في العُمران الحضريّ والبُلدان والأمصار.
  - الخامس: في الصنائع والمعاش والكسب.
  - السادس: في العلوم وأكتسابها.

الفصل الأول في العُمران البشريّ على الجملة، وفيه مقدّمات:

- الأولى: في أنّ الاجتماع للبشر ضروريّ.
  - الثانية: في قسّم العُمران من الأرض، وفيها شرح الجغرافيا.
  - الثالثة: في المُقتل من الأقاليم والمُخرف.... وتأثير الهواء في ألوان البشر وأحوالهم.
  - الرابعة: في تأثير الهواء في أخلاق البشر.
  - الخامسة: في اختلاف أحوال العُمران في الحُصب والجوع، وتأثير ذلك في أبنان البشر وأخلاقهم.
  - السادسة: في أصناف المُدركين للّيب من البشر، وفيه الكلام في: التبوّة وخصيبتها، والكهانة، والرّيا، والكلام في العزّافين والتّاطرين في الأجسام الشّفاة وفي قلوب الحيوان وعظامها، وأهل الزّخري، وأهل الطرق بالخصي والحُبوب. وحال الإدراك عند التّباس النّقطة بالتّزم، وحال الكشّف والرياضة السّحرية وآثارها، ومشارك البهاليل من المتصوّفة، ومشارك المنجّمين
- <sup>(1)</sup>سكّذا في ع، وفي ط: ل. الحضريّ.

\*وأصحاب خط التزل\*<sup>(1)</sup>، وأصحاب حساب التيم، والكلام في زائجة العالم والكشف عن حقيقتها.

الفضل الثاني في الغرر البدي، وفيه فصول:

- في أن أجيال البنو والحضر طبيعية.
- في أن أهل البنو أقرب إلى الخير من أهل الحضر.
- في أن معاناة أهل الحضر للأحكام مذهبة للتأس منهم.
- في أن سكنى البنو إنما تكون<sup>(2)</sup> للقبائل أهل النصبة.
- في أن النصبة إنما تكون من الالتحام بنسب أو ولاء.
- في أن صريح النسب إنما يوجد للمتوحشين في البنو من القرب والتزك ومن في معانهم.
- في كيف تختلط الأنساب.
- في أن الرئاسة على أهل النصبة لا تكون في غير نسبهم.
- في أن البيت والشرف بالأصالة لأهل النصبة، والجاز والنسبة<sup>(3)</sup> لغيرهم.
- في أن البيت والشرف للعوالي وأهل الاضطباع<sup>(4)</sup> إنما هو بمواليتهم لا بأبائهم.
- في أن نهاية الحسب في القعب الواحد أربعة آباء.
- في أن الأمم الوخشية أقدر على التغلب من سيواها.
- في أن الغاية التي تجري إليها النصبة هي الملك.
- في أن من غرائق الملك حصول الترف والتعم للقبيلة.

(1) سقط ما بين البعدين من ل.

(2) ط: ل: يكون.

(3) ط: الشبه.

(4) ل: النصبة.

- في أن من غرائب الملك حصول المنلة لهم، والقيام لهم لغزيرهم، وقرض المعارم عليهم.
- في أن من علامات الملك الثناؤس في الجلال الحميدة والعكس.
- في أن الأئمة الوحشية يكون ملكها واسع.
- في أن الملك إذا ذهب من أمه فقد يعود في شنب آخر منها لن بقي، ويكون أول به بذلك الترتيب.
- في أن المقلوب مولع بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه وسائر تجله وغوايته.
- في أن الأئمة إذا غلبت وصارت في ملكة غيرها أسرع إليها الفناء.
- في أن القرب لا يتغلبون إلا على البسائط.
- في أن القرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرع إليها الخراب.
- في أن القرب لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية، من بؤرة أو ولاية أو ما في معنى الدين.
- في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك.
- في أن البادية من القبائل والعصائب مغلوبون لأهل الأنصار.

### الفصل الثالث في التول والجلافة والملك، ومراعاتها:

- في أن الملك والتول العامة إنا يحصل بالفضية والشوكة.
- في أن التولة إذا استعرت وتهدت فقد تستغني عن الفضية.
- في أنه قد يحدث لأهل التصاب الملكي دولة بغير غضبية وتستغني عنهم.
- في أن التول العامة البعيدة الاستيلاء، أصلها الدين ودعوة الحق.
- في أن الدعوة الدينية تزيد التولة قوة على قوة الغضبية التي لها في الأصل.
- في أن الدعوة الدينية من غير غضبية لا تنجح.
- في أن كل دولة لها حصّة من الممالك والأوطان لا تزيد عليها.
- في أن عظم التولة على نسبة الغائبين بها في عددهم.



- في أَنَّ الأوطان الكثيرة القبايل لا تُستخكم فيها ذُولة.
- في أَنَّ من طليعة الملك الانفراد بالمجد.
- في أَنَّ من طليعة الملك الترف.
- في أَنَّ من طليعة الملك الدعة والسكون.
- في أَنَّهُ إذا انتحكت طليعة الملك من هذه أقبلت الذُولة على الهرم.
- في أَنَّ الذُول لها أعمارٌ طليعيةٌ كما للأشخاص.
- في انشغال الذُولة من البداوة إلى الحضارة.
- في أَنَّ الترف يزيدُ الذُولة قُوَّةً.
- في أطوار الذُولة من البداوة وما بعدها.
- في أَنَّ آثار الذُولة على ينسبة قُوَّتها في الأضل.
- في اشتيظها صاحب الذُولة بالموالي و<sup>(1)</sup>المصطنعين على قومه.
- في أخوال الموالي والمُصطنعين في الذُول.
- في ما يفرض في الذُول من خسر السلطان والانتبذاد عليه.
- في أَنَّ المتقربين على السلطان لا يُشاركونه في القلب الخاض بالملك.
- في حقيقة الملك وأضافه.
- في أَنَّ إرهاف الحدِّ مضرٌّ بالملك مُفِيدٌ له.
- في معنى الخلافة والإمامة.
- في اختلاف الأئمة في حكم هذا المنصب وشروطه.
- في مذاهب الشيعة في الإمامة.
- في انقلاب الخلافة إلى الملك.
- في معنى التبعية.

<sup>(1)</sup> سقط حرف المطف من ل.

- في ولاية العهد، وفيها الكلام في شأن يزيد ووصية النبي صلى الله عليه وسلم لعلي، وإيضاح<sup>(1)</sup> الحق في الحروب الإسلامية، وتثريه الصحابة والتابعين عما يُظنّ بهم فيها.
- في الحفظ الدينيّ الجلافيّة، من الإمامة والفتيا والقضاء والعدالة والجنسية والبيعة.
- في اللقب بأمر المؤمنين.
- في شرح اسم النباّ والبترك عند التصاري، والكوفن عند اليهود.
- في مراتب الملك والسلطان وألقابها، من الوزارة والجباية والكتابة والشرطة وقيادة الأساطيل.
- في الثغافوت بين مراتب الشيف والقلم.
- في شارات الملك الخاصة به من الآلة والستير والسكّة والخاتم والطرار والفساطيط والستياج والمقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة.
- في الحروب وترتيبها عند الأمم.
- في الجباية وسبب وفورها ونقصها.
- في ضرب المكوس وأواخر النول.
- في أنّ تجارة السلطان مضرّة بالرعايا مُفسدة للجباية.
- في أنّ ثروة السلطان وحاشيته إنّما تكون وسط الدولة.
- في أنّ نقص الغطاء من السلطان نقص في الجباية.
- في أنّ القلم مؤذنٌ بخزائب القنران.
- في الجباب كيف يقع في النول، وأنه يتنظم عند الهرم.
- في اتقسام الدولة بدولتين.
- في أنّ الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع.

<sup>(1)</sup> ل: إظهار.

- في كَيْفِيَّة طُرُق الحَقْل لِلدَّوْل.
- في أَنَّ الدَّوْلَةَ الْمُسْتَعْجِدَّة إِنَّمَا تَسْتَوِي عَلَى الدَّوْلَةِ الْمُسْتَعْرَّة بِالمُطَاوَلَةِ لَا بِالمُنَاجَزَةِ.
- في دُفُور العُفْرَان أَوَاخِر الدَّوْل وَكَثْرَةُ المَوْتَانِ وَالمَجَاعَات.
- في أَنَّ العُفْرَان التَّشْرِيعِي لَا يَدَّ لَهُ مِنْ سِيَاسَةِ يَنْتَظِمُ بِهَا أَمْرُهُ.
- في أَمْر الفَاعِلِي وَالاخْتِلَافِ التَّاسِ فِي شَأْنِهِ.
- فِي خَدَثَانِ الدَّوْلِ وَالمَلَايِمِ وَالمُخَفَّرِ.

#### الفصل الرابع في العُفْرَانِ الحَضَرِيِّ مِنَ البُلْدَانِ وَالأَمْصَارِ وَالمُدُنِ:

- فِي أَنَّ الدَّوْلَ أَقْدَمُ مِنَ الأَمْصَارِ.
- فِي أَنَّ المَلِكَ يَدْعُو إِلَى <sup>(1)</sup> الأَمْصَارِ.
- فِي أَنَّ المَدْنَ العَظِيمَةَ وَالهَيَاكِلَ إِنَّمَا يُسَيِّدُهَا المَلِكُ الكَبِيرُ.
- فِي أَنَّ الهَيَاكِلَ العَظِيمَةَ وَالمَبَانِي لَا تَسْتَقِلُّ الدَّوْلَةَ الْوَاحِدَةَ بِهَا.
- فِي مَا يَجِبُ مُرَاعَاتُهُ فِي أَوْضَاعِ المَدْنِ.
- فِي المَسَاجِدِ وَالتَّيُوتِ الْمُعْظَمَةِ فِي الْعَالَمِ.
- فِي أَنَّ الأَمْصَارَ وَالمَدْنَ بِإِدْرِيقَتِهِ وَالمُزْدَبِ قَلِيلَةً.
- فِي أَنَّ المَبَانِي وَالمَصَاعِقَ فِي المِلَّةِ قَلِيلَةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَنْ قَبْلُهَا.
- فِي أَنَّ المَبَانِي الَّتِي تَحْتَطُّهَا الْعَرَبُ يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْحَرَابُ.
- فِي مَبَادِيءِ الْحَرَابِ فِي الأَمْصَارِ.
- فِي أَنَّ تَقَاوُلَ الأَمْصَارِ فِي الرُّفْهِ يَتَقَاوُلُ العُفْرَانُ.
- فِي الْفَلَاءِ وَالتَّرْخُصِ فِي أَشْعَارِ المَدْنِ.
- فِي قُصُورِ أَهْلِ البَنُو عَنْ سُكْنَى الأَمْصَارِ.

<sup>(1)</sup> كُنَّا فِي النِّسْخِ، وَبَعْنِي: إِلَى نَزُولِ الأَمْصَارِ.

- في أَنَّ الْأَفْطَارَ تَخْتَلِفُ فِي الزَّوْفَةِ كَالْأَمْصَارِ.
- في تَأْتِلُ الْعَقَارُ فِي الْأَمْصَارِ وَيُتَوَّ قِيمَتَهُ.
- في حَاجَةُ الْمُتَوَلِّينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ إِلَى الْجَاهِ.
- في أَنَّ الْحِضَارَةَ فِي الْأَمْصَارِ مِنْ قِبَلِ الدُّوَلِ، وَأَنَّهَا تُرْسَخُ بِأَصْلَاحِهَا.
- في أَنَّ الْحِضَارَةَ غَايَةُ الْمُغْتَرَانِ وَنِهَائَةُ لُغْفَرِهِ وَمُؤَذِّنُهُ بَفْسَادِهِ.
- في أَنَّ الْأَمْصَارَ الَّتِي هِيَ كِرَاسِي الْمُلْكِ تُخْرِبُ بِخِرَابِ الدُّوَلَةِ.
- في اخْتِصَاصَ نَفْضِ الْأَمْصَارِ بِنَفْضِ الصَّنَائِعِ.
- في وُجُودَ الْعَصِيَّةِ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ.
- في لُعَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ.

#### الفصل الخامس في [ال] مَعَايِشِ وَوُجُوهِهِ مِنَ الْكَنْسَبِ وَالصَّنَائِعِ:

- في حَقِيقَةَ التَّرْزُقِ وَالْكَنْسَبِ، وَأَنَّ الْكَنْسَبَ هُوَ قَعَةُ الْأَغْيَالِ الْبَشَرِيَّةِ.
- في وَجُوهَ الْمَعَايِشِ وَأَصْنَافِهِ.
- في أَنَّ الْجِدْمَةَ لِلنَّاسِ لَيْسَتْ مِنَ الْمَعَايِشِ الطَّبِيعِيَّةِ.
- في أَنَّ ابْتِغَاءَ الْأَمْوَالِ مِنَ الدَّفَائِنِ وَالْكُنُوزِ لَيْسَ بِمَعَايِشِ طَبِيعِيَّةٍ.
- في أَنَّ الْجَاهَ مَقِيدُ الْمَالِ.
- في أَنَّ السَّعَادَةَ وَالْكَنْسَبَ لِأَهْلِ الْخُضُوعِ وَالْمَلَقِ، وَأَنَّهَا مِنْ أَشْبَابِ السَّعَادَةِ.
- في أَنَّ الْقَائِمِينَ بِوُظَافَةِ الدِّينِ لَا تَرْتَوِي لَهُمْ.
- في أَنَّ الْفِلَاحَةَ مِنْ مَعَايِشِ الْمُسْتَغْنِيَيْنِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ.
- في مَعْنَى التَّجَارَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَأَصْنَافِهَا.
- في أَيِّ أَصْنَافِ النَّاسِ يُنْتَفَعُ بِالتَّجَارَةِ، وَأَتَمُّ نَبْغِي لَهُ تَرْكُهَا.
- في أَنَّ خُلُقَ التَّجَارِ نَازِلَةٌ عَنْ خُلُقِ الْأَشْرَافِ.

- في نقل التاجر للسلع في الاختكار.
- في أن رخص الأسعار مضرّ بالمُحترفين بالترخيص.
- في أن الصنائع لا بدّ لها من المعلم.
- في أن الصنائع إنّما تكمل في المُفران الحضريّ.
- في أن رُسوخ الصنائع في الأمصار يرسوخ الحضارة وقديماها.
- في أن الأمصار إذا فازت الخراب انقُصت منها الصنائع.
- في أن العرب أبعد الناس عن الصنائع.
- الفلاحة.
- البناء.
- التجارة.
- الحياكة.
- الخياطة.
- التوليد.
- صناعة الطبّ، وأنها ضروريّة في الأمصار دون البدو.
- في أن الخطّ والكتاب من عداد الصنائع.
- صناعة الوراقة.
- صناعةُ الفناء.
- في أن الصنائع تُكسب صاحبها عقلاً، وخصوصاً الكتابة والحساب.

الفصل السادس في العلوم وأصنافها، والتعليم وطرقه:

- في أن العلم والتعلّم طبيعيّ للبشر.
- في أن تعلّم العلم من جملة الصنائع.

- في أنّ العلوم إنما تكثر حيث تكثر الثمران والحضارة.

- في أصناف العلوم الواقعة في العمران.

علوم القرآن: القراءات، الرسم، التفسير.

علوم الحديث

الفقه وما يتبعه من الفرائض

أصول الفقه، وما يتعلق به من الجدل والخلافات

علم الكلام

علم التصوف

علم التعبير

العلوم العقلية

علوم الفقه

صناعة الحساب: الجبر، والمقابلة

المعاملات

الفرائض الحسابية

علوم الهندسة

أوقليدس

المخروطات

المساحة

المنظائر

علم الهيئة، الأوزان

علم المنطق

الطبيعية

الطَّبِّ

علم الإلهيات

علوم السحر والطلاسمات

علم أسرار الحروف، والكلام على زائجة العالم للشبتي

علم الكيمياء

- في إنطال صناعة الثجوم وضعف مداركها.
- في إنكار قرة الكيمياء واستحالة وجودها والمفاسد الناشئة عنها.
- في أن كثرة التواليف عابثة عن التخصيل في العلوم.
- الاختصارات في العلوم مخرجة بالتعليم.
- في وجه تعلم العلوم وإفادته.
- في أن العلوم الآلية لا تتوسع في المسائل والأنظار.
- في تعليم الولدان واختلاف طرقه في الأمصار.
- في أن الشدة على المتعلمين مضرّة بهم.
- في أن الرحلة ولقاء المشيخة مفيدة في التعليم.
- في أن العلماء من بين البشر أبعد عن التباينة.
- في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم.
- في أن العجبة إذا سبقت اللسان قصرت بصاحبها عن تحصيل العلوم عن أهل اللسان العربي<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> كتب المؤلف هذا العنوان بخطه في الحاشية، بدلاً من العنوان المطلوب المدرج في متن هذا الفهرس، وهو: في أن الأعجم من علماء الملة تاجرون في ملكات العلوم عن علماء العرب.

- في علوم اللسان العربي: النحو، اللغة، البيان، الآداب.
- في أن اللغة ملكة صناعية.
- في أن لغة العرب لهذا العهد لغة بنفسها، مغايرة للغة مصر وجمير.
- في أن لغة أهل الحضر والأنصار لغة بنفسها كذلك.
- في تعلم اللسان المصري.
- في أن ملكة اللسان المصري غير صناعة العربية، ومُستغنية عنها في التعلم.
- في تفسير لفظة الذوق عند أهل البيان، وأنه لا يحصل لمن سبقت له عجمة.
- في أن أهل الأنصار على الإطلاق قاصرون في تحصيل الملكة اللسانية المستفادة بالتعليم.
- في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر.
- في أنه لا يتحقق الإجادة في النظم والنثر إلا قليلاً.
- في صناعة الشعر ووجه تعلّبه.
- في أن صناعة النظم والنثر في الألفاظ لا في المعاني.
- في أن حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ، وخودتها بجودة المخفوظ.
- في بيان المطبوع من الكلام والمصنوع، وكيف جودة المصنوع أو قصوره<sup>(1)</sup>.
- في ترفع أهل المراتب عن اتجال الشعر.
- في أشعار العرب وأهل الأنصار لهذا العهد.
- شعر الجبل الغربي: الموشحات والأزجال للأندلسيين.
- غروض البلد للمقاربة
- المواليا ودوبيت لأهل المشرق

<sup>(1)</sup> عنوان مضاف بخطه في الحاشية.



نسخة مسودة المصنف من  
 القبر: 2. أخبار العرب والعجم والبربر  
 ومعونته كلها كما لا بد من حاجه لها  
 التاريخ قاطبها جليلي  
 وليس بوجود نسخة الصحيح  
 وكتب مولانا جليلي في دار  
 وقفه لله تعالى ويحفظه بئنه

نسخة تاريخ بن خلدون المسمى  
 بالعبد...  
 نسخة تاريخ بن خلدون المسمى  
 بالعبد...  
 نسخة تاريخ بن خلدون المسمى  
 بالعبد...

في دار...  
 صدره...  
 احرا...  
 ان...  
 تحت...  
 ما...

نسخة...  
 نسخة...  
 نسخة...  
 نسخة...



نسخة...  
 نسخة...  
 نسخة...  
 نسخة...

1946

نسخة...  
 نسخة...  
 نسخة...  
 نسخة...

المخطوط "ع"، صدر النسخة وعليها خط المؤلف ومجموعة التملكات

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصل الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

يغفر العجز البعير الخيبة به الغنى بلقبه  
عجز الرحمن من محزون حلال من الحزم من ردفه لله

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي جعل في كل شيء  
دروساً لمن يتفكر

لحمد لله الذي له الغم والخير والملك والمكوت . وله الاسماء  
الحسنى والنعوت . العالم فلا يرب عنه ما يظهر للهي أو يخفيه السكوت .  
الفا در فلا يعجزه شيء في السموات والارض ولا يموت . انشأنا من الارض نباتاً .  
واستعنا فيها اجيالاً وامثالاً . ونشأنا منها ارباباً وقبلاً . تكفينا الارحام واليونى  
وكفنا الرزق والقوت . وتبيننا الايام والوقوت . وتصورنا الاجال التي حطت  
عليها كل يوم الموت . وله البقا والشوت . وهو المولى الذي لا يموت .  
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي العربي المكروب في التورية  
والاجل المعوت . الذي تحصى لفضله الكون قبل ان تناف الاصاد  
والسبوت . ويتنازل لجل والتموت . وشهد بصدقه الحاضر والعكوت .  
وعلى الدوا واصحابه الذين هم في حقيقته . اتباعه الابرار البعد والصبت . والشمل  
المجمع في مظاهره ولعد وهم الشمل الشيت . صل الله عليه وعليهم ما  
انصل للاسلام جده المنفوت . واقطع بالكرم جله المنفوت . وسلم كبر  
**أما بعد** فان في التاريخ من القبول التي تتدا ولها الامم والاجال  
وشداله الركاب والجمال . ونسبو الى معرفة الشوق والاعمال ونساف  
في الملوك والاقبال . ونسأوي فيهم العلماء والجمال . إذ هو وظاهر لا يزيد على  
إخبار عن الايام والدول . والسوابق من الفزونا الاول . تنق لها الأقوال .  
وتعرف فيها الامثال . وتطرف بها الادب . إذ اغنى الاحتفال . وتودى لنا شان  
الخليقة كيف تقلبت بها الاحوال . واتسع للدول النطاق فيها والجمال .  
ومحروا الارض حتى نأى بهم الارحال . وحال منهم الزوال . وفي باطنه نظر وتعمق  
وتعليل لكينات وباديها ديق . وعلم كغيات الوقايع واسبابها عيق .  
هو

في

• المخطوط "ع" مستهل النسخة ، السطران 2 ، 3 بخطه والتص بخط ابن الفخار

في بدايات عمله

في ذكر المعاصر لئلا الاجيال من أمر الفواجي، وملوك الامصار منهم  
 والفواجي، سالك سبيل الاختصار والتلخيص، مفتديا بالمرام السهل من  
 العويص، داخلا من باب الاسباب على العموم الى الاخبار على الخصوص،  
 فاستوعب اخبار الخليفة استيعابا، واذل من الحكم النافع صغانا، واعطى  
 لحوادث الدول عللا واسبابا، وأصبح للحكمة صقانا وللتاريخ جرانا،  
 ولما كان مشتهلا على اخبار العرب والبربر، من اهل المشرق والوبر، والامام  
 من عاصره من الدول الكبر، وانفع بالذكر والعبارة في مبادئ الاحوال  
 وما بعد هاهن من تسميته كتاب العبر، ودنوان الدنيا والخر، في أيام  
 العرب والبربر، ومن عاصره من ذوي السلطان الاكبر، ولم اترك شيئا  
 اولية الاجيال والدولة، وتعاصر الامم الاول، واسباب القرب واللؤلؤ،  
 في القوم والمخالة والملل، وما يتعرض في العران من دق وقلة، ومد بينة  
 وحلة، وغنى وقلة، وكثرة وقلة، وعلم وصناعة، وكسب واضاعة،  
 واحوال متغيرة مشاعة، وبد وخصبة وراقع ومنظر، الا واستوعبت  
 جملة، واوضحت براهينه وعلة، فاجهد الكاب قد اعماضت من العلوم  
 الغريبة، والحكم المحبوبة القريبة، وانا من جدها موفى بالقصور، من اهل  
 العصور، نعرف بالعم عن المصا، في مثل هذا القضا، راعيت من اهل اليد  
 البضا، والمعارف المتحققة الفضا، في النظر غير الاستفاد لا بمنزلة ارتضا،  
 والمتخذ لما يشرون عليه بالاصلاح، والاعضا، فالنجاعة من اهل العلم منجاة،  
 والاعراف من اللوم منجاة، والحسن من الاخوان منجاة، والله اسئل  
 ان يجعل اعمالنا خالصة لوجهه وهو حسبي ونعم الوكيل.

بستان  
 زعيم

• المخطوط "ع" حاشية بخط المؤلف



في كتابنا من كتابنا

يكون الدافع لكل احد من نفسه **ولما** تناهض الدنيا الناس وأخذوا بالاحكام والوازمه  
 شرع الشرع بلكا وصنعا على بؤخذ التعليم والتاديب ورجع الناس الى المصدا وتخلت  
 لموتيا الى الامكام فتمت بذلك مودة الناس فمقتل بين الامكام السلطانية والتعليق  
 منسلة للناس لانواع بها عيبي واما الشريعة فتعبر منسلة لانواع بها ذاتي  
 ولهذا كانت هذه الاحكام السلطانية والتعليق ما يؤمنه اهل الحاضرة ضعيف  
 فتوهم وخفد الشك منهم بها انها في وليهم وكهولهم واليدوعيل عن هذه  
 المنزلة لتعلم عن احكام السلطان والتعليم والامانة وهذا لا يتجهل بل  
 رتبة كاهن في احكام المعلمين والتعليق انه لا ينبغي للوحد ان يضرب احدا من التلاميذ  
 في التعليم فوق ثلاثة اشواط نقلة عن شريع الناس واحسن له نعم بما وقع في حديث  
 بدء الوحي من شان الخط وأنه كان ثلاث مرات وموضعا

ولا يطعن في هذا القول  
 ولا يطعن في ذلك القول  
 ولا يطعن في ذلك القول  
 ولا يطعن في ذلك القول

**فصل في ان سكن الدنيا يكون لا تقابل اهل العصبة**

اعلم ان الله سبحانه ليس له طابع البشر الحي والشرع كما قال تعالى وما خلدنكم بالقول  
 فأنتم لا تجوزها وتقولها والشرع في الخلال اليه اذا اهل به من عمره جلد به وبأهله  
 اهل تنال اليه وعلى ذلك الموضع من وقته الله ومن اهل ان يتبركهم الظاهر  
 والعدان بعض على بعض من استنكف عنه الى مناع ابيه استندت به الى خله  
 لمران يسله وانع كما قال

البيت في الطيب  
 الشبي

والظلم من جسر النفوس لان كذا عتية فليعلم لا ينال  
**فاما** المنع فلا يحاسب فعلم ان بعض على بعض في الامكام والاولى ما يتعدا على  
 ابد من غنم من الامكام ان يتنصصها الى بعض ان يعبد عليه فم مكبوخون بحكم القدر  
 والسلطان من التكاليف اذا كان الحاكم بنفسه واما العبدان الذين خارج المدينه  
 فيدفعه سباح الم سوار عند العقلة او العقدة لئلا والغير عن المعادة بها وليد  
 زيادة الحارمية من حوان الدولة عند الاستعداد والمواصلة واما احكام المديونية  
 بعضهم عن بعض ساعته وكبر لغيره ودية نفوس الكافة من الوقار والنجلة واما  
 حكامها بدو عن من خارج حامية التي من الجادهم وفيها من المعروفين النجاعة

أمر من كذا في هذه  
 في كذا في كذا في كذا  
 في كذا في كذا في كذا

• المخطوط "ع" صفحة بها شطب وتعويض

[illegible]

أعطاه التمتع فوَحشوا كما كانوا ولم يوقلهم من أثم الملك إلا أنه لثقلها  
 وهم من جملهم ولما ذهب أمر الخلافة وانحاز سبها انقطع الأمر جملته  
 لمزايدهم وغلب عليه الجور ونهم وأقاموا أبا دية في قناريه لا يعرفون  
 الملك ولا سياسته بل قد جهلوا كثير منهم أثم كان لهم ملك في القديرة وما كان  
 لأحد من الأمراء الخليفة ما كان له جملهم من الملك ودول عارضة ودود  
 والعصاة له وجميعه والتابعة شاهدة بذلك فمدولة منصرفه الإسلام  
 بنائية وفي العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما سوا الدين وخوالى  
 أصلهم من البدوة وقد تحصل لهم في عصر الإخيار عكس على الدول  
 المستغففة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون مثله ونمايته الانحروب ما  
 يسوقون عليه من العراق كما قد ساء والله خير الوارثين

**فصل في إيراد القبلات والعصاة مغلوب**

لاهل الأمصار  
 فترى لنا أحرار البادية يفتخرون بغيرهم من أحرار الأمصار  
 لأن الأمور الضرورية على العزاز ليس كل ما يوجد إلا من البادية وإنما يوجد لهم في  
 مواضعهم المورع ومروءة عامعة موروثة ويعطونها الصنعة ولا يجدون لها كلفة  
 من الحياطة وحياطة وإشغال ذلك ما يقيم لهم ضرورات معاشهم في الغلة وغيره  
 وكذا البادية والرياء مفعلة لهم وإنما ما يربهم أعواضها من مغل الزراعة وأعيان  
 كغيرها من فضلائه وإنما ما يربها من أشعارها وكما ما يحتاج إلى أهل الأمصار في حوزهم  
 عند ما لا يربوا والرياء إلا من حاجتهم إلى الأمصار في الضرورى وحاجتهم إلى الأمصار لهم  
 في العاشق والكلاليهم تحت حوزة الأمصار في الضرورى بطبيعة وجودهم مما طامسوا فيه  
 البادية ولم يحتضن لهم ملك ولا استأهل إلى أمصارهم محتاجون إلى أهلها وتضررون  
 في مصالحهم وطاعهم من دعوهم إلى ذلك وطامسوا به فاز كان في المصالح تارة  
 خضعتهم وطاعتهم أغلب الملك وأما البادية في المصالح فلا يربون من راسية  
 ونوع استعلاء من بعض أهل علم البادية والانتصاف من شأنه وذلك الراسية من علم  
 طائفة الصعيقة مصالحة ما طامسوا من البادية ثم يبيع لهم ما يحتجوا به من الضرورى  
 من مصر ويستغفون عنهم وإنما ما كان من امتيازهم على ذلك ولو لم يفتقر منهم حتى

والأمر من جملهم ولما ذهب أمر الخلافة وانحاز سبها انقطع الأمر جملته لمزايدهم وغلب عليه الجور ونهم وأقاموا أبا دية في قناريه لا يعرفون الملك ولا سياسته بل قد جهلوا كثير منهم أثم كان لهم ملك في القديرة وما كان لأحد من الأمراء الخليفة ما كان له جملهم من الملك ودول عارضة ودود والعصاة له وجميعه والتابعة شاهدة بذلك فمدولة منصرفه الإسلام بنائية وفي العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما سوا الدين وخوالى أصلهم من البدوة وقد تحصل لهم في عصر الإخيار عكس على الدول المستغففة كما في المغرب لهذا العهد فلا يكون مثله ونمايته الانحروب ما يسوقون عليه من العراق كما قد ساء والله خير الوارثين

• المخطوط "ع" إضافة بخط ابن خلدون





وانقسم الغنم منهم الى طريقتين طريفة اهل الرأي والقياس ومن اهل العراق  
وطريفة اهل الحديث ومن اهل الحجاز وكما اوردت فليلاحظ اهل العراق لما قد نشأوا  
ماستلزمه من القياس وغيره وان فيه لذلك قيل لهم اهل الزمان ثم انك القياس طريفة  
من العلماء وايطولوا العبارة ومن الظاهر انه وجعلوا امدراك الشرع كلها مستحصنة  
في التصحيح والاجماع ورد والقياس الحلي والعدل النصرة الى النص لا النص  
على العلة نص على الحكم بتجيب محالها وكما زعمت عن الفقيه داود بن علي واجد  
واحدانها فكانت هذه الزعماء الثلاثة في مذاهب الجمهور المشتهرة بين الامة  
وشذ اهل البيت بنزيب ابتدعوه وفقه انصر دوايه ودينه على مذاهبهم  
في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلم قولهم بعضه الامة ووضع اختلاف عن قولهم  
ومكلمها اصول واعية وشذ بشذ ذلك الخواص ولم يجعل الجمهور من اهلهم  
بل اوسعوها جانب الانكار والفتوح فلا يعرف شي من مذاهبهم ولا اثر في كتبهم  
ولا اثر لشي منها الا في مواضعهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت  
دولهم قائمة في المغرب والشرق واليمن والخواص كذلك وكل من كتب في تاريخ  
وهذا الى الفقه غير دينه ثم درس حروب اهل الظاهر اليتيم بدروس ابيه  
وانك الجمهور على منحل ولم ينقل الامة الكتب للخدمة وزعماء كثير من  
الطالين من يكلف ما نتحال من مذاهبهم على ذلك الكتب يرد اخذ فقههم منها  
ومنهم من لا يتخلو بطايل ويصير الى مخالفة الجمهور وانكارهم عليه  
وبعد هذه النحلة في اشد البديع تلقينه العلم من الكتب من غير  
فتح للعالمين وترتفع ذلك ابن حنبل بالانزال على علمه وتبته في حفظ  
الحديث وصار المذهب اهل الظاهر ومنه فيه باجتماعه في اقلهم  
وخلاف امامهم دارد وروى للكثير من ائمة السلف فنقل الناس ذلك عليه  
وسمعوا منه استمجانا وانكارا وتلقوا كتبه بالاعتقال والترك حتى انها  
لن تحظر بها بالاشواق وزعمت في بعض الاحيان ولم يبق الا مذاهب  
اهل الرأي من العراق واهل الحديث من الحجاز فاما اهل العراق فاما هم الذي  
اشهرت عنده مذاهبهم ابو حنيفة الفهم من ثابت في مقامه

يكون

في كتابه

● المخطوط "ع" إضافة بخط ابن خلدون



بسم الله الرحمن الرحيم محمد بن عبد الله الذي احاط علمه بكنوز الفهم  
 وكشف فضله العمى بحجب الاستنارة عن اذهان اولي البصائر  
 نور قلوب عباده المخلصين بخلائق المعارف الدينية ووقائق  
 المسائل البعيدة ووقفهم للقيام بوظائف الطاعات والمواظبة  
 على التزود من روائب الجادات والصلوة والسلام على  
 سيد المرسلين واما المقتضى وقائد الغر المحجلين محمد وآله  
 الطاهرين الابرار وصحبه الاخيار من المهاجرين والانصار  
 والتابعين هم في ملوك سالكهم وانتهاج ما ينبوع من مناجهم  
 وسلم تسليما كثيرا وبعد فقد اتفق على مطالعة هذا السفر  
 وهو السفر الاول من كتاب العبر في اخبار العرب والعجم والبربر  
 فوجدته كتابا منمونا بالقواعد الكثرة والعوائد النجدة العزيزة  
 لم يسبق مثله في مراعاة اللطائف والاقتناء بكنوز القوام  
 الطرائف دل بحسن ترتيبه وعراية نظمه وترتبه على  
 كمال صنفه في الدراية وسبقه على الاذعان في الحفظ  
 والرواية وكنت هذه الاسطر بعد الوقوف على ما تراه  
 الكتاب تذكره لصاحبه مشربة وبامثاله بالنبى وآله حزب  
 هذه الاسطر العبد الصغيف محمد بن يوسف بن محمد بن اسفنجي

• نص تقيظ الاسفنجي للكتاب الأول (المقدمة)



## الخبر عن اقتراح بلاد بني

توحيين وما يحفل ذلك  
 لما نزل السلطان يوسف بن يوسف تبارك وتعالى وأحاط بها وتعلب  
 على بلاد بني عبد الواد وسمي إلى ملك بلاد بني توحيين وكان عثمان  
 ابن عمرو ابن قنبل يصير على توحيين وملك جبل واشد من  
 وتصرف في بني عبد الواد والولاية والعزل وأخذ المساواة  
 سنة إحدى وسبع مائة وأربعين إلى السلطان بن عبد الحميد  
 محمد بن عبد القوي فتأها وتوكل في فاميه الشريف ثم انكسر رابعاً  
 إلى حضرة أخيه وعطف على بلاد بني توحيين سنة ثمانين  
 ومئتين وعبد القوي إلى حضرة القادر خلجبل واشد من  
 وفهم حصونه به ورجع إلى الحصن ثم زاد أهل تافور  
 سنة ثلاث بأطاعتهم ونقضوا بئرها ثم بعث أهل  
 المدينة بطاعته السلطان بن عثمان وأوعز بها ونقضها  
 وأجمع سواد القوي في ذلك تبارك طاعة السلطان وقدوا  
 عليه فكانه من المصون مدته المهيمنة على ثلثين سنة  
 ثلاث فتقبل طاعتهم ورجع سابقهم وأعادهم إلى بلادهم  
 وأظلمهم وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوي  
 وأوعز بها ونقضها المقيمة سنة أربع وثلث سنة ثمانين  
 وهلك على من الناصر خلال ذلك ثم عقد عليهم محمد بن عطية  
 الأصم كعاد كراهه فاشتمل على الطاعة ثم انتقم سنة  
 سبعمائة وثلثه على الخلاف وانشدوا في الوطن أن هلك  
 يوسف بن يوسف قوت كانكس

الخبر عن اقتراح بلاد بني  
 توحيين وما يحفل ذلك  
 لما نزل السلطان يوسف بن يوسف تبارك وتعالى وأحاط بها وتعلب  
 على بلاد بني عبد الواد وسمي إلى ملك بلاد بني توحيين وكان عثمان  
 ابن عمرو ابن قنبل يصير على توحيين وملك جبل واشد من  
 وتصرف في بني عبد الواد والولاية والعزل وأخذ المساواة  
 سنة إحدى وسبع مائة وأربعين إلى السلطان بن عبد الحميد  
 محمد بن عبد القوي فتأها وتوكل في فاميه الشريف ثم انكسر رابعاً  
 إلى حضرة أخيه وعطف على بلاد بني توحيين سنة ثمانين  
 ومئتين وعبد القوي إلى حضرة القادر خلجبل واشد من  
 وفهم حصونه به ورجع إلى الحصن ثم زاد أهل تافور  
 سنة ثلاث بأطاعتهم ونقضوا بئرها ثم بعث أهل  
 المدينة بطاعته السلطان بن عثمان وأوعز بها ونقضها  
 وأجمع سواد القوي في ذلك تبارك طاعة السلطان وقدوا  
 عليه فكانه من المصون مدته المهيمنة على ثلثين سنة  
 ثلاث فتقبل طاعتهم ورجع سابقهم وأعادهم إلى بلادهم  
 وأظلمهم وولى عليهم علي بن الناصر بن عبد القوي  
 وأوعز بها ونقضها المقيمة سنة أربع وثلث سنة ثمانين  
 وهلك على من الناصر خلال ذلك ثم عقد عليهم محمد بن عطية  
 الأصم كعاد كراهه فاشتمل على الطاعة ثم انتقم سنة  
 سبعمائة وثلثه على الخلاف وانشدوا في الوطن أن هلك  
 يوسف بن يوسف قوت كانكس

• حاشية بخط ابن خلدون على أحد أجزاء العبر

واصل من جردان فاجاب نورون الى ذلك وعقد الصلح لثام الدولة على ما يدع من البلاد لبلاد سمر كل سنة ثلاثة الاف الف وسماه العدم وعاد نورون الى بغداد واقام المعنى بالرفقة ثم احضر من جردان فاجاب به فتح نورون يستعمله وكتب الى الاخشيدي محمد بطيخ صاحب مصر يستعمله فصار اليه الاخشيدي ولما وصل الى حلب وعلمها من قبل سيف الدولة ابراهيم ابو عبد الله بن سعيد بن جردان فدخل عنها وتخلف عنه ابنه الذي كان به مشق عزاس نابو ولما وصل الاخشيدي الى حلب لعقبه ابنه فلاحه واستعمله على خراج مصر ثم سار الى المعنى بالرفقة فلقبه منتصب ثلاث وثلاثين الف الف اكرامه وبالنسبة هو في الادب معه وحمل اليه الهدايا والوزع وحاشيته وساله المسرا الى مصر ولما سار فاني فاشار عليه ان لا يرجع الى نورون فاني واثار على ابنه مقله ان يسير معه الى مصر فحكمه في دولة وخوفه من نورون فلم يفعل وجاء بهم رسل نورون في الصلح وانهم استعملوه لثامه والوزع فاقعد المعنى الى بغداد وعاد الاخشيدي الى مصر ولما وصل المعنى الى حلب لعقبه نورون فقبل الارض وراى انه غفل من ميمه سلك الطاعة ثم وكل بهم وشمل المعنى ورجع الى بغداد فباع بيع المستنكى

اخرا الحرم

ولما رجع الى مصر فاجاب نورون الى ذلك وعقد الصلح لثام الدولة على ما يدع من البلاد لبلاد سمر كل سنة ثلاثة الاف الف وسماه العدم وعاد نورون الى بغداد واقام المعنى بالرفقة ثم احضر من جردان فاجاب به فتح نورون يستعمله وكتب الى الاخشيدي محمد بطيخ صاحب مصر يستعمله فصار اليه الاخشيدي ولما وصل الى حلب وعلمها من قبل سيف الدولة ابراهيم ابو عبد الله بن سعيد بن جردان فدخل عنها وتخلف عنه ابنه الذي كان به مشق عزاس نابو ولما وصل الاخشيدي الى حلب لعقبه ابنه فلاحه واستعمله على خراج مصر ثم سار الى المعنى بالرفقة فلقبه منتصب ثلاث وثلاثين الف الف اكرامه وبالنسبة هو في الادب معه وحمل اليه الهدايا والوزع وحاشيته وساله المسرا الى مصر ولما سار فاني فاشار عليه ان لا يرجع الى نورون فاني واثار على ابنه مقله ان يسير معه الى مصر فحكمه في دولة وخوفه من نورون فلم يفعل وجاء بهم رسل نورون في الصلح وانهم استعملوه لثامه والوزع فاقعد المعنى الى بغداد وعاد الاخشيدي الى مصر ولما وصل المعنى الى حلب لعقبه نورون فقبل الارض وراى انه غفل من ميمه سلك الطاعة ثم وكل بهم وشمل المعنى ورجع الى بغداد فباع بيع المستنكى

ولما رجع الى مصر فاجاب نورون الى ذلك وعقد الصلح لثام الدولة على ما يدع من البلاد لبلاد سمر كل سنة ثلاثة الاف الف وسماه العدم وعاد نورون الى بغداد واقام المعنى بالرفقة ثم احضر من جردان فاجاب به فتح نورون يستعمله وكتب الى الاخشيدي محمد بطيخ صاحب مصر يستعمله فصار اليه الاخشيدي ولما وصل الى حلب وعلمها من قبل سيف الدولة ابراهيم ابو عبد الله بن سعيد بن جردان فدخل عنها وتخلف عنه ابنه الذي كان به مشق عزاس نابو ولما وصل الاخشيدي الى حلب لعقبه ابنه فلاحه واستعمله على خراج مصر ثم سار الى المعنى بالرفقة فلقبه منتصب ثلاث وثلاثين الف الف اكرامه وبالنسبة هو في الادب معه وحمل اليه الهدايا والوزع وحاشيته وساله المسرا الى مصر ولما سار فاني فاشار عليه ان لا يرجع الى نورون فاني واثار على ابنه مقله ان يسير معه الى مصر فحكمه في دولة وخوفه من نورون فلم يفعل وجاء بهم رسل نورون في الصلح وانهم استعملوه لثامه والوزع فاقعد المعنى الى بغداد وعاد الاخشيدي الى مصر ولما وصل المعنى الى حلب لعقبه نورون فقبل الارض وراى انه غفل من ميمه سلك الطاعة ثم وكل بهم وشمل المعنى ورجع الى بغداد فباع بيع المستنكى

الخبر عن القبايلي كافي لرد السلطان اى العباس والقيام بؤر الملائكة منهم  
بعد الزمان كانت نكبة دوله الاخيره منهم

[illegible]

قاض الزمره اتم سوي السلطان ارغون الوردي من ديار بكر الى حلبا والمخيم بعباد  
 وقصره من تحت السلطان من غير وجهه حاشا الى احوالهم فسلمت منهم ولا شئ من غير ما سئل  
 لحد والنصير وقوم السلطان اصابهم قحط وخلفه الملك اسار اعدا طينته فاشكروا  
 وردهم على اعتناهم من طينته اسطوخودوسا وادبوا من الملك ما ايدبهم ترك الملك الوردي  
 بن ماسا كراسا من اجزاء خيرات ملك التكم عام هذا الايام اربع امارات اعدا الحروب  
 للفساد وخلق جلوله البر ولزمه ابا التكم عام هذا الايام وخلقوا من سائر اقاليم  
 قضايا حاشا من احوالهم من اهل البلد اعدا مصافا للزوار ارض السلطان  
 وكان من تحت ذلك السلطان اعتمد على امره اهل ارض الرقيم وكنيسة كساروت  
 وراما والاسد اهل ارض ارمينيه ايامه اقامه في العساكر وخلق اهل ارض  
 واقام هناك كاشافه احوالهم فادركهم محال في قتلهم في ارضهم فاعلموا  
 احسب تمام وجعل اهل ارضهم يجمع بينه وبينهم ولا يملكون ارضهم وخلقوا في ارض  
 اسار حاشا من عساكرهم من ارضهم اقامه في ارضهم وخلقوا في ارضهم  
 ارضه ملكه وقصر ارضه اهل ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 كدانه السلطان والوردي في كل شهر ارضه السلطان سنده ارضه السلطان  
 الا من اخطاه في ارضهم اقامه في ارضهم وخلقوا في ارضهم  
 السور في ارض السلطان اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 سبع وسبعون في ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 وصدرهم من تحت السلطان اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 لاحد الا من اخطاه في ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 السلطان وخلقوا في ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 اواعا الكفالة التي صنعت من اهل الجبال انا العاصم من اهل ارضهم  
 السلطان اصبح ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 السلطان خلقوا في ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 ودام القتلى من ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 لا ارض من ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 فاجتنبوا ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 من مصر عاصم ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 اهل ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم  
 عليها واصحابها يجمعون مختلفا في ارضهم اقامه في ارضهم ولا يملكون ارضهم

الحمد لله الذي جعلنا من عباده المخلصين





المكرمه وامثال الماس من سارقا لقصدا السلطان فقدم عليه سنة ثلاث  
وسبعين مفا من لسان فاهتزنه الدولة وادرك السلطان خاصته  
للقية واحده من مجلسه محل الامن والمطمع ومن دولته فكان التوبة  
والعفو واخرج لوقته كانه المبحى من الى مدين سفير الى صاحب  
الاندلس في طلب اهل وولده فجاهد بهم على كل حالات الامن والكرمة  
ثم لفظ المناقبون له في شأنه واغرر السلطان بفتح غفرته واداه  
ما كان كما منافي نفسه من سقطات دالقة واحصاء معايبه وشاع  
على اسناده اعدابه فكانت منسوبه الى الزندقه اخصوا عليه ونسبها  
وزفت الى قاضي الحصر الى الحسن بن الحسن فاستزاعها وجعل عليه الزندقه  
وراجع صاحب الاندلس رايه فيو وبنت القاضي ابن الحسن الى السلطان  
عبد العزيز ترك تلك المجلات وامضاه حكم الله فيه فصح عن ذلك  
وايق لذمنه ان تحفر ولجوان ان يرد وقال لهم هلا اسقمهم منه  
وهو عندهم وانتم عالمون بما كان عليه واما انا فلا خطر اليه بذلك  
احدا ما كان في حواري فصر وقرطبة والاقطاع له ولبنيه ومن جاء  
من فرسان الاندلس في حمله على تلك السلطان عبد العزيز  
سنة اربع وسبعين ورجع بنو مرس الى المغرب وتركوا الماس ما  
هو في ركاب الوترى لم يزل عازي الغريم بالدولة من فرسان وكثر  
من شراب الفساع وما توفى ما في السان واعتبر اسر المختار وحفظ عليه  
للمظهر بالدولة الرسومات رسمها له السلطان الموفق واتصلت حاله  
على ذلك الى ان كان ما نذكر

بلا مرس

في الانتقامه

دنا بالزندقه  
منه وادرك السلطان  
مجلسه من سفير  
الاندلس وادركه

• حاشية وشطب والحاق على صفحة من العبر

## ٢٠ مخطوط مكتبة السلطان أحمد الثالث (ي) طوب قبوسراي، رقم 1 A / 3042

سُجِّل اسم الكتاب على صدر النسخة بخط حديث، فيه: "المجلد الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى بالمقدمة"، وعليه تملكان: الأول كتب بخط جلي بموازاة عرض الصفحة: "لمحمد عبد الرحمن الضارب عفا الله عنها سنة 818هـ" (1415م). والثاني ختم السلطان أحمد بطفرائه في نموذجين متفاوتين في قطر دائرتها، في الأول: "وقف السلطان أحمد خان بن غازي سلطان محمد خان". وفي الثاني الآية: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ (الأعراف، من الآية 43).

وهو نسخة تامة من تجزئة سبعة، تشمل كامل الكتاب الأول من العبر (المقدمة)، في 297 ورقة، مقاس 26,5x18 سم، المساحة المكتوبة 20x13 سم، مسطرة 25، خطها متفرد قليل الأشباه فيما رأيت، لم تتغير قاعدة أدائه على امتداد النص، ولم يختلف قلمه ولم تضعف يده الثابتة القوية في كل ما كتبته. ولم أتمكن من تصنيفه ضمن الأساء المعروفة لمدارس الخط، ويمكن القول إنه بين خطي النسخ والتعليق.

والكاتب قليل الإجماع قليل الخطأ، كُتِبَ عناوين الفصول بخط أكبر من خط النص وشكله بالحركات شكلاً تاماً صحيحاً ، وخطها أقرب إلى خط التثنية.

ومع أن هذه النسخة قد ضمت الكتاب الأول من العبر (المقدمة) بدون نقص، وجاءت خاتمتها مستوفية لتاريخ إتمام الجزء بالوضع والتأليف والتنقيح والتهذيب، إلا أن التأريخ المتميز لم يذكر اسمه وتاريخ الكتابة؛ وقد بحثت عنه لعلني أوفق لما يساعد على تأريخ النسخة؛ وسعفة كاتبها، ومع الجهد المبذول، ظل اسمه وتاريخه على ما هو عليه من الغموض، وكل ما خرجت به، أتت عثرٌ على أثر مهم قد يكون بخطه، لأنه كُتِبَ<sup>(1)</sup> على الطريقة نفسها. وهي طريقة مُفَصَّحة عن كفاية تتأخر مُتَمَرِّس يُبَاشِر نسخ الكتب الكبيرة ذات الأجزاء العديدة لثبات يده.

وقد خَصَّ فرانز روزنتال هذه النسخة بتعريف قصير<sup>(2)</sup>، وبنى على عمَّاك محمد الضارب سنة 818هـ (1415م) بأن المخطوط لا بد أن يكون قد دُون في تلك السنة أو قبلها (!) (كذا) "وأنه هو المخطوط الوحيد الموجود الذي يحتوي على صورة مبكرة من نص المقدمة".

وقد غرض الدكتور بدوي<sup>(3)</sup> لرأي روزنتال هذا، وتداخل حديثه بموضوع كتاب التعريف الذي ألحج إليه روزنتال من غير تفصيل، وأشار إلى قول الطنجي الذي عنى به التعريف، وهو أن المخطوط رواية حديثة لكتاب العبر.

(1) انظر: القطعة المتفاعة من الجزء 17 من كتاب ابن فضل الله العمري: مسالك الأبرار ( من صفحة 2 إلى 350) نشره مصوراً الدكتور فؤاد سركين - معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية - فرنكفورت 1989، وأصل المخطوط في مكتبة آيا صوفيا رقم 3439 - السلطانية - إسطنبول .

(2) F. Rosenthal , 1: x cv111 (6)

(3) مؤلفات ابن خلدون 111 .

وحقيقةً أمر هذا المخطوط، أنه بالنسبة لمجموعة المخطوطات الموثقة التي اعتمداها لهذه النشرة، هو النسخة الأولى التي نُقلت عن نسخة عاطف بقدر ما بلغته الزيادات عليها في تلك المرحلة؛ وفي ذكر فروق النسخ في نشرتنا يتبين ما أذكره عليها فأثبتته، وما طرأ بعده ففاته.

والمؤكد أنه كُتب في المرحلة المصرية لابن خلدون، بعد استيفارهِ والأخذ في مراجعة عمله في الجبر، وقبل تاريخ سنة 797 هـ (1395م) تاريخ كتابة نسخة الظاهري التي أوردت إضافات مطوّلة وقصيرة لم تُذكر فيه، مثل الصفحة التي ألحقت بنسخة (ع) والمتضمنة للنص المنقول عن جراب التولة الذي كتبه الحسن بن عمار وتقدّمت الإشارة إليه.

أما عن افتراض روزنتال حول تاريخه فغير صحيح، فالنسخة راجعها ابن خلدون بنفسه وقولت عليه على نسخة (ع)، فأصلح وأكمل بيده ما فات نسخته أو ما استدركه وقتها، ويوجد خطّه الذي يمكن مقارنته - بما قدّمنا الحديث عنه - في نسخة عاطف، على حواشي الصحايف التالية:

8 أ - صفتان بين الورتين 43، 44، 65، 66، 86، 95، 105، 106، 107، 112، 182، 195، 206 ب .

وإذا ذكرنا بأن نسخة (ع)، هي الأصل الذي تعهده المؤلف بالمراجعة والإضافة إلى آخر حياته، وهي نسخته التي لا يتخلّى عنها. فتكون هذه النسخة (ي) هي النسخة الباقية من الأصول التي سبقت غيرها بالثقل عنها - فيما بلغنا - واستوعبت ما سجّله في حينه قبل سنة 797 هـ (1395م) .



• المخطوط "ي" صدر الكتاب والأختام والتماك



لماله العزان نزاره وامرني كوكارو و...  
 لاجل الصلوات وكان بطرس قد...  
 الجبل الذي اذن على صلاته عليه...  
 هنا اخذته في بيت المدرس العبراني...  
 اللطفي ولما كانوا معهم اقبله...  
 معهم اقبله مزمومة...  
 هذه النسخ الواردة من الجبل...  
 على صلوات الله عليه...  
 واجمع كوارزون الرسل...  
 بيده القسيس بطرس...  
 سرعان الهدوء العبد...  
 وداود راعوشه...  
 القديس...  
 الصديق وزمعه داود...  
 ونجات الاساء...  
 على صلوات الله عليه...  
 سبع رسائل...  
 في اولها...  
 تارة ولعظم...  
 واحدا...  
 البطرك...  
 بعد عنه نزار...  
 الذي...  
 في كركره...  
 كوارس...

انليطرس

لايخبر

وزير

وثانها...  
 ه...  
 انليطرس...  
 الاحكام...  
 ا...  
 روبا...  
 ز...

من

• من المخطوط "ي". حواش للتتقيق والتصويب



[illegible]



[illegible]

• المخطوط "ي" : صفحة مضافة بخط المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ وَالْوَسْطُ  
 سَنَهُ أَحَدِي وَارْبَعِينَ إِلَى سَنَةِ حَمْسِينَ وَخَمْسِينَ  
 ذَكَرَ اسْتِثْلَاذَ الْفَرَنْجِ عَلَى طَرِيقِ الْمَيْسِ  
 وَسَبَّحَ ذَلِكَ الْفَتْحُ لَوَاعِيلِهَا وَحَاصِرِهَا فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّلَاثُ  
 مِنْ وَلَهْمِ سَمْعِ الْفَرَنْجِ فِي الدِّينَةِ صَجَّةً عَظِيمَةً وَخَلَّتِ الْأَسْوَرَةُ  
 مِنَ الْقِتَالَةِ وَسَبَّحَهُ أَنَّ أَهْلَ طَرِيقِ الْمَيْسِ اخْتَلَفُوا فَأَرَادَتْ طَائِفَةٌ  
 مِنْهُمْ تَقْدِيرَ مَخْرَجِ مَطْرُوحٍ فَوَقَعَ الْحَرْبُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ وَخَلَّتِ  
 الْأَسْوَرَةُ فَاتَّخَذَ الْفَرَنْجُ الْفُرْصَةَ وَطَلَعُوا بِالسَّلَامِ وَمَلَكُواهَا  
 بِالسَّيْفِ فِي مَجَرْمِ هَذِهِ السَّنَةِ وَسَقَلُوا دِمَاءَ أَهْلِهَا وَبَعْدَ أَنْ  
 اسْتَقَرَّ الْفَرَنْجُ فِي طَرِيقِ الْمَيْسِ بَدَلُوا الْأَمَانَ لِمَنْ تَقَى مِنْ أَهْلِ طَرِيقِ الْمَيْسِ  
 وَتَرَاجَعَتِ إِلَيْهَا النَّاسُ وَخَسِرَ جَاهُهَا وَفِيهَا سَارَتْ نَجْمٌ وَتَوَلَّى  
 عَلَى قَلْعَةِ جَعْبَرٍ وَحَصَرَهَا وَصَاحِبُهَا عَلَى بْنِ مَالِكٍ بْنِ سَالِمٍ  
 بْنِ مَالِكٍ بْنِ بَدْرَانَ بْنِ الْمَلِكِ الْعَتِيلِيِّ وَارْسَلْ عَسَاكِرًا إِلَى قَلْعَةِ  
 قَنْدَلُوهِي فَجَاءَ وَرَجَزُهُ أَرْبَعُ عَشْرَةَ نَجْمًا وَصَاحِبُهَا حَامِدُ بْنُ  
 الْأَمْدِيِّ الْبُسْتَوِيُّ وَلَمَّا طَالَ عَلَى زَكِيٍّ مَنَازِلُهُ قَلْعَهُ جَعْبَرٍ  
 ارْسَلْ بِسَارِ حَمِيرٍ إِلَى الْعَلْبَكِيِّ الَّذِي كَانَ صَاحِبَ مَخْرَجٍ يَقُولُ لِصَاحِبِ  
 قَلْعَةِ جَعْبَرٍ قُلْ لِي مِنْ خَلَاصِكَ مَخِي فَقَالَ صَاحِبُ جَعْبَرٍ يَخْلُصُنِي

مَنْد

٢

• نموذج من خط الجزء 17 من مسالك الأبصار ، المضاهي لخط كاتب المخطوط "ي"

عا ولا خلف ولد أصغر وأولاً حضر الموت سلمه ولده إلى مسفر  
 الأحمد بن وقال ما أعلم أن العساكر لا تطعمه لأن طفل فهو ودعه  
 عنده فأرسله إلى بلادك ورجله أو سفل إلى بلد مراد ولما مات  
 السلطان محمد أحلت الأمر أوطافه طلبت لكساء أخاه وطاف  
 طلبوا أسلمان ساء من محمد لكساء من السلطان الب أرسلان  
 الذي كان اعتقل في الموصل وهم الأكثر ومنهم من طلب  
 أرسلان من طغتل الذي مع الدز وبعد موت محمد سار أخوه لكساء  
 إلى أصفهان وملكها ومنها مرض بور الدين محمود بن علي مرصاف  
 لرجنه موبه بسلعة حلب لجمع أخوه أمير مرصاف بن زبيح جعفا  
 وحصر ولغته حلب وكان سيرة كونه يحضر وهو من الجبر أمر أورد  
 مسار إلى دمشق ليستولي عليها ومنها أخوه نجم الدين أيوب وأما عليه  
 أيوب ذلك وقال اهلكنا المصلحة إن يعود إلى حلب وإن كان  
 بور الدين خيا خدمته في هذا الوقت وإن كان مضافاً في دمشق  
 أكفينا بها فعد شرفه إلى حلب مجتداً وحل في بور الدين في شاك  
 مراد الناس فلما رآه خائباً فزوا عن أخيه أمير مرصاف واستقامت  
 الأحوال واستقر في ملكها المن على مدي وأزال ملك بني بجاج على ما  
 وعدنا ذكره في سنة اثنى عشرة وأربع مائة وعلى بن مدي المذكور

• نموذج من خط الجزء 17 من مسالك الأبصار ، المضاهي لخط كاتب المخطوط "ي"

### 3 • مخطوط الظاهري (ظ)

مكتبة الدّاماد إبراهيم باشا، رقم 863

هذه النسخة الوحيدة التي وصلتنا كاملة من عصر المؤلف، ومحفوطة في حالة جيّدة، وقد اهتمّ ابنُ خلدون بها كلّ الاهتمام، فاستكتب في إعدادها أكثر من نايخ، افترض الأول منهم - ولا نعرف اسمه - على نسخ الكتاب الأول [نصف المقدمة]، وخطّه بارغ غايّة في التناسق والتناسب والجمال، وكتب بقيّة الكتاب بأجزائه المتعدّدة بخطوط نسخ جيّدة مُتقاربة في أشكالها.

وجلّدت النسخة في سبع مجلّدات، يضمّ كلّ واحدٍ منها جزأين مُتتابعين، ويتقدّم كلّ جزء عُزّة من الإذهاب الكبير<sup>(1)</sup>، مُقسّمة إلى ثلاث مناطق أفقيّة، في المستطيل الأعلى زخارف نباتية مُترابطة، رُسِمت بحبر لازوردّي على أرضيّة زرقاء، وكتب فيها بخط نسخ جميل مُذهب: "الأول من الظاهري في العبر"، وفي المنطقة المُستطيلة السفلى وبالأسلوب الأول نفسه، بقيّة الاسم: "بأخبار العرب والعجم

(1) ورد هذا المصطلح في السجّل القديم لمكتبة جامع القيروان، الذي نشرناه في مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الثاني، الجزء 2 - القاهرة 1956.

والنيزير"، وبالمنطقة الوسطى المحصورة بينهما دائرة طوقها مَقْصَص ثُمانيّ، تحيط به أوراق ثلاثية مُذهّبة على أرضيّة زرقاء، كتب فيها: "برسم الخزانة الشريفة الملكية الظاهرية أعز الله أنصارها"، وهكذا تتصدّر هذه الصفحة كلّ جزء من الأجزاء الأربعة عشر، مع تغيير عدد الأجزاء بالتتابع.

يذكر ابن حجر وغيره<sup>(1)</sup> أنّ ابن خلدون صنف التاريخ الكبير في سبع مجلّدات ضخمة، والأجزاء المختلفة الباقية تؤكد أنّ الكتاب سُبَاعِي التقسيم، ولا يُدْرَى لماذا أوقف الكتاب على هذا الرُفْم، وهل هو تعلّق بخصوصيّات الغدد، أم يُشير به إلى الاختواء الشامل لأخبار الماضين واشتيعابه، كأنه الأقاليم السبعة الّتي هي مُستقرّ الغفران الإنسانيّ.

ونُسخة الظاهريّ هي الأولى الّتي قَسَمها إلى أربعة عشر جزءاً، يتسيراً لاستعمالها، وضدّر كلّ جزء بفهرس، وسنُتحدّث عن كلّ جزء في مَوْقه عند نشر أجزاء الكتاب، ثمّ نُسخةُ حالّت (خالد) أفندي، الّتي يَبْدُو أنّ لها التقسيم نفسه حسبما يأتي.

(1) بدوي: مخطوطات ابن خلدون 286، نقلًا عن إنباء النمر (مخطوط أحمد الثالث رقم 2941، 1: لوحة 172)، إستانبول. السخاوي: الإعلان بالتوبيخ 312، ولكن المقرئ في النسخ (6: 191) يقول إنّه رأى بفاس في ثُمانيّ مجلّدات كبار جداً، وقد عرّف في آخره بنفسه. فهل وَجِم في ذلك، ولا أحسب أن كتاب التعريف تجاوزَ في ذلك الزمن مخطّ ابن الفخّار حسين ورقة حتى يُقرّد في جزء مستقلّ، ويُذكر العدد نفسه وهو يتحدّث عن وقعة طريف (النسخ 5: 15). إذ يشير إلى أنّ ابن خلدون قد ألّم بها في العمر في الجزء الثامن؛ وموقعة طريف هذه جاءت في طبعة بولاق في الجزء 7: 261، فاكتفت أنّ القارئ لم يفتن "التعريف"، وربما الأقرب للإقناع أنّ يكون أحد الأجزاء قد قُسم إلى قسمين.

ولهذه النسخة تاريخ يرتبط بمرحلة مهمة من حياة المؤلف، ذلك أن ابن خلدون دخل القاهرة التي يهرثه بغفرانها ومؤسستها أول ذي القعدة سنة 784هـ/ (يناير 1383م)، وانتقال عليه طلبه العلم يلتبس منه الإفادة، فجلس لهم للتدريس بالجامع الأزهر<sup>(1)</sup>؛ وأقبل الناس عليه وراقهم كلامه وأعجبوا به كما يقول المقرئ<sup>(2)</sup>، واشتهر بحسن محاضراته ودقة ترشله وتحليله في تدريس الفقه وأصوله، فقد كان يشكك في إفراء الأصول مشاكك الأقدمين، كالغزالي وفخر الدين الرازي، مع الغض والإنكار على الطريقة التي أحدثها طلبه العجم ومن تبعهم في توغل المشاحة اللفظية<sup>(3)</sup>.

وأصبح له موقع مهم عند المماليك الجراكسة، فقد أنجذب إليه أحد كبار وجوه التولية ورعاه كل الرعاية، وعُبد له في الحياة العامة أزحباب المسالك، وهو علاء الدين الطنبغا الجواني<sup>(4)</sup>، الأثير لدى السلطان الملك الظاهر بركات، لفا جمع بينهما من قديم الصبغة التي انتهت به أن يكون في رتبة "أمير مجلس"، وهو صاحب الشورى في التولية. فكان سبيله للاتصال بالسلطان الذي يذكر ابن خلدون أنه "أبر لقاءه وأنس غزيبته" ووسع عليه في إقامته، ويتبدو أثر هذه الرعاية فيما تولاه من مناصب علمية للتدريس في المؤسسات المختلفة: المدرسة الفقهية، والمدرسة

(1) التعريف 255 .

(2) السلوك 2/3 : 480 .

(3) السخاوي: الضوء الآم 3 : 148، وترجمة ابن عمار في الضوء الآم 8 : 233 وقد أخذ عن ابن خلدون أصول الفقه، وسمع قطعة من مقدمة تاريخه.

(4) أخباره في البر 5 : 476 - والمهمل الصافي 1 : 8



الظاهرية، ومدرسة ضلّعتش، وولاية خانقاه تيّبرس التي كان رزق النظر فيها والمشيخة وابسعا لمن يتولاه<sup>(1)</sup>، ثم ولاية القضاء، والشّفاة له عند السلطان أبي العباس أحمد الحفصي سلطان تونس، ليؤجّه له بأمرته وكُتبه، فكان ذلك، لولا جدّه العاثر الذي حوّل فرحته إلى مأتم. وفي هذه الحقة من حياته كان مُكتباً على تجديد معارفه الإسلامية ليستفيد منها فيما يُستقبل من مناصب شرعية، وليُحسن غرضها وتدرّسها في الزحّاب التي يتحرّك فيها؛ وحدث فجأة حادثٌ هدد الدولة الجركسية التي ابتدأت بالملك الظاهر؛ فقد كانت هناك منافسة خفية للملك من اليلغاوية: يُلبغا الناصري نائب حلب، ومنطاش، ومن يقف وراءهما، فاغتلوا الظاهر بزقوق في الكرك، وجمعوا القضاة للإفتاء في أمره؛ وكان ذلك في شوال سنة 791هـ (سبتمبر 1389م)، وقد أشار ابن خلدون إلى هذه الحادثة التي أثّرت في حياته وخاف عواقبها، إشارةً مريّةً عابرةً تكظم وراءها تفاصيل كثيرةً تجاوزها عابداً، ملتمساً للنسيان. وبدأ ميخنة التي استمرت ثلاثين عاماً بالجلس الذي عقده منطاش في القصر الأبلق بقلعة الجبل، وأخضر فيه الخليفة العباسي محمد المتوكل، والقضاة الأربعة وهو أخذهم، وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني، وسألهم<sup>(2)</sup> عن رأيهم في :

• رجل خلّع الخليفة وسجنه وقتله من غير موجب لذلك .

• قتل شريفاً في الشّهر الحرام في البلد الحرام .

(1) التعريف 322 .

(2) حادث تفاصيل هذا المجلس عند ابن إياس : بدائع الزهور 1: 282 .

- استحلّ أخذ أموال الناس بغير حقّ .
- استعان بالكفار على قتال المسلمين .

فطلب الفضاة أن يكتب شيخ الإسلام رأيته قبلهم، فكتب: إذا قامت عليه البيّنة بذلك وجب قتاله ومُحاربتُه، فهو خارجيّ. فوضع الفضاة خطوطهم على الفتوى بجواز قتاله.

ويذكر ابن خَلُون<sup>(1)</sup> أن الظاهر "كان يُنقَم علينا - مغشّر الفقهاء - فتاوى استدعاهَا منا مَنْطَاش وأُكْرِهْنَا على كتابتها فَكَتَبْنَاهَا، وَوَزَّيْنَا فِيهَا بِمَا قَدَرْنَا عَلَيْهِ، وَلَمْ يُثْبَلِ السُّلْطَانُ ذَلِكَ وَعَتَبَ عَلَيْهِمْ، وَخُصُوصاً عَلَيَّ".

ولم يُخَفِّ ابن خَلُون دُغْرَه ، فقد كان يُخَشَى التَّهَابَةَ الَّتِي لَقِيَهَا أَخُوهُ أَبُو زَكَرِيَاءَ يُحْيَى<sup>(2)</sup> عَلَى يَدَيِ أَبِي تَاشَفِينَ بْنِ أَبِي زِيَّان سَنَةَ 780 هـ (1378م) ، لَنَلْكَ كُتُب مُسْتَشْفَعاً وَمُعْتَذِراً إِلَى صَاحِبِهِ الْقَدِيمِ الطَّنْبُغَا الْجَوَابِيّ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ مَاتَ ، فَافْتَقَدَ نَصِيرَهُ الزَّاعِي ، وَلَكِنَّ السُّلْطَانَ فِيمَا يَتَدَوُّ لَمْ يَقْطَعِ أَسْبَابَهُ ، فَأَبْقَى عَلَى بَعْضِ مَا كَانَ يَخْصُهُ بِهِ ، يَقُولُ فِي التَّعْرِيفِ<sup>(3)</sup> ، إِنَّهُ "أَعَادَ لَهُ مَا كَانَ أَجْرَاهُ مِنْ نِعْمَتِهِ، فَلَزِمَ كَيْسَرَ الْبَيْتِ مِمَّتَعاً بِالْعَافِيَةِ، لَأَسَاءَ بَرْدُ الْعُزْلَةِ ، عَاكِفَاً عَلَى قِرَاءَةِ الْعِلْمِ وَتَدْرِيسِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ، فَاتَّحَ سَنَةَ 797 هـ (1394م)".

(1) التعريف 341 .

(2) خبر مقتله في المبر 7 : 140 .

(3) نص آخر "التعريف" في نسخة الظاهري، ويطابق ما في طبعة بولاق 7 : 462 .

وفي هذه الغزلة وَجَّه عنايته لإخراج كتاب العبر كاملاً، فأضاف إليه من أخبار المشرق ما فاتته، ولعلّه أضاف الجزء الخامس الذي أصبح الكتاب به يمتدّ إلى أخبار العرب والغنم والتبزير؛ وفي هذه المرحلة كتب التعريف لأوّل مرّة وألحقه بالكتاب. وأعدّ نسخة خزانتيّة تامّة أنّها سنة 797هـ (1395م)، تأتق في زخرفة فوائدها وتذهيبها، وراجعها بنفسه حمّد الطّائفة، وأصلح في طُرّيزها ما رأى إضلاخه، وغَيّر اسم الكتاب ليكون هديته للسلطان، إقراراً بفضله عليه، وتأكيداً لولائه ووفائه، وسمّاه "الظّاهريّ في العبر" أسوة ببغض التقاليد السابقة عليه، مثل<sup>(1)</sup> القانون المنسعودي للتبزوئي، والصّاجي لابن فارس، والطّب المنصوري للزّاري. وهذه التسمية حسب النّصّ الموضح لها في هذه النسخة، هي اسمٌ جديدٌ أطلقه على الكتاب؛ يقول في صيغة الإهداء: "ودعوته بالظّاهريّ... اقتداءً بمن سلف قبلي في نسب الكتاب إلى صاحب عصره من الملوك ..... فصار اسمه الظّاهريّ في العبر .." بينما كان النّصّ الذي على نسخة تونس الأولى، والنّصّ الذي أرسله لأبي فارس عبّاد العزيز نصّي إهداء نسخة لمكتبة كلّ من الرّجلين.

ومع وُضوح هذه التسمية الجديدة، فإنّ النسخ التي كُتبت بعد سنة 797هـ (1365م) لم تلتزم بها في أيام ابن خَلّون نفسه، وفي حياة الملك الظاهر، كما نرى ذلك على نسخة الكتاب الأوّل (المقدمة) الذي كُتب سنة 799هـ (1397م) بخط ابن الفخّار، وعلى النسخة التي أُهديت إلى المغرب مع بغثة قُطلوبغا الخليلي، فما معنى

(1) يُذكر من ذلك أيضاً: الزّيج المأموني، الحواريز مشاهي للتعالي، التاريخ المنصوري للحموي، الرّجح الحاكي لابن يونس، العزيزي (كتاب المسالك والممالك) للملهي، والنسبة للعزيز الفاطمي .

هذا؟ هل يمكن أن نفترض أن ابنَ خَلْدُون أعدَّ هذه النسخةَ الخزائنيةَ بتسميتها الجديدة "الظاهريّ في العبر"، ثم عدّل عن تقديمها لسبب ما، وغارت النية في نفسه، ولم يُخرج الكتاب على تلك الهيئة، ثم نراه لم يُشر إلى هذا الحدث المهمّ في حياته الفكرية والسياسية في "التعريف"، مع أنه حام حول تلك الحُفّة بمحدث مُقتضبٍ مُحاذِر، يُطِن أكثر ممّا يُعلن، وفي أعماقه حديثُ نفسٍ مكلومة متوجّسة، فلم يُسجّل حدثَ تقديم الكتاب كما حَفَلَ بذلك في تقديم النسخة الأولى التي أهداها لخزانة أبي العباس أحمد الحفصيّ في يوم مشهود؛ ولم يذكر معاصروه من المؤرّخين شيئاً عن هذا الموضوع.

لهذا فقد تكون فكرة إغداد "الظاهريّ" مجرد مشروع لصاحبه لم يمتز به إلى مراحلهِ الأخيرة بعد الإغداد. وبعد أن راجع كتابه واستكملّه وجمّع أوصالَه في وحدةٍ شكّلت صورة النسخة الحديثة؛ ويرجع هذا التصرُّع عندي أنّ المؤلف ترك في هذا المخطوط فراغين مهمين كان عليه أن تكمل بهما هديته للسلطان، وهما خريطة الجغرافيا، ودائرة أرسطو الحكيمية. وتداول النساخ بعد ذلك نسخ الكتاب مُتكاملاً مستوفى، وثوّ المؤرّخون بأجزائه السبعة الضخمة، على حين كان في أول إقامته بالقاهرة موجّهاً اهتمامه إلى تدريس الفقه والأصول ومُقدّمة العبر.

وبالإضافة للطابع الرسمي الذي أعدّت به هذه النسخة وأخذت شكلها الخزائنيّ باسم سلطان مصر، وهذا وخده كافٍ لتأكيد نسبتها إلى مؤلفها، فإنّ تدخلات المؤلف بقلمه جاءت - كالعادة - مُوزّعة على بعض هوامش صفحاتها،

لثوق نسبتها لصاحبها، وتسمح بالمقارنة مع الخطوط المشابهة على خواشي نُسخ أجزاء العبر التي باشر ابن خلدون مُراجعَتها.

وقد دخلت نسخة الظاهري - في تاريخ نجهله - في ملكية رجل يَبْدُو من خلال أناقة توقيعه أنه من أهل العلم وجامعي نوادر الكتب، فقد كتب على صدر النسخة قبل الفهرس الذي يتقدم النص، اسمه، ثم مرة أخرى بأعلى الصفحة الخزانة للجزء الأول، يقول: "الله حسبي، من كُتِب أبي بكر بن رُسَم بن أحمد ابن محمود الشرواني"<sup>(1)</sup>، ولم يتكرر ذلك على بقية مجلدات الكتاب؛ فهل اكفى بهذا التوقيع المهذب لإثبات ملكيته لكامل النسخة، أم أنَّ الكتاب الأول [المقدمة] بجزأيه هو كل ما وقع له منها.

ونجد النسخة كاملةً بأجزائها الأربعة عشر قد أصبحت في إستانبول، موزعةً بين مكتبتين: الكتاب الأول [المقدمة] بجزأيه في خزانة التاماد<sup>(2)</sup> إبراهيم باشا، بالمكتبة السلجانية، ورقمها 863. والمجلدات الست التالية وتشمل على اثني عشر جزءاً، محفوظة في مكتبة السلطان أحمد الثالث بطوقيو سراي، ورقمها المشترك 2924 (3-4) (5-6) (7-8) (9-10) (11-12) (13-14) التعريف).

<sup>(1)</sup> أديب من رجال الدولة العثمانية، لعله أقام أو ترزّد على مصر. له شرح على المجلد الأول من "تجربة الأماص" وترجمة الأماص "لوصاف الحضرة، سباه: "ما لا بد منه للأديب من المشهور والغريب" توفي سنة 1135هـ/ 1722م. (البغدادى: هدية العارفين 1: 241، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون 2: 420، حاجي خليفة: كشف الظنون 1: 309) ونسجه إلى شُرّوان، من نواحي باب الأبواب "القرتند" كما يستيه الفرس. (معجم البلدان 3: 339) وعلى نسخة "أيا صوفيا" "للتعريف" خطّه بالثلث.

<sup>(2)</sup> الصدر الأعظم (1660-1730م) عمل مبكراً في الإدارة العثمانية، فاشتغل في محاسبة الحرمين، وتحرير أراضي جزيرة المورة، وافتتاح الصدرة برتبة وزير، وصاهر السلطان فأصبح داماد، ثم قتل في 30 أيلول 1730م، وكان شاعراً وخطاطاً، وله أعمال خيرية ومؤسسات ثقافية مهمة. Meydan Larousse, V, p.3 Istanbul, 1993

فهل دخلت النسخة مجموعة كاملة لمكتبة السلطان أحمد الثالث، ثم استعار  
صهره إبراهيم باشا الكتاب الأول (المقدمة) وبقيت في كُتبه بعد موته. وخُتم عليه  
ختم الوُفوف على مكتبته<sup>(1)</sup>.

هذا وبآخر الجزء الأول من الكتاب الأول (الورقة 235):

"كل التّصف الأول من المقدّمة ، وبكمالها كلّ السّفَر الأول من كتاب  
الظّاهريّ في العبر ، بأخبار العرب والعجم والتّبزيّر ، يتلوه الجزء الثاني ، الفصل الرابع  
من الكتاب الأول ، في البلدان والأنصار والمدن وسائر العُفْران الحضريّ ، إلى آخر  
المقدمة ، والله وليّ الإمداد والعون".

ويبدأ الجزء الثاني بالورقة 238 ، يتقدّمها فهرسها في ثلاث صحائف ، وينتهي  
بظهر الورقة 435 ، وفيه بعد خاتمته المألوفة التي احتفظ بها في جميع النسخ :

"كلّ الجزء الثاني من كتاب الظّاهريّ في العبر ، بأخبار العرب والعجم  
والتّبزيّر ، وبكمالها كلّ المقدّمة العلميّة المذكورة في أوّلها ، يتلوه في الجزء الثالث  
الكتاب الثاني في أخبار القرب وأجياهم ودُولهم منذ بدء الخليقة إلى هذا العهد ،  
وأخبار مُعاصريهم من أُمّ العجم . والحمد لله حقّ حمده ، وصلواته على سيّدنا  
ومولانا محمد نبيّه وعُبدّه ، وعلى آله وصحبه وسلامه".

<sup>(1)</sup> ختم دائري كبير به : "هذا مما وقفه بأخلص النّيّات ، صاحب الحيرات والحسنات ، الصدر الأعظم ، والصهر  
الأخم ، إبراهيم باشا ، بئس الله له بالخير ما يشاء ، وزير الحضرت السلطان الغازي أحمد خان ، خلّدت خلافته  
إلى اقراض الدوران".

ونشير إلى أنَّ النسخة المشهورة بالنسخة الفارسيَّة الَّتِي كتبها ابنُ الفَخَّار  
 التَّاسِخُ الخَاصُّ لابنِ خَلْدُون سنة 799هـ (1396م) وأُتخَفَ بها - كما عبَّرَ - خزانةُ  
 السُّلْطَانِ أَبِي فَارِسِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ <sup>(1)</sup> المَرِينِيِّ، هي نسخةٌ طُبِقَ الأُضْلُ  
 عن مخطوط الظَّاهِرِيِّ، كما توكَّدَ المُقَارَنَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طَبْعَةِ بُولاق الَّتِي اعتمدت أصلاً  
 مننسخاً عنها .

<sup>(1)</sup> تذكر النسخ المطبوعة من التاريخ [الكتاب الأول] نص الإهداء في مقدِّمتها إلى خزانة أمير المؤمنين أبي فارس  
 عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن المَرِينِيِّ، وهذا الأمير توفي سنة 774هـ قبل أن يبدأ ابن خلدون كتابة  
 العَبَرِ. والصواب أن الإهداء كان باسم أبي فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد ابن أبي سالم إبراهيم، ابن أبي  
 الحسن. وانجز هذا الخطأ من فساد النسخة المعتمدة في الطبع، التي أسقطت آباء أبي فارس إلى أبي الحسن.  
 وقد وقع في هذا السلاوي في الاستقصا، وشيخنا الجليل خير الدين الزركلي في الأعلام 4: 23 .



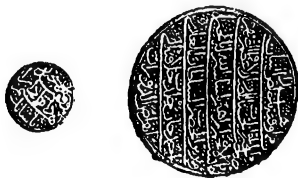


ويصيح شكاهم عن ان يسموا الى مشاركته في الحكم وتقرع عصمهم  
عن ذلك وسفروا به ما استطاع حتى لا يترك لاحد منهم في الامن  
ناقة ولا جلا فينفرد بذلك المجد بطيبته ويدفعهم عن مساكنته فيه  
وقد ستم ذلك للاول من ملوك الدولة وقد لا يسم الا للناني او الثالث  
على قدر ممانعة العصابات وقوتها الا انه امر لا يد منه في الدول  
سنة الله في عبادته **فصل**

في ان من طبيعة الملك الترف  
وذلك ان الامة اذا اغلقت وملك ما يابى اهل الملك قبلها  
كثرت رايها ونعمتها فكثر عوايدهم وتجاوزوا عن ضرورات العيش  
وخشوتهم الى نوافله ورقته وزينه وذهبوا الى اتباع رقباهم  
في عوايدهم واحوالهم وتصبر لتلك النوافل عوايد ضرورية في حبالها  
وتزعمون مع ذلك الى رقة الاجال في المطاعم والملابس والقرش  
والاينة ويتفخخون في ذلك ويفاخون فيه غيرهم من الامم في اهل  
الطيب وليس الا بقر وركوب الفان وساغى خلفهم في ذلك  
سلفهم الى اخر الدولة وعلى قدر ملكهم كون حظههم من ذلك وتزعم  
فيه الى ان يبلغوا من ذلك الغاية التي للدولة ان تبلغها بحسب قوتها  
وعوايد من قبلها سنة الله في خلقه **فصل**

في ان من طبيعة الملك الذعة والسلوك  
وذلك ان الامة لا تحصلها الملك الا بالمطالبة والمطالبة غائبة  
الغلب والملك واذا حصلت الغاية انقضى السعي اليها  
عجت لسعي بني وبينها فلتا انقضا ما بينا سكن الدهر  
فاذا حصل الملك اقصر واعز الى ان كانوا يتظفون في طلبه

بهرمات السيف والقلم هـ في آشارات الملك الخاصة بهم الإله  
والسرور والسكّة والخاتمة والطراز والقساطيط والسياح  
والمقصود للصلوة والدعاء في الخطبة هـ في الحروب ورتبها  
عند الامور في الجباية وسبب وفورها ونقصها هـ في ضرب  
المكوس واخراج الدولة هـ في ان تجاز السلطان مضره بالرعايا  
مفسده للجباية هـ في ان شروع السلطان وحاشيته انما  
يكون وسط الدولة هـ في ان نقص العطاء السلطان نقص في الجباية  
في ان الظلم مؤذن خراب العمران هـ في الحجاب كيف يقع  
الدول وانه تعظم عند المهرور هـ في تقسيم الدولة بدولتين  
في المهرور اذا تنزل بالدولة لا يرتفع هـ في كيفية طرق الخلل الدول  
في ان الدولة المستجدة انما تستولى على الدولة المستقرة  
بالمطاوله لا بالمناجحه هـ في وفور العمران واخراج الدول وكثر  
الموتان الجماعات هـ في ان العمران البشري لا بد لها من نياية  
تتظم بها امره هـ في امر القاطن واختلاف الناس في شأنه  
في جدتان الدول والملاحم والجفره



- آخر الفهرس الذي يتقدم الجزء الأول من مخطوط "الظاهرى"،  
وختّم بالاماد إبراهيم باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ

الكتاب الاول لطبيعة العمران في الخلقة  
وما عرض فيها من البدو والحضر والتغلب  
والكسب والمعاش والعُلوم والصنائع  
ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انما كانت حقيقة التاريخ انما جبر من الاجماع الانساني الذي هو  
عمران العالم وما يمرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل النوح  
والناس والعصيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما يشاء  
عز ذلك من الملك والدول ومراتبها وما يتجمله البشر بما علمهم ومسايعهم من  
الكسب والمعاش والعُلوم والصنائع وما يربما يحدث في ذلك العمران  
بطبيعته من الاحوال وما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله  
اسباب تقضي فيه منها التسبغات للأرا والمذاهب فان النفس اذا  
كانت على حال الاعمال التي قبول الخبر اعطته حقيقة من التعميم والظن  
حتى تبين صدقه من كذبه واذا خاها لتسيع لرأي او غلبة قلبك ما يوافيها  
من الاخبار لا قول وهفلة وكان ذلك الميل والتسيع غطاء على غير بصيرة  
عن الاستناد والتحصيل في قبول الكذب ونقله ومن الاسباب  
المقتضية للكذب في الاخبار ايضا الثقة بالناس قلبن بمحض ذلك  
رجح الى التعديل والخرج ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناس  
لا يعرف الصدق بما عاين او سمع وينقل الخبر على ما في ظنهم وتخييلهم فيقع  
في الكذب ومنها توهم الصدق وهو كذب وانما يجي في الاكاذم جهة  
الثقة بالناس قلبن ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على الواقع لاجل ما يراه  
من التليس والصنع فينتقل الخبر جاراها وهي الصنع على غير الحق في نفسه

وأما مثل هذه الحروف فدلائلها على المراد منها مخصوصة  
 بهذا الناظم فرايت من كلام هذا الرجل الفاضل شتاً  
 لما كان في النفس من هذه الملهمة وما كان له في لولا أن هذا الله  
 كمال التصف لا أول من المقدمة وبكامله كمال السفر الأول  
 من كتاب الظاهري في العبر يا خبار العرب والعجم والبربر  
 يتشبعون في الجزء الثاني الفصل الرابع من الكتاب الأول  
 في البلدان والأمصار والمدن وسائر العرآن  
 الحضري إلى آخر المقدمة والله ولي الإهداد والعرف

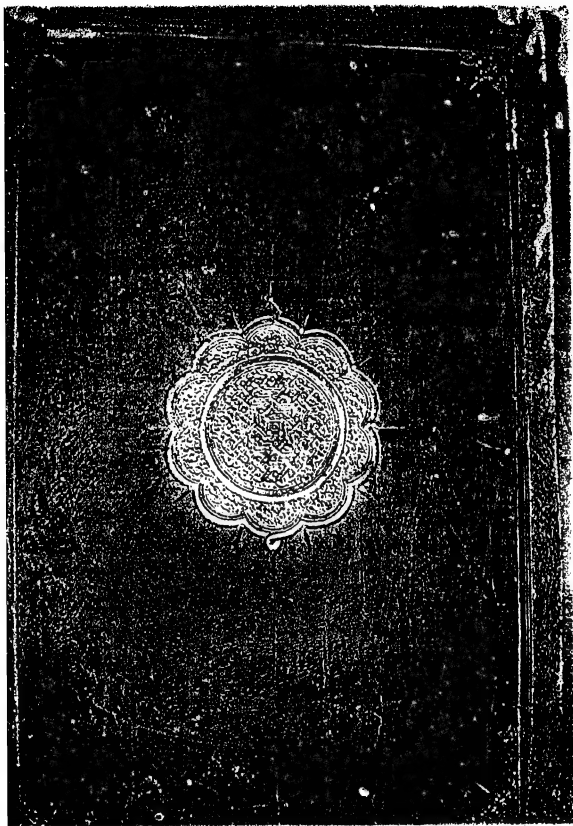
مكتبة علم السباحة  
مكتبة علم السباحة

**تحقيق** وكلمة علم السباحة كما نحقق ذلك انها ضرب من  
السبح يحصل من رياضات شرعية خاصة وذلك انما قد يقال ان النجس في  
علم الطمعة لصنفين من البشر هما الانبياء والقوة الالهية التي فطر الله  
عليها والشرع والقوة النفسانية التي جعلها لعلها وقد يحصل للأوليات تعرف  
بالكلمة الالهية وهو من نافع العبد والكسابة ولا يقصد من تحصيله وانما  
بأنهم غفرا والمنكفون منهم اذا عرض لهم لوضوئهم واستعاذوا بالله منه  
كذلك عزاء برندانة واقاشا طي دجلة عشاء مضفرا فالتقاطه فالواقي  
فاستعاذ بالله وقال لا ابيع حظي من الله بدائق وركب السفينة من الملاحة  
واما البحر فلا بد من التحصيل منه من الرياضة لخرج من القوة الى الفعل وقد  
يحصل ضرب منه الاكساب وهو ذو الاول فنعانقه الرياضة كما نعانق  
الاول وهذه الرياضة البحرية معروفة وقد ذكر انواعها مسلسلة للحرط في  
كتاب الغايه وحاسر حيان في بعض رساله وغيرهما وقد استعملها كثير من  
لفظ اكتساب البحر فعمله على قوانينها وشروطها وكثير من الناس يقتصر بحصول  
عمل الصوف ويتخرج من ملازمة البحر فيتحذل لذلك رياضة خاصة شرعية  
من سبكات واذا كان مناسبة للرياضة البحرية بنوع النجس وجنس الكلمات  
وتختص الطوالع وتجاها عن فضل الغرر في حشده لسعد بذلك من البحر  
ومعيات له ذلك ونفس الوجهة لفظ الصوف من غير البحر مع ازراة  
هو اذا انما ملتنا نبت رياضة البحر من سبلاتها كما اعطى البوي على وفي  
سائر كتبه واما ان كان غالا في مشروعية ذلك كحصول الصوف فليحذر  
ذلك وليعلم ان الصوف من اصله غير مشروع وان كان من الاولياء مجانبون  
له ومن تركه منهم فاما من تركه باذن من امام أو حديث بعمر وغير ذلك  
على ما عليه عاداتهم في الاسماء من قلوبهم المنورة مع ان خوف الاولياء  
بالكلمة الالهية لا بالقوة السعانية عزاء هو تحقيق علم السباحة وهو  
كما تراه من فنون البحر وضروبه ولله العادي الى الحق سبحانه

• الظاهري - إضافة بخطه

ما في الحساب من صحة المبادئ ومناقشته النفس فيصير له ذلك خلفا وتعود  
 الصدق ولا ذمه مذهبها ومن احسن التواليف البسوطه فيها لحد العهد  
 بالمعذب فاب الحصار الصغرى ولا من لنا المراتى فيه لمختص صايط  
 لمواين اعماله مفيد ثم شرحه بثبات سماء ورفع الجباب وهو متفق  
 على المبتدى مانته من البراهين الوسطه المبادئ وهو كتاب جليل القدر  
 ادرنا المشيئة تعظيمه وهو كتاب جدير بذلك وانما جاء الاستفلاق  
 من طريق البرهان شان علوم التعاليم لان مسايلها واعمالها واتجه لها  
 واد اقصده شرحها فانما هو اعطى العلل في تلك الاعمال وفي ذلك من  
 العسر على الفهم بالا يوجد في المسائل قائله والله يهدي بنوره من  
 سنا ومن فرو وعلم الجبر والمقابلته وهو ضاعه يستخرج بها العدد  
 المجهول ومن قبل العلوم المفروض اذا كان يلها نسبه سفي ذلك  
 فاصطحو اتيها على ان جعلوا المجهولات مراتب من طريق التضعيف  
 بالترب اولها العدد لانه ثلثين المطلوب المجهول باستخراج من  
 نسبه المجهول اليه وتاينها الشى لان لمجهول فهو من حيث ابهامه  
 شى وهو ابهاما جدر لما يلزم من تصغيره في المرتبه السد وتاينها  
 المال وهو مربع بهم وما بعد ذلك فعلى نسبه الاس في المضروبين  
 ثم تقع العمل المفروض في المسله فتخرج الى معادله من هذه الاجتن  
 فيقالون بعضها بعض ويحبرون ما فيها من السر حتى يصير محكي  
 ويحطون المراتبه الى اقل الاسوس ان انكر حتى يصير الى اللانتهى  
 عليها مدار الجبر عندهم وهي العدد والشى والمال وانه نكس  
 المعادله من واحد وواحد يعين فالمال والجدر يزول ابهامه  
 لمعادله العدد وسمن والمال ان عادل الجدر وسمن بعدتها

و ما و منه لدر الفهم  
 من قبله الحساب لا يجرى  
 كتاب الاموال والشرى  
 بل يسهل في تيسر  
 يعرف في العلم  
 العبادات والعبادات  
 مستغلقه



• العنصر الزخرفي المضغوط على تجليد مخطوط الظاهري "ظ"

#### 4. مخطوطات أفندي (ل)

المكتبة السليمانية، رقم 617

توجد هذه النسخة في المكتبة السليمانية بإستانبول، ضمن مجموعة خالت أفندي<sup>(1)</sup>، وتُثل نصف المقدّمة، والبقية المتصلة بها حديثُ الخطّ لا قيمه لها. ورقّها قُطعتي سميك جيّد السّقي (شايّ). وأبعاد النّسخة 5 x 18 و 26,7 سم، مسطرة 21 سطرًا، والمساحة المكتوبة 5 x 13 و 18، وبها 235 ورقة

والكراس الأخير من الورقة 228 إلى الآخر نالت منه رطوبة متفشية.

آخر هذا الجزء الأول: "وأما مثل هذه الحروف فدلائها على المراد منها مخصوصة بهذا التّأظم. فرأيتُ من كلام هذا الرّجل الفاضل شفاءً لما كان في النّفس من أضر هذه المَلْحة. ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [سورة الأعراف، الآية 43].

(1) هو محمد سعيد الذي اشتهر باسم خالت أفندي، من رجال التّولة العثمانية (1760-1822م) تمخّص في وظائف شقيّ، وشغّر للدراسة في باريس سنة 1803، وأصبح رئيس مستشاري السلطان، وكان مولودًا ومناصرًا للإبكتشارية. ومات مقتولًا.

أسس مكتبته سنة 1820م، وفيها من المخطوطات العربية 451 مخطوطًا. ترجمته في Islam Ansiklopedisi

XV, 247, Istanbul, 1997.



وهذا مُتطابق مع الوقف الذي انتهى إليه تقسيم الجزء الأول من الظاهري، وهو آخر فصل "حدثان الدول والأمم، وفيه الكلام على الملاجم والكشف عن مُسَمَّى الجُفَر".

وعلى الصفحة الأولى - وليست من وَرَق الأُضَل - كُتِب بخط التعليق اسم المَقْدَمَة، وتحتها: صُحِّح بيد المؤلف، ثم ترجمهُ ابن خَلْدُون مُفْتَطَقَة من نَحْص الطيب<sup>(1)</sup>، وأخرى من حُسن المُحاضرة، ثم تَمَلَّكَن، الأول: "من كُتِب الفقير إليه تعالى أحمد عفا الله عنه وعن أسلافه وأُخلافه سنة 1127هـ" (1715م).

والثاني: "الله حَسْبِي وبه تَقْي، من كُتِب العبد الفقير عليم عَزَّت عفى الله عنه وعن أسلافه".

وفي الصفحة التالية: "مَلَكهُ مُحَمَّد بن محمد القوصوني<sup>(2)</sup> سنة 953هـ" (1546م).

يليه الفهرس المُلَخَّص لمحتوى الكتاب في ورقَتَيْن ، ويتوقَّف بحسَب ما يَشْمَل عليه الجزء كما وَرَد في الظاهري، ولا يتعدَّاه إلى ما في الجزء الثاني كما جاء في نُسخة عاطف مصطفى.

وخط النسخة نَشْخِي جميل، متأنِّي، وجاءت فيه أكثرُ الأَشْياء والكَلِمَات المُلتَبِسَة مُشْكولةً بالحركات، الَّتِي رُفِّها جَاءَتْ من ضَبْط ابن خَلْدُون نُقْسه.

(1) فتح الطيب 7 : 106 .

(2) وهو من العلماء، يذكر المقرئ أَنَّهُ رَأَى خطَّهُ على نُسخة الإحاطة لابن الخطيب التي أوقتها على أهل العلم بمصر وجعل مقرها خاتمه سعيد السعداء، رآه إلى جانب خطوط المقرئ والشيرازي وعلي المحوي، وقد كتب: "انقضى منه داعياً لمؤلفه محمد بن محمد القوصوني سنة أربع وخمسين وتسعمائة".

وسقطت بعض الأوراق، واستُدركت بخط تعليق مضغوط، وذلك في  
الورقتين 6، 7 ونصف صفحة الورقة 8 .

وقد ترك بياض لدائرة أرسطو الحكيمية (26 أ) وللجغرافيا (35ب) . والنسخة  
مُكرسة كرئيس عشرية الأوراق، وكُتب في الزاوية العليا للصفحة الأولى من كل  
كراسة رقمها بالحروف وتُلخِص مَحتواها.

وبأعلى الصفحة الأخير ختم يتضاوي كبير بالتركية، يظهر فيه اسم حالت  
وتاريخ هجري غير واضح (لعله 1227هـ).

وآخر النسخة : "تم الجزء الأول من كتاب العبر، في أخبار القرب والعجم  
والبربر، يتلوه الجزء الثاني، الفصل الرابع من الكتاب الأول".

وتتميز هذه القطعة من العبر [نصف الكتاب الأول] إلى جانب ضبط  
الأنشاء، بأنها نُقلت من مخطوط عاطف زيادات وتصحّيات زيدت بعد نقل  
نسخة الظاهري فدلت على أنها أخذت منها تاريخاً كما تبيننا على ذلك في مواقعها  
من فروق النسخ. والترنث طريقة رسم الحروف التي ليس لها مقابل في الحرف  
الغربي على ما قرره ابن خلدون في أول المقدمة .

وناسخ هذه النسخة غير معروف، لكننا وجدنا بخطه بعض أجزاء العبر، من  
ذلك قطعة الجزء المحفوظ في المتحف البريطاني رقم Add 23272 ، ومسطرتها 25  
سطراً، على غير ما عليه هذا الجزء مما يعني أن الناسخ كتب لابن خلدون أكثر من  
نسخة.



افريقية وبه سميت وقتل ملكها جرجير وسمي البربر بعد الاسم كاد كراه  
فقال واقام في البربر مرجير صنماجه وكنامه فهم فيم اليوم اسمى ك  
وكتبتوا في الغرب واشتوا في نواحيه الا ان جمهورهم كانوا لا اول الله بفتح  
الزده وطحة تلك الفتن موطنين يارباف قسنطينه الى تخوم بجايه غربا الى  
جل اوراس من ناحية القبله وكانت تلك المواطن بلاد مذكور اكثرها لعمرو ومن  
ديارهم ومجالات غلبهم مثل البجان وسطيف وباغايه ونفاوس وطارنة  
و بركشت وسله وقسنطينه والديكده والقل وجعل من حدود  
جل اوراس الى سيف البحر ما بين بجايه وبوتنة وكانت بطونهم كثيره مجملها غرس  
ويشودة ابناءكم بن ريس قسن تشودة فلاسه و دنهاجه ومثو سة  
و و قسن كهم بنو يشوده بن كهم والى دنهاجه ينسب قصر كاهه بالقرب  
لهذا العهد ومن غرس صاله وقلدن وما وطن وتعاد بنو غرس بن كهم  
ولهيصه وجعيلة ومثا لته بنو بناوة ابن غرسن و طباية  
و ايتاثة و غسمان و اوقاش بنو شطاسن ابن غرسن و ملوسه من  
أبنا بن غرسن ومن ملوسه هولاء بنو زلدي اهل الجبل المطل على  
قسنطينه لهذا العهد وبعد البرابرة من كاهه بنو كيشين وهشيق ٥  
ومثا لته و بنو قلييلة وعدد ابن حزم منهم زواوة جميع بطونهم وهو  
الحق على ما تقدم وكان من هذه البطون بالغرب الاقصى كثير متبدون عن  
مواطنهم وهم بها الى اليوم ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هذه الحالة من الان ظهور  
الله وملك الغرب الد وله الاغاليه ولهم من الدول تسوهم بهضبة ولاشاهم  
بعض الاعزازهم عليها كمن جموعهم كدرك ابن الرقيق في ناحية الى ازا كان  
من قيامهم بدعوى الشيعة ما ذكرناه في دولهم عند ذكر دول الفاطميين اثر  
دوله بنو العباس فانظر هناك وتصفحه تجد تفصيله والمصايرم الملك  
بالغرب زحفوا الى المشرق فملكوا الاسكندرية ومصر والشام واخطوا  
القاهرة اعطوا الامصار مصر وارحل المعز رابع خلفهم فترها وارحل بعده كاه  
على بالهم واستطاع لدوله هناك وهلكوا في نزلها وبدا خها ونفي في مواطنهم الا ان

• المخطوط "ل" - صفحة يبدو فيها ضبط الأسماء البربرية بالشكل

والله اعلم  
بما فيه الغيب والظهور  
والله اعلم  
بما فيه الغيب والظهور

١٧٦

المسند يعني أمام الموكب بالشعر ويظهر فضيلتهم بالأبطال  
بما فيها ويستارعون إلى مجال الغروب ويثبت كل قرن إلى قرنه وكذلك  
زنايه من إمام الغرب يتقدم الشاعر عندهم أمام العصفوف  
ويغني فيجرك بغنايه الجبال الرواسي ويثب على الاستقامة من لا يثب بها  
وسيمول ذلك الغنلة فأيهو كما تراه وأصله كله في حديث في  
الغنس فثبت عنه المتجاعد كما تنعت عن نشوع الغنم يحدث  
عها من الفرج والله اعلم وأما أكثر الرايات وتلوينها وإطالتها  
فالعصبة النبوية لا أكثر وما يحدث في النفوس من التبولزادة  
والأفلام وأحوال النفوس وتلويناتها غريبة والله الخلاق العليم  
سماز الملوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات  
فمن مكره ومن قل حسب اتساع الدولة وعظمتها فأما الرايات  
فأما شعار الغروب منذ عهد الخليقة ولم تزال الأمور تغد لها  
في موطن المغرب والعزوات ولمهد النبي صلى الله عليه وسلم  
ويمنعه من الخلفاء وأما فرج الطبول والنفق في الأبواق فكان  
المسلمون لأول ليلة متجهين عنه تنزهاً عن غلبة الملك ورفضاً  
لأحواله واحتقاراً لأبته التي ليست من الحق في شيء حتى إذا انقلب  
الخليفة ملكاً ويختصوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا يسهم الموال  
من الفرس والروم أهل الدول السالفة وأروهم ما كان أولئك  
يملكونه من مفاهب البديع والترف فكان بما استغنى عنه  
اتخاذ الأله فأخذوها وأخذوا لعمائمهم في اتخاذها تنويعاً بالملك  
وأصله فكثيراً ما كان العامل صاحب الثمر أو قائد الجيش يعقد له

• المخطوط "ل"



## ٥٥ مخطوطيني جامع<sup>(١)</sup> (ج) المكتبة السليمانية رقم 888

هذه أحدث نسخة خرجت عن نسخة عاطف مصطفى تحمل تاريخ نسخها سنة 799 هـ / (1397م). أوراقها 273 ورقة، وأبعادها 31 x 21 سم ، والمساحة المكتوبة 16 x 24 سم - مسطرة 29 سطرأ

على صدر<sup>(2)</sup> النسخة بخط فارسي جميل حديث اسم الكتاب كاملاً، وذكر المؤلف محلياً باللقاب فحمة، منها: أنه "المقدم في الفنون العقلية والنقلية".

(١) أو يكي جامع كما يكتب بالعثمانية ، ومعناه الجامع الجديد، ويسمى أيضاً والده جامعي، ويقع في إستانبول في حي Eminonu، تعمر بناؤه بين سنوات 1597م، و 1663م لتبديل الظروف السياسية، وقد أنجز حسب المخطط الذي صممه المعماري داود آغا من تلاميذ المعماري سنان، بدأت بنائه صفية سلطان، زوجة السلطان مراد الثالث، وأم محمد الثالث، وأكملته خديجة سلطان والدة السلطان محمد الخامس. (Meydan Larousse, xx, 327)

(2) يقابلها في الوجه الآخر نص مبتور، يسجل كيف تحولت بعض سيرة ابن خلدون إلى أدب شعبي فيه مجال للتخييل والتركيب الحكيم. يقول: [المصنف كان قاضياً على مذهب مالك مجلبب المحروسة زمن فتنة تيمور، وحصل في قبضته أسيراً سميأ، فكان يصاحبه، إلى أن سافر معه قافلاً نحو سمرقند وقرارة ملكه، فقال له: يا سلطان العالم، لي تاريخ كبير جمعت فيه الوقائع بأسرها، خلّفته بمصر، وسينظر به الجنون، يشير إلى الملك التاتار بن بيزقوق، فقال له: هل يمكن تلافي هذا الأمر واستخلاص الكتاب؟ فقال له: يمكن إذا قبل مني السلطان ما أقوله. فقال له: قل، فقال: يتعافل عني السلطان [كنا ينتهي النص].

ثم ترجمة لمؤلف الكتاب تمتد إلى آخر الصفحة، منقولة باختصار من إنباء الغمر وتحتها: "خرّره الفقير إسماعيل". وقُبيح بقبّة الاسم.

وبجانب اسم الكتاب: "ثم سبقت به يد القضاء والتقدير، ونظّمته في سلّك ملّك القنبد الفقير، المذنب، محمد إمام زاده"، يليه تملّك (مُجيب اسم صاحبه)، تاريخه أواخر ذي القعدة من سنة 984هـ (فبراير 1577م).

ثم ختم كبير مستدير [38 ملم] به: وقف سلطان / أحمد خان بن غازي سلطان / محمد خان (ثم طغراء) 1115هـ (1703م).

وهذه النسخة تامة، تُشمل الكتاب الأول [المقدمة] في مجلّد واحد، كتبه بخط نسخ محقّق أنيق عبد الله بن حسن، ابن الفخّار، وهو ناسخ ارتبط به مبكراً وبفضل توقيعه على هذه النسخة خاصة عرفنا بالتحليل والمقارنة أنه ناسخ نسخة عاطف أفندي في زمن مبكّر، وقد كتب أكثر نسخ كُتبه فيما وصلنا.

فهو الذي كتب نسخة القرويين في سبع مجلّدات، وكان خطّه فيها أكثر تلاخُفاً وتداخلاً وتثويراً والتزام بإهمال الحروف المنقوطة، وكتب نسخة التعريف<sup>(1)</sup> المحفوظة في خزانة السلطان أحمد الثالث بطوقبو سراي رقم 3042-، وبعض نسخة آيا صوفيا رقم 3200-

وقد خصّص ابن الفخّار خمس صفحات لكتابة فهرس الكتاب، مُدخلاً التغييرات التي سجّلها المؤلّف على نسخة عاطف مصطفى، (1ب - 3ب).

(1) "التعريف"، من تقديم الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي.



وفي بداية النص الخُلُويّ كتب البسملة والتّصلية في سطرٍ واحد، وأفسح  
بَعْدَهُ للمؤلّف، كما فعل في نسخة عاطف، ليكتب بخطّه الأندلسيّ الرّشيق.

"يقول العبد الفقيرُ إلى رحمة ربّه، الغنيّ بلطفه وفضله، عبد الرحمن بن محمد  
ابن خَلُون الحضريّ وفقه الله تعالى وغفر له".

ويبدأ ابنُ الفَخَّار بعد هذا الاستهلال كتابة الكتاب الأول بخطّ قويّ موحّد  
التّسق، لم يتغيّر فيه أسلوب استرساله إلى آخر الجزء، وعندما أتى في مقدّمة  
الكتاب على تسميته أقمم بعد قوله: وسميته كتاب [عنوان] العبر، مع أنّه في هذه  
المرحلة الّتي نسخ فيها هذا الجزء سنة 799 هـ (1395م) كان المؤلّف قد عدل هذا  
الطباقيّ اللَّفْظي في التّسمية الّتي جاءت في أوّل تاريخ التّصنيف في المُرُحلة  
التّونسيّة.

وجاء تدخّل المؤلّف بخطّه في تسجيل إضافة تتعلّق بالوزارة، في صفحة  
104 ب. لكن خاتمة النّسخة تضمّنت إفادات محمّة سجلّها كاتبها في أربعة أسطر،  
يقول<sup>(1)</sup>: "وكتب بيده الفانيّة أحوخ التّاس لرحمة ربّه، عبد الله بن حسن الشّهير  
بابن الفخّار، حامداً الله على نعمه ومصلياً ومُسلياً ومُحْسِلاً، ونَقْلُهُ من أضله  
المتوجّ بخطّ مؤلّفه في بعض هامشه وملحقه وتخاريجه، وكتبها جميعها وأحاط بما  
كتب، وقرأ في غالبه، والله المسؤول أن يبقّيه ويمتّع ببقائه آمين، وكتب في

(1) الورقة 273 أ .

العاشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة [9 فبراير 1397م] اللهم صل على سيدنا محمد وآله وسلم".

فقد تضمنت: اسم الناسخ، وأنه نقله من أصله المشتمل على الهوامش والملاحق والتخارج، ولعله يُشير إلى نسخة عاطف مصطفى نفسها. وأن ابن خلدون أحاط بما كُتب في هذه النسخة وقرأ في غالبه. ثم تاريخ النسخ.

وتفيدنا هذه النسخة بفضل وضوح مراحل صناعتها، أن ابن الفقار هذا هو الذي نسخ النسخة الأولى من المقدمة إثر حضور ابن خلدون إلى مصر، وأعدّ هذه النسخة سنة 799هـ، وظلّ متابعا لعمل المؤلف، ومُضيفاً للزيادات المهمة التي تطرأ على الكتاب.

فأمام الورقة 181 توجد بطاقة كبيرة بخط ابن الفقار تحدّث فيها ابن خلدون عن مصادرات الملوك، ومنها مصادرة الملك الظاهر بربوق لأستاذاره الأمير محمود ابن علي بن أصفر عينه، ومبلغ ما استضى منه، وكان ذلك في 20 جمادى الأولى سنة<sup>(1)</sup> 798هـ (1 مارس 1396م)، ولا يبدو ما في هذه البطاقة أنّه سقط مُستدرك، ولكنه إضافةٌ بُلغته بعد نسخ الكتاب، ولا توجد في الأصول الأخرى، وتوجد ملحقات أخرى غفل عن نسخها من متن الأصل، ثم استدركها منفصلة، مثل إضافة "علامات الرؤيا الصادقة" من فصل علم تعبير الرؤيا.

(1) ذكر ذلك المغربي: السلوك 856/3/3 .

وفيه ورقة منفصلة بين الورقتين 85 - 86 عن عدم جواز عقد منصب  
الخليفة لاثنتين معاً، كان ابن خلدون قد أضافها في حاشية أصله بعد تاريخ نسخ  
الجزء سنة 799، فأضافه ابن الفخار لنسخته نقلاً عنه.

وتخلو هذه النسخة من خريطة الجغرافيا ومن الزايرة.



ويكاف الصريحه عندنا والجيم او القاف مثل اسم بلدين فاضعها كافا وانقطعا  
 سقطه الجيم واجدة من اسفل او سقطه القاف واحدة من فوق او تثنيت مثل  
 ذلك على انه متوسط بين الكاف والجيم والقاف وهذا الفرق الذي ما يحج  
 في لغة العرب وملجأ من غير فعل في هذا القياس اضع الحرف المتوسط  
 حرف من لسان العرب مع العلم القاري انه متوسط فنطويه كذا فنكون  
 قد ذللتنا عليه ولو وضعناه برسم الحرف الواحد عن جانب الكاف حرف فساد  
 من مخرج الحرف الذي من لسان العرب فالعلة القوم فاعلم ذلك والله الموفق

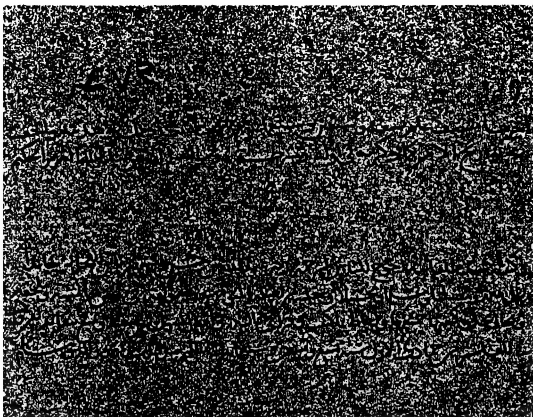
بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى  
 الكتاب الاول في طبيعة العرائس في الطبقة وما يرضى فيها من  
 البك والخصر والغلب والكذب والمعاش والعلوم والصانع

ونحوها وما لذلك من الاعمال والاسباب  
 اعلم انه لما كان حقيقة التاريخ انه خبر من الاحوال في الماضي الذي هو عريان  
 البعور وما عرض لطبقة ذلك العرائس من الاحوال مثل الحر والناس والصبيان  
 وامساك الغلبات للشرعهم على بعض وما يشاع ذلك من الملك والدول  
 ومرايتها وما شغلها البشرى بالهموم وساعيتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصانع  
 وسائر ما حدث في ذلك العرائس بطبقة من الاحوال ولما كان الكذب منظرنا  
 للفتنة بطبقة وله اسباب بعضها منها التثبيات للاراء والملاعب فان  
 بعض افكاره على حال الاحمد في قول الجيم اعطته حقه من المحض والبطر  
 حتى بعد صدقه من كاليه واذا خامها تشيع لراى او حلة قبلت ما وامن  
 من الاحبار الاول وعمله وكار ذلك الميل والفتنة غطاء على من يصير بها عن  
 الاسعاد والمحصن فيقول الكذب ونفله ومن الاسباب المعصية  
 للكذب في الاحار ايضا الثقة بالنافذ وبمحصن ذلك رجوع الى المقدر والجرح  
 ومنها الدهول في المفاصل فكمن الزاقل لا يعرف الصدق بما علم او سمع وحل  
 الخبر على ما في طنبه ونجته منقع في الكذب ومنها فهو الصدق وهو كثر  
 وانما يحج الاكثر من حقه التفتن في طنبه ومنها الجهل بتطويع الاحوال على  
 انواع لا حيل ادا خطها من التفتن والتفتن ففعلها الخبر كادها وهي التفتن  
 على كل ما يحج بنفسه ومنها تغرب الناس في الاكثر لا حيل الاظلة والملاعب  
 تفتنوا والملاح وتغيب الاحوال واشاعة الذكر بذلك فتفتن الخبر بها على  
 عن حقيقة فالفتن من مولدة بحسب الفتنة والناس تفتن الى الدنيا واسماها

من

• من المخطوط "ج"، بخط ابن الفخار

ما بر وصالوا لقطا للجنائز  
 اوردت قلع جوقو العتيق  
 واحد  
 نادتها وشيخ يطول في  
 والت قد يزدل وذل واذك  
 ولعن  
 راولي شمس سفت حيد موعو  
 اسيل وحا الشراة القسطر  
 ولعن  
 باحدى العسر نجر المطاير  
 وجر فيهم بامن بد الاجر  
 ومن الذي يسموه دوسر  
 قد استقر احبة بالاد  
 بانارثو في واتفدي  
 ولعن  
 بجني اليك ظركم هبات  
 واسم في البر صاتي وقات  
 ولعن  
 هوت في منظر كرم الملاح  
 عصرا اما انشأت في النكر  
 واعلم ان الادوان في معرفة الملاحة منها كلها اما يحصل في حال تلك  
 الفسه وكذا سجاله لها وما تحاط به من اجالها حتى يحصل اليكم كما قلناه في الفسه  
 العربيه فلا شعر الا في بال لافه التي في شعر اهل المغرب ولا الشعر في الملاحة  
 التي في شعر اهل الشرق والاندلس ولا الشعر في الملاحة التي في شعر اهل الاندلس  
 والمغرب لان السار في الحزري وراكه محله منهم وكل احد منهم يدرك لافه  
 لغته ودانها من الشعر اهل جلده وفي حلو النوب والارض واملا  
 الستم والواكر امانات العالمين وفي كذا ان يخرج من العزم وعرضا  
 ارض من العزم والبول في هذا الكتاب الا في الذي هو ستمه العزم وما  
 يعرف به فقل استوفنا من سبله ما حبسناه وكذا له واعدل ما في بعدنا  
 من بول الله بعكر صحيح وعلو من يعرض من سبله على الكرم كما في فليس على  
 سسط العزم اسأله واما طه تصير موضع الصلوة وتو ضوله وما  
 سطره والمناحرون على فوط المناهل من فطير شيئا فطير المناهل  
 والله يعلم وان لا لحزن والكتاب مولانا في كتاب جفا الله منه  
 هذا الفرة الا في النسخ والمغفل السقم والهدب في حله حبه اشهد  
 لعنا



تبه بيده الغانية، أحوج الناس لرحمة ربه، عبد الله بن حسن الشهير بابن الفقار، حامداً أبا  
نعمه ومصلياً ومُسلياً ومُخْتَبِلاً، وقلته من أصله المتزوج بخط مؤلفه في بعض هامشه وملح  
رجه وكتبها جميعها وأحاط بما كتب وقرأ في غالبه، والله المسؤول أن يقيه ويجمع بقاءه آمين، وك  
لعاشر من جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وسبعمائة، اللهم صلّ على سيدنا محمد وآله وس

• خاتمة المخطوط "ج" التي كتبها ابن الفقار سنة 799هـ وأحاط بها ابن خلدون

## أَنْظَارُ

لقد أمدّتي قراءتي المتكررة لثراث ابن خلدون بإيضاحات وتساؤلات عن جوانب متعددة حول فكره في التاريخ وفي الرجال، وفي تفسيره لإشكالات بعض مواقف التاريخ الإسلامي، وعن هُويّته، وصورته في عَصْره، وعلاقاته، وأسلوب بيانه، ولغته، ومصطلحه، ومصادره، والمواقع الحقيقية الأثرية التي أقام فيها وتردّد عليها ولا تزال باقية على حالها، وما إلى ذلك مما نرجو أن نقرده في عمل مستقلّ، متركّز على الشواهد والأدلة في قادم الأيام.

وأقتصرُ هنا على ذكر بعض الأنظار المتّصلة بالكتاب خاصّة، لعلّ فيها بعض ما يُفيد.

1 • تُشارُ إشكاليّةُ بآيِ الكُتُب الثلاثة من العبر بدأ ابنِ خَلْدُون بكتابتها، ويغلبُ عند بعضهم أنّ المقدّمة كانت المُستَهَلّ، وهو المشهور عنه. وهذا لم يُقْم على وثاقّة بَحْث، لأن الأمر يقتضي الاعتماد على وجود نُسخة مطبوعة من الكتاب، صحيحة القراءة، واضحة في تفاصيلها، مفكّكة بالكشافات والفهارس، تسمحُ متابعتها من أن نعرف كيف استغلَّ ابنُ خَلْدُون الفقيه المفكّر محمد ابنِ خَلْدُون المؤرّخ، وما هي علاقهُ نص التاريخ بتلك الإشارات التي يُلَمّع لها في المقدّمة بين حين وآخر،



وكيف كان سياق الأحداث المنظّمة في العبر وقيام الدّول وحاجتها إلى العصبيّة والمنعّة، وغير ذلك، كيف كان كلّ هذا مجالاً للتفكير والاستنتاج والمناقشة، والوصول إلى حقائق يثبته لها بذكائه ودُرْبته على استخدام المنطق في استخراجه ما يصحّ استخراجه، لأن كتاب العبر وحدةٌ فامتّ أول ما قامت على تصوّر أوليّ واضح، تطوّر في إطار التّصوّر الأوّل ولم يُلغ، وتمدّد في غرضه للأُم والدّول إلى مناطق كانت مجهولةً لديه، ثم تعرّف عليها ونظّمها في منظومة عمّله. وكانت فصوله عن الدّول المتعاصرة والمتعاقبة متوازنةً في حجمها، وقد يثّ فيها بين حين وآخر ما ضبّطه من نواة القوانين التي فضلها في المقدّمة؛ وهذه العلاقة بين المقدّمة (الكتاب الأوّل) وكتابين التاريخ التاليين، لا يّتاح البتّ فيها - كما ذكرت - قبل نشر كامل الكتاب على نهج أمينٍ ملتزم بتوثيق نصّ المؤلّف كما كتبه.

ونلاحظ أن ابن خلدون يّفاجئنا بإشارات تصنع إرباكاً لدارسي نشأة نُصوصه وتطوُّرها، كتبها في أحيان مختلفة وتصرّف فيها بالإضافة والإلغاء في النصّ الواحد فزادها غموضاً.

يقول في "التعريف"<sup>(1)</sup>:

1- "لحقّت بأحياء أولاد عريف قبلة جبل كزول، فتلقّوني بالتحقي والكرامة ..... وأنزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة من بلاد بني توجين، التي صارت لهم بإقطاع السّلطان، فأقمت بها أربعة أعوام متخلياً عن الشّواغل كلّها،

(1) التعريف 236 ، مخطوط الظاهري (ط) 68 ب .

وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مُقيم بها، وأُكَلِّتُ<sup>(1)</sup> المقدمة منه على ذلك التحو الغريب الذي اُهْتَدِيت إليه في<sup>(2)</sup> الحُلُوة، فسألت فيها شَايِب الكلام والمعاني على الفكر حتى امتخضت زُبْدَهَا وتألّفت نتائجها".  
ويقول<sup>(3)</sup>:

2- "ولما نزلت قلعة ابن سلامة بنين أحياء أولاد عريف ..... ثم طال مُقامي هنالك وأنا \*مستوحش من دولة المغرب وتلمسان\*<sup>(4)</sup>، وعاكف على تأليف هذا الكتاب، وقد فرغت من مقدّمته<sup>(5)</sup> إلى أخبار العرب والبربر وزناتة، وتشوّفت إلى مطالعة الكتب والدواوين التي لا توجد إلاّ بالأمصار، بعد أن أمليْتُ الكثير من جُفَظي، وأردتُ التّقيح والتّصحيح".

وكتب عند الأوبة إلى تونس ومُقابلة السّلطان أبي العباس أحمد الحفصيّ :

التّص الحديث، المعتمد للنّشر  
وقد أنْهَاه المولّف سنة 807هـ / 1404م

مخطوط الظّاهريّ  
1394 هـ / 1797 م

"وقد كلفني بالإكباب على تأليف  
هذا الكتاب لتشوّقه إلى المعارف

"وقد كلفني [أبو العباس] بتلخيص  
كتاب في الأخبار، فاقتضبت له من

(1) ط: وأُتِيت في المقدمة منهم بذلك .

(2) ط : في تلك .

(3) التعريف 237، الظاهري 69 ب .

(4) ما بين النجمين ساقط من ط .

(5) ط : من مقدمته ولم تكل أغراضها بعد .

هذا الكتاب ملخصاً استوعبت فيه  
أخبار الزمر وزناة من أهل المغرب،  
وتقضى من أخبار التولتين الأموية  
والعباسية، وشيئاً من أخبار التول  
قبل الإسلام، ولم استوف ذلك ولا  
أخبار المشرق ودوله في القرب والعجم  
قبل الإسلام وتقدمه، وإنما استوعبت  
ذلك بعد الرحلة إلى المشرق، وفي هذا  
الكتاب المتوخى باسم الملك الظاهر

فلما رفعت له ذلك الكتاب أنشدته

والأخبار واقتناء الفضائل، فأكلت  
منه أخبار البربر وزناة وكتب من  
أخبار التولتين وما قبل الإسلام ما  
وصل إلي منها، وأكلت منه نسخة  
رفعتها إلى خزائنه.

فلما رفعت له الكتاب وتوجهت باسمه،  
أنشدته

[التعريف 240]

[الظاهرى- آخر الجزء 14،

الورقة 69 ب]

ويُصارن كل هذا بما ذكره في آخر نسخة المقدمة، وهو النص المشهور الذي  
حافظت عليه جميع النسخ:

3. "أتممت<sup>(1)</sup> هذا الجزء الأول بالوضع والتأليف قبل التنقيح والتهديب، في  
خمسة أشهر، آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعائة، ثم نقضته بعد  
ذلك وهذبته، وألحقته به من تواريخ الأمم كما ذكرته في أوله وشرطته".

(1) جاءت هذه الخاتمة للكتاب الأول بآخر مخطوطة مكتبة السلطان أحمد الثالث 297 أ رقم 3042 / A 1 ، وهي أقدم أصل نقل نسخة عاطف مصطفى رقم 1936 كما تقدم. وهذا نص خاتمة مخطوط الظاهري الذي كتب =

فإذا كان قد وصل قلعة ابن سلامة سنة ست وسبعين وسبعائة، ونفّخ من الشّواغل وبدأ في تأليف الكتاب، ثم كتب المقدّمة بدءاً من شهر صفر سنة تسع وسبعين وسبعائة، وأتمّها في خمسة أشهر، آخر شهر جمادى منه، أي أنّه كتبها بعد أن انقضّت سنتان وشهرٌ على قدومه! فإذا كان يفعل قبلها؟

وفي النصّ المقارن بين روايتين للمؤلف نفسه ورّدًا في كتاب "التعريف" عن علاقة الكتاب بأبي العباس الحفصي والظاهر برقوق، ما يُساعد على ضبط بعض التصوّرات.

فهذه أنظار يمكن مجّئها .

2 • تَرَدَّدَ في الكتاب الأوّل لفظه نحيء في آخر فصوله، استَوْقَفَنِي تَكَرُّرُهَا، فالتفتُتْهَا - من هذا القسم الأوّل المنشور - في صيغة ثابتة وفي معاني متصرّفة، ذلك هو مُفْرَدُ الأَمْرِ من فعل اغْتَبَر، وهو ما يُشير الانتباه.

فقد جاءَتْ:

1 • بمعنى: قَامَرِنُ وَاكْمَرِنُ، في قوله: "فاعتبره تجذّه" [إظ 126ب] . وفي قوله: "واعتبر ذلك أيضاً بأهل مصر، فإنّها في مثل عرض البلاد الجريدية وقريباً

= سنة 797 هـ ، قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه :

"أتممت هذا الجزء المشتمل على المقدّمة بالوضع والتأليف قبل التقيح والتذهيب في مدّة خمسة أشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعائة ثم سخّته بعد ذلك وهذّيته، وألحفت به من تواريخ الغزب والبربر ما اخترته، ثم استنوّفت بعد ذلك في هذا الكتاب الملقب الطّاهري خبز الدّول في الخليقة والعالم، واستنوّعته حسبما ذكرته في أوّله وشرّطته".

- منها، كيف غلب الفرح عليهم" (ط 160 [أ 154] . وفي قوله: "واغْتَبِرْ ذلك في حيوان القَرَّ ومواطن الجَذْب مع أمثالها من حيوان التَّلُول" [ط 161 [أ 158] .
- 2 • ومعنى: قَدَّرَهُ، في قوله: "فافهم ذلك واغْتَبِرْه فيما نورده عليك من بعد" (ط 128 [ب] .
- 3 • ومعنى: والتَّمَسَّ ذلك، في قوله: "واغْتَبِرْ ذلك في أمة الفُرْس (ط 100 [ب] .
- 4 • ومعنى: التَّنْبَه والوعْي، في قوله بعد أن شَرَحَ مَعْنَى التَّبَيُّعَة في العُزْف: "واغْتَبِرْ ذلك من أفعالك مع الملوك" (ط 141 [ب] .
- 5 • ومعنى: قَتَمَسَكَ بِهِ واعتمد، في قوله بعد أن قَرَّرَ أن بقاء التَّوَل كَأَغْمَار النَّاسِ وأن عمرها مائة عام: "فاغْتَبِرْه واتَّخِذْ منه قانوناً" (ط 115 [أ] .
- 6 • ومعنى: واتَّخِذْ واعتمد، في قوله: "واغْتَبِرْ ذلك علامةً تُمَيِّزُ لها بين المكي والمدني من السُّور والآيات" (ط 68 [ب 179] .
- 7 • ومعنى: المُقَايَسَة، في قوله: "واغْتَبِرْ ذلك بجوائز ابن ذي يَزَن" (ط 120 [أ] .
- 8 • ومعنى: ابْهَثْ وانظر، في قوله: "واغْتَبِرْ ذلك في الدُّول والرَّئاسات تَحْذَرُ" (ط 124 [أ]، وفي قوله: واغْتَبِرْ ذلك في الحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلاً (ط 11 [أ 14] .
- 9 • ومعنى: افهم، في قوله: "فاغْتَبِرْه واجتنب المغالطة فيه" (ط 90 [ب 235] .

10 • ومعنى: تَمَثَّلُ، في قوله: "واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيراً صحيحاً"

[ظ 85 ب] 224 . وفي قوله: "واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن إخوة

يوسف" 228.

11 • ومعنى: واسبر وتعمق فهم، في قوله: "فافهمه، واعتبر سر الله في

خليقته" [ظ 189 ب] 233 .

12 • ومعنى: تأمل، في قوله: "واعتبر ذلك في الحيوانات العجم" [194] 243.

وفي قوله: "واعتبر حال القُرْمَطِيِّ إذ كان دعياً في انتسابه كيف تلاشت

دعوته" [ظ 17 أ] 33 و [ظ 62 ب] 162.

13 • ومعنى: فأدرك معنى هذا، في قوله: "فاعتبر هذا فيما قلناه فإنه كافٍ" [ظ

965 ب] 249 .

14 • ومعنى: وقدّر - وليكن في تقديرك، في قوله: "واعتبر ذلك إذا حالت

صِبْغَةُ الدِّينِ وفسدت" [ظ 107 ب] 277، وفي قوله: "واعتبر هذا في دولة

الموحدين مع زناثة" [ظ 107 ب] .

وهذه النماذج لهذا المفتاح الذي يتجه به لأكثر من باب ودلالة، سمة فيه

لمرونة الفكر وإثارة التأمل والبحث والفهم والمقارنة والمقايسة؛ وستقدم استعمالات

هذه اللفظة التي تجاوزت الحنسين، في معاجم الكتاب، لأهميتها.

وعلى هذا، فإنّ بعض ما قدّمته من نماذج - وهي قليلٌ من كثير - هي معنى "العبر" التي سُمّي بها كتابه، ولا تُقفُ عند معنى الموعظة التي انساق إليها تلميذه المقرئ، فستى كتابه في خطط القاهرة : المواعظ والاعتبار.

وقد ذكر اسم الكتاب بمعنى غائم غير محدّد في القصيدة<sup>(1)</sup> اللامية التي قدّمه بها في صيفته الأولى لأبي العباس أحمد الحفصي، فقال:

واليك من سير الزمان وأهله    عبراً يدين بفضلها من يتدلّ

وليس في هذا البيت - فيما أرى - أيّ معنى للتوعظة .

وأصلُ استعمال الأمر بالاعتبار عنده، تأثُّره منذ أوائل النشأة بما كان يتلقاه عن شيخه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، الذي درس عليه "مُحصَل أفكار المتقدمين والمتأخرين"، للفخر الرازي، والذي أثنى عليه أبلغ الثناء<sup>(2)</sup> في مقدّمة التلخيص الذي كتبه بتوجيهه وسماه "لباب المُحصَل".

وطريقة الفخر الرازيّ أنه عندما يعرض أقوالَ المخالفين ويوردُها متتاليةً للردّ عليها، يبدأ نَسَقَ القَوْل والردّ بمثل قوله: "التمسك بعموم قوله تعالى ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾" [المحصول في علم أصول الفقه 5: 349]، أو: "إن عموم قوله ﴿فَاعْتَبِرُوا﴾" ينفي هذا الشرط [المحصول 5: 367، 371، 399، 233، 341]. وهذا التصرف في معنى الاعتبار، قائم في فكر الرازيّ، في استعماله الجدلية، استمداً

<sup>(1)</sup> التعريف بابن خَلُون 247 .

<sup>(2)</sup> ابن خلدون: لباب المحصل في أصول الدين 229 - 30 ، (دار المشرق - بيروت 1995) .

وإحياء لمفاهيم اللغة نفسها<sup>(1)</sup>، وأوضحها ما قرّره عند تفسير الآية الكريمة ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾<sup>(2)</sup> "بأن الاعتبار مأخوذ من العبور والمجازة من شيء إلى شيء، ولهذا سُمّيت العبارة عبارة لأنها تنتقل من الغين إلى الحذ؛ وسُمّي المجرى مغيراً، لأن به تحصل المجازة؛ وسُمّي العلم المخصوص بالتعبير، لأن صاحبه ينتقل من التخيّل إلى المعقول؛ وسُمّيت الألفاظ عبارات، لأنها تنقل المعاني من لسان القائل إلى عقل المستمع؛ ويقال: السعيد من اعتبر بغيره، لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير، إلى حال نفسه، ولهذا قال المفسرون: الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها، ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"<sup>(3)</sup>.

3 • كانت أشجاعة واضحة التكلف، يتصنعها اضطراراً في مناسباتها، حُطْبَةٌ في كتاب، أو درساً أمام من اعتادوا اعتبار العالم على مقدار إجادته لطريقة الغرض من إقناع فنّ السجع والوان البديع، وقد أفاد عن نفسه أنه عندما تولّى في المرحلة المغربية الكتابة عن السلطان أبي سالم في شعبان 760 هـ / 1358م، كان يشاركه في الخطبة من مجيّد الكتابة في الأشجاع، لضغف انتحاله لها، وأنه انفرد بكتابة المُرْسَل يومئذٍ وكان مُستغرباً عندهم بين أهل الصّناعة<sup>(4)</sup>. ومع أنه كثيراً ما يكرّر كلامه ويُعيد غرض الموضوع بأكثر من صيغة مقبولة، إلا أن الأمر في المسجوع يبدو أكثر إخراجاً لأدبه، فقد التجأ إلى الاستنجاد بفقره مسجعة - وليست بذاك -

(1) لسان العرب ( غير )

(2) سورة الحشر، الآية 2

(3) الرازي: مفاتيح الغيب 10 : 504.

(4) التعريف: 72 - 73.



استعملها ضمن خطبة دُرس قُدِّمه في المدرسة القمحية أول قُدومه على القاهرة<sup>(1)</sup>، ثم نزلها في آخر دياجة المُقدِّمة (نسخة الظاهري ص 8).

4 • وفي هذه المُقدِّمة مداخل وفُصول<sup>(2)</sup> معرفية تظل أَلغازاً للمتعالين معها، لاندثار مفاهيمها وضُعية إخضاعها للمنطق والفهم، وعرض ابن خَلْدُون يشعرك بمُشاركته في فهمها وربّما بتضديق مُحتواها أحياناً بما جعله يُطنب في تقديمها وتحليل محتواها وإذراجها في ذلك النّسق والإطار المُترابط لتركيب مادّة هذا الجزء من العِبَر (المُقدِّمة). ويعترض من يَعتَرض بالنّسأول عن طبيعة هذا الإفحام وعلاقته بالتركيب المغرّفي للفكر الإسلاميّ كما سجّله في عصره، والواقع أن تلك القضايا المعقّدة كانت جزءاً من ثقافة العالم الإسلاميّ وعصر ابن خَلْدُون خاصّة، فقد كانت المجتمعات تنتظر أجوبة عن مصيرها المُرتبك المهدّد باستمرار، فتطلبُ الإجابة من أولئك المُنتصين لتغزيتهم بالقُدرة على اختراق الحاضر والتّماس أجوبة المُستقبل من عمق المُستقبل نفسه، وكثر أذعياء هذا الفن، يتوسّلون إليه بأساليب مُختلفة، ويتعاملون فيه مع متون القصائد الجُفرية، أو يتلمّسون ذلك بالحلول الآنية الّتي تُحسب بضرب الرمل<sup>(3)</sup> وغيره؛ وكان الملوك وأهل السُلطان خاصّة أكثر ولعاً بهذه الفنون، يَنتدبون لها المنجّمين يقيمون عندهم لكشف طالع كلّ سَعي يقومون به.

(1) التعريف : 291 .

(2) من ذلك علوم السحر والطلسمات، وعلم أسرار الحروف، ومن فروع علم السيمياء وكيفية العمل في استخراج أجوبة المسائل من زابجة العالم، والاستدلال على ما في الضائر الخفية بالقوانين الحرفية.

(3) كانت أخت قمرلنك تجيد ضرب الرمل (إنباء الغمر 3 : 208) .

ومع الأهمية التاريخية لهذه الفصول، فإنها تَضَعُ عبئاً ثَقِيلاً على الكتاب،  
وتفصل وُحْدته المعرفية، وتثْقُلُ بالقارئ من المعقول إلى اللامعقول.



هذا وقد عملت<sup>(1)</sup> هذا العمل وليس في تقديرِي أن أحقِّم صحبتي على أبي  
زَيْد، فغايَةُ ما صنَعته أَنِي قَدَمْتُ بأمانة وللمرة الأولى نصّاً واضحاً مصححاً بقلمه  
وعلى أصوله نفسها، ومُسْتَكْمَلاً منها، بعد أن قضيتُ زمناً طويلاً، ألاحقُ تلك  
الأصول حتَّى جُمَعَتْها لِنُفْضِها البعض، وميَّزْتُ<sup>(2)</sup> مَنزِلَها، ثم تعقبتُ النص لتدقيق  
معانيه والتعرف على مُضطلحه ومصادره.

وحرصتُ فيه على تفكيك وفهم جُمْلِه الطويلة المددّة التي تكاد تذهب أحياناً  
بالفكرة التي يقرؤها، ورقمتها بأدوات التّرقيم تيسيراً لمتابعها وفهمها، وأثبت الأرقام  
الجانبية للسطور لتيسير الإحالة عليها في المعاجم، والتّزمت شكل الكلمات بنسبة  
معقولة، لما يؤدّيه ذلك من مُساعدة على تبين معاني المؤلّف.

<sup>(1)</sup> اشتركت مع مقام أستاذي صديقي الدكتور إحسان عباس في إعداد هذا الجزء الأول من  
الكتاب الأول، وقابلنا السّخ المخطوطة، ثم توقفتنا عند هذا الحد، وأقيمت ما أعددناه في مكتبه،  
فتوفي إلى رحمة الله في 2003/7/29. وعندما استأنفت المشروع لم أجِدْ ما أعددناه إلا بعض  
صفحات، فاضطرت إلى إعادة المقابلة، ومواصلة عمل ما يتطلبه الكتاب. واحتفظت باسم  
الدكتور إحسان عباس على ضَرْ الكُتاب، وفاءً لذكرى صداقة متينة، وكراماً لما قدّمه في  
خدمة تراث العربية كاتباً وناقداً ومؤلفاً ومُحقّقاً.

<sup>(2)</sup> بعض هذه الأصول، كان يُكنى في التعريف بها في القوائم والفهارس المنشورة بأنها مخطوطة من القرن التاسع!

ثم خُرِجت ما أورده من شِغْرِ - وهو قليل - وما أَسْنَدَه من نصوص ، وما أوردَه من أحاديث<sup>(1)</sup> ، إلا في حالات محدودة لم تُسَعِفنا بها المصادر الَّتِي بين أيدينا ، ونُسْتَذَكُّها في فوات التعالِيق بآخِر الكتاب.

وتَبَيَّهت على ما لم نَجِدْه من إحالاته على المصادر ، أو ما لم نَجِدْه في إحالاته المحدَّدة ووجدناه في غير ما حدَّده . أو ما وَهَمَ فيه وليس كذلك ، أو ضَبَطَ بعض الأسماء "الأماكِيَّة" المختلف فيها ، أو ما تَأَكَّدَ توضيحُه من إشارات تاريخية ، أو شَرَحَ بعض الكلمات التي قرئت خطأ في النسخ المنشورة . وعَلَّقْتُ فيما تدعو إليه الضَّرورة لتصحيح فهم خاطيء أو الكَشْف عما يحتاج للكشف .

واخترت أن يكون مُعْجَم ابن خَلْبُون اللِّغوي وما يُكثِّرُه من مفردات واستعمالات خاصَّة به تقريباً . أو ما يستعمله أحياناً من عاميَّة المغرب والأندلس ، ضمن المعجم اللغوي المنفصل الذي يَسْتَوْعِب كُلَّ ما يَتَّصِلُ بِجِزْيِ الكتاب الأوَّل (المقدمة).

ومَيَّزْتُ في الفهرس الفصول الَّتِي لم يَتَّخِذْ عنواناً لها ، وذلك باستخراج عناوينها من نَصِّها ، مع الحرص على أن يكون من لَفْتِه .

ويوجد فَضْلان لم يَرِدَا في المخطوطات المعتمدة ، قد يَكُونان تما أضافه المؤلف بعد سنة 799 آخر تواريخ أصولنا الخمسة ، أحدهما وُضِعَ له علامة مخرَج في النسخة

<sup>(1)</sup> الشكر لصديقي العلامة الأستاذ الدكتور بشار عواد معروف الذي ساعد في ذلك كل المساعدة.

الأم (ع) وسقطت الورقة المضافة بعد أن نقلتها بعض النسخ الأخرى ، والفصلان هما:

- فصل في أن الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من أهل العصبة.
- [ذكره د . عبد الواحد وافي في 2: 488 وهو ساقط من طبعة باريس ومن التيمورية] .
- فصل في اتساع نطاق الدولة أولاً إلى نهايته، ثم تضايقه دوراً بعد دور إلى فناء الدولة واضمحلالها.

[ذكره د . عبد الواحد وافي في 2: 760، ويوجد في طبعة باريس 2: 114 - 117، والنسخة التيمورية].

وسنوردهما في آخر الكتاب حسبما اعتمدناه، مصححين على أصول خطية أخرى نشير إليها .



وعليّ واجب شكر أؤذيه لكل الذين وجدت منهم القون العلمي والمعنويّ،  
ودفعوني - رغم الشواغل الثقيلة - إلى العودة لمشروعي القديم، وكنت أول من فكر  
فيه وقدم خطة متكاملة عنه، ألقيتها في المؤتمر الثاني لبيت الحكمة بقرطاج، وكنت  
وقتها من أعضائها ، ثم ... ثم تراخيت عنه وأهملته.

فالشكرُ لوزارة ووزراء الثقافة التونسية ، ولأصدقائي وإخواني : أ.د.  
إبراهيم النجار، د. الهادي البكوش، أ.د. المنجي الكعبي، أ.د. أبو يعرب المرزوقي،

أ. عبد العزيز قاسم، أ. الطيّب العشّاش، أ. الحبيب شيبوب ، أ. رجحانة شَبّوح ،  
د. مراد الزّراح، والسيد الحبيب اللّمْسي.

والشكر لوزارة الثقافة التركية، و أ.د. أكمل الدين إحسان أوغلو، ومدير  
المكتبة السلّمانية د. نوزت كايا، ومساعدته أ. أمير، ومحافظ مكتبة عاطف مصطفى  
أ. عثمان دوزجان، و أ. محمد التّمي.

وفي فرنكفورت : أ. د. فؤاد سرّكين الّذي قدّم لي صور أكثر النّسخ التركية،  
وصورة خريطة نسخة عاطف مصطفى الّتي تنشر في هذا الكتاب.

وفي المغرب الشّقيق: صديقي المرحوم أ. عبد الرحمن الفاسي مدير الخزّانة  
العامة السابق، وإلى أ. د. محمد بن شريفة، و أ. د. أحمد شوقي بنّين الّذي لا أنسى  
مساعدته.

وفي الجزائر الشّقيقة: د. أحمد طالب الإبراهيمي، وأ. د. أبو عبد الله غلام  
الله، و أ. د. عمّار الطالبي.

وفي الجماهيرية الليبية: د. خليفة التّليسي.

وفي لبنان : أ. د. محمد يوسف نجم، و أ. د. رضوان السيد.

وفي عمّان: مؤسسة آل البيت للفكر الإسلاميّ، ثم، أ. د. عبد الكريم  
غرايبة، و أ. د. محمد عدنان البخيت، و أ. د. فاضل بيّات، و أ. د. عبد العزيز  
الدوري، وأ. صديقي حطّاب، و أ. فاروق جرّار، و أ. مهدي الزّواضية، و د.  
إحسان ذنون.

وفي مصر: د. أمين فؤاد سيد .

وإلى مركز الملك فيصل، ومكتبة الملك فهد في الرياض.

وإلى أ. د. رشدي راشد (باريس).

وإلى أ. د. فيرنر شفارتس (جوتنجن، ألمانيا) .



ولا أدعي إصابة القرض فيما قصدت إليه، وإنما اجتهدت ما استطعت في إعداد هذا النص وإخراجه موثقاً على هذه الهيئة ، إسهاماً في خدمة تراث أبي زيد الذي امتدت صحبتي له زمناً ، ووقفت على أصالة ما قدمه، ومن الله أستمد العون على إتمام ما بدأته ، ولواهب العقل الحمد بلا انتهاء.

إبراهيم سُبُوح

بسم الله الرحمن الرحيم /

اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم ، فاضل القضاة ، ولي الدين ، عبد الرحمن ابن خلدون ، أطال الله بقاءه<sup>(١)</sup> :

- 5 الحمد لله الذي له العزة والجبروت ، وبيده الملك والملكوت ، وله الأسماء الحسنى والتعوت ، العالم فلا يعزب عنه ما تظهره النجوى<sup>(ب)</sup> أو يخفيه<sup>(ج)</sup> السكوت ، القادر فلا يعجزه شيء في السماوات والأرض ولا يقوت . أنشأنا من الأرض نساء ، واستغنمنا فيها أجيالاً وأمتاً ، وسر لنا منها أزواقاً وقسماً ؛ تكيفنا الأزحام والبيوت ، وكفلنا الرزق والقوت ، وثبيلنا الأيام والوقوت ، وتعتورنا الآجال التي خط علينا كتابها الموقوت ؛ وله البقاء والثبوت ، وهو الحي الذي لا يموت . 10

(١) جاء هذا الاستهلال في الأصول الأخرى كما يلي :

في ع. ج بخط المؤلف : يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه ، العتي بلطفه [وفضله] ، عبد الرحمن بن محمد بن خليلون الحضرمي رحمه الله تعالى وغفر له [والكلمات المحصورة من نسخة ج . وفي نسخة ي نفس مستهل نسخة ع نفسه . وفي ل : قال سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى ، الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام ، فاضل قضاة المسلمين ، ولي الدين أبو زيد ، عبد الرحمن بن محمد بن خليلون ، متعنا الله بعلومه . (ب) في ل : يديه النطق (ج) في حاشية ع : يفتوره .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا<sup>(أ)</sup> محمد النبي العربي المكتوب في  
 التوراة والإنجيل المنعوت ، الذي تمخض لفضاله<sup>(ب)</sup> الكون قبل أن تتعاقب الآحاد  
 والشبوت ، ويتباين زحل<sup>(ج)</sup> والنهموت<sup>(د)</sup> ؛ وشهد بصدقه الحمام والعنكبوت . وعلى  
 آله وأصحابه الذين لهم في محبته واتباعه الأثر البعيد والصيت ، والشمل الجميع في  
 5 مظاهرتهم ولقدوهم الشمل الشتيت ؛ صلى الله عليه وعليهم ما اتصل للإسلام جدّه  
 المنبخت ، وانقطع بالكفر خبله المبتوت ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فلأن قرن التاريخ من القنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، / وتشدُّ إليه الركائب [15]  
 والرحال ، وتنمو إلى معرفته الشوق والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ،  
 10 ويتساوى في فهمه العلماء والجهال . إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن  
 الأيام والأول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمق<sup>(د)</sup> لها الأقوال ، وتصرّف فيها  
 الأمثال ، وتُظرف بها الأندية إذا غصّها<sup>(هـ)</sup> الاحتفال ، وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف  
 تقلبت بها الأحوال ، واتسع للنول النطاق فيها والمجال ، وعمروا الأرض حتى  
 نادى بهم الاتزحال ، وحان منهم الرّوال . وفي باطنه نظرٌ وتحقيقٌ ، وتعليلٌ  
 15 للكشاش ومبادئها دقيق ، وعلمٌ بكيفيات الوقائع وأنسائها عميق . فهو لذلك أصيلٌ في  
 الحكمة غريقٌ ، وجديرٌ بأن يُعدّ في علومها وخليقٌ .

(أ) سقط من ل (ب) ع: فضاله (ج) ع: ل: البهوت (د) كذا في ط ع ، وفي ل ي : تنمو فيها (هـ) كذا في ي ل ، وفي  
 ع: غمها ، ولعلها تصحيف غمها .



وإنَّ فُحول المؤرّخين في الإسلام قد استنوعوا أخبارَ الأيام وجمّعوها، وسَطّروها في صَفحات الدِّفَائر وأودّعوها، وخَلَطَها المتطَفِّلون بِدَسائس من الباطل وَهَبُوا فيها أو ابتَدَعوها، وزُخِرِفَ من الروايات المُضَعَّفَةُ لِقُفوها ووضَعوها . واقْتَفَى تلك الآثارُ الكثيرُ مَن تَغَدَّهم وأتَّبَعوها، وأدَّوها إلينا كما سَمِعَوها . ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رَفَضُوا نَزْهات الأحاديث ولا دَفَعُوا . فالتَّحْقِيقُ 5 قليلٌ، وظَرَفَ التَّنْقِيحَ في الغالب كَلِيلٌ، والغَلَطُ والوَهْمُ نَسِيبٌ للأخبار وحَلِيلٌ، والتَّثْلِيدُ عَرِيقٌ في الِادِّمِيتِينَ وسَلِيلٌ، والتَّطَفُّلُ على الفُنون عَرِيقٌ طَوِيلٌ، ومَزَعَى الجَهِلُ بين الأنام وَيَلٌ . والحقُّ لا يَمُاقِمْ سُلْطَانَهُ، والباطلُ يَشْدُقُ بِشَبَابِ النُّظَرِ [ب5] شَيْطَانَهُ، / والنَّاقلُ إِنَّمَا هو يُنْمِلُ وَيُنْقُلُ، والبصيرةُ تَنْقُدُ الصَّحِيحَ إِذَا تَنَقَّلَ، والعِلْمُ يَجْلُو لَهَا صَفْحَاتِ الصَّوَابِ وَيَضْغَلُ.

10

هذا، وقد دَوَّنَ النَّاسُ في الأخبارَ وأَكثَرُوا، وجمَعُوا تَوَارِجَ الأُمَمِ والتَّوَلَّوْا في العالمِ وسَطَّروا. والَّذِينَ <sup>(1)</sup> ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ والإِمَامَةِ الْمُتَغَبِّرَةِ، واسْتَفْرَغُوا دَوَائِنَ مَن قَبْلَهُمْ في صُحُفِهِمُ المَتَاخَرَةِ، هُمُ قَلِيلُونَ لا يَكادُونَ يُجَاوِزُونَ عَدَدَ الأَنَامِ، ولا حَرَكَاتِ القَوَائِمِ، بِمِثْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ، والطَّبْرِيِّ، وابنِ الكَلْبِيِّ، ومُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الوَاقِدِيِّ، وسَيِّفِ بْنِ عُمَرَ الأَسَدِيِّ، والمُنْشَعُدِيِّ، وغيرِهِمُ من المَشَاهِيرِ، المُمَيِّزِينَ عَنِ الجَاهِلِينَ. 15 وإنْ كَانَ فِي كُتُبِ المُسَعُدِيِّ والوَاقِدِيِّ مِنَ المَطْعَنِ والمَغْمَزِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الأَثْبَاتِ ، ومَشْهُورٌ بَيْنَ <sup>(ب)</sup> الحَفَظَةِ الثَّقَاتِ . إِلَّا أَنَّ الكَافَةَ اخْتَصَّوْهُمُ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمُ، واقتفاء سَنَنِهِمُ في التَّصْنِيفِ واِتِّبَاعِ آثارِهِمْ ؛ والنَّاقدُ البَصِيرُ قِسْطَانُ

(1) ع: وإنَّ الَّذِينَ (ب) ي: من .

نفسه في تزييفهم فيما يتقلون أو اعتبارهم ؛ فليغفران طبائع في أخواله ترجع إليها  
الأخبار ، وتُحْمَلُ عليها<sup>(1)</sup> الروايات والآثار.

ثم إن أكثر التواريخ لهؤلاء عامة المناهج والمسالك ، لعموم الدولتين صدر  
الإسلام في الآفاق والممالك . وتناولها البعيد من الغايات في المآخذ والمشارك ؛ ومن  
5 هؤلاء من أوجب ما قبل الملة من الدول والأمم ، والأمر القم ، كالمسعودي ومن  
نحنا منحه .

وجاء من بغيرهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد ، ووقف في العموم  
والإحاطة عن الشأو البعيد ، فقيد شوارذ غرضه ، واستوعب أخبار أفيقه وقطره ،  
واقصر على أحاديث دولته ومضريه ، كما فعل ابن خيَّان مؤرخ الأندلس / والدولة [16]  
10 الأموية بها ، وابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدولة التي كانت بالقبروان .

ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلا مقلد ، ويليذ الطبع والفعل أو مثبِّل ، يُنسج  
على ذلك المنوال ، ويحتذي منه بالمثال ، ويذهل عما أحالته الأيام من الأحوال ،  
واستبدلت به من عوائد الأمم والأخيار . فيجلبون الأخبار عن الدول ، وحيكايات  
الوقائع في الفصور الأول ، صوراً قد تجردت من موادها ، وصفاً انتضبت من  
15 أعوادها ، ومعارف شئتكر للجهل بطايفها وتلايها . إنما هي حوادث لم تُعلم أصولها ،  
 وأنواع لم تُعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها ؛ يكررون في موضوعاتها الأخبار  
 المتداولة بأغانيها ، اتباعاً لمن غني من المتقدمين بشأنها ، ويغفلون أمر الأجيال  
 الثائثة في ديوانها ، بما أغور عليهم من نرجانها ؛ فنستفجم صُحفهم عن بيانها . ثم إذا

(1) ل: لب .

تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ النُّوَلَةِ نَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسَقًا، مُحَافِظِينَ عَلَى ثَقْلِهَا وَهَمًّا أَوْ صِدْقًا، لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَايَتِهَا، وَلَا يَذْكُرُونَ السَّبَبَ الَّذِي رَفَعَ مِنْ رَأْيِهَا، وَأُظْهِرَ مِنْ آيَتِهَا، وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا؛ فَيَبْتَنِي التَّاطُرَ مُتَطَلِّعًا بَعْدَ إِلَى مَبَادِيءِ الْأَحْوَالِ وَمَرَاتِبِهَا، مُفْتَشِّيًا عَنْ أَسْبَابِ تَزَاحُمِهَا أَوْ تَعَاقُبِهَا، بَاحِثًا عَنِ الْمُنْتَفِعِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُلِهَا؛ حَسْبَمَا نَذَكُرُ<sup>(1)</sup> ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مَقَدِّمَةِ الْكِتَابِ .

5

ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْاِخْتِصَارِ ، وَذَهَبُوا إِلَى الْاِكْتِفَاءِ بِأَسْماءِ الْمُلُوكِ وَالْاِقْتِصَارِ<sup>(ب)</sup> ، مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ ، مَوْضُوعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ [ب6] بِحُرُوفِ الْغُبَارِ ؛ كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ زَرْشِقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ ، وَمَنِ اقْتَفَى / هَذَا الْأَثَرَ مِنْ الْهَمَلِ . وَلَيْسَ يُغْتَبَرُ لَهُؤُلَاءِ مَقَالَ ، وَلَا يُعَدُّ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا اِثْبَاتٌ ، لَمَّا ذَهَبُوا بِالْفَوَائِدِ ، وَأَخْلَوْا بِالْمَذَاهِبِ الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ .

10

وَلَمَّا طَالَعْتَ كُتُبَ الْقَوْمِ، وَسَبَرْتَ غَوْرَ الْأُمَسِ وَالنُّوَمِ، تَبَهَّتُ عَيْنُ الْقَرِيحَةِ مِنْ سِينَةِ الْغَفْلَةِ أَوْ النَّوَمِ، وَنَمَتْ التَّضْيِيفُ مِنْ نَفْسِي - وَأَنَا الْمَقْلِسُ - أَحْسَنَ السُّوَمِ. فَأَنْشَأْتُ فِي التَّارِيخِ كِتَابًا، زَفَعْتُ فِيهِ عَنْ أَحْوَالِ النَّاشِئَةِ مِنَ الْأَخْيَالِ حِجَابًا، وَفَضَّلْتُهُ فِي الْأَخْبَارِ وَالْاِغْتِبَارِ تَابًا تَابًا، وَأَبْدَيْتُ فِيهِ لِأَوْلِيَةِ النُّوَلِ وَالْمُضَرَانِ عِلَلًا وَأَنْسَابًا، وَبَيَّنَّتهُ عَلَى أَخْبَارِ الْجِيلَيْنِ اللَّذَيْنِ عَمَرُوا الْمَغْرِبَ فِي هَذِهِ الْأَغْصَارِ، وَمَلَأُوا أَكْنَافَ الصَّوَاخِي مِنْهُ وَالْأَمْصَارِ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ النُّوَلِ الطُّوَالِ أَوْ الْقِصَارِ، وَمَنْ سَلَفَ لَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَنْصَارِ؛ وَهِيَ الْقَرْبُ وَالْبَرَزِيرُ؛ إِذْ هُمَا الْجِيلَانِ اللَّذَانِ عُرِفَ بِالْمَغْرِبِ مَأْوَاهُمَا، وَطَالَ فِيهِ عَلَى الْأَخْقَابِ مَثْوَاهُمَا، حَتَّى لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُ عَنْهُ

15

(1) ج: يَذَكُر (ب) ل: الْأَمْصَار .

مُنتَوَاهِمَا، ولا يَعْرِفُ أَهْلُهُ مِنْ أَجْيَالِ الْآدَمِيِّينَ سِوَاهُمَا. فَهَدَّبْتُ مَنَاجِيهَ<sup>(أ)</sup> تَهْذِيَاءَ، وَقَرَّبْتُهُ لِأَفْهَامِ الْعُلَمَاءِ وَالْخَاصَّةِ تَقْرِيَاءَ، وَسَلَكْتُ فِي تَبْوِيهِهِ وَتَرْتِيبِهِ مَسْلَكَ غَرِيْباً، وَاخْتَرَعْتُهُ مِنْ بَيْنِ الْمَنَاحِي مَذْهَباً عَجِيباً، وَطَرِيقَةً مُبْتَدَعَةً وَأَسْلُوباً، وَشَرَحْتُ فِيهِ مِنْ أَحْوَالِ الْغُفْرَانِ وَالْتِمَذُّنِ وَمَا يَغْرِضُ فِي الْاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِي مِنَ الْأَعْرَاضِ الذَّاتِيَّةِ مَا 5 يُنْتَعَكُ بِعِلَلِ الْكَوَائِنِ وَأَسْبَابِهَا، وَيَعْرَفُكَ كَيْفَ دَخَلَ أَهْلُ الدُّوَلِ مِنْ أَبْوَابِهَا، حَتَّى تَشْرَعَ مِنَ التَّقْلِيدِ يَدَكَ، وَتَقِفَ عَلَى أَحْوَالِ مَا<sup>(ب)</sup> قَبْلَكَ مِنَ الْأَيَّامِ وَالْأَجْيَالِ وَمَا بَعْدَكَ .

[17]

وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ ، / وَثَلَاثَةِ كُتُبٍ:

المُقَدِّمَةُ : فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ ، وَالْإِلْهَامِ بِمَقَالِطِ الْمُؤَرِّخِينَ .  
10 الْكِتَابُ الْأَوَّلُ : فِي الْغُفْرَانِ ، وَذَكَرَ مَا يَغْرِضُ فِيهِ مِنَ الْقَوَارِضِ الذَّاتِيَّةِ ، مِنَ الْمُلْكِ ، وَالتَّسْلُطَانِ ، وَالْكَنْسَبِ ، وَالْمَعَاشِ ، وَالصَّنَائِعِ ، وَالْعُلُومِ ، وَمَا لِلنَّاسِ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ .

الْكِتَابُ الثَّانِي : فِي أَخْبَارِ الْقَرَبِ وَأَجْيَالِهِمْ وَدَوْلِهِمْ مُنْذُ مَبْدَأِ الْخَلْقِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ .  
وَفِيهِ الْإِلْهَامُ بِبَغْضِ مَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَشَاهِيرِ وَدَوْلِهِمْ ، مِثْلَ 15 النَّبِطِ ، وَالسَّرِّيَاثِيِّينَ ، وَالْفَرَسِ ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالْقَيْطِ ، وَيُونَانَ ، وَالرُّومِ<sup>(ج)</sup> .

الْكِتَابُ الثَّلَاثُ : فِي أَخْبَارِ الْبَرَزِزِ ، وَمَنْ إِلَيْهِمْ مِنْ زَنَاتِهِ ، وَذَكَرَ أَوْلِيَّتَهُمْ وَأَجْيَالَهُمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ بِدْيَارِ الْمَغْرِبِ خَاصَّةً مِنَ الْمُلْكِ وَالدُّوَلِ .

(أ) ج. ع. : مباحته (ب) ج. : من (ج) في ع. ج. ، أضيف اسم: الترك .

ثم كانت الرحلة إلى المشرق، لاجتلاء أنواره، وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره، والوقوف على آثاره، في دواوينه وأشفاظه؛ فأفدت ما قصني من أخبار ملوك العجم بتلك الديار، ودُول التُّرك فيما ملكوه من الأقطار، وأنشئت بها ما كتبت في تلك الأساطير، وأدركتها في ذكر المعاصرين لتلك الأجيال من أُمم النواحي، وملوك الأمصار منهم والضواحي؛ سالكاً سبيل الاختصار والتلخيص، مُقتدياً<sup>(أ)</sup> بالمرام السهل من القويص، داخلاً من باب الأنساب على العموم إلى الأخبار على الخصوص. فاستوعب<sup>(ب)</sup> أخبار الخليقة استيعاباً، وذُلِّل<sup>(ج)</sup> من الحكم التافهة صعباً، وأعطى لحوادث الدول عللاً وأسباباً، وأضحى للحكمة صواباً وللتاريخ جراباً.

ولما كان مُشتملاً على أخبار العرب والبربر، من أهل المدي والوتر، والإللام [7ب] بمن عاصروهم من الدول الكبرى، / وأفصح بالذكرى والعبر، في مُبتدأ<sup>(ج)</sup> الأخوال 10 وما بعدها من الخبر، سميته :

كتاب<sup>(د)</sup> العبر، وديوان المُبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم<sup>(هـ)</sup>  
والبربر، ومن عاصروهم من ذوي السُلطان الأكبر

ولم أترك شيئاً في<sup>(د)</sup> أولية الأجيال والدول، وتفاصيل الأمم الأولى، وأنساب التصرف والجول، في القرون الحالية والمُثلل، وما يفرض في القُرآن من دولة 15

(أ) ج : مقتدياً (ب) في ج، ع: فاستوعب، وأذلل (ج) ل: مبادئ، وفي ع مثله، ومعدلة في الحاشية بخط المؤلف إلى: مبتدأ (د) في ج، ل: كتاب عنوان العبر (هـ) جاء اسم "العجم"، مستدرَكاً في حاشية ع بخط المؤلف، وسقط من ي (و) ل: من .

وملّة، ومدينةً وحلّةً ، وعِزّةً وذِلّةً ، وكثرةً وقلةً ، وعِلْمٌ وصناعةٌ ، وكُتُبٌ وإضاءةٌ، وأحوالٌ مُتَقَلِّبةٌ مُشاعّةٌ ، وبُذُوٌ وخَصَرٌ، وواقِعٌ ومُنْتَظَرٌ ، إلّا واشتوَعِبْتُ جُلَّةً ، وأَوْضَحْتُ بَراهِيتهُ وَعِلَلَهُ . فجاء هذا الكتابُ قَدْأَ بما ضَمَّنْتهُ من العلومِ الفَريَةِ، والحِكمِ المُحجَّجَةِ الفَريَةِ . وأنا من بَغْدَها مُوقِنٌ بِالقُصورِ ، بَيْنَ أَهلِ العُصورِ؛

5 مُعْتَرِفٌ بِالْعُجزِ عَنِ المُضَاءِ ، في مِثْلِ هذا القُضاءِ<sup>(أ)</sup> ، رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ اليَدِ البِيضاءِ ، والمَعَارِفِ المُتَّسِعَةِ القُضاءِ، النَظَرِ<sup>(ب)</sup> بَعَيْنِ الاِنتِقَادِ لَا بَعَيْنِ الاِزْتِضاءِ، والتَغَفُّدِ لِمَا يَغْتَرُونَ عَلَيْهِ، بِالِإِضْلَاحِ والإِغْضَاءِ . فَالْبُضَاءُ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ مُرْجَاةٌ، وَالِإِغْثَرَاؤُفِ مِنَ اللُّؤْمِ مُنْجَاةٌ، وَالْحَسَنِيُّ مِنَ الإِخْوَانِ مُرْتَجَاةٌ . وَاللّٰهُ أَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً لَوْحْمِهِ ، وَهُوَ خَشْيِي وَنِعَمِ الْوَكِيلِ.

- 10 • (ج) وَيَقْدُ أَنْ اسْتَوْفَيْتُ عِلَاجَهُ ، وَأَنْزَلْتُ مِشْكَاتَهُ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذْكَيْتُ سِرَاجَهُ، وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَرِيقَهُ وَمِنْهَاجَهُ، وَأَوْسَعْتُ فِي قُضَاءِ الْمَعَارِفِ نِطَاقَهُ، وَأَذْرَلْتُ سِيبَاجَهُ . طَلَفْتُ أَزْثَادَ لَهُ الْمَحَلَّ الَّذِي يَتَكَلَّفُ بِرِفْعَةِ شَأْنِهِ ، وَيُمَهِّدُ لَهُ أَكْنَافَ الرِّضَى وَالرِّضْوَانِ فِي مَقَاصِرِ إِبْوَانِهِ ، / وَيُثَبِّتُ لَهُ حُطُوطَ الْعِنَايَةِ فِي مَرَامِسِ دِيْوَانِهِ، وَيُحْجِيءُ لَهُ ذَخَائِرَ الْمُبَرَّةِ فِي مُودَعِهِ وَصَوَانِهِ. فَتَرَجُّهُ بِأَحْسَنِ شَيْئَانِهِ، وَذَعْوَتُهُ بِالطَّاهِرِيِّ،
- 15 اسْتِيقَافاً مِنْ أَشْرَفِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَجَلِيلَةٍ تُضْفِي مَلَائِسَ السَّعَادَةِ وَالتَّبَحُّثِ مِنْ سَعَادَةِ هَذَا اللَّقَبِ وَسِمَاتِهِ ؛ أَفْتَدَاءً بِمَنْ سَلَفَ قَبْلِي فِي نَسَبِ الْكِتَابِ إِلَى صَاحِبِ عَصْرِهِ مِنَ الْمُلُوكِ وَمِيقَاتِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ آيَاتُهُمْ فِي الْمُلْكِ دُونَ آيَاتِهِ . وَجَلَّوَتْهُ فِي

(أ) كَذَا فِي ط.ع.ي. وَفِي ل.ح. النِّصَاءِ (ب) ع.ح. فِي النِّظَرِ (ج) مِنْ هُنَا إِلَى آخِرِ نَصِّ الْإِهْدَاءِ الْمَحْصُورِ بَيْنَ النِّجْمِينَ، ثَمَّ تَقَرَّرَتْ بِهِ نَسْخَةُ الظَّاهَرِيِّ "ط".

مواقفه الشريفة مُلتَمِحاً أشيعة القبول من لحظاته السعيدة ولمحاته ، فصار اسمه :

الظاهرِي في العِبرِ ، بأخبار العرب والعجم والبربر

وأهديته إلى خزانته العالية ، وإنه من بغيه وحسناته ، وما أعان عليه كفايته  
المُهم ، حتى تفرغت لتدوينه وإثباته ، وجمع مُفترقه ونظم شتائه ، وصان ونهي عن  
ابتذاله للخلق والنفاه ، ونعمني بما يغجز الشكر من جزيل هباته ، فأنا أبوء بِنِعْمته 5  
لمن يُجاري المُخِيس على ذرّاته ، فضلاً عن ثوابه ، وأتمهل بالدعاء له ابتهاج المخلص  
في غزواته ، وهو مولانا السلطان الملك الظاهر ، العزيز القاهر ، العادل الظاهر ،  
القائم بأمر المسلمين عندما أغيا حملها الأكتاد ، وقطب دائرة الملك الذي أطلع  
الله من حاشيته الأبدال وأثبت الأوتاد ، ومُنِيق أسواق العز بما أنفق فيها ، من  
جميل نظره ، المذخور والعتاد ، رحمه الله الكافله للخلق ، ويداه المنبسطتان بالأجل 10  
والرزق ، وظله الواقي للعباد بما اكتنفهم من العدل والحق ، قاصم الجبارة ، والمعفي  
على آثار الأعظم من القياصرة ، وذوي التيجان من التبابعة والأكاسرة ، أولي  
الأقيال والأساورة ، وحائز قصب السبق بين الملوك عند المناصلة والمفاخرة ،  
ومفوض الأمور بإخلاصه إلى ولي الدنيا والآخرة ، الذي استوى بغزوه الثاقب ،  
وزأيه الكريم المناقب ، الحميد العواقب ، على كرسي الملك ، وانتظمت عُقود 15  
[ب8] / التول في لبّات الأيام فكانت ذولته واسطة السلك ، وجمع الله له الدين بولاية  
الحرمين ، والدنيا بسُلطان الترك ، وأجزى له أنهار مضر الماء والمال فكان فخاره  
فيها بالعدل في الأخذ والترك ، وجمع عليه قلوب العباد فشهد سيرها بمحبة الله له  
شهادة خالصة له من الرّيب بريئة من الشك . مؤيد كلمة المُؤخدين ، ورافع دعائم

الدين ، وظهر خلافة المؤمنين ، سلطان المسلمين أبو سعيد صدق الله فيما  
يبتغي من الله ظنونه ، وجعل التصرّ ظهره كما جعل السعد قرينه ، والعزّ حدينه ،  
وكان وليه على القيام بأمر المسلمين ومعيته ، وبلغ الأمة في اتصال إمامه ودوام  
سلطانه ما يزوجونه من الله ويؤملونه. والمواقف السلطانية - إن شاء الله - بنظرها  
5 الشريف ، وقضيلها الغني عن التعريف ، تُوطيء له من القبول مهاداً ، وتُسيخ له في  
جانب الرضوان آماداً ، فتوضح له أدلة على الولاء والخلوص وإشهاداً ، ففي سويقها  
تتفق بضائع الكتاب ، وعلى خضرتها تفكك زكائب العلوم والآداب ، ومن مدد  
بصائرنا المنيرة نتائج القرائح والألباب .

وأنا وإن كنت بقصور البضاعة ، متأخراً عن الجماعة ، وشعود الهمة ، عيلاً  
10 على الأئمة ، فسنفحهم يغطي ويلجف ، ومواهب العفو والتجاوز يتجف ، وإنما هي  
رحمة من مولانا السلطان تحص كما تتم ، وتتحو شعث الإغفال والإهمال وتلم ،  
وتكبل مواهب عطفه وجبره وتلم ؛ وقد ينتظم الدر مع المزجان ، وتلتبس الغصائب  
بالتيجان ، وتراض العراب المسومة على مسابقة الهجان ، / والكّل في نظر مولانا  
[19] السلطان وتضريه ، والأهلية بتأهيله والمعرفة بتغريه ، وقوام الحياة والآمال بلطائف  
15 إحصائه وضمونه . والله يوزعنا شكر مغروفه ، ويحيي جباه من غير الدهر وصروفه ،  
ويقي على ممالك الإسلام ظلال أغلامه ورماحه وسيوفه ، ويبره قرة العين في  
نفسه وبنيه وحاشيته وذويه وخاصته ولغيره ؛ بمن الله وفضله •<sup>(1)</sup>

(1) انتهى نص الإهداء الذي تردت به نسخة ط .



فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ، وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ، وَالْإِنْمَاعِ بِمَا يَغْرِضُ  
لِلْمُؤَرِّخِينَ مِنَ الْمَغَالِطِ وَالْأَوْهَامِ، وَذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا

اعْلَمْ أَنَّ قَنَ التَّارِيخِ مِنْ عَزِيزِ الْمَذْهَبِ ، جَمُّ الْفَائِدَةِ ، شَرِيفُ الْغَايَةِ ؛ إِذْ هُوَ  
يُوقِنُ عَلَى أَحْوَالِ الْمَاضِينَ مِنَ الْأُمَمِ فِي أَخْلَاقِهِمْ ، وَالْأَنْبِيَاءِ فِي سِيَرِهِمْ ، وَالْمُلُوكِ فِي  
دَوْلِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ ؛ حَتَّى يَتِمَّ فَائِدَةُ الْاِفْتِدَاءِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ يَرُومُهُ فِي أَحْوَالِ الدِّينِ  
وَالدُّنْيَا . فَهُوَ مُخْتِاجٌ إِلَى مَا خِذَ مُتَعَدِّدَةً ، وَمَعَارِفَ مُتَنَوِّعَةً ، وَحُسْنِ نَظَرٍ وَثَبَّتٍ ،  
يُفْضِيَانِ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْحَقِّ ، وَيُنَكِّبَانِ بِهِ عَنِ الْمَزَلَّاتِ وَالْمَغَالِطِ ، لِأَنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا  
اعْتَمِدَ فِيهَا مُجَرَّدُ الثَّقَلِ ، وَلَمْ تُحْكَمْ أَصُولُ الْعَادَةِ وَقَوَاعِدُ السِّيَاسَةِ وَطَبِيعَةُ الْعُمُرَانِ  
وَالْأَحْوَالِ فِي الْاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ ، وَلَا قِيَاسُ الْغَائِبِ مِنْهَا بِالشَّاهِدِ ، وَالْحَاضِرُ 10  
بِالْمَذَاهِبِ ، فَزَيَّأَ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهَا مِنَ الثُّورِ ، وَمَزَلَّةُ الْقَدَمِ ، وَالْحَيْدُ عَنْ جَادَةِ الصَّدْقِ .

وَكَثِيرًا مَا وَقَعَ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَأَيُّمَةَ الثَّقَلِ الْمَغَالِطُ فِي الْوَقَائِعِ ، لِاعْتِمَادِهِمْ  
فِيهَا عَلَى مُجَرَّدِ الثَّقَلِ غَنًّا أَوْ سَمِينًا ، لَمْ يَغْرِضُوهَا عَلَى أَصُولِهَا ، وَلَا قَاسُوهَا  
بِأَشْبَاهِهَا ، وَلَا سَبَّرُوهَا بِمِغْيَارِ الْحِكْمَةِ ، وَالْوَقُوفِ عَلَى طَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ ، وَتَحْكِيمِ النَّظَرِ  
وَالْبَصِيرَةِ فِي الْأَخْبَارِ . فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ ، وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ الْوَهْمِ وَالْغَلْطِ ؛ سَيِّئًا فِي 15

إخفاء الأغداد والأموال والفساكر إذا عَرَضَتْ في الحكايات، إذ هي مَطْئَةُ الكَذِبِ وَمَطِئَةُ الهَذَرِ، ولا بُدَّ من رَدِّها إلى الأصول، وعَرَضُها على القواعد .

وهذا كما نَقَلَ المَسْعُودِيُّ<sup>(1)</sup> / وكثيرٌ من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل ، وأن [10] موسى ، عليه السَّلامُ ، أخصاهم في التَّيِّه بعد أن أجازَ من يُطِيقُ حَمْلَ السَّلاحِ ، خاصَّةً من ابنِ عِشرين فما فَوْقَها ، فكانوا سِتِّماتَةَ أَلْفٍ أو يَزِيدُونَ . 5

ويَذْهَلُ في ذلك عن تَقْدِيرِ مَضَرِّ والنَّشَامِ واتِّساعِها لمثل هذا العَدَدِ من الجيوش ، فكلُّ مملكةٍ من الممالك حِصَّةٌ من الحامية تَنسَعُ لها، وتَقومُ بوظائفها ، وتَضيقُ عَمَّا فَوْقَها ؛ تَشْهَدُ بذلك العوائدُ المعروفةُ والأحوالُ المألوفةُ .

ثم إنَّ مثلَ هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العَدَدِ ، يَنبَغُ أنْ يَتَّعَ بينها 10 رَخَفٌ أو قِتالٌ لضيقِ ساحةِ الأرضِ غَناها ، ويُعَدِّها إذا اضْطَلَّتْ عن مَدَى البَصَرِ مَرَّتَيْنِ وثلاثاً أو أزيدَ ؛ فكيف يَفْتَتِلُ هذانِ الفَرِيقانِ ، أو تَكُونُ غَلْبَةُ أَحَدِ الصَّفَيْنِ ، وشيءٌ من جوانبه لا يَشْعُرُ بالجانبِ الآخرِ ؟ والحاضِرُ يَشْهَدُ لذلك ؛ فالماضي أَشْبَهُ بالآتي من الماءِ بالماءِ .

ولقد كان مُلْكُ الفُرسِ ودَوْلَتُهُم أعظَمُ من مُلْكِ بني إسرائيلَ بكثيرٍ؛ يَشْهَدُ 15 لذلك ما كان من غَلَبِ مُجْتَنِّصٍ لَهُم ، والتهامِهِ بلادَهُم ، واستيلائِهِ على أَمْرِهِم ، وتَحْرِيبِ بَيْتِ المَقْدَسِ قاعِدَةً يَلْتَمِسُ وسُلْطانَهُم ، وهو من بَغْضِ عَمالِ مَمْلَكَةِ فارسٍ؛ يُقالُ إنَّه كان مَرْزُبَانِ المَغْرِبِ من نَحْوِها . وكانت تَمالِكُهُم بالعِراقَيْنِ وَخُرَاسَانَ وما

---

(1) مروج الذهب 1: 54 (87) و 2: 369 (1347) يذكر أن جميع من كان مع بني إسرائيل في التَّيِّه سِتِّماتَةَ أَلْفٍ بالغٍ في آخِرِينَ .

وراء النهر والأبواب أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير. ومع ذلك فلم تبلغ جيوش  
 الفرس قط مثل هذا العدد ولا قربنا منه. وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة  
 وعشرين ألفاً كلهم متبوع ، على ما نقله سيف ؛ قال : وكانوا في أتباعهم / أكثر من  
 مائتي ألف. وعن عائشة<sup>(1)</sup> والزهرى: أن جموع رستم التي زحف بها لسد القادسية  
 إنما كانوا سبعمائة ألفاً ، كلهم متبوع .

5

وأيضاً ، فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد ، لانتفع بطائفة ملوكهم وانقح  
 مدى دولتهم ؛ فإن الغلات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها  
 في قوتها وكثرتها؛ حسبما يتبين في فضل الممالك من الكتاب الأول. والقوم لم تلبس  
 ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام ، وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز ، على  
 ما هو المعروف .

10

وأيضاً فالذي بين موسى وإسرائيل إنما هو ثلاثة آباء على ما ذكره المحققون؛  
 فإنه موسى بن عمران بن قاهث بفتح الهاء أو كسرهما ، ابن لاوي بكسر اللام أو  
 فتحها ، ابن يعقوب ، وهو إسرائيل الله ، هكذا نسبته في التوراة؛ والمدة بينهما على  
 ما نقله المسعودي<sup>(2)</sup> ، قال: دخل إسرائيل بمصر مع ولده الأشباط وأولادهم حين أتوا إلى  
 يوسف ، سبعين نفساً؛ وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى ، عليه السلام ،

15

(1) الطبري 3: 505 وفيه سند سيف بن عمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، ولم وقف على خبر  
 الزهرى.

(2) لم يرد في الموجز هذا الخبر عن مقام إسرائيل وأولاده الأشباط في مصر إلى خروجهم إلى أبيه . وأشار أنه أتى  
 على خبر يوسف في الكتاب الأوسط فقد يكون فيه . ونسخته غير موجودة . مروج الذهب 2: 86  
 (809).

إلى التيه ، مائتين وعشرين سنة ، يتداولهم ملوك القبط من الفراعنة؛ ويتبعُد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل ذلك العدد .

وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده ، فبعيد أيضاً ؛ إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أباً ؛ فإنه سليمان بن داود ، بن إيشاي ، بن عوبد ، ويقال عوفد ، بن باعز ، (ويقال بوعز)<sup>(أ)</sup> بن شلمون بن تخشون ، ابن عييناذب ويقال حييناذب<sup>(ب)</sup> بن دام<sup>(ج)</sup> بن خضرون<sup>(د)</sup> ويقال خسرون ، بن بارز ، ويقال بيرس ، بن يهوذا ، بن يعقوب . ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد / إلى مثل هذا العدد الذي زعموه ؛ اللهم إلى الميتين والألوف<sup>(هـ)</sup> فربما يكون ؛ [11]

وأما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فبعيد .

10 واعتبر ذلك في الحاضر الشاهد والقريب المعروف ، تجذ زعمهم باطلاً وتلهم كاذباً ؛ والذي ثبت في الإسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفاً خاصة ، وأن مقرباته<sup>(و)</sup> كانت ألفاً وأربعمائة فرس مرتبطة على أبوابه<sup>(ز)</sup> . هذا هو الصحيح من أخبارهم ، ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم ، وفي أيام سليمان عليه السلام كان عُنْفُون دُولتهم وآسَاع مُلْكهم .

15 هذا ، وقد تجذ الكافة من أهل العصر إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر البؤل التي لعنهم أو قريتا منه ، وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى ، أو أخذوا في إخفاء أموال الجبايات وخرج السلطان ، وشققا الترفين وتضائع الأغنياء

(أ) من ل (ب) في ل مكته ، ويقال: بجاء مكان العين المعجمة أوله (ج) في ل: رام (د) في: ي ل ج ع: خضرون (هـ) ي ل: الألف (و) ظ ، بتشديد الراء المفتوحة خطأ (ز) في ج: إيوانه .

الموسرين؛ ترفعوا في الغد، وتجاوزوا حدود العوائد، وطلّوعوا وسائس الإغراب.  
 فإذا استكشف أصحاب التواوين عن عساكرهم، واستنطت أحوال أهل الثروة  
 في بضائعهم وقوائدهم، واستجلبت عوائد المترفين في ثقافتهم، لن تجد مفسار ما  
 يعدونه . وما ذلك إلا لولوع النفس بالغرابة ، وسهولة التجاوز على اللسان، والغفلة  
 عن المعقب والمتنقذ؛ حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد، ولا يطالبها في الخبر 5  
 بتوسط ولا عدالة، ولا يرجعها إلى بحب وثقتيش؛ فيرسل عنانه، ويسم في مراتع  
 الكذب لسانه، ويشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الحق؛ وخسبك بها صفقة  
 خاسرة .

[وقد يقال إن العوائد إنما تمنع من نمو الذرية إلى مثل هذا العدد في غير  
 بني إسرائيل، لأن ذلك كان معجزة على ما قيل أنه كان فيما أوجي إلى آباءهم من 10  
 الأنبياء، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله عليهم، أن الله يكثر ذريتهم حتى  
 تكاثر نجوم السماء وخصى الأرض؛ وأنجز الله لهم هذا الوعد كرامة لهم <sup>(1)</sup>، ومعجزة  
 خارقة للعادة في حقهم، فلا تقترضه العوائد، ولا يطلع فيه .

وهو وإن كان أحق بالظعن على خبر ذلك ، وأنه إنما زرد في التوراة،  
 واليهود قد بدلوها على ما هو معروف، فالقول بهذا التبدل مرجوح عند المحققين، 15  
 وليس على ظاهره، لأن العادة مانعة من اعتماد أهل الأديان ذلك في صحتهم  
 الإلهية، كما ذكره البخاري في صحيحه . فيكون هذا النمو الكثير في بني إسرائيل  
 معجزة خارقة للعادة، وتبقى العادة مانعة من ذلك في غيرهم على حكم دلالتها.

(1) في الأصل ع : ٣٣

وأما استبعاد الرّخف بينهم فصحيح، لكنه لم يقع ولم تدعُ إليه حاجة. واختصاص كل مملكة بقديها من الحامية صحيح، وبنو إسرائيل لم يكونوا أولاً حامية، ولم تكن لهم دولة، وإنما نفوا هذا الثّمّو ليشتموا [لوا] على أرض كنعان التي وعدهم الله بها، وظهر لهم بقعتها؛ وكلّ هذه معجزات. والله الهادي إلى الحق<sup>(1)</sup>.

- 5 ومن الأخبار الواهية للمؤرخين، ما ينقلونه كافة في أخبار التّبايعه مملوك اليمن وجزيرة العرب، أنهم كانوا يغفرون من قرارهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب، وإلى الترك وبلاد الثّبت من بلاد المشرق، وأن إفريقيس بن قيس بن ضيفي من أعظم ملوكهم الأول، وكان لعهد موسى، عليه السلام، أو قبله بقليل، غزا إفريقية وأنحن في البربر، وأنه الذي ستمهم بهذا الاسم حين سمع زطانتهم، وقال: 10 ما هذه / البربر؟! فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا من يومئذ به<sup>(ب)</sup>؛ وأنه لما انصرف [11ب] عن المغرب، جمر هنالك قبائل من خمير فأقاموا بها [واختلطوا بأهلها]<sup>(ج)</sup>، ومنهم صنهاجة وكثانة. ومن هذا ذهب الطبري<sup>(1)</sup> والجرجاني<sup>(2)</sup> والمنسعودي<sup>(3)</sup> وابن الكلبي<sup>(4)</sup> والبيهقي إلى أنّ صنهاجة وكثانة من جمر؛ وأباه نسابه البربر، وهو الصحيح.

(1) علّق ابن خلدون بخطه إضافة مطوّلة في حاشية ع (عاطف مصطفى)، ثم ألغى أكثرها بالقطب. واستحق هذا النص. وأشار إلى موقعه بعلامة الإخراج الموهمة إليه. والمؤكد أن المؤلف كتب هذا بعد نهاية القرن الثامن؛ لأن الأصول المتعددة الأخرى لم تنتقل عنه. وظهر في نسخة التيجورية التي نقلت الأصول ع متأخراً، وفي بعض التعريف في القراءة. وأخطأت في ربط هذه الزيادة بموقعها، فأخرجتها في الحاشية (التيجورية 15) (ب) في ل ع ج: به من يومئذ (ج) من ع ل ج .

(1) تاريخ الطبري 1 : 442 .

(2) المروج 2 : 244 (1104) ذكر أنهم اتجهوا إلى المغرب بعد الطوفان .

(3) ابن السائب الكلبي : نسب معد واليمن الكبير 2 : 548 .

وذكر المسعودي<sup>(1)</sup> أيضاً أن ذا الأذعار من ملوكهم بعد إفريقس ، وكان على عهد سليمان [عليه السلام]<sup>(2)</sup> غزا المغرب ودوّخه ؛ وكذلك ذكر<sup>(2)</sup> مثله عن يابسر ابنه من بعده ، وأنه بلغ وادي الرّمل من بلاد المغرب ، ولم يجد فيه مسلكاً لكثرة الرّمل ، فرجع .

- وذلك يقولون في تجميع الآخر<sup>(3)</sup> ، وهو أسعد أبو كرب ، وكان على عهد 5  
يستاسب من ملوك الفرس الكينية ، إنه ملك الموصل وأذربيجان ، ولقي الترك فهزّمهم وأنّخس فيهم ؛ ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك ، وإنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيهِ إلى بلاد فارس ، وإلى بلاد الصغد من أمم الترك فيما وراء النهر ، وإلى بلاد الروم ؛ فلما بالاول البلاد إلى سمرقند ، وقطع المفازة إلى الصين ، فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى الصغد قد سبقه إليها ، فأتحّنا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنام ، 10 وتركوا في بلاد الثبت قبائل من جبر<sup>(4)</sup> ، فهم بها لهذا العهد ، وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فحاصرها ودوّخ بلاد الروم ، ورجع .

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، وعريقة<sup>(ب)</sup> في الوهم والغلط ، وأشبهُ بأحاديث القصص الموضوعة .

(1) من ع (ب) واو المطف سائفة في ع .

(1) المروج 2: 197 (1002) .

(2) المصدر نفسه 2: 209 (1028) ، والطبري 1: 566 قال: فرم أهل اليمن .

(3) تاريخ الطبري 1: 566 .

(4) المصدر نفسه 1: 567 .

وذلك أن مُلْكَ التَّابِيعَةِ إِنَّمَا كَانَ بِجَزِيرَةِ الْغَرْبِ، وَقَرَارِهِمْ وَكُرْسِيِّهِمْ بِضَنْعَاءِ  
الْيَمَنِ، وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ مُحِيطٌ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا: فَبَحْرُ الْهِنْدِ مِنَ الْجَنُوبِ؛  
وَبَحْرُ فَارِسَ، الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ، مِنَ الْمَشْرِقِ؛ وَبَحْرُ السُّوَيْسِ، الْهَابِطُ مِنْهُ  
أَيْضاً إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَغْمَالِ مِصْرَ، مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ؛ كَمَا تَرَاهُ فِي مُصَوِّرِ جُغْرَافِيَا؛  
5 فَلَا يَجِدُ السَّالِكُ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقاً مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ، وَالْمَسْلُوكُ هُنَاكَ  
مَا بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ / قَدْرُ مَرَحَلَتَيْنِ فَمَا دُونَهَا. وَيَتَعَدَّى أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا  
الْمَسْلُوكِ مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْفُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَقْصِرَ مِنْ أَغْمَالِهَا؛ هَذَا مُمْتَنِعٌ فِي  
الْعَادَةِ، وَقَدْ كَانَ بَتْلَكُ الْأَغْمَالِ الْعَمَالِقَةُ وَكُنْعَانُ بِالشَّامِ، وَالْقَبْطُ بِمِصْرَ. ثُمَّ مَلِكُ  
الْعَمَالِقَةِ مِصْرَ وَمَلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الشَّامَ؛ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّابِيعَةَ حَازِبُوا أَحَداً مِنْ  
10 هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ، وَلَا مَلَكَوا شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الْأَغْمَالِ.

وَأَيْضاً فَالشَّقَّةُ مِنَ [الْيَمَنِ] <sup>(1)</sup> إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ، وَالْأَزُودَةُ وَالْعُلُوفَةُ  
لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ؛ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَغْمَالِهِمْ اخْتَجَبُوا إِلَى انْتِصَافِ الزُّرُوعِ وَالتَّعَمُّ  
وَانْتِهَابِ الْبِلَادِ فَمَا يَمْرُونَ عَلَيْهِ. وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لِلْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَةِ عَادَةً؛ وَإِنْ نَقَلُوا  
كِفَافَتَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَغْمَالِهِمْ، فَلَا تَقِي لَهُمُ التَّوَاجِلُ بَثْلَهُ؛ فَلَا بُدَّ وَأَنْ يَمُوتُوا فِي  
15 طَرِيقِهِمْ كُلُّهَا بِأَعْمَالٍ قَدْ مَلَكَوْهَا وَدَوَّخَوْهَا، لِتَكُونَ الْمِيرَةُ مِنْهَا. وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ  
الْعَسَاكِرَ تَمُرُّ بِهَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهْجِيَهُمْ فَتَحْصُلُ لَهُمُ الْمِيرَةُ بِالمُسَالَمَةِ، فَذَلِكَ  
أَيْضاً أَبْعَدُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعاً، فَدَلٌّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَاهِيَةٌ أَوْ مَوْضُوعَةٌ.

(1) من: ل ج ح. وفي ظ: البحر.



وأما وادي الرّمل الذي يُعجزُ السالك ، فلم يُسمع قطّ ذكره في المغرب على كثرة سالكه، ومن قَصَّ طُرُقَه من الرّكّاب والغزّى في كلّ غَصْر وكلّ جهة ؛ وهو على ما ذكروه من الغرابة مما توفّر الدواعي على نقله .

وأما غَزْوُهم بلاد المشرق وأرض التّرك، وإن كانت طريقه أوسع من منسلك السّويس ، إلا أن الشّقة هنا أبعد ، وأتمّ فارس والروم مُغترضون فيها دون التّرك . 5 ولم يُنقل قطّ أن التّبايعَة مَلَكَوا بلادَ فارس ولا بلادَ الروم ؛ وإنّما كانوا يُحاربون أهلَ فارس على حدود أرض العراق وبلاد الغزب ، ما بين البخرين والحيرة، للمُناخَة بينهما في الأغمال . وقد وقع ذلك بين ذي الأذعار [منهم] <sup>(أ)</sup> وكيقاس من ملوك الكينية ، وبين سُبج الأصغر أبو كريب <sup>(ب)</sup> ، ويستاسب منهم أيضاً، ومع ملوك الطّوائف بعد الكينية والسّاسانية من بغداد؛ مُجاوِزة التّبايعَة أرض فارس بالغزو 10 [12ب] / إلى بلاد التّرك والتّثبت مُفتنِع عادةً، (من أجل الأمّ المُغترضَة دونهم) <sup>(ج)</sup>، والحاجة <sup>(د)</sup> إلى الأزودة والغلوفات، مع بُعد الشّقة كما مرّ. فالأخبارُ بذلك واهيةٌ مُدخولةٌ، وهي لو كانت صحيحة الثّقل لكان ذلك قادحاً فيها؛ فكيف وهي لم تُنقل من وَجِهٍ صحيح.

وقول ابن إسحاق <sup>(1)</sup> [في خبر يُرب والأوس والخزرج] <sup>(هـ)</sup> أن تبعاً الآخر سار إلى المشرق محمولاً على العراق وبلاد فارس . وأما بلاد التّرك والتّثبت فلا 15 يصحّ غَزْوُهم إليها بوجهٍ لما تَقَرّر. فلا تَبَيّنُ بما يُلقي إليك من ذلك، وتأمل الأخبار

(أ) من: ع (ب) كذا في الأصول على بناء اسم على الرفع (ج) من: ع (د) في ط: بالحاجة (هـ) من: ج ل .

(1) السير والمغازي 52 .

واغريضا على القوانين الصحيحة يَقَعُ لك تَمْحِصُهَا بأحسن وجهه. والله الهادي إلى الصواب.

## 1. [ فَضْلٌ <sup>(١)</sup> ] :

وأبعدُ من ذلك وأغرقُ في الوهم ، مَا يَتَنَاقَلُهُ الْمُسْتَرُونَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ  
5 الفجرِ، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَكْنِمْ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ [سورة الفجر،  
الآية 6، 7]، فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرْمَ اسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصِفَتْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الْعِمَادِ، أَيْ الْأَسَاطِينِ.  
وَيَقُولُونَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ إِرْمَ ابْنَانِ، هُمَا شَدِيدٌ وَشَدَادٌ، مَلَكًا مِنْ بَعْدِهِ،  
وَهَؤُلَاءِ شَدِيدٌ فَخْلَصَ الْمَلِكُ لَشَدَادٍ، وَذَانَتْ لَهُ مُلُوكُهُمْ. وَسَمِعَ وَضَعَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ:  
لَأُبْنِيَنَّ مِثْلَهَا ؛ فَبَنَى مَدِينَةً إِرْمَ فِي صَحَارَى عَدَنَ فِي مُدَّةِ ثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ ، وَكَانَ عُمْرُهُ  
10 تِسْعِمِائَةِ سَنَةٍ . وَإِنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ ، فُصُورُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَأَسَاطِينُهَا مِنْ  
الزَّيْزَجِّدِ وَالْيَاقُوتِ، وَفِيهَا أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ الْمَطْرَدَةِ؛ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا  
بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيْحَةً مِنْ  
السَّمَاءِ ، فَهَلَكُوا. ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ <sup>(١)</sup> وَالتَّعَالِي <sup>(٢)</sup> وَالزَّمَخْشَرِيُّ <sup>(٣)</sup> ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ  
الْمُفَسِّرِينَ.

(١) سقط هذا الفصل من الظاهري ، وأثبت في : ل ج ع ي .

(١) جامع البيان 30 : 212 وما بعدها .

(2) كذا في الأصول، ويعني به أحد بن محمد بن إبراهيم التلمبي النيسابوري، المفسر المتوفى سنة 427هـ /

1035م ، وتفسيره الكشف والبيان في تفسير القرآن ، غير مطبوع .

(3) الكشاف عن حقائق التنزيل 4 : 750 - 751 .

وينقلون عن عبد الله بن قِلَابَةَ<sup>(1)</sup> من الصَّحَابَةِ، أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا، وَحَمَلَ مِنْهَا مَا قَدَّرَ عَلَيْهِ، وَبَلَغَ خَبْرَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَأَخْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ؛ فَبَحِثَ عَنْ كَغَبِ الْأَخْبَارِ وَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: هِيَ إِزْمٌ ذَابَتِ الْعِمَادُ، وَسَيَذْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي زَمَانِكَ، أَحْمَرُّ أَشْقَرِ قَصِيرٍ، عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ، وَفِي عُنُقِهِ خَالٌ، يُخْرِجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ؛ ثُمَّ التَفَّتْ فَأَبْصَرَ ابْنَ قِلَابَةَ فَقَالَ: هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ 5 الرَّجُلُ. انْتَهَى.

وهذه المدينة لم يُسَمَّعْ لَهَا خَبَرٌ مِنْ يُؤْمَنُ فِي شَيْءٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ، وَصَحَّارَى عَدَنَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بُنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ الْيَمَنِ، وَمَا زَالَ عُمَرَاءُ مُتَعاقِبِينَ وَالرَّكَّابُ وَالْإِدْلَاءُ تَنْفُضُ طُرُقَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ؛ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبَرٌ، وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنَ الْأُمَمِ. وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دَرَسَتْ فِيهَا دَرَسٌ مِنْ 10 الْآثَارِ لَكَانَ أَشْبَهَ، إِلَّا أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ أَنَّهَا مُوجُودَةٌ. وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ؛ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادٍ مَلَكَوْهَا. وَقَدْ يَنْتَهِي الْهَذَا يُبْغِضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ عَنِ الْجِسِّ، وَإِنَّمَا يَفْتَرُّ عَلَيْهَا أَهْلُ الرِّيَاضَةِ أَوْ الشَّحَرَةِ؛ مَزَامُ كُلِّهَا شَبِيهَةٌ بِالْخُرَافَاتِ.

وَالَّذِي حَمَلَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى ذَلِكَ، مَا اقْتَضَتْهُ صِنَاعَةُ الْإِغْرَابِ فِي لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ، مِنْ أَنَّهَا صِفَةٌ إِزْمٍ، وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ بِنَاءٌ؛ 15 وَزُجِّعَ لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ الزَّيْرِ: عَادِ إِزْمٍ، عَلَى الْإِضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَتْوِينٍ. ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ الْحِكَايَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْأَقَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ، [وَأَقْرَبَ لَتَفَاسِيرِ

(1) ليس بصحابي، وقد وهم المؤلف فيه، وهو يعني به عبد الله بن زَيْدِ بْنِ عَمْرِو الْجَزَمِيِّ، أَبَا قِلَابَةَ الْبَصْرِيِّ، تَابَعِيَ مَاتَ بِالسَّامِ سَنَةَ 104 هـ (تهذيب الكمال 14: 542، تهذيب 304).

سَيَقَوِّيه<sup>(١)</sup> المنقولة في عداد المضحكات ؛ وإلا فالعباد هي عباد الجيام ، وإن أريد بها الأساطين فلا يذع في وصفهم بأنهم أهل بناء وأساطين على العوم ، بما اشتهر من قوتهم ؛ لا أنه بناء خاض في مدينة معيثة أو غيرها . وإن أضيفت كما في قراءة ابن الزبير ، فعلى إضافة الفصيلة إلى القبيلة ، كما تقول : قريش كنانة ، والياس 5 مضر ، وزبيعة نزار ؛ من غير ضرورة إلى هذا المخمل البعيد الذي يجلب لتوجيه أمثال هذه الحكايات الواهية التي تتره كتاب الله [تعالى]<sup>(ب)</sup> عن مثلها ، لبغدها عن الصحة [ج] .

ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين ، ما يتقلونه كافة في سبب نكبة الرشيد للبرامكة ، من قصة العباسة أخته مع جعفر بن يحيى بن خالد مولاة ، وأنه يكلفه 10 بمكانها من مغافرة إياها الحفر ، أذن لها في عقد النكاح دون الخلوة ، جزصاً على اجتماعها في مجلسه ، وأن العباسة تحيلت عليه في التماس الخلوة به ، لما شغفها من حبه ، حتى واقفها - زعموا في حالة سُكْرٍ - فحملت ، ووُشي بذلك للرشيد ، فاستغضب .

وهيات ذلك من منصب العباسة في دينها وأبوتها وجلالها ، وأنها بنت عبد 15 الله بن عباس ، ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال ، هم أشراف الدين وعظماء الملة من بعده ؛ العباسة بنت محمد المهدي ، ابن عبد الله ، أبي جعفر المنصور ، ابن محمد السجاد ، ابن علي أبي الخلفاء ، ابن عبد الله تَزْجَان القرآن ، ابن العباس عم النبي ﷺ ؛ بنت خليفة أخت خليفة ، محفوفة بالملك العزيز والخلافة النبوية وصحبة

(١) من : ل ج ح . وسقط من ي ظ (ب) من : ل (ج) نهاية سقط الظاهري المستكمل من : ل ج ع ي .

- الرسول ومُؤمَمِيه ، وإمامة المِلَّة ونورِ الوُحي ومُهبطِ الملائكة من سائر جهاتها ؛  
 قريَّة عَهْدِ بِنْدَاوَةِ الغُروبيَّة وسِداجَةِ الدِّين ، البعيدة عن عَوَائِدِ التَّرفِ ومَراتعِ  
 الفَواجِش . فَأَيُّ يَطْلُبُ الصُّوْنُ والعَافُ إِذَا ذَهَبَ عَنْهَا ؟ أَوْ أَيْنَ تَوَجَّدَ الطَّهارةُ  
 والزَّكَاةُ إِذَا فُيِّدَ مِنْ بَنِيهَا ؟ وكيف ثُلُجِمَ نَسَبُهَا بِجَنَفِ بْنِ يَحْيَى وتُدَنَسَ شَرَفُهَا بِالْعَرِيِّ  
 بِمَوْتَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ ؟! تَمَلَّكْ جَدُّهُ مِنَ الْفُرسِ أَوْ تَوَلَّاهُ جَدُّهَا مِنْ عُمُومَةِ الرُّسُولِ 5  
 وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ ، وَعَايِثُهُ أَنْ جَذَبَتْ دَوْلَتُهُمْ بِضَبْعِهِ وَضَنَعَ أَبِيهِ ، وَاسْتَخْلَصَتْهُمْ  
 وَرَقَّتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِ التَّشْرِيفِ . وَكَيْفَ يَسُوغُ مِنَ التَّرْشِيدِ أَنْ يُضَهِّرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ  
 عَلَى بُعْدِ هِمَّتِهِ ، وَعِظَمِ آبَائِهِ<sup>(١)</sup> ؟. وَلَوْ نَظَرَ الْمُنَاطِلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ الْمُنْصِفِ ، وَقَاسَ  
 الْعَبَّاسَةَ بِابْنَةِ مَلِكٍ مِنْ أَعَاظِمِ مُلُوكِ زَمَانِهِ ، لَاسْتَنَكَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعِ مَوْتَى مِنْ  
 مَوَالِي دَوْلَتِهَا ، وَفِي سُلْطَانِ قُوَّامِهَا ، / وَاسْتَثْنَاهُ وَجَّحٌ فِي تَكْذِيبِهِ ، وَأَيْنَ قَدَّرُ الْعَبَّاسَةَ 10  
 وَالتَّرْشِيدَ مِنَ التَّاسِ ؟

- وَإِنَّمَا تَكُنْ الْبَرَامِكَةُ مَا كَانَ مِنْ اسْتِبْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ ، وَاخْتِجَانِهِمْ أُمُوالَ  
 الْجَبَايَةِ ، حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْيَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ ، فَعَلْبُوه عَلَى  
 أَمْرِهِ وَشَرْكَوهُ فِي سُلْطَانِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ مُلْكِهِ ، فَعُظُنْتُ  
 آثَارُهُمْ وَيُعَدُّ صِيَّتُهُمْ ، وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطُهَا بِالرُّؤَسَاءِ مِنْ وَلَدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ ، 15  
 وَاخْتَارُوهَا عَنْ سِوَاهُمْ : مِنْ وَزَارَةٍ ، وَكِتَابَةٍ ، وَقِيَادَةٍ ، وَجَبَابَةٍ ، وَسَيْفٍ ، وَقَلَمٍ .  
 يَقَالُ إِنَّهُ كَانَ بَدَارَ الرَّشِيدِ مِنْ وَلَدِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَيْسًا  
 مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ ، زَاخَمُوا فِيهَا أَهْلَ الدَّوْلَةِ بِالْمُنَاكِبِ ، وَدَفَعُوهُمْ

(١) ع: إِيَّاهُ .

عنها بالراح ، لكان أيهم ينجي من كفالة هارون ، ولي عهد وخليفة ؛ حتى شَبَّ في جبره ، ودرج من عَشْه ، وغلبه على أمره ، وكان يَدْعُوهُ يا أُنْبَيْ ؛ فتوجه الإيثار من السلطان إليهم ، وعظمت الدالة منهم ، وانبسط الجاه عندهم ، وانصرفت نحوهم الوجوه ، وخضعت لهم الرقاب ، وقصرت عليهم الآمال ، وتخلت إليهم من أقصى الثخوم هدايا الملوك وتُحَفُ الأمراء ، وتسربت إلى خزائهم - في سبيل الترف والاستالة - أموال الجباية ، وأفادوا في رجال الشيعة وعظماء القراية الغطاء ، وطوّقهم الميَن ، وكسوا<sup>(١)</sup> من يوبات الأشراف المُعْدِم ، وفكوا العاني ، ومُدِّحوا بما لم يُدَّح به خليفَتهم ، وأسنوا لغفاتهم الجوائز والصلات ، واستولوا على القرى والضباب من الصواحي والأنصار في سائر الممالك ؛ حتى آسفوا البطانة ، وأخذوا الخاصة ، وأغصوا أهل الولاية ، فكشفت لهم وجوه المتافسة والحسد ، وذبت 10 إلى مهادهم الوثير من التولة / عقارب السعاية ، حتى لقد كان بنو قحطبه أحوال (ب 13)

جعفر من أعظم الساعين عليهم ، لم تغطفهم - لما وقَر في ثوبهم من الحسد - عواطف الرِّجَم ، ولا وزعتهم أواصر<sup>(ب)</sup> القراية ، وقارن ذلك عند مخدومهم نواشيء الغيرة ، والاستنكاف من الحجر ، والأثقة ، وكامن الحمود التي بعثتها منهم صغائر الدالة ، وانتهى بهم<sup>(ج)</sup> الإصرار على شأنهم إلى كباتر المخالفة . كقبضهم في ينجي بن 15 عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أخي محمد المهدي ، الملقب بالنفس الزكية ، الخارج على المنصور ؛ وینجى هذا هو الذي استنزله الفضل بن ينجي من بلاد الديلم على أمان الرشيد بخطه ، وبذل لهم فيه ألف ألف يزهم على

(١) ل ج ع : كسوا (ب) سطر من ج (ج) في : ل ج ع ي : ١٠ .

ما ذكره الطبري<sup>(1)</sup> . ودفعه الرشيد إلى جعفر وجعل اعتقاله بداره وإلى نظره ،  
 فحبسه مدة ، ثم حملته الدالة على تخليته سبيله ، والاشتداد بجل عقاله ، حُرماً  
 ليماء أهل البيت بزعمه ، ودالة على السلطان في حكمه . وسأله الرشيد عنه لما  
 وشي به إليه ، ففطن ، وقال : أطلقته؛ فأبدى له وجة الاسترخان وأمرها في  
 نفسه . فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه ؛ حتى نلّ عزّشهم ، وأكفيت عليهم 5  
 سماؤهم ، وخسفت الأرض بهم ودارهم ، ودّخت سلفاً ومثلاً للآخرين أيّامهم .  
 ومن تأمل أخبارهم ، واستقصى سير الدولة وسيرهم ، وجد ذلك محقق  
 الأثر ، مُمهّد الأنساب .

وانظر ما نقله ابن عبد ربه<sup>(2)</sup> في مفاوضة الرشيد عمّ جدّه داود بن علي في  
 شأن نكبتهم ، وما ذكره في باب الشعراء من كتاب العقد<sup>(3)</sup> ، في محاوره الأضمي  
 للرشيد وللفضل بن يحيى في ستمهم ، تنهّهم أنّه إنّما قتلهم القيرة والمنافسة في الانستناد  
 من الخليفة فتنّ دونه . وكذلك ما تحيل به أعداؤهم<sup>(4)</sup> من البطانة فيما دسّوه للمقتنن  
 من الشّعور ، اختيالاً على إسماعه للخليفة وتحريك خفائظه لهم ، وهو قوله<sup>(5)</sup> : [من الرمل]

(1) تاريخ الرسل والملوك 8 : 242 ، 289 .

(2) العقد الفرید 5 : 66 وفيه سمي عمّ جدّ الرشيد "إسحاق" . ولا يوجد في أعلام جدّه اسم إسحاق هنا كما  
 في جهمرة النسب لابن حزم (ص 20) في تعداد أبناء علي بن عبد الله بن عباس ، وهم : محمد ، سليمان ،  
 داود ، عبد الله ، صالح ، عيسى ، عبد الصمد ، إسماعيل .

(3) العقد الفرید 5 : 309 - 317 .

(4) البيهقي : الحاسن والمساوي 2 : 80 .

(5) الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، ديوانه 320 . الطبري 9 : 127 ورواية البيت الأول عنده :

وعدت هند وما كانت تبذل ليث هنذا أعزتنا ما تبذل

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا نَعِدُ وَشَقَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا تَحْجِدُ

[i14]

/ وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاجِدَةً إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِيدُ

وَأَنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا سَمِعَهَا قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، عَاجِزٌ ؛ حَتَّى نَعْتُوا بِأَمْثَالِ هَذِهِ  
كَامِنٍ غَيْرَتِهِ ، وَسَلَطُوا عَلَيْهِمْ بِأَسْ أُنْتِقَامِهِ . نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَلْبَةِ الرِّجَالِ وَسُوءِ الْحَالِ .  
5 وَأَمَّا مَا تَقُوهُ<sup>(1)</sup> بِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مُعَاوَرَةِ الرَّشِيدِ الْخَفَرِ ، وَافْتِرَانِ سُكْرِهِ بِسُكْرِ  
النَّدَمَانِ ، فَخَاشَ اللَّهُ ﷻ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﷻ [سورة يوسف ، من الآية 51] ، وَأَيْنِ  
هَذَا مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَقِيَامِهِ بِمَا يَجِبُ لِمُنْصِبِ الْخِلَافَةِ مِنَ الدِّينِ وَالْعَدَالَةِ ، وَمَا كَانَ  
عَلَيْهِ مِنْ صَحَابَةِ الْعُلَمَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ ، وَمُحَاوَرَتِهِ لِلْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضَ ، وَابْنِ السَّمَاكِ ،  
وَالْعُمَرِيِّ ، وَمَكَاتِبَتِهِ سُفْيَانَ ، وَبِكَائِهِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ ، وَدَعَائِهِ بِمَكَّةَ فِي طَوَافِهِ ، وَمَا كَانَ  
10 عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَشُهُودِ الصُّبْحِ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا .

حَكَى الطَّبْرِيُّ<sup>(1)</sup> وَغَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يَصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ رُكْعَةٍ نَافِلَةً؛ وَكَانَ يَغْزُو  
عَاماً وَيُحْجُّ عَاماً. وَلَقَدْ رَجَعَ ابْنُ أَبِي مَرْزُومٍ مُضْجِكَةً سَمَرَهُ حِينَ تَعَرَّضَ لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
فِي الصَّلَاةِ، لَمَّا سَمِعَهُ يَقْرَأُ ﷻ وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﷻ [سورة يس ، من الآية 22] ،  
قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَذْرِي لِمَ؟ فَمَا تَمَّاكَ الرَّشِيدُ أَنْ ضَحِكَ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ مُغَضَباً ، وَقَالَ :  
15 يَا ابْنَ أَبِي مَرْزُومٍ ، فِي الصَّلَاةِ أَيْضاً ؟! إِنَّا كَإِيَّاكَ وَالْقُرْآنَ وَالَّذِينَ ، وَلَكَ مَا شِئْتَ  
بَعْدَهُمَا.

(1) ع : مَخْمُومُهُ .

(1) تاريخ الرسل والملوك 8 : 349 .



وأيضاً، فقد كان من العلم والسداجة بمكان، لقُرب عَهْدِه من سَلَفِه المُتَحَلِّين  
لذلك، ولم يكن بينه وبين جَدِّه أبي جَعْفَر بعيدُ زَمَان ، إِنَّا حَلَفْهُ غَلامًا ، وقد كان أبو  
جَعْفَر بمكانٍ من العلم والدين قَبْلَ الخِلافةِ وبعدها ، وهو القَائِلُ لِمَالِك حين أشار عليه  
بتَأليفِ الموطأ: يا أبا عَبدِ اللهِ، إِنَّهُ لم يَبْقَ على وَجْهِ الأرضِ أعْلَمُ مِنِّي ومنك، وإِنِّي  
قد شَغَلْتَنِي خِلافةً ، فضع أنتَ للناسِ كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ ، نَحْبُثُ فِيهِ رُخْصَ ابنِ عَتَّاسٍ ،  
وشَدَائِدَ ابنِ عُمر ، ووَطْئَهُ للناسِ تَوَطُّئَةً. قال مالِك: فوالله لقد عَلَّمَنِي التَّصْنِيفَ يَوْمَئِذٍ .  
[14 ب] ولقد أَدْرَكَه ابْنُه المَهْدِيُّ أبو الرِّشيدِ هذا وهو يَتَوَرَّعُ عن كِبشِوةِ الجَدِيدِ / لِعِيَالِه من يَنْتِ  
المال. ودَخَلَ عليه يَوْمًا وهو بِمَخْلَسِه يُبَاشِرُ الحِطَاطِينَ في إِزْقَاعِ الحُلُقَانِ من ثِيَابِ  
عِيَالِه ، فاستَنَكَفَ المَهْدِيُّ من ذلك، وقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَيَّ كِبشِوةُ هَذِهِ العِيَالِ  
غَافِئًا هَذَا من غَطَاطِي ، فقال: لَكَ ذَلِكَ ، وَلَمْ يَصُدِّه عَنْهُ ، وَلَا سَمَحَ بِالإِثْقَاقِ مِنْ أَمْوَالِ  
المُسْلِمِينَ. فَكَيْفَ يَتَلَقَّى بِالرِّشيدِ على قُربِ العَهْدِ مِنْ هَذَا الخَلِيفَةِ وَأَبُوته ، وَمَا رَزَى  
عليه مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَالتَّخَلُّقِ بِهَا ، أَنْ يُعَاقِرَ فِي الحَرَمِ أَوْ يُجَاهِزَ  
بِهَا ، وَقَدْ كَانَتْ حَالُ الْأَشْرَافِ مِنَ القُرْبِ الجَاهِلِيَّةِ فِي اجْتِنَابِ الحَقَرِ مَعْلُومَةً ، وَلَمْ تَكُنْ  
الكَرَمُ شَجَرَتَهُمْ ، وَكَانَ شَرُّهَا مَذْمُومَةً عِنْدَ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ ؛ وَالرِّشيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى شَيْخٍ مِنْ  
اجْتِنَابِ المَذْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَالتَّخَلُّقِ بِالحَامِدِ وَأَوْصَافِ الكَمَالِ وَتَرَعَاتِ القُرْبِ .  
[15] وَانْظُرْ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ<sup>(1)</sup> وَالْمُسْعُودِيُّ<sup>(2)</sup> فِي قِصَّةِ جَبْرِيلَ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّيْخِ  
الطَّبَّيبِ ، حِينَ أَحْضَرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَا يَدَّعِيهِ خَفَاةً عَنْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ صَاحِبَ المَائِدَةِ بِحَمْلِهِ

(1) لم تُحَدِّثْ مَوْقِعَ الحِر في تاريخ الطبري ، وأوردته ابن أبي أصيبعة أكثر تفصيلاً في طبقات الأطباء 191

(2) مروج الذهب 4: 205 (2511)

إلى منزله؛ وفظن الرشيد وإزتاب به، ودس خادمه حتى عاينه يتناولهُ؛ فأعد ابنُ  
بختيشوع للاغتيال ثلاث قطع من السمك في ثلاثة أفداح: خلط إحداهما باللحم  
المعالج بالتوابل والبقول والبرارد والحلوى؛ وضب على الثانية ماء مثلجاً؛ وعلى  
الثالثة خمرًا صرفاً، وقال في الأول والثاني: هذا طعام أمير المؤمنين، إن خلط  
السمك بغيره أو لم يخلطه؛ وقال في الثالث: هذا طعام ابن بختيشوع، ودفعا إلى  
5 صاحب المائدة، حتى إذا انبث الرشيد وأخضره للتوبيخ، أخضر الأفداح، فوجد  
صاحب الحفر قد اختلط وأماغ وثقت، ووجد الآخزين قد فسدا وتغيرت رائحتهما؛  
فكانت له في ذلك مغفرة، وتبين من ذلك أن حال الرشيد في اجتناب الحفر  
كانت مغروفة عند بطائه وأهل مائدته؛ ولقد ثبت عنه أنه عهد بحبس أبي نواس  
لما بلغه من اتهامه في المعامرة، حتى تاب / وأقلع . 10

[15]

وإنما كان الرشيد يشرب نبيذ الثمر على مذهب أهل العراق، وفتاويهم فيها  
مغروفة؛ وأما الحفر الصرفة<sup>(1)</sup>، فلا سبيل إلى اتهامها، ولا تقليد الأخبار  
الواهية فيها، فلم يكن الرجل بحيث يواقع مخزماً من أكبر الكبار عند أهل الملة،  
ولقد كان أولئك القوم كلهم بمنجاة من حبت<sup>(ب)</sup> السرف والترف في ملاسهم  
15 وزيتهم وسائر متناولهم، لما كانوا عليه من خشونة البدانة وسذاجة الدين التي لم  
يفارقوها بعد؛ فما طئك بما يخرج عن الإباحة إلى الحظر، وعن الحليّة إلى الحرمة .

ولقد اتفق المؤرخون: الطبري والمسعودي (وغيرهم<sup>(ج)</sup>)، على أن جميع من  
سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس إنما كانوا يزكون بالجليّة الحقيقية من النضة

(1) من طوع، وفي ج الصرف (ب) كنا في ط ل ج ي، وفي ع: خث (ج) سقط من ط وحدها .

في المناطق والسيوف واللُجُم والسُروج<sup>(1)</sup>. وأنَّ أولَ خليفةٍ أحدثَ الركوبَ بحليَّةِ الذهبِ هو المعتزُّ بن المتوكل<sup>(2)</sup> ، ثامنُ الخلفاء بعد الرشيد ، وهكذا كان حالهم أيضاً في ملابسهم ، فما ظنُّك بِمشاريهم. ويتبيَّن ذلك بأنهم من هذا ، إذا فهنَّت طبيعة الدَّولة في أولها من البدَاوة والغضاضة ، كما نُشرَح في مسائل الكتاب الأول إن شاء الله .

- 5 ويناسب هذا أو قريباً منه ، ما يُتَقْلَوْنَه كافَّةً عن يحيى بن أَكْثَم ، قاضي المأمون وصاحبه ، وأتته كان يُعاقر المأمونَ الحمرَ ، وأتته سَكَرَ ليلةً مع شربه ، قُدُن في الرِّجَانِ حتَّى أفاق ، ويُشيدون على لسانه<sup>(2)</sup> : [من البسيط]

يا سيدي وأميرَ الناسِ كلِّهمِ      قد جازَ في حُكْمِه من كان يَسْتَقْنِي  
إني غَقَلْتُ عن السَّاقِي ، فَصَيَّرَنِي      كما تَرَانِي ، سَلِيبَ الْعَقْلِ وَالدِّينِ

- 10 وحالُ ابنِ أَكْثَم والمأمون في ذلك من حال الرشيد ، وشرابهم إنّما كان التبيد ؛ ولم يكن مَخْظُوراً عندهم ، وأما السَّكْرُ فَلَيْسَ من شأنهم ، وصحبائهم للمأمون إنّما كانت خَلَّةً [في الدين]<sup>(ب)</sup> ، ولقد ثَبَّتَ أَنَّهُ كان يَتَأَمُّ معه [في البيت]<sup>(ب)</sup>.

وَيَقَلُّ من فَصَائِلِ المأمون وحسن عَشِيرِهِ ، أَنَّهُ اثْبَتَ ذاتَ ليلةٍ ، فقام يَتَخَسَّسُ وَيُلْمَسُ الإِنَاءَ ، / مخافةً أن يوقظَ يحيى بن أَكْثَم ؛ وثبتَ أَنّهما كانا يُصَلِّيَانِ الصُّبْحَ جميعاً ، فأين هذا من المُعَاوَرَةِ ؟!

15

(1) في ط وحدها السُّرُج (ب) من : ج ع ل ي .

(1) مروج الذهب 5 : 90 (3102) .

(2) الخبر في العقد الفريد 6 : 345 ، ولا يعرف قائل الأبيات .

وأيضاً فيخَيِّ بن أَكْثَمَ كان من أهل الحديث ، وقد أُنْتُى عليه (الإمام أحمد)<sup>(١)</sup>  
ابن حَنْبَلٍ ، وإِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي . وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَذَكَرَ الْمِزِّيَ الْحَافِظُ<sup>(٢)</sup> أَنَّ  
الْبُخَارِيَّ رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ ، فَالْقَدْخُ فِيهِ قَدْخٌ فِي جَمِيعِهِمْ .

وكذلك ما يَنْبُذُهُ الْمُجَالُ بِالْمَيْلِ إِلَى الْعِلْمَانِ ، مُهِنَاتًا عَلَى اللَّهِ وَفِزِيَّةً عَلَى الْعُلَمَاءِ ؛  
5 وَيَسْتَنْبِدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقُصَاصِ الْوَاهِيَةِ ، الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ اقْتِرَاءِ أَغْدَائِهِ ؛ فَإِنَّهُ  
كَانَ مُحَسِّدًا فِي كِبَالِهِ وَخَلَّتْهُ لِلتَّسْلُطَانِ ؛ وَكَانَ مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ مُنْزَعًا عَنْ مِثْلِ  
ذَلِكَ ؛ وَلَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يَزِمُهُ بِهِ النَّاسُ ؛ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ،  
وَمَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ ! وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا . وَقِيلَ لِإِسْمَاعِيلِ الْقَاضِي تَمَّا كَانَ يَقُولُ  
فِيهِ ؛ فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ عِدَالَةُ مِثْلِهِ بِشَكْذُبٍ بَاغٍ أَوْ<sup>(ب)</sup> حَاسِدٍ ؛ وَقَالَ  
10 [أَيْضًا<sup>(ج)</sup>] : كَانَ يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ أَبْرَأَ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ تَمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ  
مِنْ أَمْرِ الْعِلْمَانِ ؛ وَلَقَدْ كَثُرَتْ أَقْفٌ عَلَى سَرَائِرِهِ فَأَجَدَهُ شَدِيدَ الْخَوْفِ لِلَّهِ ، لَكِنَّهُ  
كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَخُسْنُ خُلُقٍ ، فَرَمَى بِمَا رُمِيَ بِهِ . وَذَكَرَهُ ابْنُ جَبَانَ<sup>(٢)</sup> فِي الثَّقَاتِ ،  
وَقَالَ : لَا يُسْتَفْلُ بِمَا يُحْكَى عَنْهُ ، لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا يَصُحُّ عَنْهُ .

وَمِنْ أَشْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ ، مَا نَقَلَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَقْدِ<sup>(٣)</sup> ، مِنْ  
15 حَدِيثِ الزُّنَيْلِ ، فِي سَبَبِ إِضْهَارِ الْمَأْمُونِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ فِي بَيْتِهِ بَوْرَانَ ، وَأَنَّهُ

(١) من : ل دي (ب) ي ل ع ج : و (ج) من : دي .

(١) تهذيب الكمال : 31 : 209 .

(2) الثقات : 9 : 265 .

(3) العقد الفريد : 6 : 457 - 470 ، والجبر فيه أكثر تفصيلاً .

عَثَرَ فِي بَغْضِ اللَّيَالِي فِي تَطْلُوفِهِ بَيْسَكَ بَغْدَادَ بَرْزِيلَ مُدَلَّى مِنْ بَغْضِ السَّطُوحِ ،  
 بِمَعَالِقٍ وَجُدُلٍ مُعَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْحَرِيرِ ، فَاقْتَعَدَهُ وَتَنَاوَلَ الْمَعَالِقَ ، فَاهْتَرَّتْ ، وَذَهَبَ بِهِ صُغْدًا  
 إِلَى مَجْلِسٍ شَأْنُهُ كَذَا ، وَوَصَفَ مِنْ زِينَةِ قَرْشِهِ وَتَنْضِيدِ آيَتِهِ وَجَمَالِ رُؤَايِهِ مَا يَسْتَوْفُقُ  
 الطَّرْفَ وَيَمْلِكُ النَّفْسَ ، وَأَنَّ امْرَأَةً بَرَزَتْ لَهُ مِنْ حَلْلِ الشُّتُورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، رَائِعَةٌ  
 الْجَمَالِ ، فَتَأَنَّى الْحَاسِنِ ، / فَحَيَّتهُ وَدَعَّتهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَاقِرُهَا الْحَمْرَ حَتَّى الصَّبَاحِ ، 5  
 وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ انْطِبَارِهِ وَقَدْ شَفَقَتْهُ حُبًّا بَعَثَهُ [عَلَى] <sup>(1)</sup> الْإِضْهَارِ إِلَى أَبِيهَا .  
 وَأَيُّ هَذَا كُلِّهِ مِنْ خَالِ الْمَأْمُونِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ وَعِلْمِهِ وَاقْتِفَانِهِ سَنَنَ الْخُلَفَاءِ  
 الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ ، وَأَخَذَهُ بِسَيْرِ الْخُلَفَاءِ الْأَزْيَعَةِ أَزْكَانِ الْعِلْمَةِ ، وَمُنَاطَرَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ ،  
 وَحِفْظِهِ لِحُدُودِ اللَّهِ فِي صَلَواتِهِ وَأَحْكَامِهِ ؛ فَكَيْفَ تَصُحُّ عَنْهُ أَحْوَالُ الْفُسْطَاقِ الْمُسْتَهْتَرِينَ  
 فِي التَّطْلُوفِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ ، وَعِشْيَانِ السَّمَرِ ؛ سَبِيلِ عُشَاقِ الْأَغْرَابِ ، وَأَيُّ 10  
 ذَلِكَ مِنْ مَنَصَّبِ بِنْتِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ وَشَرَفِهَا ، وَمَا كَانَ بَدَارَ أَبِيهَا مِنَ الصُّونِ  
 وَالْعِفَافِ .

وَأَمْثَالُ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ ، وَفِي كُتُبِ الْمَوْزَعِينَ مَعْرُوفَةٌ ؛ وَإِنَّمَا يَتَبَعُ عَلَى  
 وَضْعِهَا وَالْحَدِيثِ بِهَا الْإِنْهَاءُ فِي اللَّذَاتِ الْمُحَرَّمَةِ ، وَهَتْكَ قِنَاعِ الْمُرُوءَاتِ ، وَيَتَعَلَّلُونَ  
 بِالْقَوْلِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لَذَاتِهِمْ ، فَلَنَلِكُ تَرَاهِمَ كَثِيرًا مَا يُلْهَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ ، 15  
 وَيُبْقِرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَفُّحِهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَابِّ ، وَلَوْ اتَّسَعُوا بِهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ  
 أَخْوَالِهِمْ وَصِفَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ ، ﴿ لَكُنْ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [سورة  
 النساءِ ، مِنَ الْآيَةِ 66] لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ <sup>(ب)</sup> .

(1) كُنَّا فِي السَّخْرِ ح ل ي ، وَفِي ظ : إِلَى (ب) فِي ع ي : يَسْلُونَ .

ولقد عَذَلْتُ يوماً بفض الأُمراء من أبناء الملوك في كَلْفِهِ بتعلُّم الغناء وولوعه بالأوتار، وقُلْتُ له : لَيْسَ هذا من شَأْنِكَ ، ولا يَلِيقُ بِمَنْصِبِكَ؛ فقال لي : أفلا نَرَى إلى إبراهيم بن المَهْدِيِّ كَيْفَ كان إمام هذه الصَّنَاعَةِ ورئيس المُتَنِّين في زمانه؟ فقلت له : يا سُبْحان الله ! وهلا تَأَسَّنْتَ بأبيه أو بأخيه ؟! أو ما رأيتَ كَيْفَ قَعَدَ 5 ذلك إبراهيم عن مناصبِهِمْ ؟ فَصَمُّ عن غَذْلِي وأَعْرِضْ!

ومن الأخبار الواهية، ما يَذْهَبُ إليه الكثيرُ من المؤرِّخين في العَبْدَيْنِ ،  
خُلَفاءِ الشَّيعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ والقاهرة، من نَقَمِهِم عن أهل البيت، صلواتُ الله عليهم،  
والطَّنِّ / فيَسْبِهُم إلى إسماعيل الإمام ابن جعفر الصادق. يَغْتَفِدُونَ في ذلك على [16 ب]  
أحاديثٍ لُفَّتْ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ من خُلَفاءِ بَنِي العباس، تَزَلُّوا إليهم بِالْقَدَحِ فِيمَنْ ناصَبَهُم،  
وَقَفَّئُوا في الشَّهَابِ بَعْدَهُمْ؛ حَسْبُهَا تَذَكُّرُ بعض هذه الأحاديث في أخبارهم. ويُفْعَلُونَ 10  
عن التَّقَطُّنِ لشواهدِ الواقعات وأدلةِ الأحوال التي اقْتَضَتْ خلافَ ذلك من  
تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ والردِّ عليهم . فَإِنَّهُمْ مُتَقِفُونَ في حَدِيثِهِم عن مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيعَةِ ،  
أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُخْتَصِبِ لما دَعَا بِكُتَامَةِ اللَّزْزِيِّ من آلِ مُحَمَّدٍ ، واشتَهَرَ خبرُهُ ،  
وَعَلِمَ تَحْوِيهِ على عُبيدِ اللَّهِ المَهْدِيِّ وإنه أبي القاسم، خَشِيَها على أَنْفُسِهَا ، فَهَرَبَا من  
المَشْرِقِ مَحَلَّ الخِلافةِ ، واجْتَازَا بِمِصْرَ ؛ وَأَتَاهَا خَرَجَا من الإسْكَندَرِيَّةِ في رَيِّ الثَّجَارِ، 15  
وَوُثِّي خبرُهَا إلى عيسى التُّوَشْرِيِّ عاملِ مِصْرَ والإسْكَندَرِيَّةِ ، فَسَرَّحَ في طَلَبِهَا  
الْحَيْثَالَةَ؛ حَتَّى إِذَا أَتَرَكَا خَفِيَ حَالُهَا على تَابِعِيهَا ، بما لَبَسُوا به من النِّشَارَةِ والرَّيِّ؛  
فَأَفْلَتُوا إلى المَقَرِّ ؛ وَأَنَّ المَعْتَضِدَ أَوْعَزَ إلى الأَغَالِيَةِ أُمراءِ إِفْرِيقَةِ القُرُونِ ، وَتَبَيَّ  
مِزْرَارِ أُمراءِ سِجِلْمَاسَةَ ، بِأَخْذِ الأَفَاقِ عَلَيْهَا وإدْكَاءِ العُيُونِ في طَلَبِهَا ؛ فَعَثَرَ النِّسْعُ

صاحب سِجْلَاسَة من آل مِذْرَار على خَفِيّ مَكَانِهَا بِنَلْدِيه ، وَاغْتَقَلَهَا مَرْضَاةٌ لِلْخَلِيفَةِ .  
هَذَا قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ الشَّيْعَةُ عَلَى الْأَعَالِيَةِ بِالْقَبْرِوَانِ .

ثمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ ، مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةِ ، ثُمَّ بِالْبَلْعَيْنِ ،  
ثُمَّ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، ثُمَّ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ . وَقَاسَمُوا بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ  
شَيْقَ الْأُبُلَّةِ ، وَكَادُوا يَلْجُونَ عَلَيْهِمْ مَوَاطِنَهُمْ وَيُدْبِلُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ .

وَلَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بِبَغْدَادٍ [وَعِرَاقُهَا] <sup>(1)</sup> الْأَمِيرُ الْبُتْسَاسِيرِيُّ - مِنْ مَوَالِي الثَّيْلَمِ  
[17] الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى / خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ - فِي مُفَاضَّةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَسْرَاءِ الْعَجَمِ ،  
وَحَظَبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَرِيئًا . وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ يُقْضُونَ بِمَكَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ ،  
وَمُلُوكُهُ بَنِي أُمَيَّةٍ وَرَاءَ الْبُخْرَى يُنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ . وَكَيْفَ يَفْقَهُ هَذَا كُلُّهُ لَدَعِيٍّ  
فِي النَّسَبِ مَكْدُبٍ فِي اشْتِحَالِ الْأَمْرِ ؟

وَاعْتَبِرْ حَالَ الْقَرَمَطِيِّ إِذْ كَانَ دَعِيًّا فِي انْتِسَابِهِ ، كَيْفَ تَلَاسَّثَتْ دَعْوَتُهُ وَتَفَرَّقَ  
أَتْبَاعُهُ ، وَظَهَرَ سَرِيعًا عَلَى خَبِيثَتِهِمْ <sup>(ب)</sup> وَمَكْرِهِمْ ، فَسَاءَتْ عَاقِبَتُهُمْ ، وَذَاقُوا وَبَالَ  
أَمْرِهِمْ . وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْغَيْثِيَّيْنِ كَذَلِكَ لَعَرَفَ وَلَوْ بَعْدَ مُهْلَةٍ . [مِنْ الطَّوِيلِ]

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيفَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلَمُ <sup>(1)</sup>

فَقَدْ اتَّصَلَتْ دَوْلَتُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَمَلَكَوا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ  
وَمُضْلَاهُ ، وَمَوْطِنَ الرُّسُولِ وَمَذْفَنَهُ ، وَمَوْقِفَ الْحَجِيجِ وَمَهْبَطَ الْمَلَائِكَةِ ، ثُمَّ انْقَرَضَ

(1) مِنْ لَدُنْ عِي (ب) فِي: ع ل ي ج: جِيْتَهُمْ .

(1) الْبَيْتُ لَزْهَرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، مِنْ مَعْلَقَتِهِ ، انْظُرْ ابْنَ الْأَثَارِيِّ: شَرْحُ الْقَصَائِدِ السَّبْعِ الطُّوَلِ 289 ، وَرَوَايَتُهُ:  
وَلَوْ خَالَهَا .

أمرهم، وشيعتهم في ذلك كله على أنهم ما كانوا عليه من الصّاعية إليهم، والحُبّ فيهم، واعتقادهم بنسب الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق .

ولقد خرجوا مراراً بعد ذهاب الدولة ودروس أثرها، داعين إلى بدعتهم هانفين بأساء صبيان من أغفائهم ، يزعمون استحقاقهم للخلافة ، ويذهبون إلى تعيينهم بالوصية ممن سلف قبلهم من الأئمة، ولو ازنابوا في نسبهم لما زكوا أغنائ الأخطار 5 في الانحصار لهم؛ فصاحب البدعة لا يلبس في أمره، ولا يشبه في بدعته، ولا يكذب نفسه فيما ينتجله.

والعجب من القاضي أبي بكر الباقلاني<sup>(1)</sup>، شيخ الثُّلّار من المتكلمين، ينجح إلى هذه المقالة المروجة ؛ ويرى هذا الرأي الضعيف . فإن كان ذلك لما كانوا عليه من الإلحاد في الدين والتعمق في الرافضية، فليس ذلك بدافع في صدر بدعتهم، وليس إثبات مُنْتَسَبهم بالذي يغني عنهم من الله شيئاً في كفرهم ؛ فقد قال تعالى لنوح عليه السلام في شأن ابنه : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُنَالِهِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [سورة هود ، من الآية 46] . وقال : <sup>عليه السلام</sup> / لفاطمة [17 ب] يعظها<sup>(2)</sup> : " يا فاطمة، اغملي فلن أغني عنك من الله شيئاً".

(1) لم يذكر شيئاً من هذا في كتابه التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والحوارج والمعتزلة، وإنما تناول هذا الموضوع في كتاب له مفقود، ذكره الشبكي في طبقات الشافعية 7 : 18 وسمّاه كشف الأشرار الباطنية، وأن الباقلاني كشف في أوله بطلان نسب الفاطميين إلى الإمام علي .

(2) روي في الصحيحين البخاري 4 : 7 ، و 6 : 140 ، ومسلم 206 ، من حديث أبي هريرة بلفظ مُقارب . باب : ﴿ وأنزى عشرتك الأقرين ﴾ [الشعراء، الآية 214] .



ومثي عَرَفَ امْرُؤٌ قَضِيَّةً أَوْ اسْتَيْقَنَ أَمْرًا ، وَخَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَضْذَعَ بِهِ ،  
﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية 4] . والقوم كانوا  
في مجالي لظنون الدول بهم ، وَتَحْتَ رِقْبَةٍ مِنَ الطُّغَاةِ ، لَتَوْفَّرَ شِعَتُهُمْ ، وَاتَّبَشَرَهُمْ فِي  
الْقَاصِيَةِ بِذَعْوَتِهِمْ ، وَتَكَثَّرَ خُرُوجُهُمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، فَلَاذَتْ رَجَالَتُهُم بِالِاخْتِفَاءِ وَلَمْ  
يَكَادُوا يُعْرِفُونَ ، كَمَا قِيلَ <sup>(1)</sup> : [من الطويل]

5

فَلَوْ تَسَالَى الْأَيَّامُ مَا اسْتَبَى ، مَا دَرَثَ وَأَيْنَ مَكَانِي ؟ مَا عَرَفَنِي مَكَانِي

حَتَّى لَقَدْ سُمِّيَ مُحَمَّدٌ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْإِمَامَ ، جُدَّ عُتَيْدَ اللَّهِ الْمُهَدِّيَ ، بِالْمَكْتُومِ ؛  
سَمَّيْتُهُ بِذَلِكَ شِعَتُهُمْ لِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْفَائِهِ ، خَذَرًا مِنَ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِمْ . فَتَوَصَّلَ شِيعَةُ  
آلِ الْعَبَّاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ إِلَى الطُّعْنِ فِي نَسَبِهِمْ ؛ وَازْدَلَفُوا بِهَذَا الرَّأْيِ الْفَائِلَ إِلَى  
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ خُلَفَائِهِمْ ، وَأَعْجَبَ بِهِ أَوْلِيَاؤُهُمْ وَأَمْرَاءُ دَوْلَتِهِمْ ، الْمُتَوَلِّونَ لِحُرُوبِهِمْ مَعَ  
10 الْأَعْدَاءِ ، يَذْفَعُونَ بِهِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعَرَّةَ الْعُجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ عَلَيْهِمْ  
عَلَى الشَّامِ وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبَرِّيرِ الْكُتَّامِيِّينَ ، شِيعَةَ الْعَبِيدِيِّينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ ؛  
حَتَّى لَقَدْ أَسْجَلَ <sup>(2)</sup> الْقَضَاءُ بِبَغْدَادَ بِنْتَقِيَهُمْ عَنْ هَذَا النَّسَبِ ، وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ  
أَغْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةً ، مِنْهُمْ : الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ ، وَأَخُوهُ الْمُزْتَضِيُّ ، وَابْنُ [البطحايي] <sup>(3)</sup> ،

(1) من ع ج ل ي ، وفي ط : الطحاوي .

(2) البيت لأبي نواس ، من قصيدته :

لَنْ ظَلَلْتُ لَمْ أَتُخِجْ وَشَجَانِي وَهَاجَ الْهَوَى ، أَوْ هَاجَ الْأَرَانِ

الديوان 650 - (صادر) .

(3) نص السجل في المنتظم لابن الجوزي 7 : 255 .

ومن العلماء: أبو حامد الإسفرائيني<sup>(1)</sup>، والقُدوري، والصنبري، وابن الأَكفاني،  
والأبيوزدي، وأبو عبد الله ابن الثُّعْمان، فقيه الشيعة، وغيرهم من أعلام الأمة  
ببغداد، في يوم مشهود، وذلك سنة ثنتين وأربعائة، في أيام القادر. وكانت شهادتهم  
في ذلك على السماع لما اشتهر وعُرف بين الناس ببغداد، وغالبها شيعة / بني [118]  
5 العباس الطاعنون في هذا النسب؛ فَنَقَلَهُ الأخباريون كما سَمِعُوهُ، وَرَوَوْهُ حَسْبِهَا  
وَعَوُهُ؛ والحق من وراءه.

وفي كتاب المُعْتَضِد<sup>(2)</sup>، في شأن عُتَيْدِ الله، إلى ابن الأَعْلَبِ بالقَيْرُوان،  
 وابن مِزْزَارٍ بِسِجْلِمَاسَة، أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ ذَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِمْ، فَاَلْمُعْتَضِدُ  
أَفْقَدُ بَنَسَبِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ. وَالذُّوْلَةُ وَالسُّلْطَانُ سَوَقٌ لِلْعَالَمِ، تُجْلِبُ إِلَيْهِ  
10 بَضَائِعُ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ، وَتُلْتَمَسُ فِيهِ ضَوَالُ الْحِكْمِ، وَتُحْدَى إِلَيْهِ رَكَائِبُ الرِّوَايَاتِ  
وَالْأَخْبَارِ، وَمَا نَقَّ فِيهَا نَقَقَ عِنْدَ الْكَافَّةِ. فَإِنْ تَرْتَهَتْ الدُّوْلَةُ عَنِ التَّعَشُّفِ وَالْمَيْلِ  
وَالْأَقْنِ وَالسُّفْسَفَةِ، وَسَلَكَتِ النَّهْجَ الْأَمَمَ، وَلَمْ تَجْزُ عَنِ قُضْدِ السَّبِيلِ، نَقَقَ فِي  
سُوقِهَا الْإِبْرِيرُ الْخَالِصَ وَاللُّجَيْنُ الْمَصْقَى؛ وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَعْرَاضِ وَالْحَقُودِ،  
وَمَاجَتْ بِسَهَامِيرَةِ الْبُغْيِ وَالْبَاطِلِ، نَقَقَ الْبَهْرَجُ وَالرَّائِفُ؛ وَالنَّاقِذُ الْبَصِيرُ قِنْطَاشُ  
15 نَظَرِهِ، وَمِيزَانُ نَحْيِهِ وَمُلْتَمِسِيهِ.

(1) كنا في كل الأصول بياض واحدة كما ضبطها ابن خلكان (وفيات الأعيان 1: 74) مع كسر المعزة وفتح الفاء  
نسبة إلى إسفرائين، بلد صغير من نواحي نيسابور. وضبطها ياقوت بالفتح ثم السكون وفتح الفاء،  
وآخرها يآن، باء مكسورة وأخرى ساكنة بعدها نون، "إسفرائين" (معجم البلدان 1: 177).

(2) أعاد هذا الخبر بنسخه تقريباً في كتاب العبر 4: 31.

ومثلُ هذا وأتخذ منه كثيراً، ما يتناجى به الطاعون في سب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضوان الله عليهم وصلاحه وسلامه، الإمام بقده آية بالمغرب الأقصى . ويُعرضون تعريض الحد بالثظن في الحفل المخلف عن إدريس الأكبر، أنه لراشد مولاهم. فبجهم الله وأنقدهم؛ ما أحملهم ! أما يعلمون أن إدريس الأكبر كان إضهاره في البربر، وأنه مذ دخل 5 المغرب إلى أن توفاه الله [تعالى] <sup>(أ)</sup> عريق في البدو، وأن حال البادية في مثل <sup>(ب)</sup> ذلك غير خافية، إذ لا مكامن لهم تتأق فيها الرئب؛ وأحوال حرمهم أجمعين بمنزلة من جارائهن ومسنع من جرائهن، لتلاصق الجدران وتطامن البناء وعدم القواصل بين <sup>(ج)</sup> المساكن. وقد كان راشد يتولى خدمة الحرم أجمع من بقده مولا، بمشهد من أولياهم وشبيعتهم، ومراقبة من كافئهم .

10

وقد اتفق برايزة المغرب الأقصى عامة على بئنة إدريس الأصغر من بقده آية، [18 ب] / وآتوه طاعتهم عن رضا وإضافي، وبأعوه على الموت الأحمر، وخاصوا دونه بحار المنايا في حروبه وغزواته. ولو حدثوا أنفسهم بمثل هذه الرئية، أو قرعت أسماهم ولو من غلو كاشح، أو منافق مرناب، لتخلف عن ذلك ولو بتضهم، كلا والله، وإننا صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقتالهم، ومن بني الأغلب، عمالهم كانوا 15 بأفريقيته وولايتهم. وذلك أنه لما قر إدريس الأكبر إلى المغرب من وقعة فتح، أوغر الهادي إلى الأغلبية أن يقتلوا له بالمرصاد <sup>(د)</sup> ويذكوا عليه العيون، فلم يظفروا به،

(أ) من : ل ي ج (ب) ج : كآ (ج) ي : من (د) ي : بالمرصاد .

وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَتَمَّ أَمْرُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ. وَظَهَرَ الرِّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا  
 كَانَ مِنْ وَاضِحِ مَوَالِهِمْ وَعَامِلِهِمْ عَلَى الْإِسْكَانِيَّةِ، مِنْ دَسِيسَةِ التَّشْيِيعِ لِلْعُلُوِّيَّةِ،  
 وَإِذْهَابِهِ فِي نَجَاةِ إِدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَقَتَلَهُ؛ وَدَسَّ الشَّمَاخَ مِنْ مَوَالِي أَبِيهِ  
 لِلتَّحْيِيلِ عَلَى قَتْلِ إِدْرِيسَ، فَأَظْهَرَ اللَّحَاقَ بِهِ وَالْبِرَاءَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيهِ،  
 5 فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ إِدْرِيسُ وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ، وَنَاوَلَهُ الشَّمَاخَ فِي بَعْضِ خَلَوَاتِهِ سُبْحًا اسْتَهْلَكَهُ  
 بِهِ. وَوَقَعَ خَبْرُ مَهْلِكِهِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ، لِمَا رَجَّوْهُ مِنْ قَطْعِ  
 أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعُلُوِّيَّةِ بِالْمَغْرِبِ [الْأَقْصَى] <sup>(أ)</sup> وَاقْتِلَاعِ خُزُونِهَا. وَلَمَّا يَتَأَدَّ <sup>(ب)</sup>  
 إِلَيْهِمْ خَبْرُ الْحَمَلِ الْمُخْلَفِ لِإِدْرِيسَ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلًّا وَلَا، وَإِذَا بِاللَّدْعُوَّةِ قَدْ  
 غَاذَتْ، وَالشَّيْعَةُ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ، وَذَوُلْتُهُمْ بِإِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ [قَدْ] <sup>(ج)</sup>  
 10 تَجَدَّدَتْ؛ فَكَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكَى مِنْ وَقْعِ السَّهَامِ؛ وَكَانَ الْفَشْلُ وَالْهَرَمُ قَدْ نَزَلَا  
 بِذَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ أَنْ يَسْمَوْا إِلَى الْقَاصِيَةِ، فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى قُدْرَةِ الرِّشِيدِ عَلَى  
 إِدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاسْتِثَالِ الْبَرَبْرِ عَلَيْهِ، إِلَّا بِالتَّحْيِيلِ فِي  
 إِهْلَاكِهِ بِالسُّمُومِ. فَعِنْدَ ذَلِكَ فَرَعُوا إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْأَعَالِيَةِ بِإِفْرِيقِيَّةِ <sup>(د)</sup> فِي  
 سَدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاجِيَّتِهِمْ، وَخَسَمَ الدَّاءَ الْمُتَوَقَّعَ بِالدَّوْلَةِ مِنْ قِبَلِهِمْ، وَاقْتِلَاعِ  
 15 تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَشِيخَ مِنْهُمْ، يُخَاطِبُهُمْ بِذَلِكَ الْمَأْمُونُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ  
 خُلَفَائِهِمْ. فَكَانَ الْأَعَالِيَةُ عَنْ بَرَابَرَةِ / الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى أَنْجَزُ، وَلِمَثَلِهَا مِنَ الزُّيُونِ <sup>(هـ)</sup>  
 عَلَى مُلُوكِهِمْ أَخْوَجُ، لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةُ مِنْ انْتِزَاعِ الْمَالِكِ <sup>(هـ)</sup> الْفُجْمَ عَلَى سُدَّتِهَا،  
 وَامْتِطَانِهِمْ ضَهْوَةَ الثَّغْلِبِ عَلَيْهَا، وَتَضَرُّفِهِمْ أَحْكَامَهَا طَوَّعَ أَغْرَاضِهِمْ فِي رِجَالِهَا

(أ) من: ل (ب) ج: لم يتأدَّ (ج) من: ل ج (د) سقط من ل (هـ) كذا في: ظ ل ع، وفي ج ي: المالك .

وجبايتها وأهل خطتها<sup>(1)</sup>، وسائر نقضها وإبرامها؛ كما قال شاعر عصرهم: [من مجزوء  
الرجز]

خليفة في قفص بين وصيف ونعا  
يقول ما قالاً له كما تقول البعّا<sup>(2)</sup>

فحشي هؤلاء الأمراء الأغلبة بوادِر السعيات، وتلوّوا بالمعاذير؛ فطوّراً باختقار 5  
المغرب وأهله؛ وطوّراً بالإزهاج بشأن إدريس الخارج به ومن قام مقامه<sup>(ب)</sup> من  
أعقابهم، يُخاطبونهم بتجاوزه حدود التخوم من عمله، ويُنفذون سيكته في تحفهم  
وهداياهم ومُزقّج جباياتهم، تُعريضاً باستيفاله، وتهويلأً باستيداد شوكره، وتعظيماً لما  
دفعوا إليه من [مطالبتته]<sup>(ج)</sup> ومراسيه، وتهديداً بقلب الدّعوة إن ألجئوا إليه؛ وطوراً  
يُطعنون في نسب إدريس بمثل ذلك الطعن الكاذب، تخفيفاً لشأنه، لا يُبالون 10  
بصدقه من كذبه، لبُعد المسافة، وأقن عقول من خلف من صنيّة بتي العباس  
ومما ليكم العُجم في القبول من كلّ قائل، والسمع لكلّ ناعق. ولم يزل هذا ذأبهم  
حتّى انقضى أمر الأغلبة؛ فقرّعت هذه الكلمة الشّنعاء أسماغ القوغاء، وصرّ عليها  
بعض الطّاعنين أذنه، واعتدّها ذريعة إلى التّيل من خلفهم عند المناقسة. وما لهم

(1) فوقها بجمع في ع: رتبها. وفي ج: رتبها. مشطوبة (ب) سقط من ي (ج) كذا من ع ل ج ي، وفي ظ، مطالبة.

(2) ورد البيتان في ترجمتي المُعرّض بهما في تاريخ الإسلام 6: 58، الوافي 10: 173، 27: 445، ولا يعرف  
القائل، ويرد التعريف بالأميرين بقا الشّراي، ووصيف التركي الفاتحين الزّائفين زمن المتوكل والمستعين  
والمعتز، في الجزء المفرد للحواشي واللغة والمصطلح.

- قَبَّحَهُمَ اللهُ - والعدولُ عن مَقاصِدِ الشَّريعة؛ فلا تَعَارَضَ فيها بَيْنَ الْمُشْطُوعِ والمُظَنُّونِ . وإدريسُ وُلِدَ على فراشِ أبيه، والولَدُ للفراشِ، على أَنَّ تَثْنِيَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ عن مِثْلِ هَذَا من عَقَائِدِ الْإِيمَانِ؛ فَاللهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرُّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَظْهِيراً . ففِرَاشُ إِدْرِيسَ طَاهِرٌ مِنَ اللَّئِيسِ وَمُتَزَّةٌ عَنِ الرُّجْسِ بِحُكْمِ الْقُرْآنِ ؛ وَمَنْ اعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ وَوَجَّحَ الْكَفْرَ مِنْ بَابِهِ.

وإِنَّمَا أَطْلَبْتُ فِي هَذَا الرَّدِّ سَدَّاً لِأَبْوَابِ الرَّيْبِ، / وَدَفَعاً فِي ضِدِّ الْحَاسِدِ؛ لِمَا سَمِعْتُهُ أَذْنَائِي مِنْ قَائِلِهِ الْمُعْتَدِّ عَلَيْهِمْ بِهِ، الْقَادِحِ فِي نَسَبِهِمْ بِفِرْيَتِهِ ؛ وَتَقْلَهُ بِرَغْبِهِ عَنِ بَفْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ تَمَنُّنِ انْخِرَافٍ عَنِ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَازْتَابَ فِي الْإِيمَانِ بِسَلَفِهِمْ . وَإِلَّا فَالْمَحَلُّ مُتَزَّةٌ عَنِ ذَلِكَ مَغْصُومٌ مِنْهُ، وَفِي الْغَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْغَيْبُ عَيْبٌ. 10 وَلِكِنِّي جَادَلْتُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَزْجُو أَنْ يَجَادِلُوا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ أَكْثَرَ الطَّاعِينَ فِي نَسَبِهِمْ إِنَّمَا هُمُ الْحَسَدَةُ لِأَعْقَابِ إِدْرِيسَ هَذَا، مِنْ مُتَمِّينَ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ دَخِلِ فِيهِمْ؛ فَإِنَّ ادِّعَاءَ هَذَا النَّسَبِ دَعْوَى شَرِيفٍ غَرِيضَ عَلَى الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مِنْ أَهْلِ الْآفَاقِ، فَتَغْرِضُ التُّهْمَةَ فِيهِ.

وَلَمَّا كَانَ نَسَبُ بَنِي إِدْرِيسَ هَؤُلَاءِ ، بِمَوَاطِنِهِمْ مِنْ فَاسَ وَسَائِرِ بِلَادِ (1) الْمَغْرِبِ ، قَدْ بَلَغَ مِنَ الشُّهُرَةِ وَالْوُضُوحِ مَبْلَغًا لَا يَكَادُ يُلْحَقُ وَلَا يَطْلُعُ أَحَدٌ فِي ذِكْرِهِ ، 15 إِذْ هُوَ ثَقُلَ الْأُمَّةُ وَالْجِيلُ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجِيلِ مِنَ السَّلَفِ . وَبُنْتُ جَدَّهُمْ إِدْرِيسَ مَحْتَضَةً فَاسَ وَمُؤَسَّسَهَا بَيْنَ يُبُوتِهِمْ، وَمُسَجِّدَهُ لِبُحْبُوحِهِمْ وَدُرُوبِهِمْ ، وَسَيِّفُهُ

(1) كَذَا فِي ط ج ، وَفِي ع ل ي: دِيَار .

مُنْتَضَى برأس المِثْدَةِ العُظْمَى من قَرَار بَلَدِهِمْ ، وَغَيْر ذَلِكَ من آثارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ  
أَخْبَارُهَا حَدُودَ التَّوَاتُرِ مَرَاتٍ ، وَكَادَتْ تُلْحَقُ بِالْعِيَانِ ، فَإِذَا نَظَرَ غَيْرُهُمْ من أَهْلِ  
هَذَا النَّسَبِ إِلَى مَا آتَاهُم اللهُ من أَمْثَالِهَا ، وَمَا عَصَدَ شَرْفُهُمُ التَّبَوُّيُّ من جَلَالِ  
الْمُلْكِ الَّذِي كَانَ لِسُلْطَنِهِمُ بِالْمَغْرِبِ ، وَاسْتَيْقَنَ أَنَّهُ بِمَغْزِلٍ عَنِ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مُدَّ  
أَخْدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ . وَأَنَّ غَايَةَ أَمْرِ الْمُتَمَيِّنِ إِلَى الْبَيْتِ الْكَرِيمِ تَمَّنٍ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ أَمْثَالُ 5  
هَذِهِ الشُّوَاهِدِ ، أَن يَسْلَمَ لَهُمْ حَالُهُمْ ، لِأَنَّ التَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ ؛ وَيَتَوَّنُ  
مَا بَيْنَ الْعِلْمِ وَالظَّنِّ وَالْيَقِينِ وَالتَّسْلِيمِ ، فَإِذَا عَلِمَ ذَلِكَ من شَيْبِهِ غَضَّ بِرَيْقِهِ ، وَوَدَّ  
كَثِيرَ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّونَهُمْ عَنِ شَرْفِهِمْ ذَلِكَ سَوْفَةً وَوَضْعَاءَ حَسَدًا من عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ،  
فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِزَادِ وَازْتِكَابِ اللَّجَاجِ وَالتَّهَيُّتِ بِمَثَلِ هَذَا الطَّغْنِ الْفَائِلِ وَالْقَوْلِ  
الْمَكْنُوبِ ، / تَعْلَلًا بِالمَسَاوَاةِ فِي الطَّنَّةِ وَالْمُشَابَهَةِ فِي تَطَرُّقِ الْاِخْتِمَالِ ، وَهَيْهَاتَ لَهُمْ 10  
ذَلِكَ ! فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ - فِيمَا نَعْلَمُهُ - من أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الْكَرِيمِ ، من يَبْلُغُ  
فِي صِرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوُضُوحِهِ مِبَالِغَ أَغْقَابِ إِدْرِيسِ هَذَا من آلِ الْحَسَنِ . وَكَبُرَ أَوْهُمْ  
لِهَذَا الْعَهْدِ بَنُو عِمْرَانَ بِقَاسِ ، من وَلَدِ يَحْيَى الْجَوْطِيِّ ابْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْعَدَامِ ابْنِ  
الْقَابِسِ بْنِ إِدْرِيسِ بْنِ إِدْرِيسِ ، وَهُمْ نُسَبَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَالِكَ ، وَالسَّاكِنُونَ بَيْنَتِ  
جَدَّهُمْ إِدْرِيسَ ، وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَأَفْئَةٍ ، حَسْبًا نَذَرَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ 15  
الْأَدَارِسَةِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ .

وَيُلْحَقُ بِهَذِهِ الْقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَائِلَةِ ، مَا يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفَةُ الرَّأْيِ من  
فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ ، من الْقَدْحِ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ ، وَنَسَبَتِهِ إِلَى  
السَّعْوَذَةِ وَالتَّبْلِيسِ ، فِيمَا أَنَاهُ من الْقِيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ ، وَالتَّعْنِي عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ قَبْلَهُ ،

وتكذيبهم لجميع مدّعيّاته في ذلك، حتّى فيما يزعم الموحّدون أنبأه من انتسابه في أهل البيت . وإثنا حمل الفقهاء على تكذيبه ما كمنّ في نفوسهم من حسده على شأنه ؛ فإنهم لما رأوا من أنفسهم مناهضته في العلم والفنّيا وفي الدين بزعمهم، ثم افتناز عنهم بأته متبوع الرأي ، مسموع القول ، موطن القبح ، نفسوا ذلك عليه وغضوا منه بالقدح في مذاهبه والتكذيب لمدّعيّاته . وأيضاً فكانوا يؤنسون 5 من ملوك لفتونة - أعدائه - تحلّة وكرامة لم تكن لهم من غيرهم، لما كانوا عليه من السداجة والاحتال الديانة. فكان لحلة العلم بدولتهم مكان من الوجاهة والانتصاب للشورى، كل في بلده وعلى قدره في قومه؛ فأصبحوا بذلك شيعة لهم وحزباً لعدوهم.

وتقموا على المهديّ ما جاء به من خلافهم والتريب عليهم والمناسبة لهم ، 10 تشييعاً للفتونة وتعصّباً لدولتهم . ومكان الرجل غير مكانهم ، وحاله على غير معتقداهم. وما ظنك برجل يقيم على الدولة ما يقيم من أخوالهم، / وخالف اجتباؤه فقهاؤهم، فنادى في قومه ودعا إلى محادهم بنفسه، فافتلح الدولة من أصولها، وجعل غالياً سافليها ، أعظم ما كانت قوة وأشدّ شوكة وأعزّ أنصاراً وحامية ، وتساقطت في ذلك من أتباعه نفوس لا يحصيها إلّا خالفها، قد تابعوه على الموت، ووقوه 15 بأنفسهم من الهلكة، وتقرّبوا إلى الله بإتلاف مهجهم في إظهار تلك الدغوة، والتعصّب لتلك الكلمة حتّى علّت على الكليم، وأدالت بالعدوتين من البول. وهو بحاله من التّشّف والحصر، والضّر على المكاره، والتقلّل من الدنيا ، حتّى قبضه الله، وليس على شيء من الحظّ والمتاع في دنياه، حتّى الولد الذي ربّما تجنّح إليه



التقوس، وتُخادع عن تَمَنِيهِ. فليت شِغري ما الَّذي قصَدَ بذلك إن لم يكن وجه الله، وهو لم يَحْصُلْ له حظٌ من الدِّنيا في عاجِلِهِ، ومع هذا فلو كان قَضُهُ غيرَ صالح لما تَمَّ أمرُهُ وانْفَسَحَتْ دَعْوَتُهُ، ﴿سُئِلَ اللهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ﴾ (سورة غافر، من الآية 85).

- 5 وأما إنكارهم نسبته في أهل البيت ، فلا تَفْضُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ ؛ مع أَنَّهُ [إن] <sup>(1)</sup>  
تَبَّتْ أَنَّهُ ادَّعَاهُ وانتسب إليه، فلا دليل يَقُومُ على بُطْلَانِهِ، لأنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ في أنسابهم . وإن قالوا إنَّ الرِّئاسة لا تكون على قومٍ في غير أهل جَلَدَتِهِمْ، كما هو الصَّحِيح، حَسْبَمَا يَأْتِي في الفُضْلُ الأوَّل من هذا الكتاب، والرَّجُلُ قد رَأَسَ سائِرَ المُصَابِدَةِ، ودانوا بِاتِّبَاعِهِ والانتِقادِ إليه وإلى عَصَابَتِهِ من هَزَعَةٍ، حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللهِ في دَعْوَتِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّ هذا النِّسْبَ الفاطِمِي لم يكن أَمْرُ المَهْدِيِّ يَتَوَقَّفُ عليه، ولا اتَّبَعَهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ، وَإِنَّمَا كان اتِّبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصَبِيَّةِ الهَزَعِيَّةِ والمُضْمُودِيَّةِ ومَكَانِهِ مِنْهَا ، وَرُسُوخِ شَجَرَتِهِ فِيهَا. وكان ذلك النِّسْبُ الفاطِمِي خَفِيًّا قَدْ دَرَسَ عِنْدَ النَّاسِ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ عَشِيرَتِهِ يَتَنَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ ، فيكون النِّسْبُ الأوَّلُ كَأَنَّهُ اسْتَلْخَ مِنْهُ وَلِبَسَ جِلْدَةَ هَؤُلَاءِ / وَظَهَرَ فِيهَا ، فلا يَضُرُّهُ الاتِّسَابُ الأوَّلُ في عَصَبِيَّتِهِ، إِذْ هُوَ مَجْهُولٌ [121]  
عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ؛ ومثل هذا واقعٌ كَثِيرًا إِذَا كان النِّسْبُ الأوَّلُ خَفِيًّا. وانظر قِصَّةَ <sup>(1)</sup>  
15 غَرْفَجَةٍ وَجَرِيرٍ في رِئَاسَةِ جَبِيلَةٍ، وَكَيْفَ كان غَرْفَجَةٌ مِنَ الْأَزْدِ وَلَبَسَ جِلْدَةَ جَبِيلَةٍ،

(1) من : ج ي ع .

(1) انظر تفاصيل هذا الخبر منذ وقعة الجسر بين العرب والفرس وخبر عَرْفَجَةٍ وَجَرِيرٍ، في الطبري، تاريخ الرسل والملوك 3 : 471 .

حتى تنازع مع جرير رباستهم عند عمر، رضي الله عنه، كما هو مذكور، تنتههم منه  
وجه الحق. والله الهادي للصواب.

وقد كذا أن نخرج عن غرض الكتاب بالإطناب في هذه المغالط؛ فقد  
زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحقاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء،  
5 وعغلت بأفكارهم ولقنها عنهم الكافه من صفة النظر والعقله عن القياس، ولقنوهاهم  
أيضاً كذلك من غير بحث ولا رويه، واندرجت في محفوظاتهم، حتى صار فن  
التاريخ واهياً<sup>(1)</sup> مختلطاً، وناظره مرتبكاً، وعد من مناحي العامة.

فإذن، يحتاج صاحب هذا الفن إلى: العلم بقواعد السياسة، وطباع  
الموجودات، واختلاف الأمم والبقاع والأغصار في السير والأخلاق والقوائد والتخل  
10 والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بال حاضر من ذلك، ومماثلة ما يتنه وبين  
الغائب من الوفاق، أو بون ما بينها من الخلاف، وتعليل المتفق منه والمختلف،  
والقيام على أصول الدؤل والمثلل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي  
كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث،  
واقفاً على أصول كل خبر. وحينئذ يقرض خبره المنقول على ما عنده من القواعد  
15 والأصول، فإن واقفها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً، وإلا زينه واستغنى عنه.

وما استكثر القدماء علم التاريخ إلا لذلك؛ حتى اتحلله الطبري والبخاري  
وابن إسحاق من قبلها، / وأمثالهم من علماء الأمة. وقد ذهل الكثير عن هذا السر [21 ب]

(1) سقط من ج .

فيه، حتى صار انبعاثه مَجْهَلَةً، واستخفَّ العوامُ ومن لا رُسوخَ له في المعارف مُطالَعَتَهُ وخَمَلَهُ والحوُصُ فيه والتَطَلُّقُ عليه، فاختلط المزجي بالهزل، واللُّبَابُ بالقيسر، والصَّادِقُ بالكاذب. ﴿وإلى الله عاقِبَةُ الْأُمُور﴾ [سورة لقمان، من الآية 22].

ومن الغلط الحقني في التاريخ، الدهولُ عن تبدُّل الأحوال في الأمم والأجيال، بتبدُّل الأغصان ومُروَرِ الأيام، وهو داءٌ ذَوِي شديِد الحفَاء، [إذ<sup>(1)</sup> لا يقع إلَّا بعد 5 أخقابٍ مُتطاوِلَةٍ، فلا يكادُ يتفَضَّلُ له إلَّا الآحادُ من أهلِ الحَلِيقَةِ؛ وذلك أن أحوالَ العَالَمِ والأممِ وعواندِهم ونحلَّهم لا تدومُ على وَتيرةٍ واحدةٍ ومنهاجٍ مُستَقَرٍّ، إمَّا هو اختلافٌ على الأيام والأزمنة، وانتقالٌ من حالٍ إلى حالٍ. وكما يكونُ ذلك في الأشخاص والأوقات والأمنار، فكذلك يقعُ في الآفاق والأقطار والأزمنة والدُّول، ﴿سُئِلَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [سورة غافر، من الآية 85]. 10

وقد كانت في العَالَمِ أُمَمُ الفُرسِ الأولى، والسَّرِياتُون، واللَّبِيط، والثَّبَابَةُ، وبنو إسرائيل، والقيبط، وكانوا على أحوالٍ خَاصَّةٍ بهم في دُولهم وممالكهم وسياسَتهم وضَمايَهم ولُغاتهم واضطِلاحاتهم، وسائر مشاركاتهم مع أبناء جِنسهم؛ وأحوالُ اغتیارهم للعَالَمِ تُشْهَدُ بها آثارهم.

ثم جاء من بَعدَهم الفُرسُ الثَّانِيَةُ والزُرُومُ والعَرَبُ والفِرَنْجِيَّةُ<sup>(ب)</sup>، فتبدَّلَت تلك 15 الأحوال، وانقلبت بها<sup>(ج)</sup> العوائدُ إلى ما يُجَانِسُها ويُنَاقِضُها، وإلى ما يُبَايِئُها وَيُبَاعِدُها. ثم جاء الإسلامُ بِنُزُولِ مُصَرٍّ، فانقلبت تلك الأحوالُ أَجْمَعُ انْقِلَابَةً أُخْرَى، وصارت

(أ) من: ع ل ج ي (ب) أنبأ المؤلف في الأصل "ع" ثم شطبها، ولم ترد في الأصول الأخرى إلا في ط (ج) سقط من ل .

إلى ما أكثره متعارف لهذا العهد، يأخذه الخلف عن السلف. ثم دَرَسَتْ دولة  
القرب وأيامهم، وذهب الأسلاف الذين شَبَدُوا عِزَّهُمْ وَمَهَّدُوا مُلْكَهُمْ، وصار الأمر  
في أيدي سيواهم من العجم، مثل التُّرك بالْمَشْرِقِ، والبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ، / والْفِرَنْجَةِ بِالشَّمَالِ ؛ [i 22]  
فذهبتْ بذهايمهم أُمَمٌ، واقبلتْ أحوالٌ وعوائد، نُسِيَتْ شَأْنُهَا وأُغْفِلَ أَمْرُهَا.

5 والسَّبَبُ الشَّائِعُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ، أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ تَابِعَةٌ لِعَوَائِدِ  
سُلْطَانِهِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحَكِيمَةِ : النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ . وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانِ إِذَا اسْتَوَلَوْا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ، فَلَا يَدُّ وَأَنْ يَنْزِعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ ،  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا ، وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ مَعَ ذَلِكَ، فَيَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بِقِصَصِ الْمُخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ ؛ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَرَجَتْ مِنْ  
10 عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا ، خَالَفَتْ أَيْضاً بَعْضَ الشَّيْءِ ؛ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً. ثُمَّ  
لَا يَزَالُ التَّدْرِجُ فِي الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمُبَآئِنَةِ بِالْجُمْلَةِ؛ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْيَالُ  
تَتَعَاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ، لَا تَزَالُ الْمُخَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةً.

والْقِيَاسُ وَالْمُحَاكَاةُ لِلإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ، وَمِنَ الْغَلَطِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ، تُخْرِجُهُ  
مَعَ الذُّهُولِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ قَضِيئِهِ ، وَتُغَوِّجُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ . فَزَيْدًا يَسْمَعُ السَّامِعَ كَثِيرًا مِنْ  
15 أَخْبَارِ الْمَاضِيْنَ، وَلَا يَتَفَقَّنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَانْقِلَابِهَا، فَيُخْرِجُهَا لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ عَلَى  
مَا عَرَفَ، وَيَقِسُّهَا بِمَا شَهِدَ؛ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا، فَيَقَعُ فِي مَهْوَاةٍ مِنَ الْغَلَطِ.

فَمِنْ هَذَا الْبَابِ، مَا يَتَّقِلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْحَجَّاجِ، وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنْ  
الْمُعَلِّمِينَ؛ وَمَعَ أَنَّ التَّعْلِيمَ لِهَذَا التَّهْدِ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَاعِ الْمَعَاشِيَةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ اغْتِرَازِ  
أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ ، وَالْمُعَلِّمِ مُسْتَضْعَفٍ مِسْكِينٍ، مُنْقَطِعِ الْجُذْمِ، فَيَتَشَوَّفُ الْكَثِيرُ مِنْ

المُسْتَغْفِرِينَ أَهْلِي الْحِرْفِ وَالصَّنَائِعِ الْمَعَايِشِيَّةِ إِلَى تَبِيلِ الرُّتَبِ الَّتِي لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ ،  
وَيُعَدُّونَهَا مِنَ الْمُفَكِّكَاتِ لَهُمْ؛ فَتَذْهَبُ بِهِمْ وَسَاوِسُ الْمَطَامِعِ ، وَرُبَّمَا انْقَطَعَ خَبْلُهَا مِنْ  
أَيْدِيهِمْ / فَتَسْقُطُوا فِي مَهْوَاةِ الْهَلَكَةِ وَالثَّلَفِ ، وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتِحْصَالَهَا فِي حَقِّهِمْ ، [22 ب]  
وَأَتَاهُمْ أَهْلُ حِرْفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْمَعَاشِ ، وَأَنَّ التَّعْلِيمَ صَدَرَ الْإِسْلَامِ وَالتَّوَلَّيْنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ،  
وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِالْجُمْلَةِ صِنَاعَةً ، إِنَّمَا كَانَ ثَقْلًا لِمَا سَمِعَ مِنَ الشَّارِعِ ، وَتَعْلِيمًا لِمَا جَهِلَ مِنْ 5  
الَّذِينَ عَلَى جَهْمَةِ الْإِبْلَاحِ . فَكَانَ أَهْلُ الْأَنْسَابِ وَالْعَصِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْمِلَّةِ ، هُمَ الَّذِينَ  
يَعْلَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ ، عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْحَقَرِيِّ ، لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ  
الصَّنَاعِيِّ ؛ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمُ الْمُنَزَّلُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ ، وَبِهِ هِدَايَتُهُمْ ، وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ ،  
قَاتَلُوا عَلَيْهِ وَقُتِلُوا ، وَاخْتَصَمُوا بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَشَرَفُوا ؛ فَيَخْرِصُونَ عَلَى تَعْلِيمِ ذَلِكَ  
وَتَفْهِيمِهِ لِلأُمَّةِ ، لَا تَصْدَهُمُ عَنْهَ لَائِمَةُ الْكِبَرِ ، وَلَا يَزَعُهُمْ عَاذِلُ الْأَثَمَةِ . وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ بَعَثُ 10  
الَّذِي ﷺ ، كَبَارَ أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْقَرَبِ يَعْلَمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ  
شَرَائِعِ الدِّينِ ؛ بَعَثَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشْرَةَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ . فَلَمَّا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ  
وَوُشِّجَتْ غُرُوقُ الْمِلَّةِ ، حَتَّى تَنَاوَلَهَا الْأُمَمُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا ، وَاسْتَحَالَتْ  
بِمُرُورِ الْأَيَّامِ أَخْوَالُهَا ، وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الثُّبُوصِ لَتَعْدُدِ الْوَقَائِعِ  
وَنَتَاجِجِهَا ، فَاخْتِجَاجُ ذَلِكَ إِلَى قَانُونٍ يَحْفَظُهُ مِنَ الْخَطَا ، وَصَارَ الْعِلْمُ مَلَكَةً تَحْتَاجُ إِلَى 15  
التَّعْلَمِ ، فَأُضْهِجَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ ، كَمَا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ .

وَاسْتَفَلَ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ بِالْقِيَامِ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ ، فَذَفَعَ لِلْعِلْمِ مَنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ ،  
وَأُضْهِجَ حِرْفَةُ الْمَعَاشِ ، وَشَمَخَتْ أَنْوُفُ الْمُتَفَرِّقِينَ وَأَهْلُ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّعْلِيمِ <sup>(1)</sup> ،

(1) ل : للتعلّم .

واختَصَّ انْتِحَالَهُ بِالْمُسْتَظْغِفِينَ ، وصار مُنْتَجِلُهُ مُخْتَفَرًا عند أَهْلِ / الْعَصِيَّةِ وَالْمَلِكِ . [123]

وَالْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافِهِمْ ، وَمَكَانُهُمْ مِنْ غَصْبِيَّةِ الْعَرَبِ وَمُنَاهِضَةِ قُرَيْشٍ فِي الشَّرَفِ مَا عَلِمَتْ . وَلَمْ يَكُنْ تَعْلِيمُهُ لِلْقُرْآنِ <sup>(1)</sup> عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، مِنْ أَنَّهُ جِرْفَةٌ لِلْعَاشِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَلَى مَا وَصَفْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ .

5 ومن هذا الباب ، ما يتوَهَّمُهُ الْمُتَصَفِّحُونَ لِكُتُبِ التَّارِيخِ ، إِذَا سَمِعُوا أَحْوََالَ

الْقُضَاءِ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الزَّانِسَةِ فِي الْحُرُوبِ وَقُدُودِ الْعَسَاكِرِ . فَتَتَرَامَى بِهِمْ وَسَاوِسُ الْهَيْمِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرُّتَبِ ، يَحْسِبُونَ أَنَّ الشَّأْنَ فِي خُطَّةِ الْقُضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا

كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ . وَيُظَنُّونَ بَابْنَ أَبِي عَامِرٍ ، حَاجِبَ هِشَامِ الْمُسْتَبَدِّ عَلَيْهِ ، وَابْنَ عَبَّادٍ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِأَشْبِيلِيَّةٍ ، إِذَا سَمِعُوا أَنَّ آبَاءَهُمْ كَانُوا قُضَاءً أَنَّهُمْ مِثْلُ

10 الْقُضَاءِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، وَلَا يَتَفَتَّحُونَ لِمَا وَقَعَ فِي رُتْبَةِ الْقُضَاءِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْغَوَائِدِ ، كَمَا نُبَيِّنُهُ

فِي فَصْلِ الْقُضَاءِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ .

وَإِنَّ أَبِي عَامِرٍ وَابْنَ عَبَّادٍ ، كَانَا مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، الْقَائِمِينَ بِالزُّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ

بِالْأَنْدَلُسِ وَأَهْلِي غَصْبِيَّتِهَا ، وَكَانَ مَكَانُهُمْ فِيهَا مَغْلُومًا ، وَلَمْ يَكُنْ نَيْلُهُمْ لِمَا نَالُوهُ مِنْ

الزَّانِسَةِ وَالْمَلِكِ بِخُطَّةِ الْقُضَاءِ كَمَا هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ ، بَلْ إِنَّمَا كَانَ الْقُضَاءُ فِي الْأَمْرِ الْقَدِيمِ

15 لِأَهْلِ الْغَصْبِيَّاتِ مِنْ قَبِيلِ الزُّوَلَةِ وَمَوَالِيهَا ، كَمَا هِيَ الْوِزَارَةُ لِعَهْدِنَا بِالْمَغْرِبِ .

وَانْظُرْ خُرُوجَهُمُ بِالْعَسَاكِرِ فِي الصَّوَائِفِ ، وَتَقْلِيدَهُمْ عِظَائِمَ الْأُمُورِ الَّتِي لَا تُثَقِّلُ

إِلَّا لِمَنْ لَهُ الْغِنَاءُ فِيهَا بِالْغَصْبِيَّةِ . فَيَغْلُطُ السَّامِعُ فِي ذَلِكَ وَيَحْجِلُ الْأَحْوََالَ عَلَى غَيْرِ مَا

هِيَ [ عَلَيْهِ ] <sup>(ب)</sup> . وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي هَذَا الْغَلَطِ ضُعْفَاءُ الْبَصَائِرِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا

(1) ل : القرآن (ب) من ل .

[23 ب] العهد، لفقدان العصية / في مواطنهم منذ أغصار بعيدة، لفناء العرب وذولتهم بها ،  
 وخروجهم عن ملكة أهل العصية من البربر ؛ فَبَقِيَتْ أنسابهم العربية محفوظةً،  
 والذرية إلى العز من العصية والتناصر مفقودة، بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين  
 الذين تعبّدهم القهْر ، وزئموا المذلة ؛ يخسبون أن أنسابهم مع مُخالطة الدولة هي  
 التي يكون بها القلبُ والتحكُّم . فتجد أهل الحرف منهم والصنائع مُتصدّين لذلك 5  
 ساعين في نيله . فأمّا من باشر أحوال القبائل والعصية وذولهم بالعدوة المغربية،  
 وكيف يكون الثقلُ بين الأمم والعشائر، فقلما يغلطون في ذلك أو يُخطئون في  
 اغتياره.

ومن هذا الباب أيضاً، ما يسلّكه المؤرخون عند ذكر الدُول وتُسق ملوكها،  
 فيذكرون اسمَه، ونسبَه، وأمه ، وأباه، ونسأه، ولقبه، وخاتمه ، وقاضيه، وحاجبه، 10  
 ووزيره؛ كل ذلك تقليداً لمؤرخي الدُولتين من غير تَفْطَنٍ لمقاصدهم. والمؤرخون لذلك  
 العهد، كانوا يضعون تواريخهم لأهل الدولة، وأبناءؤها مُتَشَوِّفون إلى سير سلفهم  
 ومعرفة أحوالهم، ليقتفوا آثارهم وينسبوا على منوالهم، حتّى في اضطناع الرجال من  
 خَلَف دُولتهم ، وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم . والقضاء أيضاً كانوا  
 من أهل عصية الدولة وفي عداد الوزراء كما ذكرناه لك ؛ فيحتاجون إلى ذكر 15  
 ذلك كلّهُ . وأمّا حين ثبائنت الدُول ، وتباعد ما بين العصور ، وَوَقَفَ الغرض على  
 معرفة الملوك بأنفسهم خاصة، ونسب الدُول بعضها من بعض في قُوَّتِها وغلّيا ، ومن  
 كان يُناهضها من الأمم أو يقصر عنها، فما الفائدة المُصنّف لهذا العهد في ذكر الأبناء  
 والنساء ونسب الحواتم واللقب / والقاضي والوزير والحاجب من دُولَة قَدِيمَة لا نَعْرِفُ [124]

فها أصولهم ولا أنسابهم ولا مقاماتهم؟! إنا حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين، والدُّهولُ عن تحزّي الأغراض من التاريخ؛ اللهم إلا ذكر الوزراء الذين غُظمت آثارهم، وعُتت على الملوك أخبارهم؛ كالخجاج، وبني المهلب، والبراميكة، وبني سهل بن نوحث، وكافور الإخشيدى، وابن أبي عامر، وأمثالهم؛ 5 فغيرُ تكثيرِ الإلماعِ بأنامهم، والإشارة إلى أحوالهم، لانتظامهم في عداد الملوك.

ولنذكر هنا فائدةً نختم كلامنا في هذا الفصل بها، وهي: أن التاريخ إنما هو [ذكر<sup>(1)</sup>] الأخبار الخاصة بغضير أو جليل. فأما ذكر الأحوال العامة للأفاق والأجيال والأغصار، فهو أسُّ للمؤرخ ينبغي عليه أكثر مقاصده وتبيين به أخباره. وقد كان الناس يُفردونه بالتأليف؛ كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب؛ شرح فيه 10 أحوال الأمم والأفاق لعنه في عصر الثلاثين والثلاثمائة غرباً وشرقاً، وذكر نحلهم وعوائدهم، ووَصَفَ البُلدانَ والجبالَ والبحارَ والممالكَ والدُّولَ، وفَرَّقَ شعوبَ العرب والغنم؛ فصار أمّا للمؤرخين يرجعون إليه، وأضلاً يقولون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه. ثم جاء البكريُّ من بعده، ففعلَ مثلَ ذلك في المسالك والممالك خاصةً دون غيرها من الأحوال؛ لأنَّ الأمم والأجيال لعنه لم يقع فيها كبير<sup>(ب)</sup> انتقال 15 ولا عظيمُ تغير.

وأما لهذا العهد وهو آخرُ المائة الثامنة، فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهده، وتبدلت بالجفلة، واعتاض من أجيال البربر أهله على القِدم، بمن طرأ فيه من لذن المائة الخامسة من أجيال العرب، بما كثروهم وغلبوهم، / وانترعوا [24 ب]

(1) من: ع ل ج ي، وفي ظه: هو إخبار الخاصة (ب) في ج: كبير.



منهم عامة الأوطان ، وشاركهم فيما بقي من البلدان لِمَلَكْتِهِمْ؛ هذا إلى ما نزل  
 بالعمُران شرقاً وغرباً في مُنتصف هذه المائة الثامنة من الطّاعون الجارف، الَّذِي  
 تحيَّف الأمم وذَهَب بأهل الجبل، وطوى كثيراً من محاسن العُمران ومَحالها، وجاء  
 للدُّول على حين هزيمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلَّص من ظلّالها، وقلَّ من خدّها،  
 وأوهن من سُلطانها، وتداعَتْ إلى التلاشي والاضمحلال أخوالها، وانتقص<sup>(١)</sup> عُمران 5  
 الأرض بانتقاص<sup>(٢)</sup> البشَر، فخرِبَت الأمصار والمصانع، ودَرسَت السُّبُل والمعالم ،  
 وحلَّت الديارُ والمنازل، وضَعُفَت الدُّول والقبائل، وتبدَّل السَّاكِن. وكأَنِّي بالمشرق  
 قد نزلَ به مثلُ ما نزل بالمغرب، لكنْ على نِسْبَتِهِ ومُقَدَّار عُمرانه. وكأَنَّا ناذَى لسانُ  
 الكُؤُن في العالم بالحمُول والانتِبابُض، فبادر إلى الإجابة، والله وارثُ الأرض ومن  
 عليها .

10

وإذا تبدَّلت الأحوالُ جُمْلَةً، فكأَنَّا تبدَّل الخَلْقُ من أصله، وتحوَّل العالمُ بأُسرهِ،  
 وكأَنَّهُ خَلَقَ جَدِيدٌ، ونُشَأَةٌ مُسْتَأَنَفَةٌ، وعَالَمٌ مُخَدَّتٌ. فاحتاج لهذا العهد من يَدُون  
 أحوالِ الحليقة ، والآفاقِ وأجبيالِها ، والقوائدِ والتخلُّ التي تبدَّلت لأهلها، وبَقُو  
 مُسَلِّكٌ<sup>(ب)</sup> المسعوديِّ لغضره، ليكونَ أضلاً يَتَّقِي به مَنْ يَأْتِي مِنَ المؤرِّخين مِنْ بَعْدِهِ.  
 وأنا ذاكِرٌ في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القُطرِ المَغْرِبِي ، إمَّا صريحاً ، 15  
 أو مُندرجاً في أخباره وتلويحاً ، لاختصاص قَصْدي في التَّأليفِ بالمَغْرِب ، وأحوالِ  
 أَجْبِيالِهِ وأُمَمِهِ، وذِكْر ممالكه ودُّولِهِ دون ما سِوَاهِ مِنَ الأَقْطَار ، لَعَدَمِ أَطْلَاعِي عَلَى  
 أحوالِ المَشْرِيقِ وأُمَمِهِ، وَأَنَّ الأخبارَ المتناقلةَ لا تُوفِّي كُنْهَ ما أُرِيدُهُ مِنْهُ. والمُسعوديِّ

(١) في ج : انتقص ... بانتقاض (ب) ج : مسالك .

إِنَّمَا اسْتَوْفَى ذَلِكَ لِبُعْدِ رَحْلَتِهِ وَتَقْلُّهِ فِي الْبِلَادِ، كَمَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ؛ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ  
 الْمَقْرَبَ قَصَّرَ فِي اسْتِيفَاءِ أَحْوَالِهِ ؛ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ [سورة يوسف، من الآية  
 76] ، / وَمَرَدُّ الْعِلْمِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ، وَالْبَشَرُ عَاجِزٌ قَاصِرٌ، وَالْاعْتِرَافُ مُتَعَيِّنٌ وَاجِبٌ ؛ [125]  
 وَمَنْ كَانَ اللَّهُ فِي عَوْنِهِ تَبَسَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَذَاهِبُ ، وَأُنْجِحتْ لَهُ الْمَسَاعِي وَالْمَطَالِبُ .  
 5 وَنَحْنُ آجِذُونَ، بِعَوْنِ اللَّهِ، فِيمَا زَمَنَاهُ مِنْ أَغْرَاضِ التَّأْلِيفِ، وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ وَالْمُعِينُ ،  
 وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .



وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ  
 لُغَةِ الْعَرَبِ إِذَا عَرَضَتْ فِي كِتَابِنَا هَذَا .

10 وَاعْلَمْ أَنَّ الْحُرُوفَ فِي التَّنْطِقِ، كَمَا يَأْتِي شَرْحُهُ بَعْدُ، هِيَ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَصْوَاتِ  
 الْخَارِجَةِ مِنَ الْحَنَجْرَةِ ، تَغْرِضُ مِنْ تَقْطِيعِ الصَّوْتِ ، بِقَرْعِ اللَّهَاءِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مَعَ  
 الْحَلْقِ أَوْ الْحَنَكِ وَالْأَضْرَاسِ ، أَوْ بِقَرْعِ الشِّفَتَيْنِ أَيْضاً ، فَتَتَفَايَرُ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ  
 بِتَغْيِيرِ <sup>(1)</sup> ذَلِكَ الْقَرْعِ ، وَتَحْيِئُ الْحُرُوفَ مُتَمَايِزَةً فِي السَّمْعِ، وَتَرْكَّبُ مِنْهَا الْكَلِمَاتُ الْبَدَالَةُ  
 عَلَى مَا فِي الضَّمَانِ .

15 وَلَيْسَتْ الْأُمَمُ كُلُّهَا مَتَسَاوِيَةً فِي التَّنْطِقِ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ ، فَقَدْ يَكُونُ لِأُمَّةٍ مِنْ  
 الْحُرُوفِ مَا لَيْسَ لِأُمَّةٍ أُخْرَى. وَالْحُرُوفُ الَّتِي تَطْلُقُ بِهَا الْعَرَبُ هِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ

(1) في: ل ج ي: بتغاير .

حرفاً كما غلّمت؛ ونَجِدُ للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا ، وفي لغتنا أيضاً حروفاً  
ليست في لغتهم ، وكذلك الإفرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم.

ثم إن أهل الكتاب من الغرب اضطلّحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة  
بأوضاع حروف مكتوبة مُمَيِّزة بأشخاصها ، كوضع ألف وباء وجيم وزاء وطاء ، إلى  
آخر الثمانية والعشرين ؛ فإذا عَرَضَ لهم الحرف الذي ليس من [حروف] <sup>(1)</sup> لغتهم 5  
بقي مُهْمَلاً عن الدلالة الكتابية مُغْفَلاً عن البيان ؛ وربما يَرْتَمِهُ بعض الكتاب  
بشكل الحرف الذي يَكْتَنِفُهُ من لغتنا قَبْلَهُ أو بعده ، وليس ذلك بكافٍ في الدلالة ؛  
بل هو تَقْيِيرٌ للخزف من أصله .

ولما كان كتابنا مُشْتَمِلاً على أخبار البربر ونقض العجم ، وكانت تَقْرُضُ لنا في  
أسمائهم أو بغض كلماتهم حروف ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح أوضاعنا ، 10  
اضطّررنا إلى بيانها ، ولم نَكْتَفِ بِرِسْمِ الحرف الذي يليه كما قُلْنَا ؛ لأنه عندنا غير  
[25 ب] وافٍ بالدلالة عليه ، / فاضطلّحْتُ في كتابي هذا على <sup>(ب)</sup> أن أضع ذلك الحرف  
العجمي بما يَدُلُّ على الحرفين اللذين يَكْتَنِفَانِهِ ، ليتوسّط القارئ بالثُّطْقِ به بين  
مَحْرَجِي دَيْنِكَ الحرفين ، فتخصل تأديته .

وإنما اقْتَبَسْتُ ذلك من رَسْمِ أهل المصحف حروف الإشمام ، كالصَّراط في 15  
قراءة خَلْفَ ، فإنَّ الثُّطْقَ بصادها مُفَحِّمٌ مُتَوَسِّطٌ بين الصاد والزاي ، فوضّعوا  
الصَّادَ وَرَسَمُوا فِي داخلها شكل الزاي ؛ ودلّ ذلك عندهم على التوسّط بين الحرفين.

(1) من: ي ل (ب) سقط من ل .

فكذلك زُيِّنَتْ أنا كلُّ خَرفٍ يتوسَّط بينَ خَرفين من حُرُوفنا ، كالكَاف المتوسَّطة عند البَرزِ ، بين الكاف الصَّريحة عندنا والجيم أو القاف ، مثل اسم بُلَكَيْن ، فأضَعُها كافاً وأثَقَطها بنقطة الجيم واحدة من أسفل ، أو بنقطة القاف واحدة من فَوْق ، أو ثِنْتَيْن ، فبدَّل ذلك على أَنه متوسَّط بين الكاف والجيم أو القاف . وهذا 5 الحرفُ أَكْثَر ما يَجيءُ في لُغة البَرزِ ، وما جاء من غَيره فعلى هذا القياس : أضعُ الحرفَ المتوسَّط بين خَرفين من لُغتنا بالخَرفين معاً ، ليعلمَ القارئ أَنه متوسَّطٌ فينطِقُ به كذلك ، فنكونُ قد دَلَّلنا عليه . ولو وَضَعناه برسم الحرف الواحد عن جانبَيْه لكتبا قد صرَفناه من مَخرجه إلى مَخرج الحرف الَّذي من لُغتنا ، وغَيرنا لُغة القوم ، فاعلمَ ذلك ، والله الموفقُ <sup>(1)</sup> .

(1) ترك النسخ بقية الصفحة 25 ب بيضاء ، وكذلك كامل الصفحة 26 أ من الأصل ط .

وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ <sup>(1)</sup>

الكتاب الأول:

فِي طَبِيعَةِ الْعُمُرَانِ فِي الْحَلِيقَةِ، وَمَا يُعْرَضُ فِيهَا مِنَ الْبَدْوِ وَالْمَحْضَرِ، وَالتَّغْلِبِ،  
وَالْكُسْبِ، وَالْمَعَاشِ، وَالْعُلُومِ، وَالصَّنَائِعِ، وَنَحْوِهَا،  
وَمَا لِذَلِكَ مِنَ الْعِلَلِ وَالْأَسْبَابِ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَا كَانَتْ حَقِيقَةُ التَّارِخِ أَنَّهُ خَبَرَ عَنِ الْجَمَاعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ  
عُمْرَانُ الْعَالَمِ، وَمَا يُعْرَضُ لَطَبِيعَةِ ذَلِكَ الْعُمْرَانِ مِنَ الْأَخْوَالِ، مِثْلَ التَّوَحُّشِ،  
وَالثَّائِسِ، وَالْقَصَبِيَّاتِ، وَأَصْنَافِ الثَّقَلَاتِ لِلْبَشَرِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْ  
10 ذَلِكَ مِنَ الْمُلْكِ وَالذُّوْلِ وَمَرَاتِبِهَا، وَمَا يَنْتَجِلُهُ الْبَشَرُ بِأَعْيَانِهِمْ وَمَسَاعِيهِمْ مِنَ الْكَسْبِ  
وَالْعَاشِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ، وَسَائِرِ مَا يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْعُمْرَانِ بِطَبِيعَتِهِ مِنَ الْأَخْوَالِ.  
وَلَمَّا كَانَ الْكُذِبُ مُتَطَرِّقًا لِلْخَبَرِ بِطَبِيعَتِهِ، وَلَهُ أَسْبَابٌ تَنْتَضِيهِ، فَهِيَ :

(i) سقط من ي .

الشَّيَيعَات لِلآرَاءِ وَالْمَذَاهِبِ ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا كَانَتْ عَلَى حَالِ الْإِغْتِدَالِ فِي قَبُولِ الْخَبَرِ ، أَغْطَتْهُ حَقُّهُ مِنَ التَّمْحِصِ وَالنَّظَرِ ، حَتَّى تَتَبَيَّنَ صِدْقُهُ مِنْ كَذِبِهِ . وَإِذَا خَافَهَا تَشَيَّعَ لِرَأْيِ أَوْ يَخْلَعُ ، قَبِلَتْ مَا يُوَافِقُهَا مِنَ الْأَخْبَارِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ الْمَيْلُ وَالتَّشَيُّعُ غِطَاءً عَلَى عَيْنِ بَصِيرَتِهَا عَنِ الْإِثْقَادِ وَالتَّمْحِصِ ، فَتَقَعُ فِي قَبُولِ الْكَذِبِ وَثَقْلِهِ . 5

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْمُتَضَيِّعَةِ لِلْكَذِبِ فِي الْأَخْبَارِ أَيْضًا ، الثَّقَّةُ بِالتَّاقِلِينَ ؛ وَتَمْحِصُ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى التَّعْدِيلِ وَالتَّجَرُّحِ .

وَمِنْهَا : الذَّهْوُ عَنِ الْمَقَاصِدِ ؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ <sup>(أ)</sup> لَا يَعْرِفُ الْقَضَ بِمَا عَايَنَ أَوْ سَمِعَ ، وَيَتَّقِلُ الْخَبَرَ عَلَى مَا فِي ظَنِّهِ وَتَحْمِينِهِ ، فَيَقَعُ فِي الْكَذِبِ .

وَمِنْهَا : تَوْثُّمُ الصَّدَقِ ، وَهُوَ كَثِيرٌ ؛ وَإِنَّمَا يَحِيءُ فِي الْأَكْثَرِ مِنْ هِمَّةِ الثَّقَّةِ بِالتَّاقِلِينَ . 10

\* وَمِنْهَا : الْجَهْلُ بِتَطْبِيقِ الْأَحْوَالِ عَلَى الْوَقَائِعِ <sup>(ب)</sup> ، لِأَجْلِ مَا يُدَاخِلُهَا مِنَ التَّلَبُّسِ وَالتَّضَعُّعِ ، فَيَنْقَلِبُهَا الْمُخْبِرُ كَمَا رَأَاهَا ، وَهِيَ بِالتَّضَعُّعِ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ \* <sup>(ج)</sup> .

/ وَمِنْهَا : تَقَرُّبُ النَّاسِ فِي - الْأَكْثَرِ - لِأَصْحَابِ التَّجَلَّةِ وَالْمَرَاتِبِ بِالنِّسَاءِ 15  
وَالْمَذْحِ ، وَتَحْسِينِ الْأَحْوَالِ ، وَإِشَاعَةِ الذِّكْرِ بِذَلِكَ ، فَتَسْتَفِضُّ الْأَخْبَارُ بِهَا عَلَى غَيْرِ حَقِيقَةٍ ؛ فَالْنَّفُوسُ مَوْلَعَةٌ بِحَبِّ النِّسَاءِ ؛ وَالنَّاسُ مُتَطَلِّعُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابِهَا مِنْ جَاءِ أَوْ ثَرَوْهَ ؛ وَلَيْسُوا - فِي الْأَكْثَرِ - بِرَاغِبِينَ فِي الْفَضَائِلِ وَلَا مُتَنَافِسِينَ فِي أَهْلِهَا .

(أ) ل ج ي ع : التَّاقِلِينَ (ب) ي ج : الْوَقَائِعِ (ج) سَطَطَ مَا بَيْنَ النَّجْمِينَ مِنْ ل .

ومن الأسباب المُتَضَيِّعة له أيضاً ، وهي سَابِقَةٌ على جَمِيع ما تَقَدَّمَ ، الجهلُ بطَبَائِعِ الأَحْوالِ في الغُمران؛ فَإِنَّ كُلَّ حَدَثٍ مِنَ الحَوادثِ ، ذَاتاً كان أو فِعْلاً ، لا يَبْدُ له من طَبِيعَةِ تَخَصُّصِهِ في ذَاتِهِ وفيما يَفْرَضُ له من أحواله ؛ فإذا كان السَّمْعُ عارِفاً بطَبَائِعِ الحَوادثِ والأَحْوالِ في الوجودِ ومُقْتَضِيَّاتِها ، أعانَهُ ذلك في تَحْصِيصِ الخَبَرِ على تَمْيِيزِ الصَّدَقِ مِنَ الكَذِبِ ، وهذا أبلغُ في التَّمْهِيصِ من كُلِّ وَجْهِ يَفْرَضُ .

5 وكثيراً ما يَفْرَضُ للسَّامِعِينَ قَبُولُ الأَخْبَارِ المُسْتَحِيلَةِ ، وَتَقْلُوبُهَا وَتَوَثُّرُ غَنَمِهَا . كما نَقَلَهُ المُسَعُودِيُّ<sup>(1)</sup> عَنِ الإِسْكَندَرِ لَمَّا صَدَّعَتْهُ ذَوَابُّ البَحْرِ عَنِ بِنَاءِ الإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَكَيْفَ اتَّخَذَ تَابُوتَ الحَشَبِ وَفِي بَاطِنِهِ صُنْدُوقُ الرُّجَاجِ ، وَغَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ البَحْرِ ، حَتَّى كَتَبَ صُورَ تِلْكَ الدَّوَابِّ الشَّيْطَانِيَّةِ الَّتِي رَأَاهَا ، وَعَمَلَ تَأْثِيلَهَا مِنْ أَجْسَادٍ مَغْدِيَّةٍ ، وَنَصَبَهَا جِذَاءَ النُّبْيَانِ ، فَفَزَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ حِينَ خَرَجَتْ وَعَايَنَتْهَا ، وَتَمَّ لَهُ بِنَاؤُهُ ، فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خُرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ ، مِنْ قَبْلِ اتَّخَاذِ التَّابُوتِ الرُّجَاجِيِّ ، وَمُصَادَمَةِ البَحْرِ وَأَمْوَاجِهِ بِجَرَمِهِ ؛ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمُلُوكَ لَا تَحْمِلُ أَنْفُسُهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْقَرَرِ ، وَمِنْ اعْتِمَادِهِ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلْهَلَكَةِ ، وَانْتِقَاضِ الْعُقُودَةِ ، وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ ، وَفِي ذَلِكَ تَلَاغُهُ ، لَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ غَرَرِهِ ذَلِكَ طَرَفَةً عَيْنٍ . وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْجَنَّ لَا تُعْرِفُ لَهَا صُورٌ وَلَا تَأْثِيلَ تَخْتَصُّ بِهَا ، إِنَّمَا هِيَ قَادِرَةٌ عَلَى التَّشْكِكِ ، وَمَا يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ الرُّؤُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الْبَشَاعَةُ وَالتَّهْوِيلُ ، لَا أَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِخَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ .

وَالْقَادِخُ الْحَمِيلُ لَهَا مِنْ طَرِيقِ الْوُجُودِ بِأَتَيْنِ مِنْ هَذَا / كَلَهُ ، أَنَّ التَّمَنُّسَ فِي الْمَاءِ (27 ب)

(1) مروج الذهب 2: 101 (830-831) .

ولو كان في الصُّندوق يَضِيقُ عليه الهواءُ لِلتَّنَفُّسِ الطَّبِيعِيِّ ، وَتَتَسَخَّنُ رَوْحُهُ<sup>(1)</sup>  
 بِسَرْعَةٍ لِقَلَّتِيهِ ، فَيَقِفِدُ صَاحِبُهُ الهَوَاءَ البَارِدَ المَعْدُلَ لِمَزَاجِ الرِّثَةِ وَالزَّوَجِ القَلْبِيِّ ، وَيَهْلِكُ  
 مَكَانَهُ . وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ أَهْلِ الحَمَامَاتِ إِذَا أَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ عَنِ الهَوَاءِ  
 البَارِدِ ، وَالمُتَنَذِلِينَ فِي الآبَارِ وَالمَطَامِيرِ الغَمِيقَةِ المَهْوَى ، إِذَا سَخُنَ هَوَاؤُهَا بِالْغَفْوَةِ وَلَمْ  
 5 تُدَاخِلْهُمُ الرِّيحُ فُتُخِّلْجُلْهَا ؛ فَإِنَّ المُنْتَدِلِيَّ فِيهَا يَهْلِكُ لِحِينِهِ . وَهَذَا السَّبَبُ يَكُونُ مَوْتَ  
 الحَوْتَ إِذَا فَارَقَ البَحْرَ ؛ فَإِنَّ الهَوَاءَ لَا يَكْفِيهِ فِي تَغْدِيلِ رِثَتِهِ ، إِذْ هُوَ حَارٌّ بِإِفْرَاطٍ ،  
 وَالمَاءُ الَّذِي يَغْدِلُهُ بَارِدٌ ، وَالهَوَاءُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ حَارٌّ ، فَيَسْتَوِلِي عَلَى رَوْحِهِ الحَيَوَاتِيِّ  
 وَيَهْلِكُ دَفْعَةً . وَمِنْهُ هَلَاكِ المَضْعُوقِينَ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

وَمِنَ الْأَخْبَارِ المُسْتَحِيلَةِ ، مَا نَقَلَهُ المَسْعُودِيَّ<sup>(1)</sup> أَيْضاً ، فِي تَمَثُّلِ الرُّزْزُورِ  
 10 الَّذِي بِرُومَةِ ، تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الرُّزَّازِيرُ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّيْتُونِ ، وَمِنْهُ  
 يَتَجَدُّونَ زَيْتَهُمْ . وَانْظُرْ مَا أَبْعَدَ ذَلِكَ عَنِ المَجْزَى الطَّبِيعِيِّ فِي اتِّخَاذِ الزَّيْتِ .

وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ البَكْرِيُّ<sup>(2)</sup> فِي بِنَاءِ المَدِينَةِ المَسْفَاةِ ذَاتِ الْأَبْوَابِ ، تُحِيطُ بِأَكْثَرِ  
 مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَّخَلَةً ، وَتَشْمَلُ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ . وَالمُدُنُ إِنَّمَا اتَّخَذَتْ لِلتَّحْصَنِ  
 وَالاغْتِصَامِ كَمَا يَأْتِي ؛ وَهَذِهِ خَرَجَتْ عَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا ، فَلَا يَكُونُ فِيهَا حِصْنٌ وَلَا  
 15 مُغْتَنَصَمٌ .

(1) سقط من ي .

(1) مروج الذهب 2: 401 (1422)، ويبدو أنه ذكر هنا الخبر في أخبار الطلسمات عن بلينوس وغيره مفضلة  
 في كتابه أخبار الزمان المفقود .  
 (2) المسالك والممالك 1: 262-263 .



وكما نقله المسعودي<sup>(1)</sup> أيضاً في حديث مدينة الثعالب ، وأنها مدينة كلها من نحاس بصخراء سجيلانة ، طرّفها موسى بن نصير في عزاته إلى المغرب ، وأنها مغلقة الأبواب ، وأنّ الصاعد إليها من أسوارها إذا أشرف على الحائط صقّ ورمى بنفسه ، فلا يزعج آخر الدهر ، في حديث مستحيل من خرافات القصاص .  
 5 وصخراء سجيلانة قد [نقضها]<sup>(2)</sup> الركاب والأدلاء ولم يبقوا لهذه المدينة على خبر . ثم إن هذه الأحوال التي ذكروا عنها كلها مستحيل عادة ، منافع للأمور الطبيعية في بناء المدن واختطاطها ؛ وأنّ المعادن غايبة الموجود منها أن يصرف في الآنية والحزني ؛ وأما تشييد / مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبغذ ، وأمثال ذلك كثير .

وتشخيصه إنما هو بمعرفة طبائع الثمران ، وهو أحسن الوجوه وأوشها في  
 10 تفتيح الأخبار وتمييز صدقها من كذبها . وهو سابق على التفتيح بتعديل الرواة . ولا يرجع إلى تعديل الرواة حتى نعلم [أن]<sup>(ب)</sup> ذلك الخبر في نفسه مُفكّر أو مُمتنع . وأما إذا كان مُستحيلاً فلا فائدة للنظر في التفتيح والتجريح .  
 ولقد عدّ أهل النظر من المطاعين في الخبر ، استحالة مذلول اللفظ أو تأويله  
 15 إن تُؤوّل بما لا يقبله العقل . وإنما كان التفتيح والتجريح هو المعبر في صحة الأخبار

(1) في الأصول وفي ط : نقضا (ب) من ل ، وسقط من ط ، وفي ج ع : هل .

(2) في المروج 2 : 409 حديث مقتضب عن مدينة الضفر بمقارز الأندلس ، وخبر مدينة أخرى في أطراف مقارز الهند أسوارها من الضفر ، ولعل ابن خلدون يشير إلى نص أوسع تفصيلاً ، قد يكون في كتاب المسعودي المفقود أخبار الزمان .

الشرعية ، لأنَّ مُعْظَمَهَا تكاليف إنشائية أوجبَّ الشارعُ العملَ بها متى حصلَ الظَّنُّ بصِدْقِها ؛ وسبيلُ جِصَّةِ الظَّنِّ الثِّقَةِ بالزَّوْءِ للعدالةِ والضَّبْطِ .

وأما الأخبارُ عن الواقعات ، فلا بُدَّ في صِدْقِها وصحَّتِها من اغْتِيَارِ المُطَابَقَةِ .  
لذلك وجِبَ<sup>(١)</sup> أن يُنْظَرَ في إمكان وقوعه ، وصار ذلك فيها أهمَّ من التَّقْدِيلِ  
5 ومقدماً عليه ؛ إذ فائدةُ الإنشاءِ مُقْتَبَسَةٌ منه فَقَطْ ، وفائدةُ الخبرِ منه ومن الخارجِ  
بالمُطَابَقَةِ . وإذا كان ذلك ، فالقانونُ في تَمْيِيزِ الحقِّ من الباطلِ في الأخبارِ بالإمكانِ  
والاستِحْصَالَةِ ، أن تُنْظَرَ في الاجتماعِ البَشَرِيِّ الَّذِي هو الغُمرانُ ، وتُمَيِّزُ ما يُلْحَقُهُ  
من الأحوالِ لذاتهِ ومقتضى طَبْعِهِ ، وما يكونُ عارِضاً لا يُعْتَدُّ به ، وما لا يمكنُ أن  
يُعْرَضَ له . وإذا فَعَلْنَا ذلك ، كان ذلك<sup>(ب)</sup> لنا قانوناً في تَمْيِيزِ الحقِّ من الباطلِ في  
10 الأخبارِ ، والضدِّ من الكذبِ بوجهِ بَرَهَانِي لا مَدْخَلَ للشكِّ فيه . وحِينَئِذٍ ، فإذا  
سَمِعْنَا عن شيءٍ من الأحوالِ الواقعةِ في الغُمرانِ ، عَلِمْنَا ما نَحْكُمُ بِقَوْلِهِ مِمَّا نَحْكُمُ  
بِتَرْكِيفِهِ . وكان ذلك لنا مِغْيَازاً صَحِيحاً يَتَخَرَّجُ بهِ الْمُؤَرِّخُونَ طَرِيقَ الضدِّ والصوابِ  
فِيما يَتَقَلَّبُونَهُ . وهذا هو غَرَضُ هذا الكتابِ الأوَّلِ من تأليفنا .

وكانَ هذا عِلْمٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّهُ ذُو مَوْضُوعٍ : وهو الغُمرانُ البَشَرِيُّ  
15 والاجتماعُ الإنسانيُّ ، / وذو مَسَائِلَ : وهي بيان ما يُلْحَقُهُ من الأحوالِ لذاتهِ واحدةً [28 ب]  
بعد أُخْرَى . وهذا شأنُ كُلِّ عِلْمٍ من العلومِ ، وَضْعِيّاً كانَ أو عَقْلِيّاً .

واعْلَمْ أَنَّ الكلامَ في هذا الغَرَضِ مُسْتَحْدَثُ الصَّنِعةِ ، غَرِيبُ التَّرْعَةِ ، عَزِيزُ  
الفائدةِ ، أَغْنَى عليه التَّبَحُّثُ ، وأَدَّى إليه الغَوْصُ . وليس من عِلْمِ الخطابةِ الَّذِي هو

(١) ل : وجب علينا أن ننظر (ب) سقط من ع .

أحد الكتب المنطقية ؛ فإن موضوع<sup>(1)</sup> الخطابة إنما هو الأقوال المنفعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي ، أو صدمه عنه ؛ ولا هو أيضاً من علم السياسة المدنية ؛ إذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة ، بما يجب بمقتضى الأخلاق والحكمة ، ليحمل الجمهور على منهاج يكون فيه حفظ النوع وبقاؤه . فقد خالف موضوعه موضوع هذين الفئتين اللذين ربما يُشبهانه .

5

وكأنه علم مُستنبط للنشأة . ولغفري لم أقف على الكلام في منحه لأحد من الحليقة ، ما أذري لعقلهم عن ذلك ؟ وليس الظن بهم ، أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا ؛ فالعلوم كثيرة ، والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون ؛ وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل . فأين علوم الفرس التي أمر عمر رضي الله عنه بمحوها عند الفتح ؟ وأين علوم الكلدانيين والسريانيين وأهل بابل ، وما ظهر عليهم من آثارها وتأنجها ؟ وأين علوم القبط من قبلهم ؟ وإنما وصل إلينا علوم أمة واحدة وهم يونان خاصة ، لكلف المأمون بإخراجها من لغتهم ، واقتداره على ذلك بكثرة المترجمين ، وتذل الأموال فيها . ولم تقف على شيء من علوم غيرهم .

15 وإذا كانت كل حقيقة متعملة طبيعية يصلح أن يُبحث عما يعرض لها من القوارض لئانها ، وجب أن يكون باعتبار كل مفهوم وحقيقة علم من العلوم يُخصه . لكن الحكماء<sup>(ب)</sup> لعلهم إنما لاحظوا في ذلك العناية بالثمرات ؛ وهذا إنما ثمرته - كما رأيت - في الأخبار فقط ، وإن كانت مسأله / في ذاتها وباختصاصاتها شريفة ؛ لكن

[129]

(1) سقط من ج (ب) ح: العلماء .

ثمرته تضيح الأخبار ، وهي ضعيفة ، فلهذا هجره ، والله أعلم . ﴿وما أوتيتُم من العلم إلا قليلاً﴾ [الإسراء ، من الآية 85] .

وهذا الفن الذي لاح لنا النظر فيه ، نجد منه <sup>(1)</sup> مسائل تجري بالعرض لأهل العلوم في براهين علومهم ، وهي من جنس مسائله بالموضوع والمطلب ، مثل ما يذكره الحكماء في إثبات الثبوت ، من أن البشر متعاونون في وجودهم ، فيحتاجون فيه إلى الحاكم والوازع . ومثل ما يذكر في أصول الفقه ، في باب إثبات اللغات ، أن الناس يحتاجون للعبارة عن المقاصد بطبيعة التعاون والاجتماع ، وشأن العبارات أخف . ومثل ما يذكره الفقهاء في تغليل الأحكام الشرعية بالمقاصد ، في <sup>(ب)</sup> أن الرنا محط للأستباب مفسد للتوع ، وأن القتل أيضاً مفسد للتوع ، وأن الظلم مؤذن بخراب العفران المقتضي فساد النوع ، وغير ذلك من سائر المقاصد الشرعية في الأحكام ؛ فإنها كلها مبنية على المحافظة على العفران ، فكان لها النظر فيما يعرض له ، وهو ظاهر من كلامنا هذا في هذه المسائل الممتلة .

وكذلك أيضاً يقع إلينا القليل من مسائله في كلمات متفرقة لحكماء الخليفة ، لكنهم لم يستوفوه . فمن كلام الموبدان لبهرام بن بهرام ، في حكاية اليوم التي نقلها <sup>15</sup> المسعودي <sup>(1)</sup> : أيها الملك ، إن الملك لا يتم عزه إلا بالشرعية ، والقيام لله بطاعته ، والتصرف تحت أمره ونهيه ، ولا قوام للشرعية إلا بالملك ؛ ولا عز للملك إلا بالرجال ، ولا قوام للرجال إلا بالمال ، ولا سبيل إلى المال إلا بالعبارة ، ولا سبيل

(1) ح: فيه (ب) سقط من ع ج .

(1) مروج الذهب 1 : 294 (597) .

إلى العمارة إلا بالغذل ، والغذلُ الميزانُ المنصوبُ بين الخليفة ، نصبه الربُّ ، وجعل له قتيماً وهو الملك .

ومن كلام أنوشروان<sup>(1)</sup> في هذا المعنى بعينه :

الملكُ بالجند ، والجندُ بالمال ، والمالُ بالخراج ، والخراجُ بالعمارة ، والعمارة بالغذل ، والغذلُ بإصلاح العقال ، وإصلاح العقال / باستقامة الوزراء ، ورأس الكلِّ بافتقاد<sup>(2)</sup> 5 الملك حال زعيمته بنفسه ، واقتداره على تأديها ، حتى يتلَّكها ولا تتلَّكه .

وفي الكتاب المنسوب لأرسطو<sup>(2)</sup> في السياسة ، المتداول بين الناس ، جزءٌ صالحٌ منه ، إلا أنه غير مُستوفٍ ولا مُعطى حقّه من البراهين ومُختلطٌ بغيره ؛ وقد أشار في ذلك الكتاب إلى هذه الكليات التي قلَّناها عن المونذان وأنوشروان ، وجعلها في الدائرة<sup>(3)</sup> الغريبة التي أعظم القول فيها ، وهي قوله : 10

العالمُ بُستانٌ ، سياتجه الدولة ، التَّوَلَّى سلطانٌ ، تحيّا<sup>(ب)</sup> به السُّتَّة ، السُّتَّة سياسةٌ ، يسوسها الملكُ ، الملكُ<sup>(ج)</sup> نظامٌ ، يعضده الجند ، الجندُ أعوانٌ ، يكفلهم

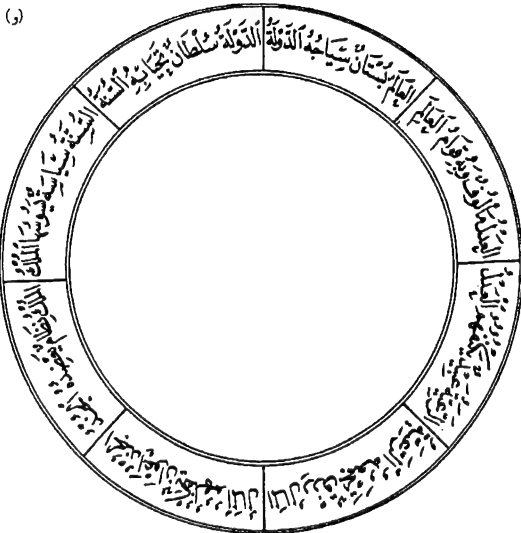
(1) في مروج الذهب : ورأس الكلِّ نقدُ الملكِ أمورُ نفسه واقتداره على تأديها ... (ب) ابن جليل وابن أبي أصيبعة: تحجبه السُّتَّة (ج) المصدر نفسه: الملكُ راعٍ يعضده الجيش .

(1) مروج الذهب 1: 311 (631) .

(2) السياسة في تدبير الرئاسة ، ويعرف بسرّ الأسرار ، ترجمه يوحنا بن البطريق ، (ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، عن نسخة سوهاج رقم 167) . نُشر منه قسم باسم السياسة العامة . ولا يوجد فيه النص التالي . ويشكك ابن خلدون - فيما يلي - في نسبة الكتاب لأرسطو (المقدمة 1: 208) .  
(3) طبقات ابن جليل 26 وابن أبي أصيبعة 102 أن أرسطوطاليس أوصى أن يُبنى عليه بعد موته قبة مَنَمَة ، يكتب في كل جانب منها كلمة من الكلمات الثمانية .

• المال ؛ المالُ رِزْقٌ ، تجمعه الرعيَّةُ ؛ الرعيَّةُ عبيدٌ ، يَكْنُفُهُمُ <sup>(١)</sup> العذلُ • <sup>(ب)</sup> ، العذلُ مألوفٌ <sup>(ج)</sup> ، وبه قوامُ <sup>(د)</sup> العالم . العالمُ يستأن .. ثم يرجع إلى أول الكلام .

### [صورة المائدة] <sup>(هـ)</sup>



(١) ابن جلجل: يتبعهم؛ ابن أبي أصيبعة: يُسْتَكْنَفُهُمْ (ب) سقط ما بين النجمين من ج (ج) ابن أبي أصيبعة: العذلُ لغةٌ بها صلاح العالم (د) ابن جلجل: وهو صلاح العالم (هـ) من ل (و) زُيِّمَتِ المائدة في ع ج ، وترك لها فراغٌ ولم تُدرَجْ في : ظ ل ي .

- فهذه ثمان كلماتٍ حِكْمِيَّةٍ سياسيَّةٍ ارتبط بعضها ببعض ، وارتدت أعجازها على صدورها، / واتصلت في دائرة لا يتعين طَرْفُها، فَخَرَّ بِمُشَوْرِهِ عَلَيْهَا، وَعَظَّم مِنْ قَوَائِدِهَا. وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ كَلَامَنَا فِي فَضْلِ الْمُلْكِ وَالذُّوْلِ، وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنْ التَّصْغِيرِ وَالتَّقْصِيرِ، عَثَرْتَ فِي أَثْنَائِهِ عَلَى تَفْسِيرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَتَفْصِيلِ إِجْزَالِهَا مُسْتَوْفَى مُبَيَّنًا بِأَوْعَبِ بَيَانٍ، وَأَوْضَحِ دَلِيلٍ وَبُرْهَانٍ؛ أَطْلَعْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيمِ أَرِسْطُو 5
- ولا إفادة الموقدان.

- وكذلك تجدُ في كلام ابن المَقْفَعِ، وما يَنْسَطِرُ في رسائله من ذِكر السياسات، الكثير من مسائل كتابنا هذا غير مُبرَهنة كما يَرَاهَا؛ إِنَّمَا يَجْلِبُهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَنَحَى الْخُطَابَةِ فِي أَسْلُوبِ التَّرْسِيلِ وَبَلَاغَةِ الْكَلَامِ.
- وكذلك خَوِّمَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِي فِي كِتَابِ سِرَاجِ الْمُلُوكِ، وَنَوْبَهُ 10
- عَلَى أَبْوَابٍ تَقْرُبُ مِنْ أَبْوَابِ كِتَابِنَا وَمَسَائِلِهِ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يُصَادَفْ فِيهِ الرُّمِيَّةُ وَلَا أَصَابَ الشَّكَاكِلَةَ، وَلَا اسْتَوْفَى الْمَسَائِلَ، وَلَا أَوْضَحَ الْأَدِلَّةَ؛ إِنَّمَا يَبُورُ الْبَابُ لِلْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ يَنْشَكُرُ مِنْ الْأَحَادِيثِ وَالْأَثَارِ، وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مَتَفَرِّقَةً لِحُكَمَاءِ الْفَرَسِ، مِثْلَ [بِرَزْجَهْر] <sup>(1)</sup>، وَالْمُؤَنِّدَانِ، وَحُكَمَاءِ الْهِنْدِ، وَالْمَأْثُورَ عَنْ دَانِيَالٍ وَهَزْمَسَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَكْبَرِ الْحَلِيقَةِ، وَلَا يَكْشِفُ عَنِ التَّحْقِيقِ قِنَاعاً، وَلَا يَزْفِعُ بِالْبُرَاهِينِ الطَّبِيعِيَّةِ حِجَاباً؛ إِنَّمَا هُوَ قُلٌّ 15
- شَبِيهٌ بِالْمَوَاعِظِ؛ وَكَأَنَّهُ خَوِّمَ عَلَى الْغَرَضِ وَلَمْ يُصَادِفْهُ، وَلَا تَحَقَّقْ قَضَدَهُ، وَلَا اسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ.

(1) من ل وحدها وفي ظي ع ح: بزجره. وفي حاشية ع: ضبطه من لسان النجم: بزجره.

وَنَحْنُ أَلْهَمْنَا اللَّهَ إِلَى ذَلِكَ إِلْهَامًا ، وَأَعْتَرْنَا عَلَى عِلْمٍ جَعَلْنَا سِرًّا بِكُرْهِ وَمُحِيزَةً  
خَبْرَهُ . فَإِنْ كَثُرَ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ ، وَمِيزْتُ عَنْ سَائِرِ الصَّنَاعِ أَنْظَارَهُ وَأَنْجَاءَهُ ،  
فَتَوْفِيقُ مِنَ اللَّهِ وَهَدَايَةٌ . وَإِنْ فَاتَنِي شَيْءٌ فِي إِخْصَانِهِ ، وَاسْتَشَبَّهْتُ بغيرِهِ مَسَائِلُهُ ،  
فَلِلْمُتَأَنِّطِ الْحَقِّقِ إِصْلَاحُهُ ؛ وَلِيَ الْفَضْلِ أَنِّي تَهَجَّبْتُ لَهُ السَّبِيلَ ، وَأَوْضَعْتُ الطَّرِيقَ ،  
5 / وَاللَّهُ يَهْدِي نُبُورَهُ مَنْ يَشَاءُ .

[30 ب]



وَنَحْنُ الْآنَ نُبَيِّنُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَغْرُضُ لِلْبَشَرِ فِي اجْتِمَاعِهِمْ ، مِنْ أَسْوَالِ  
الْغُرَبَانِ فِي الْمُلْكِ وَالْكَسْبِ وَالْعُلُومِ وَالصَّنَاعِ ، بِوُجُوهِ بَرْهَانِيَّةٍ يَتَضَحُّ بِهَا التَّحْقِيقُ فِي  
مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ ، وَتُدْفَعُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَتَرْفَعُ الشُّكُوكُ ، وَقَوْلُ :  
10 لَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مُتَمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ اخْتَصَّ بِهَا .  
فَهِيَ : الْعُلُومُ وَالصَّنَاعُ الَّتِي هِيَ نَتِيجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ ،  
وَشَرَفُ بَوْضْفِهِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ .

ومنها: الحاجة إلى الحكم الوازع والسلطان القاهر؛ إذ لا يُمكن وجوده دون  
ذلك من بين الحيوانات كلها ، إِلَّا مَا يُقَالُ عَنِ التَّخْلِ وَالْجِرَادِ ؛ وَهَذِهِ ، وَإِنْ كَانَ لَهَا  
15 مِثْلُ ذَلِكَ ، فَبِطَرِيقِ الْإِلْهَامِ لَا بِفِكْرٍ وَزَوِيَّةِ .

ومنها: السَّغْيُ فِي الْمَعَاشِ وَالِاغْتِمَالُ فِي تَخْصِيلِهِ مِنْ وَجُوهِهِ وَاكْتِسَابِ أُنْشَاءِهِ ،  
لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِفْتِقَارِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبِقَاتِهِ ، وَهَدَاهُ إِلَى التَّنَاسِيهِ  
وَطَلَبِهِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلَقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [سورة طه، من الآية 50].



ومنها : الغفران ، وهو النَّسَاكِن والتَّنَازُل في بَضْرٍ أو جَلَّةً لِلْأُنْس بالعشرة  
 واقْتِضاء الحاجات ، لما في طباعهم من التعاون على المعاش كما نَبَيْتَه . ومن هذا  
 الغفران ما يَكُونُ بَدَوِيًّا ، وهو الَّذِي يَكُون في الصَّوَاحي والجبال ، وفي الحِلَلِ الْمُتَجَمِّعة  
 للفقار وأطراف الزَّمال . ومنه ما يَكُون حَضْرِيًّا ، وهو الَّذِي بِالْأَمْصَار والقُرَى والمُدُن  
 والمداشير ، للاعتصام بها والتَّحَصُّن بِجُدْرَانِهَا ؛ وله في كُلِّ هذه الأحوال أمورٌ تَعْرِضُ 5  
 من حَيْثُ الاجتماع عُرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ .

فلا جَرَمَ انْخَصَرَ الكلامُ في هذا الكتاب في سِتَّةِ فصول :

الأوَّلُ : في الغفران البَشَرِيَّ على الجُمْلَةِ ، وأصنافه وقسطه من الأرض .

الثَّانِي : في الغفران البَدَوِيَّ ، وذكر القبائل والأُمَمِ الوَحْشِيَّةِ .

الثَّالِثُ : في الدَّولِ والخِلافةِ والمُلْكِ ، وذكر المراتبِ السُّلْطَانِيَّةِ . [131]

الرَّابِعُ : في الغفران الحَضْرِيَّ ، والبُلْدَانِ والأَمْصَارِ .

الخَامِسُ : في الصَّنَاعِ والمَعَاشِ ، والكَنْسَبِ ووجوهه .

السَّادِسُ : في العُلُومِ واكتسابها وتعلُّمها .

وقَدَّمْتُ الغفرانَ البَدَوِيَّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى جَمِيعِهَا ، كما يَتَبَيَّنُ لكَ بَعْدَ ؛ وكذا  
 تقديم المُلْكِ على البُلْدَانِ والأَمْصَارِ ؛ وَأَمَّا تَقْدِيمُ المَعَاشِ ، فِلِإَنَّ المَعَاشَ ضَرُورِيٌّ 15  
 طَبِيعِيٌّ ، وتَعْلَمُ العِلْمُ كَالْأَوْ حَاجِيٍّ ، والطَّبِيعِيُّ أَقْدَمُ مِنَ الكِمَالِيِّ . وجعلْتُ الصَّنَاعَ  
 مَعَ الكَنْسَبِ ، لِأَنَّهُمَا مِنْهُ يَبْغِضُ الْوُجُوهَ وَمِنْ حَيْثُ الغفران ، كما يَتَبَيَّنُ بَعْدُ .  
 والله الموفق والمعين .



## الفصل الأوّل من الكتاب الأوّل:

في العُمران البشري على الجُملة، وفيه مقدّمات،

الأوّل:

- في أنّ الاجتماع للإنسان ضروري، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: الإنسان مدنيّ بالطبع؛ أي لا بُدّ له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم، وهو معنى 5 الغفران. وبيانه: أنّ الله سبحانه خلّق الإنسان وركّبه على صورة لا تصحّ حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهذا إلى التماسه بفطرته، وما ركّب فيه من القدرة على تحصيله. إلا أنّ قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادّة حياته منه. ولو فرضنا منه أقلّ ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يتحصّل إلا بعلاج كبير من الطحن والقجن والطبخ. وكلّ واحد 10 من \* هذه الأعمال الثلاثة، يحتاج إلى مواعين وآلات لا يتمّ إلا بصناعات متعدّدة من<sup>(1)</sup> حداد ونجار وفخّار<sup>(ب)</sup>. هبّ أنّه يأكله خبّاً من غير علاج؛ فهو أيضاً يحتاج في تحصيله خبّاً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة والحصاد والدرس

(1) سقط ما بين النجيين من ج (ب) كلنا في ط ج ل ع، وفي ي وحاشية ع: فاخوري .

الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنْ غِلَافِ السُّبُلِ . وَيُخَاجِ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ / إِلَى آلَاتِ [31 ب] مُتَعَدَّةٍ وَصَنَائِعَ كَثِيرَةً أَكْثَرُ مِنَ الْأُولَى بِكَثِيرٍ . وَيَسْتَحِيلُ أَنْ تُوفِيَ بِذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ يَنْفَعُهُ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ . فَلَا بُدَّ مِنْ اخْتِمَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أُنْبَاءِ جَنْسِهِ لِنَتَخِصِلَ الْقُوَّةَ لَهُ وَلَهُمْ؛ فَيَخْضَلُ بِالتَّعَاوُنِ قُدْرُ الْكَفَايَةِ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَكْثَرِ مِنْهُمُ بِأَضْعَافٍ .

5 \* وكذلك يَخْتِاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَيْضاً فِي الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ إِلَى الْاِسْتِعَانَةِ بِأُنْبَاءِ جَنْسِهِ<sup>(1)</sup>؛ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ الطَّبَاعَ<sup>(ب)</sup> الْحَيَوَانِيَّةَ كُلَّهَا، وَقَسَمَ الْقُدْرَ بَيْنَهَا، جَعَلَ خُطُوطَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمِ مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حِطِّ الْإِنْسَانِ، فَقُدْرَةُ الْفَرَسِ مِثْلًا أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ؛ وَكَذَا قُدْرَةُ الْجِهَارِ وَالثَّوْرِ؛ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا كَانَ الْغَدَوَانُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانِ، جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَضْوٌ يَخْتَصُّ بِمُدَافَعَةٍ مَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةِ غَيْرِهِ . وَجُعِلَ لِلْإِنْسَانِ عَوْضًا مِنْ 10 ذَلِكَ كُلِّهِ الْفِكْرُ وَالْيَدُ، فَالْيَدُ مَحْمِيَّةٌ لِلصَّنَائِعِ بِخِدْمَةِ الْفِكْرِ؛ وَالصَّنَائِعُ تَحْصُلُ لَهُ الْآلَاتُ الَّتِي تَنْوِبُ لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ الْمُعَدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ، مِثْلُ الزَّمَاكِ الَّتِي تَنْوِبُ عَنِ الْقُرُونِ التَّاطِعَةِ؛ وَالسِّيُوفِ النَّائِبَةِ عَنِ الْمَخَالِبِ الْجَارِحَةِ؛ وَالنَّارِ النَّائِبَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَابِيَةِ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ تَمَّا ذَكَرَ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ .

15 فَالْوَاحِدُ مِنَ الْبَشَرِ لَا تَقَاوِمُ قُدْرَتُهُ قُدْرَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمِ، سِوَا الْمَقْرَسَةِ؛ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ مُدَافَعَتِهَا وَخَدِّهَا بِالْجُمْلَةِ؛ وَلَا تَقِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاِسْتِغْثَالِ الْآلَاتِ الْمُعَدَّةِ لِلْمُدَافَعَةِ، لِكَثَرَتِهَا وَكَثْرَةِ الصَّنَائِعِ وَالْمَوَاعِينِ الْمُعَدَّةِ لَهَا . فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنْ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأُنْبَاءِ جَنْسِهِ . وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ، فَلَا يَحْصُلُ<sup>(ج)</sup> لَهُ قُوَّةٌ

(1) سقط ما بين النجمين من ج (ب) ل : الطبايع (ج) كنا في الأصول وفي ط وحدها: يكن .

ولا غداء ولا يتم حياته ؛ لما ركبهُ الله عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ؛  
ولا يَحْصُلُ له أيضًا دفاعٌ عن نفسه، لِفَقْدانِ السِّلَاحِ ، فيكونُ فريسةً للحيوانات ،  
[132] [ويعاجله] <sup>(أ)</sup> الهلاكُ عن مَدَى حياته ، / وَيَتَطَلَّ نوعُ البشر .

وإذا كان التعاونُ، حصل له القوَّةُ للغذاء، والسِّلَاحُ للمُدافعة ، وثَمَّتْ  
حكمةُ الله في بقاءه وحفظ نوعه . فإِذَنْ، هذا الاجتماعُ ضروريٌّ للتَّوَعُّدِ الإنسانيِّ ؛  
5 والآ لَمْ يَكْمُلْ وجودهم وما أَرَادَهُ الله [من] <sup>(ب)</sup> اغتَارِ العالمَ بهم واشتِخْلَافَه إِيَّاهُمْ ؛  
وهذا هو مَعْنَى العُمرانِ الذي جَعَلَنَاهُ مَوْضُوعًا لهذا العِلْمِ .

وفي هذا الكلام نوعٌ إثباتٍ للمَوْضُوعِ في فَتْهِ الَّذِي هو مَوْضُوعٌ له . وهذا  
وإن لم يَكُنْ واجباً على صاحبِ الفِرِّ ، لما تَقَرَّرَ في الصَّنَاعَةِ الْمُتَطَلِّقَةِ أَنَّهُ لَيْسَ على  
صاحبِ عِلْمٍ إثباتُ المَوْضُوعِ في ذلك العِلْمِ؛ فَلَيْسَ أيضاً من المَفْنُوعَاتِ عِنْدَهُمْ؛  
10 فيكون إثباتُه من التَّبَرُّعَاتِ ، والله المَوْفِقُ بِفَضْلِهِ .

ثم إنَّ هذا الاجتماعَ إذا حصل للبشر، كما قَرَّرْنَاهُ، وثَمَّتْ عُمرانُ العالمِ بهم،  
فلا بدَّ من وازِعٍ يَدْفَعُ بعضُهم عن بعضٍ؛ لما في طِبَاعِهِم الحيوانِيَّةُ من الغُدوانِ  
والظُّلْمِ . وَلَيْسَتْ السِّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دافعةً لعدوانِ الحيواناتِ تُغْنِي عَنْهُمْ بِكَافِيَةٍ  
في دَفْعِ الغُدوانِ بَيْنَهُمْ، لَأَنَّهُا مَوْجُودَةٌ لِمَجْمِعِهِمْ، فلا بُدَّ من شيءٍ آخر يَدْفَعُ عُدُوَانَهُ  
15 بتَضَمُّنِهِمْ عن تَقَضُّصِ . ولا يَكُونُ من غيرِهِمْ لِقُصُورِ جميعِ الحيواناتِ عن مَذَارِكِهِمْ  
وإِلْهَامَاتِهِمْ . فيكون ذلك الوَازِعُ واجباً مِنْهُمْ ، تكون له عليهم القَلْبَةُ والسُّلْطَانُ  
واليدُ القَاهِرَةُ ؛ حَتَّى لا يَصِلَ أَحَدٌ إلى غَيْرِهِ بِغُدُوَانٍ ؛ وهذا هو مَعْنَى المُلْكِ . وقد

(أ) من ع ل ج ي، وفي ظ : يعاجله (ب) في ظ وحدها : في .

تَبَيَّنَ لَكَ هَذَا أَنَّهُ خَاصَّةٌ لِلإِنْسَانِ طَبِيعِيَّةٌ لَا بَدَّ لَهُمْ مِنْهَا. وَقَدْ تَوَجَّدَ فِي بَعْضِ  
الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحُكَمَاءُ، كَمَا فِي الثَّخْلِ وَالْجَرَادِ، لَمَّا اسْتَقْرَى فِيهَا مِنْ  
الْحُكْمِ وَالْإِتْقَادِ وَالِاتِّبَاعِ لِرَبِّسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا، مُمَيِّزٍ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجُثَانِهِ؛ إِلَّا  
أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لَغَيْرِ الْإِنْسَانِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْهَدَايَةِ، لَا بِمُقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ:

5 ﴿هُوَ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه، من الآية 50] .

ويزيدُ الفلاسفةُ على هذا البرهان ، حيثُ يُحاولون إثبات التَّجَوُّعَ بِالْتَّلِيلِ  
الْعَقْلِيِّ، وَأَنَّهُا خَاصَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلإِنْسَانِ، فَيَقْرَءُونَ هَذَا الْبَرْهَانَ إِلَى غَايَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا بَدَّ  
لِلنَّبَشْرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَازِعِ ، / ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرْعٍ مَفْرُوضٍ [ب32]  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ مِنَ النَّبَشْرِ ، يَكُونُ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ  
خَوَاصِّ هِدَايَتِهِ ، لِيَتَقَعَ التَّسْلِيمُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ ، حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَلَيْهِمْ مِنْ غَيْرِ  
10 إِنْكَارٍ وَلَا تَثْرِيبٍ .

وهذه القضيَّةُ لِلْحُكَمَاءِ غَيْرُ بُزْهَائِيَّةٍ كَمَا نَرَاهُ ؛ إِذِ الْوُجُودُ وَحَيَاةُ النَّبَشْرِ قَدْ تَبَيَّنَ  
مِنْ دُونِ ذَلِكَ بِمَا يَفْرُضُهُ الْحَاكِمُ لِنَفْسِهِ، أَوْ بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى فَهْرِهِمْ  
وَيَحْلُمُهُمْ عَلَى جَادَّتِهِ . فَأَهْلُ الْكُتَابِ وَالْمُتَّبِعُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَجُوسِ  
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ؛ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ التَّوَلُّ وَالْإِتِّبَاعُ  
15 فَضْلًا عَنِ الْحَيَاةِ؛ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمُنْخَرِفَةِ إِلَى الشِّمَالِ  
وَالْجَنُوبِ. بِخِلَافِ حَيَاةِ النَّبَشْرِ فَوْضَى دُونَ وَازِعِ الْبَيْتَةِ، فَإِنَّهُ مُنْتَبِعٌ . وَهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ  
عَلَّطُهُمْ فِي وُجُوبِ التَّجَوُّعَاتِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِيٍّ ، وَإِنَّمَا مُذَرَكَةُ الشَّرْعِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ  
السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ . وَاللَّهُ وَلِيَّ التَّوْفِيقِ وَالْهَدَايَةِ.

## المقدمة الثانية:

في قِسطِ العُمران من الأرض ، والإشارة إلى بعض ما فيه  
من البحار والأنهار والأقاليم

إنّه قد ثبت في كتب الحكماء الناطقين في أحوال العالم ، أنّ شكل الأرض  
كرويّ ، وأنها محفوفةٌ بعنصر الماء كأنها عنبّة طافية عليه . فانحسر الماء عن بعض 5  
جوانبها ، لما أَرَادَهُ الله تعالى من تكون<sup>(1)</sup> الحيوانات فيها ، وعمرانها بالتوابع البشريّ الذي  
له الخلافة على سائرهما . وقد يتوهم من ذلك أنّ الماء تحت الأرض ؛ وليس بصحيح ؛  
وإنّما التّحت الطّبيعيّ قلبُ الأرض ووسطُ كُرّتها الذي هو مَرَكُزُها ، والكلّ يطلّبه  
بما فيه من الثقل ؛ وما عدا ذلك من جوانبها . والماء المحيط بها فهو فوق ؛ وإن قيل  
في شيء منها إنّهُ تحتَ فبالإضافة إلى جهة أخرى عنه . وهذا الذي انحسر عنه الماء 10  
من الأرض هو التّصفّ من سطح كُرّتها في شكل دائرة ، أحاط العنصر المائيّ بها  
من جميع جهاتها بحراً يُسمّى البحر المحيط ، ويُسمّى أيضاً لبلائية ، بتفخيم اللّام  
القائية ، ويسمّى أوقيانوس ، أسماء أعجمية ، ويقال له البحر الأخضر ، والأشود .

ثم إنّ هذا المنكشف من الأرض للعُمران ، فيه القفار ، والخلاء أكثر من  
عمرانه ، والحالي من جهة الجنوب منه / أكثر من جهة الشمال ؛ وإنّما المعمور منه 15 [133]

(1) من ج. وفي ع ل ية: تكون، وفي ط: تكبر .

قطعة أميلُ إلى جانب الشمال ، على شكل سطح كُرِّي يُنتهي من جهة الجنوب إلى خط الاستواء ، ومن جهة الشمال إلى خط كُرِّي ، وراءه الجبال الفاصلة بينه وبين الماء العنصري التي بينها سدّ ياجوج وماجوج . وهذه الجبال ماثلةٌ إلى جهة الشرق. وتنتهي من الشرق والغرب إلى عنصر الماء أيضًا بقطعتين من الدائرة المحيطة .

5 وهذا المكتشف من الأرض، فالوا هو مقدارُ التصف من الكرة أو أقل؛ والمعومر منه مقدار رُزعه ؛ وهو المنقسم بالأقاليم السبعة .

وخط الاستواء يقسم الأرض بنصفين من المغرب إلى المشرق ، وهو طول الأرض ، وأكبر خط في كُرّيها ؛ كما أنّ منطقة البروج ودائرة معدّل النهار أكبر خط في الفلك .

10 ومنطقة البروج مُقسمة بثلاثمائة وستين درجة ؛ والدرجة من مسافة الأرض خمسة وعشرون فرسخًا ، والفرسخ اثنا عشر ألف ذراع في ثلاثة أميال ، لأنّ الميل أربعة آلاف ذراع ، والذراع أربعة وعشرون إصبعا ، والإصبع ست حبات شعير مضفوفة مُلصق بعضها إلى بعض ظهرًا لبطن .

وبين دائرة معدّل النهار التي تقسم الفلك بنصفين ، وتُسمّى خط الاستواء 15 من الأرض ، وبين كلّ واحد من القطبين ، تسعون درجة . لكنّ العبارة في الجهة الشمالية من خط الاستواء أربعة وستون درجة ، والباقي منها خلاء لا عبارة فيه، لشدة البرد والجُمود، كما كانت الجهة الجنوبية خلاء كلّها لشدة الحرّ، كما تُبين ذلك كلّ إن شاء الله [تعالى] <sup>(1)</sup> .

(1) من : ل ي ج ع .



ثم إنَّ المُخْبِرِينَ عن هذا المَغْمُور وحُدُودِهِ ، وما فيه من الأَمْصار والمُدُن والجبال والقفار والزَّمال ، مثل بَظْلَمْيُوس في كتاب الجغرافيا ، وصاحب كتاب رُجَّار من بَغْدَه ، قَسَمُوا هذا المَعْمُورَ بِسَبْعَةِ أَقْسام ، يُسَمِّونَهَا السَّبْعَ الأَقْليم ، بحدود وَهِيمة بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ ، مُتساوية في الغرض مُختلفة في الطَّول ؛ فالإقليم الأول أطولُ مما بَعْدَه ، وكذا الثاني ، إلى آخرها ؛ فيكون السَّابع أَقْصَرَ لما اقتضاه 5 وَضَعُ الدَّائِرَةِ الثَّلاثَةِ من انْحِساسِ الماءِ عن كُرَّةِ الأَرْضِ . وكلُّ واحدٍ من هذه الأقاليم عندهم / مُنْقَسِمٌ بِعَشْرَةِ أَجزاء ، من المَغْرِبِ إلى المَشْرِقِ على التَّوالي ؛ وفي كلِّ جزء [33 ب] الخَبَرُ عن أحواله وأحوال عُمَرانِه .

وَذَكَرُوا أَنَّ هذا النَخْرَ الحَيطَ يَخْرُجُ مِنْهُ من جِهَةِ المَغْرِبِ من <sup>(أ)</sup> الإقليمِ الرَّابِعِ ، البحرُ الرُّومِيُّ المَعْرُوفُ . يَبْدَأُ في خَلِيجِ مُتَضَائِقٍ في غَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا أو نَحْوِهَا، 10 ما بَيْنَ طَنْجَةِ وطَرِيفَ ، وَيُسَمَّى الرُّقَاقَ ؛ ثُمَّ يَذْهَبُ مُشْرِقًا ، وَيَنْفَسِحُ إلى غَرْضِ سِتِّينَ مِيلَ . وَنَهايَتُهُ في آخِرِ الجُزْءِ الرَّابِعِ من الإقليمِ الرَّابِعِ ، على أَلْفِ فَرَسَخٍ وَمائَةٍ وَسِتِّينَ فَرَسَخًا من مَبْدَئِهِ ؛ وَعَليه هُنَالِكَ سِوَا جُلِّ الشَّامِ .

وعَليه من جِهَةِ الجَنُوبِ سِوَا حِلِّ المَغْرِبِ ، أَوَّلُهَا طَنْجَةُ عِندَ الخَلِيجِ ، ثُمَّ إِفْرِيقِيَّةُ ، ثُمَّ بَرْقَةُ إلى الإسْكَندَرِيَّةِ . وَمِنْ جِهَةِ الشَّمالِ سِوَا جُلِّ القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، ثُمَّ البَنَاقِيَّةُ ، ثُمَّ 15 رُومَةُ ، ثُمَّ الإِفْرِنجِيَّةُ ، ثُمَّ الأَنْدَلُسُ إلى طَرِيفَ عِندَ الرُّقَاقِ قُبَالَةَ طَنْجَةِ . وَيُسَمَّى هَذَا البحرُ الرُّومِيُّ والشَّامِيُّ ؛ وَفِيهِ جُزُرٌ كَثِيرَةٌ عَامِرَةٌ ، كَبَارُهَا مِثْلُ أَقْرِيطَشَ ، وَقَبْرُصَ ، وَصِيقَلِيَّةَ ، وَمَيُورَقَةَ <sup>(ب)</sup> ، وَسَرْدَانِيَّةَ ، وَذَانِيَّةَ .

(أ) في بَقِيَةِ الأَصُولِ: في (ب) طَي : بِبُورْقَةِ .

قالوا: ويَخْرُجُ منه في جهة الشمال بَحْران آخِران<sup>(١)</sup>، من خَلِيجين ، أحدهما: مُسَامِثٌ لِلقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، يَبْدَأُ من هذا البحر مُتَضَايِقًا في غَرْضِ رَمِيَةِ السَّهْمِ وَيَمُرُّ ثَلَاثَةً [بجَارِ] (ب)، فَيَتَّصِلُ بِالقُسْطَنْطِينِيَّةِ ؛ ثُمَّ يَنْفَسُخُ في غَرْضِ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ ، وَيَمُرُّ في جَزِيَرَةِ سِتِّينَ مِيلاً ، وَيُسَمَّى خَلِيجَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، ثُمَّ يَخْرُجُ من فُوهَةٍ عَرْضُهَا سِتَّةُ أَمْيَالٍ ، فَيُمِدُّ بِحَرِّ نِيَطُش<sup>(ج)</sup> ؛ وَهُوَ بَحْرٌ يَنْحَرِفُ من هُنَاكَ في مَذْهَبِهِ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّرْقِ ، فَيَمُرُّ بِأَرْضِ هَرِيقَلِيَّةِ ، وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ الْحَزْرِيَّةِ عَلَى أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ مِيلٍ مِنْ فُوهَتِهِ ، وَعَلَيْهِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ أُمَمٌ مِنَ الرُّومِ وَالتُّرْكِ وَبَرْجَانِ<sup>(د)</sup> وَالتُّرُوسِ .

وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنَ خَلِيجِي هَذَا الْبَحْرِ التُّرُومِيِّ وَهُوَ بَحْرُ الْبِنَادِقَةِ ، يَخْرُجُ فِي بِلَادِ الرُّومِ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى شَتَّى أَنْجَلٍ انْحَرَفَ فِي سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ ، وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ أُنْكَلَايَةِ عَلَى أَلْفٍ وَمِائَةٍ مِيلٍ مِنْ مَبْدَئِهِ . وَعَلَى ضِفَّتَيْهِ مِنَ الْبِنَادِقَةِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ أُمَمٌ ، وَيُسَمَّى خَلِيجَ الْبِنَادِقَةِ .

قالوا : وَيَلْسَاحُ من هذا البحر المحيط أَيْضًا مِنَ الشَّرْقِ ، وَعَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ دَرَجَةً فِي الشَّمَالِ مِنْ خَطِّ الْإِسْتِوَاءِ ، بَحْرٌ عَظِيمٌ مُتَّسِعٌ ، يَمُرُّ إِلَى الْجَنُوبِ قَلِيلًا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْإِفْلِيمِ الْأَوَّلِ ، ثُمَّ يَمُرُّ فِيهِ مُعَرَّبًا / إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ [134] مِنْهُ إِلَى بِلَادِ الْحَبَشَةِ وَالزَّنْجِ ، وَإِلَى بَابِ الْمُنْدَبِ مِنْهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَلْفِ فَرَسَخٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فَرَسَخٍ مِنْ مَبْدَئِهِ . وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الصِّينِيُّ وَالْهِنْدِيُّ وَالْحَبَشِيُّ .

(١) ج : زاخران (ب) في ظ وحدها : بجار (ج) كذا في جميع الأصول، وصوابه المعروف بنطس أو بنطس ، وعلق

Ch. Pellat في نهارس المروج : أن الكتاب حرفوا اسم Ποντος فصار نيطس ، وانظر الموسوعة الإسلامية E. I.

بحر بنطس 5: 334 (المروج 6: 209) (د) ي: بوجار

وعليه من جهة الجنوب، بلاد الرُّنَج وبلاد بَرْزَا التي ذكرها امرؤ القيس في  
شعره<sup>(1)</sup> ، وَلَيْسُوا مِنَ الْبَرْزِ الَّذِينَ هُمْ قَبَائِلُ الْمَغْرِبِ . ثم بلد مَقْدِشُو ، ثم بلد  
سُقَالَةَ ، وأَرْضُ الْوَاقِ واق ، وأُمُّ أُخْرَى ليس بغيرهم إلا الْفَقَارُ وَالْحَلَاءُ .

وعليه من جهة الشمال الصَّيْنُ من عند مَبْدَته ، ثم الهِنْدُ ، ثم السَّنْدُ ، ثم  
سواحلُ الْيَمَنِ من الْأَخْقَافِ وَزَيْدٍ وَغَيْرِهَا ، ثم بلاد الرُّنَج عند نهايته؛ وبعدهم الْبُجَّةُ . 5  
قالوا : ويَخْرُجُ من هذا البحر الحبشي بَحْرَانِ آخِرَانِ ، يَخْرُجُ أَحَدُهُمَا من نهايته  
عند بابِ الْمَنْدَبِ ، فيبدأ مُتَضَائِقًا ، ثم يَمُرُّ مُسْتَبْحِرًا إلى ناحية الشمال وَمُعَرَّبًا  
قليلاً، إلى أن يَنْتَهِيَ إلى مدينة الْقُلُزْمِ في الجزء الخامس من الإقليم الثاني، على ألف  
وأربعمئة ميل من مَبْدَته، وهو بَحْرُ الْقُلُزْمِ وَبَحْرُ السَّوَيْسِ . وَيَنْتَهِي بَيْنَ فُسْطَاطِ مِصْرَ  
من هُنَاكَ ثَلَاثَةَ مَرَاجِلَ . وعليه من جهة الشَّرْقِ سواحلُ الْيَمَنِ، ثم الْحِجَازُ وَحُدُودُهُ ، 10  
ثم مَدْيَنُ ، وَأَيْلَةُ ، وَقَارِزَانُ عند نهايته .

ومن جهة الْغَرْبِ ، سواحلُ الصَّعِيدِ وَغَيْزَابِ وَسَوَاكِنِ وَزَالِغِ ، ثم بلادُ الْبُجَّةِ  
عند مَبْدَته، وآخره عند الْقُلُزْمِ يُسَامَتُ الْبَحْرُ الرَّوْمِيُّ عند الْعَرِيشِ . وبينهما نَحْوُ  
سِتِّ مَرَاجِلَ . وما زَالَ الْمُلُوكُ فِي الْإِسْلَامِ وَقَبْلَهُ يَرُومُونَ خَرْقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَمِمْ ذَلِكَ .  
وَالْبَحْرُ الثَّانِي من هذا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ ، وَيُسَمَّى الْخَلِيجُ الْأَخْضَرُ ، يَخْرُجُ ما 15  
بَيْنَ بِلَادِ السَّنْدِ وَالْأَخْقَافِ مِنَ الْيَمَنِ ، وَيَمُرُّ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّامِ مَغْرَبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ

(1) يشير إلى قوله :

على كل مقصوص الذنابي معاود يريد السرى بالليل من خيل بَرْزَا

الديوان : 66 .

يُنْتهِي إلى الأُبُلَّة من سواحل البصرة ، في الجزء السادس من الإقليم الثاني ، وعلى أربعمئة فرسخٍ وأربعين فرسخًا من مَبدئه ، ويُسمَّى بَحْر فارس .

وعليه من جهة الشرق سواحلُ السند ومُكران وكرمان وفارس ، والأُبُلَّة عند نهايته؛ ومن جهة الغرب سواحلُ البُخْرين ،/ واليَمامة، وعُمان، والشَّخَر، والأخفاف [34 ب] 5 عند مَبدئه. وفيها بين [بَحْر]<sup>(1)</sup> فارس والقُلْزُم هي جزيرة العرب ، كانتها دُخْلَةً<sup>(ب)</sup> من البَرِّ في البُخْر، يُحيط بها البحرُ الحبشي من الجنوب، وبَحْر القُلْزُم من الغرب، وبَحْر فارس من الشرق ؛ وتُفضي إلى العراق فيما بين السَّام والبصرة ، على ألف وخمسمئة ميل بينها . وهناك الكوفةُ ، والقادِسيَّة ، وبغداد ، وإيوان كِشْرى ، والحيرة . ووراء ذلك أُمم الأعاجم من التَّرك والحَزَر وغيرهم .

10 وفي جزيرة الغرب بلادُ الحِجاز في جهة الغرب منها ، وبلاد اليَمامة والبُخْرين وعُمان في جهة الشرق منها ، وبلادُ اليَمَن في جهة الجنوب [منها]<sup>(ج)</sup> ، وسواحلُه على البُخْر الحبشي .

قالوا : وفي هذا المعمور بَحْر آخر مُنقطع عن سائر البحار في ناحية السَّمال بأرض الدَّيْلَم ، يُسمَّى بَحْر جُرْجان وطَبْرِستان ، طول ألف ميل في عَرْض سِتِّمئة 15 ميلٍ ؛ في غربيته أَذْرَبِجان والدَّيْلَم، وفي شرقيته أَرْضُ التُّرك وخَوَازِمْ ، وفي جنوبيته طَبْرِستان<sup>(د)</sup> ، وفي شماليته أرض الحَزَر واللَّان .

هذه جُملة البحار المشهورة الَّتِي ذَكَرَها أَهلُ الجغرافيا .

(1) سقطت من ظ وحدها (ب) ي : داخلة (ج) سقطت من ظ (د) ضبطها في ع بالحركات: طَبْرِستان .

قالوا : وفي هذا الجزء المغمور أنهارٌ كثيرة ، أعظمها أربعة أنهار ، وهي :  
التيل، والفرات ، ودجلة، و<sup>(١)</sup> نهر بلخ المستى جَيحُون .

فأما التيلُ فَمَبْدُؤُهُ من جَبَلٍ عَظِيمٍ وراءَ خطِّ الاستواءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً ،  
وعلى سَمْتِ الجزءِ الرَّابِعِ من الإقليمِ الأوَّلِ ، ويُسَمَّى جَبَلُ القُمَرِ ، ولا يُعْلَمُ في الأرضِ  
جَبَلٌ أَعْلَى منه ، تَخْرُجُ منه عُيُونٌ كثيرةٌ ، فَيَنْصُبُ بَعْضُهَا في بَحْرَةِ هِنَالِكَ ، وَبَغْضُ 5  
في أُخْرَى ، ثُمَّ تَخْرُجُ أَنْهَارٌ مِنَ الْبَحْرَتَيْنِ ، فَتَنْصُبُ كُلُّهَا في بَحْرَةٍ وَاحِدَةٍ عِنْدَ خَطِّ  
الاستواءِ ، وعلى عَشْرِ مَرَاكِلٍ مِنَ الْجَبَلِ .

وَتَخْرُجُ من هذه الْبَحْرَةِ نَهْرَانِ : يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاجِيَةِ الشَّهَالِ عَلَى سَمْتِهِ ،  
وَيَسْمَرُ بِلَادَ الثُّوبَةِ ، ثُمَّ بِلَادَ مِصْرَ ، فَإِذَا جَاوَزَهَا<sup>(ب)</sup> تَشْعُبُ فِي شُعَبٍ مُتَقَارِبَةٍ يُسَمَّى  
كُلٌّ مِنْهَا خَلِيجًا ، وَتَنْصُبُ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ الزَّوْجِيِّ عِنْدَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ ، وَيُسَمَّى نَيْلُ مِصْرَ ، 10  
وعليه الضَّعِيدُ مِنْ شَرْقِيَّتِهِ ، وَالْوَاهِحَاتُ مِنْ غَرْبِيَّتِهِ . وَيَذْهَبُ الْآخَرُ مُنْعَطِفًا إِلَى  
الْغَرْبِ ، / ثُمَّ يَمَرُّ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَهُوَ نَيْلُ السُّودَانِ ؛ [135]  
وَأَمَمَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى ضَفْتِيَّةٍ .

وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدُؤُهُ من بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجِزَةِ السَّادِسَةِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ ،  
وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الزَّوْمِ وَمَلَطِيَّةٍ إِلَى مَنبِجٍ ، ثُمَّ يَمُرُّ بِصَفَيْنَ ، ثُمَّ بِالرَّقَّةِ ، ثُمَّ بِالْكُوفَةِ ، 15  
إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَأَسِيطَ ، وَمِنْ هُنَالِكَ يَنْصُبُ فِي الْبَحْرِ  
الْحَبَشِيِّ ؛ \*<sup>(ج)</sup> وَتَحْلُبُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَتَخْرُجُ مِنْهَا أَنْهَارٌ أُخْرَى تَنْصُبُ  
فِي دِجْلَةٍ .

(١) في ل : وهو نهر بلخ (ب) ل : جازيها (ج) سقط ما بين الحنثين م ج .

وأما دِجْلَةٌ ، فمبدؤها أعينٌ ببلاد جلاط من أزمينية أيضاً ، ويمرُّ على سَمْت الجنوب بالموصل وأذربيجان ويغداد إلى واسط ، فيفترق في خلجان تصب كلها في بحيرة البصرة ، وتفضي إلى بحر فارس ؛ وهو في الشرق على<sup>(١)</sup> نهر الفرات<sup>(ب)</sup> . وتتخلّب إليه أنهارٌ كثيرة عظيمة من كل جانب . وفيما بين الفرات ودِجْلَةٍ من أوله ، هي جزيرة الموصل ، قبالة الشام من غدوق الفرات ، وقبالة أذربيجان من غدوق دِجْلَةٍ .

وأما نهر خينخون فمبدؤه من بلخ ، في الجزء الثامن من الإقليم الثالث ، من غيون هناك<sup>(ج)</sup> كثيرة؛ وتتخلّب إليه<sup>(د)</sup> أنهارٌ عظام ؛ ويذهب من الجنوب إلى الشمال ، فيمر ببلاد خراسان ؛ ويخرج منها إلى بلاد خوارزم في الجزء الثامن من الإقليم الخامس ؛ فيصب في بحيرة الجرجانية التي أسفل<sup>(هـ)</sup> مدينتها ، وهي مسيرة شهر في مثله ، وإليها ينصب نهر فرغانة والشاش الآتي من بلاد الترك . وعلى غربي نهر خينخون بلاد خراسان وخوارزم ؛ وعلى شرقيته بلاد بخارى والتزمذ وسمرقند ؛ ومن هنالك إلى ما وراء بلاد الترك وفرغانة والخرجينة وأمم الأغاجم .

وقد ذكر ذلك كله بطليموس في كتابه ، والشريف في كتاب زُجَار ، وصوّروا في الجغرافيا جميع ما في المغمور من الجبال والبحار والأودية ، واستوفوا من ذلك ما لا حاجة لنا به لطوله ، ولأنّ عنايتنا في الأكثر إنما هي بالمغرب الذي هو وطن البزير ، وبالأوطان التي للغرب من المشرق . والله واهب المعونة .

(١) ع ج ل ي : عن (ب) نهاية سقط من ج (ج) ل : هنالك (د) في ط وحدها : عليه (هـ) ل : أسفل .

## تَكْمِلَةُ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ الثَّانِيَةِ

{ 35 ب } / فِي أَنَّ الرُّبْعَ الشَّمَالِيَّ مِنَ الْأَرْضِ أَكْثَرُ عُمرَانًا مِنَ الرُّبْعِ الْجَنُوبِيِّ ،  
وَذَكَرُ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ

نَحْنُ نَرَى بِالْمُشَاهَدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَّ مِنْ أَقَالِمِ الْمَغْمُورِ  
أَقْلُ عُمرَانًا تَمَّا بَعْدَهُمَا ، وَمَا وَجَدَ مِنْ عُمرَانِهِ فَيَتَحَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْقِفَارُ وَالزَّمَالُ ، وَالْبَحْرُ  
5 الْهِنْدِيُّ [الَّذِي] <sup>(1)</sup> فِي الشَّرْقِ مِنْهَا. وَأَمَّ هَذَيْنِ الْإِفْلَاجَيْنِ وَأُنَاسِيَّيْهَا لَيْسَتْ لِهَمِ الْكَثْرَةِ  
الْبَالِغَةِ؛ وَأَمْصَارُهُ وَمُدُنُهُ كَذَلِكَ. وَالثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ ، فَالْقِفَارُ  
فِيهَا قَلِيلَةٌ ، وَالزَّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَغْدُومَةٌ ، وَأَمْمُهَا وَأُنَاسِيَّيْهَا بَحْرٌ زَاخِرٌ مِنَ الْكَثْرَةِ ،  
وَأَمْصَارُهَا وَمُدُنُهَا تَجَاوَزُ الْحَدَّ عَدْدًا ، وَالْعُصْرَانُ فِيهَا مُتَدَرِّجٌ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالسَّادِسِ ،  
وَالْجَنُوبُ خِلَافَ كُلِّهِ .

10

وَقَدْ ذَكَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ ، وَقَلَّةِ مِثْلِ الشَّمْسِ فِيهَا  
عَنْ سَمْتِ الزُّرُوسِ. فَلْتَوْضُحْ ذَلِكَ بِرُهَانِهِ ، وَتَثْبِيَتِ مِنْهُ سَبَبِ كَثْرَةِ الْعِمَارَةِ فِيهَا بَيْنَ  
الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ ، فَنَقُولُ :

إِنَّ قُطْبَيْي الْفَلَكَ الْجَنُوبِيِّ وَالشَّمَالِيِّ إِذَا كَانَا عَلَى الْأُفُقِ ، فَهَنَّاكَ دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ  
15 تَقْسِمُ الْفَلَكَ بِنِصْفَيْنِ ، هِيَ أَعْظَمُ التَّوَاتُرِ الْمَازَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ؛ وَتُسَمَّى دَائِرَةُ

(1) مِنْ عَجَلِي .

- مُعَدَّل النَّهَار. وقد تَبَيَّنَ في مَوْضِعِهِ مِنَ الْهَيْئَةِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً يَحْرُكُ بِهَا سَائِرُ الْأَفْلَاكِ الَّتِي فِي جَوْفِهِ قَسْرًا ، وهذه الحركةُ مَخْسُوسَةٌ. وكذلك تَبَيَّنَ أَنَّ لِلْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاكِهَا حَرَكَةً مُخَالَفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ، وهي من الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ، وتَخْتَلِفُ آمَالُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي السَّرْعَةِ وَالْبَطْءِ. 5
- وَمُمَرَّاتُ هَذِهِ الْكَوَاكِبِ فِي أَفْلَاكِهَا تُوَازِنُهَا كُلُّهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تُسَمَّى بِنُصْفَيْنِ، وهي دَائِرَةُ فَلَكِ الْبُرُوجِ، مُنْقَسِمَةٌ بِاثْنَيْ عَشَرَ بُرْجًا، وهي - عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ - مُقَاطِعُهُ لِدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى نَقْطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ، هُمَا، أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ الْمِيزَانِ، فَتَقْسِمُهَا / دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ بِنُصْفَيْنِ: يَنْصِفُ مَائِلٌ عَنْ مُعَدَّلِ [36] النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ الشُّبْلَةِ؛ وَنُصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ، وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحُوتِ. وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْأَفْقِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْأَرْضِ، كَانَ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ خَطٌّ وَاحِدٌ يُسَامِيهِ دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ، حِينَئِذٍ، يَمُرُّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَيُسَمَّى خَطَّ الْإِسْتِوَاءِ. وَوَقَعَ هَذَا الْخَطُّ بِالرَّضْدِ عَلَى مَا رَزَمُوا فِي مُبْدِئِ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَقَالِمِ السَّبْعَةِ؛ وَالْفُغْرَانِ كُلِّهِ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ عَنْهُ.
- وَالْقُطْبُ الشَّمَالِي يَرْتَفِعُ عَلَى آفَاقِ هَذَا الْمَعْمُورِ بِالتَّدرِجِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ ارْتِفَاعُهُ 15 إِلَى أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ دَرَجَةً ؛ وَهَنَالِكَ يَنْقَطِعُ الْفُغْرَانُ، وَهُوَ آخِرُ الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ. وَإِذَا ارْتَفَعَ عَلَى الْأَفْقِ تِسْعِينَ دَرَجَةً، وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ الْقُطْبِ وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ، صَارَ الْقُطْبُ عَلَى سَنَمِ التَّرْوُوسِ، وَصَارَتِ دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى الْأَفْقِ، وَبَقِيََتْ سِنَةٌ مِنَ الْبُرُوجِ فَوْقَ الْأَفْقِ، وَهِيَ الشَّمَالِيَّةُ، وَسِتَّةٌ تَحْتَ الْأَفْقِ، وَهِيَ الْجَنُوبِيَّةُ. وَالْجَارَةُ فِيمَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالسَّتِّينَ إِلَى التَّسْعِينَ مُنْقَبِعَةٌ ؛ لِأَنَّ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ حِينَئِذٍ لَا يَحْصُلَانِ مُفْتَرَجِينَ لِبُعْدِ الزَّمَانِ 20 بَيْنَهُمَا، فَلَا يَحْصُلُ تَكْوِينُ.



فإذن ، الشمسُ تُسَامِئُ الرَّؤُوسَ على خَطِّ الاستواءِ في رأسِ الحملِ والميزانِ ، ثم تَمِيلُ عن المُسَامَئَةِ إلى رأسِ السَّرطانِ وإلى رأسِ الجُذْيِ ، وتكونُ نِهَايَةُ مَنِيلِهَا عن دَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً . ثم إذا اِرْتَفَعَ القُطْبُ الشَّمَالِيّ عن الأفقِ ، مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عن سَمْتِ الرَّؤُوسِ بِمَقْدَارِ اِرْتِفَاعِهِ ، وَانْخَفَضَ القُطْبُ الجنوبيّ كذلك بِمَقْدَارِ مُتَسَاوٍ في الثَّلَاثَةِ ، وهو المُسَمَّى عند أهلِ المَوَاقِيتِ غَرَضَ البَلَدِ . 5 وَإِذَا مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عن سَمْتِ الرَّؤُوسِ ، عَلَتْ عَلَيْهَا البُرُوجُ الشَّمَالِيَّةُ مُتَدَرِّجَةً فِي مَقْدَارِ غُلُوقِهَا إلى رأسِ السَّرطانِ ، وَانْخَفَضَتِ البُرُوجُ الجنوبيَّةُ / عن الأفقِ [36 ب] كذلك إلى رأسِ الجُذْيِ ، لِانْخِرَافِهَا إلى الجَانَتَيْنِ فِي أَفْقِ الاستواءِ كَمَا قُلْنَا . فَلَا يَزَالُ الأفقُ الشَّمَالِيّ يَرْتَفِعُ حَتَّى يَصِيرَ أَبْعَدَ الشَّمَالِيَّةِ ، وهو رأسِ السَّرطانِ فِي سَمْتِ الرَّؤُوسِ ؛ وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ غَرَضُ البَلَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ فِي الحِجَازِ وَمَا يَلِيهِ . وَهَذَا هُوَ المِئَلُ 10 الَّذِي [إِنْ] مَالَ رَأْسُ السَّرطانِ عن مُعَدَّلِ النَّهَارِ فِي أَفْقِ الاستواءِ ، اِرْتَفَعَ بِاِرْتِفَاعِ القُطْبِ الشَّمَالِيّ حَتَّى صَارَ مُسَامَتاً . فَإِذَا اِرْتَفَعَ القُطْبُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ ، تَزَلَّتِ الشَّمْسُ عن المُسَامَئَةِ ، وَلَا تَزَالُ فِي انْخِفَاضٍ إِلَى أَنْ يَكُونَ اِرْتِفَاعُ القُطْبِ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ ، وَيَكُونُ انْخِفَاضُ الشَّمْسِ عن المُسَامَئَةِ كَذَلِكَ ، وَانْخِفَاضُ القُطْبِ الجنوبيّ عن الأفقِ بِمِثْلِهَا ، فَيَنْقَطِعُ التَّكْوِينُ لِإِفْرَاطِ البَرْدِ والجَمْدِ ، وَطَوَّلَ زَمَانَهُ غَيْرَ مُفْتَرِحٍ بِالْحَرِّ . 15

ثم إن الشمس عند المُسَامَئَةِ وما يَتَّيَرُهَا تَبَعُ الأشعة على الأرض على زَوَايا ، وَفِيهَا دُونَ المُسَامَئَةِ على زَوَايا مُنْفَرِجَةٍ وَحَادَّةٍ ، وَإِذَا كَانَتْ زَوَايا الأشعة قَائِمَةً عَظُمَ الصَّوُّ وانتَشَرَ ، بِخِلَافِهِ فِي المُنْفَرِجَةِ والحَادَّةِ . فَلِهَذَا يَكُونُ الحَرُّ عند المُسَامَئَةِ

(١) زيادة بقضيا السياق .

وما قَرَّبَ منها أَكْثَرَ منه فيها بَعْدَ ؛ لَأَنَّ الصَّوْءَ سَبَبُ الحَرِّ والتَّسْخِينِ . ثم إنَّ المُسَامَـةَ في خطِّ الاستواء تكون مَرَّتَيْنِ في السَّنَةِ ، عند قُطْبَي الحَمَلِ والمِيزَانِ ؛ وإذا مَالَتْ فغيرَ بعيدٍ ، ولا يَكَادُ الحَرِّ يَغْتَدِلُ في آخرَ مَيلِها عند رَأْسِ السَّرْطَانِ والجُذْيِ إلَّا وقد صَعِدَتْ إلى المُسَامَـةِ ، فَتَبْقَى الأشْعَةُ القَائِمَةُ الزَّوَايا تُلْحُحُ على ذلك الأفقِ ،

5 ويطولُ مُكْثُهَا أو يَدُومُ ، فيشتعلُ الهواءُ حرارَةً ، ويُفْرِطُ في شِدَّتِهَا . وكذا ما دَامَتْ السَّمْسُ سَامِبَتْ مَرَّتَيْنِ فيما بَعْدَ خطِّ الاستواء إلى غَرْضِ أربعةٍ وعشرينَ ، فَإِنَّ الأشْعَةَ / مُلِحَّةٌ على الأفقِ في ذلك الأفقِ بِقَرِيبٍ من إلْحَاجِها في خطِّ الاستواء . وإفراطُ [137]

الحَرِّ يَفْعَلُ في الهواءِ تَجْفِيفًا وَيَبْسًا يَمْتَنِعُ من التَّكْوِينِ ؛ لِأَنَّهُ إذا أَفْرَطَ الحَرُّ جَعَتِ المِياهُ والرَّطوباتُ ، وَفَسَدَ التَّكْوِينُ في المَعْدِنِ والتَّيَاتِ والحَيوانِ ؛ إِذَ التَّكْوِينُ لا يَكُونُ

10 إلَّا بِالرَّطوبَةِ . ثُمَّ إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ عَن سَمْتِ الرُّؤُوسِ في غَرْضِ خَمْسَةِ وَعِشْرِينَ فما بَعْدَهُ ، نَزَلَتِ السَّمْسُ عَن المُسَامَـةِ ، فَيَصِيرُ الحَرُّ إلى الاغْتِدَالِ أو يَمِيلُ عَنهُ قَلِيلًا ، فَيَكُونُ التَّكْوِينُ ، وَيَزِيدُ<sup>(1)</sup> على التَّدرِجِ ، إلى أنْ يَفْرِطَ البَرْدُ في شِدَّتِهِ بَقَلَةً الصَّوْءَ ، وَكُونِ الأشْعَةِ مُنْفَرَجَةً الزَّوَايا ، فَيَنْقُصُ التَّكْوِينُ وَيَقْشُدُ . إلَّا أَنَّ فسادَ التَّكْوِينِ من جَهَةِ شِدَّةِ الحَرِّ أَعْظَمُ منه من جَهَةِ شِدَّةِ البَرْدِ ؛ لِأَنَّ الحَرَّ أَسْرَعُ تَأْثِيرًا في التَّجْفِيفِ

15 من تَأْثِيرِ البَرْدِ في الحَمْدِ . فَلِذَلِكَ كانَ العُمرانُ في الإقْلِيمِ الأوَّلِ والثَّانِي قَلِيلًا ؛ وَفِي الثَّالِثِ والرَّابِعِ والخامِسِ مَتَوَسِّطًا ، لِاِغْتِدَالِ الحَرِّ بِنُقْصَانِ الصَّوْءِ ، وَفِي السَّادِسِ والسَّابِعِ كَثِيرًا لِنُقْصَانِ الحَرِّ ، وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ البَرْدِ لا تُؤَثِّرُ عِنْدَ أَوَّلِها في فسادِ التَّكْوِينِ كما يَفْعَلُ الحَرُّ ؛ إِذْ لا تَجْفِيفَ فيها إلَّا عِنْدَ الإفْراطِ بما يَغْرِضُ لها حِينَئِذٍ مِنَ اليبَسِ كما بَعْدَ السَّابِعِ . فَلِهَذَا كانَ العُمرانُ في الرِّيعِ الشَّمالِيِّ أَكْثَرَ<sup>(ب)</sup> وَأَوْفَرَ ؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(1) ع: يتراد، ي: يتردد (ب) في ط وحدها: إلى أكثر .

ومن هنا أخذ الحكماء خلافاً خط الاستواء وما وراءه. وأورد عليهم أنه مغمورٌ بالمُشاهدة والأخبار المتواترة، فكيف يتمّ البرهان على ذلك؟! . والظاهر أنهم لم يريدوا امتناع العُمران فيه بالكُتبية؛ إنّما أذهم البرهان إلى أنّ فساد التكوين فيه قوّيٌّ بإفراط الحرّ، فالعُمران فيه إمّا مُمتنع / أو مُمكن أَقَلِّ. وهو كذلك؛ فإنّ خط [37ب]

الاستواء والذي وراءه، وإن كان فيه عُمران كما نُقل، فهو قليلٌ جدّاً. وقد زعم ابنُ 5  
رُشد<sup>(1)</sup> أنّ خطّ الاستواء مُعتدِلٌ وأن ما وراءه في الجنوب بمثابة ما وراءه في الشمال، فيعمر منه ما عُمِر من هذا. والذي قاله غَيْرُ مُمتنع من جهة فساد التكوين؛ وإنّما اُمتنع فيما وراء خطّ الاستواء في الجنوب، من جهة أنّ العُنصر المائيّ [عُمُرًا<sup>(1)</sup>] وُجِهه الأرض هنالك، إلى الحدّ الذي كان مقابلُه من الجهة الشماليّة قابلاً للتكوين؛ ولما اُمتنع المُعتدِلُ لعلّبة الماء تَبَعُه ما سواه؛ لأنّ العُمران مُتدرّج\*<sup>(ب)</sup> ويأخذ في التدرّج 10  
من جهة الوجود لا من جهة الامتناع؛ وأمّا القولُ بامتناعه في خطّ الاستواء، فيردّه التقلُّ المتواتر. والله أعلم.

ولنُزسّم بعد هذا الكلام<sup>(ج)</sup> صورة الجغرافيا<sup>(د)</sup> كما رسمها صاحبُ كتاب رُجّار، ثم نأخذ في تفصيل الكلام عليها إلى آخره\*<sup>(ب)</sup> :

(1) من ج، وفي ط ي ل ع: عُمر (ب) سقط ما بين التبعين من نسخة ي (ج) ل: وهذه صورة الجغرافيا وتلوها الكلام عليها مفصلاً (د) جاءت صورة الجغرافيا في ع وحدها وترك لها فراغ في بقية النسخ.

(1) لم نوفق إلى تحديد مصدر نضه.



شَرْق



الخريطة الوحيدة في النسخ المعتمدة جاءت في نسخة "ع" وحدها،  
وكتب أسماء البلدان والشعوب فيها بخط ابن خلدون

خريطة كثرية الشكل، أعلاها الجنوب، وأسفلها الشمال، وبمينا الغرب، ويسارها الشرق.  
تسم دائرة الكرة إلى خطوط عرضية قوسية سبعة، حُصرت بينها الأقاليم السبعة، ووزع في  
كل إقليم بعض المواقع والشعوب الموجودة فيه. وقد استخرجنا تفاصيل محتواها كما يلي:  
[ كتب في أعلاها: خال وراء خط الاستواء من الحز.

فالإقليم الأول أدرج فيه مبتدء من جهة الغرب على اليمين إلى الشرق، ما يلي:  
بلاد للم - بلاد نقارة - كاتم - بزئو - كوكو - زغائي - التاجوين - التوبة - الحبشة .

والإقليم الثاني :

بلاد غانة - لقطه وصنهاجة - قزان - كوار - الواحات - الصعيد - البجة - الججاز - اليمن -  
اليامة - عُان - الشُخر - السُند - مكران - كمران - المفازة - الهند - الصين .

والإقليم الثالث :

السوس - المغرب الأقصى - طنجة - دزغة - إفريقية - الجريد - صحراء بزنيق - مصر -  
الشام - البصرة - فارس - خراسان - الصفد - القزغر.

والإقليم الرابع:

العراق - النهلوس - أذربيجان - خوارزم - الشاش - خلخية - كمالك

والإقليم الخامس:

ترويه (؟) - غشكوتية - البنادقة - مقدونية - التيلقان - طبرستان - غزية - تركش - أذكش - ياجوج

والإقليم السادس:

برطانية - إفريقية - لمانية - جنولية - جرمانية - ؟ - الحزير - اللان - بلغار - المنقة - الحراب.

والإقليم السابع:

سجرت - بجنائية - ماجوج.

وكتب بأسفلها: خال ... الشمال من البرد . ]

## ١ / تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا<sup>(١)</sup>

اعلم أن الحكماء قَسَمُوا هذا المعمور ، كما تقدّم ذكره ، بسبعة أقسام ، من الجنوب إلى الشمال ، يُسَمُّونَ كُلَّ قسم منها إقليمًا . فانقسم المعمور من الأرض

(١) انقردت نسخة "ع" بهذا المجلد في اختلاف الجغرافيين في عروض الأقاليم والساعات والأميال، وأغفلت الأصول الأربعة الأخرى مستبضة عنه بما أثبتناه من نصها . وبدأ تطابق نسخة "ع" مع بقية الأصول التي أجمعت على المدخل المثبت، عند قوله بعده: "والمتكلمون على هذه الجغرافيا قَسَمُوا..." وأثر هذين المذمتين غير واضح، لغيب مقدمة "ع" عن بقية النسخ، وغيب المقدمة المثبتة عن نسخة "ع"، فكيف نشأ هذا الاختلاف، خاصة وأن نص "ع" مُثَبَّتٌ إثر الحارطة في متن النص ويخط كاتب النسخة نفسه، وليس طارئاً في الحواشي والزوائد التي يضيفها المؤلف. ونشير إلى أن الناسخ ترك صفحة يتضاء بين هذا الجزء الذي انقرد به وبين ما التقى فيه مع بقية النسخ.

الثص :

وهو على نوعين، مُفَصَّل ومُجَمَّل . فالمفصل هو الكلام في بلدان هذا المعمور وجباله وبحاره وأنهاره واجنأ واجنأ؛ وسيأتي في الفصل يتد هذا . وأما المجمل ، فالكلام في انقسام المعمور بالأقاليم الشبعية [التي التاص أو الولت نحو سطرين] وذكر عروضها وساعات نهارها ؛ وهو الذي تضمنه هذا الفصل . فلنأخذ في بَيَانِه:

قد تقدّم لنا أن الأرض طافية على الماء المُضَرِّي كالنبنة، فاكشَفَ لذلك بعضها لحكمة الله في الثمران والتكوين المُضَرِّي. فيقال إن هذا المكشَف هو التصف من سطح الأرض. فالمعمور منه زئمه والباقي خراب؛ وقيل المعمور سُدَّسه فقط. فالخلاء من هذا المكشَف في جَمْعِي الجنوب والشمال؛ والثمران بينهما مُتصل من المغرب إلى المشرق؛ وليس بينهما وبين البحر من الجهتين خلاء. قالوا: وفيه خطٌ وهمي يَرُ من المغرب إلى المشرق مُساويتاً للآترة مُغدل التَّهَار حيث يكون قُطباً الفلك على الأفق وهو أوّل الثمران إلى ما يتد من الشمال . وقال بطلَميوس: بل يتد في جهة الجنوب عُمران، وقدره بقرض البلد كما يأتي. وعند إسحاق بن الحسن الحارثي أن وراء الإقليم السابع عُمران آخر، وقدره بقرض بلدة كما يذكر ؛ وهو من اثثة هذه الصناعة . =

كله هذه السبعة الأقاليم ، كل واحد منها آخذ من الغرب إلى الشرق على طوله ،  
فالأول منها مأز من الغرب إلى الشرق مع خط الاستواء يحده من جهة الجنوب ،  
وليس وراءه هنالك إلا القفار والزمال ، وبعض عبارة إن صحت فهي كلا عبارة .

= ثم إن الحكمة قديماً قسموا هذا المعمور في جهة الشمال بالأقاليم السبعة بخطوط وهمية آخذة من الغرب إلى الشرق ؛ وعروضها مختلفة عندهم ، كما يأتي تفصيله .

فالأقليم الأول منها مأز مع خط الاستواء من جهة شاليه ، وليس في جنوبه إلا تلك العبارة التي أشار إليها بطلانيوس ، ونغدها القفار والزمال إلى دائرة الماء المستاة بالبحر المحيط .

ويليه من جهة شاليه الإقليم الثاني كذلك ، ثم الثالث ، ثم الرابع والخامس والسادس والسابع ، وهو آخر العُمران في جهة الشمال ، وليس وراءه إلا الحلاء والقفار إلى البحر المحيط . إلا أن الحلاء في جهة الجنوب أكثر منه في جهة الشمال بكثير .

وأما عروض هذه الأقاليم وساعات نهارها ، فاعلم أن قُطبي الفلك يكونان في خط الاستواء على الأفق من غربه إلى شرقه ، والشمس تُسابت رؤوس أهلها ؛ فإذا بُد العُمران إلى جهة الشمال ، انزعفت القطب الشمالي قليلاً وانخفض الجنوبي مثله وتهدت الشمس عن دائرة مُعدل النهار إلى سمتة بمثل ذلك ، وصارت هذه الأبعاد الثلاثة مُساوية ، يُسمى كل واحد منها عرض البلد ، كما هو معروف عند أهل المواقيت .

وقد اختلف الناس في مقدار هذه العروض ، ومقدارها في الأقاليم ؛ فالذي عند بطلانيوس ، أن عرض المعمور كله سبعون درجة ونصف درجة ؛ فعرض المعمور خلف خط الاستواء إلى الجنوب منها ، إحدى عشرة درجة وست وستون درجة ونصف ، هي عروض الأقاليم الشمالي إلى آخرها . فعرض الإقليم الأول منها عنده ست عشرة درجة ، والثاني عشرون ، والثالث سبع وعشرون ، والرابع ثلاث وثلاثون ، والخامس ثمان وثلاثون ، والسادس ثلاث وأربعون ، والسابع ثمان وأربعون . ثم قُدر الدرجة في الفلك بستة وستين ميلاً وتُلقَى ميل من مسافة الأرض . فتكون أنيال الإقليم الأول ما بين الجنوب والشمال ألف ميل وسبعة وستين ميلاً ؛ وأمال الإقليم الثاني معه ألفي ميل وثلاثمائة ميل وثلاثة وثلثين ميلاً ؛ وأمال الثالث معها ألفي ميل وسبعائة وتسعين ؛ والرابع معها ألفين ومائة وخمسة وثمانين ، والخامس ألفين وخمسة وعشرين ، والسادس ألفين وثمانمائة وأربعين ، والسابع ثلاثة آلاف ومائة وخمسين .

ثم إن أُرِمت الليل والنهار تفاوتت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة مُعدل النهار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها ؛ فيتفاوت قُوس النهار والليل لذلك . وينتهي أطول الليل والنهار في آخر الإقليم =



وبليه من جهة شماليه الإقليم الثاني ثم الثالث كذلك ، ثم الرابع والخامس

= الأول عند حلول الشمس برأس الجدّي لليل ، ورأس السرطان للنهار ، كل واحد منها عند تظلموس إلى اثنتي عشرة ساعة ونصف ؛ وينتهي في آخر الإقليم الثاني إلى ثلاث عشرة ساعة ؛ وفي آخر الإقليم الثالث إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ، وفي آخر الرابع إلى أربع عشرة ساعة ؛ وفي آخر الخامس بزيادة نصف ساعة ، وفي آخر السادس إلى خمس عشرة ساعة ؛ وفي آخر السابع بزيادة نصف ساعة ، ويتبقى للأقصر من النهار وللليل ما يتبقى بعد هذه الأعداد من بحلة أربعة وعشرين ، الساعات الزمانيّة لمجموع الليل والنهار ، وهو ذورة الفلك الكاملة . فيكون تفاوت هذه الأقاليم في الأطول من ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل إقليم ، ترتد من أوله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال ، موزعة على أجزاء هذا البعد.

وعند إسحاق بن الحسن الحارثي أنّ عرض الغفران الذي وراء خط الاستواء ست عشرة درجة وخمس وعشرون دقيقة . وطول ليله ونهاره ثلاث عشرة ساعة . وعرض الإقليم الأول وساعته مثل الذي وراء خط الاستواء . وعرض الإقليم الثاني أربع وعشرون درجة ؛ وساعته عند آخره ثلاث عشرة ساعة ونصف . وعرض الثالث ثلاثون درجة ؛ وساعته أربع عشرة ساعة . وعرض الرابع ست وثلاثون درجة ؛ وساعته أربع عشرة ساعة ونصف . وعرض الخامس إحدى وأربعون درجة ؛ وساعته خمس عشرة ساعة . وعرض السادس خمس وأربعون درجة ؛ وساعته خمس عشرة ساعة ونصف . وعرض السابع ثمان وأربعون درجة ونصف ؛ وساعته ست عشرة ساعة . ثمّ ينتهي عرض الغفران وراء السابع من عند آخره إلى ثلاث وستين درجة ، وساعته إلى عشرين ساعة .

وعند غير إسحاق الحارثي من أنمة هذا الشأن ، أن عرض الذي وراء خط الاستواء ست عشرة درجة وستين وعشرون دقيقة ، وعرض الإقليم الأول عشرون درجة وخمس عشرة دقيقة ؛ والثاني سبع وعشرون درجة ، وثلاث عشرة دقيقة ؛ والثالث ثلاث وثلاثون درجة ، وعشرون دقيقة ؛ والرابع ثمان وثلاثون درجة ، ونصف درجة ، والخامس ثلاث وأربعون درجة ، والسادس سبع وأربعون درجة ، وثلاث وخمسون دقيقة ، وقبل فيه ست وأربعون درجة وخمسون دقيقة ؛ والسابع إحدى وخمسون درجة ، وثلاث وخمسون دقيقة . والغفران وراء السابع سبع وسبعون درجة . وعند أبي جعفر الحارثي من أنمة أيضاً أنّ عرض الإقليم الأول من درجة إلى عشرين وثلاث عشرة دقيقة ، والثاني إلى سبع وعشرين وثلاث عشرة دقيقة ، والثالث إلى ثلاث وثلاثين وتسع وثلاثين دقيقة ، والرابع إلى ثمان وثلاثين درجة ، والخامس إلى اثنين وأربعين وثمان وخمسين دقيقة ، والسادس إلى سبع وأربعين واثنتين ، والسابع إلى ثمانين وخمس وأربعين دقيقة . هذا ما حصرني من اختلافهم في العروض والساعات والأقاليم لهذه الأقاليم ، والله خلق كلّ شيء قدره تقديرًا .

والسادس والسابع، وهذا<sup>(١)</sup> آخر العُمران في جهة الشمال . وليس وراء السابع إلاّ الخلاء والقفار إلى أن ينتهي إلى البحر المحيط ؛ كالحال فيما وراء الإقليم الأول في جهة الجنوب . [إلا أن الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب]<sup>(ب)</sup> . ثم إن أزمنة الليل والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة مُعَدِّل النَّهَار وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها . فيتفاوت قوس النهار [أ] أو<sup>(ج)</sup> الليل لذلك ، وينتهي أطول الليل والنهار في آخر الإقليم الأول ، وذلك عند حلول الشمس برأس الجُذْي للَّيْل ، وبرأس السرطان للنَّهَار ، كلّ واحد منها إلى ثلاث عشرة ساعة . وكذلك في آخر الإقليم الثاني ممّا يلي الشمال ، ينتهي أطول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان ، وهو مُتَقَلِّبُ الصُّفْي ، إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة . ومثله أطول الليل عند مُتَقَلِّبِ الشُّتُوبِي برأس الجُذْي . ويتبقى للأفصر من النهار والليل ما يتبقى بعد الثلاثة عشر ونصف من جُمْلَةِ أربع وعشرين ، الساعات / الزمانيّة لجموع الليل والنهار ، وهو دَوْرَةُ الْفَلَكَ الْكَامِلَةِ . [38 ب]

وكذلك في آخر الإقليم الثالث ممّا يلي الشمال أيضاً ، ينتهيان إلى أربع عشرة ساعة؛ وفي آخر الرابع إلى أربع عشرة ساعة ونصف ساعة؛ وفي آخر الخامس إلى خمس عشرة ساعة ؛ وفي آخر السادس إلى خمس عشرة ساعة ونصف ساعة؛ وفي آخر السابع إلى ست عشرة ساعة؛ وهنالك يَنْقَطِعُ الْعُمُرَان ، فيكونُ تفاوتُ هذه الأقاليم في الأطول من ليلها ونهارها بنصف ساعة لكل إقليم ، يَزِيدُ من أوّله في ناحية الجنوب إلى آخره في ناحية الشمال ، مُوزَّعَةً على أجزاء هذا البُعد .

(١) ل ج ي : وهو (ب) من ي ج وسط من ظ ل (ج) من ح .

وأما غرض البلدان في هذه الأقاليم ، وهو عبارة عن بُعد ما بين سمت رأس البلد ودائرة مُعدّل النهار ، والذي هو سمت رأس <sup>(1)</sup> خط الاستواء وبمثله ، سواء يتخفّض القطب الجنوبي عن أفق ذلك البلد ، ويرتفع القطب الشمالي عنه ، وهي ثلاثة أبعاد مُتساوية تُسمّى غرض البلد ، كما مرّ ذلك من <sup>(1)</sup> قبل .

## 5 1. [فَصْلٌ] (ب) :

والمُتكلّمون على هذه الجغرافيا قَسَمُوا كُلَّ واحدٍ من هذه الأقاليم السبعة في طوله من المغرب إلى المشرق بعشرة أجزاء مُتساوية ، ويذكرون ما اشتمل عليه كُلُّ جزءٍ منها من البلدان والأنهار والجبال والأنهار ، والمسافات بينها في المسالك . ونَحْنُ الآن نوجز القول في ذلك باختصار ، ونذكر مشاهير البلدان والأنهار والبحار في كُلِّ جزءٍ منها ، ونُحاذي بذلك ما وَقَعَ في كتاب نُزهة المُشتاق الذي ألفه العلوي <sup>10</sup> الإدريسي الحنودي للملك صِقْلِيّة من الإفرنج ، وهو رُجّار بن رُجّار / عندما كان نازلاً عليه بصِقْلِيّة بعد خُروج سَلْفِهِ من إمارة مَالَقَة .

وكان تَأْلِيْفُهُ للكتاب في مُنتصف المائة السادسة . وجمع لَهُ كُتُبًا جَمَّةً ، للمسنودي ، وابن خُرْداذبَة ، والحوَقْلِي ، والغُدْرِي ، وإسحاق المُتَنَجِّم ، وبَطْلَمَيْوس ، وغيرهم .

15

ونبدأُ منها بالإقليم الأوّل إلى آخرها .

(1) سقط من ل (ب) من ع ، ومن هنا تعود نسخة عاطف أفندي "ع" إلى متابعة السياق مع بقية الأصول .

## • الإقليم الأول :

وفيه من جهة غربيته الجزائر الخالدات ، التي منها بدأ بظلموس يأخذ أطوال البلاد . ولينست في بسيط الإقليم ، وإنما هي في البحر المحيط ، جَزْرٌ متكررة [أكبرها] <sup>(أ)</sup> وأشهرها ثلاثة ؛ ويقال إنها مغمورة . وقد بلغنا أن سفائين من الإفرنج مَرَّتْ بها في أواسط هذه المائة ، وقاتلوه ، فغنموا منهم وسَبَوْا ، وباعوا 5 بنص أسراهم بسواحل المغرب الأقصى ، وصاروا إلى خدمة السلطان ، فلما تعلموا اللسان العربي أخبروا عن حال جزيرتهم ، وأنهم يحفرون الأرض للزراعة بالقرون ، وأن الحديد مَقْقُودٌ بأرضهم ، وعَشْنُهم من الشعر ، وماشيتهم المغز ، وقتالهم بالحجارة يُلَوِّحُونَهَا إلى خلف ، وعبادتهم التجود للشمس إذا طلعت ، ولا يعرفون ديناً ، ولم 10 تتلغهم دعوة ، ولا يوقَف على مكان هذه الجزائر <sup>(ب)</sup> إلا بالغثور لا بالقصد إليها ؛ لأن سفر الشُّن في البحر إنما هو بالرياح ، ومعرفة جهات مهاجها ، وإلى أين توصل إذا مَرَّت على الاشتقاقة من البلاد التي في مَمَر ذلك المهَب . وإذا اختلف المهَب وعُلم حيث يوصل على الاشتقاقة ، حُوِذِي به القُلْع محاذاةً تُحْمَلُ السفينةُ بها على قوانين في ذلك محصلة عند التوازية والملاحين الذين هم رؤساء السَّفر في البحر .

15 والبلاد التي جفائي البحر الرومي / وفي عُدُونِيهِ ، مكتوبة كلها في صحيفة [ب39] على شكل ما هي عليه في الوجود ، وفي وُضْعِها في سواحل البحر على ترتيبها .

(أ) سقط من ط (ب) ج : الجبرية .

ومحَابُ الرِّيحِ وَمَمَرَاتُهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ الصَّحِيفَةِ ، وَيُسَمَّوْنَهَا الْكُنْصَاصَ ؛ وَعَلَيْهَا يَتَعَمَّدُونَ فِي أَشْفَارِهِمْ . وَهَذَا كُلُّهُ مَفْقُودٌ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ ، فَلِذَلِكَ لَا تُلَاحَظُ فِيهِ السُّفُنُ لِأَنَّهَا إِنْ غَابَتْ عَنْ مَرَايِ السَّوَاحِلِ فَقَلَّ أَنْ تَهْتَدِيَ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَيْهَا ؛ مَعَ مَا يَتَعَمَّدُ فِي جَوْرِ هَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى صَفْحِ مَائِهِ مِنَ الْأَنْجَرَةِ الْمَائِنَةِ<sup>(١)</sup> لِلْسُّفُنِ فِي مَسِيرِهَا ؛ وَهِيَ لِبُعْدِهَا لَا تُدْرِكُهَا أَضْوَاءُ الشَّمْسِ الْمُنْعَكِسَةُ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ 5 فَتُحُلُّهَا ؛ فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْاهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَصَعِبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا .

وَأَمَّا الْمَجْزَاءُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ ، فَفِيهِ مَصَبُّ التَّيْلِ الْآتِي مِنْ مَبْدِئِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَمَرِ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ ، وَيُسَمَّى نَيْلُ السُّودَانِ ؛ وَيَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ الْمَحِيطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَزِيرَةِ أُؤِيلِكِ<sup>(ب)</sup> . وَعَلَى هَذَا التَّيْلِ مَدِينَةُ سَلَى وَتَكَرُّورُ وَغَانَةُ ؛ وَكُلُّهَا لِهَذَا الْفَهْدِ فِي مَمْلَكَةِ أَهْلِ مَالِي مِنْ أُمَمِ السُّودَانِ ؛ وَإِلَى بِلَادِهِمْ يُسَافِرُ تِجَارُ الْمَغْرِبِ 10 الْأَفْقَصَى . وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شِمَالِهَا بِلَادُ لَفْتُونَةِ وَسَائِرِ طَوَائِفِ الْمَلْتَمِينَ ، مَقَاوِرُ يَجُولُونَ فِيهَا . وَفِي جَنُوبِ هَذَا التَّيْلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانِ يُقَالُ لَهُمْ لَمَلَمَ ، وَهُمْ كَفَّارُ ، وَيَكْتُونُ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاعِهِمْ ؛ وَأَهْلُ غَانَةِ وَالتَّكَرُّورِ يُغَيِّرُونَ عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونَهُمْ وَيَبِيعُونَهُمْ لِلتِّجَارِ فَيَجْلِبُونَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَمِنْهُمْ عَامَّةٌ رَقِيقُهُمْ . وَلَيْسَ وَرَاءَهُمْ فِي الْجَنُوبِ عُمَرَانُ يُقْتَبَرُ ، إِلَّا أَنْتَابِيٌّ أَقْرَبُ إِلَى الْحَيَوَانِ الْغَنَمِ مِنَ النَّاطِقِ ، يَسْكُنُونَ 15 الْغِيَاضَ وَالْكَهُوفَ ، وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَالْحَيُوبَ غَيْرَ مُهَيَّاتٍ ؛ وَزُبَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ وَلَيْسُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ .

(١) ظا ، وفي ج ل ع ي : المائنة (ب) كذا في ط ج . وفي ي ع ل : أوليل وهو ما في نزهة المشتاق 1 : 17 ، 18 ، 19 ، 108 .

وفواكه بلاد السودان كلها من قصور صخراء المغرب ، مثل ثَوَات  
وتيكورارين ووازلان . وكان في غانة فيما يُقال مَلِكٌ ودُولَةٌ / لقوم من الغلوية [i 40]  
يُعرفون ببنّي صالح . وقال صاحب كتاب رُجَار<sup>(1)</sup> : إنه صالح بن عبد الله بن  
حسن بن الحسن . ولا يُعرف صالحٌ هذا في ولد عبد الله بن حسن . وقد ذهب  
5 هذه الدُولَةُ لهذا العهد ، وصارت غانة لسلطان مالي .

وفي شرقي هذه البلاد في الجزء الثالث من هذا الإقليم ، بَلَدٌ كَوَكُو<sup>(1)</sup> على  
نهر يُنبع من بعض الجبال هنالك ، ويمر مُعَرَّباً فيغوص في رمال الجزء الثاني . وكان  
مُلْكٌ كَوَكُو قائماً بنفسه ثم استولى عليها سلطان مالي وأصبحت في مملكته ؛  
وخرب لهذا العهد من أجل فِتْنَةٍ وَقَعَتْ هُنَاكَ ، نذكرها عند ذِكْرِ دُولَةِ [أهل]<sup>(ب)</sup>  
10 مالي ، في محلّها من تاريخ التبريز . وفي جنوبي بلاد كَوَكُو بلاد كَانَم<sup>(ج)</sup> من أمم  
السودان . وبعدهم وقارة<sup>(د)</sup> على ضفة النيل من شماليته .

وفي شرقي بلاد وقارة وكانم بلاد لزغاوة<sup>(هـ)</sup> وتاجرة ، المتصلة بأرض التوبة  
في الجزء الرابع من هذا الإقليم . وفيها يَمُرُّ نيلٌ يضر ذاهباً من مبدئه عند خط  
الاستواء إلى البحر الرومي في الشمال . ومُخْرَجُ هذا النيل من جبل القُمر الذي

(1) في ج ي نقطة تحت الكاف للطلق بالإشهاد بين الكاف والقاف ، وفي ج ع سكن على الواو (ب) سقطت من ط  
(ج) في ع بكاف متوقفة من فوق ، وفي خريطة النسخة نفسها يفتح النون (د) كذا في جميع الأصول ، وانفردت ع برسمها  
بكاف عليها نقطتان بدل القاف (هـ) من ل ج ي وهو الصحيح ، وفي ط زغابة . وفي ع والخريطة: زغابتي .

(1) نزهة المشتاق 1: 23 يذكر أن ملك غانة فيما يوصف ، من ذرية صالح بن عبد الله ... ، وأنه يخطب  
نفسه ، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي .

فوق خط الاستواء بسِتّ عشرة دَرَجَة . واختلفوا في ضبط هذه اللفظة ، فبعضهم يفتَحُ القاف والميم نِسْبَةً إلى قَمَر السماء ، لشِدَّة بياضه وكثرة ضوئه ، وفي كتاب المشترك<sup>(1)</sup> لياقوت بضم القاف وسكون الميم، نسبة إلى قوم من أهل الهند ؛ وكذا ضبطه ابن سعيد<sup>(2)</sup> ، فيخرج من هذا الجبل عشر عُيون تجتمع كل [خمس]<sup>(3)</sup> منها في بحيرة ؛ وبينها ستة أُميال . ويخرج من كل واحدة من البُحَيرَتَيْن ثلاثة أنهار تجتمع 5 كلها في بطيحة واحدة ، في أسفلها جبلٌ معترِض يشقُّ البَحيرة من ناحية الشمال . وينقسم ماؤها بقسمين : فيمر الغربي منه إلى بلاد السودان مُقرباً حتى يصب في البحر المحيط ، ويخرج الشرقي منه ذاهباً إلى الشمال على بلاد الحبشة والتوبة وفيما بينها ؛ ويتقسم في أعلى أرض مضر ، فتصب ثلاثة من جداوله في البحر الرومي عند الإسكندرية / ورشيد<sup>(ب)</sup> ودُمياط ، ويصبُّ واحدٌ في بحيرة ملحة قبل أن 10 يتصل بالبحر .

وفي وسط هذا الإقليم الأول ، وعلى هذا التل ، بلاد التوبة والحبشة ونقض بلاد الواحات إلى أسوان . وحاضرة بلاد التوبة مدينة دُثَلَة ؛ وهي في غربي هذا التل ، وبعدها علوة وبلاد<sup>(ج)</sup> ، وتغدهما جبل الجنادل على ستة مراحل من بلاد في الشمال ، وهو جبل عالٍ من جهة مضر ومُنخفِض من جهة التوبة ، فينفذ 15 فيه التل ويصبُّ في مَهوى بعيد صَباً مَحولاً فلا يُمكن أن تسلكه المراكب ، بل يُحوَّل

(أ) من ع ل ج ي ، وفي ط ، عشرة ! (ب) سقط من ي (ج) في ع : ضبطت بالحركات غلوة ولأدى ، وفي ل : غلوة .

(1) المشترك وضماً والمفتوحاً صفحاً 358 ، وهو مختصر نصه في معجم البلدان 4 : 397 .

(2) بسط الأرض في الطول والعرض 80 .

الوَسْقُ من مراكب السودان، فيُخْمَل على الظَّهر إلى بلدِ أُسْوان قاعدة الصَّعيد ؛ وكذا وَسَق مراكب الصَّعيد إلى فَوْق الجنادل. ويتن الجنادل وأُسْوان ثَني عَشْرة مَزْجَلَة. والواحات في غربيها عُدَّة التَّيل، وهي الآن خرابٌ، وبها آثار العِمارة القديمة.

وفي وسط هذا الإقليم ، في المَجْزء الخامس منه، بلادُ الحَبَشَة ، على وادٍ 5 يأتي من وراء حَظَّ الاستواء [ويُتْرُ قبالة مَقْدِشو أَلِي في جنوب البحر الهندي]<sup>(أ)</sup>

ذاهبًا إلى أرض التوبة، فيصَب هنالك في التَّيل الهابط إلى مِصر . وقد وَهَم فيه كَثِير من الناس وَزَعَموا أَنه من نِيل القُفْر. وبَطْلَمْيُوس ذَكَرَهُ في كتاب الجغرافيا وذكر أَنه لَيْس من هذا التَّيل. وإلى وَسَط هذا الإقليم في هذا الجزء الخامس، يَنْتَهِي بَحْر [الهِند]<sup>(ب)</sup> الَّذِي يَدْخُل من ناحية الصَّين ، ويفر عَامَّة هذا الإقليم إلى هذا المَجْزء 10 الخامس ، فلا يَتَقَى فيه عُمُرَان إِلَّا ما كان في الجزائر الَّتِي في داخله، وهي متعدِّدة ، يقال تَنْتَهِي إلى أَلْف جزيرة، أو فيما على سِوَا حِلَّة الجنوبيَّة وهي آخر المَغْمُور في الجنوب، أو فيما على سِوَا حِلَّة من جِهَة الشَّمال، وليس منها في هذا الإقليم الأوَّل إِلَّا طَرَف من بلاد الصَّين في جِهَة الشَّرْق.

وبلادُ التَّين في المَجْزء السَّادس من هذا الإقليم، فيما بين البَحْرَيْن الهابِطين 15 من هذا البَحْر الهندي إلى جِهَة الشَّمال، وهما بَحْر القُلُزْم، وبَحْر فارس، وفيما بَيْنَهما جَزِيرَةُ العرب؛ وتَشْمَل على بلاد التَّين، وبلادُ الشَّخْرِ في شَرْقيها / على ساحل هذا [١٤١] البَحْر الهندي ، وعلى بلاد الحِجاز واليَمَامَة وما إِلَيْها ، كما تَذَكَّرَهُ في الإقليم الثَّاني وما بعده .

(أ) من حاشية ع مَحْطَه (ب) في ظ وحدها : النيل .



فأما الآدي على ساحل هذا البحر من غربيته فبلد زالغ من أطراف بلاد الحبشة، ومجالات البجة في شمالي الحبشة ما بين جبل العلاقي الآدي في أعالي الضعيد، وبين بحر القلزم الهابط من البحر الهندي. وتحت بلد زالغ من جهة الشمال في هذا الجزء خليج باب المندب. يضيق البحر الهابط هنالك بمزاحة جبل المندب المائل في وسط البحر الهندي، مُمتداً مع ساحل اليمن من الجنوب إلى الشمال في 5 طول اثني عشر ميلاً، فيضيق البحر بسبب ذلك إلى أن يصير في عرض ثلاثة أميال أو نحوها، ويُسمى باب المندب، وعليه تمر مراكب اليمن إلى ساحل السويس قريباً من مضر. وتحت باب المندب جزيرة سواكن ودهلك، وقبائله من غربيته بمجالات البجة<sup>(أ)</sup> من أمم السودان كما ذكرناه. ومن شرقيته في هذا الجزء تهايم اليمن، ومنها على ساحله بلد خليّ ابن يعقوب. وفي جهة الجنوب من بلد زالغ وعلى ساحل 10 هذا البحر من غربيته قرى بزرا يثلو بعضها بعضاً، ويتعطف مع جنوبية إلى آخر الجزء السادس. ويلها هنالك من جهة شرقها بلاد الرّنج، إوبعدها مدينة مقديشو، وهي مدينة مُستبحرة العمارة، ... الأحوال، كثيرة التجارة على ساحل البحر الهندي من جنوبه، ثم بلاد سُفالة<sup>(ب)</sup> على<sup>(ج)</sup> ساحله الجنوبي في الجزء السابع من هذا الإقليم. وفي شرقي بلاد سُفالة من ساحله الجنوبي بلاد<sup>(د)</sup> الواق واق متصلة إلى 15 آخر الجزء العاشر من هذا الإقليم وعند مدخل هذا البحر من البحر المحيط.

وأما جزائر هذا البحر فكثيرة، ومن أعظمها جزيرة سرنديب، مدورة الشكل، وبها الجبل المشهور، يقال ليس في الأرض أعلى منه، وهي قبالة سُفالة.

(أ) في خريطة ع بشديد الجيم (ب) حاشية بخطه من ع، وتُحلت على حاشية ج بخط أحدث، والنقطة كلمة لم تُقرأ (ج) ي ج : من (د) سقط من ج .

ثم جزيرة القمر<sup>(أ)</sup>، وهي جزيرة مستطيلة تبدأ من قبالة أرض سقالة، وتذهب إلى الشرق منحرفة بكثير إلى الشمال إلى أن تقرب من سواجل أعالي الصين؛ وتحتف بها في هذا البحر من جنوبيها جزائر الواق واق، ومن شرقيها جزائر السيللا، / إلى جزائر أخرى في هذا البحر كثيرة القدد، وفيها أنواع الطُبوب والأفاوه، وفيها [41ب] 5 - يقال - معادن الذهب والرُّمُرد، وعائمة أهلها على دين المجوسية، وفيهم ملوك مُتعدّدون. وهذه الجزائر من أحوال العُمران عجائب ذكرها أهل الجغرافيا. وعلى الصّفة الشماليّة من هذا البحر وفي الجزء السادس من هذا الإقليم، بلاد اليمن كلّها؛ فمن جهة بحر القلزم بلد زُيد والمُهَجم وِهامَة اليمن؛ وتُعدها [شرقاً]<sup>(ب)</sup> بلد صَفْدَة؛ مقر الإمامة<sup>(ج)</sup> الزيدية، وهي بعيدة عن البحر الجنوبي وعن البحر 10 الشَّرقيّ. وفيها بُعد ذلك مدينة عَدَن؛ وفي شاليها صنعاء؛ وتُعدها إلى الشرق أرض الأخفاف وظفّار؛ وبعدها<sup>(د)</sup> أرض حَضْرَمَوْت؛ ثم بلاد الشَّحْرِ ما بين البحر الجنوبي وبحر فارس. وهذه القطعة من الجزء السادس هي التي انكشفت عنها البحر من أجزاء هذا الإقليم الوَسْطِيّ، وينكشِف بعدها قليل من التاسع، وأكثر منه من العاشر، فيه أعالي بلاد الصين، ومن مُدُنُه الشهيرة مدينة خائكو<sup>(هـ)</sup>، وقبالتها من 15 جهة الشرق جزائر السيللا؛ وقد تقدّم ذكرها. وهذا آخر الكلام في الإقليم الأول.

(أ) ضبعت بالحركات في ل ع (ب) من ل (ج) ع ج: الأفة (د) ي: وفيها بعد ذلك (هـ) في ل وضعت نقطة تحت الكاف لضبط النطق.

## • الإقليم الثاني:

وهو متصل بالأول من جهة الشمال . وقبالة الغرب منه في البحر المحيط جزيرتان من الجزائر الخالدات التي مرّ ذكرها .

وفي الجزء الأول والثاني منه في الجانب الأعلى منهما ، أرض قنوريه ؛  
وبعدها في جهة الشرق أعالي أرض غانة ، ثم مجالات زغاوة<sup>(أ)</sup> من السودان ؛ وفي 5  
الجانب الأسفل منها صحراء نيسر<sup>(ب)</sup> متصلة من الغرب إلى الشرق ، ذات مفاوِز يسلك فيها التجار ما بين بلاد المغرب وبلاد السودان ، وفيها مجالات المثلثين من صنهاجة ، وهم شعوب كثيرة ما بين كدالة<sup>(ج)</sup> ولنتونة ومسوفة ولقطه ووزنيكه<sup>(د)</sup> .

وعلى سمت هذه المفاوِز شرقاً أرض قرّان ، ثم مجالات أزكار<sup>(هـ)</sup> من قبائل البربر ، ذاهية إلى أعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق ، وبعدها من هذا الجزء 10  
بلاد كوار<sup>(و)</sup> من أمم السودان ، ثم قطعتين من أرض التاجوين<sup>(ز)</sup> . وفي أسافل  
هذا الجزء الثالث وهي جهة الشمال منه ، بقية أرض ودان ، وعلى سمتها شرقاً [ 42 ]  
أرض سنيرية وتسمى الواحات التاخلة .

وفي الجزء الرابع من أغلاه بقية أرض التاجوين . ثم تقرض في وسط هذا 15  
الجزء بلاد الصعيد ، حقاقي النيل الذاهب من مبدئه في الإقليم الأول إلى مصبه في

(أ) ي ومقحة في ج : زغاني (ب) مستنركة في حاشية ع ، ومنكولة بخط ابن خلدون (ج) ل : بكاف مضمومة ومنقوطة لضبط الطن (د) ل : الكاف منقوطة (هـ) ع ل ي ج ، بكاف منقوطة (و) كذا ضبطت في ل (ز) كذا ضبطت في ل ، وفي الأصول بالناء ، عدا ط فقد ابتها بالنون .

البحر، فَيَمُرُّ في هذا الجزء بين الْجَبَلَيْنِ الْحَاجِزَيْنِ، وهما جبلُ الواحات من غَرْبِهِ، وجبلُ الْمُقَطَّم من شَرْقِهِ. وعليه من أعلاه بَلَدٌ إِنْشَا وَأَرْمَنْتَ، وتَصِلُ كَذَلِكَ جِفَافِيهِ إِلَى أَسْبُوطٍ وَقُوصٍ، ثُمَّ إِلَى صُولٍ. وَيَقْرُقُ النَّيْلُ هُنَاكَ عَلَى شِغْيَيْنِ، يَنْتَهِي الْأَيْمَنُ مِنْهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ عِنْدَ اللَّأْهُونَ، وَالْأَيْسَرُ عِنْدَ ذِلَاضٍ<sup>(١)</sup>؛ وَفِيهَا يَنْتَهِي أَعَالِي دِيَارِ مِصْرَ.

5      وَفِي الشَّرْقِ مِنْ جَبَلِ الْمُقَطَّمِ صَحَارَى عَيْنَابَ، ذَاهِبَةٌ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى بَحْرِ السُّوَيْسِ، وَهُوَ بَحْرُ الْقُلُزْمِ الْهَابِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ فِي الْجَنُوبِ إِلَى حِمَّةِ الشَّمَالِ. وَفِي عُدُوتِهِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا •<sup>(ب)</sup> الْجُزْءِ أَرْضُ الْحِجَازِ، مِنْ جَبَلٍ<sup>(ج)</sup> يَلْتَمِزُ إِلَى بَلَدٍ يَثْرِبَ. وَفِي وَسْطِ الْحِجَازِ بَلَدٌ مَكَّةُ، شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَفِي سَاحِلِهَا مَدِينَةُ جُدَّةَ تَقَابِلُ بَلَدِ عَيْنَابَ فِي الْعُدُوتِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ.

10      وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ غَرْبِهِ بِلَادُ نَجْدَ، [أَعْلَاهَا فِي الْجَنُوبِ جُرَشُ وَتَبَالَةُ، إِلَى عَكَاظٍ مِنَ الشَّمَالِ. وَتَحْتَ بِلَادِ نَجْدَ]<sup>(د)</sup> مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ الْحِجَازِ •<sup>(ب)</sup>؛ وَعَلَى سَمْتِهَا فِي الشَّرْقِ [بِلَادُ نَجْرَانَ وَجَنْدَ، وَتَحْتِهَا أَرْضُ التِّيَامَةِ، وَعَلَى سَمْتِ نَجْرَانَ فِي الشَّرْقِ]<sup>(هـ)</sup> أَرْضُ سَبَأَ وَمَأْرِبَ ثُمَّ أَرْضُ الشَّحْرِ. وَتَنْتَهِي إِلَى بَحْرِ فَارَسَ، وَهُوَ الْبَحْرُ الثَّانِي الْهَابِطُ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى الشَّمَالِ كَمَا مَرَّ. [وَيَذْهَبُ]<sup>(هـ)</sup> فِي هَذَا الْجُزْءِ 15      بِأَنْحَرَافٍ إِلَى الْقَرْبِ فَيَنْغَمُرُ مَا بَيْنَ شَرْقِيَّتِهِ وَجَوْفِيَّتِهِ قِطْعَةً مِثْلَةً عَلَيْهَا مِنْ أَعْلَاهُ مَدِينَةُ قُلْهَاتَ، وَهِيَ سَاحِلُ الشَّحْرِ، ثُمَّ تَحْتَهَا عَلَى سَاحِلِهِ بِلَادُ عُثْمَانَ، ثُمَّ بِلَادُ الْبَحْرَيْنِ، وَهَجَرَ مِنْهَا فِي آخِرِ الْجُزْءِ.

(١) كُنَّا ضَبَطْنَا بِالْمُرَكَّاتِ فِي ل (ب) سَفَطَ مَا بَيْنَ النِّجْمَيْنِ مِنْ ي (ج) كُنَّا فِي ط ج ع، وَفِي ل: حِمَّة (د) مِنْ ل ج ع، وَسَفَطْتَ مِنْ ط (هـ) كُنَّا فِي الْأَصُولِ وَفِي ط: وَيَنْتَهِي.

وفي الجزء السابع تم في الأعلى من غزيبه، قطعة من بحر فارس ، تتصل بالقطعة الأخرى في السادس ؛ ويعمر بحر الهند جانبه الأعلى كله . وعليه هنالك بلاد السند إلى بلاد مكران منه . ويقابلها بلاد الطويران وهي من السند أيضا ؛ فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء ، وتحول المفاوز بين أرض الهند ، ويمر فيه نهـر الآتي من ناحية بلاد الهند / ويصب في البحر الهندي في الجنوب . وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمنها شرقا بلاد بلهرا<sup>(أ)</sup> ، وتحتها الملتان ، تليها الصم العظيم عندهم ، ثم أسفل الهند<sup>(ب)</sup> ، أعالي بلاد سيجستان . وفي الجزء الثامن من غزيبه بقيه بلاد بلهرا من الهند ، وعلى سمنها شرقا بلاد القندهار ثم بلاد ميبيار<sup>(ج)</sup> ، في الجانب الأعلى على ساحل البحر الهندي ، وتحتها في الجانب الأسفل أرض كابل ، وتغدها شرقا إلى البحر المحيط بلاد القنوج 10 ما بين قشمر الداخلة وقشمر الخارجة عند آخر الإقليم .

وفي الجزء التاسع تم في الجانب الغربي منه بلاد الهند الأقصى ، وتتصل فيه إلى الجانب الشرقي ، فتتصل من أغلاه إلى العاشر ، وتبقى في أسفل ذلك الجانب [قطعة]<sup>(د)</sup> من بلاد الصين فيها مدينة خيغون ، ثم تتصل بلاد الصين في الجزء العاشر كله إلى البحر المحيط . 15

(أ) ضبطت بالحركات في ع بلهرا ، ثم شكلها في الجزء التالي كما انتهت وكما ضبطت في ل (ب) ي: السند (ج) ضبطت في ل: مشيبار (د) من ل ج ي ، وفي ظ ع: قطعتين (كذا) ولا يطلق ذلك ما بعده: فيها مدينة .

## • الإقليم الثالث :

وهو مُتصل بالتّاني من جهة الشّمال ؛ ففي الجزء الأوّل وعلى نحو الثّالث من أغلاه ، جبل دَرَن ، مُفترض فيه من غربيّه عند البخر المُحيط إلى الشّرق عند آخره . ويَسكن هذا الجبل من البرّز أُمّ لا بحصّهم إلا خالِفُهم حَسباً يأتي ذِكرُه .  
5 وفي القِطعة الّتي بَيْنَ هذا الجبل والإقليم الثّاني ، وعلى البخر المُحيط منها ، رباط ماسّة ، وتُتصل به شرقاً بلاد سُوس وئول ، وعلى سَمتها شرقاً بلادُ دَزَعَة ، ثم بلاد سِجِلْماسّة ، ثم قِطعة من صُغراء نيسِر ، المُقارة الّتي ذكرناها في الإقليم الثّاني . وهذا الجبلُ مُطلٌّ على هذه البلاد كلّها في هذا الجزء ، وهو قليلُ الشّايا والمسالك في هذه التّاحية الغربيّة إلى أن يُساميت وادي مَلُوتَة ، فتكثرُ ثُناياه ومَسالكُه إلى أن 10 يَنْتهي . وفي هذه التّاحية منه أُمّ المُضابِدة ، فسكّسيوّة عند البخر المُحيط ، ثم هِنْتانة ، ثم يَنْهال <sup>(1)</sup> ، ثم كَذميوّة ، ثم هَسْكَوَرَة ، وهم آخر المُضابِدة فيه . ثم قبائل صِنّاكَة <sup>(ب)</sup> وهم صِنّهاجة . ثم في آخر هذا الجزء منه بعض قبائل / زَنّانة . ويتّصل به [143]  
هنالك من جوفيّه جبلُ أُوْراس وهو جبلُ كُنامَة . وبعد ذلك أم أخرى من البرّاية نذكرهم في أَمّاكهم . ثم إنّ جَبَل دَرَن هذا من جهة غربيّه مُطلٌّ على بلاد المغرب 15 الأَفْصى وهي في جَوفِيّه . ففي التّاحية الجنوبيّة منها بلادُ مَرّاكُش وأغْماث وتاذلا ، وعلى البحر المُحيط منها رباط أَشْفي ومدينة سَلا ، وفي الشّرق عن بلاد مَرّاكُش

(1) كذا في ط ي ، وفي ل ج : يَنْتَهَل . (ب) رسمها في ط ل ع لضبط الطلق ، براهي داخل الصاد وقطة على الكاف .

بلاد فاس ومكناسة وتازا وقَصْر كُثَامَة . وهذه هي الَّتِي تُسَمَّى المغرب الأقصى في  
عَرَف أهلها . وعلى ساحل البحر المحيط منها بِلْدَان : آصِيلَا<sup>(١)</sup>؛ والغرايش .

وفي سَمَت هذه البلاد شرقًا بلاد المغرب الأوسط ، وقاعدتها تِلْمُسان ؛  
وفي سواحلها على البحر الرُّومِي بلد هُنَيْن وَوَهْرَان والجزائر . لأنَّ هذا البحر الرُّومِي  
يَخْرُج من البحر المحيط من خليج طَنْجَة في التاحية الغزبية من الجزء الرابع، ويذهب 5  
(مشرقًا)<sup>(ب)</sup> فينتهي إلى بلاد الشام، فإذا خَرَج من الخليج المتضايق غير بعيد،  
[انفسح]<sup>(ج)</sup> جنوبًا وشمالًا فَدَخَلَ في الإقليم الثالث والخامس. فهذا كان على ساحله  
من هذا الإقليم الثالث الكثير من بلاد، [تبتدىء من طَنْجَة إلى القَصْر الصغير، ثم  
سَبْتَة ثم باديس ثم غ...]<sup>(د)</sup> ثم يتصل ببلاد الجزائر، ومن شرقها بلد يَحَاية في ساحل  
البحر، ثم قُسْطُطِينَة في الشَّرق عنها .

10

وفي آخر الجزء الأول ، وعلى مرحلة من هذا البحر في جنوبي هذه  
البلاد ، ومرتبعا إلى جنوب المغرب الأوسط ، بلد آشِير [بجبل تينيطري]<sup>(هـ)</sup>، ثم بلد  
المسيبة ، ثم الزَّاب ، وقاعدته بَنَكْرَة تحت جبل أَوْرَاس المتصل بَدْرَن كما مرَّ .  
وذلك عند آخر هذا الجزء من جهة الشرق .

والجزء الثاني من هذا الإقليم على هَيْئَةِ الجزء الأول ؛ يمرُّ جبل دَرَن 15  
[على]<sup>(و)</sup> نحو الثلث من جنوبيه ذاهبًا فيه من غَرْب إلى شَرْق ، فيقسمه بِقَطْعَتَيْنِ،

(أ) رسمت بالمد على الحرة، وفي ط ع وضمت مع الصاد زائي للنطق (ب) من الأصول الأربعة وسقطت من ط (ج) من ل  
ج ي ع ، وفي ط : انفتح (د) من حاشية ع بخطه ، وفيه الكلمة منطبعة (هـ) من حاشية ع بخطه (و) في ط وحدها :  
عد .

ويغمر البحر الرومي مسافة من شماله . فالقطعة الجنوبية عن جبل دزن غربها كله  
مفاوز ، وفي الشرق منها بلد غدامس ، وفي سمتها شرقاً أرض ودان التي بقيتها في  
الإقليم الثاني كما مر . والقطعة الجوفية عن جبل دزن ما بينه وبين البحر الرومي في  
القرب منها ، جبل أوراس وبسة والأرؤس ، وعلى ساحل البحر بلد بونة . ثم في  
5 سمت / هذه البلاد شرقاً بلاد إفريقية ؛ فعلى ساحل البحر مدينة تونس ؛ ثم [43ب]  
سوسة ، ثم المهديّة .

وفي جنوب هذه البلاد، تحت جبل دزن، بلاد الجريد : توزر، وقفصة،  
وقزاوة . وفيما بينها وبين السواحل مدينة القيروان، وجبل وولات<sup>(1)</sup> وسبيطة<sup>(ب)</sup> .  
وعلى سمت هذه البلاد كلها شرقاً بلد طرائس على البحر الرومي . وبازائها في  
10 الجنوب جبال دمر ومرة من قبائل هواره ، متصلة بجبل دزن . وفي مقابلة غدامس  
التي مر ذكرها في آخر القطعة الجنوبية . وآخر هذا الجزء في الشرق، سويقة ابن  
مشكود على البحر، وفي جنوبها مجالات الغرب في أرض ودان .

والجزء الثالث من هذا الإقليم يمر فيه أيضاً جبل دزن ، إلا أنه يتعطف  
عند آخره إلى الشمال ، ويذهب على سمتة إلى أن يدخل البحر الرومي ، ويسمى  
15 هناك طرف أوثان ، والبحر الرومي من شاليه غمر طائفة منه إلى أن تصابق ما  
بينه وبين جبل دزن . فالذي وراء الجبل في الجنوب وفي القرب منه بقيّة أرض  
ودان ومجالات القرب فيها ، ثم زويلة ابن خطاب ، ثم رمال وقفار إلى آخر الجزء في  
الشرق . وفيما بين الجبل والبحر في الغرب منه بلد سرت على البحر، ثم خلا وقفار

(1) ضبطت في ل بنح السين ونسنديد اللام (ب) ضبط معجم البلدان ، وفي ل بنح الطاء .



تجول فيها الغرب، ثم أجداية، ثم بركة عند منعطف الجبل، ثم طليقة على البحر هناك. ثم في شرق المنعطف من الجبل مجالات هيّيب<sup>(1)</sup> ورواحة إلى آخر الجزء.

- وفي الجزء الرابع من هذا الإقليم وفي الأعلى من غزبه، صحارى بزنق، وأسفل منها بلاد هيّيب ورواحة. ثم يدخل البحر الرومي في هذا الجزء فيغمر طاقفه منه ذاهبا إلى الجنوب، حتى يزاحم طرفه الأعلى، ويتقى بينه وبين آخر الجزء قفاز 5 تجول فيها الغرب. وعلى سمتها شرقا بلاد القيوم، وهي على مصب أحد الشغبين من النيل الذي يمر على اللاهون من بلد الصعيد في الجزء الرابع من الإقليم الثاني، ويصب في بحيرة القيوم. وعلى سمتها شرقا أرض مضر، ومديتها الشهيرة على الشغب الثاني الذي يمر بدلاص من بلاد الصعيد عند آخر الجزء الثاني. ويفترق 10 هذا الشغب افتراقا ثانية من تحت مضر على شغبين / آخزين من شطونف<sup>(ب)</sup> [144] وإفنة<sup>(ج)</sup>. ويتقسم الأيمن منها من ثروط<sup>(د)</sup> بشغبين آخرين، ويصب جميعها في البحر الرومي. فعلى مصب الغربي من هذه الشغب بلد إسكندرية، وعلى مصب الوسط بلد رشيد، وعلى مصب الشرقي بلد دمنياط<sup>(هـ)</sup>. وبين مضر والقاهرة وبين هذه السواحل البحرية، أسافل الديار المصرية كلها مخشوة غمرانا وفلحا.

- وفي الجزء الخامس من هذا الإقليم بلاد الشام [أو]<sup>(د)</sup> أكثرها، على ما 15 أصف؛ وذلك أن [بحر القلزم]<sup>(ز)</sup> ينتهي من الجنوب وفي الغرب منه عند

(1) كذا ضبطت بالحركات في ع ل ج (ب) في ل وحدها وضعت فتحة على الطاء، وفي بلدان يافوت 3: 344 بفتح أوله ونسديد ثانيه وضع النون (ج) في ط: زه، ووردت مفتوحة الزاي في ع، وفي بلدان يافوت 3: 144 جاءت بكسر الزاي والفتحة مصورة بعد التاء المفتوحة (د) كذا ضبطت بالحركات في ل، وفتحها أتا في نسخة أخرى: ثروط (هـ) ل: ذباط، بالذال (و) في ط: و (ز) سقطت من ط.

السُّوَيْسَ، لَأَنَّهُ فِي مَمَرِهِ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى الشَّامِالِ يَنْعَطِفُ آخِذًا إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ، فَتَكُونُ قِطْعَةً مِنْ انْعِطَافِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ طَوِيلَةً، تَنْتَهِي فِي الطَّرَفِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ. وَعَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ بَعْدَ السُّوَيْسِ فَازَانَ، ثُمَّ جَبَلُ الطُّورِ، ثُمَّ أَيْلَةُ بَلَدُ مَذِينٍ، ثُمَّ الْحُورَاءُ فِي آخِرِهِ. وَمِنْ هُنَاكَ يَنْعَطِفُ سَاحِلُهُ إِلَى الْجَنُوبِ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ، كَمَا مَرَّ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ .

وَفِي التَّاحِيَةِ الشَّامِيَةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوِّيِّ غَمَرَتْ كَثِيرًا مِنْ غَرْبِهِ ؛ عَلَيْهَا الْفَرْمَةُ<sup>(١)</sup> وَالْعَرِيشُ ، وَقَارِبَ طَرَفِهَا بَلَدُ الْقُلُزْمِ ، فَتَقْصُاقُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هُنَاكَ ، وَبَقِيَ شَيْبَةُ الْبَابِ مُفْضِيًا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ . وَفِي غَرْبِي هَذَا الْبَابِ فَخْصُ التِّيهِ، أَرْضُ جَرْدَاءَ لَا تُثْبِتُ ، كَانَتْ مَجَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ وَقَبْلَ دُخُولِهِمْ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، كَمَا قَصَّهُ الْقُرْآنُ<sup>(ب)</sup>.

وَفِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوِّيِّ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، طَانَتْهُ مِنْ جَزِيرَةِ قُبْرُصَ ، وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ كَمَا نَذَكُرُهُ . وَعَلَى سَاحِلِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ عِنْدَ الطَّرَفِ الْمُضَاقِ لِبَحْرِ السُّوَيْسِ بَلَدُ الْعَرِيشِ ، وَهُوَ آخِرُ [بَلَدِ]<sup>(ج)</sup> الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَعَسَقْلَانُ ، وَبَيْنَهُمَا طَرَفُ هَذَا الْبَحْرِ. ثُمَّ تَنْحَطُّ هَذِهِ الْقِطْعَةُ فِي انْعِطَافِهَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ عِنْدَ طَرَائِلُسَ وَعِزْقَةَ<sup>(د)</sup>. وَهُنَاكَ مُنْتَهَى الْبَحْرِ الرَّوِّيِّ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ . وَعَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ ؛ فَنَحْنُ شَرْقِيَّ عَسَقْلَانَ ، وَبِأَنْحَافِ

(١) كُنَّا نَسْكِبُ الرِّاءَ فِي ع ل، وَفِي بِلْدَانِ يَاقُوتَ 4: 255 بِالْفَتْحِ وَهُوَ الْمَعْرُوفُ (ب) ل: كَمَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى (ج) مِنْ ل

(د) كَذَا ضَبَطَتْ بِالْحَرَكَاتِ فِي ل، وَهُوَ مَطَابِقٌ لَضَبْطِ يَاقُوتَ فِي مَعْجَمِ الْبِلْدَانِ 4: 109 .

يسير عنها إلى الشمال ، بلدٌ فَنَسَارِيَّةٌ . ثم كذلك بَلَدٌ عَكَّا ، ثم صُور ، ثم صِينَا ثم عِرْقَةٌ ، ثم يَنْعُطِفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّامِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ .

- [44 ب] ويقابل هذه البلاد / الساحلية من هذه القطعة في هذا الجزء ، جَبَلٌ عَظِيمٌ يَخْرُجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقُلُزْمِ ، ويذهب في ناحية الشمال منحرفاً إلى الشرق ، إلى أن يتجاوزَ هذا الجزء ، ويسمى جَبَلُ الْكَلَامِ ؛ وكأنه حاجزٌ بين 5 [أرض] <sup>(1)</sup> مِصْرَ وَالشَّامِ . ففي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ ، الْعَقْبَةُ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْحَاجُّ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ؛ ثم بعدها في ناحية الشمال مَذْفَنُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ الشَّرَاةِ ، يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ جَبَلِ الْكَلَامِ الْمَذْكُورِ مِنْ شَمَالِ الْعَقْبَةِ ، ذَاهِباً عَلَى سَمْتِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعُطِفُ قَلِيلاً . وفي شَرْقِهِ هُنَاكَ بَلَدُ الْحِجْرِ وَدِيَارُ قُصُودٍ وَتَيْبَاءٍ وَدُومَةُ الْجَنْدَلِ ؛ 10 وهي أَسْفَلُ الْحِجَارِ . وَفَوْقَهَا جَبَلُ رِضْوَى وَحُصُونُ خَيْبَرِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عَنْهَا . وَفِي بَيْنِ جَبَلِ الشَّرَاةِ وَبَحْرِ الْقُلُزْمِ صَعْرَاءُ تَبُوكَ . وفي شمال جَبَلِ الشَّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ الْكَلَامِ ، ثُمَّ الْأُرْدُنُّ ، ثُمَّ طَبْرِيَّةٌ . وفي شَرْقِهَا بِلَادُ الْغُورِ إِلَى أَذْرِعَاتٍ . وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقاً دُومَةُ الْجَنْدَلِ آخِرُ هَذَا الْجُزْءِ ، وَهِيَ آخِرُ الْحِجَارِ . وَعِنْدَ مُنْعُطِفِ جَبَلِ الْكَلَامِ إِلَى الشَّامِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ ، مَدِينَةُ دِمَشْقَ ، مُقَابِلَةُ 15 صَيْدَا وَيَسْرُوتَ مِنَ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ ، وَجَبَلُ الْكَلَامِ يَغْتَرِضُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهَا . وَعَلَى سَمْتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَغْلَبَكْ ، ثُمَّ مَدِينَةُ جَمْعٍ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ آخِرُ الْجُزْءِ ، وَعِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ الْكَلَامِ . وفي الشرقِ عَنْ بَغْلَبَكْ وَجَمْعٍ بَلَدٌ تَذْمُرُ ، وَمَجَالَاتُ الْبَادِيَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ .

(1) سَفَطَتْ مِنْ طَرَفِهَا .

وفي الجزء السادس من أغلايه مجالات الأغرَاب تحت بلاد نَجْد واليَمامة ،  
ما بين جبل الغَزَج والضمَّان إلى البَخرين وَهَجَر على بَحْر فارس . وفي أسفل هذا  
الجزء تحت المجالات بلدُ الحيرة والقادِسيَّة ، ومغائِضُ الفُرات . وفيما بقَدها شرقاً  
مدينة البُصرة . وفي هذا الجزء ينتهي بَحْر فارس عند عَبادان والأُبَلة في أسفل  
5 الجزء من شماله . وَتُصَبُّ فيه عند عَبادان نَهْرٌ دِجْلَةٌ بعد أن يَنقسم بِجداول  
كثيرة ، وَتُختلط به جداولُ أخرى من الفُرات ، ثم تَجتمع كُلُّها عند عَبادان ،  
وتُصَبُّ في بَحْر فارس . وهذه القطعة من البَحر مُتسعة في أغلاه ، مضايقةٌ  
لآخره في<sup>(١)</sup> شَرْقيته ، وَضَيقة عند مُنتهاه مُضايقةٌ للحدِّ / الشَّمالِي منه ، وعلى [145]  
عُدوتها الغربيَّة أسفلُ البَخرين وَهَجَر والأُخساء ؛ وفي غَربها الحَطَّ والضمَّان<sup>(ب)</sup>  
10 وَبقيَّة أرض اليَمامة ؛ وعلى عُدوته الشرقيَّة سواجل فارس ، فمن أغلاها ، وهو من  
عند آخر الجزء من الشرق على طرفٍ قد امتدَّ من هذا البحر مُشرقاً . ووراءه  
إلى الجنوب في هذا الجزء جبالُ القُفص من كَرمان ، وتحت هُزْمُر على السَّاحل بَلَدُ  
سِيرَاف وَنَجِيرَم<sup>(ج)</sup> على ساجل هذا البَحر . وفي شَرْقيته إلى آخر الجزء ، وتحت  
هُزْمُر ، بلادُ فارس ، مثل سابور وَذَرابَجَزْد<sup>(د)</sup> وَفَسَا وإِسطخر والشَّاهجان  
15 وَشِيرَاز وهي قاعِدَتُها كُلُّها . وَتَحْتُ بلاد فارس إلى الشَّمال عند طَرَفِ البَحر بلادُ  
خُوزِستان ، ومنها الأهُواز وَشَنَر وَجُنْدِيسابور والسُّوس ورام هُزْمُر وغيرها ،  
وَأَرْجان وهي حدُّ بين فارس وَخُوزِستان . وفي شَرْقي بلاد خُوزِستان جبالُ الأكُرَاد

(أ) في ل : وهي شَرْقية (ب) في ل وعند ياقوت بفتح الصاد ، وبالضم في ع (ج) ضبطها ياقوت بالحرف : بفتح أوله وثانيه ،  
وإاء ساكنة وراء مفتوحة ، ومع (معجم البلدان 5: 274) وانفردت ل وحدها بضم النون وفتح الجيم بعدها ساكن : تَجِيرَم (د) كُنا  
ضبطت في ل وحدها ، وفي ياقوت يسكون الباء وكسر الجيم ، وسكون الراء : ذَرابَجَزْد (معجم البلدان 2: 446) .

متصلة إلى نواحي أصفهان وبها مساكنهم ، وبجالاتهم وراءها في أرض فارس ،  
وتسمى الزُوم .

وفي الجزء السابع ثم في الأعلى منه من الغرب ، بقية جبال الفُص ،  
وتليها من الجنوب والشمال بلاد كرمان ومكران ، ومن مدينتها الرودان والشيرجان<sup>(1)</sup>  
وجيرفت<sup>(ب)</sup> ونردشير<sup>(ج)</sup> والفهرج . وتحت أرض كرمان إلى الشمال بقية بلاد فارس 5  
إلى حدود أصفهان . ومدينة أصفهان في طرف هذا الجزء ما بين غربه وشماله . ثم في  
الشرق من أرض كرمان وبلاد فارس أرض سيستان في الجنوب ، وأرض  
كوهستان في الشمال عنها . ويتوسط بين كرمان وفارس وبين سيستان وكوهستان  
في وسط هذا الجزء ، المفازة العظيمة المسالك لصعوبتها . ومن مدينتي سيستان  
بُست والطاق . وأما كوهستان فهي من بلاد خراسان ، ومن مشاهير بلادها 10  
سرخس وقوهستان<sup>(د)</sup> آخر الجزء .

وفي الجزء الثامن من غربه وجنوبه مجالات الخُلج من أمم الترك ، متصلة  
بأرض سيستان من غربها وبأرض كابل الهند من جنوبها . وفي الشمال عن هذه المجالات  
جبال الغور ، وبلادها وقاعدتها غزنة / فُرْضة الهند . وفي آخر الغور من الشمال بلد 45ب  
إستراباد ، ثم في الشمال عنها إلى آخر الجزء بلاد هزاة أواسط خراسان ؛ وبها أسفراين<sup>(هـ)</sup> 15

(1) كذا في ط ع ، وفي ج ل ي ، وعند باقوت (البلدان 3: 295) : الشيرجان ، مدينة بين كرمان وفارس . وذكر شيرجان في  
الشيخ (البلدان 3: 381) وقال : ما اعلمها إلا سرجان فضة كرمان ، فإن كانت غيرها فقد أتتهم على أمرها (ب) في ط وحدها :  
سيروت (ج) كذا في الأصول الخمسة ، والمعروف فيه : نردشير ، يذكر باقوت أنها من أكبر مدن كرمان ثم يلي المفازة التي بين  
كرمان وخراسان ، وأن اسمها تعريب أردشير بابا . (معجم البلدان 1: 377) (د) هو تعريب كوهستان (معجم البلدان 4: 416)  
(هـ) كذا في الأصول كلها بياض واحدة ، والمشهور بياض مشاة من تحت ، مكسورة ، بعدها بياض : أسفراين . (انظر معجم البلدان  
1: 177) .

وَقَاشَانُ وَبُوشَنج وَمَزُو الرُّودُ وَالطَّالْقَانُ وَالْجُوزْجَانُ . وَتَنْتَهِي خُرَاسَانُ هُنَاكَ إِلَى  
 نَهْرِ خَبِيحُونَ . وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ فِي غَرْبِهِ مَدِينَةُ بَلُخَ ، وَفِي شَرْقِيهِ  
 مَدِينَةُ التُّرْمُذِ . وَمَدِينَةُ بَلُخَ كَانَتْ كَرْسِيَّ مَلِكِ التُّرْكِ . وَهَذَا النَّهْرُ ، نَهْرُ خَبِيحُونَ ،  
 مَخْرَجُهُ مِنْ بِلَادِ وَخَّانَ فِي حُدُودِ بَدَخْشَانَ تَمَّا إِلَى الْهِنْدِ . وَيَخْرُجُ مِنْ جَنُوبِ هَذَا  
 5 الْجُزْءِ عِنْدَ آخِرِهِ مِنَ الشَّرْقِ ، فَيَنْعَطِفُ عَنْ قُرْبٍ مَقَرَّبًا إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ، وَيُسْتَقَى  
 هُنَاكَ نَهْرُ خَزْبَاتٍ <sup>(١)</sup> ؛ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَمُرَّ بِخُرَاسَانَ ، وَيَذْهَبُ عَلَى  
 سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحِيرَةِ خُورَازْمَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كَمَا نَذَكُرُهُ . وَتَمُدُّهُ عِنْدَ  
 انْعِطَافِهِ فِي وَسْطِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ ، خَمْسَةُ أَثْنَاءِ عَظِيمَةٍ مِنْ بِلَادِ  
 الْجَبَلِ <sup>(ب)</sup> وَالْوُخْشَ مِنْ شَرْقِيهِ ، وَأَنْهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبُتْمِ مِنْ شَرْقِهِ أَيْضًا ،  
 10 وَجُوفَى الْجَبَلِ <sup>(ب)</sup> حَتَّى يَتَسَّعَ وَيَتَعَظَّمُ بِمَا لَا كَفَاءَ لَهُ . وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ الْمُمِدَّةِ  
 لَهُ نَهْرُ وَخْشَابَ ، يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ الثُّبَّتِ ، وَهِيَ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا  
 الْجُزْءِ ، فَيَمُرُّ مَقَرَّبًا بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الشَّمَالِ ، وَيَقْتَرِضُهُ فِي طَرِيقِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يَمُرُّ مِنْ  
 وَسْطِ الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ، وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الشَّمَالِ ، إِلَى أَنْ يَخْرُجَ  
 إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِي هَذَا الْجُزْءِ ، فَيَجُوزُ بِلَادَ الثُّبَّتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 15 الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ ، وَيَحُولُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْجَبَلِ <sup>(ب)</sup> ؛ وَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا  
 مَمْنَلُكَ وَاحِدٌ فِي وَسْطِ الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ ، جَعَلَ فِيهِ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى سُدًّا  
 وَتَنَى لَهُ بِأَبَا كَسَدَ يَاجُوجَ <sup>(ج)</sup> . فَإِذَا خَرَجَ نَهْرُ وَخْشَابَ مِنْ بِلَادِ الثُّبَّتِ وَاعْتَرَضَهُ هَذَا

(١) فِي حَاشِيَةِ عِ بَخْطِ اسْمِ خَلِيلُونَ وَفِي ل ج. وَضُمْتَ نَقْطَةٌ تَحْتَ التَّاءِ (ب) كَذَا فِي جَمِيعِ النُّسخِ. وَصَوَابُهُ الْخَطْلُ. بَخَاءُ  
 مَضْمُونَةٌ وَتَاءُ مَشَاءُ فَوْقِيَّةٌ مُشَدَّدَةٌ. انْظُرْ مَعْجَمَ الْبِلْدَانِ 2: 346، 5: 364 (ج) فِي ل وَحْدَهَا. وَمَاجُوجُ .

الجللُ فنَفَذَ نَحْتَهُ في مَدَى بَعِيدٍ ، إلى أن يَمُرَّ ببلاد الوُخْش ويَصُبُّ في نَهْر جَنِيحُونَ  
عند حُدُود بَلُخ ، ثم يَمُرُّ هابِطاً إلى التَّرْمِذ في الشَّمال إلى بلاد الجُوزْجَان .

[146] وفي الشَّرْق عن بلاد الغُور فَمَا يَبْنِيهِ وَبَيْن نَهْر جَنِيحُونَ ، / بلاد  
التَّامِيان <sup>(1)</sup> من خُرَاسان . وفي العُدُوة الشَّرْقِيَّة هُنَالِكَ من النَّهْر بلاد الجِيل <sup>(ب)</sup> ،

- 5 وأَكْثَرُهَا جِبَال ، وبلاد الوُخْش ، ويَحْدُهَا من جِهَةِ الشَّمال جِبَال البُتْم ، تَخْرُج  
من طَرَف خُرَاسان غَرْبِي نَهْر جَنِيحُونَ ، وَتَذْهَبُ مَشْرِقَةً إلى أن يَتَّصِلَ  
طَرَفُهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي خَلْفَهُ بِلَادُ التُّبَّت . وَيَمُرُّ نَحْتَهُ نَهْرُ وَخْشَاب كَمَا قُلْنَا ،  
فَيَتَّصِلُ بِهِ عِنْد بَابِ الْفَضْلِ بَن يَحْيَى . وَيَمُرُّ نَهْر جَنِيحُونَ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَال ، وَأَنْهَارُ  
أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ ، مِنْهَا نَهْرُ بِلَادِ الْوُخْش تَصُبُّ فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ تَحْتَ التَّرْمِذِ إلى  
10 جِهَةِ الشَّمال ، وَنَهْرُ بَلُخَا <sup>(ج)</sup> يَخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبُتْم مِنْ مَبْدَأِهِ عِنْدَ الْجُوزْجَان ،  
وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ . وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَدُ أَمَلٍ مِنْ خُرَاسان .  
وَفِي شَرْقِي النَّهْرِ هُنَالِكَ أَرْضُ الصُّغْدِ وَأَشْرُوسْتَنَ مِنْ بِلَادِ التُّرْك ، وَفِي شَرْقِهَا  
أَرْضُ فَرْغَانَةِ أَيْضاً إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقاً . وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ هَذِهِ تَحْمُوزُهَا جِبَالُ  
الْبُتْمِ إِلَى شَمَالِهَا .

- 15 وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ غَرْبِيهِ أَرْضُ التُّبَّتِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ، وَفِي جَنْبِهَا  
بِلَادُ الْهِنْدِ ، وَفِي شَرْقِهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ . وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ شَمَالاً

(1) كُنَا فِي الْأَصُولِ . وَفِي مُخْتَلَفِ مَصَادِرِ الْجُغَرَايَا: الْبَامِيَان ، انْظُرْ: الْيَمِينِيُّ: الْبِلْدَان 289 ، ابْنِ حَوْقَلٍ: صُورَةُ الْأَرْضِ 449 ،  
الْإِدْرِيسِيُّ: نَزْهَةُ الْمَشْتَأَقِ 1 : 485 ، يَاقُوتُ: مَعْجَمُ الْبِلْدَانِ: 1 : 330 ، أَبُو الْفَدَا: تَقْوِيمُ الْبِلْدَانِ 466 (ب) كُنَا ، وَصَوَابُهُ الْحَقْلُ  
كَمَا نَقَدَمُ (ج) كُنَا فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ ، وَيَعْنِي نَهْرَ بَلُخ ، وَهُوَ نَهْرُ جِيحُونَ نَفْسُهُ .

عن بلاد الثُّبَّتْ بلاد الحزْلُخَيْتِ من التُّرْكِ إلى آخر الجزء شمالاً. ويتصل بها من غَرْبِهَا أَرْضُ فَرْغَانَةِ، ومن شَرْقِهَا أَرْضُ الْبَغْرَغَرِ<sup>(١)</sup> من التُّرْكِ إلى آخر الجزء شرقاً وشمالاً .

وفي الجزء العاشر في الجنوب منه جميعاً بَقِيَّةُ الصِّينِ وأسافلُه . وفي الشَّمالِ بَقِيَّةُ بلاد الْبَغْرَغَرِ . ثم شرقاً عنهم بلادُ خَزَخِيزِ من التُّرْكِ أيضاً إلى آخر 5 الجزء شرقاً . وفي الشَّمالِ عن أرض خَزَخِيزِ بلادُ كِيَاكِ من التُّرْكِ . وقُباتُها في البُخْر الحَيطِ جزيرةُ الباقوتِ ، في وسطِ جَبَلٍ مُستدير لا مَنفذُ منه إليها ولا مَسَلِكُ ؛ والصَّعودُ إلى أعلاه من خارجه صَعْبٌ في الغاية . وبالجزيرة خِيَاتٌ قَتَالَةٌ وَحَصَى من اليافوتِ كثير ، فَيُخْتَالُ أَهْلُ تلكِ النَّاحِيَةِ في استِخْراجِهِ بما يُلْهُمُهُمُ اللهُ إليه . وهذه 10 البلادُ في هذا الجزء التاسع والعابر فيما وراء خُرَاسان والجبلِ<sup>(ب)</sup> ، / كُلُّهَا بِمَجَالِثِ<sup>[46 ب]</sup> لِلتُّرْكِ أَمَّا لَا تُحْصَى ؛ وَهم طَوَائِفُ رَحَالَةٍ أَهْلُ إِبِلِ وَشَاءٍ وَبَقَرٍ وَخَيْلٍ لِلتَّنَاجِ وَالرُّكُوبِ وَالْأَكْلِ . وطَوَائِفُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ ، وفيهم مُسْلِمُونَ مِمَّا يَلِي بلادَ النُّهَرِ ؛ نَهْرٌ جَيِّحُونَ . يَغْزُونَ الْكُفَّارَ مِنْهُمْ الدَّائِنِينَ بِالْجَوْسِيَّةِ ، فَيَبِيعُونَ رَقَبَتَهُمْ لِمَنْ يَتْلِيهِمْ ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى بلادِ خُرَاسانِ وَالْهِنْدِ وَالْعِرَاقِ .

(١) في حدود العالم 90 ، 92 : التُّزْزُرُ وفي ترجمة المشتاق (الفهرس) في هذه المقدمة ص 151 الطَّنْزُزُ ، مما يشير إلى انقلاب التاء إلى طاء . وفي خريطة ع : التفرغر (ب) كلفا وصوابه المثل كما تقدم .



## • الإقليم الرابع:

يتصل بالتّالث من جهة الشّمال ؛ والمجرءُ الأوّل منه في غربيّه قطعةٌ من  
البحر المحيط ، مُستطيلة من أوّله جنوباً إلى آخره شمالاً ، وعليها في الجنوب مدينته  
طَنْجَة ، ويخرج من هذه القطعة تحت طَنْجَة من البحر المحيط ، البحر الروميّ ، في  
خليج مُتضايقي بمقدار اثني عشر ميلاً ، ما بين طَرِيف والجزيرة الخضراء شمالاً ، 5  
وقصر المجاز وسبّعة جنوباً ، ويذهب مُشرقاً إلى أن ينتهي إلى وسط الجزء  
الخامس من هذا الإقليم ، ويتفسيح في ذهابه بتدرّج إلى أن يغمُر الأربعة الأجزاء  
وأكثر الخامس ، ويغمُر عن<sup>(1)</sup> جانبيه طرفاً من الإقليم الثالث والخامس ، كما نذكره.  
ويستقى هذا البحر البحر الشّامي أيضاً . وفيه جزائر كثيرة ، أعظمها من جهة الغرب  
يايسة ، ثم ميوزقة<sup>(ب)</sup> ، ثم مَرْقَة<sup>(ج)</sup> ، ثم سَرْدَانِيَة ، ثم صِقْلِيَة ، وهي أعظمها ، ثم 10  
بلبنوس ، ثم أَقْرِيطش ، ثم فَبْرَص ، كما نذكرها كلّها في أجزائها التي وقَعَتْ فيها .

ويخرج من هذا البحر الروميّ عند آخر الجزء الثالث منه ، وفي الجزء  
الثالث من الإقليم الخامس ، خليجُ التّبادِقة ، يذهب إلى ناحية الشّمال ، ثم  
تَنْعَطُف عند وسط الجزء من جَوْفِيّه وَيَمُرُّ مَغْرِباً إلى أن يَنْتَهِي في الجزء الثاني من  
الخامس . ويخرج منه أيضاً في آخر الجزء الرابع شرقاً من الإقليم الخامس خليجُ 15  
القُسْطَنْطِينِيَة ، يَمُرُّ في الشّمال مُتضايقاً في عَرْضِ رَمِيَةِ السّهم إلى آخر الإقليم ، ثم

(1) ل: من (ب) كنا في الأصول، وانفردت ظرسهما خطأ: مبروقه. وانظر ياقوت 5: 246 (ج) هكنا في الأصول،  
ورسما ياقوت بالواو بعد النون. معجم البلدان 5: 246 .

يُنْضِي إلى الجزء الرابع من الإقليم السادس ، ويتعطف إلى بحر نيطش ذاهباً إلى الشرق في الجزء الخامس كله ، ونصف السادس من الإقليم السادس كما [تذكر]<sup>(1)</sup> ذلك في أماكنه .

- / وعندما يخرج هذا البحر الرومي من البحر المحيط في خليج طنجة ، [47] 5 ويتنسح إلى الإقليم الثالث، يبقى في الجنوب عن الخليج قطعة صغيرة من هذا الجزء ، فيها مدينة طنجة على مجمع البحرين ، وتعدّها سبقة على البحر الرومي ، ثم يتطاوين ، ثم يحدس . ثم يغمر البحر بقية هذا الجزء شرقاً ويخرج إلى الثالث . وأكثر العبارة في هذا الجزء في شماله وشمال الخليج منه ، وهي كلها بلاد الأندلس ؛ فالغريفة منها ما بين البحر المحيط والبحر الرومي ، أولها طريف عند مجمع 10 البحرين ، وفي الشرق عنها على ساحل البحر الرومي الجزيرة الخضراء ، ثم مالقة ، ثم المنكب ، ثم المريّة . وتحت هذه من لئن البحر المحيط غرباً وعلى مقربة منه شريش وليلة ، وقبالتها فيه جزيرة قádiz ، وفي الشرق عن شريش وليلة<sup>(ب)</sup> إشبيلية ثم [استيجة]<sup>(ج)</sup> وقزطبة ومرتلة ، ثم غرناطة وجيان وأبدة ، ثم وإدياش وينسطة ، وتحت هذه شنتيرمة وشلب على البحر المحيط غرباً ، وفي الشرق عنهما 15 بطلنوس وماردة وبائرة ، ثم عافق وتزجالة ثم قلعة زباح ، وتحت هذه أشبونة على البحر المحيط غرباً ، وعلى نهر تاجه ، وفي الشرق عنها شنترين وقورية على النهر المذكور ، ثم قنطرة السيف . ويسامت أشبونة من جهة الشرق جبل الشارات ، يبدأ

(1) سقط من : ط ل (ب) سقط من : ط (ج) من ج وعليها ضبطت بالون (البلان 1: 174 ، والإديسي : الزهة 2: 537، 572 -) وفي ج: ماسجة، وفي بقية النسخ: إسمة .

من الغرب هنالك وينذهب مُشرقاً مع آخر الجزء من شماليته ، فيُنتهي إلى مدينة  
سالم فيما بعد التصف منه . وتحت هذا الجبل طَلْبَيْرَة في الشرق عن قُورِيَة<sup>(1)</sup> ثم  
طَلْيِطْلَة ثم وادي الججارة ثم مدينة سالم . وعند أول هذا الجبل فيما بينه وبين أُشْبُونَة  
بلد قَلْمَرِيه . هذه غَرْب الأندلس .

- 5 وأما شَرْق الأندلس ، فعلى ساحل البخر الرومي منها من بعد المرية ،  
قَرْطاجَة ثم لَقَنْت ثم دَانِيَة ثم بَلَنْسِيَة إلى طَرْكُونَة آخر الجزء في الشرق ، وتحتها  
شمالاً لُوزَقَة وشُقُورَة بِتَاخْمَان بَسْطَة وَقْلَعَة رياح من غَرْب الأندلس . ثم مُرْسِيَة  
شرقا ثم شاطِئَة تحت بَلَنْسِيَة شمالاً ثم شَرْ<sup>(ب)</sup> ثم طَرْطُوشَة / تحت طَرْكُونَة آخر  
الجزء . ثم تحت هذه شمالاً جَنْجَالَة ووَبْذَة متاخمتان لَشُقُورَة وطَلْيِطْلَة من الغرب ،  
ثم إِفْرَاغَة<sup>(ج)</sup> شرقاً تحت طَرْطُوشَة وشمالاً عنها . ثم في الشرق عن مدينة سالم قَلْعَة  
أَيُوب ثم سَرْقُسْطَة ، ثم لارِدَة آخر الجزء شرقاً وشمالاً .

- والجزء الثاني من هذا الإقليم غمر الماء جميعه إلا قِطْعَة من غربيّه في  
الشمال ، فيها بَقِيَة جِبل البُرْثَات ومَغْنَاه جِبلُ الثَنَائِيَا والمَسَالِك ، يَخْرُج إليه من  
آخر الجزء الأول من الإقليم الخامس ، يَبْدَأ من الطرف المُتَّهِي من البخر المُحِيط  
عند آخر ذلك الجزء جنوباً وشرقاً ، ويَقُور في الجنوب بانْحِرَافٍ إلى الشرق ،  
15 فيَخْرُج في هذا الإقليم الرَّابِع مُنْحَرِفاً عن الجزء الأول منه إلى هذا الجزء الثاني ، فَتَقَعُ  
فيه قِطْعَة منه تُقْضِي ثَنَائِيَاها إلى البر المتصل ، وتُسَمَّى أرض غَشْكُونِيَة ، وفيه مدينة

(1) الضبط من : ع ج ل ، وضبطها ياقوت بالحرف بضم الفاف واللام (معجم البلدان 4 : 391) (ب) في ل ي : شَرْق ،  
بضم الفاف وسكون الراء (ج) في ع بكسر الحزة كما عند ياقوت ، وفتحها في ل .

جُرْنَدَة<sup>(١)</sup> وَقَرْقُشُونَة<sup>(٢)</sup>. وعلى ساحل البحر الرُّومِيّ من هذه القطعة مدينة بُرْشْلُونَة<sup>(٣)</sup> ثم أَرْبُونَة<sup>(٤)</sup>. وفي هذا البحر الَّذِي غَمَزَ هذا الجُزءَ جزائرٌ كثيرةٌ، والكثيرُ منها غيرُ مَسْكُونٍ لِصِغَرِها. ففي غَرْبِها جزيرةٌ سَرْدَانِيَّةٌ، وفي شَرْقِها جزيرةٌ صِيقِلِيَّةٌ مُتَّسعة الأقطار، يُقالُ إِنَّ في ذَوْرِها سَبعمائة ميل، وبها مُدُنٌ كثيرةٌ، من مشاهيرها<sup>(ب)</sup>: سَرْقُوسَة وتَلَرْمُ<sup>(٥)</sup> وطَرَابَنْتَة وَمَازَر ومِيسِنِي<sup>(٦)</sup>. وهذه الجزيرة تُقابلُ أرضَ إفريقيَّة، وفيما بينهما جَزِرتا عَوْدَش<sup>(٧)</sup> وَمَالْطَة<sup>(٨)</sup>.

والمُجْزءُ الثَّالثُ من هذا الإقليم مَغْمُورٌ أيضًا بالبحر، إلا ثلاثَ قِطْعٍ من ناحية الشَّمال، الغربيَّة منها من أرض قُلُورِيَّة؛ والوُسطى من أرض نَكْبَزْدَة<sup>(ج)</sup>؛ والشرقيَّة من بلاد البنادِقة.

والمُجْزءُ الرَّابِعُ من هذا الإقليم مَغْمُورٌ أيضًا بالبحر كما مرَّ، وجزائره كثيرةٌ، وأكثرها غيرُ مَسْكُونٍ كما في الثَّالث. والمَغْمُورُ منها جزيرة بَلْيُونَس<sup>(د)</sup> في الناحية الغربيَّة الشماليَّة، وجزيرة أَقْرِيطَش، مستطيْلَةٌ من وسط الجُزء إلى ما بين الجنوب والشرْق منه.

والمُجْزءُ الخامِسُ من هذا الإقليم غَمَزَ البحرُ منه مثلثةً كبيرةً بين الجنوب والغَرْب، ينتهي الصُّلْعُ الغربيُّ منها إلى آخر الجُزء في الشَّمال، / وَيَنْتَهِي الصُّلْعُ الجنوبيُّ منها إلى نحو [الثَّلَثَيْنِ]<sup>(هـ)</sup> من الجُزء، وَيَبْقَى في الجانب الشرقيِّ من الجُزء قطعةٌ نحو الثَّلث، يَمُرُّ الشَّمالِيُّ منها إلى الغَرْب منعطفًا مع البحر كما قُلْنَا. وفي

(١) كذا ضبطت بالحركات في ع ل (ب) كذا وردت في كل الأصول، ويكره أهل التصريف تخنغ ما أوله ميّ من اسم المفعول تخنغ تكسر (ج) في ل: انكزده، بنطعة تحت الكاف لضبط النطق بها (د) الضبط من ل (هـ) في ظ وحدها: الثلاثين.

النصف الجنوبي منها أسفل الشّام، ويُمَرُّ في وسطها جبلُ اللّكّام إلى أن ينتهي إلى آخر الشّام في الشّمال، فينقطع من هنالك ذاهباً إلى القطر الشرقي الشّامي، ويُستَ بعد انعطافه جَبَلُ السّلسلة، ومن هنالك يخرج إلى الإقليم الخامس، ويَجُوزُ من عند مُنقطعه قطعةً من بلاد الجزيرة إلى جهة الشرق. وتقوم من عند مُنقطعه من جهة الغرب جبالٌ متصلةٌ بعضها ببعض، إلى أن تنتهي إلى طرف خارج من البحر 5 الرّوميّ، مُتّامٍ إلى آخر الجزء من الشّمال. وبين هذه الجبال ثلّايا تُسمّى الدّروب، وهي التي تُضيّ إلى بلاد الأرمن. وفي هذا الجزء قطعةٌ منها بين هذه الجبال وبين جَبَل السّلسلة. فأما الجهة الجنوبيّة التي قدّمنا أنّ فيها أسفل الشّام، وأن جَبَل اللّكّام معترّض فيها بين البحر الرّوميّ وآخر الجزء من الجنوب إلى الشّمال، فعلى ساحل البحر منه بلدٌ أنطرسوس في أوّل الجزء من الجنوب، مُتّاحة لِعزقة وطرابلس على ساحله من 10 الإقليم الثالث، وفي شمال أنطرسوس جبلةٌ ثم اللاذقية ثم إسكندرونة ثم سلوقية، وبعدها شمالاً بلاد الرّوم. وأما جبل اللّكّام المُعترض بين البحر وآخر الجزء، فخفافته من بلاد الشّام من أعلى الجزء جنوباً حصنُ الحوايي من غزّيته، وهو للحشيشيّة الإسماعيليّة، ويُعرفون لهذا العهد بالفداويّة، ويُسمّى الحصن مَضِيات<sup>(أ)</sup> وهو قبالة أنطرسوس شرقاً. ويُقابل هذا الحصن في شرق الجبل بلدٌ سَلَمِيّة في الشّمال عن جُص. وفي الشّمال 15 عن مَضِيات<sup>(أ)</sup> بين الجبل والبحر بلدٌ أنطاكية، ويُقابلها في شرق الجبل المَعَرّة، وفي شرقها المَرَاة. وفي شمال أنطاكية [المَضِيّة]<sup>(ب)</sup> ثم أدنة<sup>(ج)</sup> ثم طرسوس [آخر الشّام]<sup>(د)</sup>

(أ) كُنا في الأصول كلها وبذكرها يا قوت (المعجم: 5: 44) بالياء في آخرها، مضيا، وبعضهم يقول مضيا (ب) ع ل ج وفي ظ ي: المضيّة، وضبطها يا قوت بالحرف (المعجم: 5: 144) (ج) رسمها في ل بالألف المدوّدة: ماذنة (د) من: ع ل ج ي. وسقط من ظ.

وَمُحَادِثًا مِنْ غَرْفِي الْجَبَلِ قَنْسَرِينَ ، ثُمَّ عَيْنَ زَرْبَةٍ<sup>(١)</sup> ، وَقُبَالَةَ قَنْسَرِينَ فِي شَرْقِ الْجَبَلِ حَلَبَ ، وَيَقَابِلَ عَيْنَ زَرْبَةٍ مَنَاجِجَ آخِرِ الشَّامِ . وَأَمَّا / الدُّرُوبُ فَعَنْ يَمِينِهَا ، مَا بَيْنَهَا [48 ب] وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِلَادَ الرُّومِ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ لِلتُّرْكَانِ ، وَسُلْطَانِهَا ابْنُ عُثْمَانَ . وَفِي سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْهَا بَلَدٌ [أَنْطَلِيَّةَ]<sup>(ب)</sup> وَالْعَلَايَا . وَأَمَّا بِلَادُ الْأَرْضِ الَّتِي بَيْنَ 5 جَبَلِ الدُّرُوبِ وَجَبَلِ السَّلْسَلَةِ ، فَفِيهَا بَلَدٌ مَرْعَشٌ وَمَلْطِيَّةٌ وَأَنْقِرَةُ<sup>(ج)</sup> إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شِمَالاً .

وَيَخْرُجُ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ فِي بِلَادِ الْأَرْضِ نَهْرُ جَيْحَانَ وَنَهْرُ سَيْحَانَ فِي شَرْقِيهِ ؛ فَيَمُرُّ جَيْحَانُ جَنُوبًا حَتَّى يَتَجَاوَزَ الدُّرُوبَ ، ثُمَّ يَمُرُّ بِطَرْسُوسَ ، ثُمَّ 10 بِالْمَصِيصَةِ<sup>(د)</sup> ، ثُمَّ يَنْعَطِفُ هَاطِطًا إِلَى الشَّامِ وَمُقَرَّبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ جَنُوبَ سَلُوقِيَّةَ . وَيَمُرُّ نَهْرُ سَيْحَانٍ مُوَاظِمًا لِنَهْرِ جَيْحَانَ ، فَيُحَادِثُ أَنْقِرَةَ وَمَرْعَشَ ، وَيَتَجَاوَزُ جِبَالَ الدُّرُوبِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ . ثُمَّ يَمُرُّ بِعَيْنِ زَرْبَةٍ وَيَجُوزُ عَنْ نَهْرِ جَيْحَانَ ، ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّامِ وَمُقَرَّبًا ، فَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ جَيْحَانَ عِنْدَ الْمَصِيصَةِ<sup>(د)</sup> وَمِنْ غَرْبِهَا . وَأَمَّا بِلَادُ الْحِزْبَةِ الَّتِي يَحِيطُ بِهَا مَنَعَطُفُ جَبَلِ الْكَلَامِ إِلَى جَبَلِ السَّلْسَلَةِ ، فَفِي جَنُوبِهَا بَلَدُ الزَّاقِقَةِ وَالزُّقَّةِ ، ثُمَّ حَرَّانَ ثُمَّ سُرُوجَ وَالزُّهَى ، ثُمَّ نَيْسَابِينَ ثُمَّ شَمْنِيسَاطَ<sup>(هـ)</sup> 15 وَأَمْدَ تَحْتَ جَبَلِ السَّلْسَلَةِ وَآخِرُ الْجُزْءِ مِنْ شِمَالِهِ ، وَهُوَ أَيْضًا آخِرُ الْجُزْءِ مِنْ شَرْقِهِ . وَيَمُرُّ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ نَهْرُ الْفُرَاتِ وَنَهْرُ دِجْلِهِ ؛ يَخْرُجَانِ<sup>(و)</sup> مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ ، وَيَتَمَرَّانِ فِي بِلَادِ الْأَرْضِ جَنُوبًا إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَا جَبَلَ السَّلْسَلَةِ . فَيَمُرُّ نَهْرُ

(أ) ذَكَرَهَا يَاقُوتٌ بِالْأَلْفِ الْمُقْصُورَةِ فِي آخِرِهَا : عَيْنُ زَرْبَى (ب) ط وَحْدَهَا : أَنْطَلِيَّةُ (ج) صَبَطَتْ فِي ع ل بِكَسْرِ الْفَافِ ، وَبِذَلِكَ صَبَطَهَا يَاقُوتٌ بِالْحَرْفِ (المعجم 1: 271) (د) كَمَا نَقَدَّمُ (هـ) هَكَذَا بِالشَّيْنِ الْمُبْتَدَأِ فِي ط ع ل ج ، وَيَذَكِّرُهَا يَاقُوتٌ فِي بَابِ الشَّيْنِ ، شَمْنِيسَاطَ (المعجم 3: 258) (و) صَفَحَتْ فِي ل إِلَى يَخْرُجَانِ .

الفرات في غربي شُنيساط وسروج ، ثم يتحرف إلى الشرق فيمر بقُرب الزايفة والروثة ، ويخرج إلى الجزء السادس . ويتردّ دجلة في شرق آبد ، ويتعطف قريباً إلى الشرق فيخرج قريباً إلى الجزء السادس .

وفي الجزء السادس من هذا الإقليم من غربيته ، بلاد الجزيرة ، وفي الشرق عنها بلاد العراق متصلة بها ، تنتهي في الشرق إلى قُرب آخر الجزء . ويتعطف آخر 5 العراق هنالك جبل أذهبان ، هابطاً من جنوب الجزء ، منحرفاً إلى الغرب ، فإذا انتهى إلى وسط الجزء من آخره في الشمال ، يذهب مُعرباً إلى أن يخرج من الجزء السادس ، ويتصل على ستمته بجبل السلسلة / في الجزء الخامس ، فيقطع هذا الجزء السادس بقطعتين ، غربية وشرقية ، ففي الغربية من جنوبها مخرج الفرات من الخامس ، وفي شمالها <sup>(1)</sup> مخرج دجلة منه . 10

أما الفرات فأول ما يخرج إلى السادس يمر بقرقيسيا ، ويخرج منه هنالك جدول إلى الشمال ، ينساب في أرض الجزيرة ويغوص في نواحيها ، ويتردّ من قرقيسيا غير بعيد ، ثم يتعطف إلى الجنوب فيمر بغرب الحابور إلى غرب الرخبة ، ويخرج منه جدول من هنالك يمر جنوباً ، وتبقى صقيع في غربه ، ثم يتعطف شرقاً وينقسم بشعوب ، فيمر بنعش بالكوفة ، وتنص بقصر ابن هبيرة والجامعين ، ويخرج <sup>(ب)</sup> جميعها 15 في جنوب الجزء إلى الإقليم الثالث ، فتغوص هنالك في شرق الحيرة والقادسية . ويتردّ الفرات من الرخبة مُشرقاً على ستمته إلى هيت من شمالها ، ثم إلى الزاب والأنبار من جنوبها ، ثم يصب في دجلة عند بغداد .

(1) ل : شاليما (ب) ل : تخرج .

وأما نهر دجلة ، فإذا دخل في الجزء الخامس إلى هذا الجزء، يمرّ مشرقاً على سمنه ومطاً لجبل السلسلة المتصل بجبل العراق على سمنه، فيمرّ بجزيرة ابن عمر من شمالها، ثم بالموصل كذلك وتكرت ، وينتهي إلى الحديثة، فينعطف جنوباً وتبقى الحديثة في شرقه، والزاب الكبير والصغير كذلك، ويمرّ على سمنه جنوباً وفي 5 غرب القادسية إلى أن ينتهي إلى بغداد ويختلط بالفرات ، ثم يمرّ جنوباً على غرب جرجرايا إلى أن يخرج من الجزء إلى الإقليم الثالث، فتكثر هنالك شعوبه وجداوله، ثم تجتمع وتصب هنالك في بحر فارس عند عبّادان. وفيما بين نهر الدجلة والفرات قبل مجعها ببغداد ، هي بلاد الجزيرة. ويختلط بنهر دجلة بعد مفارقتها ببغداد نهر آخر يأتي من الجهة الشرقية الشمالية عنه ، وينتهي إلى بلد النهروان 10 قبالة بغداد شرقاً ، ثم ينعطف جنوباً ، ويختلط بدجلة قبل خروجه إلى الإقليم الثالث. وينتهي ما بين هذا النهر / وبين جبل العراق والأعاجم بلد جلولا، وفي شرقها [ب 49] عند الجبل بلد خلوان وضيعة . وأما القطعة الغربية من الجزء، فيعترضها جبل يبدأ من جبل الأعاجم مشرقاً إلى آخر الجزء، ويسمى جبل شهزور فيقسمها بقطعتين. وفي الجنوب من هذه القطعة الصغرى بلد خوجان في الغرب والشمال عن أضهان، 15 وتسمى هذه القطعة بلاد البهلوس<sup>(1)</sup> ، وفي وسطها بلد نهاوند، وفي شمالها بلد شهزور غرباً عند ملتقى الجبلين ، والدنيور شرقاً عند آخر الجزء.<sup>(ب)</sup> وفي القطعة الصغرى الثانية طرف من بلاد أزمينية، قاعدتها المراغة، والذي يقابلها من جبل العراق يسمى جبل بازما<sup>(ج)</sup> وهو مساكن للأكراد ، والزاب الكبير والصغير الذي

(أ) كذا في الأصول. وقد تكون مصحفة عن البهلويين التي ذكرها الإدريسي (الترجمة 2: 654، 655، 678) (ب) سقطت الواو

من ل (ج) ضبطت في ع ج وحدها بنح الراء، وضبطها ياقوت بالحرف بكسرهما (مجم البلدان 1: 320) .



على دجلة من ورائه . وفي آخر هذه القطعة من جهة الشرق بلاد أذربيجان ، ومنها  
تبرز والينلقان . وفي الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء قطعة من بحر نيطنش  
وهو بحر الخزر .

- وفي الجزء السابع من هذا الإقليم في غربيته وجنوبه معظم بلاد النهلوس ،  
وفيها همدان وقزوین ، وبقيتها في الإقليم الثالث وفيها هنالك أصفهان . ويحيط بها من 5  
الجنوب جبل يخرج من غربيها ويمر بالإقليم الثالث ، ثم يتعطف من الجزء السادس  
إلى الإقليم الرابع ، ويتصل بجبل العراق في شرقيته الذي مر ذكره هنالك ، وأنه  
يحيط ببلاد النهلوس في القطعة الشرقية . ويحيط هذا الجبل المحيط بأصفهان [من] (أ)  
الإقليم الثالث إلى جهة الشمال ، ويخرج إلى هذا الجزء السابع فيحيط ببلاد النهلوس  
من شرقها ، وتحت هنالك قاشان ثم قم ، ويتعطف في قرب التصف من طريقه 10  
مغرباً بغض الشيء ، ثم يرجع مستديراً فيتذهب مشرقاً ومنحرفاً إلى الشمال ، حتى  
يخرج إلى الإقليم الخامس ، ويشتمل عند منعطفه واستدارته على بلد الري / في [150]  
شرقيته ، ويبدأ من منعطفه جبل آخر يمر غرباً إلى آخر الجزء ، ومن جنوبيه هنالك  
قزوین ، ومن جانبه الشمالي وجانب جبل الري المتصل معه ذاهباً إلى الشرق  
والشمال إلى وسط الجزء ، ثم إلى الإقليم الخامس ، بلاد طبرستان (ج) فيما بين هذه 15  
الجبال وبين [قطعة] (ب) من بحر طبرستان (ج) . يدخل من الإقليم الخامس في هذا  
الجزء في نحو التصف من غربه إلى شرقه ، ويتغرض عند جبل الري ، وعند

(أ) ط : في (ب) كنا في الأصول ، وفي ط وحدها : قطعتين (ج) اضردت ع بضبطه بفتح الأول والثالث بينهما ساكن كما  
ابن ، وعند ياقوت بفتح أوله وثانيه وكسر الراء . طبرستان .

انعطافه إلى الغرب ، جبلٌ متصلٌ يَمُرُّ على سَمْتِهِ مَشْرِقًا وبِانْحِرَافٍ قليلٍ إلى الجنوب ، حتَّى يَدْخُلَ في الجُزءِ الثَّامِنِ من غَرْبِهِ . وَيَبْقَى بين جَبَلِ الرِّبِّيِّ وهذا الجَبَلِ من عند مَبْدِئِهَا بِلَادُ جُرْجَانَ فيما بين الجَبَلَيْنِ ، ومنها بِسْطَام . ووراء هذا الجبل قطعةٌ من هذا الجُزءِ فيها بقيةُ المَفَاةِ الَّتِي بَيْنَ فَارِسَ وَخُرَّاسَانَ ، وهي 5 في شَرْقِيٍّ فَاشَانَ ، وفي آخِرِهَا عند هذا الجَبَلِ بَلَدُ إِسْتَرَابَادَ ، وَجَفَائِي هذا الجبل من شَرْقِيَّتِهِ إلى آخرِ الجُزءِ بِلَادُ<sup>(أ)</sup> نَيْسَابُورَ من خُرَّاسَانَ . ففي جَنُوبِ الجبلِ وَشَرْقِ المَفَاةِ بَلَدُ نَيْسَابُورَ ، ثُمَّ مَزُو الشَّاهِجَانِ آخرُ الجُزءِ . وفي شِمَالِهِ وَشَرْقِ جُرْجَانَ بِلَدُ مَهْرَجَانَ ، وَخَازَرُونَ<sup>(ب)</sup> ، وَطُوسُ آخرُ الجُزءِ شَرْقًا ؛ وَكُلُّ هَذِهِ تَحْتَ الجبلِ . وفي الشَّمَالِ عَنْهَا بَعِيدًا بِلَادُ نَسَا ؛ وَتَحِيطُ بِهَا عِنْدَ زَاوِيَةِ الجُزءِ بَيْنَ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ مَفَاوِزُ مَعْطَلَةٌ . 10

وفي الجُزءِ الثَّامِنِ من هذا الإقْلِيمِ في غَرْبِيَّتِهِ نَهْرُ جَيْحُونَ ، ذَاهِبًا من الجنوبِ إلى الشَّمَالِ . ففي عُدُوَّتِهِ الْغَرْبِيَّةِ زَمْ<sup>(ج)</sup> وَأَمَلُ من بِلَادِ خُرَّاسَانَ ، وَالطَّاهَرِيَّةِ وَالْجُرْجَانِيَّةِ من بِلَادِ خَوَارِزَمَ . وَتَحِيطُ بِالزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلُ إِسْتَرَابَادَ الْمُعْتَرِضِ فِي الجُزءِ السَّابِعِ قَبْلَهُ ، وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الجُزءِ من غَرْبِيَّتِهِ وَتَحِيطُ بِهَذِهِ الزَّوَايَةِ ، 15 وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ هَرَاةَ ، وَيَسُرُّ الْجَبَلُ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ بَيْنَ هَرَاةَ وَالْجُوزْجَانَ حَتَّى يَتَّصِلَ بِجَبَلِ الْبُتْمِ<sup>(د)</sup> كَمَا ذَكَرْنَاهُ هُنَاكَ .

(أ) ل : بَلَدُ (ب) كُنَا فِي الْأَصُولِ ، وَهِيَ كَارُونَ (ج) وَرَدَتْ فِي نَسْخَةِ "ع" بِضَمِّ الزَّيِّ ، وَيَمِيزُهَا يَافُوتُ : بِأَنَّهَا بَلِيدَةٌ عَلَى طَرِيقِ جَيْحُونَ مِنْ تَرِيمِزَ وَأَمَلُ ، وَيَضَعُ الزَّيِّ ، عَنْ زَمْ الْمَضْمُومَةِ الزَّيِّ الَّتِي تَقَعُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهَا (مَجْمَعُ الْبُلْدَانِ 3 : 150-151) (د) كُنَا ضَبَطَتْ فِي ج ، وَعِنْدَ يَافُوتِ بِالضَّمِّ ثُمَّ بِالْفَتْحِ وَالتَّنْشِيدِ (الْمَجْمَعُ 1 : 335) .

وفي شرقي نهر جِيخُون من هذا الجزء / وفي الجنوب منه ، بلادُ بُخَارَى  
ثم بلاد الصُّنْد ، وقاعدتها سَمَرْقَنْد ، ثم بلاد أَشْرُوسَنَة ، ومنها حُجَنْدَة آخر الجزء  
شرقاً . وفي الشمال عن سَمَرْقَنْد وأشْرُوسَنَة أرض يُلَاق<sup>(أ)</sup> . ثم في الشمال عن يُلَاق  
أرض الشَّاش ، تمر<sup>(ب)</sup> إلى آخر الجزء شرقاً ، وتأخذُ قِطْعَةً من الجزء التاسع في  
جنوب تلك القِطْعَة ، بَقِيَّةُ أرض فَرْغَانَة . ويخرج من هذه القِطْعَة الَّتِي في الجزء 5  
التاسع نهر الشَّاش ، يَمُرُّ معترضاً في الجزء الثامن إلى أن يَصُبَّ في نهر جِيخُون  
عند مَخْرَجِه من هذا الجزء الثامن ، في شماله إلى الإقليم الخامس . ويختلطُ معه في  
أرض يُلَاق نهر يَأْتِي من الجزء التاسع من الإقليم الثالث من نُحُوم بلاد التُّبَّت .  
ويختلطُ معه قبل مَخْرَجِه من الجزء التاسع نهر فَرْغَانَة . وعلى سَمْتِ نهر الشَّاش  
جبل جَبْرَاغُون؛ يبدأ من الإقليم الخامس وينعطفُ مُشْرِقاً ومُنْحَرِفاً إلى الجنوب، 10  
حَتَّى يخرج إلى الجزء التاسع مُحِيطاً بِأَرْض الشَّاش ، ثم يَنْعَطِفُ في الجزء التاسع  
فيحيطُ بِالشَّاش وفَرْغَانَة هنالك إلى جنوبه ، فيدخل في الإقليم الثالث . وبين نهر  
الشَّاش وطَرْف هذا الجبل في وسط الجزء بلادُ قَارَاب . وبين أرض بُخَارَى  
وَحُوزَرْم [مفاوز]<sup>(ج)</sup> معطلة . وفي زاوية هذا الجزء بين الشمال والشرق أرضُ  
حُجَنْدَة ، وفيها بلد إَسْبِيْجَاب وطرار<sup>(د)</sup> .

(أ) جاءت بضم الياء في ع، وذكرها ياقوت في باب الألف بكسر الحصة : "إيلاق" (المعجم 1: 291) (ب) ل: ثم  
(ج) ظ: مغارة (د) في ع ظ ج ي: طرار ، وفي ل: أطرار ، ينقطن على الغطاء إحداهما تخرج الحرف . وعند ياقوت: طرار  
بكسر الطاء وزاي في الآخر ، ولم يسطرها بالحرف وهي المعنى في النص لقوله ، إنها بلد قريب من إسبيجاب من شعور الترك  
(المعجم 4: 27) .

وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم ، ففي غربيته بغد فرغانة والشاش أرض  
الخرزلية في الجنوب ، وأرض الخلجية في الشمال . وفي شرق الجزء كله إلى آخره  
أرض الكيمائية . وتتصل في الجزء العاشر كله إلى جبل قوفايا آخر الجزء شرقاً ،  
على قطعة من البحر المحيط هناك ، وهو جبل ياجوج وماجوج . وهذه الأمم كلها  
5 من شعوب الترك .

## • الإقليم الخامس

الجزء الأول منه أكثره مغمور بالماء، إلا قليلاً من جنوبه وشرقه، لأن البحر المحيط من هذه الجهة الغربية دخل في الإقليم / الخامس والسادس والسابع [151] عن الثائرة المحيطة بالأقاليم. فأما المنكشف من جنوبه فيقطع على شكل المثلث، متصلة من هنالك بالأندلس، وعليها بقيتها، ويحيط بها البحر من جهتين كأنها 5 ضلعان مُحيطان بزاوية المثلث. ففيها من بقية غرب الأندلس منته ميّور على البحر، عند أول الجزء من الجنوب والغرب، وسلفنكة شرقاً عنها، وفي جوفها سمورة، وفي الشرق عن سلفنكة آيلة آخر الجنوب، وأرض قشتالة شرقاً عنها، وفيها مدينة شقوبية، وفي شمالها أرض ليون وبرغشت. ثم وراءها في الشمال أرض 10 جليقية إلى زاوية القطعة. وفيها على البحر المحيط في آخر الضلع الغربي بلد شنتياقوب، ومعناه يعقوب، وفيها من بلاد شرق الأندلس مدينة تطيلة عند آخر الجزء في الجنوب، وشرقاً [عن<sup>(أ)</sup> قشتالة، وفي شمالها وشرقها وشقة ثم نببلونة على سمتها شرقاً وشمالاً. وفي غرب نببلونة قنطالة<sup>(ب)</sup> ثم تاجرة<sup>(ج)</sup> فيما بينها وبين برغشت. ويتعرض وسط هذه القطعة جبل عظيم محاذياً للبحر وللضلع الشمالي الشرقي منه وعلى قرب، ويتصل به ويظهر البحر من عند نببلونة في جهة الشرق الذي ذكرنا 15 من قبل أنه يتصل في الجنوب بالبحر الرومي في الإقليم الرابع، ويصير ججراً على

(أ) ظ: عند (ب) كنا رسمت في الأصول ولعلها فسطة (ج) كنا بالناء المنشأ في الأصول، وعند الإدريسي وأماوت بالنون: ناجر (وهو المنشأ 2: 725، 732 ومجمع البلدان 5: 250).

الأنطُلُس من جهة الشرق . وثناياه أبواب لها تُقضي إلى بلاد عَشْكَوَيْتَه من أُمَم  
 الفِرْنَج . فمنها في الإقليم الرابع بَرُشْلُونَة وَأَزْبُونَة على ساحل البَحر التَّروميّ وَجُرُنْدَة  
 وَقَرْقَشُونَة وِراءهما في الشَّمال . ومنها في الإقليم الخامس طَلُوشَة شَمالاً عن جُرُنْدَة .  
 وأما المنكِيف في هذا الجُزء من جهة الشرق ، فقطعة على شَكْلٍ مِثْلَت مُسْتَطِيل ،  
 5 زَاوِيَتُه الحَادَّة وِراء البُرُتَات شرقاً . وفيها على البَحر المُحيط على رَأْس القِطْعة الَّتِي  
 يتصل<sup>(1)</sup> بها جبل البُرُتَات بلد بَيُوتَة . وفي آخر هذه القِطْعة في الناحية الشرقيّة  
 الشماليّة من الجُزء أرض يَيطو من الفِرْنَج إلى آخر الجُزء .

وفي الجُزء الثاني في الناحية / الغربيّة منه أرض عَشْكَوَيْتَة ، وفي شمالها [51ب]  
 أرض يَيطو وَبَرُغَش ، وقد ذكرناها . وفي شَرْق بلاد عَشْكَوَيْتَة ، قطعة من البَحر  
 10 التَّروميّ دخلت في هذا الجُزء كالضَّرْس ، مائِلة إلى الشرق قليلاً ، وصارت بلاد  
 عَشْكَوَيْتَة في غربها داخلَة في جُؤن<sup>(ب)</sup> من البَحر . وعلى رَأْس هذه القِطْعة شَمالاً  
 بلاد جَنُوة ، وعلى سَمْتِها في الشَّمال جبلٌ مَنَت جُون . وفي شَمالَه وعلى سَمْتِه أرض  
 بَرُغُونَة ، وفي الشرق عن طرف جَنُوة الخارج من البَحر التَّروميّ طرفٌ آخر خارج  
 منه ، يَتَقى بَيْنَهما جُؤن<sup>(ب)</sup> داخل من البَرِّ في البَحر ، في غَرْبِه بِيَش ، وفي شَرْقِيّه  
 15 مَدِينَةُ رُومَة العَظيمة ، كَرسيّ مَلِك الإفرنجية ، وَمَسْكَن البَابَةِ بَرَكْهِم الأَظيم . وفيها من  
 المباني الضَّخمة والهياكل المَهولة والكنائس العاديّة ما هو معروفُ الأخبار . ومن  
 عَجائبها التَّهَرُّ الجارِي في وسطها من المَشْرِق إلى المَغْرِب ، مَفْرُوش قاعُه ببلالط  
 التَّحاس ؛ وفيها كِيسَةُ بَطْرُس وَبُولُس<sup>(ج)</sup> من الحواريّين وهما مَذفونان بها . وفي

(1) ل : تصل (ب) ل : حوف (ج) ل : بولس .

الشمال عن بلاد رومة بلاد أنبرصية إلى آخر الجزء . وعلى هذا الطرف من البحر الذي في جونة رومة بلد نابل في الجانب الشرقي منه ، متصلة ببلاد قلورية من بلاد الفرنج . وفي شمالها طرف من خليج البنادقة دخل في هذا الجزء من الجزء الثالث مُعَرَّباً ومُحَاذِياً للشمال من هذا الجزء ، وانتهى إلى نحو الثلث منه ، وعليه كثير<sup>(1)</sup> من بلاد البنادقة من جنوبه فيما بينه وبين البحر المحيط . ومن شماله بلاد 5 أنكلية<sup>(ب)</sup> في الإقليم السادس.

وفي الجزء الثالث من هذا الإقليم في غربه بلاد قلورية ، بين خليج البنادقة والبحر الرومي ، يدخل جانب من برها في الإقليم الرابع في البحر الرومي في جوني<sup>(ج)</sup> بين طرفين خرجا من البحر على سمت الشمال إلى هذا الجزء . وفي شرقي بلاد قلورية بلاد أنكرذه في جوني<sup>(ج)</sup> بين خليج البنادقة والبحر الرومي . ويدخل 10 طرف من هذا الجون في الإقليم الرابع / وفي البحر الرومي ، ويحيط به من شرقيه خليج البنادقة •<sup>(د)</sup> من البحر الرومي ذاهباً إلى سمت الشمال ، ثم يتعطف إلى الغرب مُحَاذِياً لآخر الجزء الشمالي ؛ ويخرج على سمت من الإقليم الرابع جبل عظيم يُوازيه ويذهب معه في الشمال ، ثم يغرب معه في الإقليم السادس إلى أن ينتهي قُبالة الخليج في شماله في بلاد أنكلية من أم اللماتيين كما يُذكر . وعلى هذا الخليج 15 وبينه وبين هذا الجبل ما داما ذاهبين إلى الشمال ، بلاد البنادقة ، فإذا ذهبا إلى الغرب فبينها بلاد جزواسيا ، ثم بلاد اللماتيين عند طرف الخليج .

(1) ل : الكثير (ب) ضبطها في ل بالحركات وفيها وفي ع قطة تحت الكاف لضبط النطق (ج) ل : جوف (د) سقط ما بين التجميع من ل .

وفي الجزء الرابع من هذا الإقليم قطعة من البحر الرومي ، خرجت إليه من الإقليم الرابع مَضْرَسَة كلها يَقَطع من البحر ، تخرج منها إلى الشمال ، وبين كل ضرسين منها طرف من البر في الجون بينها . وفي آخر الجزء شرقاً خليج القسطنطينية ، يخرج<sup>(1)</sup> من هذا الطرف الجنوبي ويذهب على سمت الشمال إلى أن 5 يدخل في الإقليم السادس ، ويتعطف من هُناك عن قُرب مشرقاً إلى بحر نيطنش في الجزء الخامس ويتغص الرابع قبله ، والسادس يغده من الإقليم السادس كما نذكر .

وبلد القسطنطينية في شرقي هذا الخليج عند آخر الجزء من الشمال . وهي المدينة العظيمة التي كانت كُرْسِي القياصرة ، وبها من آثار البناء والضخامة ما كَثُرَ عنه الأحاديث . والقطعة التي بين البحر الرومي وخليج القسطنطينية من هذا 10 الجزء ، فيها بلاد مقدونية التي كانت لليونانيين ، ومنها ابتداء<sup>(ب)</sup> مُلْكُهم . وفي شرقي هذا الخليج إلى آخر الجزء ، قطعة من أرض باطوس ، وأطنها لهذا العهد مجالات للتركيان ، وبها مُلك ابن عُثمان ، وقاعدته بَرِصا<sup>(ج)</sup> ؛ وكانت من<sup>(د)</sup> قبلهم للروم ، وغلبتهم / عليها الأمم إلى أن صارت للتركيان .

[52 ب]

وفي الجزء الخامس من هذا الإقليم من غربيته وجنوبه أرض باطوس ، وفي 15 الشمال عنها إلى آخر الجزء بلاد عُمُورِيَّة ، وفي شرق عُمُورِيَّة نَهْر قَبَاقِب الذي يمدُّ الفُرات ، يخرج من جبل هُناك ، ويذهب في الجنوب حتَّى يَخْلُط الفُرات قبل فُصوله من هذا الجزء إلى مَمَرِه في الإقليم الرابع ، وهناك في غربيته آخر الجزء ، مبدأ نهر بيسحان ، ثم نهر جِيحان غربيته ، النَّاهِتَيْن على سَمْتِه ، وقد مرَّ ذكرُهما . وفي [شرقيته]<sup>(هـ)</sup>

(1) ج : ثم يخرج (ب) ل : ابتداء (ج) ع : برصة (د) سقط من ل (هـ) في ظ وحدها : وفي سمنه .



هنالك مبدأ نهر دجلة الدّاهب على سَنَمته وفي مُوازاته حتّى يُخالطه عند بُغداد . وفي الزّاوية الّتي بين الجنوب والشرق من هذا الجزء ، وراء الجبل الّذي يتبدأ منه نهر دجلة ، بلدٌ مَيافارقين . ونهر قَبَاقِب الّذي ذَكَرناه ، يُقسَم هذا الجزء بقطعتين : إحداهما غربيّة جنوبيّة ، وفيها أرضٌ باطوس كما قلناه ، وأسافلها إلى آخر الجزء شمالاً ، ووراء الجبل الّذي يتبدأ منه نهر قَبَاقِب ، أرضٌ عُمُوريّة كما قلناه . والقطعة 5 الثّانية شماليّة شرقيّة جنوبيّة على الثّلث ، ففي الجنوب منها مبدأ الدّجلة والفُرات ، وفي الشّمال بلادُ التّينلقان مُتصلة بأرض عُمُورية من وراء جبل قَبَاقِب ، وهي عريضة ، وفي آخرها عند مَبْدِ الفُرات بلدٌ خَزَشْتة ، وفي الزاوية الشرقيّة الشماليّة قُطَيْعَة من بَحْرِ نِيطَش الّذي يَمُدُّهُ خَلِيجُ الفُسْطَنْطِينِيَّة<sup>(١)</sup> .

وفي الجزء السّادس من هذا الإقليم في جنوبه وغربه بلادُ أَرَمِينِيَّة ، متصلة 10 إلى أن تتجاوزَ وَسَطَ الجزء إلى جانب الشرق . وفيها بلدٌ أَرَزَن في الجنوب والغرب ، وفي شمالها ثَقْلِيس وَدَيْل . وفي شرق<sup>(ب)</sup> أَرَزَن مدينةٌ خِلَاط ثم بَزْدَعَة ، وفي جنوبها بانحرافٍ إلى الشرق مدينةٌ أَرَمِينِيَّة . ومن هنالك تخرج بلادُ أَرَمِينِيَّة إلى الإقليم الرّابع . وفيها هُنالك بلدُ المَرَاغَة في شرقيّ جَبَل الأكراد المسقَى بَارْمَا<sup>(ج)</sup> ، وقد مرَّ ذَكَرُهُ في الجزء السّادس منه . 15

[153] ويتأخّر بلادُ / أَرَمِينِيَّة في هذا الجزء ، وفي الإقليم الرّابع قبله من بَهِمة الشرق فيها ، بلادُ أَرَزِينجان ، وآخرها في هذا الجزء شرقاً بَلَدُ أَرْدَبِيل على قِطْعَة من

(١) كنا في ج ل ح ط ، وفي ي : الفُسْطَنْطِينِيَّة (ب) ل : شرقيّ (ج) ضبطت كنا بالحركات في ل ، وضبطها بالقوت بكسر الراء وتشديد الميم (معجم البلدان 1: 320) .

بَحْر طَبْرِسْتَان ، دخلت في التاحية الشرقية من هذا الجزء من الجزء السابع ،  
ويسمى بَحْر طَبْرِسْتَان . وعليه من شماله في هذا الجزء قطعة من بلاد الحَزْر ، وهم  
الْكُرْكَان . ويبدأ من عند آخر هذه القطيعة البحرية في الشمال [جبال]<sup>(1)</sup> يتصل  
بعضها ببعض على سَمت الغَرْب إلى الجزء الخامس ، وتَمُرُّ فيه منعطفة ومحطة بِلاد  
5 مَيافارقين ، وتَخْرُجُ إلى الإقليم الرابع عند آمِد ، وتتصلُ بجبل السلسلة في أسافيل  
الشَّام ، ومن هنالك تتصلُ بجبل اللُكَّام كما مرَّ . وبين هذه الجبال الشمالية في هذا  
الجزء ثَنَايا كالأبواب تُقْضي من الجانبين ؛ ففي جنوبها بلادُ الأبواب مُتصلة في  
الشرق إلى بَحْر طَبْرِسْتَان ، و<sup>(ب)</sup> عليه من هذه البلاد مدينة باب الأبواب . وتتصل  
بلادُ الأبواب في الغَرْب من ناحية جنوبها ببلاد أَرَمِينِيَّة . وبينها في الشرق وبين  
10 بلاد أَدْرَبِجان الجنوبية بلادُ الزَّان مُتصلة إلى بَحْر طَبْرِسْتَان . وفي شمال هذه الجبال  
قطعة من هذا الجزء ، في غَرْبها مملكة السَّيرير ، وفي الزاوية الغربية الشمالية منها ،  
وهي زاويةُ الجزء كُلِّه ، قُطَيْعَة أيضاً من بَحْر نِيطَش الذي يُمَدُّه خَلِيجُ  
الْقُسْطَنْطِينِيَّة<sup>(ج)</sup> ، وقد مرَّ ذكره . وتَحِيفُ بهذه القطعة من نِيطَش بلاد السَّيرير وعليها  
منها بلدُ أَطْرَانزُئْدَة . وتتصلُ ببلاد السَّيرير بَيْنَ جبال الأبواب والجهة الشمالية من  
15 الجزء ، إلى أن تنتهي شَرْقاً إلى جبل خازن<sup>(د)</sup> بينها وبين أرض الحَزْر . وعند آخرها  
مدينةُ صُول<sup>(هـ)</sup> . ووراء هذا الجبل الحاجز قطعة من أرض الحَزْر ، تنتهي إلى الزاوية  
الشرقية الشمالية من هذا الجزء بين بحر طَبْرِسْتَان وآخر الجزء شمالاً .

(1) سقطت من ط (ب) سقطت الواو من ط (ج) تقدمت فروق النسخ في كتابها (د) كذا في ط ، وفي ع ل ي ج :  
حازن ، ولعلها الصواب ، بمعنى البت للجبل بالمعنى وفي حدود العالم 48 وبلدان الخلافة الشرقية 217 : حارت (هـ) كذا في ع  
بضعة على الصاد وكذا ضبطها باقوت بالحرف (معجم البلدان 3 : 435) وفي ل : ضول ، بالفتح والسكون .

والجزء السابع من هذا الإقليم، غربيته كله مغمور ببحر طبرستان، وخَرَجَ  
من جنوبيه في الإقليم الرابع القطعة التي ذكرنا هنالك أن عليها بلاد طبرستان وجبال  
الديلم إلى قزوين. وفي غربي تلك القطعة متصلة بها، القطيعة التي في الجزء  
(ب53) السادس / من الإقليم الرابع. وتتصل بها من شمالها القطعة التي في الجزء السادس  
من شرقه أيضاً. وتشكف من هذا الجزء قطعة عند زاويته الشمالية الغربية يصب  
5 فيها نهر آثل<sup>(أ)</sup> في هذا البحر. وتبقى من هذا الجزء في ناحية الشرق قطعة  
مكتشفة من البحر، هي مجالات للغز من أمم الترك، (ويقال لهم الخور، كأنه غُرب  
وصارت خاؤه غنناً، وشددت الزاي، ويحيط بهذه القطعة)<sup>(ب)</sup> جبل من جهة  
الجنوب داخل من الجزء الثامن، ويذهب في الغرب إلى ما دون وسطه، فينعطف  
إلى الشمال إلى أن يلاقي بحر طبرستان، فيختف به ذاهباً معه إلى بقيته في الإقليم  
10 السادس، ثم ينعطف مع طرفه ويفارقه، ويستوى هنالك جبل شيا<sup>(ج)</sup>. ويذهب  
مغرباً إلى الجزء السادس من الإقليم السادس، ثم يرجع جنوباً إلى الجزء السادس  
من الإقليم الخامس. وهذا الطرف منه هو الذي اعترض في هذا الجزء بين أرض  
السريز وأرض الخزر. واتصلت أرض الخزر في الجزء السادس والسابع جفائي هذا  
الجبل المسقى جبل شيا كما يأتي.

15

والجزء الثامن من هذا الإقليم الخامس، كله مجالات للغز من أمم الترك؛  
وفي الجهة الجنوبية الغربية منه بحيرة خوارزم التي يصب فيها نهر جیحون؛ دوزها

(أ) ضبط بالحركات في ج، وفي ع ل بالناء المشاة المكسورة وفتح المزة وندها، وعند ياقوت بكسر المزة والناء (معجم البلدان

1: 87) (ب) حاشية من ع عطفه (ج) سماء ياقوت مبياه كوه (المعجم 3: 292).

ثلاثمائة ميل ، وتصبّ فيها أنهار كثيرة من أرض هذه الجبال . وفي الجهة الشمالية الشرقية منه بحيرة غَزْغُون ، دَوْرُها أربعائة ميل ؛ وماؤها حلوّ . وفي الناحية الشمالية من هذا الجزء جبل مرغار<sup>(1)</sup> ، ومنه جبل التَّلْج ، لأنّه لا يذوب فيه ، وهو متصلّ بآخر الجزء . وفي الجنوب عن بحيرة غَزْغُون جبل من الحجر الصّلد لا يُنبت شيئاً ، يُسمّى غَزْغُون ، وبه سُميت<sup>(2)</sup> البحيرة . وتتخلّب منه ومن جبل مرغار شبالي 5 البحيرة أنهار لا تتحصر عددها ، فتصبّ فيها من الجانبين .

وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم بلادٌ أدكّش من أمّ الترك ، في غَرْب بلاد النُز وشرق بلاد الكيمائية . ويَحْفَ من جهة الشرق آخر الجزء جبل قُوفايا المحيط بياجوج وماجوج ، يفترض هنالك من الجنوب إلى الشمال حين يتعطف أول 10 دخوله / من الجزء العاشر ، وقد كان دخل إليه من آخر الجزء العاشر من الإقليم [154] الزايع قبله ، اختفّ هنالك بالبحر المحيط إلى آخر الجزء في الشمال ، ثم انعطف مغرباً في الجزء العاشر من الإقليم الزايع إلى ما دون يصفه ، وأحاط من أوله إلى هنا ببلاد الكيمائية ، ثم خرج إلى الجزء العاشر من الإقليم الخامس ؛ فذهب فيه مغرباً إلى آخره ، وبقيت في جنوبيه<sup>(ب)</sup> قطعة من هذا الجزء مُستطيلة إلى الغرب ، 15 فيها آخر بلاد الكيمائية ، ثم خرج إلى الجزء التاسع في شرقيّه وفي الأعلى منه ،

(1) كنا في ط ع ج ، وهو ما في نزعة المشتاق 2: 839 ، وفي ل بالباء في أوله: برغار (ب) ل : جنوبي .

(2) أصل نص الإدريسي ( النزعة 2 : 841 ) : وعلى هذه البحيرة من جهة الجنوب ، جبل من الصخر الصلد لا يُنبت شيئاً من النبات ، وعليه حصن كبير يسمّى غرغون ، وبهذا الحصن عُرفت البحيرة ونُسبت إليه .

وانعطف قريباً إلى الشمال ، وذهب على سَنَمته إلى الجزء التاسع من الإقليم السادس. وفيه السدُّ هُنالك كما نذكر، وبقيت منه القطعة التي أحاط بها جبل قُوفانيا عند الزاوية الشرقية الشمالية من هذا الجزء ، مستطيلة إلى الجنوب ، وهي من بلاد ياجوج<sup>(١)</sup>.

- 5 وفي الجزء العاشر من هذا الإقليم أرض [ياجوج]<sup>(ب)</sup> متصلة فيه كله، إلا قطعة من البحر المحيط غمرت طرفاً في<sup>(ج)</sup> شرقيته من جنوبه إلى شماله ، وإلا القطعة التي يفصلها إلى جهة الجنوب والغرب جبل قُوفانيا حين مرَّ فيه ، وما سوى ذلك فكله أرض ياجوج .

(١) ل : وماجوج (ب) من : ع ل ج ي ، وسقطت من ط (ج) ل : من .

## • الإقليم السادس:

فالجُزءُ الأول منه ، غمر البحر الأكثر من نصفه ، واشتدّار مُشرقاً مع  
التاحية الشماليّة ، ثم ذهب مع التاحية الشرقيّة إلى الجنوب ، وانتهى قريباً من  
التاحية الجنوبيّة ، فانكشفت قطعة من الأرض في هذا الجزء داخلّة بين  
5 طرفين من البحر المحيط كالخون<sup>(1)</sup> فيه ، ويتفسخ طولاً وعرضاً ، وهي كلّها أرض  
برطانيّة. وفي بابها بين الطّرفين ، وفي الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة<sup>(ب)</sup> من الجزء ، بلاد  
صايس متصلة ببلاد بيطو التي مرّ ذكرها في الجزء الأوّل والثاني من الإقليم  
الخامس .

والجُزءُ الثاني من هذا الإقليم دخل البحر المحيط من غربه وشماله ؛ فمن  
10 غربه في قطعة مُستطيلة أكثر من نصفه الشمالي من شرق أرض برطانيّة في الجزء  
الأوّل ، واتّصلت بها القطعة الأخرى في الشمال من غربه إلى شرقه ، وانفسحت في  
التصف الغربيّ منه بعض الشيء. وفيه هناك / قطعة من جزيرة [انكلطيرة]<sup>(ج)</sup> ؛ وهي [54 ب]  
جزيرة عظيمة مُتسعة مُستثملة على مُدن ، وبها مُلك ضخم ، وبقيتها في الإقليم السابع .  
وفي جنوب هذه القطعة وجزيرتها في التصف الغربي من هذا الجزء ، بلاد برُمُنديّة ،  
15 وبلاد أفلانْدش مُتصليّين بها ، ثمّ بلادُ أفرنسيّة جنوباً وغرباً من هذا الجزء ،  
وبلاّد برُغونيّة شرقاً عنها ، وكلها لأُمّ الإفرنجيّة ، وبلاد المَليانيّين في التصف الشرقيّ من

(1) ل : كالجوف (ب) سقط من ل (ج) في ط : انكاطره وهو فصل سهو في النسخ ، فضل اللّام عن الطاء فأصبحت ألف  
مدّ. وفي ع ج ل حُبطت بالحركات وقطعت تحت الكاف واثنان على الفاء للطن. وكسرت الفاء في ع وقُطعت في ل .

الجزء، لجنوبه بلاداً أُنْكَلاَئِيَّةً<sup>(١)</sup> ثم بلاد بُرْعُونِيَّة شِمالاً، ثم أرض لَهْزَنَكَة وشُصُونِيَّة. وعلى قطعة البحر المحيط في الزاوية الشماليَّة الشرقيَّة أرضُ افريزه<sup>(ب)</sup> وكلُّها لأُمِّ المَمانين .

وفي المَجْزُءِ الثَّالث من هذا الإقليم في الناحية الغربيَّة ، بلاد نوايبه<sup>(ج)</sup> في الجنوب، وبلاد شُصُونِيَّة في الشَّمال. وفي الناحية الشرقيَّة بلاد انكريه<sup>(د)</sup> في الجنوب 5 وبلاد بُلُونِيَّة<sup>(هـ)</sup> في الشَّمال. يَقتَرَضُ بينها جبلٌ بلواط داخلاً من المَجْزُءِ الرَّابِع ، ويمرُّ مُعْتَرِياً بانحرافٍ إلى الشَّمال، إلى أن يَقفَ في بلاد شُصُونِيَّة آخر التَّصَفِ الغربيِّ .

وفي المَجْزُءِ الرَّابِع في ناحيته الجنوبيَّة أرضُ جُثُولِيَّة؛ وتحتها في الشَّمال بلاد الرُّوسِيَّة ، ويفصلُ بينها جبلٌ بلواط من أوَّل المَجْزُءِ غرباً إلى أن يَقفَ في التَّصَفِ الشَّرقيِّ . وفي شرق أرض جُثُولِيَّة بلاد جَزْمَانِيَّة . وفي الزاوية الجنوبيَّة الشرقيَّة أرض 10 السُّسْطَنْطِينِيَّة<sup>(١)</sup>، ومدينتُها عند آخر الخليج الخارج من البحر الرُّوميِّ ، وعند مدفِعه في بَحْرِ نِيطَشْ ؛ فَتَقَعُ قُطَيْعَةٌ من بَحْرِ نِيطَشْ في أعالي الناحية الشرقيَّة من هذا المَجْزُءِ ، ويمُدُّها الخليجُ ، وبينها في الزاوية بلدٌ مُسْنَنَة .

وفي المَجْزُءِ الخَامِس من الإقليم السَّادس ، ثم في الناحية الجنوبيَّة منه بَحْرُ نِيطَشْ، يَتَّصِلُ من الخليج آخر المَجْزُءِ الرَّابِع، ويَخْرُجُ على سَمْتِه شرقاً فَيَمُرُّ في هذا 15 المَجْزُءِ كُلِّهِ وفي بَقْضِ السَّادس على طول ألف وثلاثمائة ميل، من مَبْدِئِه في عَرَضِ

(١) نقطة تحت الكاف (ب) كذا في الأصول، وأهلَّت الزَّاي في: ج ي، وعند الإدريسي: أرض افريزه (ج) كذا في الأصول، وفي ظ آخره تاء مفعودة (د) كذا بنقطة تحت الكاف، وعند الإدريسي: انكريه (هـ) في ع وحدها آخرها تاء مفعودة (و) كذا بدون ياء مشددة نسق آخرها .

ستمائة ميل ، ويبقى وراء هذا البحر في الناحية الجنوبية من هذا الجزء من غربيها إلى شرقها بئر مُستطيل ، في غربيه هِرْقَلِيَّة على ساحل نِيَطْش متصلة بأرض / البِلَقَان [i55] من الإقليم الخامس . وفي شرقه بلادُ اللَّائِيَّة<sup>(1)</sup> وقاعدتها سُنوبل<sup>(1)</sup> على بَحْر نِيَطْش . وفي شمال بَحْر نِيَطْش في هذا الجزء غرباً أرضُ بَرْجَان<sup>(ب)</sup> ، وشرقاً بلادُ الرُّوسِيَّة ، وكلُّها على ساحل هذا البحر . وبلادُ الرُّوسِيَّة محيطةٌ ببلادِ بَرْجَان من شرقها في هذا الجزء ، ومن شمالها في الجزء الخامس من الإقليم السابع ، ومن غربها في الجزء الرابع من هذا الإقليم .

وفي البحرِ السادس في غربيه بقيَّةُ بَحْر نِيَطْش ، ويتحرف قليلاً إلى الشمال ، ويبقى بينه هنالك وبين آخر الجزء شمالاً بلادُ قِمَانِيَّة ، وفي جنوبه ومُنفسحاً إلى الشمال بما انحرف هو كذلك ، بقيَّةُ بلادِ اللَّائِيَّة التي كانت آخر جنوبه في الجزء الخامس . وفي الناحية الشرقية من هذا الجزء متصل بأرض الحَزْر . وفي شرقها أرضُ بَرْطاس ، وفي الزاوية الشرقية الشمالية أرضُ بُلغار . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية أرضُ بَلَنْجَر تحوزها هنالك قطعةٌ من جبل شِيَاه كَوِيَّة<sup>(ج)</sup> المنعطف مع بَحْر الحَزْر في الجزء السابع بعده ، ويذهب بعد مُفَارَقَتِهِ مُغَرَّباً فتحوزُ هذه القطعة ، ويدخلُ إلى الجزء السادس من الإقليم الخامس ، فيتصل هنالك ببِجَالِ الْأَنْوَاب ، وعليه من ناحيته بلادُ الحَزْر .

(1) افردت ع برسمها بالناء المقوودة (ب) نزهة المشتاق 2: 905، 911، وتشديد الراء من نسخة ل، وضبطها بإقوت بضم الباء وسكون الراء (معجم البلدان 1: 373) (ج) كذا ورد في الأصول بالتين المتبندة ، وافردت ع بتسكين الباء : كونه، وفي النزهة (الهرس) وعند بإقوت بالتين المتبندة: سياه كوه .

(1) نزهة المشتاق 2 : 907



وفي الجُزء السابع ، من هذا الإقليم في الناحية الجنوبية ما حازه جبل شياه بعد مفارقه بَحْر طَبْرِسْتان ، وهو قطعة من أرض الخَزَر إلى آخر الجُزء عَزَبَا . وفي شَرْقها القطعة من بَحْر طَبْرِسْتان الَّتِي يحوزها هذا الجبل من شَرْقها وشَمَالها . ووراء جَبَل شياه في الناحية الغربية الشَّالِيَةِ أرض بَظاس . وفي الناحية الشَّرْقِيَّة من الجزء أرض بَسَجَزَت<sup>(١)</sup> وَجَنَّاك من أَمَم التُّرك .

5

وفي الجُزء الثامن ، والناحية الجنوبية منه كُلُّها أرض الخولج من التُّرك ، وفي الناحية الشَّالِيَةِ غرباً الأَرْضُ الْمُتَنِّتَةُ ، وشرقاً الأرض الَّتِي يُقال إِنَّ ياجوج وماجوج خَرَبوها قبل بناء السَّدِّ . وفي هذه الأرض المُتَنِّتَةُ مَبْدَأُ نَهَرِ أَيْل<sup>(ب)</sup> ، من أَعْظَم أنهار العالم ، ومَمْرُهُ في بلاد التُّرك ، وَمَصْبُهُ في بَحْر طَبْرِسْتان في الإقليم

الخامس وفي الجُزء / السابع منه . وهو كثير الانعطاف ، يخرج من جَبَل في الأرض [55 ب]

المُتَنِّتَةُ من ثلاثة ينابيع تجتمع في نَهَرٍ واحدٍ ، ويمُرُّ على سَمْتِ الغَرْبِ إلى آخر السابع من [هذا الإقليم]<sup>(ج)</sup> ، فيَنعطفُ شَمالاً إلى الجُزء السابع من الإقليم السابع ، فيمرُّ في طَرَفِهِ بين الجنوب والغَرْبِ ، فيُخْرِجُ في الجُزء السادس من السابع ، وَيَذْهَبُ مُغْرَباً غَيْرَ بعيد ، ثم يَنعطفُ ثَانِيَةً إلى الجنوب ، وَيَرْجِعُ إلى الجُزء السادس من السادس ، وَيُخْرِجُ منه جدولٌ يذهب مُغْرَباً ويصبُّ في بَحْر نِيطَش في ذلك الجُزء ، ويمُرُّ هو 15 في قطعة بين الشَّمال والشرْق في بلاد بُلغار ، فيُخْرِجُ في الجُزء السابع من الإقليم السادس ، ثم يَنعطفُ ثَالِثَةً إلى الجنوب ، وينفذ في جبل شياه ، ويمُرُّ في بلاد

(١) النزعة 2: 834 وهم الباشمرد الذين ذكروا ابن فضلان في الرحلة 107 وفي آثار البلاد: باشيزت (ب) في ع وعند باقوت بكسر التاء. وجاءت الألف ونحى ممدودة (ج) في ط: هذه الأقاليم .

الحَزْر ، ويخرجُ إلى الإقليم الخامس في الجزء السابع منه ، فيصبُّ هنالك في بحر طبرستان في القطعة التي انكشفت من الجزء عند الزاوية الغربية الجنوبية .

وفي الجزء التاسع من هذا الإقليم ، في الجانب الغربي [منه]<sup>(أ)</sup> ، بلاد خفساخ<sup>(ب)</sup> من الترك ، وهم قفجق ، وبلاد التركش<sup>(ج)</sup> منهم أيضاً ، وفي الشرق منه 5 بلاد ماجوج ، يفصل بينهما جبل قوقايا المحيط ، وقد مرَّ ذكره ، يبدأ من البحر المحيط في شرق الإقليم الرابع ، ويذهب معه إلى آخر الإقليم في الشمال ، ويفارقه مغرباً وبانحراف إلى الشمال حتى يدخل في الجزء التاسع من الإقليم الخامس ، فيرجع إلى سمنته الأول في الشمال ، حتى يدخل في هذا الجزء التاسع من جنوبه إلى شماله وبانحراف إلى الغرب ، وفي وسطه ههنا السدُّ الذي بناه الإسكندر ، ثم يخرج على 10 سمنته إلى الإقليم السابع وفي الجزء التاسع منه ، فينثر فيه من الجنوب إلى أن تلقى البحر المحيط في شماله ، ثم يتعطف معه من هنالك مغرباً في الإقليم السابع إلى الجزء الخامس منه ، فيتصل هنالك بقطعة من البحر المحيط في غربيته .

وفي وسط هذا الجزء التاسع السدُّ<sup>(د)</sup> الذي بناه الإسكندر كما قلناه .  
والصحيح من خبره في القرآن . وقد ذكر عُبَيْدُ اللَّهِ بن خُرْدَاذْبَةَ في كتابه في 15 الجغرافيا<sup>(1)</sup> : أن الواصل رأى في منامه / كأن السدَّ انفتح ، فانتبته فرباً ، وبعث [156]

(أ) سقط من ط (ب) في ط : خفساخ ، وانظر الزهرة 2: 934 (ج) كنا في الأصول ، وفي ع مضافة بحط ابن خلدون ، وفي حاشية ل : اطله الاكش (د) في ع ل ط : هو السد .

(1) المسالك والممالك 162 .

سَلَاماً التُّرْجَان ، فَوْقَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بَخْرُهُ وَوُضِفَهُ ، فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ لَيْسَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا .

وَفِي الْجَنْزِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ ، بِلَادُ مَا جُوج ، مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ هُنَالِكَ مِنَ الْبَخْرِ الْمَحِيطِ ، أَحَاطَتْ بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشِمَالِهِ ، مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيشَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ .

5

## • الإقليم السابع:

البحر المحيط قد غمر عاتمه من جهة الشمال إلى وسط الجزء الخامس ، حيث يتصل بجبل قوقايا المحيط بياجوج وماجوج .

فالمجرء الأول والثاني مغموران بالماء ، إلا ما انكشف من جزيرة أنكلطرة<sup>(أ)</sup> التي مغطها في الثاني . وفي الأول منها طرف انعطف بانحراف إلى الشمال ، وبقيتها مع قطعة من البحر مستديرة عليه في الجزء الثاني من الإقليم السادس ، وهي مذكورة هناك . والمجاز منها إلى البر في هذه القطعة سعة اثني عشر ميلاً . ووراء هذه الجزيرة في شمال الجزء الثاني جزيرة رسلانده ، مستطيلة من الغرب إلى الشرق .

والمجرء الثالث من هذا الإقليم مغمور أكثره بالبحر ، إلا قطعة مستطيلة في جنوبه ، وتوسع في شرقها ، وفيها هناك متصل أرض فلونيه<sup>(ب)</sup> التي مر ذكرها في الثالث من الإقليم السادس ، وأنها<sup>(ج)</sup> في شماله وفي القطعة من البحر التي تغمر هذا الجزء . ثم في الجانب الغربي منها مستديرة فسيحة ، وتتصل بالبر من باب في جنوبها يفضي إلى بلاد فلونيه<sup>(ب)</sup> . وفي شمالها جزيرة برقاعة<sup>(د)</sup> ، مستطيلة مع الشمال من الغرب إلى الشرق .

(أ) بنقطة مضادة للظاء (ب) كذا في الأصول ، وفي الترجمة (2: 873) فلونيه ، وفي حاشية ل : قلاورية ، وفي منها علامة الإلهاء . والذي مر في الثالث من السادس : بلونيه (ج) ل : فابها (د) كذا في: ع ل ج ي ، وفي ظ : برقاعة ، وعند الإدريسي (2: 949 ، 950 ، 951) : جزيرة رفاغة .

وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ شِمَالُهُ كُلُّهُ مَغْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْحِيطِ مِنَ الْقَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ ، وَجَنُوبُهُ مِنْكَشَفٌ ، وَفِي غَرْبِهِ أَرْضُ فِيمَارِكْ<sup>(أ)</sup> مِنَ التُّرْكِ ، وَفِي شَرْقِهَا بِلَادٌ طَبَسَتْ ، ثُمَّ أَرْضُ رَسْلَانْدَةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا ، وَهِيَ دَائِمَةُ التَّلَوُّجِ ، وَغَمْرَانِهَا قَلِيلٌ . وَتَتَّصِلُ بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ وَالْحَامِسِ مِنْهُ .

5

وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي التَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ ، بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ ، وَتَنْتَهِي فِي / الشَّمَالِ إِلَى قِطْعَةِ الْبَحْرِ الْحِيطِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلٌ قُوقَايَا ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ قَبْلُ . وَفِي التَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مَتَّصِلٌ أَرْضُ الْقَهْمَاتِيَّةِ الَّتِي عَلَى قِطْعَةِ بَحْرِ نِيطَشْ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ ، وَتَنْتَهِي إِلَى بَحِيرَةِ طَرْمِي<sup>(أ)</sup> مِنْ هَذَا الْجُزْءِ ؛ وَهِيَ غَذْبَةٌ ، وَتَتَحَلَّبُ<sup>(ب)</sup> إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ 10 وَالشَّمَالِ . وَفِي شِمَالِ التَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ ، أَرْضُ التَّبَارِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ ، إِلَى آخِرِهِ .

وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ فِي التَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَتَّصِلٌ بِلَادُ الْقَهْمَاتِيَّةِ ، وَفِي وَسْطِ التَّاحِيَةِ بِحِيرَةُ عَقْتُونْ ، غَذْبَةٌ تَتَحَلَّبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي التَّوَاحِيِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لَشِدَّةِ الْبَرْدِ ، إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الْمَصِيفِ . وَفِي شَرْقِ بِلَادِ 15 الْقَهْمَاتِيَّةِ بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ الَّتِي كَانَ مَبْدُوءُهَا فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ ، فِي التَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ

(أ) كُنَا فِي: طَجْ ، وَهُوَ مَا فِي الرَّهْمَةِ 2: 949 ، 951 . وَفِي: ع ل ي: فِيمَارِكْ (ب) ج: تَنْجَلْبُ .

(1) الْإِدْرِيسِي: 2: 957 .

الشمالية من الجزء الخامس منه . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا الجزء بقية أرض بلغار التي كان مبدؤها في الإقليم السادس ، وفي التاحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس منه . وفي وسط هذه القطعة من أرض بلغار ، منعطف نهر أتل<sup>(1)</sup>؛ العطفة<sup>(ب)</sup> الأولى إلى الجنوب كما مرّ. وفي آخر هذا الجزء السادس من شماله جبل 5 قُوفَايا متصل من غربه إلى شرقه .

وفي الجزء السابع من هذا الإقليم في غربه ، بقية أرض بجانك<sup>(1)</sup> من أم الترك . وكان مبدؤها في التاحية الشرقية الشمالية من الجزء السادس قبله<sup>(ج)</sup> ، و<sup>(د)</sup> في التاحية الجنوبية الغربية من هذا الجزء . ويخرج إلى الإقليم السادس فوقه ، وفي التاحية الشرقية ، بقية أرض بسجرت ، ثم بقية الأرض الممتدة إلى آخر الجزء 10 شرقاً . وفي آخر الجزء من جهة الشمال جبل قُوفَايا المحيط<sup>(هـ)</sup> ، متصلاً من غربه إلى شرقه .

وفي الجزء الثامن من هذا الإقليم في الجنوبية الغربية منه ، متصل الأرض الممتدة . وفي شرقها الأرض المحفورة ، وهي من العجائب ؛ حرق عظيم في الأرض ، فسبح الأقطار ، بعيد المهوى ، ممتنع الوصول إلى قعره، يُستدل على / عمرانه بالآخان في النهار ، والثيران بالليل ضيء وتُخفى . وربما رُئي فيها نهْر [157] 15 يشقها من الجنوب إلى الشمال . وفي التاحية الشرقية من هذا الجزء، البلاد

(أ) كنا ضبطت في ل، وفي ع: مائل (ب) ل: التلمة (ج) ل: من قبله (د) سقط واو العطف من: ل (هـ) سقط من: ع: ل.

الخراب المتاخمة للسّد . وفي آخر الشّال منه جبل قُوفايًا متّصلاً من الغرب إلى الشّرق .

وفي الجُزء التاسع من هذا الإقليم في الجانب الغربيّ منه ، بلاد خفشاخ ، وهم قفجق ، يحوزها جبل قُوفايًا حين يتعطف من شماله عند البحر المحيط ، ويُذهب في وسطه إلى الجنوب باحراف إلى الشّرق ، فيخرج في الجُزء التاسع من الإقليم السادس ، ويَمُرُّ مُعترضاً فيه . وفي وسطه هنالك سدّ ياجوج وماجوج وقد ذكرناه . وفي الناحية الشرقيّة من هذا الجُزء أرض ماجوج وراء جبل قُوفايًا على البحر ، قليلة العرض مُستطيلة ، أحاطت به من شرقه وشماله .  
والجُزء العاشر غمره البحر جميعه .

هذا آخر الكلام على الجغرافيا وأقاليمها السّبعة ، [ وهو آخر المقدّمة 10 الثانية ]<sup>(1)</sup> . وفي خُلُق السّماوات والأرض واختلاف الليل والنّهار آياتٌ للعالمين .

(1) من حاشية ل .





## المقدمة الثالثة :

في المعتدل من الأقاليم والمنحرف ، وتأثير الهواء في ألوان البشر ،  
والكثير من أحوالهم

قد بَيَّنَّا أَنَّ المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وَسْطُهُ إِلَى  
[الجانب] <sup>(١)</sup> الشَّامِي ، لإفراط الحَرِّ في الجنوب منه ، والبرْد في الشَّام . ولما كان  
5 الجانيان من الجنوب والشَّام متضادَّين في البرْد والحَرِّ ، وَجَبَ أَنْ تَدْرُجَ الكَيْفِيَّةُ مِنْ  
كُلِّهَا إِلَى الْوَسْطِ ، فَيَكُونُ مَعْتَدلاً ؛ فالإقليم الرَّابِعُ أَغْدَلُ الْعُفْرَانِ ، وَالَّذِي جِيفَانِهِ مِنْ  
الثَّالِثِ وَالْخَامِسِ أَقْرَبُ إِلَى الْاِغْتِدَالِ ، وَالَّذِي يَلِيهَا السَّادِسُ وَالثَّانِي بَعِيدَانِ مِنْ  
الْاِغْتِدَالِ ، وَالْأَوَّلُ وَالسَّابِعُ أَبْعَدُ بِكَثِيرٍ . فلهذا كانت العلوم والصناعات والمباني والملايس  
والأقوات والفواكه ، بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة  
10 مخصصة بالاعتدال ، وسكانها من البشر أَغْدَلُ أَجْسَامًا وَأَلْوَانًا وَأَخْلَاقًا وَأَخْوَالًا .

[57ب] فَتَجِدُهُمْ / عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَاكِينِهِمْ وَمَلَابِسِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ ،  
يَتَجَدُّونَ الْبَيُوتَ الْمُنَجَّدةَ بِالْحِجَارَةِ ، الْمُتَمَقِّمةَ بِالصَّنَاعَةِ ؛ وَيَتَنَاغَّزُونَ فِي اسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ  
وَالْمَوَاعِينِ ، يَذْهَبُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ . وتوجد لديهم المعادن الطبيعية من الذهب

(١) ظ: جانبه .

والفضّة والحديد والثّحاس والرّصاص والقُضدير ، ويتصرّفون في مُعاملاتهم بالتّقذّن والعزّيزين ، ويتعدّون عن الانحراف في عاتّة أحوالهم . وهؤلاء أهلُ المغرب والشّام والعراقين والصّين والسّند ، وكذلك الأندلسُ ومن قُرب منها من الفرنجة والجلالّة ، ومن كان مع هؤلاء أو قريباً منهم في هذه الأقاليم المُغتدلة . ولهذا كان العراق والشّام أعدلُ هذه كلّها ، لأنّها وسَطٌ من جميع الجهات .

وأما الأقاليمُ البعيدةُ من الاعتدال، مثل الأوّل والثّاني والسادس والسّابع، فأهلُها أبعدُ من الاعتدال في جميع <sup>(١)</sup> أحوالهم؛ فبناؤهم بالطّين والقُصب، وأقواتهم من الدّرة والعُشب، ومُلايسهم من أوراق الشّجر يَخْصِفونها عليهم <sup>(ب)</sup>، أو الجلود، وأكثرهم عرايا من اللّباس؛ وفواكِه بلادهم وأدُمها غريّة التّكوين، مائلةٌ إلى الانحراف .  
 10 ومعاملاتهم بغير التقذّن الشّريفين ، من نحاسٍ أو حديدٍ أو جلودٍ يقدّرونها للمعاملات .  
 وأخلاقهم مع ذلك قريبٌ من حُلُق الحيوانات العُجم ؛ حتّى يُثقل عن الكثير <sup>(ج)</sup> من السّودان ، أهلُ الإقليم الأوّل ، أنّهم يَسْكُنون في <sup>(د)</sup> الكهوف والغياض ، ويأكلون العُشب ، وأنّهم مُتَوَحِّشون غير مُسْتَأْنِسِينَ ، وأنّهم يأكلُ بعضُهم بعضاً ، وكذا <sup>(هـ)</sup> الصّقالبة . والسّببُ في ذلك أنّهم لبُغدهم عن الاعتدال يَقرّب غرض أُمزجتهم وأحوالهم <sup>(و)</sup> من غرض الحيوانات العُجم؛ ويَتَعَدُّون عن الإنسانيّة بمقدار ذلك .  
 15 وكذلك أحوالهم في الدّيانة أيضاً؛ فلا يَعرفون بُؤّة ولا يدينون بشريعة، / إلّا من <sup>[١٥٨]</sup> قُرب منهم من جَوانِب <sup>(ز)</sup> الاعتدال، وهو في الأقلّ التّادر ، مثل الحبشة المُجاورين

(١) ل: ستر (ب) ل: و (ج) ل: كبير (د) سقط من ل (هـ) ل: وكذلك (و) كذا في ط. وفي بنية النسخ: وأخلاقهم (ز) سقط من ل .

لِلنَّاسِ ، الثَّانِينَ بِالنُّصْرَانِيَّةِ فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ ؛ وَمِثْلُ أَهْلِ مَالِي ، وَكَوْكَو<sup>(1)</sup> ، وَالتَّكَرُّورِ الْمُجَاوِرِينَ لِأَرْضِ الْمَغْرِبِ ، الثَّانِينَ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ ، يُقَالُ لَهُمْ ذَانُوا بِهِ فِي الْمَائَةِ السَّابِعَةِ ، وَمِثْلُ مَنْ دَانَ بِالنُّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَّمِ الصَّقَالِبَةِ وَالْإِفْرَنْجَةِ وَالتُّرُكِ فِي الشَّامِ . وَمَنْ سِوَى هَؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقَالِيمِ الْمُتَحَرِّفَةِ جَنُوباً وَشَمَالاً ؛ فَالَّذِينَ يَجْهَلُونَ عِنْدَهُمْ ، وَالْعِلْمُ مَقْهُودٌ بَيْنَهُمْ ، وَجَمِيعُ أَخْوَالِهِمْ بَعِيدَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ ، 5 قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ ، ﴿ وَيَخْلُقْ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّحْلِيلِ ، مِنْ آيَةِ 8] .

وَلَا يُفْتَرَضُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بُجُودُ الْيَمَنِ وَخَضِرْمُوتِ وَالْأَخْقَافِ وَبِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا إِلَيْهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ؛ فَإِنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْبَحَارُ مِنْ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ؛ فَكَانَ لِرُّطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي رُّطُوبَةِ هَوَائِهَا ؛ فَتَقْصُ ذَلِكَ مِنَ الْيَمَنِ وَالْإِنْخِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَرُّ ، وَصَارَ 10 فِيهَا بَعْضُ الْإِغْتِدَالِ بِرُّطُوبَةِ الْبَحْرِ .

وَقَدْ تَوَهَّمُ بَعْضُ النَّسَائِينَ ، تَمَنَّى لَا عِلْمَ لَدَيْهِ بِطَبَائِعِ الْكَائِنَاتِ ، أَنَّ السُّودَانَ هُمْ وَلَدُ حَامِ بْنِ نُوحٍ ، اخْتَصَّصُوا بِلَوْنِ السَّوَادِ لِدَعْوَةٍ كَانَتْ<sup>(ب)</sup> مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ ، وَفِيمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الرَّقِّ فِي عَقَبِهِ ؛ وَدَعَاءُ نُوحٍ عَلَى ابْنِهِ حَامٍ قَدْ وَقَعَ فِي التَّوْرَةِ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ السَّوَادِ ، وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ عَبِيدًا لَوْلَدِ إِخْوَتِهِ<sup>(ج)</sup> 15 لَا غَيْرَ . وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ السَّوَادِ إِلَى حَامٍ غَفْلَةٌ عَنْ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهَا فِي الْهَوَاءِ ، وَفِيمَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ . وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنَ شَبَّهَ أَهْلَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ

(1) ضُبِطَتْ فِي لِبْنَةِ تَحْتِ الْكَافِ وَاسْكُونِ عَلَى الْوَاوِ (ب) ع: كَانَتْ عَلَيْهِ (ج) كَذَا فِي ط ، وَحَاشِيَةِ عِ بَحْطِ ابْنِ خَلْدُونِ . وَفِي ل : أَخْوَانِهِ .

/ والثاني من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة بالجنوب ؛ فإنَّ الشمس تُسَامِثُ رؤوسهم مَرَّتَيْنِ في كُلِّ سَنَةٍ ، قَرِيبَةً إِخْدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى ، فَتَطُولُ الْمُسَامَّةُ عَامَّةُ الفصول ، ويكثر الصَّوءُ لِأَجْلِهَا ، وَيُلْجُ الْقَيْظُ الشَّدِيدُ عَلَيْهِمْ ، فَتَسْوَدُّ جُلُودُهُمْ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ. وَنَظِيرُ هَذَيْنِ الْإِفْلَمَيْنِ فِيمَا يُقَابِلُهُمَا مِنَ الشَّمَالِ ، الْإِقْلِيمُ السَّابِعُ وَالسَّادِسُ ، شَمَلُ سَكَّاتِهِمَا أَيْضاً الْبَيَاضُ مِنْ مِزَاجِ هَوَائِهِمْ لِلْبَرْدِ الْمَفْرُطِ بِالشَّمَالِ ؛ إِذِ الشَّمْسُ لَا تَرَالُ 5 بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةِ مَرَأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قَرَبَ مِنْهَا ، \* وَلَا تَرْتَفِعُ إِلَى الْمُسَامَّةِ وَلَا مَا قَرَبَ مِنْهَا<sup>(١)</sup> ، فَيَضَعُفُ الْحَرُّ فِيهَا ، وَيَشْتَدُّ الْبَرْدُ عَامَّةُ الْفُصُولِ ، فَتَبْيَضُّ أَلْوَانُ أَهْلِهَا وَتَنْتَهِي إِلَى الرُّعُورَةِ ، وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَنْتَضِيهِ مِزَاجُ الْبَرْدِ الْمَفْرُطِ ، مِنْ رُزْقَةِ الْعُيُونِ ، وَبَرَشِ الْجُلُودِ ، وَضُهْوَةِ الشَّعُورِ. وَتَوْسُطُ بَيْنَهُمَا الْأَقَالِيمُ الثَّلَاثَةُ<sup>(ب)</sup> ، الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ وَالْخَامِسُ ؛ 10 فَكَانَ لهُمَا فِي الْاِغْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مِزَاجُ الْمُتَوَسِّطِ حَظٌّ وَافِرٌ ، وَالرَّابِعُ أَيْلُغُهُ<sup>(ج)</sup> فِي الْاِغْتِدَالِ ، غَايَةُ لِلنَّهَايَةِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدَّمَاهُ. فَكَانَ لِأَهْلِهِ مِنَ الْاِغْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ مَا اقْتَضَاهُ مِزَاجُ أَهْوِيَّتِهِمْ ، وَتَبِعَهُ عَنْ جَانِبَيْهِ الْخَامِسُ وَالثَّلَاثُ وَإِنْ لَمْ يَلْغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ ، لِمَثَلِ هَذَا قَلِيلاً إِلَى الْجَنُوبِ الْحَارِّ ، وَهَذَا قَلِيلاً إِلَى الشَّمَالِ الْبَارِدِ ؛ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَهِيَا إِلَى الْانْحِرَافِ . وَكَانَتِ الْأَقَالِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُنْحَرِفَةً وَأَهْلُهَا كَذَلِكَ فِي 15 خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ ؛ فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي لِلْحَرِّ وَالسَّوَادِ ؛ وَالسَّادِسُ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالتَّبْيَاضِ . وَسُمِّيَ سُكَّانُ الْجَنُوبِ مِنَ الْإِفْلَمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ، بِاسْمِ الْحَبَشَةِ [وَالزُّنَجِ]<sup>(د)</sup> وَالسُّودَانِ ، أَسْمَاءٌ مُتَرَادِفَةٌ عَلَى الْأُمَّةِ / الْمُتَغَيَّرَةِ بِالسَّوَادِ ، وَإِنْ كَانَ اسْمُ الْحَبَشَةِ مُخْتَصَّصاً مِنْهُمْ بِمَنْ تَجَاءَ [١59]

(أ) سقط ما بين التجميعين من ل (ب) كذا في طه ، وفي بقية النسخ ربيت الأرقام : الخامس والرابع والثالث (ج) ط: أبلغها (د) ط: الجنس .

مَكَّةَ وَالْيَمَنَ، وَالزَّنَجَ مِنْ تَحَاهُ بَحْرُ الْهِنْدِ. وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ لَهُمْ مِنْ حِمَّةٍ أَشْبَاهِهِمْ إِلَى آدَمِيٍّ [أَسْوَدًا]<sup>(١)</sup>، لَا حَامٍ وَلَا غَيْرِهِ. وَقَدْ نَجَدُ مِنَ السُّودَانِ أَهْلَ الْجَنُوبِ مَنْ يَسْكُنُ الزَّائِعَ الْمَعْتَدِلَ أَوْ<sup>(ب)</sup> السَّاعِ الْمُنْحَرِفَ إِلَى الْبَيَاضِ، فَتَنْبِيضُ أَلْوَانِ أَغْفَابِهِمْ عَلَى التَّنْرِيحِ مَعَ الْأَيَّامِ، وَبِالْعَكْسِ فَمِنْ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوْ الزَّائِعِ بِالْجَنُوبِ، فَتَسْوَدُّ أَلْوَانُ أَغْفَابِهِمْ؛ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ • عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ •<sup>(ج)</sup> تَابِعٌ لِمَزَاجِ الْهَوَاءِ.

5 قال ابنُ سينا<sup>(١)</sup> في أَرْجُوزَتِهِ فِي الطَّبِّ :

بِالزَّنَجِ حَرٌّ غَيْرُ الْأَجْسَادَا حَتَّى كَسْنَا جُلُودَهَا سَوَادَا  
وَالصَّقْلَبُ اكْتَسَبَ الْبَيَاضَا حَتَّى غَدَتْ جُلُودَهَا بِيَضَا

وَأَمَّا أَهْلُ الشَّمَالِ، فَلَمْ يُسْمُوا بِاِغْتِبَارِ أَلْوَانِهِمْ، لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوْنًا لِأَهْلِ  
10 تِلْكَ اللَّغَةِ الْوَاضِعَةِ لِلْأَسْمَاءِ، فَلَمْ تَكُنْ فِيهِ غَرَابَةً تَحْمِلُ عَلَى اِغْتِبَارِهِ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُوَافَقَتِهِ  
وَاعْتِيَادِهِ؛ وَوَجَدْنَا سُكَّانَهُ مِنَ الثَّرَكِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَالطُّغْرَعْرِ<sup>(د)</sup> وَالْحَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَثِيرِ مِنَ  
الْفَرَنْجَةِ وَيَا جُوجَ وَمَا جُوجَ، أَمَّا مُتَفَرِّقَةٌ وَأَجْيَالًا مُتَعَدِّدَةٌ مُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءٍ مُتَنَوِّعَةٍ.

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَقَالِمِ الْمَتَوَسِّطَةِ، أَهْلُ الْاِغْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخُلُقِهِمْ وَسِيرِهِمْ،  
وَكَافَّةُ الْأَحْوَالِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْاِغْتِيَارِ، لَأَنَّهُمْ مِنَ الْمَغَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ  
وَالرِّثَاسَاتِ وَالْمُلُوكِ، فَكَانَتْ فِيهِمُ الثَّبُوتَاتُ وَالْمِلَلُ وَالذُّلُوكُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبُلْدَانُ  
15 وَالْأَمْصَارُ وَالْمَبَانِي وَالْغِرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْفَائِئَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُغْتَدِلَةِ. وَأَهْلُ هَذِهِ

(١) سقط من ظ (ب) ل: و (ج) سقط ما بين النجمين من ج (د) كنا ضبطت بالحركات في ل .

(١) من مؤلفات ابن سينا الطبية - القسم الثاني ، الأرجوزة في الطب ، ص 95 (دمشق 1948م) .

الأقاليم الذين وَقَفْنَا على أخبارهم، / مثل الغَرْب والرزوم وفارس وبنِي إسرائيل [59 ب]  
واليونانيين وأهل السُّنْد والصِّين .

ولما رأى النَّسايون اِخْتِلَافَ هذه الأُمِّ بِسمايتها وشعائرها، حَسِبُوا ذلك  
لأَجْلِ الأَنساب؛ فَجَعَلُوا أَهْلَ الجَنوب كُلَّهُم السُّودان من وَلَدِ حام، وازتابوا في  
5 أَلوانهم ، فَتَكَلَّفُوا نَقْلَ تلكِ الحِكَايةِ الواهية ؛ وجعلوا أَهْلَ الشَّمالِ كُلَّهُم أَوْ أَكْثَرَهُم من  
وَلَدِ يَافِث، وَأَكْثَرَ الأُمِّ الْمُتَعَدِّلَةَ وَهْمُ أَهْلِ الوُسْطى، الْمُتَشَجِّلُونَ لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمِلَلِ  
وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمُلْكِ، من وَلَدِ سام .

وهذا الزَّعْمُ وَإِنْ صَادَقَ الْحَقُّ فِي انْتِسَابِ هؤلاء، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِيَاسٍ  
مُطَرَّد، إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَقَاعِ ، لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الجَنوب بالسُّودان وَالْحَبْشَانِ  
10 من أَجْلِ انْتِسَابِهِمْ إِلَى حَامِ الْأَسْوَدِ. وَمَا أَذَاهُمْ إِلَى هَذَا الْغَلَطِ إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّمْيِيزَ  
بَيْنَ الأُمِّ إِنَّمَا يَقَعُ بِالأَنسابِ فَقَطْ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ التَّمْيِيزَ لِلْجِيلِ أَوْ لِلأُمَّةِ، يَكُونُ  
بِالنَّسَبِ فِي بَعْضِهِمْ، كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفَرَسِ، وَيَكُونُ بِالْجِهَةِ وَالسَّمَةِ، كَمَا  
لِلزَّنَجِ وَالْحَبْشَانِ وَالصَّقَالِيَةِ وَالسُّودانِ، وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشَّعَائِرِ مَعَ النَّسَبِ كَمَا  
لِلْعَرَبِ، وَيَكُونُ بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْوَالِ الأُمِّ وَخَوَاصِهِمْ وَمُمَيِّزَاتِهِمْ. فَتَعْمِيقُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ هَذِهِ  
15 مَعِينَةٌ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ ، لَمَّا شَمَلَهُمْ مِنْ لَوْنٍ أَوْ نَحْلَةٍ أَوْ  
سِمَةٍ وَجَدَتْ لَذَلِكَ الْأَبَ؛ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَغَالِيطِ الَّتِي أَوْقَعَ فِيهَا الْعَفْلَةُ عَنْ طَبَائِعِ  
الْأَكْوَانِ وَالْجِهَاتِ، وَأَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا تَتَبَدَّلُ<sup>(1)</sup> فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ اسْتِمْراؤها. سُنَّةُ  
اللهِ فِي عِبَادِهِ، ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الفتح، من الآية 23] .

(1) ل: تَبَدَّلَ .

## المقدمة الرابعة:

### في أثر الهواء في أخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خُلُقِ السُّودَانِ عَلَى الْعُمُومِ، الْحَفَّةَ وَالطَّنِشَ وَكَثْرَةَ الطَّرَبِ؛  
فَتَجِدُهُمْ مَوْلَعِينَ بِالرَّفْصِ عَلَى كُلِّ تَوْقِيعٍ، مَوْصُوفِينَ بِالْحَقِّقِ فِي كُلِّ قُطْرٍ . وَالسَّبَبُ  
الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ ، أَنَّ طَبِيعَةَ / الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ [160]  
إِنْتِشَارُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَتَقَشُّيهِ، وَطَبِيعَةُ الْحُزَنِ بِالْعَكْسِ، وَهِيَ اقْبَاضُهُ وَتَكَثُّفُهُ.  
وَتَقَرَّرُ أَنَّ الْحَرَارَةَ مُفَشِّئَةً لِلْهَوَاءِ وَالْبَخَارِ، مُخَلِّجَةً لَهُ، زَائِدَةً فِي كَيْمِيَّتِهِ. وَلِهَذَا يَجِدُ  
الْمُنْتَشِي مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ؛ وَذَلِكَ بِمَا يَدْخُلُ بُحَارُ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ  
مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُهَا سَوْرَةُ الْحَفْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مِزَاجِهِ ، فَيَتَفَشَّى الرُّوحُ  
وَتَنَجِّي طَبِيعَةُ الْفَرَحِ . وَكَذَلِكَ نَجِدُ الْمُنْتَعِمِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا ،  
وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ بِأَزْوَاجِهِمْ فَتَسَخَّنَتْ لِنَلِّكَ، حَدَّثَ لَهُمْ فَرَحٌ، وَرَبَّمَا انْبَعَثَ  
الكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالْفِئَاءِ النَّاشِيءِ عَنِ السُّرُورِ.

وَلَمَّا كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْإِقْلِيمِ الْحَارِّ، وَاسْتَوْلَى الْحَرُّ عَلَى أَمْرِهِمْ،  
وَفِي أَضَلِّ تَكْوِينِهِمْ <sup>(1)</sup>، كَانَ فِي أَزْوَاجِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَإِقْلِيمِهِمْ ،  
فَتَكُونُ أَزْوَاجُهُمْ بِالْقِيَاسِ إِلَى أَزْوَاحِ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ أَشَدَّ حَرًّا ، فَتَكُونُ أَكْثَرُ 15

(1) ج : تَكْوِينِهِمْ .

تَقَشِّيًّا، فتكون أَسْرَعُ فَرَحاً وَسُروراً وَأَكْثَرُ انْبِسَاطاً<sup>(١)</sup>، وَبِحَيْءِ الطَّيِّشِ عَلَى إِثْرِ هَذِهِ. وَكَذَلِكَ يُلْحَقُ بِهِمْ قَلِيلاً أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ، لَمَّا كَانَ هَوَاؤُهَا مُتَضَاعِفٌ الْحَرَارَةِ بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَيْهِ مِنْ أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشِعَّتِهِ، كَانَتْ حِصَّتُهُمْ مِنْ تَوَائِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْخَفَّةِ مَوْجُودَةً أَكْثَرَ مِنْ بِلَادِ الثَّلُولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ. وَقَدْ نَجَدُ 5 يَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْجَرِيدَةِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّالِثِ، لِتَوَفُّرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا، لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْأَرْيَافِ وَالثَّلُولِ.

وَاعْتَبَرْ ذَلِكَ أَيْضاً بِأَهْلِ مِصْرَ، فَإِنَّهَا فِي مِثْلِ غَرَضِ الْبِلَادِ الْجَرِيدَةِ وَقَرِيباً مِنْهَا، كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمُ وَالْخَفَّةُ وَالْقَفْلَةُ عَنِ الْعَوَاقِبِ؛ حَتَّى إِنَّهُمْ لَا يَذْخَرُونَ أَقْوَاتَ سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ، وَعَامَّةُ مَا كُلُّهُمْ مِنْ أَشْوَاقِهِمْ.

10 وَلَمَّا كَانَتْ فَاسٌ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي الثَّلُولِ الْبَارِدَةِ، كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مُطْرَقِينَ إِطْرَاقَ الْحُزْنِ، وَكَيْفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ؛ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَذْخَرُ<sup>(ب)</sup> أَقْوَاتَ سِنِينَ مِنْ حُبُوبِ الْخِنْطَةِ، / وَيُبَاكَرُ [60ب] الْأَسْوَاقَ لِشِرَاءِ قُوَّتِهِ لِيَنُومَ، مَخَافَةَ أَنْ يَرِزَأَ شَيْئاً مِنْ مُدَّخَرِهِ. وَتَلْبَغُ ذَلِكَ فِي الْأَقَالِيمِ وَالْبُلْدَانِ، تَجِدُ فِي الْأَخْلَاقِ أَثْراً مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ؛ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ.

15 وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ<sup>(١)</sup> لِلنَّبْخِثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خَفَّةِ السُّودَانِ وَطَنِشِهِمْ، وَكَثْرَةِ الطَّرَبِ فِيهِمْ، وَحَاوَلَ تَغْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتِ فِيهِ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ تَقَلَّ عَنْ

(أ) ل: نشاطاً (ب) ل: لِيَذْخَرُ.

(١) مروج الذهب 1: 91 (170 - 171).



جالينوس ويقطوب بن إسحاق الكِنْدِيّ ، أنَّ ذلك لَصَفِّ أَدْمِغَتِهِمْ ، وما نَشَأَ عَنْهُ  
من ضَعْفِ عُقُولِهِمْ . وهذا كلامٌ لا مُحَصِّلَ لَهُ ولا بُرْهَانَ فِيهِ . ﴿واللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 213] .



## المقدمة الخامسة :

في اختلاف أحوال العُمران في الخُصْب والجوع ، وما يَنْشأ  
عن ذلك من الآثار في أبدان البشر وأخلاقهم

- اعلم أنَّ هذه الأقاليم المُتعدِّلة ليس كُلُّها يوجد له الخُصْب، ولا كُلُّ  
سُكَّانها في رُغدٍ من العيش ؛ بل فيها ما يوجد لأهلِه خُصْب العيش ، من الحبوب 5  
والأذم والجِنطة والفواكه ، لزكاء المُنابت ، واعتِدال الطينة ، وفُور العُمران ؛ وفيها  
الأرض الحَرَّة التي لا تُثبت زرعاً ولا عُشْباً بالجِفلة، فسُكَّانها في شَطَطٍ من العيش،  
مثل أهل الجِجاز واليَمَن ، ومثل المُلثَمين من صُنهاجِه ، الساكنين بِصُخراء المَغرب  
وأطراف الرَّمال ، فيما بين البَرزَر والسُودان ، فإنَّ هؤلاء يَفْقِدُون الحبوب والأذم  
جَملةً ، وإنَّما أَغذيتُهم وأقواتُهم الألبان واللُّحومُ؛ ومثل القَرَبِ الجائِلين في القِفار، فإنَّهم 10  
وإن كانوا يأخذون الحبوب والأذم من الثُّلُول، إلَّا أنَّ ذلك في الأحايين وتحت رِقبةٍ  
من حاميَّتها، وعلى الإِفلال، لِقَلَّةِ وَجِدِهِم ، فلا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إلَّا إلى سَدِّ الحَلَّةِ  
ودونها، فَضْلاً عن الرُّغْدِ والخُصْب، وَتَجِدُهُم يَتَصَرَّوْنَ في غالِبِ أحوالهم على  
الألبان، وتَعَوَّضُهُم من الجِنطة أحسنَ مَفاضٍ .
- وَنَجِدُ مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأذم من أهل القِفار أحسنَ حالاً 15  
في جُسُومهم وأخلاقهم من أهل الثُّلُول المُتغَمِّسين في العيش ، فالوَأَئِهِم أَضْفَى ،

وأبدانهم أُنقى ، وأشكالهم أتم وأحسن ، وأخلاقهم / أبعد من الانحراف ، وأذهانهم [161] أهدب في المعارف والإدراكات ؛ هذا أمرٌ تشهدُ له التجربة في كلِّ جيلٍ منهم . فكثيرٌ ما يتن العرب والبربر فيما وصفناه ، ويتن الملتصين وأهل الثلول ؛ يعرف ذلك من خبره . والسبب في ذلك - والله أعلم - أن كثرة الأغذية ورطوباتها تؤلِّد في الجسم رطوبات<sup>(1)</sup> رديئة ، ينشأ عنها بُعد أقطاره في غير نسبة ، وكثرة الأخلاط الفاسدة 5 الغفنة ، ويتبع ذلك انكساف الألوان ، وفتح الأشكال من كثرة اللحم كما قلناه ، وتغطي الرطوبات على الأذهان والأفكار بما يضاعف إلى الدماغ من تأثيرها الرديئة ، فتجيء البَلادة والعَفلة والانحراف عن الاعتدال بالجنفلة .

واختبر ذلك في حيوان القفر ومواطن الجذب ، من الغزال والمها والنعام 10 والزرافة والحمار الوحشية والبقرة ، مع أمثالها من حيوان الثلول والأزياف والمراعي الخصب ، كيف تجد بينها بؤناً بعيداً في صفاء أديمها ، وحسن زونها وأشكالها ، وتناسب أعضائها ؛ وجدة مداركها ؛ فالغزال أخو المغز ، والزرافة أخو البعير ، والحمار والبقرة هو الحمار والبقرة ؛ والبقرة بيننا ما رأيت . وما ذلك إلا لأجل أن الخصب في الثلول قلَّ في أبدان هذه من الفضلات الرديئة والأخلاط الفاسدة ما 15 ظهر عليها أثره ؛ والجوع لحيوان القفر<sup>(ب)</sup> حسن في خلقها وأشكالها ما شاء .

واعتبر ذلك في الادميتين أيضاً ، فإننا نجد أهل الأقاليم المخصبة الغنيش، الكثيرة الزرع والضرع والأدم والفواكه ، يتصف أهلها غالباً بالبلادة في أذهانهم، والخشونة في أجسامهم ، وهذا شأن البربر المنغمسين في الأدم والجنطة، مع

(1) من ظ، وفي بقية الأصول : فضلات (ب) ط وحدها: في حيوان القفر .

المتقشّفين في عَيْشِهِمُ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى الشَّعِيرِ أَوْ الدَّرَّةِ ، مثل المضامِدة منهم وأهل  
 السّوس وغارة؛ فتجد هؤلاء أحسنَّ حالاً في عقولهم وجُسومهم . وكذا أهل بلاد  
 المغرب على الجُمْلَةِ ، / المتقشّسين في الأذم والبَرِّ ، مع الأندلس المفقود بأرضهم [ب 61]  
 السَّمْنُ جُمْلَةً ، وغالب عَيْشِهِمُ الدَّرَّةُ ؛ فتجد لأهل الأندلس من ذكاء العقول ،  
 وخفة الأجسام ، وقبول التعليم ما لا يوجد لغيرهم . وكذا أهل الصّواحي من المغرب 5  
 بالجملة مع أهل الحضر والأنصار ؛ فإنَّ أهل الأنصار وإن كانوا مُكثَرين مثلهم من  
 الأذم ومُخْصَّبين في العَيْشِ ، إلّا أنَّ استعمالهم إيّاها بعد العلاج بالطَّبَخِ ، والتلطيف  
 بما يَخْلُطُونَ معها ، فيذهبُ لذلك غَلْظُهَا وَيَرِقُّ قِوَامُهَا ؛ وعامةُ ما كلهم لُحْمان الضَّانِ  
 والدَّجَاجِ ، ولا يَغْطِطُونَ السَّمْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَذْمِ لِنَفَاهَتِهِ؛ فتقلُّ الرُّطوباتُ لذلك في  
 أَغْذِيَتِهِمْ وَيَحْفَ ما تُؤْذِيهِ إِلَى أَجْسَادِهِمْ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّذِيَّةِ . فلذلك تجدُ جُسُومَ 10  
 أهل الأنصار أطف من جُسُومِ [أهل]<sup>(1)</sup> البادية المُخْشِنِينَ فِي الْعَيْشِ . وكذلك تجدُ  
 الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْجُوعِ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَإِنَّهُمْ لَا فَضْلَاتَ فِي جُسُومِهِمْ غَلِيظَةً وَلَا لَطِيفَةً .

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَثَرَ هَذَا الْخَضْبِ فِي الْبَدَنِ لَيُظْهَرُ حَتَّى فِي [حال]<sup>(ب)</sup> الدِّينِ  
 والعبادة ، فتجدُ الْمُتَقَشِّفِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَالْحَاضِرَةِ ، وَمَنْ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْجُوعِ  
 والتجافي عن الملاذِّ ، أحسنَ ديناً وإقبالاً على العبادة من أهل الترف والخضب ، بل 15  
 بل نجدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ فِي الْمَدَنِ وَالْأَنْصَارِ ، لِمَا يَغْمَحُ مِنَ الشَّوَاوَةِ وَالْعَفْلَةِ الْمُتَّصِلَةِ  
 بِالْإِكْتَارِ مِنَ اللَّحْمَانِ وَالْأَذْمِ وَلُبَابِ الْبَرِّ ، ويختصُّ وجودُ الْفَبَادِ وَالزُّهَادِ لَئِذَاكَ  
 بِالْمُتَقَشِّفِينَ فِي غِذَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبُؤَادِي . وكذلك نجدُ حالَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْوَاحِدَةِ فِي

(1) من ل وحدها (ب) سقط من ظ .

ذلك يختلف<sup>(١)</sup> باختلاف حالها في الشرف والجضب. وكذلك نجد هؤلاء المخصيين العيش المنغمسين في طبيّاته، لا من أهل البادية ولا من أهل الحاضرة والأنصار، إذا نزلت بهم السنون وأخذتهم المجاعات، يسرع إليهم الهلاك أكثر من غيرهم؛ مثل برابرة المغرب، وأهل مدينة فاس ومضر فيما يتلغنا، لا مثل العزب أهل القفر والصخراء، 5 ولا مثل أهل بلاد النخل الذين غالب غنّشهم الثّفر، / ولا مثل أهل إفريقيا لهذا العهد، الذين غالب غنّشهم الشعير والزيت، وأهل الأندلس الذين غالب غنّشهم الذرة والزيت؛ فإن هؤلاء وإن أخذتهم السنون والمجاعات، فلا تنال منهم ما تنال من أولئك، ولا يكثر فيهم الهلاك بالجوع بل ولا يتدّر. والسبب في ذلك - والله أعلم - أن المنغمسين في الجضب، المعتودين للأذم والسفن خصوصاً، 10 تتكسّب معاهم من ذلك رطوبة فوق رطوبتها الأصلية المزاجية حتى تجاوز حدّها؛ فإذا خولف بها العادة بقلة الأقوات، وفقدان الأذم، واستعمال الحشيش غير المألوف من الغذاء، أسرع إلى المعنى الثّيس والاكماش، وهو عضو ضعيف في الغاية، ولهذا عدّ في المقاتل، فيسرع إليه المرض، ويهلك صاحبه بسرعة. فلهذا يكون في المجاعات إمّا قتلهم الشّع المعتاد السابق، لا الجوع اللاحق. وأما المعتودون للقيمة وثرك 15 الأذم والسفن، فلا تزال رطوبتهم الأصلية واقفة عند حدّها من غير زيادة، وهي صالحة على جميع الأغذية الطبيعية، فلا يقع في معاهم تبدل الأغذية يئس ولا انحراف، فيسلمون في الغالب من الهلاك الذي يعرض لغيرهم بالجضب وكثرة الأذم في المأكّل.

(١) ل: مختلف .

وأضل هذا كله ، أن تعلم أن الأغذية وإيلافها أو تزكها ، إنها هو بالعادة ،  
 فمن عود نفسه غذاء ولائمة تناوله كان له مألوفاً ، وصار الخروج عنه والتبدل به  
 داء ، ما لم يخرج عن عرض الغذاء بالجفلة ، كالشموم واليتوع<sup>(١)</sup> وما أفرط في  
 الانحراف. فأتما ما وجد فيه التغذي والملاءمة فيصير غذاء مألوفاً بالعادة . فإذا  
 أخذ الإنسان نفسه باستعمال اللبن والنقل عوضاً من الخنطة حتى صار له ذبذنا ،  
 فقد حصل له ذلك غذاء ، واستغنى به عن الخنطة والحبوب من غير شك ؛ وكذا  
 من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام ، كما يُثقل عن أهل  
 الرياضات ؛ فإننا نسمع عنهم في ذلك أخباراً غريبة / يكاد يُنكرها من لا يعرفها . [62 ب]  
 والسبب في ذلك العادة ؛ فإن النفس إذا ألفت شيئاً صار من [جبلتها]<sup>(ب)</sup> وطبيعتها  
 لأنها كثيرة التلون ، فإذا حصل لها<sup>(ج)</sup> اعتياد الجوع بالتدرج والرياضة ، فقد حصل  
 ذلك عادةً وطبيعة لها . وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما  
 يتوهمونه ، إلا إذا حملت النفس عليه دفعة وقُطع عنها الغذاء بالكلية ، فإنه حينئذ  
 يتحسّم المعنى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك . وأما إذا كان ذلك تدريجاً  
 ورياضةً بإقلال الغذاء شيئاً فشيئاً ، كما يفعله المتصوفة ، فهو بمنزلة عن الهلاك .  
 وهذا التدرج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة؛ فإنه إذا رجع إلى الغذاء  
 الأول دفعة خيف عليه الهلاك . وإنما يرجع به كما بدأ في الرياضة بالتدرج . ولقد  
 شاهدنا من يضرب على الجوع أربعين يوماً وضالاً وأكثر . وخضر أشياخنا في دولة  
 السلطان أبي الحسن ، وقد رفع إليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورؤدة ،

(١) في ل أنها بضم الياء المتانة من تحت (ب) ع ل ي . وفي ط ج ومتن ع قبل الإصلاح : خلفها (ج) ل : له .

حَبَسْنَا أَنْفُسَهُمَا عَنِ الْأَكْلِ جَمَلَةً مِنْذُ سِنِينَ ، وَشَاعَ أَمْرُهَا وَوَقَعَ اخْتِبَارُهَا فَصَحَّ شَأْنُهَا ، وَاتَّصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهَا إِلَى أَنْ مَاتَتْ . وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَتَّقِصَّرُ عَلَى حَلِيبِ شَاةٍ مِنَ الْمَغْزَى يَلْتَقِمُ ثَدْيَهَا فِي بَعْضِ النَّهَارِ أَوْ عِنْدَ الْإِفْطَارِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ غِذَاءَهُ ؛ وَاسْتَدَامَ ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ ، وَلَا نُسْتَشْكِرُهُ <sup>(١)</sup> ذَلِكَ . 5

وَاعْلَمْ أَنَّ الْجُوعَ أَضْلَحَ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْثَارِ الْأَغْذِيَةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ ، أَوْ عَلَى الْإِفْلَاقِ مِنْهَا ، وَأَنَّ لَهُ أَثَرًا فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صِفَاتِهَا وَضَلَاحِمَا كَمَا قُلْنَا .

وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بَنَاتِ الْأَغْذِيَةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجُسُومِ ؛ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُسْتَغْنِينَ 10  
بَلُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْفَاحِشَةِ الْعَظِيمَةِ الْجَنَانِ ، تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ . وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَاضِرَةِ . وَكَذَا الْمَتَغَنِّدُونَ بِالْبَلْبَانِ الْإِبِلِ / وَلُحُومِهَا أَيْضًا ، مَعَ مَا [١63]  
يُؤَثِّرُ فِي أَخْلَاقِهِمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالِاخْتِمَالِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى خَلِّ الْأَثْقَالِ كَمَا هُوَ لِلْإِبِلِ ، وَتَنْشَأُ مَعَهُمْ أَيْضًا عَلَى نِسْبَةِ يَمَقِ الْإِبِلِ فِي الصَّحَّةِ وَالْقِلَظِ ، فَلَا يَطْرُقُهَا الْوَهْنُ وَلَا الضَّعْفُ ، وَلَا يَنَالُهَا مِنْ مَضَارِّ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرَهُمْ ، فَيَشْرِبُونَ الْيَتُوعَاتِ 15  
لِاسْتِطْلَاقِ بَطُونِهِمْ غَيْرَ مُحْجُوبَةٍ ، كَالْحَنْظَلِ قَبْلَ نُضْجِهِ ، وَالذُّرْيَاسِ وَالْفِرْزِيِّينَ ، وَلَا يَنَالُ مِعَاهُ مِنْهَا ضَرَرٌ . وَهِيَ لَوْ تَنَاوَلَهَا أَهْلُ الْحَضَرِ الرَّقِيقَةُ مِعَاهُ مَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ الْهَلَاكُ أَسْرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْغَيْنِ ، لَمَّا فِيهَا مِنَ السُّمِّيَّةِ .

(١) ط ع ي ج ، وفي ل : يستكرون .



ومن تأثير الأغذية في الأبدان ما ذكره أهل الفلاحة وشاهد أهل التجربة،  
أن الدجاج إذا عُدِّت بالحبوب المطبوخة في بعر الإبل ، واتَّخَذَ بَيْضُهَا ثم حُصِّنَتْ  
عليه ، جاء الدجاج منها أعظم ما يكون . وقد يستغنون عن تغذيتها وطبخ الحبوب  
بطرح ذلك البعر مع البيض المَحْضَن ، فيجئ دجاجها في غاية العظم ، وأمثال ذلك  
كثير . فإذا رأينا هذه الآثار من الأغذية في الأبدان ، فلا شك أن للجوع أيضاً آثاراً 5  
في الأبدان ؛ لأنَّ الصَّدَيْن على نسبة واحدة في التأثير وعَدَمِهِ ، فيكون تأثير الجوع  
في نَقَاء الأبدان من الزيادات الفاسدة والرطوبات المختلطة المَجَلَّة بالجِسم والعقل ،  
كما كان الغذاء مؤثراً في وجود ذلك للجِسم . والله محيطٌ بعلمه .



## المقدمة السادسة :

في أصناف المذكرين للغيب من البشر بالفطرة أو بالرِّياضة ،  
ويتقدّمه الكلام في الوحي والرُّؤيا

اعلم أنّ الله سبحانه اصطفى من البشر أشخاصاً فضّلهم بحُطابه ، وقطّره  
على مغرفته ، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده ، يُعرفونهم بمصالحهم ، ويخصّصون<sup>5</sup> على  
هدايتهم ، ويأخذون بحُجزاتهم عن التار ، ويدلّونهم على طريق التجارة . وكان فيما  
[يلقيه]<sup>(1)</sup> إليهم من المعارف ، / ويظهره على ألسنتهم من الخوارق ، الإخبار بوقوع  
الكائنات المغيّبة عن البشر ، التي لا سبيل إلى معرفتها إلّا من الله بوساطتهم ، ولا  
يُعلّمونها إلّا بتعليم الله إياهم . قال ﷺ<sup>(1)</sup> : "ألا وإني لا أعلم إلّا ما علّمني الله".  
واعلم أنّ خبرهم في ذلك من خاصّيته وضرورته الصّدق؛ لما يتّين لك عند<sup>10</sup>  
بيان حقيقة النبوة .

(1) من عل ج ي ، وفي ظ: يلقى .

(1) ابن جبران : التفات : 2 : 94 ، ابن القيم : زاد المعاد : 3 : 533 .

وعلامه هذا الصنف من البشر، أن يوجد لهم في حال الوحي غيبته عن الحاضرين مع غطيط، كأنها غشي أو إغماء في رأي العين، وليس منها في شيء؛ وإنما هي الحقيقة استغراق في لقاء الملك الزوحي بإذراكهم المناسب لهم، الخارج عن مدارك البشر بالكلية. ثم ينزل إلى المدارك البشرية، إما بسماع ذوي الكلام فيفهمه؛ أو يتمثل له صورة شخص مخاطبه بما جاء به من عند الله. ثم تتجلي عنه تلك الحال وقد وعى ما ألقى عليه. قال رسول الله ﷺ، وقد سئل عن الوحي<sup>(1)</sup>: "أحياناً يأتيني مثل ضلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفضم عني وقد وعيت ما قال؛ وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول". ويذكره أثناء ذلك من الشدة والغطاء ما لا يُعبر عنه. ففي الحديث<sup>(2)</sup>: كان مما يعالج من التنزيل شدة. وقالت عائشة<sup>(3)</sup>: كان يترل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفضم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً. وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ لَوْلَا تَهَيَّأَ﴾ [سورة المزمل، الآية 5]. ولأجل هذه الحالة في تزل الوحي، كان المشركون يزعمون الأنبياء بالجنون، ويقولون: له ربي أو تابع من الجن. وإنما لبس عليهم بما شاهدوه من ظاهر تلك الحال ﴿ومن يضلِّلِ اللهُ فما لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر، من الآية 36].

(1) ل: يتمثل.

(1) أخرجه البخاري 2: 2 (2) من حديث عائشة، وهو في الموطأ (رقم 542 رواية الليثي)  
(2) هذا قول ابن عباس، وهو في البخاري، في التوحيد 1: 4 (5) وفي التفسير 6: 202 (4927) و(4928)  
(3) وفي فضائل القرآن 6: 240 (5044) وفي التوحيد 9: 187 (7524). وهو في الصلاة من صحيح مسلم (448).

(3) قطعة من حديث أخرجه البخاري 2: 1 (2) من حديث عائشة.

ومن علاماتهم أيضاً، أنه يوجد لهم قَبْل الوُحْي خُلُق الحَيَر والزَّكَاة، ومُجَابَنَةُ المَذْمُومَاتِ والرَّجْسِ أُنْجَع؛ وهذا هو مَعْنَى العِصْمَةِ. وكأنه مَقْطُور على التَّزَهُ عن المَذْمُومَاتِ والمُنَافَرَةِ لها و / كأنها منافيةٌ لِحِلَّتِهِ. وفي الصَّحِيح<sup>(1)</sup> : أنه حَلَّ الجِجَارَةَ وهو غِلَامٌ مع عَمِّه العَبَّاسِ لِبِنَاءِ الكَعْبَةِ، فَعَمَلَهَا فِي إِزَارِهِ ، فَانْكَشَفَ فَسَقَطَ مَغْشِيَتاً عَلَيْهِ ، حَتَّى اسْتَشَرَّ بِإِزَارِهِ. وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعِ لَوْلِيَةٍ، وَفِيهَا عُرْسٌ وَلَعِبٌ، فَأَصَابَهُ 5 عَشِي التَّوَمَ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَلَمْ يَحْضُرْ شَيْئاً مِنْ شَأْنِهِمْ؛ بَلْ تَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِحِلَّتِهِ، حَتَّى إِتَمَّ لِيَتَزَّهَهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ. فَقَدْ كَانَ ﷺ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَلَا التَّوَمَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ<sup>(2)</sup> : "إِنِّي أَنَا حِي مِنْ لَا تَنَاجُونَ". وَانْظُرْ لِمَا أَخْبَرَ<sup>(3)</sup> النَّبِيُّ ﷺ خَدِيجَةَ بِحَالِ الْوُحْيِ أَوَّلَ مَا فَجَّاهُ وَأَرَادَتْ اخْتِيَارَهُ، فَقَالَتْ: 10 اخْغَلِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ ثَوْبِكَ؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ؛ فَقَالَتْ: إِنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيْطَانٍ؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ. وَكَذَا سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا، فَقَالَ<sup>(4)</sup> : "الْبَيَاضُ وَالْحَضْرَةُ"، فَقَالَتْ: إِنَّهُ الْمَلَكُ؛ بِمَعْنَى أَنَّ الْحَضْرَةَ وَالْبَيَاضَ مِنْ أَلْوَانِ الْخَيْرِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالسَّوَادَ مِنْ أَلْوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ .

(1) هَذَا حَدِيثَانِ، الْأَوَّلُ مِنْهَا، وَهُوَ قِصَّةُ الْإِزَارِ، فِي الصَّحِيحَيْنِ: الْبُخَارِيُّ 2: 179 (1582) وَمُسْلِمٌ (340)، وَالثَّانِي أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعِ لَوْلِيَةٍ، جَاءَ فِي سِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ 2: 56 (حَمِيدُ اللَّهِ) وَعَنْهُ الرُّوسُ الْأَنْفَ 1: 295، وَكُتِبَ الْاِكْتِفَاءُ لِلْكَلاَعِيِّ 1: 151 .

(2) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (564) مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، وَهُوَ فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ 3: 387 وَمُسْنَدِ الْحَمِيدِيِّ (1278) وَ (1299) .

(3) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامَ 1: 338، ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: الْاِسْتِيعَابَ 2: 182، الذَّهَبِيُّ: سِيرُ أَعْلَامِ الْبُلَاءِ 2: 116 .

(4) لَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ .

ومن علاماتهم أيضاً ، دُعَاؤُهُمْ إلى الدِّينِ والعبادة ، من الصَّلَاةِ والصَّدَقَةِ والعَافِ . وقد اسْتَدَلَّتْ خَدِيجَةُ عَلَى صِدْقِهِ ﷺ بذلك ، وكذلك أَبُو بَكْرٍ ، ولم يَحْتَاجَا في أمرِهِ إلى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنْ حَالِهِ وَخُلُقِهِ . وفي الصَّحِيح<sup>(1)</sup> : أَنَّ هِرْزَلًا حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ ، أَخْضَرَ مِنْ وَجْدٍ بِنَلْدِهِ مِنْ قُرَيْشٍ ، وفيهِمْ أَبُو سُفْيَانٍ ، لَيْسَ أَلْهَمَ عَنْ حَالِهِ ، فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ : بِمَ يَأْمُرُكُمْ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانٍ : بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعَفَاةِ ، إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ ؛ فَقَالَ : إِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ حَقًّا ، إِنَّهُ نَبِيٌّ ، وَسَتَمُتُكَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ . وَالْعَفَاةُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرْزَلٌ هُوَ الْعِصْمَةُ . فَانْظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْعِصْمَةِ وَالدَّعَاءِ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ النُّبُوَّةِ ، وَلَمْ يَخُتِجْ إِلَى مُعْجَزَةٍ ، قَدْ لُغِيَ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ .

- 10 / ومن علاماتهم أيضاً ، أَنْ يَكُونُوا ذَوِي حَسَنِ فِي قَوْمِهِمْ ، وفي (64 ب) الصَّحِيح<sup>(2)</sup> : مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ؛ وفي رواية أُخْرَى : فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ ؛ وَاسْتَنْدَرَكَهُ الْحَاكِمُ<sup>(3)</sup> عَلَى الصَّحِيحَيْنِ . وَ فِي مُسَاءَلَةِ هِرْزَلٍ لِأَبِي سُفْيَانَ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيح<sup>(4)</sup> ، قَالَ : كَيْفَ هُوَ فَيْكُمْ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : هُوَ فِينَا ذُو حَسَنِ ؛ فَقَالَ هِرْزَلٌ : وَالرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَخْسَابِ قَوْمِهَا . وَمَغْنَاهُ ، أَنْ يَكُونَ لَهُ عَصِيَّةٌ وَشَوْكَةٌ تَنْفَعُهُ مِنْ أَذَى الْكُفَّارِ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ ، وَيَتِمَّ مُرَادُ اللَّهِ فِي إِكْبَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ . 15

(1) أخرجه البخاري 1: 6-5 حديث رقم (7) .

(2) هذا الحديث خاص بالأنبياء ، والمحفوظ فيه : "في ثروة من قومه" والثروة العدد الكثير ، وهو معنى المنفعة . أخرجه الطبري في تفسيره 12: 88 والمحاكم : 2: 561 من حديث أبي هريرة ، وابن جبران في صحيحه (6207) (6206) .

(3) المستدرک 2: 561 .

(4) أخرجه البخاري 1: 6 حديث (7) .

(١) ومن غلاماتهم أيضاً ، وقوْعُ الخوارق لهم شاهدةٌ بِصدفهم ، وهي أفعالٌ يَعْجِزُ البشرُ عن مثْلِها ، فَسُمِّيتْ لذلك مُعْجِزةً ، وَلَيْسَتْ من جِنْسِ مَقْدُورِ العباد ، وَإِنَّمَا تَنَقَّعُ في غَيْرِ محلٍّ قُدْرَتُهُمْ<sup>(ب)</sup> ، وَلِلتَّاسِ في كَيْفِيَّةِ وَقُوعِها ودِلالاتِها على تَصْدِيقِ الأنبياءِ خِلَافٌ .

فالمُتَكَلِّمون بناءً على القَوْلُ بالفاعلِ المُخْتار ، قائلون بأنَّها واقِعَةٌ بِقُدْرَةِ الله 5 لا بِفِعْلِ التَّبَيِّ ، وإن كانت أفعالُ العباد عند المُعْتَزلة صادرةً عنهم ، إلَّا أنَّ المُعْجِزةَ لا تكون من جِنْسِ أفعالهم . وليس للتَّبَيِّ فيها عند الجميع<sup>(ج)</sup> إلَّا التَّحْدِي بها بإذنِ الله ، وهو أن يَسْتَدِلَّ بها التَّبَيُّ قَبْلَ وَقُوعِها على صِدْقِهِ في مُدَّعَا ، فَتَنْزِلُ مَنْزِلَةَ القَوْلِ الصَّرِيحِ من الله بأنه صادق ، وتكون دِلالاتُها على الصِّدْقِ قَطْعيَّةً . فالمعْجِزةُ الدَّالةُ بمجموعِ الحارقِ والتَّحْدِي ، ولذلك كان التَّحْدِي جُزْءاً منها ، وعبارَةُ المتكلمين : صِفَةُ 10 نَفْسِها ، وهو واجِدٌ ، لأنَّه مَعْنَى النَّاتِي عِنْدَهُمْ .

والتَّحْدِي هو الفارِقُ بَيْنَها وبين الكَرَامَةِ والسَّخَرِ ، إذ لا حاجةَ فيها إلى التَّصْدِيقِ ، فلا وُجُودَ للتَّحْدِي إلَّا إن وُجِدَ اتِّفَاقاً . وإن وَقَعَ التَّحْدِي في الكَرَامَةِ عند مَنْ يُجِيزُها ، وكانتْ لها دِلالةٌ ، [فإنَّما]<sup>(د)</sup> هي على الولاية وهي غَيْرُ التَّبَوُّةِ . ومن هنا منع الأستاذُ أبو إِسْحاقَ وَغَيْرُهُ وَقُوعَ الخوارقِ كَرَامَةً ، فَراراً من الالْتِباسِ بالتَّبَوُّةِ عند 15 التَّحْدِي بالولاية . وقد أَرَبْنَاكَ المِغَايِرَةَ بَيْنَها ، وَأَنَّهُ يَتَّخِذُ بغيرِ ما يَتَّحَدَى بِهِ النَّبِيُّ ، فلا لُبْسٍ ؛ على أَنَّ الثَّقَلَ / عن الأستاذ<sup>(هـ)</sup> ليس صريحاً ، وَربَّما حُجِّلَ على إنكارِ أن تقع خوارقُ الأنبياءِ لهم بناءً على اخْتِصاصِ كُلِّ من الفريقَيْنِ بِخَوَارِقِهِ .

(أ) من هنا تبدأ زُرْقَةُ مُصَافَاةٍ بِضَفْحِها بِخطِ ابنِ خَلِّبُونَ في الشُّنْحَيْنِ ع ي . وهي مُدرِجَةٌ في ط ل ج (ب) ي : الشُّنْرةُ (ج) ي وسدّها: عند المتكلمين (د) ط : وإِنَّمَا (هـ) في ي : الأستاذ في ذلك .

وأما المُعْتَرِلة فالمانع من وقوع الكرامة عندهم أَنَّ الخوارق لَيْسَتْ من أفعال العباد ، وأفعالهم مُعْتَادَة ، فلا خارق . وأما وقوعها على يَدِ الكاذب تَلْيِيساً ، فهو مُحالٌ .

أما عند الأشعرية فلأنَّ صِفَةَ نَفْسِ المُعْجَزة التَّصَدِيقُ والهِدَايَةُ ، فَلَوْ وَقَعَتْ بخلاف ذلك انْقَلَبَ الدَّلِيلُ شُبْهَةً ، والهِدَايَةُ ضَلَالَةً ، وأقولُ : والتَّصَدِيقُ كَذِباً ، واشتَحَلَتْ الحَقَائِقُ ، وانْقَلَبَتْ صِفَاتُ النَّفْسِ ؛ وما يُلْزَمُ من فَرَضِ وَقُوعِ المُحَالِ لا يكون مُمَكِّناً . وأما عند المُعْتَرِلة فلأنَّ وَقُوعَ الدَّلِيلِ شُبْهَةً والهِدَايَةُ ضَلَالَةً ، قَبِيحٌ ، فلا يَقَعُ من الله .

وأما الحكماء ، فالخارقُ عندهم من فِعْلِ النَّبِيِّ ، ولو كان في (1) غير محلِّ 10  
الْقُدْرَةِ ، بناءً على مذهبهم في الإيجاب الثاني . ووقوعُ الحوادث بغضها عن بغض ، متوقَّفٌ على الشُّرُوطِ والأَسْبَابِ الحَادِثَةِ ، مُسْتَنَدَةٌ أخيراً إلى الواجب بالذات الفاعِل بالذات (ب) لا بالاختيار ، وأنَّ النَّفْسَ التَّبَوِيَّةَ عندهم لها خواصُّ ذاتية ، منها صدور هذه الخوارق بِقُدْرَتِهِ وطاعةِ العناصر له في التَّكْوِينِ . والثَّانِي عندهم مُجْبُولٌ على التَّضَرُّفِ في الأَكْوَانِ متى تَوَجَّهَ إليها ، واستَخْمَعَ لها بما جعل الله له من ذلك . 15  
والخارقُ عندهم يَقَعُ لِلنَّبِيِّ ، كان التَّحَدِّيُّ أو لم يَكُنْ ، وهو شاهدٌ بصدقه من حيث دِلَالَتُهُ على تَصَرُّفِ النَّبِيِّ في الأَكْوَانِ الَّذِي هو من خَوَاصِّ النَّفْسِ التَّبَوِيَّةِ ، لا بآتِهِ يَتَنَزَّلُ مُنْزَلَةَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بالتَّصَدِيقِ . فلذلك لا تكون دِلَالَتُهَا عندهم قِطْعِيَّةً كما هي عند المتكلمين ، ولا يكون التَّحَدِّيُّ جُزْءاً من المُعْجَزة ، ولم يصحَّ فارقاً لها عن

(1) ع: ج: على (ب) مذكورة في ع ج ل ط: واثبتت في ي بخط ابن خلدون في الورقة المضافة ، ثم شطبها .



السَّخَرُ وَالْكَرَامَةُ . وفَارَقُهَا عندهم عن السَّخَرِ ، أَنَّ التَّيَّ مَجْبُولٌ عَلَى أَفْعَالٍ <sup>(أ)</sup> الْحَيَرُ ،  
 مصروفٌ عن أَفْعَالِ الشَّرِّ ، / فلا يَلِمُ الشَّرُّ بِخَوَارِقِهِ . والتَّسَاخَرُ عَلَى الصَّدِّ ؛ فافْعَالُهُ <sup>(ب)</sup>  
 كُلُّهَا شَرٌّ وَفِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ . وفَارَقُهَا عن الكرامة أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مَخْصُوصَةٌ ،  
 كَضَعُودِ السَّمَاءِ ، والتَّفَوُّذِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ ، وإخْيَاءِ الْمَوْتِ ، وَتَكْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ ؛  
 وَالطَّيْرَانِ فِي الْهَوَاءِ . وخَوَارِقُ الْوَلِيِّ دُونَ ذَلِكَ ، كَتَكْثِيرِ الْقَلِيلِ ، والحَدِيثِ عَنْ بَعْضِ 5  
 الْمُسْتَقْبَلِ ، وَأَمثَالِهِ تَمَّا هُوَ قَاصِرٌ عَنْ تَضَرُّفِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَأْتِي التَّيَّ بِمِثْلِ خَوَارِقِهِ ، وَلَا  
 يَقْدَرُ هُوَ عَلَى مِثْلِ خَوَارِقِ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَقَدْ قَرَّرَ ذَلِكَ الْمُتَصَوِّفُ فِيمَا كَتَبُوهُ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
 وَتَقْلَوهُ عَنْ مَوَاجِدِهِمْ .

وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ الْمُعْجَزَاتِ وَأَشْرَفَهَا وَأَوْضَحَهَا دَلَالَةُ ، الْقُرْآنِ  
 الْكَرِيمِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِقَ فِي الْغَالِبِ تَقَعُ مُغَايِرَةً لِلْوَحْيِ 10  
 الَّذِي يَتْلَقَاهُ النَّبِيُّ وَتَأْتِي بِهِ الْمُعْجَزَةُ شَاهِدَةً ، وَهَذَا ظَاهِرٌ ؛ وَالْقُرْآنُ هُوَ بِنَفْسِهِ الْوَحْيُ  
 الْمَدْعَى ، وَهُوَ الْخَارِقُ الْمُعْجَزُ ؛ فِدِلَالَتُهُ <sup>(ج)</sup> فِي عَيْنِهِ ، وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ أَجْنَبِيٍّ عَنْهُ  
 كَسَائِرِ الْخَوَارِقِ مَعَ الْوَحْيِ ؛ فَهُوَ أَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِاتِّحَادِ الدَّلِيلِ وَالْمَذْلُولِ فِيهِ . وَهَذَا مَعْنَى  
 قَوْلِهِ ﷺ <sup>(أ)</sup> : " مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَأُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ؛  
 وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحْيًا أَوْحَى إِلَيَّ . فَنَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ " . 15  
 يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُعْجَزَةَ مَتَى كَانَتْ بِهَذِهِ الْمُنَاطَبَةِ فِي الْوُضُوحِ وَقُوَّةِ الدَّلَالَةِ ، وَهُوَ كَوْنُهَا

(أ) ل : فعل (ب) في ظ : أفعله ، بدون عطف (ج) كذا في ظ ل ج ع ، وفي ي : ومقاصده .

(1) أخرجه البخاري في فضائل القرآن من صحيحه 6: 224 حديث (4981) وفي الاعتصام 9: 113 حديث (7274) ومسلم في الإيمان 152 .

نفس الوحي، كان المصدّق لها أكثر، لوضوحها ، فكثُر المصدّق المؤمن ، وهم التابع والأمة . والله تعالى أعلم <sup>(1)</sup> .

ولنذكر الآن تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين ، ثم نذكر حقيقة الكهانة، ثم الرؤيا، ثم شأن العزافين، وغير ذلك من مدارك الغيب، فنقول:

- 5 اعلم ، أرسدنا الله وإياك، آنا نشاهد هذا العالم بما فيه من المخلوقات كلها على هيئة من الترتيب والإحكام ، / ورُبط الأسباب بالمتبّيات ، واتصال الأكوان [166] بالأكوان ، واستطالة بغض الموجودات إلى بغض ، لا تنقضي عجايبه في ذلك ولا تنتهي غاياته. وأبدأ من ذلك بالعالم المَحسوس الجسديّ، وأولاً: عالم العناصر المشاهدة كيف تدرج صاعداً من الأرض إلى الماء ، ثم إلى الهواء، ثم إلى النار، متصلاً بعضها 10 بتغض، وكل واحد منها مستعد أن يشتحيل إلى ما يليه صاعداً وهابطاً، ويستحيل بعض الأوقات . والصاعد منها أَلطَفُ ممّا قبله ، إلى أن ينتهي إلى عالم الأفلاك ، وهي أَلطَفُ من الكلّ ، وعلى طبقات ؛ اتصل بعضها بتغض على هيئة لا يُدرك الحس منها إلا الحركات فقط، وبها يهتدي بغضهم إلى معرفة مقاديرها وأوضاعها، وما بتد ذلك من وجود الذوات التي لها هذه الآثار فيها. ثم انظر إلى عالم التكوين 15 كيف ابتدأ من المعادن، ثم التّبات، ثم الحيوان، على هيئة بدیعة من التدرج؛ آخر أفق المعادن متصل بأول أفق التّبات، مثل الحشائش وما لا يُدر له؛ وآخر أفق التّبات مثل التخل والكرم، متصل بأول أفق الحيوان كالحلزون والصّدف ، لم توجد

(1) إلى هنا ينهي النص بخط ابن خلدون في نشأته ع ي. ونقله بقية النسخ .

لها إلا قُوَّة اللَّفْس فَقَط . ومعنى الاتصال في هذه المكوّنات ، أن آخر أَفْقٍ منها مستعدّ بالاستعداد القريب لأن يصير أول أَفْقٍ من الذي بعده . واتَّسع عالم الحيوان وتعدّدت أنواعه ، وانتهى في تدرّج<sup>(١)</sup> التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والرؤية ، يرتفع إليه من عالم القردة<sup>(ب)</sup> الذي استُجمع فيه الكينس والإدراك ، ولم ينته إلى الرؤية والفكر بالفعل ، وكان ذلك في أول أَفْقٍ من الإنسان بعده ، وهذا غاية شهودنا .

5

[66ب] ثم إنّنا نجد في العوالم على اختلافها آثاراً مُتنوّعة ، ففي عالم الحس آثار من حركة الأفلاك والعناصر ، / وفي عالم التكوين آثار من حركات الثمّ والإدراك ، تشهد كلّها بأن لها مؤثراً مَبِيناً للأجسام . فهو روحانيّ ومُتصل بالمكوّنات ؛ لوجود اتصال هذه العوالم في وجودها ، وذلك هو النفس المُدرّكة والحركة . ولا بدّ فوقها من مَوْجود آخر يغطّيها قُوّة الإدراك والحركة ، ويتصل بها أيضاً ، وتكون ذواته إدراكاً صرفاً وتعلّلاً مَخْصُصاً ، وهو عالم الملائكة<sup>(ج)</sup> . فوجب من ذلك أن يكون للنفس استعداداً للانسلاخ من البشريّة إلى الملائكيّة<sup>(د)</sup> ، لتصير<sup>فعل</sup> بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من الأوقات وفي لفحة من اللّمحات ؛ وذلك بعد أن تتخلّل ذاتها التزوحيّة بالفعل ، كما نذكره بعد ، ويكون لها اتصال بالأفق الذي بعده ، شأن الموجودات المُرتّبة كما قدّمناه ، فلها في الاتصال جهتا العلوّ والسفل ، هي مُتصلة [بالنبتن من] <sup>(١)</sup> أسفل منها ، ومُكتسبة به المدارك الحسيّة التي يُستعدّ بها للحصول على التعلّل بالفعل ؛ ومُتصلة من جهة الأعلى منها بأفق الملائكة<sup>(هـ)</sup> ومُكتسبة فيه المدارك العلميّة

15

معلوم غريب  
لأنه لا يربط عليه

(١) ل : تدرّج (ب) كذا في الأصول المخطوطة المحسة (ج) ع : ل : الملائكة (د) كذا في ج ل ع ي ، وفي ظ وحدها :  
بالذي (هـ) ل : الملائكة .

والغيبية، فإنَّ عِلْمَ الحوادث موجودٌ في [ذواتهم]<sup>(1)</sup> من غير زمان . وهذا على ما قدَّمناه من الترتيب المُحكَّم في الوجود باتِّصال ذواته وقوَاهُ بغضها بِنَفس.

- ثم إنَّ هذه النفس الإنسانية غائبة عن العيان، وآثارها ظاهرة في البدن؛ وكأنه وجميع أجزائه مُجتمعة ومُتفرقة<sup>(ب)</sup> آلاتٌ للنفس ولقواها. أمَّا الفاعلة، فالنفس باليد ، والمشي بالرجل ، والكلام باللسان ، والحركة الكلِّية بالبدن مُتدافعا . وأمَّا المذكرة ، وإن كانت قُوَى الإدراك مُترتبة ومُرتبة إلى القوة العليا منها ، وهي المفكرة التي يُعبَّرون عنها بالتأطقة ، فقُوَى الحس الظاهر بآلاته ، من البصر ، والشم ، وسائرهما ، ترتقي إلى الباطن . وأوَّلُه الحس المشترك ، وهو قُوَّة تُدرك المَحسوسات مُبصرةً ومُسموعةً / وملموسةً وغيرها في حالة واحدة ؛ وبذلك فارقَتْ قُوَّة الحس [167]
- الظاهر؛ لأنَّ المَحسوسات لا تزدحم عليها في الوقت الواحد. ثم يُؤدِّي الحس المشترك إلى الخيال ، وهو قُوَّة تمثل الشيء المحسوس في النفس كما هو ، مُجرداً عن المواد الخارجية فقط. وآلُه هاتين القوتين في تَصَرُّفهما البطلُ الأوَّل من الدماغ، مُقدِّمه للأولى؛ ومُؤخِّره للثانية . ثم يرتقي الخيال إلى الوهيَّة والحافظة ، فالوهيَّة لإدراك المعاني المتعلقة بالشخصيات، كهداوة زيد، وصدقة عمرو، وزخمة الأب، وإفتراس الذئب . والحافظة لإيداع المذكرات كُلِّها، متخيَّلةً وغير متخيَّلة ؛ وهي لها كالجزالة، تحفَّظُها إلى وقت الحاجة إليها. وآلُه هاتين القوتين في تَصَرُّفهما، البطلُ المؤخَّر من الدماغ، أوَّلُه للأولى؛ ومُؤخِّره للأخرى. ثم يرتقي جميعها إلى قُوَّة الفكر، وآلُّه البطلُ الأوسط من الدماغ؛ وهو القوة التي تنفَع بها حركة الرُّويَّة والتَّوجُّه نحو

(1) في ع ل: تنقلاتهم ، ومصحة في الهاشية بخطه بما أثبت ، ونقت على حالها في ي ط (ب) في بقية الأصول : متفرقة.

التَّعَقُّلُ: تَحَرُّكُ النَّفْسِ بِهَا دَائِمًا - بِمَا رُكِّبَ فِيهَا مِنَ الزُّرُوعِ إِلَى ذَلِكَ - لِتَخْلُصَ مِنْ ذَلِكَ الْقُوَّةِ وَالِاسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلْبَشَرِيَّةِ، وَتَخْرُجَ إِلَى الْفِعْلِ فِي تَعَقُّلِهَا مِثْلَ مَشَبَّهٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِي؛ وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي إِدْرَاكِهَا بِغَيْرِ الْأَلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ . فِيهِ مَتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ ذَلِكَ . وَقَدْ تَسْلُخُ بِالْكَلِمَةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى [الْمَلَكِيَّةِ]<sup>(1)</sup> مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ اكْتِسَابٍ ، بَلْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا 5 مِنَ الْجِيلَةِ وَالْفِطْرَةِ الْأَوَّلِ فِي ذَلِكَ .

والتَّقْوُسُ الْبَشَرِيَّةُ فِي ذَلِكَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ:

صِنْفٌ عَاجِزٌ بِالطَّبْعِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى الْإِدْرَاكِ الرُّوحَانِي، فَيَقْنَعُ بِالْحَرَكَةِ إِلَى الْجِهَةِ السُّفْلَى نَحْوَ الْمَدَارِكِ الْحِسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ، وَتَرْكِبِ الْمَعَانِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالزُّهْمِيَّةِ عَلَى قَوَائِنِ مَحْصُورَةٍ، وَتَرْتَبِ خَاصٌّ يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ / التَّصَوُّرِيَّةِ وَالتَّصْدِيقِيَّةِ الَّتِي 10 لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ ؛ وَكُلُّهَا خَيَالِيٌّ مُنْحَصَرٌّ نِطَاقُهُ ؛ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةٍ مُبْتَدِئَةٍ<sup>(ب)</sup> يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوَزُهَا، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ مَا بَعْدَهَا. وَهَذَا هُوَ فِي الْأَغْلَبِ نِطَاقُ الْإِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ. وَإِلَيْهِ تَنْتَهِي مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ، وَفِيهِ تَرَسَّخُ أَقْدَامُهُمْ.

وَصِنْفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ التَّعَقُّلِ الرُّوحَانِيِّ وَالْإِدْرَاكِ الَّذِي لَا يَثْقُرُ إِلَى آلَاتِ الْبَدَنِ ، بِمَا جُعِلَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ . فَيَتَسَّعُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ 15 عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي هِيَ نِطَاقُ الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ ، وَيَسْرُحُ فِي فِضَاءِ الْمُشَاهَدَاتِ الْبَاطِنَةِ ، وَهِيَ وَجَدَانٌ كُلُّهَا ، لَا يَنْطَاقُ لَهَا مِنْ مَبْتَدِئَةٍ وَلَا مِنْ مُنْتَهَا ؛ وَهَذِهِ

(1) مِنْ ع ل ج ، وَفِي ظ ي : الْمَلَكِيَّةُ (ب) فِي بَقِيَّةِ الْأَصُولِ : مَبْتَدِئَةٍ .

مدارك الأولياء<sup>(١)</sup> أهل العلوم الدنيّة والمعارف الرّبانيّة ، وهي الحاصلة بتد الموت لأهل السعادة في البرزخ .

- وصنّف مَفْطُور على الانبلاخ من البشريّة جُملَةً ، جَسَانِيَّاهُ وروحانيَّاهُ ، إلى [الملكيّة] (ب) من الأفق الأعلى ، ليصير في لَمَحَةٍ من اللّمحات ملكاً بالفعل ،
- 5 ويَحْصُلُ له شَهِودُ المَلَأِ الأعلى في أَفْقِهِم ، وسماعُ الكلامِ التّفسّافي والخطابِ الإلهي في تلك اللّمحة . وهؤلاء هم الأنبياء ، صلواتُ الله عليهم ؛ جعلَ الله لهم الانبلاخ من البشريّة في تلك اللّمحة ، وهي حالةُ الوُخْي ، فِطْرَةٌ فَطَرَهُم عليها ، وَجِبِلَّةٌ صَوَّرَهُم فيها ، وَزَهَّهَمَ عن موانعِ البدن وعوائقه ما داموا مُلَابِسِينَ لها بالبشريّة ، بما رَكَّبَ في عَرَائِزِهِم من العِصْمَةِ والاستِقامة التي يُحَادِثُونَ بها تلك الوجْهَةَ ، وَرَكَّزَ في طباعِهِم رَغْبَةً في العِبَادَةِ تَكْتَنِفُ بتلك الوجْهَةِ \* وتَشِيعُ نحوها\* (ج) . فهم يتوجّهون (د) إلى
- 10 ذلك (هـ) الأفق بذلك النوع من الانبلاخ متى شاؤوا ، بتلك الفِطْرَةِ التي فَطَرُوا عليها ، لا بِاكتِسَابٍ ولا صِنَاعَةٍ . فإذا تَوَجَّهُوا وانسَلَخُوا عن بَشَرِيَّتِهِمْ ، وتَلَقَّوْا في ذلك المَلَأِ الأعلى / ما يَتَلَقَّوْنَهُ ، عاجوا به على المَدَارِكِ البشريّة مُتَنَزِّلًا [في] (و) قُواها لحكمة [١٦٨]
- التبليغ للعباد . فتارةً بِسَمَاعِ دَوِيِّ كَأَنَّهُ زَمْزَمٌ من الكلام يأخذ منه المعنى الَّذي أُلْقِيَ إليه ، فلا يَنْقُضِي الدَّوِيَّ إِلَّا وَقْدَ وَعَاهُ وَفَهَمَهُ . وتارةً يَمَثِّلُ له المَلِكُ الَّذي يُلْقِي إليه ،
- 15 رجلاً ، فيكلّمه وينعي ما يَقُولُهُ . والتَّلَقَّى من المَلِكِ ، والزَّجْجُوعُ على المَدَارِكِ البشريّة ، وَفَهَمُهُ ما أُلْقِيَ عليه ، كُلُّهُ ، كَأَنَّهُ في لَحْظَةٍ واحدة ، بل أَقْرَبُ من لَمَحِ البصر ، لأنَّهُ

(١) ي: العلماء (ب) ط: الملائكة (ج) سقط ما بين الجين من ل (د) ج: متوجّهون (هـ) سقط من ي (و) في ط وحدها: من .

ليس في زمني، بل كلها تقع جميعاً فتظهر كأنها سريعة؛ ولذلك سُميت وخياً؛ لأنّ  
الوحي في اللغة الإسراع.

واعلم أنّ الأولى، وهي حالة الدويّ، هي رتبة الأنبياء غير المرسلين [على ما  
حقّقوه. والثانية، وهي حالة تمثّل الملك رجلاً يُخاطب، هي رتبة الأنبياء<sup>(أ)</sup> المرسلين،  
ولذلك<sup>(ب)</sup> كانت أكمل من الأولى. وهذا معنى الحديث<sup>(١)</sup> الذي فسّر فيه النبي ﷺ  
الوحي لما سأله الحارث بن هشام، وقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: "أحياناً يأتيني  
مثل ضلّطة الجرس، وهو أشدُّ عليّ، فيفضمّ عني وقد وغيت ما قال، وأحياناً  
يمثّل لي الملك رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول". وإثما كانت الأولى أشدّ لأنها مبدأ  
الخروج في ذلك الاتصال من القوة إلى الفعل، فيفسّر بغضّ النفس؛ ولذلك لما عاج  
فيها على المدارك البشرية اختصّت بالسمع وضُعب ما سواه. وعندما يتكرر الوحي  
ويكثر التلقّي يسهل ذلك<sup>(ج)</sup> الاتصال؛ فعندما يتوجّه إلى المدارك البشرية، يأتي على  
جميعها، وخصوصاً الأوضح منها وهو إدراك البصر.

وفي العبارة عن الوحي في الأولى بصيغة الماضي، وفي الثانية بصيغة المضارع  
لطفة من البلاغة؛ وهي: أنّ الكلام جاء معي التمثيل لحالتي الوحي، فمثّلت  
الحالة الأولى بالدويّ الذي هو في المتعارف غير كلام، وأخبر أنّ الفهم والوحي يتبعه  
غِبّ انقياضه، فناسب عند تصوّر انقياضه وانفصاله العبارة عن الوعي بالماضي،

(أ) من ل ع ج وسقط من ط ي (ب) ل : ولهذا (ج) ج : ذاك .

(١) تقدّم تخرجه في صفحة (166) .

المطابق للاقتضاء والاتِّطاع؛ ومثّل الملك في الحالة الثانية برجل يُخاطب ويتكلّم،  
والكلام يُساوِفه الوُغي، فنانسب العبارة بالمُضارع / المُقتضي للتَّجَدُّد . [68 ب]

واعلم أنّ في حالة الوُخي كلّها على الجملة صعوبةً وشِدَّةٌ قد أشار إليها  
القرآن؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [سورة الزّمل، الآية 5] ، وقالت  
عائشة<sup>(1)</sup> : كان مما يُعاني من التّزليل شِدَّةٌ ؛ وقالت : كان يُنزّل عليه الوُخي في اليوم  
الشديد البرد ، فينْقِصُ عنه وإنّ جبينه لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا . ولذلك ما كان يَحْدُثُ عنه في  
تلك الحالة من الغيبة والغطيط ما هو مغرورف . وسبب ذلك أنّ الوُخي - كما  
قَرَّرْناه - مفارقة البَشَرِيَّة إلى المَدَارِك المَلَكِيَّة ، وتلقّي كلام التّمسّ ، فتحدّث عنه  
شِدَّة من مُفارقة الذات وانسلاخها عنها من أفقها إلى ذلك الأفق الآخر . وهذا  
10 هو معنى القَط الذي عُبِّر به في مَبْدِ الوُخي في قَوْلِهِ<sup>(2)</sup> : " فَطُئِنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي  
الْجَهْدُ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ! فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِيءٍ " ؛ وكذا ثَانِيَةٌ وَثَلَاثَةٌ ، كما في  
الحديث . وقد يُفْضَى الاعتِيَادُ فيه بالتدرّج شيئًا فشيئًا إلى بَعْض السّهولة بالقياس  
إلى ما قَبْلَهُ . ولذلك كان تُنْزَلُ نُجُومُ الْقُرْآنِ وَسُورُهُ وآيَاتُهُ حين كان بمَكَّة أقصرَ منها  
وهو بالمدينة . وانظر إلى ما يُقَالُ في نزول سورة براءة في غزوة تبوك ، وإنّها أُنْزِلَتْ  
15 كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وهو يَسِيرُ على ناقته؛ بعد أن كان بمَكَّة يُنْزَلُ عليه بَعْضُ السُّورَةِ  
من قِصَارِ الْمَفْصَلِ في وَقْتٍ ، ويُنْزَلُ الباقي في حينٍ آخَر . وكذلك كان من آخر ما<sup>(3)</sup>  
نزل بالمدينة آيَةُ الدِّين ، وهي ما هي في الطول؛ بعد أن كانت الآياتُ تُنْزَلُ بمَكَّة مثل

(1) سقط من: ل ح .

(1) المحفوظ أن هنا قول ابن عباس ، وتقدّم تخرجه في صفحة (166) .

(2) قطعة من حديث عائشة في البخاري (3) .



آيات سورة الرحمن، والآيات، والمدثر، والضحي، والغلق، وأنمائها . واعتبر ذلك علامة تميز بها بين المكّي والمدنيّ من السور والآيات ؛ والله المُرشد إلى الصواب . هذا محصلُ أمر التوبة .

- وأما الكهانةُ فهي أيضاً من خواص النفس الإنسانية؛ وذلك أنه قد تقدّم لنا في جميع ما مرَّ أن للنفس الإنسانية استعداداً للانسيلاخ عن البشرية إلى 5 الروحانية التي فوقها، وأتت تحصل<sup>(1)</sup> من ذلك لمحة للبشر في صنف الأنبياء • عليهم السلام •<sup>(ب)</sup> / بما فُطروا عليه من ذلك ، وتقرَّر أنه يَحْضُل لهم من غير اكتساب [169] ولا استعانة بشيء من المدارك ، ولا من التصورات ، ولا من الأفعال البدئية ، كلاماً أو حركةً ، ولا بأمرٍ من الأمور ، إنَّما هو انسيلاخٌ من البشرية إلى الملكيّة بالفترة في لحظة أقرب من لمح البصر .

- وإذا كان ذلك، وكان [هذا] <sup>(ج)</sup> الاستعداد موجوداً في الطبيعة البشرية، فيُعْطِي النفسُ العقلُ أنْ هُنا [صنفاً] <sup>(ح)</sup> آخر من البشر ناقصاً عن رتبة الصنف الأول نقصان الضد عن ضده الكاamil . لأنَّ عَدَم الاستعانة في ذلك الإدراك ضد للاستعانة فيه، وستان ما بينهما . فإذا، أعطى تسميم الوجود أنْ هُنا صنفاً آخر من البشر مَقْطُوع على أنْ تَتَحَرَّكَ قُوَّةُ الْعَقْلِيَّة حركتها الفكرية بالإرادة عندما يَتَعَبَّأ 15 التزوع لذلك، وهي ناقصة عنه بالجيلة، فيكون لها بالجيلة عندما يعوقها العجز عن ذلك تشبُّتُ بأمور حُرِّيَّة مَحْسُوسَة أو مُتَخَيِّلَة، كالأجسام الشفافة، وعظام الحيوان، وسجع الكلام، وما يَسْتَح من طيرٍ أو حيوانٍ، يَسْتَدِيم ذلك الإحساس أو

(1) ع: يحصل (ب) سقط من ع ل (ج) من: ع ل ي .

التخيّل مُستعينا به في ذلك الانسلاخ الذي يقصده ويكون كالمُسَيِّع له. وهذه القوة التي فيهم مَبْدَأُ لذلك الإدراك، هي الكِهَانَةُ. ولكون هذه التقوس مُفْطورة على التقص والقصور عن الكمال، كان إدراكها في الجزئيات أَكْثَرَ من الكلّيات، وتكون متشَبِّهة بها [غافلة]<sup>(١)</sup> عن الكلّيات. ولذلك ما تكون [المتخيّلة]<sup>(ب)</sup> فيهم في غاية القوة، لأنّها آلة الجزئيات، فتنفذ فيها نُفُوداً تامّاً في نوم أو يقظة، وتكون عندها حاضرة عتيدة، تُخْضِرُّها المتخيّلة وتكون لها كالمرآة تُنظّر فيها دائماً. ولا يَفُوزُ الكاهنُ على الكمال في إدراك المَقْضولات، لأنّ وَحْيَهُ من وَحْيِ الشّياطين. وأرفعُ أحوال هذا الصنف أن يَسْتَعِين بِالْكَلَامِ الَّذِي فِيهِ السَّخَعُ وَالْمَوَازَنَةُ لِتُسْتَغْلَلَ بِهِ عن الحواس، وَيَتَوَسَّى بِعَظْمِ الشَّيْءِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ التَّاقِصِ، / فَتَهْجُسُ فِي قَلْبِهِ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ، وَالتِّي<sup>(ج)</sup> يُنْصِفُهَا لِذَلِكَ الْأَجْنَبِيِّ مَا يَقْذِفُهُ عَلَى لِسَانِهِ؛ فَرَبَّيَا صَدَقَ وَوَافَقَ الْحَقُّ، وَرَبَّيَا كَذَبَ؛ لِأَنَّهُ [يَتَمَتَّعُ]<sup>(د)</sup> بَقَضِهِ بِأَمْرِ أَجْنَبِيٍّ عَنْ ذَاتِهِ الْمَذْكُورَةِ، وَمُبَايِنٍ لَهَا غَيْرِ مَلَائِمٍ، فَيَفْرِضُ لَهُ الصَّدْقَ وَالْكَذْبَ جَمِيعاً وَيَكُونُ غَيْرَ مَوْثُوقٍ بِهِ. وَرَبَّيَا يَفْرَعُ إِلَى الظَّنُونِ وَالتَّخْمِينَاتِ جِزْصاً عَلَى الظُّفَرِ بِالْإِدْرَاكِ، يَرْغَمُهُ، وَتَقْوِيهَا عَلَى السَّائِلِينَ. وَأَصْحَابُ هَذَا السَّخَعِ هُمُ الْمُخْصُوصُونَ بِاسْمِ الْكُهَّانِ، لِأَنَّهُمْ أَرْفَعُ سَائِرِ أَصْنَافِهِمْ. وَقَدْ قَالَ ﷺ فِي مِثْلِهِ<sup>(١)</sup> : " هَذَا مِنْ سَبْعِ الْكُهَّانِ ". جَعَلَ السَّخَعُ مُحْتَصَافاً بِهِمْ بِمُقْتَضَى الْإِضَافَةِ. وَقَالَ<sup>(٢)</sup> لَابِنِ صَيَّادٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاثِيفاً عَنْ خَالِهِ بِالْإِخْتِبَارِ " كَيْفَ يَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ ؟ قَالَ : يَأْتِينِي صَادِقٌ وَكَاذِبٌ ! فَقَالَ : خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ " يَعْنِي أَنَّ النُّبُوَّةَ

(١) في ط: غافلة (ب) في ط: الخيلة (ج) ع: وآلتي (د) ط: يتم.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) أخرجه مسلم (2925) والترمذي (2247) وأحمد في مسنده 3 : 66 ، 97 .

خاصيتها الصّديق ، فلا يَغْتَرِبُها الكَذِبُ بحالٍ ، لأنّها اتّصالٌ من ذاتِ النَّبيِّ بالملا  
الأعلى من غير مُشَيِّعٍ ولا استعانةٍ بأجنبيٍّ . والكهانة لما احتاج صاحبها ، بسبب  
عجزه ، إلى الاستعانة بالتصوّرات الأجنبيّة ، فكانت داخليةً في إدراكه ،  
و[التَّبَسُّثُ]<sup>(١)</sup> بالإدراك الذي توجّه إليه ، فصار مُخْتَلِطاً بها وطَرَفَهُ الكَذِبُ من  
هذه الجهة ، فامتنع أن يكون بُيُوءَةً . وإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ أَرْفَعَ مَرَاتِبِ الكِهَانَةِ حالةٌ 5  
السَّجْعِ ، لأنَّ مُعِينَ السَّجْعِ أَخْفُ من سائر المُعِينات من المَرَاتِبِ والمسْموعات .  
وتدلّ خِفَةُ المُعِينِ على قُرْبِ ذلك الاتّصال والإدراك ، والبُغْدُ فيه عن العَجْزِ  
بَعْضُ الشَّيْءِ .

وقد زعم بعضُ النَّاسِ أَنَّ هذه الكِهَانَةَ قد انقطعت مُنْذُ زَمَنِ النَّبِوءَةِ ، بما وَقَعَ  
من شَأْنِ زَحْمِ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهُبِ بَيْنَ يَدَيِ البِغْتَةِ ، وَأَنَّ ذلك كان لِمَنْعِهِمْ من خَبَرِ 10  
السَّمَاءِ كما وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ ؛ وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ ؛  
فَبَطَلَتِ الكِهَانَةُ من يَوْمَئِذٍ . ولا يقوم من ذلك دليل ؛ لأنَّ علوم الكِهَانَةِ كما تكون  
من الشَّيَاطِينِ تكون من نُفُوسِهِمْ كما قَرَّرْنَاهُ . وأيضاً ، فالآية / إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ 170  
الشَّيَاطِينِ من تَوَعُّجٍ واجِدٍ من أَخْبَارِ السَّمَاءِ ، وهو ما يتعلّق بخبر البِغْتَةِ ، ولم يُنْتَعَمَ  
سِوَى ذلك . وأيضاً ، فَإِنَّمَا كان ذلك الانْقِطَاعُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِوءَةِ فَقَطْ ، وَلَعَلَّهَا عَادَتْ 15  
بعد ذلك إلى ما كانت عليه ، وهذا هو الظَّاهِرُ ؛ لأنَّ هذه المَذَارِكُ كُلُّهَا تَخْمَدُ فِي  
زَمَنِ النَّبِوءَةِ ، كما تَخْمَدُ الكَوَاكِبُ وَالسُّرُجُ عند وُجُودِ الشَّمْسِ ؛ لأنَّ النَّبِوءَةَ هي التَّوَرُّ  
الأَعْظَمُ الَّذِي يَخْفَى معه كُلُّ نَوْرٍ أو يَذْهَبُ .

(١) كُنَّا فِي الْأَصُولِ ، فِي ظ وَحَدَّاهَا : وَالشَّبَبِ .

وقد زعم بعض الحكماء أنها إنما توجد بين يدي النبوة، ثم تنقطع؛ وهكذا مع كل نبوة وقعت. لأن وجود النبوة لا بد له من وضع فلكي يقتضيه، وفي تمام ذلك الوضع تمام تلك النبوة التي دل عليها، ونقص ذلك الوضع على التمام يقتضي وجود طبيعة من ذلك النوع الذي يقتضيه، ناقصة، وهو معنى الكاهن على ما قررناه.

5 فقبل أن يتم ذلك الوضع الكامل يقع الوضع ناقص، ويقتضي وجود الكاهن إما واحدا أو متعددا. فإذا تم ذلك الوضع، تم وجود النبي بكامله، وانقضت الأوضاع الدالة على مثل تلك الطبيعة، فلا يوجد منها شيء بعد. وهذا بناء على أن بغض الوضع الفلكي يقتضي بغض أثره. وهو غير مسلم. فلعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته الخاصة، ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئا، [لا]<sup>(1)</sup> أنه يقتضي ذلك الأثر ناقصا كما قالوه.

10 ثم إن هؤلاء الكهّان إذا عاصروا زمن النبوة، فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة مُعجزته، لأن لهم بغض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر التوم. ومفقولية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد [إمّا]<sup>(ب)</sup> للناثم. ولا يصدّهم عن ذلك ويوقعهم في التّكذيب إلاّ وسواس المطامع بأنها نبوة لهم، فيقعون في العناد كما وقع لأمية بن أبي الصلت، فإنه كان يطمع أن يكون نبيا، وكذا وقع لابن صباد 15 ولُسَيْمَلَة / وغيرهم. فإذا غلب الإيمان وانقطعت تلك الأمانى آمنوا أحسن أيمان؛ [70 ب]

كما وقع لطائفة الأسدي وقارب بن الأسود، وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن الإيمان.

(1) في ظ: إلا (ب) في ط: ما.

وأما الرؤيا ، فحقيقتهَا مُطالعة النفس التاطقة في ذاتها الروحانية لمحّة من صُور الواقعات . فإنّما عندما تكون روحانيّة تكونُ صُور الواقعات فيها موجودة بالفعل ، كما هو شأن النّوات الروحانيّة كلّها . وتَصيرُ روحانيّة بأن تتجرّد عن الموادّ الجسمانيّة والمدارك البدنيّة . وقد يَتَق لها ذلك لمحّة بسبب التّوهم كما نذكر ، فتفتبس فيها علم ما تشوّف إليه من الأمور المُستقبلة وتعود به إلى مداركها . فإن كان ذلك 5 الاقتباس ضعيفاً وغير جليّ غائته بالمحاكاة والمثال في الخيال لُحْصَله ، فيحتاج من أجل هذه المحاكاة إلى التّغيير . وقد يكون الاقتباس قوياً يُستغنى فيه عن المحاكاة فلا يحتاج إلى تعبیر لُحْوصه من المثال والخيال . والشبّه في وقوع هذه اللّمنحة للنفس أنّها ذات روحانيّة بالقوّة مُستَكَمَلَة بالبدن ومداركه ، حتّى تصير ذاتها تَعَقُّلاً مَخْصُصاً ويَحْمَل وجودها بالفعل ، فتكون حينئذ ذاتاً روحانيّة مدركة بغير شيء من 10 الآلات البدنيّة . إلّا أنّ نوعها في الروحانيّات دون نوع الملائكة أهل الأفق الأعلى الذين لم يَستكملوا ذواتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره . فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن ، ومنه خاصّ ؛ كالذي للأولياء ، ومنه عامّ للبشر على العموم ؛ وهو أمر الرّؤيا .

وأما الذي للأنبياء ، فهو استعداد بالانسلاخ من البشريّة إلى الملكيّة 15 المَخْصُصَة الّتي هي أعلى الروحانيّات . ويخرج هذا الاستعداد فهم مُتَكَرِّراً في حالات الزخبي ؛ وهو عندما يعوُج على المدارك البدنيّة ويَقع فيه ما يَتَق من الإدراك شبيهاً بمجال التّوهم شَبهاً بِنَبَأ ، وإن كان حال التّوهم أذون منه بكثير . فلأجل هذا الشبّه عبّر الشارح عن الرّؤيا / بأنّها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، وفي رواية: ثلاثة [171]

وأربعين ، وفي رواية : سَبْعِينَ . وليس العددُ في جميعها مقصوداً بالذات ، وإنما المراد الكثرةُ في قَاوُت هذه المراتب؛ بذليل ذِكر السَّبعين في بَعْض طُرُقِهِ وهي للتَّكثِير عند القرب . وما ذَهَبَ إليه بَعْضُهُمْ في رواية سِتَّة وأربعين ، من أَنَّ الوُحْيَ كان في مَبْدئِهِ بالرُّؤْيَا سِتَّة أشهر ، وهي نِصْفُ سَنَةٍ ؛ ومُدَّةُ النُّبُوَّةِ كُلِّهَا بِمَكَّةَ والمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ 5 وعِشْرُونَ سَنَةً ، فَنِصْفُ السَّنَةِ مِنْهَا جِزْءٌ <sup>(1)</sup> من سِتَّة وأربعين ، فِكَلَامٌ بَعِيدٌ من التَّحْقِيقِ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ ، ومن أَتَى لَنَا أَنَّ هَذِهِ المُدَّةَ وَقَعَتْ لغيرِهِ من الأنبياء ؟ مع أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنُ الرُّؤْيَا من زَمَنِ النُّبُوَّةِ ، ولا يُعْطَى نِسْبَةً حَقِيقَتِهَا من حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ .

وإذا تَبَيَّنَ لَكَ ما ذَكَرناه أَوَّلًا ، عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الجِزْءِ نِسْبَةُ الاستعداد الأول الشَّامِلُ للبَشَرِ ، إلى الاستعداد القريب الخاصِّ بِصِفَةِ الأنبياء الطَّيِّبَةِ لَهُمْ 10 صلواتُ اللَّهِ عليهم ؛ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الاستعدادَ البَعِيدَ وإنْ كَانَ عامًّا فِي البَشَرِ ، فَمَعَهُ عَوَائِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ . وَمِنْ أَكْثَرِ تِلْكَ المَوَانِعِ الحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ . فَفَطَرَ اللَّهُ البَشَرَ عَلَى انْزِنَاقِ جِجَابِ الحَوَاسِّ بِالنُّومِ الَّذِي هُوَ جِيبٌ لَهُمْ ، فَتَعَرَّضَ النَّفْسُ عِنْدَ انْزِنَاقِهِ إِلَى مَغْرَفَةٍ ما تَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الْحَقِّ ، فَتُدرِكُ فِي بَعْضِ 15 الْأَخْيَانِ مِنْهُ لَحْجَةٌ يَكُونُ فِيهَا الطُّفَرُ بِالْمَقْصُودِ . وَلِذَلِكَ ما جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ ، فَقَالَ <sup>(1)</sup> : "لَمْ يَتَّقِ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتِ" ؛ قالوا : وما الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال : "الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، أَوْ يُرَى لَهُ" .

(1) ل: جزء .

(1) أخرجه مسلم (479) وأحمد: 1: 219 وأبو داود (876) والنسائي في المجتبى 2: 179 وابن ماجه (3899) وابن جبان (1896) .

وأما سبب ارتفاع حجاب الحواس بالتَّوَم، فعلى ما أصفه لك: وذلك أنَّ  
 النفسَ الناطقةَ إنّما إدراكها وأفعالها بالروح الحيوانيِّ الجسمانيِّ<sup>(1)</sup>، وهو بخارٌ لطيف  
 مركزه في التجويف الأيسر من القلب، على ما في كُتُب التَّشْرِيح للجالينوس<sup>(1)</sup>  
 [71ب] وغيره؛ وينبعثُ / مع اللَّم في الشَّريانات والعروق، فيغطي الحسَّ والحركةَ وسائر  
 الأفعال البدنيَّة، ويرتفعُ لطيفه إلى الدِّماغ فيعدل من بزره، ويَتِمُّ أفعالُ القُوَى الَّتِي  
 في بطنه. فالتَّفسُّ الناطقةُ إنّما تُدرك وتُفعل بهذا الروح البخاريِّ، وهي مُتعلِّقةٌ  
 به، بما اقتضته حكمةُ التَّكوين، في أنّ اللطيف لا يؤثر في الكثيف. ولَمَّا لَطَفَ  
 هذا الرُّوحُ الحيوانيُّ من بين الموادِّ البدنيَّة، صارَ مَخْلًا لآثار النَّاتِ المُبَيِّنة له في  
 جسمانيَّته، وهي التَّفسُّ الناطقة، وصارت آثَارُها حاصلةً في البدن بوساطته. وقد  
 كُنَّا قَدَمْنَا أنّ إدراكها على تَوْعِن، إدراكٌ بالظَّاهر وهو الحواسُّ الحنَّس، وإدراكٌ في  
 10 الباطن وهو بالقُوَى اللَّمَّاعِيَّة، وأنَّ هذا الإدراك كُلُّهُ صارَفَ لها عن إدراكها ما  
 قُوَّها من ذوات الرُّوحانيَّات الَّتِي هي مُستَعِدَّة له بالفِطْرة.

ولَمَّا كانت الحواسُّ الظَّاهرة جسمانيَّة<sup>(1)</sup>، كانت معرَّضةً للوَهْن والفِشَل،  
 بما يُدركها من التعب والكلال وتَشْيُّي الرُّوح بكثرة التصرف؛ فخلَقَ اللهُ لها طلب  
 الاستِغْثَام لتُجَدِّد الإدراكَ على الصُّورة الكاملة. وإنَّما يكون ذلك بأنَّحْناس الرُّوح  
 15 الحيوانيِّ من الحواسِّ الظَّاهرة كُلِّها، ورُجوعه إلى الحسِّ الباطن. ويُعَيَّن على ذلك  
 ما يَنشَى البدن من البَرْد بالليل، فتطلبُ الحرارةُ الغريزيَّةُ أعماقَ البدن، وتُهبُّ

(1) ضبطت في ع بعض الميم.

(1) لم تَحْكم من مقابلتها على نصوصه.

من ظاهره إلى باطنه، فتكون مُشَيَّعَةً مَرْكَبًا، وهو الزَّوْجُ الحَيَوَاتِي، إلى الباطن .  
ولذلك ما كان التَّوَمُّ للبَشَرِ في الغالب إنما هو بالليل . فإذا انْخَسَ الزَّوْجُ عن  
الحواس الظَّاهِرة رجع إلى القُوَى الباطِنة، وَخَفَّتْ عن<sup>(1)</sup> النَّفْسِ شِوَاعِلُ الحِسِّ  
ومَوَائِدِهِ، وَرَجَعَتْ إلى الصُّورِ الَّتِي فِي الحَافِظَةِ، تُمَثِّلُ مِنْهَا بِالتَّرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ صُورًا  
5 خِيَالِيَّةً، وَأكْثَرُ مَا تَكُونُ مَعْتَادَةً ، لِأَنَّهَا مُنْتَزَعَةٌ مِنَ المَذْرُوكَاتِ المَتَعَاهِذَةِ قَرِيبًا . ثُمَّ تُزَلِّجُهَا  
إِلَى الحِسِّ المَشْتَرَكِ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ، فَيَدْرِكُهَا عَلَى أَنْحَاءِ  
الحَوَاسِّ الخَفِيسِ . وَرَبَّمَا / التَّفَتُّ النَّفْسِ لَفَتَةً إِلَى ذَاتِهَا الزُّوْحَاتِيَّةِ مَعَ مُنَازَعَةِ القُوَى  
الباطِنة، فَتُذَكِّرُ بِإِذْرَاقِهَا الزُّوْحَاتِيَّ لِأَنَّهَا مَفْطُورَةٌ عَلَيْهِ، وَتَقْتَبِسُ مِنْ صُورِ  
الأشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مَتَعَقِلَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ . ثُمَّ يَأْخُذُ الخَيَالُ بِتِلْكَ الصُّورِ المَذْرُوكَةِ  
10 فَيَمَثِّلُهَا بِالحَقِيقَةِ أَوْ المَحَاكَاةِ فِي القَوَالِبِ المَفْهُودَةِ . وَالمَحَاكَاةُ مِنْ هَذِهِ هِيَ المَحَاجَاةُ إِلَى  
التَّغْيِيرِ<sup>(ب)</sup>، وَتَصَرُّفُهَا بِالتَّرْكِيبِ وَالتَّحْلِيلِ فِي صُورِ الحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ تُذَكِّرَ مِنْ تِلْكَ  
اللَّفْحَةِ مَا تُذَكِّرُ، هِيَ أَضْغَاثُ الأَخْلَامِ . وَفِي الصَّحِيحِ<sup>(1)</sup> : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : "الرُّؤْيَا  
ثَلَاثُ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ، وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ، وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ" . وَهَذَا التَّفْصِيلُ  
مطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ، فَالْجُلِيَّ مِنَ اللَّهِ، وَالمَحَاكَاةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى التَّغْيِيرِ مِنَ الْمَلِكِ، وَأَضْغَاثُ  
15 الأَخْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ، لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ، وَالشَّيْطَانُ يُنْبِئُ بِالبَاطِلِ .

هَذِهِ حَقِيقَةُ الرُّؤْيَا وَمَا يُسْتَبَاهَا وَيُشَيَّعُهَا مِنَ التَّوَمِّ ، وَهِيَ خَوَاصُّ النَّفْسِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ مَوْجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ عَلَى الْغُومِ، لَا يَخْلُو عَنْهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ

(1) ي : على (ب) ل : التغير .

(1) لم أفق عليه هذا اللفظ، ولكن جاء في الصحيحين "الرؤيا ثلاث، حديث النفس، وتخويف الشيطان،  
ويشئ من الله" البخاري 9: 48 (7017)، مسلم (2263) .



الأناسي فقد رأى في نومه ما صدق له في يقظته مراراً غير واحدة، وحصل له على القطع أن النفس مدركة للغيب في النوم ، ولا بُد . وإذا جاز ذلك في عالم النوم فلا يمتنع في غيره من الأحوال ؛ لأن الذات المذكرة واحدة، وخواصها عامة في كل حال. والله الهادي إلى الحق .

## 1. فَضْلٌ :

5

ووقوع ما يقع من ذلك للبشر غالباً إنما هو من غير قصد ولا قُدرة عليه ؛ وإنما تكون النفس مُستَشْرِفة للشيء فتقع لها تلك اللَمَحَة في النوم، لا أنها تقصد إلى ذلك قَرَاءً. وقد وَقَعَ في كتاب الغاية<sup>(1)</sup> وغيره من كتب أهل الرياضات، ذكر أسماء تُذكر عند النوم، فتكون<sup>(1)</sup> عنها الرؤيا فيما يَتَشَوَّفُ إليه ، وَيُسَمُّونها الحالومة . ذكر منها مُسَلِّمةً في كتاب الغاية حالومة سَمَّاهَا حالومة الطباع الثَّام، وهي أن يقال عند النوم، بعد فراغ السير وصحة التَّوَجُّه، هذه الكلمات الأعجمية، وهي : تَسَاغِشْ، بَغْدَانْ، يَسَوَاذْ، / وَغَدَاشْ، تَوْفَتَا، وَغَدِشْ؛ ويذكر حاجته ، فإنه يرى الكشف عما [72 ب] يَسألُ عنه في النَّوْم. وحكى أن رجلاً فعل ذلك بعد رياضة ليالٍ في مأكله وذكره، فتمثل له شخص يقول أنا طباعك الثَّام، فسئل، وأخبره عما كان يَتَشَوَّفُ إليه.

(1) ع : فيكون .

(1) كتاب غاية الحكيم ، وأحق التَّيجينين بالتقديم، لمسلمة بن أحمد المجرطي (-395هـ/1005م) كتبه في التسميات، ويعلق بالأرواح العلوية واستنزال قواها للانتفاع بها. وقد ذكر الزركلي أنه مطبوع، فلم نوفق للتعرف عليه. وكتب معه في الكيمياء "رتبة الحكيم" في معرفة الأرواح الأرضية وإخراج طاعتها للانتفاع بها. (مخطوط دار الكتب التونسية 999) انظر لـ . شيتوح : المخطوط 72 (128) .

وَقَدْ وَقَعَ لِي أَنَا بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ مَرَّاءَ عَجِيبَةً ، وَأَطْلَعْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كَثُ  
 أَنْتَشَرَفَ إِلَيْهَا مِنْ أَخْوَالي . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ إِلَى الرُّؤْيَا يُحْدِثُهَا ؛  
 وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُحْدِثُ اسْتِغْدَادًا فِي النَّفْسِ لَوْقُوعِ الرُّؤْيَا ؛ فَإِذَا قَوِيَ  
 الاسْتِغْدَادُ كَانَ أَقْرَبَ لِحُصُولِ مَا يُسْتَعَدُّ لَهُ . وَلِلشَّخْصِ أَنْ يَفْعَلَ مِنَ الاسْتِغْدَادِ  
 5 مَا أَحَبُّ ، وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى إِيقَاعِ الْمُسْتَعَدِّ لَهُ . فَالْقُدْرَةُ عَلَى الاسْتِغْدَادِ غَيْرُ  
 الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ ؛ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَتَذَبَّرْهُ فِيمَا تَجِدُ مِنْ أَمْثَالِهِ . وَاللَّهُ الْحَكِيمُ  
 الْخَبِيرُ .

## 2. فَضْلٌ :

ثُمَّ إِنَّمَا نَجِدُ فِي التَّوَعُّدِ الْإِنْسَانِيَّ أَشْخَاصًا يُجْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وَقُوعِهَا ،  
 10 بِطَبِيعَةٍ فِيهِمْ يَتِمِّزُ فِيهَا صِنْفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ ، وَلَا يَرْجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ ،  
 وَلَا يَسْتَدِلُّونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ التَّجُومِ وَلَا غَيْرِهَا ؛ إِنَّمَا نَجِدُ مَدَارِكَهُمْ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَى  
 فِطْرَتِهِمُ الَّتِي فُطِّرُوا عَلَيْهَا ؛ وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَّافِينَ ، وَالتَّائِظِينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّقَافَةِ ؛  
 كَالْمَرَايَا وَطِيسَائِسِ الْمَاءِ ، وَالتَّائِظِينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَائِمِهَا ، وَأَهْلُ الزُّجَرِ  
 فِي الطَّيْرِ وَالسَّبَاعِ ، وَأَهْلُ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّوَى . وَهَذِهِ كُلُّهَا  
 15 مَوْجُودَةٌ فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ ، لَا يَسَعُ أَحَدًا جَعْدُهَا وَلَا إِكْرَاهُا . وَكَذَلِكَ الْمَجَانِينُ تُلْقَى  
 عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ كَلِمَاتٌ مِنَ الْغَيْبِ فَيُخْبِرُونَ بِهَا . وَكَذَلِكَ التَّائِمُ ، وَالْمَيِّتُ لِأَوَّلِ مَوْتِهِ أَوْ  
 نَوْمِهِ يَتَكَلَّمُ بِالْغَيْبِ . وَكَذَلِكَ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ لَهُمْ مَدَارِكٌ فِي الْغَيْبِ عَلَى  
 سَبِيلِ الْكَرَامَةِ مَعْرُوفَةٌ .

ونَحْنُ الآنَ نَتَكَلَّمُ عَلَى هَذِهِ الْإِذْرَاقَاتِ كُلِّهَا ، وَبَتَّيْدِي مِنْهَا بِالْكَيْهَانَةِ ، ثُمَّ نَأْتِي عَلَيْهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً إِلَى آخِرِهَا . وَتَقَدَّمَ عَلَى ذَلِكَ مَقْدَمَةٌ ، فِي أَنَّ التَّقَسُّمَ الْإِنْسَانِيَّةَ كَيْفَ تَسْتَعِدُّ لِإِذْرَاقِ / الْغَيْبِ فِي جَمِيعِ الْأَصْنَافِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا . وَذَلِكَ أَنَّهَا ذَاتٌ رُوحَانِيَّةٌ مَوْجُودَةٌ بِالْقُوَّةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الرُّوحَانِيَّاتِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ قَبْلَ ؛ وَإِنَّمَا تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ بِالْبَدَنِ وَأَخْوَالِهِ . وَهَذَا أَمْرٌ مُذَرِّكٌ لِكُلِّ أَحَدٍ . وَكُلُّ مَا بِالْقُوَّةِ فَلَهُ مَادَّةٌ وَصُورَةٌ ؛ وَصُورَةُ هَذِهِ النَّفْسِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ وُجُودُهَا هُوَ غَيْبُ الْإِذْرَاقِ وَالتَّعَقُّلِ . فَهِيَ تَوْجَدُ أَوَّلًا بِالْقُوَّةِ مُسْتَعِدَّةً لِلْإِذْرَاقِ وَقَبُولِ الصُّورِ الْكَلْبِيَّةِ وَالْخَرِيزِيَّةِ ، ثُمَّ يَتِمُّ نُشُوءُهَا وَوُجُودُهَا بِالْفِعْلِ بِمُصَاحَبَةِ الْبَدَنِ ، وَمَا يُعَوِّدُهَا بِوُرُودِ مُذَرِّكَاتِهِ الْمَخْسُوسَةِ عَلَيْهَا ، وَمَا تَتَرَعَّضُ لَهَا مِنْ تِلْكَ الْإِذْرَاقَاتِ مِنَ الْمَعَانِي الْكَلْبِيَّةِ فَتَتَعَقَّلُ الصُّورَ ، مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ، حَتَّى يَخْضُلَ لَهَا الْإِذْرَاقُ وَالتَّعَقُّلُ صُورَةً بِالْفِعْلِ ، فَتَتِمُّ ذَاتُهَا ، وَتَتَقَسَّمُ النَّفْسُ كَالْهَيُولَى ، وَالصُّورُ مُتَعَابِقَةٌ عَلَيْهَا بِالْإِذْرَاقِ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ . وَلِهَذَا نَحْنُ نَحْذِرُ الصَّيِّ فِي أَوَّلِ نُشُوءِهِ لَا يَقْتَدِرُ عَلَى الْإِذْرَاقِ الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا ، لَا فِي نَوْمٍ وَلَا بِكَشْفٍ وَلَا بِغَيْرِهَا . وَذَلِكَ لِأَنَّ صُورَتَهَا الَّتِي هِيَ عَيْنُ ذَاتِهَا وَهِيَ الْإِذْرَاقُ وَالتَّعَقُّلُ ، لَمْ تَتِمَّ بَعْدُ . بَلْ لَمْ يَتِمَّ لَهَا انْتِرَاقُ الْكَلْبِيَّاتِ . ثُمَّ إِذَا تَمَّتْ ذَاتُهَا بِالْفِعْلِ خَضَلَ لَهَا ، مَا دَامَتْ مَعَ الْبَدَنِ ، نَوْعَانِ مِنَ الْإِذْرَاقِ : إِذْرَاقٌ بِأَلَاتِ الْجِسْمِ تُؤَدِّيهِ إِلَيْهَا الْمَدَارِكُ الْبَدَنِيَّةُ ، وَإِذْرَاقٌ بِذَاتِهَا مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهِيَ مَخْجُوبَةٌ عَنْهُ بِالْإِنْفَاسِ فِي الْبَدَنِ وَالْحَوَاسِ وَشَوَاعِلِهَا ، لِأَنَّ الْحَوَاسِ أَبَدًا جَادِبَةٌ لَهَا إِلَى الظَّاهِرِ بِمَا فَطُرَتْ عَلَيْهِ أَوَّلًا مِنَ الْإِذْرَاقِ الْجِسْمَانِيِّ . وَرَبَّمَا تَتَغَنَّمُ عَنِ الظَّاهِرِ إِلَى الْبَاطِنِ فَيَتَرَفَّعُ حِجَابُ الْبَدَنِ لِحَظَّةٍ ، إِمَّا بِالْخَاصِيَّةِ الَّتِي هِيَ لِلْإِنْسَانِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، مِثْلَ التَّوَمِّ ، أَوْ بِالْخَاصِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ لِنَبْضِ الْبَشَرِ ،

مثل الكهانة والطرُق ، أو بالريضة مثل أهل الكشف من الصوفية. [فَتَلَنَيْتُ]<sup>(أ)</sup>  
حينئذ إلى الذوات التي فوقها من الملأ الأعلى ، لما يتبين أفضها وأقهم من الاتصال في  
الوجود كما قرره قبل . وتلك الذوات روحانية ، وهي إدراك مخض وعقول والفعل ،  
/ وفيها صور الموجودات وحقائقها كما مر ؛ فيستجلى فيها شيء من تلك الصور  
5 وتشتبس منها علما ؛ وربما دفعت تلك الصور المذكورة إلى الخيال فتصرفه في القوالب  
المعتادة ، ثم تراجع الجس بما أدركت ، إما مجرداً أو في قوالبه ، فتخبر به . هذا هو  
شرح اشتغاد النفس لهذا الإدراك الغيبي .

ولنرجع إلى ما وعدنا به من بيان أضافه : فأما التاطرون في الأجسام  
الشفافة من المريا والطناس والمياه وقلوب الحيوان<sup>(ب)</sup> وأكبادها وعظامها ، وأهل  
10 الطرق بالخصى والنوى ، فكلهم من قبيل الكهان . إلا أنهم أضغف رتبة فيه في  
أصل خلقهم ؛ لأن الكاهن لا يحتاج في رفع جباب الجس إلى كبير<sup>(ج)</sup> معاناة ؛  
وهؤلاء يعانون بأحصار المدارك الحسية كلها في نوع واحد منها ، وأشرفها البصر ،  
فيفتكف به على المزي التسيط حتى يبدو له مذكره الذي يخبر عنه . وربما يظن  
أن مشاهدة هؤلاء لا يروونه ، هو في سطح المرأة ، وليس كذلك . بل لا يزالون  
15 ينظرون في سطح المرأة إلى أن تغيب عن البصر ، ويبدو فيما بينهم وبين المرأة  
حجاب كانه غمام تثقل فيه صور هي [مذكراتهم]<sup>(د)</sup> ، فتشير إليهم بالمقصود فيما  
يتوجهون إلى معرفته من نفي أو إثبات ، فيخبرون بذلك على نحو ما أذكره . وأما  
المرأة وما يذك فيها من [الصور]<sup>(هـ)</sup> فلا يذكونه في تلك الحال ، وإنما ينشأ لهم بها

(أ) ظ وحدها: فتلنت (ب) ج: الحيوانات (ج) ك: كبير (د) كذا في: ع ج ي، وفي ظ: مداركهم (هـ) من ل ج ع ي.

هذا التوجُّع الآخر من الإدراك ، وهو نفساني لَيْسَ من إدراك البصر ، بل يتشكَّلُ به المَذْرُكُ النفساني الحسَّ كما هو مفروق . ومثْلُ ذلك يعْرِضُ للتأطرين في قُلُوبِ الحيوان وأكبادها ، وللتأطرين في الماء والطَّناس ، وأمثال ذلك . وقد شاهدنا من هؤلاء من يَشْغُلُ الجَسَّ بالتخوُّر فقط ، ثم بالغرائم للاستعداد ، ثم يُخْبِرُ عما أَدْرَكَ . ويَزْعَمُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصُّورَ مُتَشَخَّصَةً في الهواء تَحْكِي لَهُمْ أَحْوَالَ مَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى 5 إدراكه بالمثال والإشارة . وَغَيْبُهُ هَؤُلَاءِ عَنِ الْحَسِّ أَخْفُ مِنَ الْأَوَّلِينَ ؛ وَالْعَالَمُ أَبُو الْغَرَائِبِ .

[174] وأَمَّا الزَّجَرُ ، وهو ما يَحْدُثُ مِنْ بَغْضِ النَّاسِ / مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ سُوحٍ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانٍ ، وَالْفَكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَغْيِبِهِ . وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْعَثُ عَلَى الْحَدْسِ وَالْفَكْرِ فِيمَا زَجَرَ فِيهِ مِنْ مَزَيٍّ أَوْ مَسْمُوعٍ . وَتَكُونُ قُوَّتُهُ الْمُتَخَيَّلَةَ كَمَا قَدَّمْنَا 10 قُوَّةً ، فَيَبْعَثُهَا فِي الْبَحْثِ مُسْتَعِيناً بِمَا رَأَاهُ أَوْ سَمِعَهُ ، فَيُؤَدِّيهِ ذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا ؛ كَمَا تَعْمَلُهُ الْقُوَّةُ الْمُتَخَيَّلَةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ زَكُودِ الْحَوَاسِ ، تَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْمَخْسُوسِ الْمَرْقِيِّ فِي يَقْظَتِهِ وَتَجْمَعُهُ مَعَ مَا عَقَلَتْهُ فَيَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا .

وأما المجانين ، فنَفُوسُهُمُ التَّاطِقَةُ ضَعِيفَةُ التَّعَلُّقِ بِالْبَدَنِ ، لَفْسَادِ أَمْرِجَتِهِمْ غَالِباً وَضَعْفِ الزَّوْجِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا ، فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَقِرَّةٍ بِالْحَوَاسِ وَلَا مُنْعِمَسَةٍ فِيهَا<sup>(1)</sup> 15 بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنْ أَلَمِ النَّفْصِ وَمَرَضِهِ ؛ وَرُبَّمَا زَاخَمَهَا عَلَى التَّعَلُّقِ بِهِ رُوحَانِيَّةٌ أُخْرَى شَيْطَانِيَّةٌ تَتَشَبَّهُ بِهِ ، وَتَضَعُفُ هَذِهِ عَنْ مُنَاقَعَتِهَا ، فَيَكُونُ عَنْهُ التَّخَبُّطُ . فَإِذَا أَصَابَهُ<sup>(ب)</sup> ذَلِكَ التَّخَبُّطُ ، إِمَّا لَفْسَادِ مِزَاجِهِ مِنْ فُسَادِ النَّفْسِ فِي ذَاتِهَا ، أَوْ لَمَّا زَاخَمَهُ

(1) سقط من ل (ب) ل: حصل له .

من النفوس الشيطانية في تعلّقه، غاب عن جسده بجملة، فأدرك لفحة من عالم نفسه، وانطبع فيها بعض الصور وصرفها الخيال؛ وربّما نطق على لسانه في تلك الحال من غير إرادة التّطلق.

وإدراك هؤلاء كلّهم مشوّب فيه الحقّ بالباطل؛ لأنّه لا يخلص لهم الاتّصال،  
5 وإن قعدوا الجسّ ، إلّا بعد الاستعانة بالتّصوّرات الأجنبيّة كما قرّرناه . ومن ذلك يبيّئ الكذب في هذه المداير .

وأما العرافون ، فهم المتعلّقون بهذا الإدراك وليس لهم ذلك الاتّصال ، فيستلّطون الفكر على الأمر الذي يتوجّهون إليه ، ويأخذون فيه بالظنّ والتّخمين بناءً على ما يتوهّمونه من مبادئ ذلك الاتّصال والإدراك ، ويدّعون بذلك معرفة الغيب ، وليس منه على الحقيقة . 10

هذا تحصيل هذه الأمور ؛ وقد تكلم عليها المشعودي في مروج الذهب<sup>(1)</sup> ، فما صادف تحقّقًا ولا أصابه . ويظهر من كلام الرجل أنه كان بعيدًا عن الرّسوخ في المعارف ، / فينقل ما سمع من أهله ومن غير أهله.

[74 ب]

وهذه الإدراكات التي ذكرناها موجودة كلّها في نوع البشر . فقد كان العرب يفرّعون إلى الكهان في تعرفّ الحوادث ، ويتنافرون إليهم في الخصومات ليقرّفوهم بالحقّ فيها من إدراك غيبهم . وفي كتب أهل الأدب كثير من ذلك . واشتهر منهم في الجاهليّة<sup>(2)</sup> شقيق من أنمار بن بزار ، وسطيح من مازن بن عسّان ، وكان

(1) سقط ما بين النجيين من ل .

(2) مروج الذهب ، الباب الحادي والحسون ، والثاني والحسون : 301 . 317 .

يُنْزَجُ كما يُنْزَجُ الثَّوْبُ ولا عَظَمَ فِيهِ إِلَّا الْجُمُوعَةُ . ومن مَشْهُورِ الحِكاياتِ عَنْهَا  
تَأْوِيلُهَا رُؤْيَا رَبِيعَةَ بْنِ نَضْرٍ ، وما أَخْبَرَاهُ بِهِ مِنْ مُلْكِ الحَبَشَةِ لِلْيَمَنِ ، وَمُلْكِ مُضَرَ  
مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَظُهُورِ الثُّبُوءِ الْمُخَمَّدِيَّةِ فِي فُرَيْشٍ . وَكَذَا رُؤْيَا الْمُؤَنِّدَانِ الَّتِي أَوَّلُهَا  
سَطِيحٌ لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ بِهَا كَثْرَى عَبْدُ الْمَسِيحِ ، فَأَخْبَرَهُ بِشَأْنِ الثُّبُوءِ وَخَرَابِ مُلْكِ  
فَارِسٍ . وَهَذِهِ كُلُّهَا مَشْهُورَةٌ .

5

وَكَذَلِكَ الْعَرَّافُونَ ، كَانَ فِي الْعَرَبِ مِنْهُمْ كَثِيرٌ ، وَذَكَرُوهُمْ فِي أَشْعَارِهِمْ ،  
فَقَالَ<sup>(1)</sup> : [مِنْ الطَّوِيلِ]

فَقُلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ دَاوْنِي      فَلَيْتَكَ إِنْ دَاوَيْتَنِي لَطِيبُ

وَقَالَ آخِرُ<sup>(2)</sup> : [مِنْ الطَّوِيلِ]

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ      وَعَرَّافِ نَجْدٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي  
فَقَالَا: شَفَاكَ اللَّهُ ، وَاللَّهِ مَا لَنَا      بِمَا حَمَلْتُ مِنْكَ الصُّلُوعَ بَدَانِ

10

وَعَرَّافُ الْيَمَامَةِ هُوَ رِيَّاحُ بْنُ مِجْلَةَ ؛ وَعَرَّافُ نَجْدٍ : الْأَبْلَقُ الْأَسَدِيُّ .

[وَمِنْ<sup>(1)</sup> هَذِهِ الْمَدَارِكِ الْغَيْبِيَّةِ مَا يَصْدُرُ لِبَغْضِ النَّاسِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقِظَةِ

وَالْتِبَاسِهِ بِالْثُؤْمِ ، مِنْ الْكَلَامِ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُغْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ

الْأَمْرُ كَمَا يُرِيدُ . وَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا فِي مَبَادِيءِ الثُّؤْمِ عِنْدَ مُفَارَقَةِ الْيَقِظَةِ وَذَهَابِ

15

(1) سَقَطَ مِنْ ط .

(1) اللَّيْلُ لِعُرْوَةَ بْنِ حِزَامٍ ، (الْأَغَانِي 84/24) وَرَوَايَةُ اللِّسَانِ (عَرَفَ) : فَإِنَّكَ إِنْ أَبْرَأْتَنِي ... .

(2) هُوَ عُرْوَةُ بْنُ حِزَامٍ أَيْضاً ، انْظُرِ الْأَغَانِي 84 : 24 .

الاختيار في الكلام ، فيتكلم كأنه مجبول على التطق ؛ وغايته أن يسمعه ويثمه .  
وكذلك يصدّر عن المقتولين عند مفارقة رؤوسهم وأوساط أبدانهم كلاماً بمثل ذلك .  
ولقد بلغنا عن بعض الجبابرة الظالمين أنهم قتلوا من سجونهم أشخاصاً ليتقرؤوا من  
كلامهم عند القتل / عواقب أمورهم في أنفسهم ، فأعلموهم بما يستنبشع . وذكر [175]  
5 منسلةً في كتاب الغاية له ، في مثل ذلك ، أن آدميتاً إذا جعل في ذن مملوء بذهن  
السفيسم<sup>(1)</sup> ومكث فيه أربعين يوماً يُغذّى بالتين والجوز حتى يذهب لحمه ولا يتبقى  
منه<sup>(ب)</sup> إلا العروى وشوؤن رأسه ، فيخرج من ذلك الدهن ، وحين يجف عليه الهواء  
يجيب عن كل شيء يُسأل عنه من عواقب الأمور الخاصة والعامة . وهذا فعلٌ من  
مناكير أفعال السخرة . لكن تهم منه عجائب العالم الإنساني .

10 ومن الناس من يحاول حصول هذا المذكّر القيني بالرياضة ؛ فيحاولون  
بالمجاهدة موتاً صناعياً بإماتة جميع القوى البدنية ، ثم مخو آثارها التي تلون بها  
النفس ، وذلك يحصل بجمع الفكر وكثرة الجوع . ومن المعلوم على القطع ، أنه إذا  
نزل الموت بالبدن ذهب الجش وججائه ، وأطلقت النفس على ذاتها وعالمها ،  
فيحاولون ذلك بالأكتساب ، ليقع لهم قبل الموت منه ما يقع بعد الموت ، وتطلع  
15 النفس على المغيبات .

ومن هؤلاء أهل الرياضة السحرية ، يتراضون بذلك لينحصل لهم  
الاطلاع على المغيبات والتصرف في العوالم . وأكثر هؤلاء في الأقاليم المنحرفة

(1) ضبطها في ع الشنم بنض الشين المشددة بعدها ميم ساكنة وسين مفتوحة ، وهو من أسماء الذئب والعلب ، وبالكسر :  
الجلجلان (ب) ج: فيه .



جنوباً أو<sup>(1)</sup> شمالاً وخصوصاً بلاد الهند . ويُستَوْن هنالك الجوكية ، ولهم كُتِبَ في كيفية هذه الرياضة كثيرة ، والأخبار عنهم في ذلك غريبة .

- وأما المتصوفة فرياضتهم دينية وعريّة من هذه المقاصد المذمومة ؛ وإنما يقصدون جمع الهمة والإقبال على الله بالكليّة ، لتحصل أذوائ العزفان والتوحيد ، ويزيدون في رياضتهم إلى الجمع والجوع التّغذية بالذكر، فها يتمّ ويختمهم في هذه 5 الرياضة . لأنه إذا نشأت النفس على الذكر كانت / أقرب إلى العزفان بالله؛ وإذا غريّت عن الذكر كانت شيطانية. وحصول ما يحصل من معرفة الغيب أو التصرف لهؤلاء المتصوفة ، إنّما هو بالعرض، ولا يكون مقصوداً من أول الأمر؛ لأنه إذا قصد ذلك كانت الوجهة فيه لغير الله؛ وإنّما هي لغرض التصرف والاطلاع على الغيب، وأخسِر بها صفّة، فإنّها في الحقيقة شرك. قال بعضهم: من آثر العزفان للعزفان فقد 10 قال بالتّافّي. فهم يقصدون بوجهتهم المعبود لا لشيء سواه. وإن حصل إنشاء ذلك ما يحصل فبالعرض، وغير مقصود لهم. وكثير منهم يقرّ منه إذا حصل<sup>(ب)</sup> له ولا يحفل به، وإنّما يريد الله لذاته لا لغيره، وحصول ذلك لهم معروف. ويُستَوْن ما يقع لهم من الغيب والحديث على الخواطر فِراسة وكشفاً ، وما يقع لهم من التصرف كرامة ؛ ولئس شيء من ذلك بنكير في حقهم. وقد ذهب إلى إنكاره الأستاذ أبو إسحاق 15 الإشقراني، وأبو محمد ابن أبي زَيْد المالكي<sup>(1)</sup>، في آخرين، فراراً من التّباس المعجزة

(1) ع : و (ب) في ع : عرض .

(1) كتب كتاب الكشف وكتاب الاستظهار - ولم يعللنا - في نقض كتاب عبد الرحمن الصقلي في خرق العادات. انظر المدارك 6: 219.

بغيرها . والمعول عند المتكلمين حصول التفرقة بالتخدي ، فهو كافٍ . وقد ثبت في الصحيح<sup>(1)</sup> أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ فِيكُمْ مُخَذَّنِينَ وَإِنَّ مِنْهُمْ عَمْرٌ". وقد وقع للصحابه من ذلك وقائع معروفة تشهد بذلك، في مثل قول عمر رضي الله عنه<sup>(2)</sup> : يا ساريه الجبل! وهو ساريه بن زُتيم، كان قائدا على بغض جيوش المسلمين بالعراق 5 أيام الفتوحات ، وتورط مع المشركين في مُغْتَرِكٍ وَهُمْ بِالْإِنْهَزَامِ ، وكان يُقرِّبه جَبَلٌ يَنْحَازُ إِلَيْهِ ، فُزِعَ لَعَمْرُ ذَلِكَ وهو يُخْطَبُ على الجُنْبِ بالمدينة ، فناداه: يا ساريه الجبل! وسمعه ساريه بمكانه ورأى شَفْصَه هُنَاكَ ، وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ. ووقع مثله أيضاً لأبي بكر في وَصِيَّيْهِ عَائِشَةُ ابْنَتُهُ [رضي الله عنها]<sup>(3)</sup> في شَأْنٍ مَا نَحَلَهَا / من أَوْسُقِي [176] الثَّمَرِ من حديثه، ثم تَبَّهَا على جِدَادِهِ لِحَوْرِهِ عَنِ الْوَرْتَةِ ، فقال في سياق كلامه: 10 وَإِنَّمَا أَخْوَالِي وَأَخْتَالِي؛ فَقَالَتْ: إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ، فَتَرَى الْآخَرَى؟ فقال: إِنَّ ذَا بَطْنٍ بَنَتْ خَارِجَةً، أَرَاهَا جَارِيَةً؛ فَكَانَتْ جَارِيَةً. وقع في الموطأ<sup>(3)</sup> في باب ما لا يجوز من التخل. ومثل هذه الوقائع كثيرة لهم ولن نغدهم من الصالحين وأهل الافتداء. إلا أن المتصوفة يقولون إنه يقل في زمن النبوة؛ إذ لا يبقى للمريد حالة بحضرة النبي؛ حتى

(1) سقط من ط .

(1) لم يرد في الصحيح بهذا اللفظ، وإنما جاء في صحيح مسلم (2398) من حديث عائشة أن النبي ﷺ كان يقول: "قد كان يكون في الأم قبلكم مُخَذَّنُونَ، فإن يكن من أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم". قال عبد الله بن وهب (راوي الحديث) : تفسير مُخَذَّنُونَ، مُلْهُمُونَ .

ومثل هذا أخرجه الحيدري (253) وأحمد 6: 55 والترمذي (3693) .

(2) تاريخ الطبري 4: 178 ، 179 .

(3) الموطأ 2: 298 رقم 2189 برواية الليثي .

أنهم يقولون : إنَّ المرید إذا جاء إلى المدينة النبویة سُلِبَ حالُه ما دام فيها حتَّى یُفارِقُها . والله یزقنا الهدایة ویزیدنا إلى الحق .

### 3. فَصْلٌ :

- ومن هؤلاء المریدین من المتصوّفة قومٌ بهالیل مفتوهون ، أشبه بالمجانین من الفقلاء ، وهم مع ذلك قد صحّت لهم مقامات الولاية وأحوال الصّديقین ، وعلم ذلك 5 من أحوالهم من يتّهم عنهم من أهل الدّوق، مع أنّهم غیر مُکَلَّفین. ویقع لهم من الإخبار عن المُتَغَيّبات عجائب؛ [أنّهم]<sup>(1)</sup> لا یَتَّقَتِدُونَ بشيءٍ ، فیطلقون کلامهم في ذلك ویأتون منه بالعجائب. ورُبّما یُنکر الفقهاء أنّهم على شيءٍ من المقامات ، لما یَروْن من سُقوط التّکلیف عنهم ؛ والولاية لا تُحْصَلُ إلّا بالعبادة . وهو غلطٌ ؛ فإنّه ﴿فَضَّلَ اللهُ یُؤْتِیْهِ مِنْ نِشَاءٍ﴾ [سورة المائدة ، من الآية 54] ، ولا یَسُوْقُ حُصُولُ 10 الولاية على العبادة ولا غيرها . وإذا كانت النّفس الإنسانیة ثابتة الوجود ، فالله تَعَالَى یَخْصُها بما شاء من مواهبه ؛ وهؤلاء القومُ لم تُقدم نفوسهم الناطقة ولا فسدت کحال المجانین ؛ وإنّا فُقِدَ لهم العقل الَّذي یُنَاطُ به التّکلیف ، وهو صِفَةٌ خاصّةٌ للنّفس ، وهي علومٌ ضروریة للإنسان یَسْتَدُّ<sup>(ب)</sup> بها نَظَرُه ویَعْرِفُ أحوالَ معاشِه 15 واستقامته منزله. وكأنّه إذا مَیَزَ أحوالَ معاشِه / لم یَتَقَ له غُذْرٌ في قبول التّکالیف لإصلاح معاده . ولَیس من فُقِدَ هذه الصّفة بفاقدٍ لنفسه ولا ذاهلٍ عن حقیقته؛

(1) سقط من ط (ب) ی: یستبدّ .

فيكون موجودَ الحقيقة، معدومَ العقل التَّكْلِيفِيّ الَّذِي هو مغرقةُ المعاش، ولا استحالةٌ في ذلك؛ ولا يَتَوَقَّفُ اضطرّاءُ الله عبادَه للمعرفة على شَيْءٍ من التَّكْلِيفِ. وإذا صَحَّ ذلك، فاعلم أَنَّهُ زَيْناً يَلْتَبِسُ حَالُ هَؤُلَاءِ بِالْجَانِينِ الَّذِينَ تُسَدُّ نَفْسُهُم التَّاطِقةُ وَيَلْتَجِفُونَ بِالنِّهَامِ . ولك في تَمْيِيزِهِم علاماتٌ؛ منها : أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبَهَائِلَ تَجِدُ 5 لهم وَجْهَةً ما لا يَخْلُون عنها أَصْلاً من ذِكْرِ وِعْبَادَةٍ، لكنَّ على غَيْرِ الشَّرُوطِ الشَّرْعِيَّةِ لما قُلْنَا من عَدَمِ التَّكْلِيفِ . وَالْجَانِينُ لا تَجِدُ لهم وَجْهَةً أَصْلاً ، ومنها أَنَّهُمْ يُخْلَقُونَ على الْبَلَاءِ من أَوَّلِ نُشُوءِهِمْ. وَالْجَانِينُ يَغْرِضُ لهم الْجَنُونَ بَعْدَ بَرْهَةٍ من الْعُمُرِ لِعَوَارِضَ بَدَنِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ، إِذَا عَرَضَ لهم ذَلِكَ وَفَسَدَتْ نَفْسُهُم التَّاطِقةُ، ذَهَبُوا بِالْحَيَاةِ. ومنها كَثْرَةُ تَصَرُّفِهِمْ فِي النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، لأنَّهُمْ لا يَتَوَقَّفُونَ على إِذْنِ لَعَدَمِ التَّكْلِيفِ 10 فِي حَقِّهِمْ؛ وَالْجَانِينُ لا تَصَرُّفُ لَهُمْ .

وهذا فَضْلٌ انْتَهَى بِنَا الْكَلَامِ إِلَيْهِ ؛ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ.

#### 4. فَضْلٌ:

وقد يُزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هُنَا مَدَارِكَ الْغَيْبِ من دُونِ غَيْبَةٍ عَنِ الْجِسِّ . فَمِنْهُمُ الْمُنْتَجِمُونَ الْقَائِلُونَ بِالذَّلَالَةِ التَّجُومِيَّةِ وَمُقْتَضَى أَوْضَاعِهَا فِي الْفَلَكِ ، وَأَنَارِهَا 15 فِي الْعُنَاصِرِ ، وَمَا يَخْضُلُ مِنَ الْإِمْتِزَاجِ بَيْنَ طَبَاعِهَا بِالتَّنَاطُرِ، وَيَتَأَدَّى مِنْ ذَلِكَ الْمِزَاجِ إِلَى الْهَوَاءِ . وَهَؤُلَاءِ الْمُنْتَجِمُونَ لَيْسُوا مِنَ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ ؛ إِنَّمَا هِيَ ظُنُونٌ خَدْسِيَّةٌ وَتَخْمِينَاتٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّأَثُّرِ التَّجُومِيِّ ، وَحُصُولِ الْمِزَاجِ مِنْهُ لِلْهَوَاءِ ، مَعَ مَزِيدِ خَدْسٍ

يَقِفُ بِهِ الْإِتَاطُ عَلَى تَفْصِيلِهِ فِي الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ بَظَلْفِيُوسُ<sup>(١)</sup>. وَنَحْنُ  
نُبَيِّنُ بِظُلْآنِ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهُوَ لَوْ ثَبَتَ فَعَائِثُهُ حَدْسٌ وَتَحْمِيْنٌ ،  
وَلَيْسَ تَمَّا ذِكْرُنَا فِي شَيْءٍ.

- [١٧٧] وَمِنْ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ ، / اسْتَنْبَطُوا لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعَرَّفَ  
الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةً سَمَّوْهَا حَطَّ الرَّكْلِ ، يَنْسِبُهُ إِلَى الْمَادَّةِ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا عَمَلَهُمْ<sup>(١)</sup> 5  
وَمَخْصُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا مِنَ الثَّقَطِ أَشْكَالاً ذَاتَ أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ ، تَخْتَلِفُ  
بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الرُّوْجِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ ، أَوْ<sup>(ب)</sup> اسْتِوَانِهَا فِيهَا ، فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ  
شَكْلًا ؛ لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَزْوَاجًا كُلُّهَا أَوْ أَفْرَادًا فَشَكْلَانِ ؛ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِيهَا مِنْ<sup>(ج)</sup>  
مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ ؛ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فِسِتَّةَ أَشْكَالٍ ؛ \* وَإِنْ  
كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَأَرْبَعَةُ أَشْكَالٍ \*<sup>(د)</sup>. جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا ؛ مِيزُوهَا [كُلُّهَا]<sup>(هـ)</sup> 10  
بِأَسْمَائِهَا ، وَتَوَعُّوْهَا إِلَى سُعُودٍ وَنُحُوسٍ ، شَأْنِ الْكَوَاكِبِ ، وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ يَنْتَأُ  
طَبِيعِيَّةً . يَزْعُمُهُمْ ، وَكَانَتْهَا الْبُرُوجُ الْإِثْنِي عَشَرَ الَّتِي لِلْفَلَكَ وَالْأَوْتَادِ الْأَرْبَعَةِ ، وَجَعَلُوا  
لِكُلِّ شَكْلٍ يَنْتَأُ وَخُطُوطًا<sup>(ز)</sup> وَدِلَالَةً عَلَى صِنْفٍ مِنَ عَالَمِ الْعُنَاصِرِ يَخْتَصُّ بِهِ ،  
وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَتًّا حَادِّثًا بِهِ فَنَ النَّجْمَةِ وَنَوْعَ قَضَائِهِ . إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النَّجْمَةِ  
مُسْتَنْدَةً إِلَى أَوْضَاعٍ<sup>(ح)</sup> طَبِيعِيَّةٍ كَمَا زَعَمَ بَظَلْفِيُوسُ<sup>(٢)</sup> ، وَهَذِهِ إِنَّمَا مُسْتَنْدُهَا أَوْضَاعٌ<sup>(ز)</sup> 15

(١) كَذَا فِي: ط ع ج ي، وفي ل: عليهم، وأصلحت في الحاشية عن نسخة: صانعهم (ب) ع: و (ج) ع: في (د) سقط ما بين الجيمين من ع (هـ) سقط من ع (و) ع ل: وحطوطًا (ز) في ج ع: دلالات (ح) كذا في ط، وفي ع: إنما دلالاتها وضعية. وفي ج أضيفت حاشية بخط رقعة متأخر: تشمل السقط التالي الذي افتردت به ع .

(١) و(٢) لم تحدد مصدر النقل .

• تحكّية وأهواء اتّفاقية، ولا دليل يقوم على شيء منها<sup>(1)</sup>. (ب) إودك أن بظلفيوس إنّما تكلم في المواليد والقرانات التي هي عنده من آثار الكواكب والأوضاع الفلكية في عالم العناصر، وتكلم المنتجمون من بعده في المسائل باستخراج الصّائر وتقسيمها على يوت الفلك، والحكم عليها بأحكام ذلك البنت 5 النجومية، وهي التي ذكر بظلفيوس.

واعلم أن الصّائر أمور نفسية ليست من عالم العناصر، فليست من آثار الكواكب ولا الأوضاع الفلكية، ولا دلالة لها عليها، نعم، إنه صار لقن المسائل مدخل في صناعة النّجامة من حيث الاستدلال بالكواكب والأوضاع، إلا أنه في غير مذلوله الطبيعي، فلما جاء أهل الخط، عدلوا عن الكواكب والأوضاع، استبضعاً لمعانة الارتفاع بالآلات، وتعديل الكواكب بالجنسان؛ واستخرجوا هذه الأشكال 10 الخطية وفرضوها ستة عشر بيتاً من يوت الفلك وأوتادها، وتوعوها إلى سغدي ونحس ومفتوح، شأن الكواكب الشّارة، واقتصروا على التّشديد من المناظرة، ونزلوا الأحكام النّجومية عليها كما في المسائل، لأن دلالة كلّ منها غير طبيعية كما قدّمناه.

15 وانشحل هذه الصناعة كثير من البطالين للمعاش في المدين، وصتفوا فيها التصانيف المحصّلة لقواعدها وأصولها، كما فعله الرّناقي منهم وغيره. وقد يكون من أهل هذه الصناعة من يتعرّض بها لإدراك الغيب، بإشغال الحس بالنظر في أشكال

(1) سقط من ع (ب) زيادة افردت بها نسخة ع.

تلك الخطوط، فتغتربه حالة الاستعداد كما يغترى المفطورين على ذلك، كما نذكره  
 بعد، وهؤلاء أشرف أهل هذه الصناعة، وهم على الجملة<sup>(أ)</sup> يزعمون أن أصل ذلك  
 من الثبوت القديمة في العالم، وربما نسبوها إلى ذانيال أو<sup>(ب)</sup> إدريس صلوات الله  
 عليها، شأن الصانع كلها، وربما يدعون مشروعيّتها، ويحتجون<sup>(ج)</sup> بقوله ﷺ<sup>(د)</sup> :  
 "كان نبيّ يخطّ، فمن وافق خطّه فذاك". وليس في الحديث دليل على مشروعيّة  
 5 خط الزمل كما يزعمه بعض<sup>(هـ)</sup> من لا تحصيل لديه؛ لأنّ معنى الحديث: "كان  
 نبيّ يخطّ فيأتيه الوحي عند ذلك [الخط]"<sup>(هـ)</sup>؛ ولا استحالة في أن يكون ذلك عادة  
 لبغض الأنبياء،<sup>(و)</sup> [فإنهم صلوات الله عليهم متفاوتون في إدراك الوحي]. قال الله  
 تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة، من الآية 253] فمنهم من  
 يأتيه الوحي ويكلمه الملك ابتداء من غير طلب ولا وجهة لذلك، ومنهم من يتوجّه  
 10 فيما يفرض له من أمور البشر سؤال أمته عن مشكل أو تكليف أو نحو ذلك،  
 فيتوجّه وجهه زبانية بتعرض بها لكشف ما يريد من ذلك من الله، ويغطي التقسيم  
 هنا قسمًا آخر إن وُجد، لأنّ الوحي قد يكون وهو لا يستعيد له شيء من  
 الأحوال، كالذي ذكرناه. وقد يكون وهو مستعيد ببعض الأحوال، كما قيل في  
 الإسرائيليات<sup>(ز)</sup> أن نقض الأنبياء كان يستعيد لزول الوحي بسماع الأصوات الطيبة  
 15 الملمنة، وهذا الثقل وإن لم يكن متمكنًا في الصحة<sup>(ح)</sup> إلا أنّه غير بعيد. فأنه تعالى

(أ) انتهى النص الذي انفردت به نسخة ع (ب) ع ج ي: أو إلى (ج) ع: ويحتجون لذلك (د) ع: بعضهم لأن معنى... (هـ) سقط  
 من ظ (و) نص انفردت بإثباته نسخة ع (ز) رسمت في ع: الإسرائيليات (ح) كلمة مدحجة الحروف، وقراءتها تقريبية.

(1) أخرجه مسلم (537)، وتفسيره في شرح الأبي لمسلم 436 2.

يَحْتَضُ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ بِمَا يَشَاءُ . وإذا تَقَرَّرَ ذلك ، وقد كُنَّا قَدَّمْنَا أَنَّ فِي أَصْحَابِ خَطِّ  
الزَّمَلِ مَنْ يَتَعَرَّضُ لِلْكَشْفِ بِهِ بِإِشْغَالِ الْجِسِّ بِالتَّظَرُّفِ فِي تِلْكَ الْخُطُوطِ  
وَالْأَشْكَالِ ، فَيَفْتَرِيهِ حِينَئِذٍ الْإِدْرَاكُ الْغَيْبِيِّ الْوُجْدَانِيَّ بِالتَّقَرُّغِ عَنِ الْجِسِّ جُمْلَةً ،  
ويفارقُ المداركَ البشريةَ إلى المداركِ الروحيةِ ، وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُهَا ، وهذا من  
5 الكيهانة ، من تَوَعُّدِ التَّظَرُّفِ فِي الْعِظَامِ وَالْمِيَاهِ وَالْمَرَايَا ، بِخِلَافِ مَنْ يَتَصَيَّرُ فِي ذَلِكَ مِنْهَا  
عَلَى الْأَمْرِ الصَّنَاعِيِّ الَّذِي يَخْضُلُ بِهِ عَلَى الْغَيْبِ بِالْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ ، وَهُوَ لَمْ  
يُفَارِقِ الْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةَ بَعْدَ ، جَانِلًا فِي مَرَامِي الطَّنُونِ . فَقَدْ يَكُونُ شَأْنُ  
بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ الْإِسْتِعْدَادَ بِالْخَطِّ فِي مَقَامِهِ التَّبَوُّيِّ لِحَطَابِ الْمَلِكِ ، كَمَا يَسْتَعِدُّ بِهِ مَنْ  
لَيْسَ بِنَبِيِّ لِلْإِدْرَاكِ الرَّوْحَانِيِّ ، وَمَفَارِقَةُ الْمَدَارِكَ الْبَشَرِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّ إِدْرَاكَهُ رَوْحَانِيَّ  
10 فَقَطْ ، وَإِدْرَاكُ التَّيِّ مَلَكِيٍّ بِالْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ [ وَأَمَّا مَقَامَاتُ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْخَطِّ  
فِي مَدَارِكِ الْحَدْسِ وَالتَّخْمِينِ ، فَخَاشَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْهَا ، فَإِنَّهُمْ لَا يُشْرَعُونَ التَّكَلَّمَ  
بِالْغَيْبِ وَلَا الْخَوْصَ فِيهِ لِأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ . وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ ]<sup>(١)</sup> : فَمَنْ وَافَقَ خَطَّ  
ذَلِكَ التَّيِّ فَهُوَ ذَلِكَ<sup>(ب)</sup> ، أَيُّ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيِّنِ الْخَطِّ بِمَا عَصَدَهُ مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ  
التَّيِّ الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ . [ أَوْ تَكُونُ الْإِشَارَةُ بِذَلِكَ إِلَى  
15 تَعْظِيمِهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ فِي اتِّخَاذِ خُطُوطِ الزَّمَلِ ، بَلْ لَا يَنْسَبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِذَا كَانَ  
عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ عِنْدَ التَّيِّ يَسْتَعِدُّ بِهِ لِلْوَحْيِ ، فَيَأْتِي عَلَى وِفَاقِهِ ]<sup>(١)</sup> .  
/ وَأَمَّا إِذَا أُخِذَ ذَلِكَ عَنِ الْخَطِّ بِجَرْدٍ عَنْ غَيْرِ مُوَافَقَةٍ وَخِي فَلَا [صِحَّةَ فِيهِ] <sup>(ج)</sup> . [ 77 ب ]  
وهذا مَعْنَى الْحَدِيثِ ، وَاللَّهُ أَغْلَمُ .

(١) مِنْ ع وَحْدَهَا (ب) ع ل ج ي: ذَاك (ج) مِنْ ع .



وليس فيه دلالة على مشروعية خط الزمل ولا جواز احتلاله لتعرف الغيب ، كما هو شأن أهله في المذن ، وإن مآل إلى ذلك بعضهم ، بناء على أن فعل التي شرعة متبعة ، فيكون مشروعاً على مذهب من يرى أن شرع من قبلنا شرع لنا ، وليس هذا بمطابق لئناك ، فإن الشرع إنما هو للرسل المرشحين للأمام ، والحديث لم يدل على ذلك ، وإنما دل على أن هذه الحالة قد تحصل لبغض الأنبياء ، 5 ويحتمل أن يكون غير مشروع ، فلا يكون ذلك شرعاً لا خاصاً بأمته ولا عاماً لهم ولغيرهم ، وإنما يدل على أنها حالة تقع لبغض الأنبياء خاصة به فلا تعداه للبشر ، وهذا آخر ما أردنا تحقيقه هنا ، والله الملم للمصواب<sup>(1)</sup> .

فإذا أرادوا استخراج مغييب برغمهم ، عمدوا إلى قسطاس أو زمل أو دقيق ، فوضعوا النقط سطوراً على عدد المراتب الأربع ، ثم كرروا ذلك أربع مرات ، فتجيء 10 ستة عشر سطرأ . ثم يطرحون النقط أزواجاً ، ويضعون ما بقي من كل سطر زوجاً كان أو فرداً في مرتبته على الترتيب ، فتجيء أربعة أشكال يضعونها في سطر متتالية ؛ ثم يؤلدون منها أربعة أشكال أخرى من جانب الغرض ، باعتبار كل مرتبة وما قائلها من الشكل الذي بإرائه وما يجتمع فيها من زوج أو فرد ، فتكون ثمانية أشكال موضوعة في سطر ؛ ثم يؤلدون من كل شكلين شكلاً تحتها ، 15 باعتبار ما يجتمع في كل مرتبة من مراتب الشكلين أيضاً من زوج أو فرد ، فتكون أربعة أخرى تحتها ؛ ثم يؤلدون من الأربعة شكلين كذلك تحتها ؛ ثم من الشكلين شكلاً كذلك تحتها<sup>(ب)</sup> ؛ ثم من هذا الشكل الخامس عشر مع الشكل الأول شكلاً

(1) زيادة من ع وحدها (ب) ع: تحتها .

يكون آخر الستة عشر. ثم يحكون على الخط كله بما اقتضته أشكاله من السعادة  
والثحوسة بالذات، والتظر والحلول والامتزاج والدلالة على أضاف الموجودات،  
وسائر ذلك، تحكما غريباً .

وكررت هذه الصناعة في الغفران، ووضعت فيها التواليف، واشتهر فيها  
5 الأغلام من المتقدمين والمتأخرين ؛ وهي كما رأيت تحكم وهوى . والتحقيق الذي  
ينبغي أن يكون نُصِبَ فِكْرُك، أن الغيوب لا تُدْرِك بصناعة البتة ، ولا سبيل إلى  
تعرّفها إلا للخواص من البشر ، المَفْطُورين على الرجوع عن عالم الجس إلى عالم  
الروح . ولذلك يُسمّى المنجمون هذا الصنف كلهم بالزُهريّين ، نسبة إلى ما تقتضيه  
دلالة الزهرة بزعمهم في أصل مواليدهم على إدراك الغيب . فالخط وغيره من هذه  
10 إن كان التّأطّر فيه من أهل هذه الخاصية، وقصد<sup>(1)</sup> بهذه الأمور التي ينظر فيها من  
النّقط والعظام أو غيرها / إشغال الجس لتزجج النّفس إلى عالم الرّوحانيّات لحظة،  
فهو من باب الطّرق بالحصى والنّظر في قلوب الحيوانات<sup>(ب)</sup>، والمرآة السّقافة كما  
ذكرناه . وإن لم يكن كذلك ، وإنّا قَصَدَ مَعْرِفَةَ الْمَغِيبِ بهذه الصناعة ، فهتّز من  
القول والعمل . والله يهدي من يشاء .

15 والعلامة لهذه الفطرة التي فطر عليها أهل هذا الإدراك الغيبي ، أنهم عند  
توحيهم إلى تعرّف الكائنات، يفتريهم خُروج عن حالتهم الطّبيعيّة، كالنّشأوب والنّشط  
ومباديء النّية عن الجس ، ويختلف ذلك بالقوّة والضعف على اختلاف وجودها

(1) ع . وقصده (ب) في ط ح ي : وغيرها ثمانية أنشأنا .

فهم . فمن لَمْ تُوجَدْ له هذه العلامة فَلَيْسَ من إدراك الغيب في شَيْء ؛ وإِنَّمَا هو ساعٍ في تَتَفِيْق كَذِبِهِ .

## 5. فَضْلٌ :

ومِنْهُمْ طَوَائِفُ يَصْعَوْنَ قَوَائِنَ لاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ، لَيْسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَدَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَلَا مِنْ الْحَدْسِ الْمُنِيِّ عَلَى تَأْثِيرَاتِ التُّجُومِ 5 كَمَا زَعَمَهُ بَطْلَمْيُوسُ<sup>(1)</sup>، وَلَا مِنَ الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ الَّذِي يُحَاوِلُ عَلَيْهِ الْعَرَّافُونَ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مَغَالِطٌ يَجْعَلُونَهَا كَالْمَصَائِدِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الْمُسْتَضْعَفَةِ. وَلَيْسَتْ أَذْكَرَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ الْمُضْئِقُونَ وَوُلِعَ بِهِ الْخَوَاصِرُ .

فَمِنْ تِلْكَ الْقَوَائِنِ، الْحِسَابُ الَّذِي يُسَمُّوهُ حِسَابَ النِّيمِ، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ الْمُنْسُوبِ لِأَرِسْطُو<sup>(2)</sup>، يُعْرَفُ بِهِ الْغَالِبُ مِنَ الْمَغْلُوبِ فِي 10 الْمُتَحَارِبِينَ مِنَ الْمُلُوكِ . وَهُوَ أَنَّ تُحْسَبَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي اسْمِ أَحَدِهِمَا بِحِسَابِ الْجُمْلِ الْمُصْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُجَدٍّ، مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْأَلْفِ، آحَاداً وَعَشْرَاتٍ وَمِئِينَ وَأُلُوفاً. فَإِذَا حَسِبْتَ الْاسْمَ وَحَصَلْ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ، فَاحْسِبْ اسْمَ الْآخَرِ كَذَلِكَ، ثُمَّ اطْرَحْ مِنْ<sup>(1)</sup> كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا تِسْعَةً تِسْعَةً، وَاحْفَظْ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا، ثُمَّ انْظُرْ بَيْنَ

(1) سقط من ع .

(1) لم يصل إلى تعيين مأخذ ابن خلدون من بطلميوس .  
(2) لم تقف عليه في القسم المطبوع من السياسة العامية .

العَدَدَيْنِ الباقيَيْنِ من حسابِ الاثْنَيْنِ ، فإن كانا مُخْتَلِفَيْنِ في الكِميَّة ، وكانا معاً زوجَيْنِ أو فَرْدَيْنِ ، فصاحبُ الأقلِّ منهما هو الغالبُ ؛ وإن كان أحدهما زَوْجاً والآخر فَرْداً ، فصاحبُ الأكثرِ هو الغالبُ ، وإن كانا مُتساوِيَيْنِ في الكِميَّة وهما معاً زوجان ، فالطالِبُ هو الغالبُ ، وإن كانا معاً فَرْدَيْنِ / فالطالِبُ هو الغالبُ . ونَقُلْ ههناك [78 ب] 5 يَبَيِّنُ في هذا الفِعلِ اشْتِهَارَ بَيْنِ النَّاسِ ، وهما<sup>(1)</sup> : [من الطويل]

أَرَى الزَّوْجَ والأَفْرَادَ<sup>(1)</sup> يَنْسَمُو أَقْلَهَا وَأَكْثَرُهَا عِنْدَ التَّخَالُفِ غَالِبٌ  
وَيَغْلِبُ مَطْلُوبٌ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي وَعِنْدَ اسْتِوَاءِ الْفَرْدِ يَغْلِبُ طَالِبٌ

ثم وَصَّموا لِمعْرِفةِ مَا تَبَيَّنَ مِنَ الحُرُوفِ بَعْدَ طَرَحِهَا بِتِسْعَةٍ ، قَانُوناً مَعْرُوفاً  
عِنْدَهُمْ فِي طَرَحِ تِسْعَةٍ . وَذلكَ بَأَن يَجْمَعُوا الحُرُوفَ الثَّلَاثَةَ عَلَى الوَاحِدِ فِي المَرَاتِبِ  
10 الأَرْبَعِ ، وَهي : أ الثَّلَاثَةُ عَلَى الوَاحِدِ ؛ وَ ي الثَّلَاثَةُ عَلَى العَشْرَةِ ، وَهي وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ  
العَشْرَاتِ ؛ وَ ق الثَّلَاثَةُ عَلَى المِائَةِ ، لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ المِائَتَيْنِ ؛ وَ (ش)<sup>(ب)</sup> الثَّلَاثَةُ  
عَلَى الأَلْفِ ، [وَهي]<sup>(ج)</sup> وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الأَلْفِ ؛ وَلَيْسَ بَعْدَ الأَلْفِ عِدَدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ  
بِالحُرُوفِ ، لِأَنَّ الشَّيْنَ<sup>(د)</sup> هِيَ آخِرُ حُرُوفِ عِبْجَدٍ . ثُمَّ رَتَبُوا هَذِهِ الحُرُوفَ الأَرْبَعَةَ  
عَلَى نَسَقِ المَرَاتِبِ ، فَكانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ رِباعِيَّةٌ وَهي أَيْقَشُ<sup>(هـ)</sup> . ثُمَّ فَعَلُوا ذلكَ بِالحُرُوفِ  
15 الثَّلَاثَةِ عَلَى اثْنَيْنِ فِي المَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ، وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ

(1) كُنا في ع بفتح الحزرة، ولعلها: الإفراد (ب) ل: نغ وهي رقم الألف في ترتيب المشاركة لحساب الجمل، وقد عُلِّتْ عن حرف الشين المكتوب في الأصل (ج) سقط من ط (د) من ي ط ع ل وفي ج: نغ ويذكر بعدها: لأن الغين هي آخر الحروف، وقبلها يذكر الشين الثالثة على الألف! (هـ) ل: أيقع عُلِّتْ عن الأصل: أيقش .

(1) لم نعرف قائلها .

حروف أبجد ، وكان مجموع حروف الاثنين في المراتب<sup>(١)</sup> ثلاثة حروف ، وهي ب(في ذلك)<sup>(ب)</sup> الدالة على الاثنين في الآحاد ؛ و ك الدالة على اثنين في العشرات ، وهي عشرون ؛ و ر الدالة على اثنين في المئين ، وهي مائتان ؛ وصيروها كلمة واحدة ثلاثية على نسق المراتب ، وهي بَكَز . ثم فعلوا كذلك في الحروف الدالة على ثلاثة ، فنشأت عنها كلمة جلّس . وكذلك إلى آخر حروف أبجد . وصارت تسع كلمات نهاية 5 عدد الآحاد ، وهي: أَيْقَش<sup>(ج)</sup> ؛ بَكَز ؛ جلّس ؛ دَمَث ؛ هَنْث ؛ وَصَح ؛ [رَعَد]<sup>(د)</sup> ؛ حَفْظ ؛ طَضْع ؛ مرتبة على توالي الأعداد ، ولكل كلمة منها عددها الذي في مرتبتها : فالواحد لكلمة أَيْقَش ؛ والاثنان لكلمة بَكَز ؛ والثلاثة لكلمة جلّس ؛ وكذلك إلى التاسعة التي هي طَضْع ، فتكون لها التسعة . فإذا أرادوا طرح الاسم بتسعة ، نظروا كل حرف منه في أي كلمة هو من هذه الكلمات ، وأخذوا عددها مكانه ، ثم يجمعون الأعداد 10 التي يأخذونها بدلاً من حروف الاسم ، / فإن كانت زائدة على التسعة أخذوا ما فضل عنها ، وإلا أخذوه كما هو ؛ ثم يفعلون كذلك بالاسم الآخر ، ويتنظرون بين الخارجين بما<sup>(هـ)</sup> قَدَمناه . والسّر في هذا القانون بَيّن ؛ وذلك أنّ الباقي في كل عُقْد من عُقود الأعداد يَطْرَحُ تسعة إنّه هو واحد ؛ فكأنّه يَجْمَعُ عددُ العُقود خاصة من كل مرتبة ؛ فصارت أعدادُ العُقود كلها كأنّها آحادٌ ، فلا فرق بين الاثنين أو 15 العشرين أو المائتين أو الألفين ، وكلّها اثنان ؛ وكذلك الثلاثة والتلاتون والثلاثمائة والثلاثة آلاف كلها ثلاثة . فوضعت الأعداد على التوالي دالة على أعداد العُقود لا غير ؛ وجعلت الحروف الدالة على أصناف العُقود في كل كلمة من الآحاد والعشرات

(١) سقط من: ل ع ي ج (ب) سقط من: ط (ج) ل: أيقع بكتابة العين بعد أن كانت في الأصل شيئاً وشكل الكلمات التسع من نسخ: ع ل ج (د) كذا في الأصول وفي ط زغل (هـ) ل: كما .

والبين والألوف؛ وصار عدد الكلمة الموضوع عليها نائباً عن كل حرف فيها ، سواءً  
 ذل على الأحاد أو العشرات أو المئين أو الآلاف، فيؤخذ عدد كل كلمة عوضاً من  
 الحروف التي فيها؛ وتُجمع كلها إلى آخرها كما قلناه. هذا هو العمل المتداول بين  
 الناس فيها منذ الأمر القديم .

5 وكان بعض من لقيناه من شيوخنا يزّون أنّ الصحيح فيها كلمات أخرى  
 تسعة مكان هذه، ومتواليّة كتواليها ، ويفعلون بها في الطرح بتسعة مثل ما يفعلونه  
 بالأخرى سواءً؛ وهي هذه : أرب؛ يشقك؛ جزلط؛ مدّوض؛ هف؛ تحذن؛ غش؛  
 خغ؛ قصط؛ تسع كلمات على توالي العدد، فيها الثلاثي والزباعي والثنائي، وليست  
 جارية على أصل مطرد كما نراه. لكن كان شيوخنا يتقّلونها عن شيخ المغرب في هذه  
 10 هذه المعارف، من النجامة والتسمياء وأسرار الحروف، وهو أبو العباس ابن البناء،  
 ويقولون عنه: إنّ العمل بهذه الكلمات في طرح حساب التيم أصحّ من العمل بكلمات  
 أيّش؛ فالله أعلم كيف ذلك .

وهذه كلها مدارك للغيّب غير مُستندة إلى برهان ولا تحقيق. والكتاب الذي  
 وجد فيه حساب التيم غير مفرّج إلى أرسطو عند المحققين، / لما فيه من الآراء [79 ب]  
 15 البعيدة عن التحقيق، والبرهان يشهد لك بذلك، فتصفّحه إن كنت من أهل  
 الرسوخ.

ومن هذه القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب فيما يزعمون، الزايرجة  
 المسماة بزايرجة<sup>(1)</sup> العاكس، المنزوعة إلى أبي العباس الشبتي، من أعلام المتصوّفة

(1) كنا في ظ، وفي بقية الأصول: زايرجة .

بالمغرب. كان في آخر المائة السادسة بَمَرَاكُش، ولعُهد يُقَوب المنصور، من ملوك الموحدين . وهي غريبة الفمل ضنيعة. وكثير من الخواص يولعون بإفاذة الغيب منها بعلمها<sup>(1)</sup> المعروف الملقوز ، فيحرصون إنلك على حل زمره وكشف غايبه .

- وصوزها التي يقع العملُ عندهم فيها، دائرة عظيمة في داخلها دوائر مُتوازية، منها للأفلاك وللنواصر وللمكونات وللزوحانيات ولغير ذلك من أضاف الكائنات 5 والعلوم. وكلُّ دائرة مقسومة بأقسام فلُكها : إمَّا البُرج، وإمَّا الفناجر، أو غيرها. وخطوط كل قسم مائة إلى المركز، ويسمونها الأوتار. وعلى كل وتر حروف متتابعة موضوعة ، فمنها يرشوم الزمام التي هي أشكال الأعداد عند أهل التواوين والجسبان بالمغرب لهذا العهد، ومنها يرشوم الغبار \* المتعارفة، وفي داخل الزائجة، وبين الدوائر، أساء العلوم ومواضع الأكوان \*<sup>(ب)</sup>، وعلى ظهر الدوائر جذول متكرر البيوت 10 المتقاطعة طولاً وعرضاً، يشتمل على خمسة وتحسين بيتاً في الغرض، ومائة وإحدى وثلاثين في الطول ، جوانب منه معمورة البيوت ، تارة بالعدد، وأخرى بالحروف؛ وجوانب خالية البيوت . ولا تعلم نسبة تلك الأعداد في أوضاعها ، ولا القسمة التي عيّنت البيوت العائرة من الحالية . وجفافي الزائجة أبيات من عروض الطويل على زوى اللام المنصوبة ، تتضمن صورة الفمل في استخراج المطلوب من تلك 15 الزائجة ، إلا أنها من قبيل الألفاز في عدم الوُضوح والجلاء . وفي بعض جوانب / الزائجة بيت من الشعر، منسوب لبغض أكبر أهل الحدثان بالمغرب، وهو مالك ابن وهيب من علماء أهل إشبيلية، كان في التولة اللُفتوية، ونُص البيت: [من الطويل]

(1) في ج ل: بعلمها (ب) سقط ما بين النجمين من ي .

سؤال عظيم الخلق خُزَّتْ قَصْنُ إِذْنِ غرائب شكَّ ضبطه الجِدُّ مُثَلًّا<sup>(1)</sup>

وهو البُنيَت المتداول عندهم في العمل لاستخراج الجواب من السؤال في هذه الزائجة وغيرها . فإذا أرادوا استخراج الجواب عما يُسأل عنه من المسائل ، كتبوا ذلك السؤال وقَطَّعوه حروفاً ، ثم أخذوا الطالع لذلك الوقت من بروج الفلك 5 ودرجها ، وعمدوا إلى الزائجة ، ثم إلى الوتر المكتنف فيها بالبرج الطالع من أوله ماراً إلى المركز ، ثم إلى محيط الدائرة قبالة الطالع . فيأخذون جميع الحروف المكتوبة عليه من أوله إلى آخره ، والأعداد المرسومة<sup>(1)</sup> بينها ، ويضربونها حروفاً بحساب الجمل . وقد ينقلون آحادها إلى العشرات ، وعشراتهما إلى المئين ، وبالعكس فيها ، كما يقتضيه قانون العمل عندهم ، ويضعونها مع حروف السؤال ، ويضيفون إلى ذلك 10 جميع ما على الوتر المكتنف بالبرج الثالث من الطالع من الحروف والأعداد ، من أوله إلى المركز فقط ، لا يتجاوزونه إلى المحيط ؛ ويقفون بالأعداد ما فعلوه بالأولى ، ويضيفونها إلى الحروف الأخرى . ثم يقطعون حروف البُنيَت الذي هو أضل العمل وقانونه عندهم ، وهو بُنيَت مالك بن وهيب المتقدم الذكر ؛ ويضعونها ناحية ، ثم يضربون عدد دَرَج الطالع في أَش البرج ، وأشهُ عندهم هو بُعد البرج 15 عن آخر المراتب ، عكس ما عليه الأُس عند أهل صناعة الحساب ؛ فإنه عندهم البُعدُ عن أول المراتب ، ثم يضربونه في عدد آخر يُسمونه الأُس الأكبر واللَّوْز

(1) ع ل: المرسومة .

(1) يذكره البوني بقوله: أما حروف القطب 44 فيجمعها هذا البيت ، وهو الوتر . (شمس المعارف الكبرى 367) .



الأصلى . ويُدخلون [ما] يَجْمَعُ<sup>(1)</sup> لهم من ذلك في بيوت الجدول على قوانين مَعْرُوفَة  
 [80 ب] وأعمالٍ مذكورة وأدوارٍ مَعْدُودَة ، / وَيَسْتَخْرِجُونَ منها حُرُوفاً وَيُنْقِطُونَ أُخْرَى ،  
 وَيَقَابِلُونَ بما مَعَهُم في حُرُوفِ الْبَيْتِ . وَيَتَقَلَّبُونَ مِنْهُ ما يَنْتَقِلُونَ إلى حُرُوفِ السُّؤَالِ  
 وما مَعَهَا ، ثُمَّ يَنْظُرُونَ تلك الحُرُوفَ بِأَعْدَادٍ مَعْلُومَةٍ يُسَمُّونها الْأَدْوَارَ ؛ وَيَخْرِجُونَ  
 5 في كُلِّ دَوَّرِ الْحَرْفِ الَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَهُ الدَّوَّرُ ؛ وَيَعَاوِدُونَ ذلك بَعْدَ الْأَدْوَارِ الْمُعَيَّنَةِ  
 عِنْدَهُم لذلك . فَيَخْرِجُ آخَرَهَا حُرُوفٌ مُتَقَطَّعةٌ ، وَتَوَلَّفُ عَلَى التَّوَالِي فَتَصِيرُ كَلِمَاتٍ  
 مَنْظُومَةٌ في بَيْتٍ واحِدٍ عَلَى وَزْنِ الْبَيْتِ الَّذِي يَقَابِلُ بِهِ الْعَمَلِ وَزَوِيَّتِهِ ، وَهُوَ يَدُّ  
 مَالِكُ بْنُ وَهَّابٍ الْمُتَقَدِّمُ ، حَسَبَما نَذَرُ ذلك كُلَّهُ في فَصْلِ الْعُلُومِ عِنْدَ كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ  
 بِهَذِهِ الرَّايِزَةِ .

10 وَقَدْ رَأَيْنَا كَثِيراً مِنَ الْخَوَاصِ يَتَهَايَتُونَ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ مِنْهَا بِتِلْكَ  
 الْأَعْمَالِ ، وَيَحْسِبُونَ أَنَّ ما وَقَعَ مِنْ مُطَابَقَةِ الْجَوَابِ لِلسُّؤَالِ فِي تَوَافُقِ الْخِطَابِ ،  
 دَلِيلٌ عَلَى مُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ . وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ الْغَيْبَ لَا يُذْرَكُ  
 بِأَمْرِ صِنَاعِي الْبَيْتِ ؛ وَإِنَّمَا الْمُطَابَقَةُ الَّتِي فِيهَا يَتَنَبَّهُ الْجَوَابُ وَالسُّؤَالُ مِنْ خِثِّ الْإِفْهَامِ  
 وَالتَّوَافُقِ فِي الْخِطَابِ ، حَتَّى يَكُونَ الْجَوَابُ مُسْتَقِيماً وَمُوَافِقاً لِلسُّؤَالِ . وَوَقَّوعُ  
 15 ذَلِكَ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الْحُرُوفِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ ، وَالذَّخُولُ فِي  
 الْجَدُولِ بِالْأَعْدَادِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنْ ضَرْبِ الْأَعْدَادِ الْمَقْرُوضَةِ ، وَاسْتِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنْ  
 الْجَدُولِ بِذَلِكَ ، وَاصْطِرَاحُ أُخْرَى ، وَمُعَاوَدَةُ ذَلِكَ فِي الْأَدْوَارِ الْمَعْدُودَةِ ، وَمُقَابَلَةُ ذَلِكَ  
 كُلَّهُ بِحُرُوفِ الْبَيْتِ عَلَى التَّوَالِي ، غَيْرُ مُسْتَنْكَرٍ . وَقَدْ يَبْقَى الْإِطْلَاعُ مِنْ بَعْضِ الْأَذْكَاءِ

(1) مِنْ ل . وَفِي بَقِيَةِ النُّسخِ : بِمَا .

على تناسبِ بينِ هذه الأشياءِ، فيقعُ له معرفةُ المجهولِ منها . فالتناسبُ بينِ الأشياءِ، هو سِرُّ الحصولِ على المجهولِ من المعلومِ الحاصلِ للنفسِ، وطريقُ حصوله، سبباً من أهلِ الرياضة ، فإنها تُفيدُ العقلَ قُوَّةً على القياسِ وزيادةً في الفكرِ . وقد مرَّ لك تعليلُ ذلك غيرَ مرَّةٍ .

- 5 ومن أجل هذا المعنى، ينسبون هذه الرّايضة / في الغالب لأهل الرياضة؛ [181]
- فهذه منسوبة للسبتي، ووقفت على أخرى منسوبة لسهل بن عبد الله، ولعفري  
 إنها من الأعمال الغريبة والمعاية العجيبة. والجواب الذي يُخرج منها؛ فالسير في  
 خروجه منظوماً، فيما يظهر لي، إنما هو المقابلة بحروف ذلك البيت. ولهذا يكون  
 التظم على وزنه ورويّه. ويدلّ عليه، أننا وجدنا أعمالاً أخرى لهم في مثل ذلك،  
 10 أسقطوا فيه المقابلة بالبيت، فلم يخرج الجواب منظوماً كما تراه عند الكلام على ذلك  
 في موضعه.

وكثير من الناس تضيق مداركهم عن التصديق بهذا العمل وتؤذنه إلى  
 المطلوب، فينكرو صحتها ويحسب أنها من التخيلات والإيهامات، وأن صاحب  
 العمل بها يبت حروف البيت الذي ينظمه كما يريد بين أثناء حروف السؤال  
 15 والأوتار، ويقفل تلك الصناعة على غير نسبة ولا قانون، ثم يجيء بالبيت ويؤهم أن  
 العمل جاء به على طريقة منضبطة. وهذا الجسبان توهم فاسد حمل عليه القصور  
 عن فهم التناسب بين الموجودات والمعلومات، والتفاوت بين المدارك والعقول؛  
 ولكن من شأن كلّ مذرك أن ينكر ما ليس في طوقه إدراكه. ويكفي في رد ذلك

مشاهدة العمل بهذه الصناعة والحذس القطعي ؛ بأنها جاءت بِعَمَلٍ مُطَوَّرٍ وقانون صحيح، ولا مزية فيه عند من يباشر ذلك ممن له مزيد ذكاء وحذس. وإذا كان كثير من المعاياة في العدد الذي هو أوضح الواجحات، يفسر على الفهم إدراكه، لبعد النسبة فيه وخفاياها، فما ظنك بمثل هذا مع خفاء النسبة فيه وغرابها. فلنذكر مسألة من المعاياة يتضح لك بها شيء مما ذكرناه، مثاله: لو قيل لك خذ عدداً من الدراهم ، 5 واجعل بإزاء كل درهم ثلاثة من الفلوس؛ ثم اجمع الفلوس التي أخذت واشتر بها طائراً ، ثم اشتر بالدراهم كلها طيوراً يسفر ذلك الطائر ، / فكم الطيور المشتراة ؟ [81 ب] فجوابه أن تقول هي تسعة ، لأنك تعلم أن فلوس الدرهم أربعة وعشرون، وأن الثلاثة ثمنها؛ وأن عدة أثمان الواحد ثمانية. فكانت جمعت الثمن من كل درهم إلى الثمن من الآخر ، فكان كله ثمن طائر ، [ففي] ثمانية طيور عدة أثمان الواحد. وتزيد 10 على الثمانية طائراً آخر وهو المشتري بالفلوس المأخوذة أولاً ، وعلى سبغه اشترت بالدراهم ؛ فتكون تسعة . فانت ترى كيف خرج لك الجواب المضمر بسير التناسب الذي بين أعداد المسألة . والوهم أول ما يلقي إليك هذه وأمثالها ، إنها يجعله من قبيل الغيب الذي لا تمكن معرفته. فظهر أن التناسب بين الأمور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها ؛ وهذا إما هو في الوقائع الحاصلة في الوجود أو العِلْم. وأما 15 الانكشافات المستقبلية إذا لم تعلم أسباب وقوعها ، ولا ثبت لنا خبر صادق عنه ، فهو غيب لا تمكن معرفته .

(1) من ل . وفي بقية النسخ : فهي .

وإذا<sup>(١)</sup> تَبَيَّنَ لك ذلك ، فالأعمالُ الواقعةُ في هذه الزَّايِجَةِ كُلِّهَا إِنَّمَا هي في استِخْراجِ أَلْفَاظِ الجِوابِ من أَلْفَاظِ السُّؤالِ؛ لِأَنَّهَا، كما رَأَيْتُهُ، اسْتِنْبَاطُ حُرُوفٍ على تَرْتِيبٍ من تلكِ الحُرُوفِ بَعَيْنِهَا على تَرْتِيبٍ آخَرَ. وبِشَرِّ ذلكِ إِنَّمَا هو من تَنَاسُبِ بَيْنِهَا يَطَّلَعُ عليه بعضُ دونِ بَعْضٍ . فمن عَرَفَ ذلكِ التَّنَاسُبَ تَبَسَّرَ عليه اسْتِخْراجُ ذلكِ الجِوابِ بِتِلْكَ القَوَائِينِ. والجِوابُ يَدُلُّ في مَقَامٍ آخَرَ من حيثِ مَوْضِعُ أَلْفَاظِهِ وَتَرَاكِبِهِ على وُقُوعِ أَحَدِ طَرَفَيْ السُّؤالِ من ثَبِيٍّ أو إِثْبَاتٍ. وليسَ هذا من المَقَامِ الأوَّلِ؛ بل إِنَّمَا عَرَّجَ إلى مُطَابَقَةِ الكلامِ لما في الخَارِجِ . ولا سَبِيلَ إلى مَعْرِفَةِ ذلكِ من هَذِهِ الأَعْمَالِ؛ بل البَشَرُ مَخْجُونُونَ عَنْهُ؛ وَقَدْ اسْتَأْثَرَ اللهُ بَعْلَمَهُ؛ ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، من الآية 216] .

(١) ع ج ل: فإذا .

1 / بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَرْبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي<sup>(ب)</sup>

الفصل الثاني من الكتاب الأول:

في العمران البدوي، والأئمة الوحشية والقبائل، وما يعرض في ذلك  
من الأحوال، وفيه أصول وتهديدات

5

1 • فصل، في أن أجيال البدو والحضر طبعية

اعلم أن اختلاف الأجيال في أخوالهم، إنما هو باختلاف نحلهم من المعاش.  
فإن اجتماعهم إنما هو المتعاون<sup>(ج)</sup> على تحصيله، والابتداء بما هو ضروري منه  
وبسيط قبل الحاجي والكماي. فمنهم من يتنجل الفلح من الفراسة والزراعة؛ ومنهم  
من يتنجل القيام على الحيوان من الشاء والبقر والمغز والتخل والتود للقر لنتاجها  
واستخراج [فصلاتها]<sup>(د)</sup>. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة  
- ولا بد - إلى البدو، لأنه متسع لما لا تنسج له الحواضر من المزارع والفدن،

(أ) الصفحة 182 من نسخة ط يضاء (ب) انقردت ط هذا الاستغناح وفي بقية الأصول وردت التضييعة (ج) كنا في ط.  
وفي بقية الأصول: التعاون (د) سقط من ط.

والمسارحُ للخيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبندو أمراً ضرورياً لهم؛ وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجات معاشهم وتزويدهم من الثوب والكن والذئب إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة، ويحصل بُلغة العيش من غير مزيد عليه، للغنم عما وراء ذلك.

- 5 ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المشتغلين للمعاش، وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرّفه، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأثّق فيها، وتوسّعة البيوت، واخطاطوا المدن والأمصار للتحصّن. ثم تزايد أحوال الرّفه والرّغد، فتجيء عوائد الترف البالغة مبالغها في التأثّق في علاج الثوب، واستجدادة المطايخ، وإتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها
- 10 من الحرير والديباج وغير ذلك، ومُعالة<sup>(١)</sup> البيوت والصروح، وإحكام وضعها في تنجيدها، والانتباه بالصنائع في الخروج من القوة إلى الفغل إلى غايتهما، فيتخذون / القصور والمنازل، ويجبرون فيها المياه، ويعالون في صروحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجدادة ما يتخذونه في مهتهم<sup>(ب)</sup> من لبوس أو فراش أو آنية أو ماعون؛ وهؤلاء هم الحضّر؛ ومغناه الحاضر أهل الأمصار والبلدان. ومن هؤلاء
- 15 من ينتحل في معاشه الصنائع، ومنهم من ينتحل التجارة. وتكون مكاسبهم أنفى وأزفة من أهل البندو، لأن أحوالهم زائدة على الضروري، ومعاشهم في<sup>(ج)</sup> نسبة وجدهم، فقد تبين أن أجيال البندو والحضر طبيعيتي لا بدّ منها كما قلنا.

(١) ع: معالة (ب) ع ل ي ح: لمهم (ج) من ط وفي بقية الأصول: عل .

## ٢. فصلٌ، في أن جيل العرب في الخليفة طبعي

- قد قدّمنا في الفصل قبله، أن أهل البندو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي، من الفلح والقيام على الأنعام، وأنهم مُقتصرون على الصّوري<sup>(١)</sup> في الأقوات والملابس والمسكن وسائر الأخوال والغوائد، مُقتصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمال؛ فيتخذون السيوت من الشّعر أو الوتر أو الشّجر، أو من الطين والحجارة غير مُنجدّة، 5 إنّا هو قُصد الاستيظلال والكي لا ما وراءه؛ وقد يأوون إلى الغيران والكهوف. وأما أقواتهم فيتناولونها بيسير العلاج أو بغير علاج البتّة، إلا ما مسته الثّار. فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح، كان المقام به أولى من الظّن؛ وهؤلاء سكّان المداشر والقرى والجبال، وهم عامّة البزير والأعاجم. ومن كان معاشه في السائمة؛ مثل الغنم والبقر، فهم طوائع في الأغلب، لازتداد المسارح والمياه 10 لحيتوانهم، إذ الثقلب في الأرض أضلح بها، ويسمون شايوة؛ ومغناه القائمون على الشاء والبقر؛ ولا يتعدون في القفر لفقدان المسارح الطيبة به؛ وهؤلاء مثل البزير والثرك وإخوانهم من الثركان والصفالية. وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظفناً وأبعد في القفر مجالاً؛ / لأنّ مسارح الثلول ونباتها وشجرها، لا تستغني به (٨٣ ب)
- الإبل في قوام حياتها عن مراعي الشّجر بالقفر، وورود مياهه المِلْحَة، والثقلب 15 فصل الشتاء في نواحيه فرازا من أذى البرد إلى دفء هوائه، وطلباً لمقايص الثّناج في رماله؛ إذ الإبل أصعب الحيوان فصلاً ومخاضاً، وأخوجها في ذلك إلى الدّفء؛

(١) ي: من .

فاضطربوا إلى إبعاد النجعة. ورُبما ذادتهم الحامية عن الثلول أيضاً، فأوغلوا في القفار  
نُفرةً عن النُصفة منهم والجزاء لغذوائهم، فكلوا لذلك أشدّ التأس توحشاً. تتزلوا من  
أهل الحواضر منزلةً الوخش غير المقدور عليه، والمفتريس من الحيوانات العُجم،  
وهؤلاء هم العُرب. وفي معنائهم ضوايعُ البر، وزناتهُ بالمُغرب، والأكرادُ والتركمانُ  
5 والتركُ بالمشرق. إلا أنّ المُغرب أبعدُ نُجعةً وأشدّ بداوةً، لأنهم مُختصون بالقيام على  
الإبل فقط، وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر معها.

فقد تبين لك، أن جيلَ العرب طبعي لا بُدُّ منه في الغمران. والله  
﴿الخلاّق العليم﴾ [سورة يس، من الآية 81].

### 3 • فصل، في أن البدو أقدم من الحضّر وسابقٌ عليه. وأن البادية أصلُ العُمران والأُمصارِ ومدُّها<sup>(1)</sup>

10

قد ذكرنا أن البدو هم المُقتصرون على الصّوريّ في أخوالهم، العاجزون  
عما فوقه؛ والحضّر<sup>(ب)</sup> المُغتنون بحاجات الترفّ والكمال في أخوالهم وعوائدهم. ولا  
شك أن الصّوريّ أقدم من الحاجي والكمالي<sup>(ج)</sup> وسابقٌ عليه؛ وكان الصّوريّ  
أصلَ والكماليّ فزجٌ ناشيء عنه. فالبدو أصلٌ للمدن والحضّر، سابقٌ عليها؛ لأن  
15 أوّل مطالب الإنسان الصّوريّ، ولا ينتهي إلى الترفّ والكمال إلا إذا كان الصّوريّ  
حاصلاً. فحُشونة البداوة قبل رقة الحضارة. ولهذا نجد الثّمن غايةً للبدويّ يجري

(أ) ل: نذعها (ب) لي: ع ج ل ي: وأن الحضّر (ج) ي: ومن الكماليّ.



إليها، وينتهي بسفغيه إلى مُفْتَرِجِه<sup>(أ)</sup> منها<sup>(ب)</sup>. ومتى حَصَلَ على الرِّياش الذي تَحْضِل  
[184] به أحوالُ التَّرفِ وعوائده، عاج إلى / الدَّعة ، وأمكن نفسه من قياد المدينة. وهكذا  
شأنُ القبائلِ المُتَبَدِّية كُلِّهم . والحضرى لا يَتَشَوَّفُ إلى أحوالِ البادية إلَّا لضرورة  
تَدْعُو إليها أو [للتفصير]<sup>(ج)</sup> عن أحوال أهل مَدِينَتِه .

- 5 وما يَشْهَدُ لنا أنَّ البَذُوَّ أصلٌ للحَضَرِ ومُتَقَدِّمٌ عليه ، أنا إذا فَتَّشْنَا أهلَ  
مِصْرٍ من الأَمْصارِ، وَجَدْنَا أَوْلِيَّةً أَكْثَرَهُم من أهلِ البَذُوِّ الَّذِينَ بِضاحية ذلك المِصْرِ  
وفي قُراه، وأنهم أَيْسَرُوا فَسَكَنُوا المِصْرَ، وَغَدَلُوا إلى الدَّعةِ والتَّرفِ الذي في الحَضَرِ.  
وذلك يَدُلُّ على أنَّ أحوالَ الحضارةِ ثَانِيَةٌ عن أحوالِ البداوةِ، وأنها أصلٌ لها ،  
فَتَفْهَمُهُ. ثم إنَّ كُلَّ واحدٍ من البَذُوِّ والحَضَرِ مُتَفَاوِثٌ لِأَحْوالِ<sup>(د)</sup> من جِنْسِه، فَرُبَّ  
خَيٍّ أَعْظَمُ من خَيٍّ؛ وَقَبِيلَةٌ أَعْظَمُ من قَبِيلَةٍ ؛ وَمِصْرٍ أَوْسَعُ من مِصْرٍ؛ ومَدِينَةٍ أَكْثَرُ  
10 عُمَرَاءُ من مَدِينَةٍ .

فقد تَبَيَّنَ أَنَّ وُجُودَ البَذُوِّ مُتَقَدِّمٌ على وُجُودِ المَدُنِ والأَمْصارِ وأوَّصلٌ لها ،  
كما أنَّ وُجُودَ المَدُنِ والأَمْصارِ<sup>(هـ)</sup> من عَوائِدِ التَّرفِ والدَّعةِ الذي هو مُتَأَخَّرٌ عن  
عَوائِدِ الصُّرُورةِ المعاشية .

(أ) كذا في ط، وفي باقي الأصول: مقترحة (ب) ل: فيها (ج) في ط وحدها: ليختصر (د) كذا في ط ج، وفي ع ل ي:  
الأحوال (هـ) من: ل ع ج ي .

#### 4 • فضلٌ، في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضَر

- وسببه أن النفس إذا كانت على الفطرة الأولى كانت مُهَيَّئَةً لِقَبُولِ ما يَرِدُ عليها وَيُنْطَبِعُ فيها من خَيْرٍ أو شَرٍّ؛ قال ﷺ<sup>(1)</sup>: "كُلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه". ويُقَدَّرُ ما يَنْسَبِقُ إليها من أحدِ الخَلْقَيْنِ، تَبَعْدُ عن الآخر وَيَضَعُبُ عليها أَكْثَسُاهُ؛ فصاحبُ الخَيْرِ إذا سَبَقَتْ على<sup>(2)</sup> نفسه عوائدُ الخَيْرِ وَخَصَلَتْ له<sup>(ب)</sup> مَلَكَتُهُ، بَعْدَ عن الشَّرِّ وَضَعُبَ عليه طَرِيقُهُ؛ وكذا صاحبُ الشَّرِّ إذا سَبَقَتْ إليه أيضًا عَوَائِدُهُ. وأهلُ الحضَرِ لكثرة ما يُعَانِوُهُ من فُتُونِ المَلَادَةِ وعَوَائِدِ التَّرَفِّ والإِفْبالِ على الدُّنْيَا والتَّكُوفِ على شَهَوَاتِهِمْ منها، قد تَلَوَّثَتْ أُنْفُسُهُمْ بِكَثِيرٍ من مَذْمُومَاتِ الخُلُقِ والشَّرِّ، وَتَغَدَّتْ عليهم طُرُقُ الخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقُدْرٍ ما حَصَلَ لَهُمْ
- 10 من ذلك، / حَتَّى [لَقَدْ]<sup>(ج)</sup> ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الحِشْمَةِ في أحوالِهِمْ؛ فَتَجَدُّ الكَثِيرُ مِنْهُمْ يُفْذِعُونَ [في أَقْوَالِ]<sup>(د)</sup> الفُخْشاءِ في مَجَالِسِهِمْ وَيَتَنَ كِبَرَاتِهِمْ وَأَهْلِي مَحَارِمِهِمْ، لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَارِعُ الحِشْمَةِ، لَمَّا أَخَذَتْهُمْ بِهِ عَوَائِدُ السُّوءِ في التَّظَاهِرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا. وَأَهْلُ البَدْوِ وَإِنْ كَانُوا مُقْبِلِينَ على الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ، إِلَّا أَنَّهُ في المِقْدَارِ الضَّرُورِيِّ، لَا في التَّرَفِّ وَلَا في شَيْءٍ من أَشْبَابِ الشَّهَوَاتِ واللَّذَاتِ وَذَوَاعِمِهَا. فَعَوَائِدُهُمْ في مُعَامَلَاتِهِمْ على نِسْبَتِهَا، وَمَا يَحْصُلُ فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ السُّوءِ وَمَذْمُومَاتِ الخُلُقِ بِالنِّسْبَةِ
- 15

(1) ع: إل (ب) ع: لها (ج) في ط وحدها: لو (د) سقطت من ط وحدها .

(1) هو في الصحيحين من حديث أبي هريرة: البخاري 2: 118 حديث رقم (1359) وغيره ومسلم (2658)،  
وجامع الترمذي (2138)، ومصنف ابن أبي شيبة 12: 6 ومسنند أحمد 2: 253، 481 .

إلى أهل الحَضَر أَقْلُ بكثير؛ فهم أَقْرَبُ إلى الفِطْرَةِ الأولى وأَبْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ في النَّفْسِ من سوءِ المَلَكاتِ بِكَثْرَةِ العَوَائِدِ المَذْمُومَةِ وَقُبْحِهَا ؛ فَيَسْهَلُ علاجُهم عن علاجِ الحَضَرِ؛ وهو ظاهرٌ . وقد تَوَضَّعَ فيما يَبْدُو أَنَّ الحِصَارَةَ هي نهايةُ الغُرانِ وخُرُوجِهِ إلى الفسادِ، ونهايةُ الشَّرِّ والبُغْدِ عن الحَيْرِ . فقد ثَبَّيْنِ أَنَّ أَهْلَ البَدْوِ أَقْرَبُ إلى الحَيْرِ من أَهْلِ الحَضَرِ . واللهُ ﴿يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 76] . 5

ولا يُعْتَرَضُ على ذلك بما وَزَدَ في حديثِ البخاري<sup>(1)</sup> من قَوْلِ الحِجَّاجِ لِسَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ ، وقد بَلَّغَهُ أَنَّهُ خَرَجَ إلى سُكْنَى الباديةِ ، فقال له : ارْتَدَدْتَ على عَقْبَيْكَ، تَعَرَّبْتَ؟! فقال : لا ، ولكنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَذِنَ لي في البَدْوِ . فاعْلَمْ أَنَّ الهِجْرَةَ افْتَرَضَتْ أَوَّلَ الإسلامِ على أَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُونُوا مع النَّبِيِّ ﷺ حَيْثُ حَلَّ من المَواطِنِ، يَنْصُرُونَهُ، وَيُطَاهِرُونَهُ على أَمْرِهِ وَيُخْرِسُونَهُ، ولم تكنِ واجِبَةً على الأَعْرَابِ 10 أَهْلِ الباديةِ؛ لأنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَنْسَبُهم من غَضَبِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ في المَظَاهِرَةِ و[الجِراسَةِ]<sup>(1)</sup> ما لا يَمَسُّ غَيْرَهُم من باديةِ الأَعْرَابِ . وقد كانِ المهاجِرُونَ يَسْتَعِينُونَ باللهِ من التَّعَرُّبِ، وهو سُكْنَى الباديةِ، حيث لا تَحِبُّ الهِجْرَةَ .

وقال ﷺ<sup>(2)</sup> في حديثِ سَعْدِ بنِ أَبِي وقَّاصٍ عندَ مَرَضِهِ بِمَكَّةَ: "اللَّهُمَّ أَمْنُضْ لأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ ولا تَرُدَّهُمْ على أَعْقَابِهِمْ" . / وَمَعْنَاهُ أن يوقِفَهُم لِلْإِزْمَةِ المَدِينَةِ وَعَدَمِ 15 التَّحَوُّلِ عَنْهَا، فلا يَرْجِعُوا عن هِجْرَتِهِم الَّتِي ابْتَدَأُوا بِهَا؛ وهو من بابِ التَّرجُوعِ على

(1) ظ: الجِراسِ .

(1) أخرجه البخاري في الفتن من صحيحه 9: 66 حديث (7088) ومسلم في المغازي (4494) .  
(2) أخرجه البخاري في الهجرة من صحيحه 5: 87 حديث (3936) وفي أماكن أخرى منه، ومسلم في الوصايا (1628) .

العقب في الشغي إلى <sup>(١)</sup> وجه من الوجوه؛ وقيل: إن ذلك كان خاصاً بما قبل الفتح، حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة، لقلة المسلمين؛ وأما بعد الفتح <sup>(ب)</sup>، وحين كثّر المسلمون واعتزّروا، وتكفّل الله لنتيجه بالعضمة من الناس، فإن الهجرة ساقطة حينئذٍ، لقوله ﷺ <sup>(١)</sup>: "لا هجرة بعد الفتح". قيل: سقط إنشاؤها عمّن يُسلم بعد الفتح، وقيل: سقط وجوبها عمّن أسلم وهاجر قبل الفتح. والكلّ مُجمعون على أنها بعد الوفاة ساقطة؛ لأنّ الصحابة افرقوا من يومئذٍ في الآفاق وانتشروا، ولم يبق إلاّ فضل الشكوى بالمدينة وهو هجرة. فقول الحجاج لسلمة حين سكن البادية: ارتدّدت على عقينيك، تعرّبت؟! نعى عليه في ترك الشكوى بالمدينة، بالإشارة إلى الدعاء المأثور الذي قدّمناه، وهو قوله: "ولا تردّهم على أعقابهم"، وبقوله <sup>(ج)</sup>: "تعرّبت"، إلى أنّه صار من الأغراب الذين لا يهاجرون. وأجاب سلمة بإككار ما ألزمه <sup>(د)</sup> من الأمرين، وأنّ النبي ﷺ أذن له في البدو، ويكون ذلك خاصاً به، كشهادة خزيمة وعناق أبي بزة، أو <sup>(هـ)</sup> يكون الحجاج إنّما نعى عليه ترك الشكوى بالمدينة فقط، لعلّهم يسقط الهجرة بعد الوفاة، وإجابة سلمة بأنّ اغتيانهم لإذن النبي ﷺ أوّل وأفضل؛ فما أثره به واختصّه إلّا لمعنى غلّفه فيه. وعلى كلّ تقدير، فليس فيه دليل على مدّمة البدو الذي عبّر عنه بالتعرّب؛ لأنّ مشروعيّة الهجرة إنّما كان - كما علمت - لمظاهرة النبي ﷺ وجراسته، لا لمدّمة البدو. فليس <sup>(هـ)</sup> في الثّمي على ترك هذا الواجب بالتعرّب دليل على مدّمة التعرّب. والله أعلم.

(١) ل: على (ب) سقط من ط (ج) قوله (د) ل: لزمه (هـ) ل: و (و) ل: وليس.

(١) أخرجه البخاري في الهجرة من صحيحه، من حديث ابن عمر 5: 72 (3899) ومسلم (1862) من حديث عائشة.

## 5 • فَضْلٌ ، فِي أَنْ أَهْلَ الْبَدْوِ أَقْرَبُ إِلَى الشَّجَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ

والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ أَلْقَوْا جُنُوبَهُمْ عَلَى مِهَادِ الرِّاحَةِ وَالذُّعَى ،  
 / وَاِنْقَسَوْا فِي التَّعَمِّمِ وَالتَّرَفِّ ، وَوَكَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى  
 وَالِيهِمْ ، وَالْحَاكِمَ الَّذِي يَسُوسُهُمْ ، وَالْحَامِيَةَ الَّتِي تَوْلَّى جِرَاسَتَهُمْ ، وَاسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ  
 الَّتِي تَحُوطُهُمْ ، وَالْجِزْزِ الَّتِي يَحُولُ دُونَهُمْ ، لَا تُهَيِّجُهُمْ هَيْعَةً وَلَا يُثْفِرُّ لَهُمْ صَيْدٌ ؛ فَهَمُ 5  
 غَاوُونَ [آمِنُونَ] <sup>(أ)</sup> ، قَدْ أَلْقَوْا السَّلَاحَ ، وَزَيَّيْتُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَجْيَالَ ، وَتَرَلُّوا مَنَزَلَةً  
 النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَثْوَاهُمْ ؛ حَتَّى صَارَ لَهُمْ <sup>(ب)</sup> خُلُقًا يَتَنَزَّلُ مَنَزَلَةً  
 الطَّبِيعَةِ . وَأَهْلُ الْبَدْوِ [لِتَفَرِّدِهِمْ] <sup>(ج)</sup> عَنِ الْمَجْمَعِ ، وَتَوَخَّشَهُمْ فِي الصَّوَاخِي ، وَبُعْدَهُمْ عَنِ  
 الْحَامِيَةِ ، وَانْتِبَازَهُمْ عَنِ الْأَسْوَارِ وَالْأَبْوَابِ ، قَائِمُونَ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، لَا يَكُونُهَا  
 إِلَى سِوَاهُمْ ، وَلَا يَتَّقُونَ فِيهَا بَغْيَهُمْ . فَهَمُ دَائِمًا يَحْمِلُونَ السَّلَاحَ ، وَيَتَلَفَّتُونَ عَنْ كُلِّ 10  
 جَانِبٍ فِي الطَّرِيقِ ، وَيَتَجَافَوْنَ عَنِ الْهَجُوعِ إِلَّا غَرَازًا فِي الْمَجَالِسِ وَعَلَى الرِّحَالِ وَفَوْقَ  
 الْأَقْتَابِ ، يَتَوَخَّسُونَ لِلنِّبَاءَةِ وَالْهَيْعَاتِ ، وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْقَفْرِ وَالنِّبْدَاءِ ، مُدِيلِينَ بِأَسْبِهِمْ ؛  
 وَإِثْمِينَ بِأَنْسِبِهِمْ ، قَدْ صَارَ لَهُمُ الْبَأْسُ خُلُقًا ، وَالشَّجَاعَةُ سَجِيَّةً ، يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى  
 دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَفَزَّهُمْ صَارِخٌ .

وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمَا خَالَطُوهُمْ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحِبُوهُمْ فِي السَّفَرِ ، عِيَالٌ عَلَيْهِمْ ، 15  
 لَا يَتَلَكَّوْنَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ أَنْفُسِهِمْ ؛ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ ، حَتَّى فِي مَعْرِفَةِ  
 التَّوَاخِي وَالْمَجَاهَاتِ ، وَمَوَارِدِ الْمَاءِ ، وَمَشَارِعِ السُّبُلِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا شَرَّخَنَاهُ . وَأَضْلُهُ

(أ) فِي ظ: آمِنُونَ (ب) ع ل ج ي: ذَلِكَ (ج) ظ: لَتَفَرِّدِهِمْ .

أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنُ عَوَانِدِهِ وَمَأْلُوفِهِ، لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ وَمِزَاجِهِ، فَالَّذِي أُلْفَهُ مِنَ الْأَخْوَالِ حَتَّى صَارَ لَهُ خُلُقًا وَمَلَكَةً وَعَادَةً تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَالْجِلَّةِ . وَاعْتَزِرْ ذَلِكَ فِي الْآدَمِيِّينَ تَجْدَهُ كَثِيرًا صَحِيحًا . وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .

6 • فصل، في أن معاناة أهل الحضر للأحكام، مُفسدة للبأس فيهم، ذاهبة  
5 بالمنفعة منهم

/ وذلك أنه ليس كل أحد مالكا أمر نفسه؛ إذ الرؤساء والأمراء المالكون لأمر [186]  
الناس قليل بالنسبة إلى غيرهم؛ فمن الغالب أن يكون الإنسان في ملكة غيره  
ولا بد.

فإن كانت الملكة رفيقة وعادلة لا يعانى منها حكم ولا منع وضد، كان من  
10 تحت يدها مدللين بما في أنفسهم من شجاعة أو جبن، وإيقين بقدم الوازع، حتى  
صار لهم الإذلال جيلة لا يعرفون سواها .

وأما إذا كانت الملكة وأحكامها بالفهر والسظور، فتكسر حينئذ من سورة  
بأسهم، وتذهب المنفعة عنهم لما يكون من التكالل في النفوس المضطهدة، كما  
نُبئنه. وقد نهى عمر سغدا رضي الله عنها عن مثلها، لما أخذ زهرة بن خوية سلب  
15 الجالوس، وكانت قيمته خمسة وسبعين ألفا من الذهب، وكان اتبع الجالوس يوم  
الفايسية فقتله وأخذ سلبته، فانزع منه سغدا، وقال: ألا انتظرت في اتباعه إذني؟!  
وكتب إلى عمر يستأذنه، فكتب إليه عمر: تعمد إلى مثل زهرة وقد ضلبي بما ضلبي

به ، وتقي عليك ما بقي من خزيك ، فتكسر قرنه وتفسد قلبه ؛ وأمضى له عُمر سلبه .

وأما إذا كانت الأخكام بالعقاب ، فمذهبة للناس بالكلفة ؛ لأن وقوع العقاب به ولم يدافع عن نفسه ، يُكسبه المذلة التي تكسر من سورة بأسه بلا شك .

5 وأما إذا كانت الأخكام تأديبية وتعليمية ، وأخذت من عهد الصبا ، أثرت في ذلك بغض الشيء ، لجزاه على المخافة والالتقياد ، فلا يكون مديلاً ببأسه .

ولهذا نجد المتوحشين من القرب أهل البدو ، أشد بأساً بمن تأخذه الأخكام . ونجد أيضاً الذين يعانون الأخكام وملكتها من لئس مزياهم في التأديب والتعليم في الصنائع والعلوم والديانات ، يُنقص ذلك من بأسهم كثيراً ، ولا يكادون 10 يُدافعون عن أنفسهم عادية / بوخه من الوجوه . وهذا شأن طلبة العلم المتجولين [ب 86] للقراءة والأخذ عن المشايخ والأئمة ، الممارسين للتعليم <sup>(1)</sup> والتأديب في مجالس الوقار والهيبة . فتفهم هذه الأحوال وذهابها بالمنعة والبأس .

ولا تستنكر ذلك بما وقع في الصحابة من أخذهم بأحكام الدين والسريعة ، ولم يُنقص ذلك من بأسهم ، بل كانوا أشد الناس بأساً ؛ لأن الشارع صلوات الله عليه ، لما أخذ المسلمون عنه دينهم ، كان وازعه [فيهم] <sup>(ب)</sup> من أنفسهم ، لما تلا عليهم 15 من الترغيب والترهيب ، ولم يكن بتعليم صناعي ولا تأديب تعليمي ؛ إنما هو <sup>(ج)</sup> أحكام الدين وآدابه الملقاة <sup>(د)</sup> قلاً يأخذون أنفسهم بها ، بما رسخ فيهم من عقائد الإيمان والتضديق . فلم تزل سورة بأسهم مستحكمة كما كانت ، ولم تخدشها أظفار التأديب

(1) ع: الصلح (ب) من ل ، وفي بقية النسخ: فيه (ج) ع: ل: هي (د) سقط من ل .

والحُكم . قال عُمر رضي الله عنه <sup>(1)</sup>: من لم يؤدِّبه الشَّرع لا أدِّبه الله . حرصاً على أن يكون الوازع لكلِّ أحدٍ من نفسه ، وقيئناً بأنَّ الشَّارع أعلمُ بمصالح العباد .

ولمَّا تناقص التَّين في النَّاس وأُخذوا بالأحكام الوازعة ، ثم صار الشَّرع علماً وصناعةً يؤخِّد بالتَّعليم والتَّأديب ، ورجع النَّاس إلى الحضارة وحُلِّق الاتقياد 5 إلى الأحكام ، نقصت بذلك سورة النَّاس فيهم .

فقد تبين أنَّ الأحكام السُّلطانيَّة والتعليميَّة مُفسدة للنَّاس ، لأنَّ الوازع فيها أجنبيٌّ ؛ وأمَّا الشرعيَّة فغير مُفسدة ، لأنَّ الوازع فيها ذاتيٌّ . ولهذا كانت [هذه] <sup>(1)</sup> الأحكام السُّلطانيَّة والتعليميَّة تما يؤثر في أهل الحواضر في ضَعْف نفوسهم ، و[خُصْد] <sup>(ب)</sup> الشُّوكة منهم بمعانئها في وُلديهم وكهولهم . والتَّبذُّو بمغزلٍ عن هذه المُنزلة 10 لُبْغدهم عن أحكام السُّلطان والتعليم والآداب ؛ ولهذا قال محمد بن أبي زَيْد في كتابه في أحكام المُعلِّمين والمُتعلِّمين <sup>(2)</sup> : / إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدَّب أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنْ الصِّبْيَانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ ؛ نَقْلُهُ عَنْ شَرْيْحِ الْقَاضِي . وَاحْتِجَّ لَهُ بَعْضُهُمْ <sup>(ج)</sup> بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ بَدَّه الْوُخْيِ مِنْ شَأْنِ الْغَطِّ ، وَأَنَّهُ كَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ؛ وَهُوَ ضَعِيفٌ . وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ الْغَطِّ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ ، لُبْغدهم عن التَّعليم المُتعارَف . وَاللَّهُ 15 ﴿ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سورة الأنعام ، من الآية 18] .

(1) سقط من ظ (ب) ظ: غطل (ج) سقط من ل .

(1) ابن الأَرزَق : بدائع السُّلوك 2: 369 .

(2) لم يُعرف هذا الكتاب في كتب محمد بن أبي زَيْد ، وقد أعاد ذكره ونسبته وقُلَّ النَّصُّ نَفْسَهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي فِي فِصْلٍ : أَنَّ الشَّدَّةَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ مُضِرَّةٌ بِهِمْ . فَلَعَلَّهُ أَرَادَ مُحَمَّدُ بْنُ مَعْنُونٍ .



## 7 • فصل، في أن سَكَنِي الْبَذُولَ يَكُونُ إِلَّا لِلْقَبَائِلِ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ

اَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَكَّبَ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ الْحَيَرَ وَالشَّرَّ ، كما قال تعالى : ﴿وَهَذِيئَةُ التَّخْذِينَ﴾ [سورة البلد، الآية 10] ، وقال : ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس، الآية 8] ، وَالشَّرُّ أَقْرَبُ الْجَلالِ إِلَيْهِ إِذَا أَهْمِلَ فِي مَزْعَى عَوَائِدِهِ وَلَمْ يَهْدِهِ <sup>(1)</sup> [الاعتداء بالذين ، وعلى ذلك الجُمُ الغفير ، إِلَّا من وَفَّقَهُ الله. ومن أخلاق 5 الشَّرِّ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضٌ عَلَى بَعْضٍ؛ فَمَنْ امْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى مَتَاعِ أَخِيهِ امْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَخْذِهِ، إِلَّا أَنْ يَصُدَّهُ وَازِعٌ، إَكْبَا <sup>(ب)</sup> قَالَ <sup>(1)</sup> : [من الكامل]

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ الْقَوْسِ ، فَإِنْ تَحَذَّ ذَا عَقَّةٍ فَلِعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

فَأَمَّا الْمَدَنُ وَالْأَمْصَارُ ، فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَذْفَعُهُ الْحُكَامُ وَالْتَوَلَّاهُ بِمَا قَبَضُوا عَلَى أَيْدِي مَنْ تَحْتَهُمْ مِنَ الْكَافَّةِ أَنْ يَتَنَدَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، أَوْ يَغْدُو عَلَيْهِ. فَمَنْ 10 مَكْبُوحُونَ بِحُكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ الظُّلْمِ، إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ. وَأَمَّا الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَذْفَعُهُ سِيَاجُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الْعُقَلَةِ أَوْ الْغُرَّةِ لَيْلًا، أَوْ الْغُجْزِ عَنِ الْقَاوِمَةِ نَهَارًا، وَيَذْفَعُهُ ذِيَادُ الْحَامِيَةِ مِنْ [أَعْوَانِ] <sup>(ج)</sup> التَّوَلَّاهُ عِنْدَ الْإِسْتِيفَادِ وَالْمَقَاوِمَةِ .

وَأَمَّا أَحْيَاءُ الْبَذُولِ ، فَيَزِغُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ مَشَائِخُهُمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ ، بِمَا [وَقُرَأَ] <sup>(د)</sup> 15 [ب87] / فِي نَفْسِ الْكَافَّةِ لَهُمْ مِنَ الْوَقَارِ وَالتَّجَلَّةِ. وَأَمَّا جِلْلُهُمْ فَإِنَّمَا يَنْدُو عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةٍ

(1) ظ: لم يندبه (ب) سقط من ظ (ج) ظ: إغواء (د) ظ: وقن .

(1) البيت لأبي الطيب المتنبي (الديوان بشرح العكبري 4: 125) .

الحَيِّ من أنجادهم وفتيانهم المعروفين بالشجاعة فيهم . ولا يصدق دفاعهم وذيادهم إلا إذا كانوا غصيةً وأهل نسبٍ واجد ؛ لأنهم بذلك تشتدُّ شوكتهم ويخشى جانبهم ؛ إذ نُفِرَ كلُّ أحدٍ على نَسَبِهِ <sup>(1)</sup> وغصيته أهم ، وما جعلَ الله في قلوب عباده من الشفقة والثغرة على ذوي أرحامهم وقرباهم موجودٌ في الطباع البشرية ، وبها يكون التعاضد والتناصر ، وتُعظَّم زهبة العدو لهم . واعتبر ذلك فيما حكاه القرآن عن إخوة يوسف حين قالوا لأبيه: ﴿لَنْ أَكْلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا خَافِيرُونَ﴾ (سورة يوسف، من الآية 14) ؛ والمعنى أنه لا يتوهم الغدوان على أحدٍ مع وجود القصية له .

وأما المتفردون في أنسابهم ، فقلُّ أن تُصيبَ أحدًا منهم نُفِرَةٌ على صاحبه . فإذا أظلم الجوّ بالشرّ يوم الحزب ، تسلَّل كلُّ واحدٍ منهم يبغي النجاة بنفسه خيفةً واستيحاشاً من التخاذل . فلا يفتدرون من أجل ذلك على سُكنى القفر ، لما أنهم حينئذٍ طُغمةٌ لمن يُلْتَمِهم من الأمم سيواهم .

وإذا تبين ذلك في السُّكنى التي تحتاج إلى المدافعة والحماية ، فبمثلها يتبين لك في كلِّ أمرٍ يُحْمَلُ الناس عليه ، من بُهْوَةٍ أو إقامة مُلْكٍ أو دَعْوَةٍ ؛ إذ بلوغُ الغرض من ذلك كله إنما يتمُّ بالقتال عليه ، لما في طباع البشر من الاستيفاء ، ولا بُدَّ في القتال من القصية كما ذكرناه آنفاً ، فاتخذةً إماماً تقتدي به فيما نورده عليك من بقى . والله الموفق .

(1) ط: غ. نسيبه .

8 • فصلٌ ، في أن العصبية إنما تكون من الالتحام بالنسب أو ما في معناه

- [188] / وذلك أن صلة الرّحم طبيعي في البشر إلا في الأقل. ومن صلّتها الثغرة على ذوي الرّقي وأهل الأرحام أن ينالهم ضمّ أو تصيبهم هلكة. فإنّ القريب يجد في نفسه غصاصة من ظلم قريبه أو الغناء عليه ، ويودّ لو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك ؛ تزعةً طبيعيتة في البشر مذ كانوا. فإذا كان النسب الواصل بين المتناصرين قريباً جداً ، بحيث حصل به الالتحام والاتحاد ، كانت الوصلة ظاهرة ، فاستدعت ذلك بمجردها ووضوحها. وإذا بقّد النسب بعض الشيء ، فربما توشى بعضها ويتقى منه شهرة فتختل على الثغرة لذوي نسبته بالأمر المشهور منه ، فراراً من الغصاصة التي يتوهمها في نفسه من ظلم من هو منسوب إليه بوجه . ومن هذا الباب الولاء والخلف ، إذ نكرة كل أحد على أهل ولايته وخلفه ، للألفة التي تلحق النفس من اهتمام جاريها أو قريبها أو نسيبها بوجه من وجوه النسب ؛ وذلك لأجل اللّحمة الحاصلة من الولاء ، مثل لحمة النسب أو قريباً منها. ومن هذا شهم قوله ﷺ : "تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم". بمعنى أن النسب إنما فائدته هذا الالتحام الذي يوجب صلة الأرحام حتى تقع المتاصرة والثغرة ، وما فوق ذلك مُستغنى عنه ؛ إذ النسب أمرٌ وفيه لا حقيقة له ، ونفعه له <sup>(1)</sup> إنما هو في هذه الوصلة والالتحام ؛ فإذا كان ظاهراً واضحاً حلّ النفوس على طبيعتها من الثغرة كما قلنا ؛ وإذا كان إنما يُستفاد من الخبر

(1) سقط من ل .

(1) أخرجه أحمد 2: 374 ، الترمذي (1979) والحاكم في المستدرک 4: 161 .

البعيد ، ضَعُفَ فيه الوَهمُ وذهبتْ فائدته ، وصارَ الشُّغلُ به مَجَاناً ومن أَغْمالِ اللّهُم  
/ المُنْهِيّ عنه. ومن هذا الاعتبار ، مَعْنَى قَوْلِهِم النُّسْبُ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ ، وَجَهَالَةٌ لَا تَضُرُّ ؛ [88 ب]  
بمَعْنَى أَنَّ النُّسْبَ إِذَا خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ ، ذَهَبَتْ فائدَةُ الْوَهمِ  
فيه عَنِ التَّقَسُّسِ ، وَانْتَفَتِ الثَّغْرَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْقَصِيئَةُ ، فَلَا مَنْفَعَةَ حِينَئِذٍ فِيهِ .  
5 والله أعلم .

9 • فَصْلٌ ، فِي أَنَّ الصَّرِيحَ مِنَ النُّسْبِ إِنَّمَا يُوَحِّدُ الْمُتَوَحِّشِينَ فِي الْفَقْرِ ، مِنْ  
الْعَرَبِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ

وذلك لما اختصوا به من نكد العيش وشطط الأحوال وسوء الموطن ،  
حملتهم عليها<sup>(1)</sup> الضرورة التي عيّنت لهم تلك القسمة ؛ وهي بما كان معاشهم من  
10 القيام على الإبل ونتاجها ورعايتها ، والإبلُ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوَحُّشِ فِي الْفَقْرِ  
لِزَغْيَا مِنْ شَجَرِهِ وَنَتَاجِهَا فِي رِمَالِهِ كَمَا تَقْدَمُ ؛ وَالْفَقْرُ مَكَانُ الشُّطَطِ وَالسَّغْبِ ،  
فَصَارَ لَهُمْ إِلْفًا وَعَادَةً وَزِينَتْ فِيهَا أَجْيَالُهُمْ ، حَتَّى تَمَكَّنَتْ خُلُقًا وَجِبِلَّةً . فَلَا يَنْزِعُ  
إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ أَنْ يُسَاهِنَهُمْ فِي حَالِهِمْ ، وَلَا يَأْتِسُّ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ ؛  
بَلْ لَوْ وَجَدَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ حَالِهِ وَأَمَكَنَهُ ذَلِكَ لَمَا تَرَكَه .  
15 فَيُؤْمَرُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَاطِ أَنْسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا ، وَلَا تَزَالُ بَيْنَهُمْ  
مَحْفُوظَةٌ صَرِيحَةٌ .

(1) ل: عليه .

- واعتبر ذلك في مُصَرٍّ من قُرَيْشٍ وكِنانة وثَقِيفٍ وبَني أَسَدٍ وهَذِيلٍ ومن جاورهم من خُزَاعَةٍ؛ لَمَّا كانوا أَهْلَ شَطَافٍ ومَواطِنَ غَيرِ ذَاتِ زُرْعٍ ولا ضَرْعٍ، ويُعدُّوا من أَزْيَافِ الشَّامِ والعِراقِ ومَعادِنِ الأُذَمِّ<sup>(1)</sup> والحِمْيَرِ، كَيْفَ كانت أَنسابُهم صَريحَةً مَحفوظَةً لَمْ يَدْخُلْها اختِلاطٌ ولا غِرفٌ فيها شُوبٌ. وأَمَّا العَرَبُ الَّذِينَ كانوا بالثَّلُولِ في مَعادِنِ الحِضْبِ للقرَاعي والغَيشِ، مِن جَمِيزٍ / وكَهْلانٍ، مِثْلَ لَحْمٍ وَجُدَامٍ وَعُشَّانٍ 5 وَطَيِّئٍ وَفُضَاعَةٍ وإِبادٍ، فَاختَلَطَتْ أَنسابُهم وتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهم . ففِي كُلِّ واحِدٍ مِن يُبُوتِهم مِنَ الخِلافِ عِندَ النَّاسِ ما تَعْرِفُ، وإِنَّمَا جاءَهم ذلكَ مِن قِبَلِ العَجَمِ ومُخَالَطَتِهم؛ وَهم لا يَتَمَيَّزُونَ مَحافِظَةً عَلى النِّسَبِ فِي يُبُوتِهم وشُعُوبِهم؛ وإِنَّمَا هَذا لَلعَرَبِ فَقَطْ. قال عَمْرٌ<sup>(2)</sup>: تَعَلَّمُوا النِّسَبَ ولا تَكُونُوا كَتَبَتِ السَّوَادُ، إِذا سِيلَ أَحَدُهم عَن أَضَلِّه، قال مِن قَرَبَةٍ كُنا . هَذا إِلى ما لَحِقَ هَؤُلاءِ العَرَبِ أَهْلُ الأَزْيَافِ مِنَ الازْدِحامِ مع 10 النَّاسِ عَلى البَلَدِ الطَّيِّبِ والمِراعِي الحَقِصِيَّةِ<sup>(ب)</sup>؛ فَكَثُرَ الاختِلاطُ وتَدَاخَلَتِ الأَنسابُ.
- وقد كان وَقَعَ فِي صَدْرِ الإِسْلامِ اِلْتِئاءُ إِلى المَواطِنِ، فَيُقالُ: جُنْدٌ قِيسَتَيْنِ، جُنْدٌ دِمَشْقٍ، جُنْدُ العُواجِمِ، وَانْتَقَلَ ذلكَ إِلى الأَنْدَلُسِ؛ وَلَمْ يَكُنْ [ذلكَ]<sup>(ج)</sup> لَأَطْراحِ العَرَبِ أَمَرَ النِّسَبِ، وإِنَّمَا كانَ لاختِصاصِهم بِالْمَواطِنِ بَعْدَ الفَتْحِ حَتَّى عَرِفُوا بِها، وصارَتْ لَهم عَلامَةٌ زائِدةٌ عَلى النِّسَبِ يَتَمَيَّزُونَ بِها عِندَ أَمْرائِهم . ثُمَّ وَقَعَ الاختِلاطُ 15 فِي الحَواضِرِ مَعَ العَجَمِ وَغَيرِهم ، وَفَسَدَتِ الأَنسابُ بِالْجُمْلَةِ ، [وَفُيِّدَتْ]<sup>(د)</sup> ثَمَرُها مِن

(1) جاء في ع بضم الباء، والأصح التسيكين (ب) ي ج: الحصة (ج) من ل (د) في ظ وحدها: فُيِّدَ .

(1) ابن عبد البر: الإنباء على قبائل الرواة 1: 12، ابن الأوزق: بدائع التلوك 1: 65 .

القصية، فاطْرَحَتْ، ثم تَلَاثَتْ القبائلُ وَدَثَرَتْ، فَدَثَرَتْ القصيةُ بِدُثُورِهَا، وَبَقِيَ [ذلك] <sup>(١)</sup> في البُذُو <sup>(ب)</sup> كما كان . والله وارثُ الأرض ومن عليها .

## 10 • فصلٌ، في اختلاط الأنساب كيف سَعَّ

إِنَّهُ مِنَ الْبَيْنِ أَنَّ بَعْضاً مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَنْسُقُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ ،  
 5 بَنُورِعَ إِلَيْهِمْ أَوْ جُلِيفَ أَوْ وِلَاءَ، أَوْ لِقَارِ مِنْ قَوْمِهِ بِجَنَابَةِ أَصَابِهَا، فَيُدْعَى بِنَسَبِ هَؤُلَاءِ وَيَعُدُّ مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ ، مِنْ الثَّغَرَةِ وَالْقَوْدِ وَخَمَلِ الدِّيَاتِ وَمَسَائِرِ الْأَخْوَالِ. وَإِذَا وَجَدْتَ ثَمَرَاتُ النَّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجِدَ؛ لِأَنَّهُ لَا مَغْنَى لَكُونُهُ مِنْ هَؤُلَاءِ أَوْ مِنْ هَؤُلَاءِ، إِلَّا جَزَائُنَ / أَحْكَامِهِمْ وَأَخْوَالَهُمْ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّهُ اتَّحَمَ بِهِمْ. ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ يَنْتَاسِي النَّسَبَ الْأَوَّلَ [89 ب] بطول الزَّمانِ، وَيَذْهَبُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ، فَيُخْفَى عَلَى الْأَكْثَرِ.

10 وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَنْسَقُطُ مِنْ شَيْغَبٍ إِلَى شَيْغَبٍ؛ وَيَلْتَحِمُ قَوْمٌ بآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْقَرَبِ وَالْعَجَمِ. وَانْظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ آلِ الْمُتَنَبِّئِ وَغَيْرِهِمْ تَنْبَيِّنَ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ . وَمِنْهُ شَأْنُ بَجِيلَةَ فِي غَرْفَجَةَ <sup>(١)</sup> بْنِ هَرْثَمَةَ لَمَّا وَلَّاهُ عُمَرُ عَلَيْهِمُ، فَسَأَلُوهُ الْإِغْثَاءَ مِنْهُ، وَقَالُوا: هُوَ فِينَا تَزَيَّفٌ، أَمْي دَخِيلٌ وَلَصِيقٌ ، وَطَلَبُوا أَنْ يُؤَلِّيَ عَلَيْهِمْ جَريراً. فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ غَرْفَجَةُ : صَدَّقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنَا رَجُلٌ مِنْ الْأَزْدِ، أَصَبْتُ دِمَاءً فِي قَوْمِي وَلِحَقْتُ بِهِمْ. وَانْظُرْ مِنْهُ كَيْفَ اخْتَلَطَ غَرْفَجَةُ بِبَجِيلَةَ 15

(١) سقط من ط (ب) ل: البلاء .

(1) تقدمت الإشارة إلى خبره في صفحة 43 .

وليس جلدتهم ودُعي بنسبتهم حتى ترشح للرئاسة عليهم، أولاً يعلم بعضهم بوشايجهم ؛ ولَوْ غفلوا عن ذلك وامتدَّ الزَّمَنُ لثَنُوسِي الجُملة وعُدَّ منهم بكلِّ وَجِهٍ ومُذهِبٍ . فافهمه، واعتبر سرَّ الله في خَلِيقَتِهِ . ومثُلُ هذا كثير لهذا العهد ولما قُبِلَهُ من العهود.

## 11 • فَصْلٌ ، فِي أَنَّ الرِّئَاسَةَ عَلَى أَهْلِ الْعَصِيَّةِ لَا تَكُونُ فِي غَيْرِ نَسَبِهِمْ

- 5 وذلك أَنَّ الرِّئَاسَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْقَلْبِ ، وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ . فَلَا بُدَّ فِي الرِّئَاسَةِ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَصِيَّةٍ غَالِبَةٍ لِعَصِيَّتِهِمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً ، لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِنْهُمْ إِذَا أَحْتَسَّتْ بِغَلْبِ عَصِيَّةِ الرَّئِيسِ لَهُمْ أَقْرَأُوا بِالْإِدْعَاءِ وَالِاتِّبَاعِ . وَالسَّاقِطُ فِي نَسَبِهِمْ بِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُ لَهُ عَصِيَّةٌ فِيهِمْ بِالنَّسَبِ ، إِنَّمَا هُوَ مُلْصِقٌ نَزِيفٌ ؛ وَغَايَةُ التَّعَصُّبِ لَهُ بِالْوَلَاءِ وَالْجُلْفِ ؛ وَذَلِكَ لَا يَوْجِبُ لَهُ غَلْبًا عَلَيْهِمْ
- 10 الْبُتَّةُ . وَإِنْ فَرَضْنَا أَنَّهُ قَدْ اتَّحَمَ بِهِمْ وَاخْتَلَطَ وَتَوَسَّيَ عَهْدُهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ ، وَلَيْسَ جِلْدَتُهُمْ وَدُعِيَ بِنَسَبِهِمْ ، فَكَيْفَ لَهُ الرِّئَاسَةُ قَبْلَ هَذَا الْإِلْتِمَامِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَلَفِهِ . / وَالرِّئَاسَةُ عَلَى الْقَوْمِ إِنَّمَا تَكُونُ مُتَنَاقِلَةً فِي مُنَبِّتٍ وَاحِدٍ تَعَيَّنَ لَهُ الْقَلْبُ بِالْعَصِيَّةِ . فَالْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لِهَذَا الْمُلْصِقِ قَدْ عُرِفَ فِيهَا النَّصَافَةُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ ، وَمَنْعَهُ ذَلِكَ الْإِلْتِصَاقُ مِنَ الرِّئَاسَةِ حِينَئِذٍ ؛ فَكَيْفَ تَتَوَقَّلْتُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ
- 15 الْإِلْتِصَاقِ <sup>(١)</sup> ؛ وَالرِّئَاسَةُ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَزُورَةً عَنْ مُسْتَحَقِّهَا لَمَّا قُلْنَا مِنْ التَّغْلُبِ بِالْعَصِيَّةِ .

(١) ل: الْإِلْتِصَاقِ .

وقد يَتَشَوَّفُ كثيرٌ من الرُّؤساء على القَبائل والغصائب إلى أنسابٍ يُلْهجون بها، إما لخصوصية فضيلة كانت في أهل ذلك النسب، من شجاعة، أو كرم، أو ذِكْرٍ كيف اتفق؛ فيَنزِعون إلى ذلك النسب، ويتَوَرَّطون بالدعوى في شعوبه، ولا يغفلون ما يُوقِعون فيه أنفسهم من الفُذَح في رئاستهم والظُّعن في شرفهم . وهذا كثيرٌ في 5 الناس لهذا العهد .

فمن ذلك ما تدَّعيه زَنَانَةُ جِلَّةُ أَتَمِّمٍ من الغرب. ومنه ادَّعاءُ أَوْلَادِ [رئاب]<sup>(1)</sup> المعروفين بالحِجَازِيِّين من بني عامر، إحدى شعوب رُغْبَةٍ، أَتَمِّمٍ من بني سُلَيْمٍ، [ثَم] <sup>(ب)</sup> من الشريد منهم، لحق جُدُّهم ببني عامر نَجَّارًا يَضَعُ الحِزْجَان، واختلط بهم والتحم بنسبهم حتَّى رَأَسَ عليهم، ويُسَمُّونَهُ الحِجَازِيَّ.

ومن ذلك ادَّعاءُ بني عبد القويِّ بن العباس من تُوْجِين، أَتَمِّمٍ من وُلْدِ 10 العباس بن عبد المطلب، رُغْبَةٍ في هذا النسب الشريف وغلطًا باسم العباس بن غَطِيَّة، أبي عبد القويِّ. ولم يُعلم دخولُ أحدٍ من العباسيين إلى المغرب، لأنَّه كان مُدَّوْلٍ دَوْلَتَهُمْ على دَعْوَةِ الغَلَوِيِّين أَعْدَائِهِمْ من الأدارسة والمُتَنَبِّئِيِّين؛ فكيف ينسقط العباسيُّ إلى أحدٍ من شيعة الغَلَوِيِّين ؟!

وكذلك ما يدَّعيه أبناءُ زَيَّانٍ مُلُوكِ بَنِي عُبَيْدِ الواد، أَتَمِّمٍ من وُلْدِ القاسم بن 15 إدريس، ذهاباً إلى ما اشتهر في نسبهم أَتَمِّمٍ من وُلْدِ القاسم، فيقولون بلسانهم الرُّنَاتِيَّ إِبْتِ القاسم، أي: بنو القاسم، ثم يدَّعون أنَّ القاسم هذا هو القاسمُ بن إدريس، أو / القاسم بن محمد بن إدريس. ولو كان ذلك صحيحاً، فغايةُ القاسم هذا أنه قَرَّ من (90 ب)

(1) في ظ: رباب، وفي: ع ح ل: رباب، بقلب المعرة إلى باء، والأصل رئاب (انظر الاختلاف 119) (ب) من: ع ل ي .



مكان سُلطانه مُستجيراً بهم، فكيف تتم له الرئاسة عليهم في باديتهم ؟ وإِنما هو غلطاً من قِبَل اسم القاسم ؛ فإنه كثير التَّوَران<sup>(أ)</sup> في الأذاسية ؛ فتوهموا أن قاسمهم من ذلك النسب، وهم غير مُحتاجين لذلك؛ فإن منالهم للملك والعزة إِنما كان بقصبيتهم، ولم يكن بادعاء علوية ولا عباسية ولا شيء من الأنساب. وإِنما يحفل على هذا المتقربون إلى الملوك بمنازِعهم ومذاهيبهم ويُشتهر حتى يتغذ عن الرد . ولقد بلغني عن 5  
يغمراسن بن زَئان مؤثلي سُلطانهم ، أنه لما قيل له ذلك نكره ، وقال بلغته الزنانية ما تغناه : اما الدنيا والملك [فيلناء]<sup>(ب)</sup> بشيوفنا لا بهذا النسب، وأما نفعه في الآخرة فردود إلى الله . وأعرض عن المتقرب إليه<sup>(ج)</sup> بذلك .

ومن هذا الباب ما يدعيه بنو سغدي شيوخ بني يزيد من رُغبة ، أنهم من  
وُلد أبي بكر الصديق، ويتو سلامة شيوخ بني يذللتن من توجين أنهم من سلم، 10  
وكذا الذواودة شيوخ رباح أنهم من أغقاب البراميكة ، وكذلك بنو مهتا أمراء طيء  
بالمشرق ، يدعون فيما بلغنا أنهم من أغقابهم، وأمثال ذلك كثير ؛ ورئاستهم في قوتهم مائغة من ادعاء هذه الأنساب كما ذكرناه ؛ بل يُعَيَّن أن يكونوا من صرح ذلك  
النسب وأقوى غصبياته . فاعتز به واجتنب المغالط فيه. ولا تجعل من هذا الباب  
إلحاق مهدي الموحدين بنسب العلوية ؛ فإن المهدي لم يكن من منبت الرئاسة في 15  
قومه، وإِنما رأس عليهم بعد اشتهاره بالعلم والدين، ودخول قبائل المصابدة في دعوته، وكان مع ذلك من أهل القبائل<sup>(د)</sup> المتوسطة فيهم. والله عالم الغيب والشهادة.

(أ) ي: الوجود (ب) في ظ وحدها: قبلناه، وهو تصحيف (ج) سقط من ج (د) في: ع ل ج ي: المنابت

12 • فصل، في أن البيت والشرف بالأصالة والحقيقة لأهل العصبية، ويكون  
لغيرهم بالجواز والشبه

/ وذلك أن الشرف والحسب إنما هو بالخلال؛ ومعنى البيت أن يُعَدَّ الرجل  
في آبائه أشرافاً مذكورين، يكون له بولادتهم إيتاء والانتساب إليهم تجلّة في أهل  
5 جللته، لما وقر في نفوسهم من تجلّة سلفه وشرفهم بجلالهم. والناس في نفوسهم  
وتناسلهم معادن؛ قال عليه السلام <sup>(1)</sup>: "الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في  
الإسلام، إذا فقيها". فمغنى الحسب راجع إلى الأنساب. وقد بينا أن ثمره الأنساب  
وفائدتها إنما هي العصبية للثغرة والتناصر، حيث تكون العصبية مزهوبة ومخشيتة،  
والمُنْبَت فيها زكي مخفي، تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى، وتقيد الأشراف  
10 من الآباء زائد في فائدتها؛ فيكون الحسب والشرف أصيلاً في أهل العصبية لوجود  
ثمره النسب. وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية؛ لأنه سيرها. ولا  
يكون للمنفرد من أهل الأمصار نبت إلا بالمجاز، وإن توهّموه، فزخرف من  
الدعوى. وإذا اغتبرت الحسب في أهل الأمصار، وجدت مغناه أن الرجل منهم  
يُعَدُّ سلفاً في خلال الخير ومخالطة أهله، مع الزكون إلى العافية ما استطاع، وهذا  
15 مغاير لسير العصبية التي هي ثمره النسب وتقيد الآباء، لكنه يُطلق عليه حسب  
وينبت بالمجاز، بغلاقة ما فيه من تقيد الآباء المتعاقبين على طريقه واحدة من الخير  
ومسالكه؛ وليس حسباً بالحقيقة وعلى الإطلاق.

(1) أخرجه البخاري في المناقب 4: 217 (3496) و (2374) و (3588)، ومسلم (2526) من حديث أبي هريرة .

وقد يكون للبيت شرف أول بالقصبة والجلال، ثم ينسلخون منه لذهابها بالحضارة كما تقدم، ويختلطون بالغفار، ويتقى في نفوسهم وشواش ذلك الحسب، يغدّون به أنفسهم من أشرف الثبوتات أهل القصبات<sup>(1)</sup>، وليسوا منها في شيء، لذهاب القصبة جملة. / وكثير من أهل الأمصار التائبين في بيوت الغرب أو العجم [91ب]

لأول عهدهم مؤسسون بذلك؛ وأكثر ما رشح الوشواس في ذلك ليني إسرائيل، فإنه 5 كان لهم بيت من أعظم بيوت العالم بالمنتب، أولاً، لما تعدد في سلفهم من الأنبياء والرسل، من لدن إيزاهيم عليه السلام إلى موسى صاحب ملتهم وشريعتهم؛ ثم بالقصبة ثانياً، وما آتاهم الله بها من الملك الذي وعدهم به، ثم أنسلخوا من ذلك أجمع، وضربت عليهم البلة<sup>(ب)</sup>، وكُتب عليهم الجلاء في الأرض، وانقردوا بالاشتغاب والكفر آفاقاً من السنين. ثم وما زال هذا الوشواس مضاجباً لهم؛ فتجدهم يقولون: 10 هذا هاروني؛ هذا من نسل يوشع؛ هذا من عقب كاليب؛ هذا من سبط يهوذا، مع ذهاب القصبة وزسوخ النلّ فيهم منذ أخقاب متطاوله. وكثير من أهل الأمصار غيرهم، المتقطعين في أنسابهم عن القصبة، يذهب إلى هذا الهديان.

وقد غلط أبو الوليد بن رشد في هذا لما ذكر الحسب في كتاب الخطابة<sup>(1)</sup>

من تلخيص كتب المعلم الأول، فقال: والحسب هو أن يكون من قوم قد تمّ نزلهم 15 بالمدينة؛ ولم يتعرض لما ذكرناه. وليت شغري ما الذي يتفقه قديم نزلهم بالمدينة إن

(1) في: ع ل ج ي: العصاب (ب) ل: والمسكة .

(1) ابن رشد: تلخيص الخطابة 41 ونص عبارته وشروطه: أما الحسب فهو أن يكون القوم الذين هو منهم هم أول من نزل المدينة، وأن يكونوا قدماء النزول فيها، ويكونون مع هذا حكماً ورؤساء ذوي ذكر جميل وكثرة عدد، وأن يكونوا مع هذا أحراراً لم يجز عليهم سباء....

لم تكن له عِصَابَةٌ يَرْهُبُ بها جانيه وتَحْمِلُ غَيْرَهُمْ على القبول منه ؟ فكأنه أطلق الحسب على تعدد الآباء فقط . مع أن الخطابة إنما هي اشتمالٌ من تؤثر استمالته ، وهم أهلُ الحِلِّ والعقد . وأما من لا قُدْرَةَ له البتَّة فلا يُلتَفَتُ إليه ، ولا يُقدَّر على اشتماله أحد ولا يُستَمال هو . وأهلُ الأُمصار من الحضر بهذه المثابة ؛ إلا أن ابن رُشد رَبي في جيلٍ وتلدٍ لم يَارسوا العَصِيَّة ولا أُنسوا أحوالها ، فبقي في أمر النبت 5 والحتسب على الأمر المشهور من تعدد الآباء على الإطلاق ، ولم يُراجع فيه حقيقة العَصِيَّة وسرّها في / [ الحليّة ] <sup>(1)</sup> . ﴿ واللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 192] [282] .

### 13 • فَضْلٌ ، فِي أَنَّ الْبَيْتَ وَالشَّرَفَ لِلْمَوَالِي وَأَهْلِ الْأَصْطِنَاعِ <sup>(ب)</sup> ، إِنَّمَا هُوَ مَوَالِيهِمْ لَا بَأْسَ بِهِمْ 10

وذلك أَنَا قَدْ مَنَّا الْآنَ أَنَّ الشَّرَفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ . فإذا اضْطَنَعَ أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ ، أَوْ اسْتَرْقَوْا الْعِبْدِيَّ وَالْمَوَالِي ، وَالتَّحَمُّوا بِهِمْ كَمَا قُلْنَا ، ضَرَبَ مَعَهُمْ أُولَئِكَ الْمَوَالِي وَالْمُضْطَنَعُونَ بِسَنِهِمْ غَضَبِيَّتِهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ ، وَلَبَسُوا جِلْدَتَهَا كَأَنَّهَُا غَضَبِيَّتُهُمْ ، وَخَصَلْ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ 15 مَسَاهِمَةٌ فِي نَسَبِهَا ؛ كَمَا قَالَ ﷺ <sup>(1)</sup> : "مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ" . وسواء كان مَوْلَى رِقٍّ أَوْ

(أ) ط: الحقيفة (ب) ل: النصبة .

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف 3: 215 ، وأحمد في المسند 3: 448 ، من حديث مهران مولى النبي ﷺ . وفي البخاري 8: 193 (6761) من حديث أنس عن النبي ﷺ : "مولى القوم من أنفسهم" .

مولى اضطناع وجلف . ولئس نسب ولاذته بنافع له في تلك العصبية ، إذ هي  
مُباينة لذلك النسب ، وعصبية ذلك النسب مفقودة لذهاب سِرِّها عند انحامه  
بهذا النسب الآخر وفقدانه أهل عصبيتها ، فيصير من هؤلاء ويندرج فيهم . فإذا  
تعددت له الآباء في هذه العصبية ، كان له بينهم شرف وينت على نسبته في ولايته ،  
واضطناعهم لا يتجاوزُهُ إلى شرفهم ، بل يكون أذن منهم على كل حال . 5

وهذا شأن الموالى في الدول والخدمة كلهم ؛ فإنهم إنما يشرفون بالرسوخ في  
ولاء الدولة وخدمتها وتعدد الآباء في ولايتها . ألا ترى إلى موالى الأتراك في دولة  
بني العباس ، وإلى بني بزمك من قبلهم ، وبني توبخت ، كيف أذكروا البيت والشرف ،  
ويتنوا المجد والأصالة بالرسوخ في ولاء الدولة ؛ فكان جعفر بن يحيى بن خالد من  
أعظم الناس بيتا وشرفا بالانساب إلى ولاء الرشيد وقومه ، لا بالانساب في 10  
الفرس . وكذا موالى كل دولة وخدمها إنما يكون / لهم البيت والحسب بالرسوخ في  
ولائها والأصالة في اضطناعها . ويضمحل نسبهُ (الأقدم إن كان من غير نسبها ،  
ويبقى ملغى لا عبرة به في أصلاته ومجده . وإنما المعتبرُ بنسبهِ) (1) ولايته واضطناعه ،  
إذ فيه سِرُّ العصبية التي بها البيت والشرف ؛ فكان شرفه مشتق من شرف مواليه ،  
وبنيته من بنائهم ، فلم يتفقه نسب الولادة ، وإنما بتي مجده نسب الولاء في الدولة 15  
ولُحمة الاضطناع فيها والتربية . وقد يكون نسبهُ الأول في لُحمة عصبية ودولة ،  
فإذا ذهب وصار ولاؤه واضطناعه في أخرى ، لم يتفقه الأول لذهاب عصبية ،  
وانتفع بالثاني لوجودها . وهذا حال بني بزمك ؛ إذ المنقول أنهم كانوا أهل بيت في

(1) سقط من ط وحدها .

الفُرس من سُدنة بُيوت التار عندهم، ولَمَّا صاروا إلى ولاء بني العباس لم يكن بالأوّل اعتبار، وإِنما كان شَرُفُهم من حَيْثُ وَلَاؤُهُمْ<sup>(١)</sup> في الدّولة واضطناهُم . وما سيوى هذا قُوَّتُهُم تُشوس به التّفوس الجامحة ولا حقيقة له ، والوجودُ شاهدٌ بما قلناه .  
و﴿ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ ﴾ [سورة الحجرات ، من الآية 13].

## 5 14 • فصلٌ ، في أنْ نَهايةَ الحَسَبِ في العَقَبِ الواحدِ أربعةَ آباء

اعْلَمْ أَنَّ العالَمَ الفُضْريّ بما فيه ، كائنٌ فاسِدٌ ، لا من ذَواته ولا من أحواله؛  
فالمُكوّناتُ من المَعْدِن والتّبات وجميع الحيوانات، الإنسان وغيره، كائنَةٌ فاسِدةٌ  
بالمُعاليمة ، وكذلك ما يَغْرِضُ لها من الأحوال، وخصوصاً الإنسانيّة . فالعلومُ تُنشأ ثم  
تُذَرُسُ، وكذلك الصّنائعُ وأمثالها. والحسبُ من العوارِض التي تَغْرِضُ للآدميين؛ فهو  
كائنٌ فاسِدٌ لا محالة. وليس يوجد لأحدٍ من أهل الخليقة شَرَفٌ مُتَّصِلٌ في آبائه من  
لَنَسْ أَدَمَ إِلَيْهِ، إلّا ما كان من ذلك للنتي عليه السلام، كرامته به وجياطةٌ في (ب) الشَّرَفِيَّة (ج)، وأوّل  
كلِّ شَرَفٍ خارجيَّةٍ كما قيل، وهي الخروجُ عن الرّئاسة والشرف إلى الصّعة والابتنِزال  
وعَدَمُ الحَسَبِ ، ومَغْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرِيفٍ وَحَسَبٍ / فَقَدَمَهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ ، شَأْنُ كُلِّ  
مُخَذِّث.

ثمَّ إِنَّ نَهايةَ في أَرْبعةِ آباءٍ من عَقِيهِ ؛ وذلك أَنَّ بانيَ المجدِ عالِمٌ بما عاناه في  
بَنائِهِ ، ومُحافظٌ على الجلالِ الّتي هي أَسبابُ كَوْنِهِ وبَقائِهِ . وإِنَّهُ من بَعْدِهِ مُباشِرٌ

(١) في جميع الأصول: ولائهم (ب) ظ. وفي ج ع ل ي: على (ج) من ظ وحدهما وفي بقية الأصول البصريّة فيه .

لأبيه ، قد سَمِعَ منه ذلك وأَحَذَه عنه ، إلا أَنَّهُ مُقَصِّرٌ في ذلك تَقْصِيرَ السَّامِعِ بِالشَّيْءِ  
 عن المُعَايَ لِه . ثُمَّ إِذَا جَاءَ الثَّالِثُ كَانَ حَظُّهُ الْإِقْبَاءَ وَالتَّقْلِيدَ خَاصَّةً ، فَقَصَّرَ عَنِ  
 الثَّانِي تَقْصِيرَ الْمُتَقَلِّدِ عَنِ الْمُخْتَدِمِ . ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَصَّرَ عَنِ طَرِيقَتِهِمْ جُمْلَةً ، وَأَضَاعَ  
 الْجِلَالَ الْحَافِظَةَ لِبِنَاءِ مَجْدِهِمْ وَاخْتَقَرَهَا ، وَتَوَهَّمُ أَنَّ ذَلِكَ الْبُنْيَانُ لَمْ يَكُنْ مَبْعَانَةً وَلَا  
 تَكْلُفٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجَبَ لَهُمْ مِنْذُ أَوَّلِ النِّشْأَةِ بِمَجْدٍ انْتِسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا  
 5 بِجِلَالٍ ، لَمَّا يَرَى مِنَ التَّجَلُّةِ بَيْنَ النَّاسِ ، وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حُدُوثُهَا وَلَا سَبَبُهَا ، وَيَتَوَهَّمُ  
 أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ ، فَيَرْتَابُ بِنَفْسِهِ عَنِ أَهْلِ غَضَبِيَّتِهِ وَيَرَى الْفَضْلَ عَلَيْهِمْ ، وَثُوقًا بِمَا رُفِيَ  
 فِيهِ مِنْ اسْتِثْنَائِهِمْ ، وَتَهْلًا بِمَا أَوْجَبَ ذَلِكَ الْاسْتِثْنَاءَ مِنَ الْجِلَالِ ، الَّتِي مِنْهَا التَّوَضُّعُ  
 لَهُمْ ، وَالْأَخْذُ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ . فَيَحْقِرُهُمْ لِذَلِكَ ؛ فَيَنْتَقِضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَحْقِرُونَهُ وَيُدِيلُونَهُ مِنْهُ  
 10 سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمُنْتَبِتِ ، وَمِنْ فُرُوعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْغَيْبِ ، لِلْإِذْنَانِ بِعَصَبِيَّتِهِمْ كَمَا  
 قُلْنَا ، بَعْدَ الْوُثُوقِ بِمَا يَرْضَوْنَهُ مِنْ خِلَالِهِ . فَتَنَمُو فُرُوعُ هَذَا ، وَتَدْوِي فُرُوعُ الْأَوَّلِ  
 وَيَتَهْدَمُ بِنَاءُ بَيْتِهِ . هَذَا فِي الْمُلُوكِ ، وَهَكَذَا فِي بُيُوتِ الْقَبَائِلِ وَالْأَمْرَاءِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ  
 أَجْمَعٍ ؛ ثُمَّ فِي بُيُوتِ أَهْلِ الْأُمُصَارِ ؛ إِذَا انْخَطَّتْ بِيُوتُ نَشَأَتْ بِيُوتُ أُخْرَى مِنْ  
 ذَلِكَ النَّسَبِ ﴿لَإِنْ نَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [سورة  
 15 فاطر ، الْآيَتَانِ 16 ، 17].

وَاشْتِرَاطُ الْأَرْبَعَةِ فِي الْأَخْسَابِ إِنَّمَا هُوَ فِي الْغَالِبِ ، وَإِلَّا فَقَدْ يَذْثُرُ الْبَيْتُ  
 مِنْ دُونَ الْأَرْبَعَةِ ، وَيَتَلَاشَى وَيَتَهْدَمُ . وَقَدْ يَتَصَلُّ أَمْرُهَا إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ ، إِلَّا  
 93 ب] أَنَّهُ فِي انْخِطَاطِ وَذَهَابِ . / وَاعْتِبَارُ الْأَرْبَعَةِ مِنْ قَبْلِ الْأَجْيَالِ الْأَرْبَعَةِ : بَانٍ ؛ وَمُبَاشِرٍ  
 لَهُ ؛ وَمُقَلَّدٍ ؛ وَهَادِمٍ . وَهُوَ أَقَلُّ مَا يُضَكَّنُ . وَقَدْ اعْتَبِرْتُ الْأَرْبَعَةَ فِي نِهَآيَةِ الْحَسَبِ فِي

باب المذبح والثناء. قال <sup>(1)</sup> : "إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ  
يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم". إشارة إلى أنه بلغ الغاية من المجد. وفي  
التوراة <sup>(2)</sup> ما مغناه : أنا الله ربك طائِقٌ غَيُورٌ ، مُطالِبٌ بذُوب الآباء للبنين على  
الثالث وعلى الرُّوابع. وهو يدلُّ على أنَّ الأربعة الأغصان غاية في الأنساب  
5 والحسب. \* <sup>(1)</sup> ومن كتاب الأغاني <sup>(3)</sup> في أخبار [عُوفٍ] <sup>(ب)</sup> القوافي: أنَّ كِسرى قال  
للتُّغمان، هل في القرب قبيلةٌ تُشرف على قبيلة؟ قال: نعم؛ قال: بأي شيء؟ قال:  
من كانت له ثلاثة آباءٍ مُتوالية رؤساء، ثم اتصل ذلك بكمال الزارع، فالتبَّت من  
قبيلته؛ وطلَّب ذلك فلم يجده إلَّا في آل حُذيفة بن بدر الفزاري، وهُم تبَّت قيس،  
وآل حاجب بن زُرارة تبَّت نعيم، وآل ذي الجُدَيْن تبَّت شيبان، وآل الأشعث بن  
10 قيس من كِنْدَة ، فَجَمَعَ هؤلاء الرُّهط ومن تبعهم من عشائِرهم، وأقعد لهم الحُكَّام  
العدول؛ فقام حُذيفة بن بدر ثم الأشعث بن قيس لقرابته من التُّغمان، ثم بسطام بن  
قيس، من شينان ، ثم حاجب بن زُرارة، ثم قيس بن عاصم، وخطبوا ونُشروا،  
فقال كسرى: كلُّهم سيِّد يضلح لموضعه. وكانت هذه السُّيُوتات هي المذكورة بالشرف  
في القرب بقَدِّي هاشم، ومعهم تبَّت بني الدَّيَّان من بني الحارث بن كعب تبَّت  
15 التيمن. وهذا كله يدلُّ على أنَّ الأربعة آباء <sup>(ج)</sup> نهاية في الحسب . والله أعلم \* .

(1) ما بين النجيين من النقل عن الأغاني ساقط من ي ؛ وقد أحق المؤلف هذا النص في حاشية ع ، وعنه نقلت الأصول  
القليلة ل ط ج (ب) في الأصول: غريب مصحفًا ، والنص في الأغاني (ج) في ط وحدها: الآباء .

(1) أخرجه البخاري في حديث الأنبياء من صحيحه 4: 181 (3382) و 4: 188 (3390) وفي التفسير 6: 95

(4688) وهو في مسند أحمد 2: 96 .

(2) سفر الخروج - الفصل العشرون : 5 .

(3) الأغاني 19 : 134 .



## 15 • فصل، في أن الأمم الوحشية أقدر على التغلب من سواها

- اعلم أنه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلناه في المقدمة الثالثة، لا جزم كان هذا الجيل الوحشي أشد شجاعة من الجيل الآخر، فهم أقدر على التغلب [194] واثراع ما في أيدي سواهم من الأمم. بل الجيل / الواحد تختلف أحواله في ذلك باختلاف الأغصار. فكلما نزلوا الأزياف، وتبنكوا التعم، وألقوا عوائد الحضب في 5 المعاش والتعم، نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحيشهم وبداهتهم. واعتبر ذلك في الحيوانات العجم، بدواجن الطباء والبقر الوحشية والحمر، إذا زال توحيشها بمخالطة الآدميين وأخصب عيشها، كيف يختلف حالها في الاحتضاض والشدّة حتى في مشيتها وحسن أدبها؛ وكذلك الآدمي المتوحش إذا أيس وألف. 10 وسببه أن تكون السجلا والطابع إنما هو عن المألوفات والعوائد؛ وإذا كان الغلب للأمم إنما يكون بالإقدام والبنسالة، فمن كان من هذه الأجيال أعرق في البداوة وأكثر توحيشا كان أقرب إلى التغلب على سواه، إذا تقاربا في العدد وتكافأ في القوة والعصاة. وانظر في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين إلى 15 الملك والتعم، ومع ربيعة المؤطنين أرياف العراق ونعمه، لما بقي مضر في بداهتهم وتقدّمهم الآخرون إلى خضب الغيش وغضارة التعم، كيف أزهقت البداوة حدهم في التغلب، فغلبهم على ما في أيديهم واثرعوه منهم. وهكذا حال بني طيء وبني عامر بن ضحصة، وبني سليم بن منصور من بعدهم، لما تأخروا في باديتهم عن سائر قبائل مضر واليمن، ولم يلبّسوا<sup>(1)</sup> بشيء من دنياهم، كيف أمسكت حال

(1) في ط وحدها: يكتسبوا.

البداءة عليهم قُوَّةُ عَصِيَّتِهِمْ ولم تُخْلِفْها مَذهَبُ التَّرف ، حتَّى صاروا أَغْلَبَ على الأَمْر منهم . وكذا كُلُّ حَيٍّ من القرب يَلِي نعيمًا وَغَيْشًا خَصبًا دون الحَيِّ الآخر ؛ فإنَّ الحَيِّ المُتَبَدِّي يكونُ أَغْلَبَ له ، وأَقْدَرُ عليه إذا تكافأ في القُوَّة والغدد ، سُنَّةُ الله في خَلْقِهِ .

5 16 • فَضْلٌ ، / فِي أَنَّ الغَايَةَ الَّتِي تَجْرِي إِلَيْهَا العَصِيَّةُ هِيَ الْمَلِكُ [94 ب]

وذلك لِأَنَّ قَدْ مَنَّا أَنَّ العَصِيَّةَ بِهَا تكونُ الحَمايَةُ والمدافَعَةُ والمُطالبَةُ وكلُّ أمرٍ يُجْتَمَعُ عليه ؛ وَقَدْ مَنَّا أَنَّ الِأَدمِيَّينَ بالطَّبِيعَةِ الإنْسانِيَّةِ يَحْتَاجُونَ في كُلِّ اجْتِمَاعٍ إلى وِازِعٍ وَحَاكِمٍ يَرْعَى بَعْضَهُمْ عن بَعْضٍ ؛ فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِم بِتِلْكَ العَصِيَّةِ ، وإلَّا لَمْ يَتِمَّ قُدْرَتُهُ على ذلك . وهذا التَّغْلِبُ هُوَ الْمَلِكُ ، وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ على الرِّئاسَةِ ، لِأَنَّ الرِّئاسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُوءُودٌ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ ، وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ في أَحْكامِهِ . وَأَمَّا الْمَلِكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ . وَصَاحِبُ العَصِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إلى رُتْبَةِ السُّوءُودِ وَالِاجْتِمَاعِ ، وَوُجِدَ السَّبِيلُ إلى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ ، لَا يَتْرُكُهُ ، لِأَنَّهُ مُطْلُوبٌ لِلنَّفْسِ ، وَلَا يَتِمُّ اقْتِدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُتَبَوِّعًا . فَالتَّغْلِبُ الْمَلِكِيُّ غَايَةُ لِلْعَصِيَّةِ كَمَا رَأَيْتُ .

15 ثُمَّ إِنَّ السَّبِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَ<sup>(١)</sup> فِيهِ بُيُوتَاتٌ مُفَرِّقَةٌ وَعَصَبِيَّاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، فَلَا بُدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا ، تَغْلِبُهَا وَتَسْتَبْطِئُهَا وَتَلْتَحِمُ جَمِيعَ العَصِيَّاتِ فِيهَا ، وَتَصِيرُ

(١) ط ج : كانت .

كانتها عَصِيَّةً واحدةً كُبْرَى ؛ وإلّا وَقَعَ الافتراءُ المُفْضِي إلى الاختلاف والتنازع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ<sup>(١)</sup> اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 251] .

- ثمّ إذا حصلَ التغلُّبُ بتلك العَصِيَّةِ على قُوَّهما طلبتْ بطبعها التغلُّبَ على أهل عَصِيَّةٍ أُخْرَى بعيدةٍ عنها ، فإن كَفَأَتْها أو مانَعَتْها كانوا أَقْتالاً وأنظاراً ، ولكلّ واحدةٍ منها التغلُّبُ على خَوَزَتِها وقُوَّها ، شأن القبائل والأُمَمِ المُتَفَرِّقة في العالم . وإن غَلَبَتْها أو استتَبَعَتْها ، التخمُّتُ بها أيضاً وزادتها قوَّةً في التغلُّبِ إلى قُوَّتِها ، وطلبتْ غَايَةً من التغلُّبِ / والتَّحَكُّمُ أَغْلَى من الغَايَةِ الأولى وأَبْعَدُ ؛ وهكذا دائماً حتّى نِكَايَةٍ بَقُوَّتِها قوَّةُ الدَّوْلَةِ . فإن أذْرَكَتِ الدَّوْلَةَ في هَرَمِها ولم يكن لها مُنَالِغٌ من أولياء الدَّوْلَةِ أهل العَصِيَّاتِ ، استَوَلَّتْ عليها واثترَعَتِ الأَمْرَ من يدها ، وصار المُلْكُ أَجْمَعُ لها . وإن انتهت إلى قُوَّتِها ولم يُقَارَنْ ذلك هَرَمُ الدَّوْلَةِ ، وإنّما قارَنَ حاجَتِها إلى الاستِظْهَارِ بأهل العَصِيَّاتِ ، انتظمتْها الدَّوْلَةُ في أوليائها تَسْتَظْهِرُ بها على ما يَبْعُنُ من مقاصدها ، وذلك مُلْكٌ آخر دُونَ المُلْكِ المُسْتَبَدِّ . وهو كما وَقَعَ لِلتُّرْكِ في دَوْلَةِ بني العباس ؛ ولصِبْهاجَةِ وزَناتِهِ مع كُتامة ، ولبني جُندان مع مُلوك الشَّيعَةِ من العلَوِيَّةِ والعباسِيَّةِ . فقد ظَهَرَ أَنَّ المُلْكَ هو غَايَةُ العَصِيَّةِ ، وإنّما إذا بَلَغَتْ إلى غَايَتِها حصلَ لِلْقَبِيلِ المُلْكُ ، إمّا بالاسْتِبْدَادِ ، أو بالمُظَاهَرَةِ ، على حَسَبِ ما يَسْتَعِدُّ الوَقْتُ المُقَارَنُ لذلك . وإن عاقَبَتْها عن بُلُوغِ الغَايَةِ عَوائِقُ ، كما نُيِّنُهُ ، وَقَفَّتْ في مَقَامِها إلى أن يَقْضِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ .

(١) في الأصول كلها : دفاع ، وهي إحدى قرأتين قرأ بها القراء ، والوجه فيها كما يقول الطبري ، المصدر من قول القائل : دافع الله عن خلقه فهو يدافع مُدَاعِمَةً ودفاعاً . انظر جامع البيان 2 : 755 .

17 • فصل ، في أن من عواقب الملك حصول الترف وانغماس القبيل في التعميم

وسبب ذلك ، أن القبيل إذا غلبت بقصيتها بعض الغلب ، استولت على  
التعنة بمقداره ، وشاركت أهل النعم والجذب في نعمتهم وخضبتهم ، وضربت معهم  
في ذلك سنهم وحصه ، بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها . فإن <sup>(1)</sup> كانت الدولة من  
5 القوة بحيث لا يطمع أحد في التزاع أمرها ولا مشاركتها فيه ، أذعن ذلك القبيل  
لولايتها ، والشيوخ بما يسوغون من نعمتها ، / ويشاركون فيه من جبايتها ، ولم تسلم  
آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبايه ، إنما همهم التعمم والكسب وخضبت  
العيش والتسكون في ظل التولية إلى الدعة والراحة ، والأخذ بمذاهب الملك في  
المباني والملابس <sup>(ب)</sup> ، والاستيثار من ذلك والتأثق فيه ، بمقدار ما حصل من  
10 الرياض والترف وما يذعو إليه من توابع ذلك . فتذهب حشوته البداهة وتضعف  
العصية والبسالة ، ويتعممون فيما آتاهم الله من البسط . وينشأ بثوهم وأغقابهم في  
مثل ذلك ، من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ، ويستنكفون عن سائر  
الأمر الضرورية في العصية ، حتى يصير ذلك خلقة لهم وسجية . فتتقص عصيتهم  
وسائتهم في الأجيال بندهم بتعاقبها ، إلى أن تنقرض العصية فيتأذنون بالانقراض . وعلى  
15 قدر ترفهم ونعمتهم يكون إشرافهم على القضاء ، فضلاً عن الملك ؛ فإن عوارض الترف  
والفرق في التعميم كلسر من سورة العصية التي بها التغلب . وإذا انقضت العصية  
قصر القبيل عن المدافعة والحماية ، فضلاً عن المطالبة ، وانتهتشم الأمم سواهم .  
فقد تبين أن الترف من عواقب الملك ؛ والله يؤتي ملكه من يشاء .

(1) ج وان (ب) في ظ: والملابس خاصة ، وهي مشته في أصل ع ثم ضبطت ولم تنقلها الأصول الأخرى .

18 ﴿ فَصَلِّ ، فَإِنْ أَتَىٰ مِنَ الْوَيْلِ الْمُلْكُ ، حُصُولَ الْمَذَلَّةِ لِلْقَبِيلِ ، وَالْإِنْقِيَادَ لِسَوَاهُمْ ۚ

- وسبب ذلك أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِنْقِيَادَ كَابِرَانِ لِسُورَةِ الْعَصِيَّةِ وَشِدَّتِهَا ؛ فَإِنَّ  
إِنْقِيَادَهُمْ وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ إِفْقَادِهَا ؛ فَمَا زَمُوا لِلْمَذَلَّةِ حَتَّىٰ عَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ ؛ وَمَنْ  
عَجَزَ عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأَوَّلَىٰ أَنْ يَكُونَ عَاجِزاً عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ . وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي بَنِي  
إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَىٰ إِلَىٰ مُلْكِ الشَّامِ ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مُلْكُهَا ،  
كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ ، / وَقَالُوا: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا حَتَّىٰ يُخْرِجُوا  
مِنهَا ﴾ [سورة البقرة، من الآية 22] ، أُنِيَ يُخْرِجُهُمُ اللَّهُ مِنْهَا بِضَرْبٍ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرِ عَصَبِيَّتِنَا ،  
وَيَكُونُ مِنْ مُفْجِزَاتِكَ يَا مُوسَى . وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ لَجُوعًا وَازْتَكَبُوا الْعِضْيَانَ ، وَقَالُوا :  
﴿ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ [سورة المائدة ، من الآية 24] . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَمَّا آتَسَوْا  
مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُطَالَبَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ وَمَا يُؤَثِّرُ فِي تَفْسِيرِهَا ؛  
وَذَلِكَ بِمَا خَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ الْإِنْقِيَادِ ، وَمَا زَمُوا مِنَ الذُّلِّ لِلْقَبْطِ أَخْقَابًا حَتَّىٰ  
ذَهَبَتِ الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جَمَلَةً ؛ مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا حَقَّ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ أَنَّ  
الشَّامَ لَهُمْ ، وَأَنَّ الْعَالَمَةَ الَّذِينَ كَانُوا بَارِئِينَ فَرِيسَتِهِمْ بِحُكْمٍ مِنَ اللَّهِ قُدْرَتِهِ لَهُمْ . فَأَقْصَرُوا<sup>(١)</sup>  
عَنْ ذَلِكَ وَعَجَزُوا ، تَتَوَيْلًا عَلَىٰ مَا عَلِمُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَجْزِ عَنِ الْمُطَالَبَةِ ، لَمَّا  
خَصَلَ لَهُمْ مِنْ خُلُقِ الْمَذَلَّةِ ، وَطَلَعْنَهُمْ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيِّهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ .  
فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالنَّيِّ ، وَهُوَ أَنَّهُمْ أَقَامُوا فِي قَفَرٍ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ  
سَنَةً ، لَمْ يَأْتُوا فِيهَا لُغُرَانٍ وَلَا نَزَلُوا مِصْرًا ، كَمَا قَصَّ الْقُرْآنُ ، لِإِلْطَةِ الْعَالَمَةِ

(١) فِي ل وَحْدَهُمَا ، فَفَصَرُوا ؛ وَفِي اللِّسَانِ (فَصَرَ) أَقْصَرَ عَنِ الشَّيْءِ إِذَا نَزَعَ عَنْهُ وَيَغْنَرُ عَلَيْهِ . وَفَصَرَ عَنِ الشَّيْءِ عَجَزَ عَنْهُ وَلَمْ يَلْفِهِ .

بالشام والقيط بمضر عليهم ، ولعجزهم عن مقاومتهم كما زعموه . ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن جكمة ذلك التيه مقصودة ، وهي فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الدّل والقهر وألفوه ، وتخلّقوا به وأفسدوا من غصبتهم ، حتى نشأ في ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف الأحكام والقهر ولا يسأم بالمدلة ، فنشأت لهم 5 بذلك غصبة أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب . ويظهر لك من ذلك <sup>(1)</sup> أن الأزعين سنة أقل ما يتأق فيهما فناء جيل ونشأة جيل آخر . سنخا الحكيم العليم .

وفي هذا أوضح دليل على شأن الغصبة ، وأنها التي تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة ، وأن من فقدتها عجز عن جميع ذلك .

10 ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المدلة / للقبيل ، شأن المغارم والصرائب ؛ [96 ب]

فإن القبيل الغارمين ما أعطوا اليد لذلك حتى رضوا بالمدلة فيه ، لأن في المغارم والصرائب ضيما ومدلة لا تحملها النفوس الأبية إلا إذا استهوتته عن القتل والتلف ، وأن غصبتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ؛ ومن كانت غصبته لا تدفع عنه الصيم فكيف له بالمقاومة أو المطالبة وقد خصل له الاتياد للدّل ، والمدلة عاتبة كما 15 قدّمناه . في الصحيح قوله ﷺ <sup>(1)</sup> في شأن الحزب لما رأى سيكة المجرحات في بغض دور الأنصار ، فقال : " ما دخلت هذه دار قوم إلا دخلهم الدّل " . فهو دليل صريح على أن المغرّم موجب للذلة . هذا إلى ما يصحب ذلّ المغارم من خلق المكر

(1) ل: بذلك .

(1) أخرجه البخاري في المزارعة من صحيحه 3: 135 حديث (2321) .

والحدّية بسبب ملكة القهر، ا فني الصحيح أنّ رسول الله ﷺ كان يستعبدُ من  
المغرب، فسئل عن ذلك فقال<sup>(1)</sup>: "إنّ الرجلَ إذا أغرمَ حدّثَ فكذب وواعد  
فأخلف"<sup>(2)</sup>. فإذا زائت القبيلَ بالمغربِ في ريقه من اللؤلؤ فلا تطمئنّ لها بملكٍ آخر  
الدّهر.

- ومن هنا يتبيّن لك غلطُ من يزعمُ أنّ زَنَانَةَ بالمغرب كانوا شائِغَةً يُودَوْنَ 5  
المغربَ لمن كان على عهدهم من الملوك. وهو غلطٌ فاحش كما رأيْت؛ إذ لو وَقَعَ ذلك  
لما استنَبَّ لهم مُلْكٌ ولا تَمَثَّ لهم دَوْلَةٌ. وانظر في هذا ما قاله شهريار ملك الباب  
لعبد الرحمن بن زبيدة لما أطلَّ عليه، وسأل أمانته على أن يكونَ له؛ فقال: أنا اليومَ  
منكم ، يدي في أيديكم ، وضغوي معكم ، فرحباً بكم ، وبارك الله لنا ولكم، وجزئنا  
إليكم ، الثَّغرُ لكم والقيامُ بما تُحْتَوْنَ ، ولا تُذِلُّونا بالجزية فتوهنونا لعدوكم. فاعتَبِرْ هذا 10  
فيما قلناه فإنه كافٍ.

(1) من حاشية ع بخطه .

(2) هو في الصحيحين من حديث عائشة : البخاري (832) و (2397) ومسلم (589) .

19 • فَضْلٌ، فِي أَنْ مَنْ عِلَامَاتِ الْمُلْكِ، التَّنَافُسُ فِي الْخِلَالِ الْحَمِيدَةِ،  
[وَبِالْعَكْسِ] <sup>(1)</sup>

لَمَّا كَانَ الْمُلْكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةِ الْاجْتِنَاعِ كَمَا قُلْنَا، وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ / وَقُوَّتِهِ التَّاطِطِفَةِ <sup>[197]</sup>  
5 الْعَاقِلَةِ، لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ، وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ فَهُوَ إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبَ، وَالْمُلْكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَ لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ، لِأَنَّهَا خَاصَّةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا لِلْحَيَوَانِ؛ فَإِذَنْ خِلَالُ الْخَيْرِ فِيهِ هِيَ الَّتِي تُنَاسِبُ  
السِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ، إِذَا الْخَيْرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَجْدَ لَهُ أَصْلٌ يَتَّبِعِي عَلَيْهِ وَتَتَحَقَّقُ بِهِ حَقِيقَتُهُ، وَهُوَ الْعَصَبِيَّةُ  
10 وَالْعَشِيرُ، وَفَرَعٌ يَتَقَمُّ وَجُودَهُ وَيَكْمُلُهُ وَهُوَ الْجِلَالُ. [وَإِذَا كَانَ الْمُلْكُ غَايَةً لِلْعَصَبِيَّةِ،  
فَهُوَ غَايَةٌ لِنُفُوعِهَا وَمُنْتَهَاهَا، وَهِيَ الْجِلَالُ] <sup>(1)</sup>؛ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مُنْتَهَاهُ كَوُجُودِ شَفْغِصٍ  
مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ، أَوْ ظُهُورِهِ غُزِيَانًا بَيْنَ النَّاسِ. وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصَبِيَّةِ فَقَطُّ مِنْ  
غَيْرِ انْتِحَالِ الْجِلَالِ الْحَمِيدَةِ نَقَصًا فِي أَهْلِ الْبُيُوتِ وَالْأَخْسَابِ، فَمَا ظَنُّكَ بِأَهْلِ الْمُلْكِ  
الَّذِي هُوَ غَايَةٌ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنَهَايَةٌ لِكُلِّ خَسْبٍ.

15 أَيْضًا فَالسِّيَاسَةُ وَالْمُلْكُ هِيَ كَقَالَةِ لِلْخَلْقِ، وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادَةِ فِي الْأَحْكَامِ؛  
وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَعِبَادَةِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ، كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ؛  
وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قَدَرِهِ سُبْحَانَهُ وَقُدْرَتِهِ، فَإِنَّهُ

(1) سَقَطَ مِنْ ط.



فاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا وَمُقَدَّرُهَا، إِذْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ . فَمِنْ حَصَلَتِ لَهُ الْعَصِيَّةُ الْكَفِيلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأُورِنَتْ مِنْهُ جَلَالُ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةُ لَتَنْفِيزِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، فَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادَةِ وَكَفَالَةِ الْخَلْقِ ، وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحَةُ لَدُنْكَ . وَهَذَا الْبُرْهَانُ أَوْثَقُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ مَبْنًى .

5 فقد تبيّن أن خلال الخير شاهدة بوجود الملك لمن وُجدت له العصيّة .

فَإِذَا نَظَرْنَا فِي أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمُ الْقَلْبُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ التَّوَاحِي وَالْأَسْمِ ، فَوَجَدْنَاهُمْ يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَجَلَالِهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالْفَعْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ ، وَالِاخْتِيَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ ، وَالْقِرَى لِلضُّيُوفِ ، وَحَمْلِ الْكَلِّ ، / وَكَسْبِ [الْمُعْدِمِ] <sup>(٩٧ب)</sup> ، وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ ، وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ فِي ضُرُوفِ الْأَعْرَاضِ ، وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ ، وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْحَامِلِينَ لَهَا ، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا يَجِدُونَهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ ، \* وَاعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ وَالتَّوَكُّلِ بِهِمْ \* <sup>(ب)</sup> ، وَرَغْبَةِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ ، وَالْحَيَاءِ مِنَ الْأَكْبَرِ وَالْمَشَافِخِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ ، وَالِاتِّقَادِ لِلْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ ، وَإِنْصَافِ الْمُسْتَغْفِقِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَالتَّبَذْلِ فِي أَخْوَالِهِمْ ، وَالتَّوَاضُعِ لِلْمُسْكِينِ ، وَاسْتِمَاعِ شَكْوَى الْمُسْتَغِيثِينَ ، وَالتَّدْبِيرِ بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ ، وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَشْبَاهِهَا ، وَالتَّجَافِي عَنِ الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ؛ عَلَيْنَا أَنْ 15 هَذِهِ خُلِقَ السِّيَاسَةُ قَدْ حَصَلَتْ لَدَيْهِمْ ، وَاسْتَحَقُّوا بِهَا أَنْ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، أَوْ عَلَى الْعُمُومِ ؛ وَأَنَّهُ خَيْرٌ سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مُنَاسِبٌ لِعَقِيدَتِهِمْ وَعِلْمِهِمْ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ سُدًى فِيهِمْ ، وَلَا وَجِدَ عِبْنًا مِنْهُمْ ؛ وَالْمَلِكُ أَنْسَبُ الْخَيْرَاتِ وَالْمَرَاتِبِ لِعَقِيدَتِهِمْ ،

(أ) فِي ط : الْمَعْدُوم (ب) سَقَطَ مَا بَيْنَ النَجْمَيْنِ مِنْ ل

فعلّمنا بذلك أنّ الله تَأَذَّن لهم بالملك وساقه إليهم. وبالعكس من ذلك، إذا تأذَّن الله باقتراض الملك من أمة حَلَّمهم على ارتكاب المذمومات، وانتحال الرذائل وسلوك طُرُقها، فتُفقد الفضائل السياسيّة منهم مُجْمَلَة، ولا تزال في انتقاص إلى أن يُخْرِج الملك من أيديهم، ويبدّل به سواهم، ليكون نقياً عليهم في سلب ما كان الله قد أتاهم من الملك، وجعل في أيديهم من الخير ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾. [سورة الإسراء، الآية 16]. واستقرى ذلك وتَبَعُّه في الأمم السالفة نَحْدٌ كثيراً مما قلناه وَرَسَمْنَاهُ. والله يَخْلُق ما يشاء وَيَخْتَار.

- واعلم أنّ من خلال/ الكمال الذي تتنافس فيه القبائل أولو الغصيّة، [198]
- 10 وتكون شاهدة لهم بالملك، إكرام العلماء والصالحين والأشراف وأهل الأخساب وأصناف التجار والغزباء، وإنزال الناس منازلهم. وذلك أنّ إكرام القبائل وأهل الغصبيّات والعشائر لمن يُباهيهم في الشرف، ويُجاذبهم خبل العشير والغصبيّة، ويشاركهم في اتساع الجاه، أمرٌ طبيعيٌ يَحِلُّ عليه - في الأكثر - الرغبة في الجاه، أو المخافة من قوم المكرم، أو التماسٍ مثلها منه. وأما أمثال هؤلاء ممن ليس له غصبيّة
- 15 تَتَمَيَّ ولا جاة يُرْتَمَى، فيندفع الشك في شأن كرامتهم وشمخُ الضدّ فيهم أنّه للمجد، واثبّاح الكمال في الجلال، والإقبال على السياسة بالكلية. لأنّ إكرام أفتاله وأمثاله ضروريٌّ في السياسة الخاصّة بين <sup>(1)</sup> قبيله [وفُظرائه] <sup>(ب)</sup>؛ وإكرام الطارين من أهل الفضائل والخصوصيّات كمالٌ في السياسة العامّة. <sup>(ج)</sup> [فالفالحون للدين؛ والعلماء

(1) ج: عن (ب) في ظ وحدها: نظائره (ج) ما بين المهين حاشية ملحّة بخط ابن خلدون في ع ي.

للحاجة إليهم في إقامة مراسم الشريعة؛ والتجائر للترغيب حتى نعم المنفعة بهم<sup>(أ)</sup>؛  
والغبراء من مكارم<sup>(ب)</sup> الأخلاق ومن الترغيب بيبغض الوجوه<sup>(ج)</sup>؛ وإنزال الناس  
منازلهم من الإنصاف وهو من العدل<sup>(د)</sup>؛ فيعلم بوجود ذلك من أهل غصبيته  
انتمائهم للسياسة العامة وهي الملك، وأن الله قد تأذن بوجودها فيهم لوجود علاماتها.  
ولهذا فإن أول ما يذهب من القليل أهل الملك إذا تأذن الله بسلب ملكهم<sup>5</sup>  
وسلطانهم، إكرام هذا الصنف من الخلق؛ فإذا رأيته قد ذهب من أمة من الأمم،  
فاعلم أن الفضائل قد أخذت في الذهاب عنهم، وارتقت زوال الملك عنهم<sup>(د)</sup>؛  
﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له﴾ [سورة الرعد، من الآية 11].

## 20 • فصل، في أنه إذا كانت الأمة وخشية كان ملكها أوسع

[98 ب] / وذلك لأنهم أقدر على التغلب والاستبداد كما قلناه - واستغيا الطوائف،  
لقدرتهم على محاربة الأمم سواهم، ولأنهم يتنزلون من الأهلين منزلة المفترس من  
الحيوانات العجم؛ وهؤلاء مثل القرب وزناته، ومن في مغناهم من الأكراد والتركمان،  
وأهل اللثام من صنهاجة. وأيضاً فهؤلاء المتوحشون ليس لهم وطن يزنافون منه،  
ولا بلد يجنحون<sup>(هـ)</sup> إليه؛ فينسب الأقطار والمواطن إليهم على السواء. فلهذا لا  
يقتصر على ملكة فطرم وما جاورهم من البلاد، ولا يقفون عند حدود أقيمتهم،<sup>15</sup>  
بل ينظفرون إلى الأقاليم البعيدة، ويتغلبون على الأمم النائية. وانظر ما يحكى في

(أ) ي: بما في أيديهم (ب) سقط ما بين الجيمين من ي (ج) ما بين الجيمين حاشية ملحقة بخط ابن خلدون في ع ي (د) ع  
ج: منهم (هـ) ي: يجنحون .

ذلك عن عُمر رضي الله عنه، لما بُوع وقام يُحَرِّضُ الناسَ على العراق، فقال<sup>(1)</sup>: إِنَّ  
الْجَزَّازَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَارٌ إِلَّا عَلَى الشُّجْعَةِ، وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ، أَيْنَ الطُّرَّاءُ  
الْمُهَاجِرُونَ عَنْ مَوْعِدِ<sup>(2)</sup> الله، سَيَرُوا فِي<sup>(ب)</sup> الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَكُمْ اللهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ  
يُورِثَكُمُوهَا، فقال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [سورة الصف، من

5 الآية 9].

واعتبر ذلك أيضاً بحال الغرب السالفة من قَبْل، مثل التَّيَابِعة وَجَنْجِر، كيف  
كانوا يَخْطُون [فيما يُقَالُ<sup>(ج)</sup>] مِنَ الْبَيْتِ إِلَى الْمَغْرَبِ مَرَّةً، وإلى العراق والهند أخرى؛ ولم  
يكن ذلك لَغَيْرِ الغرب من الأُمَم. وكذا حالُ الْمُثَمِّينَ بِالْمَغْرِبِ لَمَّا نَزَعُوا إِلَى الْمُلْكِ،  
طَفَرُوا<sup>(د)</sup> مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ، ومَجَالَئُهُمْ مِنْهُ فِي جَوَارِ الشُّودَانِ، إِلَى الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ  
والخامسِ فِي مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ. 10

وهذا شأنُ هذه الأُمَمِ الْوُخْشِيَّةِ، فلذلك تَكُونُ دَوْلُهُمْ أَوْسَعَ نِطَاقاً، وأبعدُ  
من مَرَاكِزِهَا نِهَائَةً، ﴿وَاللهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة المزمل، من الآية 20].

(1) الطبري: موعود (ب) الطبري: إلى (ح) من ع (د) ط: طفرؤا .

(1) تاريخ الطبري 3 : 445 .

21 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْمُلْكَ إِذَا ذَهَبَ عَنْ بَعْضِ الشُّعُوبِ مِنْ أُمَّةٍ، فَلَا بُدَّ مِنْ عَوْدِهِ إِلَى شَعْبٍ آخَرَ مِنْهَا، مَا دَامَتْ لَهُمُ الْعَصِيَّةُ

[199] والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ، أَنَّ الْمُلْكَ إِنَّمَا خَصَلَ لَهُمْ بِغَدِ سُورَةِ الْقَلْبِ / وَالْإِذْعَانِ لَهُمْ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ سِوَاهُمْ، فَيَتَعَيَّنُ مِنْهُمْ الْمُبَاشِرُونَ لِلْأَمْرِ الْحَامِلُونَ لِسَرِيرِ الْمُلْكِ. وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ لِجَمِيعِهِمْ، لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثَرَةِ الَّتِي يَضِيقُ عَنْهَا يُطَاقُ الْمِرَاحَةُ، وَلِلْغَيْرَةِ الَّتِي تَجْدَعُ أَنْوَافَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَارِلِينَ لِلرُّثِيَّةِ. فَإِذَا تَعَيَّنَ أُولَئِكَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ، انْعَمَسُوا فِي النَّعِيمِ، وَغَرِقُوا فِي بَحْرِ التَّرَفِّ وَالْخُصْبِ، وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْجَلِيلِ، وَأَتَفَقَوْهُمْ فِي وَجْهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا. وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعُدُوا عَنِ الْأَمْرِ وَكَبُحُوا عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي ظِلٍّ مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ الَّتِي شَارَكُوهَا بِنَسَبِهِمْ، وَمُنْجَاةٍ مِنَ الْهَزَمِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِّ وَأَسْبَابِهِ. فَإِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَيَّامُ، وَأَبَادَ غَضَارُهُمُ الْهَزَمُ، وَطَبَّخَتْهُمْ الدَّوْلَةُ، وَأَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ، بِمَا أَزْهَقَ النَّعِيمُ مِنْ حُدُودِهِمْ، وَاسْتَفْتِ غَرِيزَةُ التَّرَفِّ مِنْ مَائِهِمْ، وَبَلَّغُوا غَايَتَهُمْ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالتَّغْلَبِ السِّيَاسِيِّ [مِنَ الْوَاغِرِ]

كَدُّودِ الْقَرْ يَنْبِجُ ثُمَّ يَفْنَى بِمَرْكَزِ نَشْجِهِ فِي الْإِنْفِكَاسِ (1)

15 كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصِيَّةُ الْآخِرِينَ مُؤَفَّرَةً، وَسُورَةُ غَلَبِهِمْ مِنَ الْكَايِرِ مَخْفُوظَةً، وَشَارَتْهُمْ فِي الْقَلْبِ مَقْلُومَةٌ؛ فَتَشْمُو آمَالُهُمْ إِلَى الْمُلْكِ الَّذِي كَانُوا مَفْنُوعِينَ

(1) لم نعرف قائله .

منه بالقوة الغالبة من جنس غصبتهم، وترفع المنازعة لما عُرف من غلبهم، فيستولون على الأمر ويصيرُ إليهم. وكذا يتفق فيهم مع من بقي أيضاً مُتنبذاً عنه من عشائر أمتهم . فلا يزالُ الملكُ ملجأً في الأمة إلى أن تنكسر سورة الغصبة منها أو تفتى سائرُ عشائرها . سنة الله في الحياة الدنيا ، ﴿والآخرة عند ربك للمتقين﴾ [سورة الزخرف، من الآية 25] .

واعتبر هذا بما وقع في الأمم ، لما اقترض ملك عاد قام به من بعدهم / إخوانهم من قُصود ، ومن بعدهم إخوانهم الغالقة، ومن بعدهم إخوانهم من حمير ، [99ب] ومن بعدهم إخوانهم التابعة من حمير أيضاً، ومن بعدهم الأذواء كذلك ، ثم جاءت التولية لِمُضر . وكذا الفرس، اقترض أمر الكينية فلَمَك من بعدهم الساسانية ، حتى تأذن الله باقراضهم أجمع بالإسلام. وكذا اليونانيون، اقترض أمرهم وانتقل إلى 10 إخوانهم من الروم. وكذا البربر بالمغرب ، لما اقترض أمر مغراوة وكثافة الملوك الأول منهم، رجع إلى صنهاجة ثم المُلثمين من بعدهم، ثم المصامدة، ثم من بقي من شعوب زَنَاته ، وهكذا . سنة الله في عبادته وخَلقه .

وأصل هذا كله إنما يكون بالغصبة ؛ وهي مُتفاوتة في الأجيال ؛ والملك 15 بِجُلَّةِ التَّرفِ ويُدْهَبُهُ ، كما سنذكره بعد . فإذا اقترضت دولة فإنما يتناول الأمر منهم من له غصبةٌ مشاركةٌ لغصبتهم التي عُرف لها التسليم والافتقاد، وأونس منها القلبُ لجميع الغصبات. وذلك إنما يوجد في النسب القريب منهم؛ لأن تفاوت الغصبة بحسب ما قَرَّب من ذلك النسب التي هي فيه أو بعدت. حتى إذا وقع في العالم تبديلٌ كبيرٌ من تحويل مِلَّةٍ أو ذهاب عُمران أو ما شاء الله من قدرته، حينئذٍ

يُخْرِجُ عَنْ ذَلِكَ الْجِيلِ إِلَى الْجِيلِ الَّذِي [تَأْتَن] <sup>(١)</sup> اللَّهُ بِقِيَامِهِ بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ. كَمَا وَقَعَ  
لَمْضَرِّ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأُمَمِ وَالْأَوَّلِ، وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْعَالَمِ، بَعْدَ أَنْ  
كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا.

22 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْمَغْلُوبَ مَوْلَعٌ أَبَدًا بِالْاِقْتِدَاءِ بِالْغَالِبِ، فِي شِعَائِهِ وَنَزِيرِهِ وَنَحْلَتِهِ  
وَسَائِرِ أَحْوَالِهِ وَعَوَائِدِهِ

5

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ [أَنَّ] <sup>(ب)</sup> النَّفْسُ أَبَدًا تَقْتَعِدُ الْكَمَالَ فَمِنْ غَلَبِهَا وَانْقَادَتْ  
إِلَيْهِ، إِنَّمَا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِمَا وَقَرَّ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ؛ أَوْ لِمَا تُغَالِطُ بِهِ مِنْ أَنَّ انْقِيَادَهَا  
لَيْسَ لِقَلْبٍ طَبِيعِيٍّ، إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ، فَإِذَا غَالَطَتْ بِذَلِكَ / وَأَتَّصَلَ لَهَا صَارَ <sup>[100]</sup>  
اِقْتِدَاءً، فَاتَّحَلَّتْ جَمِيعُ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ اِقْتِدَاءٌ. أَوْ لِمَا  
تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنَّ غَلَبَ الْغَالِبِ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةَ بَاسٍ، وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا  
اِسْتَحْلَتْهُ مِنَ الْقَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ، تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْقَلْبِ، وَهَذَا رَاجِعٌ إِلَى الْأَوَّلِ.  
فَلَنَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَزَكِبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا  
وَأَشْكَالِهَا، بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ. وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَنْبَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ <sup>(ج)</sup>، كَيْفَ تَجَدُّهُمْ  
مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِاِقْتِدَائِهِمُ الْكَمَالَ فِيهِمْ. وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ قُطْرٍ مِنْ  
الْأَفْطَارِ كَيْفَ يَتَغَلَّبُ عَلَى أَهْلِهِ رِيَّ الْحَامِيَةِ وَجُنْدِ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ، لِأَنَّهُمُ الْغَالِبُونَ <sup>15</sup>  
لَهُمْ. حَتَّى إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ تُجَاوِزُ أُخْرَى وَلَهَا الْقَلْبُ عَلَيْهَا، فَيَنْسَرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا

(١) فِي طَرَحِهَا: أَتَنَ (ب) سَطَطَ مِنْ طَرَحَ وَحَدَّاهَا (ج) لَ: الْإِبَاءُ .

السَّيِّئَةِ وَالْإِسْتِدَاءَ حَظٌّ كَبِيرٌ؛ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَعَ أُمَّمِ الْجَلَالِيفَةِ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالكَثِيرُ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ، حَتَّى فِي رُسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُدُرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ، حَتَّى لَقَدْ يَتَشَبَّهُونَ مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرِ بَعَيْنِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ عِلَامَةُ الْإِسْتِغْلَاءِ؛ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ. وَتَأْمَلُ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِمُ: الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ، إِذَا الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ، وَالرَّعِيَّةُ مُفْتَدُونَ بِهِ لِعَقْتَادِ الْكَمَالِ فِيهِ، اقْتِدَاءُ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِهِمْ. وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

23 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ الْأُمَّةَ إِذَا غَلِبَتْ وَصَارَتْ فِي مَلَكَهَ غَيْرِهَا، أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْفَنَاءُ

وَالسَّبَبُ فِيهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَا يَحْصُلُ فِي النُّفُوسِ <sup>(1)</sup> مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَ أَمْرُهَا عَلَيْهَا، وَصَارَتْ بِالْإِسْتِعْبَادِ آلَةً لِسَوَاهَا / وَعَالَةً عَلَيْهِمْ، فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضْعُفُ، وَالتَّنَاسُلُ وَالِاعْتِمَادُ إِنَّمَا هُوَ عَنْ جِدَّةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ. فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ بِالتَّكَاسُلِ، وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَكَانَتْ الْغَضَبِيَّةُ ذَاهِبَةً بِالْغَلَبِ الْحَاصِلِ عَلَيْهِمْ، تَنَاقَضَ عُمْرَانُهُمْ، وَتَلَاشَتْ مَكَاسِبُهُمْ وَمَسَاعِيهِمْ، وَعَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، بِمَا خَضَعَ الْغَلَبُ مِنْ شَوْكِهِمْ، فَأَضْبَحُوا مَغْلِبِينَ لِكُلِّ مُتَغَلَّبٍ، طُعْمَةً لِكُلِّ آكِلٍ؛ وَسَوَاءٌ كَانُوا خَضَعُوا عَلَى غَايَتِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَوْ لَمْ يَخْضَعُوا.

(1) سَفْطٌ مِنْ ل.



وفيه - والله أعلم - سرٌّ آخر، وهو أَنَّ الإنسانَ رئيسَ بطنه بمقتضى الاستخلاف الذي جُعِلَ له؛ والرئيس إذا غلب على رئاسته وكَبَحَ عن غاية عِزِّه، تكاسَلَ حتَّى عن شَيْعِ بطنه وريِّ كِبِدِه؛ وهذا موجودٌ في أخلاق الأناسي. ولقد يُقال مثله في الحيوانات المفترسة، وإنَّها لا تُسَافِد إذا كانت في مَلَكَةِ الأدميين، ولا يَزَالُ هذا القبيلُ المفلوك أمره عليه في تناقُصٍ واضمحلالٍ إلى أن يأخذهم الفناء . 5 والبقاء لله وَخَذَهُ .

واعتبر ذلك في أُمَّة الفُرس، كيف كانت قد ملأت العالم كثرةً، ولما فَنِيَتْ حاميتُهُمْ في أَيَّامِ العَرَبِ بقي منهم كثيرٌ وأكثر من الكثير. يُقال إنَّ سَفْداً أَحْصَى من وراء المدائن، فكانوا مائة ألفٍ وسبعة وثلاثين ألف، منهم سبعة وثلاثون ألفاً ربَّ نِت. ولما تَحَصَّلوا في مَلَكَةِ العَرَبِ وقَبْضَةِ القَهْرِ، لم يَكُنْ بقاؤهم إلَّا قليلاً، وذثروا 10 كأن لم يكونوا. ولا تحسبن أن ذلك لظلم نَزَلَ بهم أو غَدوانٍ شَمِلَهُمْ؛ فَمَلَكَةُ الإِسْلام في العَدْل ما علمت؛ وإنَّما هي طبيعةٌ في [الإنسان]<sup>(١)</sup> إذا غلب على أمره، وصار آلةً لغيره .

/ ولهذا، فإنَّما يَدْعُو للِرِّق في الغالب أُممُ السُّودان لثِصِّ الإنسانيَّةِ فيهم، 15 [١01] وقُرْبهم من عَرَضٍ<sup>(ب)</sup> الحيوانات العُجْم كما قُلْنَا، أو مَنْ يَرْجو بانتظامه في رِيقَةِ الرِّقِ حصولَ رِيقَةٍ أو إفادة مالٍ أو عِزٍّ، كما يَقَعُ لِلتُّركِ بالْمَشْرِقِ، [والغُلوج]<sup>(ج)</sup> من الجلالقة والإفرنجية بالأندلس؛ فإنَّ العادةَ جاريةً باستِخلاص التَّوَلَّةِ لهم، فلا يَأْتَقُونَ من الرِّقِ، لما يُؤْمَلُونَهُ من الجاهِ والثَّبةِ باضْطِفاءِ التَّوَلَّةِ . والله أَعْلَمُ .

(١) في ظ وحدها: الفوائد (ب) سقط من ل (ج) من حاشية ل، وفي ظ ع ي ج: والمفلوفا .

## 24 • فصلٌ، في أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط

وذلك أنهم، بطبيعة التوُّخُّش التي فيهم، أهلُ انْتِهَابٍ وعَيْثٍ، يَنْتَهَبُونَ ما قَدَرُوا عَلَيْهِ من غَيْرِ مُغَالَبَةٍ ولا زُكُوبِ خَطَرٍ، وَيَقْرُونَ إلى مُتَجَعِّعِهِم بِالْفَقْرِ؛ ولا يَذْهَبُونَ إلى المِرْآخَفَةِ والمُحَازَبَةِ إلا إذا قَدَعُوا<sup>(١)</sup> بذلك عن أَنْفُسِهِمْ. فَكُلَّ مَغْفَلٍ أو 5 مُسْتَضْعَبٍ عَلَيْهِمَ فِيهِمْ تَارِكُوهُ إلى ما سَهَّلَ عَنْهُ، ولا يَغْرَضُونَ لَهُ. والقَبَائِلُ الْمُفْتِيعَةُ<sup>(ب)</sup> عَلَيْهِمَ بِأَوْعَارِ الْجِبَالِ بِمَنْجَاوٍ مِنْ عَيْتِهِمْ وَفَسَادِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَنْتَسِمُونَ إِلَيْهِمُ الْهَضَابَ، ولا يَزِيدُونَ الصَّعَابَ، ولا يُجَاوِلُونَ الْخَطَرَ. وَأَمَّا الْبَسَائِطُ<sup>(ب)</sup> مَتَى اقْتَدَرُوا عَلَيْهَا بِفَقْدَانِ الْحَامِيَةِ وَضَعْفِ التَّوَلَّى، فِيهِ نَهَبٌ لَهَا وَلُغْمَةٌ لَكُلِّهِمْ، يَزِيدُونَ عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهَبَ وَالزَّخْفَ لِسَهولَتِهَا عَلَيْهِمَ، إلى أَنْ يُصْبِحَ أَهْلُهَا مُغْلَبِينَ لَهُمْ، ثُمَّ يَتَعَاوَزُونَهُمْ بِاخْتِلَافِ 10 الْأَيْدِي وَانْخِرَافِ السِّيَاسَةِ، إلى أَنْ يَنْقَرِضَ عُمْرَانُهُمْ. وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ.

## 25 • فصلٌ، في أن العرب إذا تغلبوا على الأوطان أسرج إليها الخرابُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَخَشِيَّةٌ بِاسْتِحْكَامٍ / عَوَائِدِ التَّوُّخُّشِ وَأَسْبَابِهِ 101ب: فِيهِمْ، فَصَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَجِلَّةً، وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَلْنُودًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ رِيقَةِ الْحُكْمِ، وَعَدَمِ الْإِقْبَادِ لِلْسِّيَاسَةِ. وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْعُفْرَانِ وَمُنَاقِضَةٌ لَهُ. فَغَايَةُ الْأَخْوَالِ 15 الْعَادِيَةِ كُلِّهَا عِنْدَهُمُ الرَّحْلَةُ وَالتَّقَلُّبُ؛ وَذَلِكَ مُنَاقِضٌ لِلشُّكُونِ الَّذِي بِهِ الْعُفْرَانُ وَمُنَافٍ

(١) ي: دعوا (ب) ع ل ي: المفتحة .

له. فالجَزُّ مثلاً حاجَتُهُم إليه لنُصْبِه أَثَافِيٍّ لِلْقُدُورِ، فَيَنْقُلُونَهُ مِنَ الْمَبَانِي وَيُجَرِّبُونَهَا عليه، وَيُعْدُونَهُ لذلك. وَالخَشَبُ أَيْضاً إِنَّمَا حَاجَتُهُم إِلَيْهِ لِيَعْمِدُوا بِهِ خِيَامَهُمْ وَيَتَّخِذُوا الْأَوْتَادَ مِنْهُ لِبُيُوتِهِمْ، فَيُخَرِّبُونَ الشَّقْفَ عَلَيْهِ لذلك. فَصَارَتْ طَبِيعَةُ وُجُودِهِمْ مُنَافِيَةً لِلْبِنَاءِ الَّذِي هُوَ أَضَلُّ الْغُفْرَانِ، هَذَا فِي حَالِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ.

وَأَيْضاً فَطَبِيعَتُهُمْ انْتِهَابُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، وَأَنْ رَزَقَهُمْ فِي ظِلَالِ رِمَاجِهِمْ، 5 وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي اخْتِذِ أَمْوَالِ النَّاسِ حَدٌّ يَنْتَهُونَ إِلَيْهِ، بَلْ كَلِمًا امْتَدَّتْ أَغْنِيَهُمْ إِلَى مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ أَوْ مَاعُونٍ انْتَهَبُوهُ. فَإِذَا تَمَّ اقْتِدَارُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالتَّغْلِبِ وَالْمُلْكِ، بَطَلَتْ السِّيَاسَةُ فِي جَفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَخَرِبَ الْغُفْرَانُ .

وَأَيْضاً فَلَا تَنْتَهُم بِكَتْفُونٍ عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَاعِ وَالْجِرْفِ أَعْمَالِهِمْ ، لَا يَرَوْنَ لَهَا قِيَمَةً وَلَا قِنْصَطًا مِنَ الْأَخْرِ وَالثَمَنِ . وَالْأَعْمَالُ - كَمَا سَنَذْكُرُهُ - هِيَ أَصْلُ 10 الْمَكَايِبِ وَحَقِيقَتُهَا؛ وَإِذَا فَسَدَتْ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ مَجَانًا، ضَعُفَتِ الْأُمَالُ فِي الْمَكَايِبِ، وَانْتَبَضَّتِ الْأَيْدِي عَنِ الْعَمَلِ ، وَابْتَدَعَرُ السَّاكِنُ ، وَفَسَدَ الْغُفْرَانُ .

وَأَيْضاً فَإِنَّهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِالْأَحْكَامِ وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَفَاسِدِ وَدِفَاعِ بَعْضِهِمْ عَنِ بَعْضٍ؛ إِنَّمَا هُمْ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ نَهْبًا أَوْ مَغْرَمًا؛ فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ ، أَغْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ مِنْ تَشْدِيدِ أَخْوَالِهِمْ ، وَالتَّنْظَرِ فِي 15 مَصَالِحِهِمْ وَقَهْرِ بَعْضِهِمْ عَنْ أَغْرَاضِ الْمَفَاسِدِ . / وَرَبَّمَا فَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ ، [102] جِزْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ وَالْجِبَايَةِ وَالِاسْتِكْثَارِ مِنْهَا كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ. وَذَلِكَ لَيْسَ بِمُعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَزَجْرِ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا ؛ بَلْ يَكُونُ ذَلِكَ زَانِدًا فِيهَا لَا سِتْسِيْهَالِ الْغُرْمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْقَرْضِ ؛ فَتَبْقَى الرِّعَايَا فِي مَلِكْتِهِمْ كَأَنَّهَا قَوْضَى دُونَ حُكْمِ.

والفوضى مُهلكة للبشر مُفيدة للغمران ، بما ذكرناه من أنَّ وجودَ الملكِ خاصّةً طبيعيتُهُ للإنسان ، لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلّا بها ؛ وتقدّم ذلك أوّل الفصل .

وأيضاً فهم مُتنافسون في الرئاسة ، وَقُلْ أن يُسلمَ أحدُ منهم الأمرَ لغيره ، ولو كان أباه أو أخاه أو كبيرَ عشيرته ، إلّا في الأقلّ ، وعلى كُزه من أجل الحياء ، فيتعدّد الحُكّامُ منهم والأمراء ، وتختلف الأيدي على الرّعية في الجباية والأحكام ؛ فيفسد الغمران ويتنقض . قال الأعرابيّ الوافدُ على عبد الملك لما سأله عن الحُجّاج ، وأراد الشّاء عليه عنده مُحسن السياسة والغمران ، فقال : تركته يظلمُ وخذه .

وانظُرْ إلى ما ملّكوه وتغلّبوا عليه من الأوطان من لُبن الخليقة ، كيف 10 تقوّض عُمرانهُ ، وأقفر ساكنهُ ، وبُدّلت الأرض فيه غير الأرض : فاليتمنُ قرارهم خرابٌ إلا قليلاً من الأمصار ؛ وعراقُ الغرب كذلك قد خرب عُمرانهُ الذي كان للفرس أجمع ، والشّام لهذا العهد كذلك ، وإفريقيّة والمغربُ لما أجاز إليهما بنو هلال وبنو سُلَيم منذ عهدِ المائة الخامسة وقرّسوا بها لثلاثائة وخمسين من السنين ، قد لَحِقَ بها وعادَتْ بسائِطَها خراباً كلّها ، بعد أن كان ما بين السّودان والبتخر الرّوميّ 15 كلّهُ عُمراناً ، تُشهد بذلك آثارُ الغمران فيه من المعالم وتآثيل البناء وشواهد القرى والمداشير . والله وارثُ الأرض ومن عليها وهو خيرُ الوارثين .

26 • فَضْلٌ ، فِي أَنْ الْعَرَبَ لَا يَخْصُلُ لَهُ الْمُلْكُ إِلَّا بِصُغَةِ دِينِيَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ لِيَّةٍ  
أَوْ أَثَرٍ عَظِيمٍ مِنَ الدِّينِ عَلَى الْجُمْلَةِ

[102 ب] / والسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ، أَنَّهُمْ لَخُلُقِ التَّوَحُّشِ الَّذِي فِيهِمْ ، أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْقِيَادًا  
بَغْضَهُمْ لِبَغْضِ ، لِلْعِلَظَةِ وَالْأَنَفَةِ ، وَبَعْدَ الْهَيْمَةِ وَالْمُنَافَسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ ؛ فَقَلِمَا تَجْتَمِعُ أَهْوَاؤُهُمْ .  
فَإِذَا كَانَ الدِّينُ بِالنَّبِئَاتِ أَوْ الْوِلَايَةِ ، كَانَ الْوِازِعُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَذَهَبَ خُلُقُ الْكَبِيرِ 5  
وَالْمُنَافَسَةِ مِنْهُمْ ، فَسَهَلَ انْقِيَادُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ . وَذَلِكَ بِمَا يَشْتَقِلُهُمْ مِنَ الدِّينِ ، الْمَذْهَبِ  
لِلْعِلَظَةِ وَالْأَنَفَةِ ، الْوِازِعِ عَنِ التَّحَاوُسِ وَالتَّشَافُسِ . فَإِذَا كَانَ فِيهِمُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي  
يَجْعَلُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ ، وَيُذْهِبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَأْخُذُهُمْ  
بِمَخْمُودِهَا ، وَيُؤَلِّفُ كَلِمَتَهُمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ ، تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَخَصُلَ لَهُمُ التَّغَلُّبُ وَالْمُلْكُ .  
وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَسْرَعُ النَّاسِ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهَدَى ؛ لِسَلَامَةِ طِبَاعِهِمْ مِنْ عَوِجِ الْمُلْكَاتِ ، 10  
وِزْرَائِعَتِهَا مِنْ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خُلُقِ التَّوَحُّشِ الْقَرِيبِ الْمَعَانَاةِ ، الْمُتَهَيِّئَةِ  
لِقَبُولِ الْحَقِّ بِقَاتِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى ، وَبَعْدَهُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي التَّقْيِيسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ  
وَسُوءِ الْمُلْكَاتِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ <sup>(1)</sup> كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ ، وَقَدْ  
تَقَدَّمَ .

(1) تَقَدَّمَ تَحْرِيجُهُ فِي صَفْحَةِ 220 .

## 27 • فصل، في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك

والسبب في ذلك، أنهم أكثر بَدَاوَةً من سائر الأمم، وأبعد مجالاً في القفر، وأغنى عن حاجات الثلول وحبوبها لاغتياهم الشظف وخشونة العيش، فاستغنوا عن غيرهم؛ فصعب انقياد بعضهم لبغض لإيلافهم ذلك وللتوخش؛ ورئيسهم 5 محتاج إليهم غالباً للعصبة التي بها المدافعة، فكان مضطراً إلى إخسان ملكتهم وترك مراغمتهم، لئلا يحتل عليه شأن عصيته، فيكون فيها هلاكه وهلاكهم. وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعاً بالقهر، وإلا لم تستقيم سياسته.

وأيضاً، فمن طبيعتهم - كما قدّمناه - أخذ ما في أيدي الناس خاصة، 10 / والتجاني عما سوى ذلك من الأحكام بينهم<sup>(1)</sup>، ودفاع بعضهم عن بغض. فإذا ملكوا أمة من الأمم، جعلوا غاية [ملكهم]<sup>(ب)</sup> الانتفاع بأخذ ما في أيديهم، وتركوا ما سوى ذلك من الأحكام بينهم. وربما جعلوا العقوبات على المفاسد في الأموال جزواً على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد، فلا يكون ذلك وازعاً؛ وربما يكون باعثاً بحسب الأغراض الباعثة على المفاسد، واشتهاته ما يعطى من ماله في جانب 15 غرضه، فتتعمد المفسد بذلك ويتعمد تخريب الغمران. فتبقى تلك الأمة كأنها فوضى، مستطيلاً أيدي بعضها على بعض، فلا يستقيم لها عمران، وتخرب سريعاً، شأن الفوضى، كما قدّمناه.

(1) سقط من ل (ب) في ط إلى: ملكهم.

فبَعَدَتْ طِبَاعُ الْغَرْبِ لَئِكَ كُلَّهُ عَنِ سِيَاسَةِ الْمُلْكِ ؛ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا  
 بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِبْغَةِ دِينِيَّةٍ تَشْحُو ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَتَجْعَلُ <sup>(أ)</sup> الْوَارِثَ لَهُمْ مِنْ  
 أَنْفُسِهِمْ، وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى دِفَاعِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ. وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِذَوَلَّتِهِمْ  
 [فِي الْمِلَّةِ] <sup>(ب)</sup>، لَمَّا شَتَّدَ لَهُمُ الدُّيْنُ أَمْرَ السِّيَاسَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا، الْمُرَاعِيَةِ لِمَصَالِحِ  
 الْغُرَرَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَتَتَابَعَ فِيهَا الْخُلَفَاءُ، عَظُمَ حِينَئِذٍ مُلْكُهُمْ وَقَوِيَ سُلْطَانُهُمْ. كَانَ 5  
 رُسْنُهُمْ إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ: أَكَلَّ عَمْرُ كَيْدِي، يَعْلَمُ الْكَلَابُ الْآدَابَ.

ثُمَّ إِنَّمَا بَعْدَ ذَلِكَ انْطَلَعَتْ مِنْهُمْ [عَنْ] <sup>(ج)</sup> الدَّوْلَةُ أَجْيَالًا نَبَدُوا الدِّينَ، فَنَسُوا  
 السِّيَاسَةَ، وَرَجَعُوا إِلَى قَفَرِهِمْ، وَتَحَمَّلُوا شَأْنَ غَضَبِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِبُغْدِهِمْ عَنِ  
 الْأَقْبَادِ وَإِغْطَاءِ النُّصْفَةِ، فَتَوَخَّشُوا كَمَا كَانُوا، وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ اسْمِ الْمُلْكِ إِلَّا أَنَّهُ  
 لِلْخُلَفَاءِ، وَهُمْ مِنْ جِيلِهِمْ. وَلَمَّا ذَهَبَ أَمْرُ الْجَلَاةِ وَامْتَحَى رَسْمُهَا انْطَلَعَ الْأَمْرُ مُجْمَلَةً مِنْ 10  
 أَيْدِيهِمْ، وَغَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجَمُ دُونَهُمْ، وَأَقَامُوا بَادِيَةً فِي قَفَارِهِمْ، لَا يَعْرِفُونَ الْمُلْكَ وَلَا  
 سِيَاسَتَهُ؛ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ <sup>(د)</sup> كَانُوا لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ؛ وَمَا كَانَ لِأَخِيذِ  
 مِنَ الْأَمْرِ فِي الْحَالِيقَةِ مَا كَانَ لِأَخْيَالِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ؛ / وَذَوُلُ عَادٍ وَثَمُودُ وَالْعَالِقَةُ وَجَمِيرُ [103 ب]  
 وَالتَّبَاعَةُ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ، ثُمَّ دَوْلَةٌ مُضَرٌّ فِي الْإِسْلَامِ، بَنِي أُمَيَّةٍ وَبَنِي الْعَبَّاسِ. لَكِنْ بَعْدَ  
 عَهْدِهِمُ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا نَسُوا الدِّينَ، فَرَجَعُوا إِلَى أَضْلَاهُمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ. وَقَدْ يَحْضُلُ لَهُمْ فِي 15  
 بَعْضِ الْأَخْيَانِ غَلَبٌ عَلَى الدَّوْلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي [الْمَغْرِبِ] <sup>(هـ)</sup> لِهَذَا الْعَهْدِ، فَلَا  
 يَكُونُ مَالُهُ وَغَايَتُهُ إِلَّا تَخْرِيْبُ مَا يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْغُرَرَانِ [كَمَا قَدْ مَنَاهُ] <sup>(و)</sup>. وَاللَّهُ  
 خَيْرُ الْوَارِثِينَ.

(أ) ي: ويجعل ذلك وازعة لهم (ب) سقط من ظ (ج) خُرِفَتْ فِي ظ إِلَى: عَزَزَ (د) ل: أَلَهُ (هـ) ظ: الْغَرْبِ (و) سقط من ي.

## 28 • فصلٌ، في أن البوادي من القبائل والعصائب [مُعَلَّبُونَ] <sup>(1)</sup> لَأَهْلُ الْأَنْصَارِ

قد تقدّم لنا أن عُمران البادية ناقص عن عُمران الحواضر والأنصار؛ لأنّ  
الأُمُور الصّورِيّة في العُمران لَيْسَ كُلُّهَا موجودًا لأهل البدو؛ وإنّما يُوجد لديهم وفي  
مواطنهم أُمُور الفلح، وموادّها مَعْدُومَةٌ، ومُعْظَمُهَا الصّنائع، فلا يُوجد لديهم بالكُلّيّة،  
5 من تِجَارٍ وَخِطَاطٍ وَحَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مَا يَقِيْمُ لَهُمْ صَرُورَاتٍ مَعَاشِيَهُمْ فِي الْفَلْحِ وَغَيْرِهِ.  
وكذا الدّنانير والدّراهم مَفْقُودَةٌ لديهم؛ وإنّما بأيديهم أغواضُها من مُغَلِّ الزّراعة وأَغْيَانِ  
الحيوان أو فَضْلَاتِهِ أَلْبَانًا وَأَوْبَارًا وَأَشْعَارًا وإِهَابًا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَنْصَارِ،  
فيعيْضُونَهُمْ عَنْهُ بِالدّنانير والدّراهم. إلّا أنّ حاجَتَهُمْ إِلَى الْأَنْصَارِ فِي الصّورِيّ، وحاجَةُ  
أَهْلِ الْأَنْصَارِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجِئِ وَالْكَامِلِ. فهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْأَنْصَارِ فِي الصّورِيّ  
10 بِطَبِيعَةِ وُجُودِهِمْ. فَمَا دَامُوا فِي الْبَادِيَةِ وَلَمْ يَخْضُلْ لَهُمْ مُلْكٌ وَلَا اسْتِيْلَاءٌ عَلَى الْأَنْصَارِ،  
فهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى أَهْلِهَا وَمُتَصَرِّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ  
وَطَالَبَوْهُمْ بِهِ. فَإِنْ كَانَ فِي الْمِضَرِّ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِقَلْبِ الْمَلِكِ. / وَإِنْ لَمْ  
يَكُنْ فِي الْمِضَرِّ مَلِكٌ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَتَوْجِعٍ اسْتِئْثَادٍ مِنْ بَقْضِ أَهْلِهِ عَلَى  
الْبَاقِيْنَ، وَإِلَّا انْتَقَصَ عُمرَانُهُ. وذلك الرّئِيسُ يَحْمِلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالشّغْيِ فِي مَصَالِحِهِ،  
15 إمّا طَوْعًا بِذُلِّ الْمَالِ لَهُمْ؛ ثُمَّ يَبِيعُ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الصّورَاتِ فِي مِضْرِهِ  
فَيَسْتَقِيمُ عُمرَانُهُمْ، وإمّا كَرْهًا إِنْ تَمَّتْ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالتّضْرِيْبِ يَنْبِهِمْ، حَتَّى

(1) من ل ي ع، وفي ظ: معلبون، وقد كتب هذا الفصل كله في ع بخط المؤلف.



يحصل له جانب<sup>(١)</sup> منهم يُغالب به الباقيين، فيضطرّ الآخرين إلى طاعته بما يتوقعون  
لذلك من فساد عُمرانهم. وربّما لا يَسْمَعُهم مفارقة تلك التّواحي إلى جهات<sup>(ب)</sup> أُخرى،  
لأنّ كلّ الجهات معمورٌ بالبذو الذين غلبوا عليها ومنعوها من غيرهم، فلا يجد هؤلاء  
ملجئًا إلّا طاعةَ المضر [وأهله]<sup>(ج)</sup>، فهم بالضرورة مُغلبون لأهل الأُمصار. والله  
القاهرُ فوق عباده .

5

(١) في ع وحدها بخط المؤلف: فريق (ب) في ع وحدها: نواح (ج) من ع .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ /

### الفصل الثالث من الكتاب الأول:

فِي الدُّوَلِ، وَالْمُلُكِ، وَالْخِلَافَةِ، وَالْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ، وَمَا يَعْضُرُ فِي ذَلِكَ  
كُلُّهُ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَفِيهِ قَوَاعِدٌ وَمُسْتَمَات

1 • فصل، فِي أَنَّ الْمُلُكَ وَالِدُّوَلَ الْعَامَّةَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِالْقَبِيلِ وَالْعَصْبِيَّةِ 5

وذلك أَنَّهُ قَدْ قَرَّرْنَا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ، أَنَّ الْمُغَالِبَةَ وَالْمَنَافِعَةَ إِنَّمَا تَكُونُ  
بِالْعَصْبِيَّةِ، لِأَنَّ فِيهَا مِنَ الثَّغَرِ وَالْتِذَاؤِ وَاسْتِجَابَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دُونَ صَاحِبِهِ. ثُمَّ إِنَّ  
الْمُلُكَ مَنْصِبَ شَرِيفٍ مَلْدُودٍ يَشْتَمِلُ عَلَى جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْبَدَنِيَّةِ  
وَالْمَلَادِّ الْقَسَايِمَةِ، فَيَنْفَعُ فِيهِ الشَّافِسُ غَالِباً، وَقَدْ أَنْ يُسْلِقَهُ أَحَدٌ لِصَاحِبِهِ إِلَّا إِذَا  
غَلِبَ عَلَيْهِ؛ فَتَنْفَعُ الْمُنَازَعَةُ وَتُقْضَى إِلَى الْحَزْبِ وَالْقِتَالِ وَالْمُغَالِبَةِ؛ وَشَيْءٌ مِنْهَا لَا يَقَعُ إِلَّا 10  
بِالْعَصْبِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَيْضاً. وَهَذَا الْأَمْرُ بَعِيدٌ عَنْ أَفْهَامِ الْجُمْهُورِ بِالْجُمْلَةِ وَمُتَنَاسِلُونَ لَهُ،  
لَأَنَّهُمْ نَسُوا عَهْدَ تَهْيِيدِ الدُّوَلِ مِنْذُ أَوَّلِهَا، وَطَالَ [أَمَدٌ]<sup>(1)</sup> مَرِيَاهِمُ فِي الْحَضَارَةِ وَتَعَاقُيْهِمْ

(1) فِي ظُلَّةِ أَمْرِ .

فها جيلاً بعدَ جيلٍ؛ فلا يعرفون ما فعل الله أوّل التّولة؛ إنّما يُذكرون أصحاب التّولة قد استحكمت صِنْفَتُهُمْ، ووقع التّسليمُ لهم، والاستغناء عن العَصِيّة في تنهيد أمرهم ، ولا يعرفون كيف كان الأمرُ من أوّله ، وما لقي أولُهُم من المتاعبِ دُونه؛ وخصوصاً أهلُ الأندلس في نسيان هذه العَصِيّة وأثرها، لطول الأمد، واستغنائهم في الغالب عن قُوّة العَصِيّة بما تَلاشَى <sup>(١)</sup> وطُئهم وغلّاً من العَصِيّات <sup>(ب)</sup>. والله قادر 5 على ما يشاء .

## 2 • فصلٌ، في أنّه إذا استقرّت الدّولة وتمهّدت، فقد يُستغنى <sup>(ج)</sup> عن العَصِيّة

/ والسَّبَبُ في ذلك أنّ التّولَ <sup>(د)</sup> العامّة في أوّلها يصعبُ على الثُّغوس [105] الاتقيادُ لها إلا بقُوّة قويّة من الغلب، للغزاة، وأنّ الناس لم يألّفوا مُلكها ولا اعتادوه. 10

فإذا استقرّت الرّئاسة في أهل النّصاب المخصوص بالملك في التّولة ، وتوازّته واحداً بعد آخر في أعقاب كثيرين ودُولٍ مُتعاقبة، نَسِيت الثُّغوس شأنَ الأوّلِيّة، واستحكمت لأهل ذلك النّصاب صِنْفَةُ الرّئاسة، ورسخَ في العقائد دينُ الاتقياد لهم <sup>(هـ)</sup> والتّسليم، [وإعطاء الصّفقة بطاعتهم] <sup>(و)</sup>، وقاتل الناس معهم على أمرهم قتالهم على العقائد الإيمانيّة. فلم يَحْتَاجوا حينئذٍ في أمرهم إلى كبير عصابٍ ؛ بل 15

(١) افترت نسخة ل يترك فراغ كلمة يستقيم بها السياق قد يكون: به (ب) ع : المصائب (ج) ل : تشتتني (د) ل : التّولة (هـ) ل : إليهم (و) من ع .

كَأَنَّ طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ لَا يُبْدَلُ<sup>(أ)</sup> وَلَا يُغْلَمُ خِلَافَهُ. وَأَمْرٌ مَا يُوَضَّعُ الْكَلَامُ فِي  
 الْإِمَامَةِ آخِرُ الْكَلَامِ فِي<sup>(ب)</sup> الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ عَقُودِهَا؛ وَيَكُونُ  
 اسْتِظْهَارُهُمْ حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَذَوْتِهِمْ الْمَخْصُوصَةِ، إِمَّا بِالْمَالِي وَالْمُضْطَنِّعِينَ الَّذِينَ  
 نَشَأُوا فِي ظِلِّ الْعَصَبِيَّةِ وَعِزِّهَا، وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّاخِلِينَ فِي  
 وَلَايَتِهَا.

5

وَمِثْلُ هَذَا وَقَعَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ؛ فَإِنَّ عَصَبِيَّةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ  
 ذَوَلَةِ الْمُغْتَنَصِمِ وَابْنِهِ الرَّاقِ، وَاسْتِظْهَارُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِالْمَالِي مِنَ الْعَجَمِ وَالتُّرْكَ  
 وَالدَّيْلَمِ وَالسُّلْجُوقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ. ثُمَّ تَغَلَّبَ الْعَجَمُ وَالْأَوْلِيَاءُ عَلَى التُّوَاهِي، وَتَقَلَّصَ ظِلُّ  
 النُّوَلَةِ، فَلَمْ تَكُنْ تَقْدُو أَعْمَالَ بَغْدَادَ، حَتَّى زَحَفَ إِلَيْهَا الدَّيْلَمُ وَمَلَكُوهَا، ثُمَّ صَارَ  
 الْحِلَافُ فِي حُكْمِهِمْ. ثُمَّ اقْتَرَضَ أَمْرُهُمْ وَمَلَكَ السُّلْجُوقِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي  
 حُكْمِهِمْ. ثُمَّ اقْتَرَضَ أَمْرُهُمْ وَزَحَفَ آخِرُ الطُّطَرِ<sup>(ج)</sup> فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَمَحَوْا رَسْمَ  
 النُّوَلَةِ.

وَكَذَا صِنْفُهَا بِالْمَغْرِبِ، فَسَدَتْ عَصَبِيَّتُهُمْ مُنْذُ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ أَوْ مَا قَبْلَهَا،  
 وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ النُّوَلَةُ مُتَقَلَّصَةً الظِّلِّ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِجَايَةِ الْقَلْعَةِ وَسَائِرِ ثُغُورِ إِفْرِيقِيَّةِ. وَرَبَّمَا  
 انْتَرَى بِتِلْكَ الثُّغُورِ مَنْ نَازَعَهُمُ الْمُلْكُ وَاعْتَنَصَمَ فِيهَا؛ وَالسُّلْطَانُ وَالْمُلْكُ مَعَ ذَلِكَ  
 15 / مُسَلِّمٌ لَهُمْ؛ حَتَّى تَأْتِيَنَّ اللَّهُ بِاتِّفَاضِ النُّوَلَةِ، وَجَاءَ الْمُؤَحِّدُونَ بِثَوَّةٍ قَوِيَّةٍ مِنْ  
 الْعَصَبِيَّةِ فِي الْمَصَامِيدِ، فَمَحَّوْا آثَارَهُمْ.

(أ) ظ: يُبْدَلُ (ب) ل: عَلَى (ج) يَقْتُلِينَ فَوْقَ كُلِّ طَائِفَةٍ لِيَضْطَ مَخْرَجُهَا بَيْنَ الطَّائِفَةِ وَالنَّالِ.

وكذا ذؤلة بني أمية بالأندلس ، لما فسدت عصيتها من العرب ، استولى ملوك الطوائف على أمرها ، واقتسموا حطتها ، وتنافسوا بينهم ، وتوزعوا ممالك الدولة ، و[اترى]<sup>(1)</sup> كل واحد منهم على ما كان في ولايته ، وشمخ بأفقه . وتلقهم شأن العجم مع الدولة العباسية ، فتلقبوا بالقباب الملك ، ولبسوا شازته ، وأمنوا بمن يتنص ذلك عليهم أو يغيره ؛ لأن الأندلس ليست بدار غصائب ولا قبائل كما سذكروه ، 5 واستقر لهم ذلك كما قال ابن شرف<sup>(2)</sup> : [من البسيط]

مِمَّا يُرْهِدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ    أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ<sup>(ب)</sup> فِيهَا وَمُعْتَصِدِ  
الْقَابِ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا    كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ<sup>(ج)</sup> الْأَسَدِ

فاستظفروا على أمرهم بالموالي والمصطنعين والطراء على الأندلس ، من أرض العدو من قبائل البربر وزناته وغيرهم ، اقتداء بالدولة في آخر أمرها في 10 الاستظهار بهم حين ضعفت عصبة العرب واستبد ابن أبي عامر على الدولة . فكان لهم دول عظيمة استبد كل واحد فيها بجانب من الأندلس ، وخط كبير من الملك على نسبة الدولة التي اقتسموها ، ولم يزالوا في سلطانهم ذلك ، حتى أجاز إليهم البحر المرابطون أهل القصبة القوية من لفتونة ، فاستبدلوا بهم ، وأزالوهم عن 15 [مراكبهم]<sup>(3)</sup> ومحو آثارهم ، ولم يقدروا على مدافعهم ليقدان القصبة لديهم .

(1) ط: اقترى (ب) باقوت : مقدر (ج) باقوت : صولة (د) سقط من ط .

(1) تنسب للحسن بن شريق ، وهو لم يَدْخُل الأندلس ، انظر مُعْجَم الأدياء 2637/6 ، الذخيرة 4: 121 ، فتح الطيب 214/1 ونسبها ابن خلكان لابن عمار الأندلسي (وفيات الأعيان 4: 52) .

فهذه العصبية [يكون<sup>(أ)</sup>] تمهيد الدولة وجميعها من أولها. وقد ظنَّ  
الطُّرُوشِي أَنَّ حامية الدُّول بإطلاقٍ هم الجند أهلُ العطاء المفروض مع الأهلة،  
ذكر ذلك في كتابه الذي سَمَّاه سراج الملوك<sup>(ب)</sup>. وكلامه لا يتناول تأسيس الدُّول  
العامة في أولها، وإنما هو مخصص بالدُّول [الأخيرة]<sup>(ج)</sup>، / بعد التمهيد واستقرار  
الملك في التصاب واستحكام الضبعة لأهله. فالرجل إنما أدرك الدولة عند هزمها  
وخلقي جذتها، ورجوعها إلى الاستظهار بالموالي والصنائع، ثُمَّ إلى المستخدمين<sup>(د)</sup>  
من ورائهم بالأجر على المدافعة. فإنه إنما أدرك دول الطواقي، وذلك عند اختلال  
دولة بني أمية، وانقراض عصيتها من الغرب، واستبداد كل أميرٍ بقطره. وكان  
في إيالة المستعين بن هود وابنه المظفر أهل سرقسطة، ولم يكن بقي لهم من أمر  
القصبية شيء، لاستيلاء الترف على الغرب مُنْذُ ثلاثمائة من السنين وهلاكهم، ولم  
يَرِ إِلَّا سُلْطَانًا مستبدًا بالملك عن عشائره، قد استحكمت له صبغة الاستبداد  
منذ عهد الدولة وبقية القصبية؛ فهو لذلك<sup>(هـ)</sup> لا يُنَازَع فيه، ويستعين على أمره  
بالأجراء من المُرْتَفَةِ. فأطلق الطُّرُوشِي القول في ذلك، ولم يتفطن لكيفية الأمر  
مُنْذُ أول الدولة، وأنه لا يتم إِلَّا لأهل القصبية. فتفطن أنت له وافهم سر الله فيه.  
﴿والله يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة البقرة، من الآية 247].

(أ) ط: الآخرة (ب) ل: بالمستخدمين (ج) ط: كذلك.

(1) سراج الملوك 2: 492.

### 3 • فصلٌ ، في أنه قد يحدث لبعض أهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبية

وذلك أنه إذا كان لعصبيته غلب كبير على الأمم والأخيار ، وفي نفوس  
العالمين بأمره من أهل القاصية إذعان لهم واثبات ، فإذا نزع إليهم هذا الخارج وانسحب  
5 عن مقر ملكه ومثب عزه ، اشتعلوا عليه ، وقاموا بأمره وظاهره على شأنه وعُتُوا  
بتفهد ذولته ، يزجون استقراره في نصابه ، وتناولوه الأمر من يد أغنيائه ، ولا  
يطمعون في مشاركته في شيء من سلطانه ، / تسليماً لعصبيته ، واثباتاً لما استخكم  
[راموها]<sup>(1)</sup> مفعه أو دونه لزلزلت الأرض زلزالها .

10 وهذا كما وقع للأدريسة بالمغرب الأقصى ، والعبيديين بإفريقية ومصر ، لما  
انتهب الطالبيون من المشرق إلى القاصية ، وابتعدوا عن مقر<sup>(ب)</sup> الخلافة ، وسموا إلى  
طلبها من أيدي آل العباس ، بعد أن استحكمت الصيغة لبني عبد مناف ، لبني أمية  
أولاً ، ثم لبني هاشم من بعدهم ، فخرجوا بالقاصية من المغرب ودعوا لأنفسهم ، وقام  
بأمرهم البربر مرة بعد أخرى ، فأوزبه ومغيلة للأدريسة ، وكثامة وصنهاجة وهوارة  
15 للعبيديين ، فشيدوا ذولتهم ومهدوا بقصائهم أمرهم ، واقتطعوا من ممالك العباسيين  
المغرب كله ثم إفريقية ، ولم يزل ظل الدولة يتقلص وظل العبيديين يمتد ، إلى أن

(1) ظ: راموا (ب) ل: محل .



مَلَكُوا يَضُرُّ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ، وَقَاسَمُوهُمْ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ شِقُّ الْأُبْلَمَةِ. وَهَؤُلَاءِ  
الْبَرَابِرَةُ الْقَائِمُونَ بِالذُّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ، مُسْلِمُونَ لِلْعَبِيدِينَ أَمْرُهُمْ مُذْعِنُونَ لِمُلْكِهِمْ.  
وَإِنَّمَا كَانُوا يُنَافِسُونَ<sup>(1)</sup> فِي الرِّبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً، تَسْلِيمًا لِمَا حَصَلَ مِنْ صِبْغَةِ الْمُلْكِ لِابْنِي  
هَاشِمٍ، وَلِمَا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْقَلْبِ لِقُرَيْشٍ وَمُضَرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ. فَلَمْ يَزَلِ الْمُلْكُ فِي  
أَعْقَابِهِمْ إِلَى انْقِرَاضِ ذُوْلَةِ الْغَرْبِ بِأَسْرِهِا . ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [سورة 5  
الرعد، من الآية 41].

#### 4 • فَضْلٌ، فِي أَنْ الدُّوْلَةَ الْعَامَّةَ لَا اسْتِبْلَاءَ، الْعَظِيمَةَ الْمُلْكَ، أَصْلُهَا الدِّينُ، إِنَّمَا مِنْ نُبُوَّةٍ أَوْ دَعْوَةٍ حَقٍّ

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلْكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالتَّغْلِبِ، وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالنَّصْبِ وَاتِّفَاقِ  
[107] الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمَطْلَبَةِ . وَجَمْعُ الْقُلُوبِ وَتَأْلِيْفُهَا / إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعُوْنَةٍ مِنَ اللَّهِ فِي إِقَامَةِ  
دِينِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَتَّفَقَتْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ . [سورة  
الأنفال، من الآية 63]. وَبِسْرِهِ، أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمَيْلِ إِلَى  
الدُّنْيَا، حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفُتْنَا الْخِلَافَ؛ وَإِذَا انْصَرَفَتْ إِلَى الْحَقِّ وَرَفَضَتْ الدُّنْيَا  
وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ، اتَّحَدَتْ وَتَجَمَّعَتْ، فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ الْخِلَافُ، وَحَسُنَ<sup>(ب)</sup>  
التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُضُ، وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِنَظَرِهَا، فَعَظُمَتْ الدُّوْلَةُ، كَمَا يَتَّبِعُنِ لَكَ  
بَعْدُ .

(1) ل: يُنَافِسُونَ (ب) ل: حَصَلَ .

5 • فصلٌ، في أنَّ الدَّعوةَ الدِّينيةَ، تَرِدُ الدَّولةَ في أصلها قُوَّةٌ على قُوَّةِ العِصيةِ التي كانت لها من عَدَدِها

والسَّبَبُ في ذلك كما قَدَّمناه ، أنَّ الصَّنعةَ الدِّينيةَ تَذْهَبُ بالتَّناوُفِ والتَّحاسُّدِ الَّذي في أهلِ القِصَّةِ وتَقَرُّدِ الوجْهةِ إلى الحقِّ. فإذا حصلَ لهم الاستِصْصَارُ 5 في أمرهم لم يَبْقَ لهم شيءٌ، لأنَّ الوجْهةَ واحدةٌ والمطلوبُ مُتساوٍ عندَ جميعهم، وهم مُستَمْتِتون عليه؛ وأهلُ الدَّولةِ التي هم طالِبوها وإن كانوا أَصْعاقهم، فأَعْرَضهم مُتبايئةً بالباطل، وتَحَاذُلهم لَتَقِيَّةِ المَوْتِ حاصِلٌ؛ فلا يَقاوِمونهم وإن كانوا أَكْثَرَ منهم، بَلْ يَغْلِبون عليهم ويَعاجِلهم الفناءَ بما فيهم من التَّرفِ والنَّذلِ كما قَدَّمناه .

وهذا كما وَقَعَ للغربِ صَدْرُ الإسلامِ في الفُتُوحات ؛ فكانت جُيُوشُ 10 المُسلمين بالقادِسيَّةِ واليزمُوكِ بضعًا وثلاثين ألفًا في كُلِّ مُعسِكرٍ ؛ وجُمُوعُ فارس<sup>(1)</sup> مائةً وعشرين ألفًا بالقادِسيَّةِ ، وجُمُوعُ هَزَقِلِ على ما قاله الواقدي<sup>(2)</sup> أربعمائة ألف ؛ فلم يَبْقَ للغربِ أَحَدٌ من الجانبين ، وهَزَمَوهم وغلَّبَوه على ما بأيديهم .

واعتبرَ ذلك أيضًا في دَوَلةِ لَنتوتةِ ودَوَلةِ المُوَحِّدين ؛ فقد كان بالمغربِ من القَبائِلِ كثيرٌ [يَمَن]<sup>(3)</sup> يَقاوِمُهم في العَدَدِ والقِصَّةِ أو يَنشُفُ عليهم ، إلَّا / أنَّ [107 ب]

(1) ط: قأ .

(1) الطبري : التاريخ 3: 496 ، 535 .

(2) الواقدي : فتوح الشام 1: 162 .

الاجتماع الديني ضاعف قوة عصيتهم بالاستينصار والاستتانة كما قلناه ، فلم يقف لهم شيء .

واعتبر ذلك إذا حالت صبغة الدين وقسدت، كيف ينتقض الأمر ويصير القلب على نسبة النصية وخدّها دون زيادة الدين؛ فيغلب الدولة من كان تحت يدها من القصاب المكافئة لها أو الزائدة القوة عليها ، الذين غلبهم بمضاعفة الدين 5 لقوتها، وكانوا أكثر عصية منها أو أشدّ بدواة .

واعتبر هذا في الموحدين مع زناته؛ لما كان زناته أبذى من المصامدة وأشدّ توحشاً، وكان للمصامدة الدعوة الدينية باتباع المهدي، فلبسوا صبغتها، وتضاعفت قوة عصيتهم بها، فقلّبوا على زناته أولاً واستتبّعوهم، وإن كانوا من حيث العصية والبدواة أشدّ منهم؛ فلما [حالوا]<sup>(1)</sup> عن تلك الصبغة الدينية انتقضت عليهم 10 زناته من كل جانب وغلبهم على الأمر واتزعوه منهم. ﴿والله غالب على أمره﴾ . (سورة يوسف، من الآية 21) .

## 6 • فصل ، في أنّ الدعوة الدينية من [غير] (ب) عصية لا تسدّ

وهذا لما قدمناه من أنّ كلّ أمر يُخفّل عليه الكافّة فلا بُدّ له من النصية . وفي الحديث الصحيح كما مرّ<sup>(1)</sup> : "ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه" . وإذا كان 15

(1) ط: حاولوا (ب) سقط من ط .

(1) تقدّم تخرجه في صفحة 168 الحاشية (2) .

هذا في الأنبياء وهم أولى الناس بخرق العوائد، فما ظنك بغيرهم أن لا تُخرق له العادة في الغلب بغير عَصِيَّة.

وقد وقع هذا لابن قبي<sup>(1)</sup> شيخ المتصوفة ، وصاحب كتاب خلع الثقلين في التصوف؛ ثار بالأندلس داعية إلى الحق ، وسَمَّى أصحابه بالمُرَاطِين ، فَبَيَّلَ دَعْوَةَ 5 المَهْدِيّ، فاستنَبَّ له الأمر قليلاً لسُغْل لفتوته بما ذهَبَهم من أمر الموحدين ، ولم يكن هناك عَصَائِب ولا قَبَائِل يَدْفَعُونَهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ حِينَ اسْتَوَى المُوَحِّدُونَ عَلَى / المَغْرِبِ أَنْ أَدْعَنَ وَدَخَلَ فِي دَعْوَتِهِمْ<sup>(2)</sup> ، وَبَايَعَهُمْ مِنْ مَقَلِّهِ بِحُضْنِ أَرْكُش ، [108] وَأَمَكَّهُمْ مِنْ ثَقَرِهِ ، وَكَانَ أَوَّلَ دَاعِيَةٍ لَهُم بِالْأَنْدَلُسِ ، وَكَانَتْ ثَوْرَتُهُ تُنْسَى ثَوْرَةٌ المُرَاطِينِ.

10 ومن هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفُقهاء. فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُتَنَجِّلِينَ لِلْعِبَادَةِ وَسُلُوكِ طُرُقِ الدِّينِ ، يَذْهَبُونَ إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَهْلِ الْحَوَرِ مِنَ الْأَمْثَرَاءِ ، دَاعِينَ إِلَى تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَالنَّهْيِ عَنْهُ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ ، رَجَاءً فِي الثَّوَابِ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ ؛ فَيَكْثُرُ أَتْبَاعُهُمْ [وَالْمُتَلَبِّسُونَ]<sup>(ب)</sup> بِهِمْ مِنَ الْغَوَاةِ وَالْذَّهَّاءِ ، وَيَقْرَضُونَ بِأَنْفُسِهِمْ فِي ذَلِكَ لِلْمَهَالِكِ ، وَأَكْثَرُهُمْ يَهْلِكُونَ فِي تِلْكَ السَّبِيلِ ، مَا زُورِينَ 15 غَيْرَ مَأْجُورِينَ ، لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكْتُبْ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ، وَ<sup>(ج)</sup> إِنَّمَا أَمَرَ بِهِ حَيْثُ تَكُونُ

(أ): ل. طاعثم (ب): ظ: المتلبسون، ج: المتكسبون (ج) واو المطف ساقط من ل .

(1) أصله من المولدين أمراء تطلية، أسلم جدّه عند فتح الأندلس. أورد ابن حزم نسبهم في الجمهرة (499)، (502). وذكر أخبار أحمد بن قسّبيّ هذا المراكشي: المعجب 281، الذهبي: تاريخ الإسلام 2: 188، الصفي: الوافي 7: 297، ويرد الاستشهاد بكتابه خلع الثقلين .

الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ؛ قَالَ ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْرِضْهُ بَيْنَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِلْسَانَهُ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَيَقْلِبْهُ". وَأَحْوَالُ الْمُلُوكِ وَالْأَوَّلُ رَاسِحَةٌ قَوِيَّةٌ لَا يَزْخَرُهَا وَيَدِيمُ بِنَاءَهَا إِلَّا الْمَطَالِبَةُ الْقَوِيَّةُ الَّتِي مِنْ وَرَائِهَا عَصِيَّةُ الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرُ كَمَا قَدَّمَاهُ .  
وهكذا كان حالُ الأنبياء في دَعْوَتِهِمْ إِلَى اللَّهِ بِالْغَضَائِبِ وَالْعَشَائِرِ ، وَهُمْ الْمُؤَيَّدُونَ مِنْ اللَّهِ لَوْ شَاءَ بِالْكَوْنِ كُلِّهِ ؛ لَكُنْتَهُ إِذَا أُجْرِيَ الْأُمُورُ [بِحُكْمَتِهِ] <sup>(1)</sup> عَلَى 5 مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، من الآية 60] .

فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ هَذَا الْمَذْهَبَ وَكَانَ فِيهِ مُحِقًّا ، قَصَرَ بِهِ الْإِنْفِرَادُ عَنِ الْعَصِيَّةِ ، فَطَاحَ فِي هَوَاةِ الْهَلَاكِ . وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُلْتَبِسِينَ بِذَلِكَ فِي طَلَبِ الزَّانِثَةِ ، فَأَجْدَرُ أَنْ تَعَوَّقَهُ الْقَوَائِدُ وَتَقْطَعَ <sup>(ب)</sup> بِهِ الْمَهَالِكُ ؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ اللَّهُ ، لَا يَتِمُّ إِلَّا بِرِضَاهُ وَإِعَاتِيَةِهِ وَالْإِخْلَاصِ لَهُ وَالتَّصْحِيحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ؛ وَلَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ ، 10 وَلَا يَرْتَابُ فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ .

وَأَوَّلُ مَنْ ابْتَدَأَ هَذِهِ الزُّرْعَةَ فِي الْمِلَّةِ بِبَغْدَادَ ، حِينَ وَقَعَتْ فِتْنَةُ طَاهِرٍ ، وَقُتِلَ [108 ب] الْأَمِينُ ، وَأَبْطَأَ الْمَأْمُونُ بِخُرَاسَانَ / عَنْ مُقَدِّمِ الْعِرَاقِ ، ثُمَّ عَهْدَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ ، فَكَشَفَ بَنُو الْعَبَّاسِ وَجْهَ التَّكْبِيرِ عَلَيْهِ ، وَتَدَاعَوْا لِلْقِيَامِ وَخَلَعَ طَاعَةَ الْمَأْمُونِ وَالْإِسْتِبدَالَ مِنْهُ . وَبَوَّعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ ، فَوْقَ الْهَرَجِ بِبَغْدَادَ ، 15 وَانْطَلَقَتْ أَيْدِي الدُّعْوَةِ <sup>(ج)</sup> بِهَا مِنَ الشُّطَارِ <sup>(د)</sup> وَالْحَزْبِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَاقِبَةِ وَالصُّنُونِ ،

(1) مِنْ عِطْفِ الْمَوْلَفِ (ب) ع: يَنْتَقِلُ (ج) فِي ع: الزُّرْعَةُ ، وَالتَّاعَرُ الْفَسْقُ الَّتِي ، الْخَلْقُ ، وَجَمْعُ دَعَا ، وَلَمْ أَهْفَ عَلَى هَذَا الْجَمْعِ (د) ع: الشُّطَارُ .

(1) فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (49) (78) وَعِنْدَ أَحْمَدَ 3 : 10 ، 20 ، 49 ، 54 ، 92 ، وَأَبِي دَاوُدَ (1140) وَالتِّرْمِذِيَّ (2172) وَفِي التَّعْلِيقِ عَلَيْهِ مَزِيدُ مَوَادِرَ لِتَخْرِيجِهِ .

وَقَطَعُوا السَّبِيلَ<sup>(1)</sup>، وامتَلأت أيديهم من نهب الناس وابعوها غلاية في الأسواق، واستغذى أهلها الحكام فلم يُعْذَوْهم؛ فتوامر أهل الدين والصلاح على منع الفساق وكف عاديّتهم. وقام ببغداد رجل يُعرف بخالد الدُرْيُوش<sup>(2)</sup>، ودعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فأجابه خلقٌ، وقاتل أهل الدعاة وعلّهم؛ وأطلق يده فيهم بالضرب والتشكيل. ثم قام من بغده رجل آخر من سواد أهل بغداد، يُعرف بسهل بن سلامة الأنصاري، ويكنى أبا حاتم، وعلّق مضحفاً في عنقه ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعقل بكتاب الله وسنة نبيه، فاتبعه كافة الناس من بين شريف ووضيع، من بني هاشم فمن دونهم، ونزل قصر طاهر، واتخذ الديوان وطاف ببغداد، ومنع كل من أخاف المأثرة، ومنع الحفارة لأوليك الشطّار. وقال له خالد الدُرْيُوش: أنا لا أعيب على السلطان؛ فقال له سهل: لكّي أقاتل كل من خالف الكتاب والسنة كائنًا من كان. وذلك سنة إحدى ومائتين. وتجر إبراهيم ابن المهديّ إليه العساكر فغلبه وأسرّه وأخلّ أمره سريعاً، وذهب ونجا بدماء نفسه. ثم اقتدى بهذا العمل بعد كثير من المؤسوسين، يأخذون أنفسهم بإقامة الحق ولا يعرفون ما يحتاجون<sup>(ب)</sup> في إقامته من الغصية، ولا يشعرون بمغبة أمرهم ومآل أخوالهم. والذي يحتاج إليه في أمر هؤلاء؛ إما المداواة إن كانوا من أهل الجنون؛ وإما التشكيل بالقتل أو الضرب إن أخذوا هزجاً؛ وإما إذاعة السخرياء منهم وعدّهم في جملة الصّفاعين.

(1) ل: السبيل (ب) ل: يحتاجون إليه .

(2) خص الطبري حركة "خروج المطوعة للتكبير على الفساق" بفصل مستقل في التاريخ 8: 551 .

وقد يَنْتَسِبُ بعضهم إلى الفاطميِّ المُنتظر ، إمَّا بآئِه هُوَ ، أو ذاع له ،  
وليس مع ذلك على عِلْمٍ من أمرِ الفاطميِّ ، ولا ما هو . وأكثرُ المنتسِبين لمثل هذا  
تَجِدُهُم مُؤسِّسين أو مجانين أو [مُلَبَّسين] <sup>(١)</sup> ، يطلبون [بمثل] <sup>(ب)</sup> هذه الدَّعوى  
رئاسةً امتلأت بها جوائِهُم وعجزوا عن التَّوصُّل إليها بشيء من أسبابها العادية ،  
فيخسبون أنَّ هذا من الأسباب البالغة بهم إلى ما يُؤمِّلونه من ذلك ، ولا يَحْسِبون  
5 ما ينالهم من الهلكة ، فيُسرع إليهم القتلُ بما يُحدثونه من الفتنه ، ونسوء عاقبة  
مَكْرِهِم .

وقد كان لأوَّل هذه المائة ، خَرَج بالسُّوس رَجُلٌ من المُتصَوِّفة يُدعى  
التُّوزَيْرِي ، عَمِد إلى مَسْجِدٍ مَاشَ بِسَاجِلِ الْبُخْرِ هُنَالِكَ ، وَزَعَم أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنتَظَرُ ،  
10 تَلْبِيساً عَلَى الْعَامَّةِ هُنَالِكَ ، بِمَا مَلَأَ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْحَدَثَانِ بِانْظَارِهِ ، وَأَنَّ مِنْ ذَلِكَ  
الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ . فَتَهَافَّتْ عَلَيْهِ طَوَائِفُ مِنْ عَامَّةِ الْبَرَرِ تَهَافَّتِ الْفَرَّاشُ . ثُمَّ  
خَشِيَ رُؤُوسَاؤُهُمْ اتِّسَاعَ نِطَاقِ الْفِتْنَةِ ؛ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْمَصَامِدَةِ يَوْمُنْذِ عُمُرِ  
السَّكْسِيوِيِّ مِنْ قَتْلِهِ فِي فِرَاشِهِ .

وكذلك خَرَجَ فِي عُمْرَةِ الْأَوَّلِ هذه المائة أيضاً رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْقَبَّاسِ ، وَادَّعَى  
15 مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَى ، وَاتَّبَعَ نَعِيقَهُ الْأَزْدَلُونَ مِنْ سَفَهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَغِمَارِهِمْ ، وَزَحَفَ  
إِلَى بَادِسٍ مِنْ أَنْصَارِهِمْ فَدَخَلَهَا غَنَوَةً ، ثُمَّ قُبِلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْماً مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِ ،  
وَمَضَى فِي الْهَالِكِينَ الْأَوَّلِينَ .

(١) ظ: مُلَبَّسِينَ (ب) من: ع ل ج ي .

وأمثال ذلك كثير، والغلط فيه <sup>(١)</sup> من الغفلة عن اعتبار العصبية في مثلها.  
وأما إن كان الثلبيس، فأخرى أن لا يتم له أمر، وأن يئوه بإنه ﴿وذلك جراء  
الظالمين﴾ [سورة المائدة، من الآية 29] .

## 7 • فصل، في أن كل دولة لها حصّة من الممالك والأوطان لا تردها عليها

5 / والسبب في ذلك أن عصابة الدولة وقومها القائمين بها المتهدين لها، لا بد من  
توزيعهم حصصاً على الممالك والثغور التي تصير إليهم، ويستولون عليها لحمايتها من  
العدو، وإمضاء أحكام التولية فيها من جباية ورذع وغير ذلك. فإذا توزعت  
العصائب كلهم على الثغور والممالك، فلا بد من نقاد <sup>(ب)</sup> عددهم، وقد بلغت الممالك  
حينئذ إلى حد يكون ثقلها للدولة؛ ونحماً لوطنها؛ ونطاقاً لمركز ملكها. فإن تكلفت  
10 الدولة بعد ذلك زيادة على ما بيدها بقي دون حامية، وكان موضعاً لانتهاز الفرصة  
من العدو المجاور؛ ويعود وبأل ذلك على التولية بما يكون فيه من التجاسر وخزي  
سياج الهيبة .

وما كانت العصابة مؤفورة ولم تنفذ عددها في توزيع الحصص على الثغور  
والتواحي، بقي في الدولة قوة على تناول ما وراء الغاية، حتى ينفصح نطاقها إلى  
15 غابته. والعلّة الطبيعية في ذلك أن قوة العصبية هي من سائر القوى الطبيعية، وكل  
قوة يضر عنها فعل من الأفعال، فشأنها ذلك في فعلها. والتولية في مركزها أشدّ مما

(١) سقط من ج (ب) ي: نورد .



تكون في الطرف والتطابق. وإذا انتهت إلى التطاق الذي هو الغاية، عَجَزَتْ وقصّرت عمّا وراءه؛ شأن الأشعة والأنوار إذا انبعثت من المراكز والدوائر المنسبحة على سطح الماء من الثّغر عليه. ثم إذا أدركها الهرم والصّف فإثماً تأخذ في التناقص من جهة الأطراف، ولا يزال المركز محفوظاً إلى أن يتأذن الله بانقراض الأمر جُملةً، فينبذ يكون انقراض المركز. وإذا غلب على الدولة من مركزها فلا ينفعها بقاء 5 الأطراف والتطاق، بل تضمحلّ لوفتها؛ فإنّ المركز كالقلب الذي تبعث منه الروح؛ فإذا غلب القلب ومُلك انهمز جميع الأطراف .

وانظر هذا في الدولة الفارسية، كان مركزها المدائن؛ فلما غلب المسلمون على المدائن انقراض أمر فارس أجمع، ولم ينفع يزجر ما بقي بيده من أطراف ممالكه؛ وبالعكس<sup>(1)</sup> من ذلك، / وكذا الدولة الرومية بالشام، لما كان مركزها 10 السُّنطُنطِيبِيَّة\* وغلبهم المسلمون على الشام، تحيزوا إلى مركزهم بالسُّنطُنطِيبِيَّة\*<sup>(ب)</sup> ولم يضرمزهم اتزاع الشام من أيديهم، فلم يزل مُلكهم مُتصلاً بها إلى أن تأذن الله بانقراضه .

وانظر أيضاً شأن الغزب أول الإسلام، لما كانت عصائهم مؤفورة، كيف غلبوا على ما جاورهم من الشام والعراق ومصر لأسرع وقت، ثم تجاوزوا ذلك إلى 15 ما وراءه من السُّنْد والحَبشة وإفريقية والمغرب؛ ثم إلى الأندلس. فلما تفرقوا حصصاً على الممالك والثغور، ونزلوها حاميةً، وقد عدّهم في تلك التوزيعات، أقصروا عن

(1) ي: والعكس (ب) سقط ما بين النجمين من ي. وجاءت القسطنطينية في ع ط بالياء المشددة تسبق التاء الأخيرة، على غير ما كتبت بها في غير موضع .

الفتوحات بعد، وانتهى أمر الإسلام، ولم يتجاوز تلك الحدود؛ ومنها تراخى  
الدولة، حتى تأذن الله بانقراضها .

وكذا كان حال الدول من بعد ذلك؛ كل دولة على نسبة القائم بها في  
القبلة والكثرة؛ وعند تمام<sup>(1)</sup> عددهم بالتوزيع، ينقطع لهم الفتح والاستيلاء. سنة الله  
5 في خلقه.

8 • فصل، في أن عظم الدولة واتساع نطاقها وطول أمدها، على نسبة القائم بها  
في القلة والكثرة

والسبب في ذلك، أن الملك إنما يكون بالقصبة؛ وأهل القصبة هم  
الحامية الذين يتولون بممالك الدولة وأقطارها ويتقسمون<sup>(ب)</sup> عليها؛ فما كان من الدول  
10 العامة قبيلها وأهل عصابها أكثر، كانت أقوى وأكثر ممالك وأوطاناً، وكان ملكها  
أوسع لذلك .

واعتبر ذلك بالدولة الإسلامية لما ألف الله كلمة العرب على الإسلام،  
وكان عدد المسلمين في غزوة تبوك، آخر غزوات النبي ﷺ، مائة ألف وعشرة  
آلاف من مضر وقحطان، ما بين فارس وراجل، إلى من أسلم منهم بعد ذلك إلى  
15 الوفاة. فلما توجهوا لطلب ما في أيدي الأمم من الملك، / لم يكن دونه جى ولا  
وزر، فاستبجى جى فارس والروم أهل الدولتين العظيمتين في العالم لعهدهم، والترك

(1) ي: فرد (ب) ع: ل: وينقسمون .

بالمشرق، \* والإفرنجية والبربر بالمغرب\*<sup>(1)</sup>، والقوط بالأندلس، وخطوا من الحجاز إلى التسوس الأقصى، ومن اليمن إلى الترك بأقصى الشمال، واستولوا على الأقاليم السبعة .

ثم انظر بعد ذلك دولة صنهاجة والموحدين مع الغنيديين قبلهم؛ لما كان قبيلُ كُثامة القائمين بدولة الغنيديين أكثر من صنهاجة ومن المصابدة، كانت دولتهم 5 أعظم، فلكوا إفريقية والمغرب والشام ومصر والحجاز.

ثم انظر بعد ذلك دولة زناتة لما كان غدهم أقل من المصابدة، قصر ملكهم عن ملك الموحدين لقصور عددهم عن عدد المصابدة منذ أول أمرهم .

ثم اغتبر بعد ذلك حال التولتين لهذا العهد لزنانة، بني مرين وبني عبد الواد؛ لما كان عدد بني مرين لأول ملكهم أكثر من بني عبد الواد، كانت دولتهم أقوى 10 منها وأوسع نطاقاً، وكان لهم عليهم الغلب مرة بعد أخرى . يقال إن غدد بني مرين لأول ملكهم كانوا ثلاثة آلاف، وإن غدد بني عبد الواد كانوا ألفاً، إلا أن التولة بالرفه وكثرة التابع كثرت من أعدادهم .

وعلى هذه النسبة في أعداد المتغلبين لأول الملك، يكون اتساع التولة وقوتها. وأما طول أميها أيضاً فعلى تلك النسبة؛ لأن عمر الحادث من قوة مزاجه؛ 15 ومزاج الدول إنما هو بالعصبية، فإذا كانت العصبية قوية كان المزاج تابعاً لها وكان أمداً العمر طويلاً. والعصبية إنما هي بكثرة العدد ووفوره كما قلناه، والسبب

(1) ما بين النجمين سقط من ج .

الصحيح في ذلك، أن النقص إنما يتبدأ الدولة من الأطراف؛ فإذا كانت ممالكها كثيرة كانت أطرافها بعيدة عن مركزها وكثيرة؛ وكلّ نقص يقع فلا بد له من زمن؛ فتكثر أزمان النقص لكثرة الممالك، واختصاص كل واحد منها بنقص / وزمانه، فيكون أمدّها طويلاً .

5 وانظر ذلك في دولة العرب الإسلامية، كيف كان أمدّها أطول الدول، لا بنو العباس أهل المركز ولا بنو أمية المتنبذون بالأندلس. ولم ينتقض أمر جميعهم إلا بعد الأربعمائة من الهجرة. ودولة العبّاسيين كان أمدّها قريباً من مائتين وثمانين سنة. ودولة صفّارها دونهم من لدن تقليد معدّ المعزّ أمر إفريقية لبلكين بن زيري في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، إلى حين استيلاء الموحّدين على القلعة وبجاية سنة سبع وخمسين وخمسمائة. ودولة الموحّدين لهذا العهد تهاجر مائتين وسبعين سنة .

10 وهكذا ينسب الدول في أعمارها على نسب القائمين بها. ﴿سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ [سورة غافر، من الآية 85] .

9 • فصل، في أن الأوطان الكثيرة القبائل والعصائب، قل أن تستحكم فيها دولة

15 والسبب في ذلك، اختلاف الآراء والأهواء، وأن وراء كل رأي منها وهوى عصبية تمنع دونها، فيكثر الانتفاض على الدولة والخروج عليها في كل وقت، وإن كانت ذات عصبية؛ لأن كل عصبية تمن تحت يدها تطل في نفسها منعة وقوة.

وانظر ما وقع من ذلك بإفريقية والمغرب منذ أول الإسلام ولهذا العهد؛ فإن ساكن هذه الأوطان من البربر أهل قبائل وعصيات. فلم يُفني فيهم الغلب الأول الذي كان لابن أبي سرح عليهم<sup>(1)</sup> وعلى الفزحية شيئا. وعاودوا بعد<sup>(ب)</sup> ذلك الثورة والردة مرة بعد أخرى، وعظم الإنحنا من المسلمين فيهم. ولما استقر الدين عندهم عادوا إلى الثورة والخروج والأخذ بدين الخوارج مرات عديدة. قال ابن أبي زيد<sup>(1)</sup>: 5  
ازتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة، ولم تستقر كلمة الإسلام فيهم إلا لعهد ولاية / موسى بن نصير فما بعده. وهذا معنى ما يُنقل عن عمر<sup>(2)</sup>: أن إفريقية مُفرقة لقلوب أهلها. إشارة إلى ما فيها من كثرة العصائب والقبائل الحامِل لهم على عَدَم الإذعان والاعتقاد.

ولم يكن العراق لذلك العهد بتلك الصفة ولا الشام، إنما كانت حاميتها من 10  
فارس والروم؛ والكافة ذهء أهل مدني وأمنصار؛ فلما غلبهم المسلمون على الأمر واثرعوه من أيديهم، لم يبق موانع ولا مشاق. والبربر قبائلهم بالمغرب أكثر من أن تُحصى، وكلهم بادية وأهل عصابات وعشائر، وكلها هلكت قبيلة عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة، فطال أمر العرب في<sup>(ج)</sup> تهديد الدولة بوطن إفريقية والمغرب. وكذلك كان الأمر بالشام لعهد بني إسرائيل، كان فيه من قبائل 15

(1) سقط من ج (ب) ج: من بعد (ج) ج: من .

(1) استعمل هذا النص في العبر عن ابن أبي زيد: انظر العبر 6: 103 .

(2) قيل هذا عن عمر بنير هذا اللفظ، انظر معجم ما استعجم، للبكري 1: 177 ، معجم البلدان 1: 229 ، الترويض المطار 48 .

فلسطين وكنعان وتبي عيصو وبني<sup>(١)</sup> مِذْيَنَ وبني لوط وأدوم والأرضين والعمالقة وأكريكش والتبط من جانب الجزيرة والموصل، ما لا يُحصى كثرة وتَنَوَّعاً في القصصية. فصُعِبَ على بني إسرائيل تمهيدُ ذولتهم ورُسوخُ أمرهم، واضطربت عليهم الملكُ مرّةً بعد أخرى؛ وسرى ذلك الخلافُ إليهم، فاختلفوا على سلطانهم وخرجوا عليه. 5 ولم يكن لهم مُلكٌ مُوطَّدٌ سائرَ أيامهم إلى أن غلبهم الفُرسُ ثم يونانُ ثم الرُّومُ آخرُ أمرهم عند الجلاء، ﴿والله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ (سورة يوسف، من الآية 21).

وبعكس هذا أيضاً، الأوطانُ الخلوّةُ من القصصيات، ينهلُ تمهيدُ الدولة فيها، ويكونُ سلطانها وادعاً لِقَلَّةِ الهزج والانتفاض، ولا تحتاجُ الدولةُ فيها إلى كثير من القصصية، كما هو الشأنُ في مِصرَ والشام لهذا العهد، إذ هي خلُوٌ من القبائل 10 والقصصيات، كان لم يكن الشامُ مَعْدِناً لهم كما قلناه. فَمَلِكُ مِصرَ في غاية الدَّعة والزُّسوخ لِقَلَّةِ الخوارج وأهل العصائب، إنّما هو سلطانٌ ورعيّة، وذولتها قائمةٌ / بملوك التُّرك، وعصائهم يغلبون على الأمرِ واحدٌ بعد واحد، ويُثْقِلُ الأمرُ فيهم من [112] مُنْبِت إلى مُنْبِت، والجَلالةُ مُسْتَقاةٌ للعباسيّ من أعقاب الخلفاء ببغداد.

وكذا شأنُ الأندلس لهذا العهد؛ فإنَّ عَصِيَّةَ ابنِ الأَخيرِ سلطانها لم تكن 15 لأوّل ذولتهم بِقُوَّةٍ ولا كانت لها كَثَرَةٌ، إنّما كانوا أَهْلُ يَنْبٍ من يُبوت الغرب أهل الدولة الأُتُويّة، بقوا من ذلك القَلِّ. وذلك أنّ أَهْلَ الأندلس لما اقترَضَت الدولة الغرِيبَةُ منهم وملكهم البَرُّز من لَمْتوتة والمُوحدين، سَيِّمُوا مُلْكَتَهُمْ، وهَلَّتْ وَطَانُهَا عليهم، فأَشْرَبَتِ القُلُوبُ بغضاءهم ونُكْرَاءَهُمْ، وأمكن المُوحِدون السَّادَةُ في آخر

(١) كنا في ع ل ح ي، وفي ط: وهي.

الدَّوْلَةُ كَثِيراً مِنَ الْحِصُونِ لِلطَّاعِيَةِ، فِي سَبِيلِ الْإِسْتِظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ مِنْ تَمَكُّنِ الْحَضَرَةِ مَرَآكُشٍ. فَاجْتَمَعَ مِنْ كَانَ بَقِيَ بِهَا<sup>(١)</sup> مِنْ أَهْلِ الْغُصْبَةِ الْقَدِيمَةِ، مُعَادِنٌ مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ، تَجَافَى بِهِمُ الْمُنَبَّتِ عَنْ الْحَضَارَةِ وَالْأَمْصَارِ بَعْضُ الشَّيْءِ، وَرَسَّخُوا فِي الْجُنْدِيَّةِ، مِثْلُ: ابْنِ هُوْدٍ، وَابْنِ الْأَخْمَرِ، وَابْنِ مَرْذَنْشِشٍ، وَأَمْثَالِهِمْ.

فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ، وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ، وَحَمَلَ 5 النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمُوَحِّدِينَ، فَتَبَدُّوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَأَخْرَجُوهُمْ؛ وَاسْتَقَلَّ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ بِالْأَنْدَلُسِ.

ثُمَّ سَمَّا ابْنُ الْأَخْمَرِ لِلْأَمْرِ، وَخَالَفَ ابْنُ هُوْدٍ فِي دَعْوَتِهِ، فَدَعَا هَؤُلَاءِ لَابْنِ أَبِي خَفْصٍ صَاحِبِ إِفْرِيْقِيَّةٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ، وَقَامَ بِالْأَمْرِ، وَتَنَازَلَهُ بِعَصَابَةِ قَلِيلَةٍ مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَمُّونَهُمُ الرُّؤَسَاءَ، وَلَمْ يَحْتَجْ لَأَكْثَرِ مِنْهَا لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ بِالْأَنْدَلُسِ، وَأَتَتْهَا 10 سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ. ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بِمَنْ يُجِيرُ إِلَيْهِ الْبَخْرَ مِنْ أَغْيَاصِ زَنَاتِهِ، فَصَارُوا مَعَهُ غُضْبَةً عَلَى الْمُنَافِقَةِ وَالرِّبَاطِ.

ثُمَّ سَمَّا لِصَاحِبِ الْمَغْرِبِ مِنْ مُلُوكِ زَنَاتِهِ أَمَلٌ فِي الْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ، فَصَارَ أُولَئِكَ الْأَغْيَاصُ عِصَابَةً لِبْنِ الْأَخْمَرِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ، إِلَى أَنْ تَأْكَلَ 15 أَمْرُهُ وَرَسَخَ، وَأَلْفَنَهُ / الثُّنُوسَ، وَغَجَزَ النَّاسَ عَنْ مُطَابَّتِهِ، وَأَوْرَثَهُ أَغْقَابَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ. فَلَا تَطْلُنَّ أَنَّهُ بَغِيرُ عَصَابَةِ فُلَيْسٍ كَذَلِكَ؛ وَقَدْ كَانَ مَبْدُؤُهُ بِعَصَابَةِ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلَةٌ وَعَلَى قَدْرِ الْحَاجَةِ؛ فَإِنَّ وَطَنَ الْأَنْدَلُسِ لِقَلَّةِ الْعَصَائِبِ وَالْقَبَائِلِ فِيهِ، يَفْتَقِرُ عَنْ كَثْرَةِ الْغُصْبَةِ فِي التَّغْلِبِ عَلَيْهِمْ. وَ [إِنْ] ﴿اللَّهُ عَزَّيَّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، مِنَ الْآيَةِ 97).

(١) ل: مِنْهَا.

## 10 • فَضْلٌ، فِي أَنْ مِنْ طَبِيعَةِ الْمُلْكِ الْإِنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ<sup>(أ)</sup>

وذلك أَنَّ الْمُلْكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ، وَالْعَصِيَّةُ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ غَضَبِيَّاتٍ كَثِيرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْأُخْرَى كُلِّهَا، فَتَغْلِبُهَا وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهَا حَتَّى تُصَيِّرَهَا جَمِيعًا فِي ضِمْنِهَا، وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْاجْتِمَاعُ وَالتَّغْلِبُ<sup>(ب)</sup> عَلَى النَّاسِ وَالْأُمَمِ. وَسِرُّهُ أَنَّ الْعَصِيَّةَ الْعَامَّةَ لِلْقَبِيلِ هِيَ مِثْلُ الْمِزَاجِ لِلْمَشْكُونِ؛ وَالْمِزَاجُ إِنَّمَا يَكُونُ 5 عَنْ الْعُنَاوَةِ؛ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعُنَاوَةَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مُتَكَافِئَةٌ فَلَا يَقَعُ مِنْهَا مِزَاجٌ أَضْلًا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهَا غَالِبًا عَلَى الْآخَرِ، وَيَغْلِبْتَهُ عَلَيْهَا يَقَعُ الْإِفْتِرَاجُ، وَكَذَلِكَ الْعَصِيَّاتُ، لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى الْكُلِّ، حَتَّى تَجْمَعُهَا وَتَوَلِّفَهَا وَتُصَيِّرَهَا عَصِيَّةً وَاحِدَةً شَامِلَةً لِمَجْمُوعِ الْعُنَاوَاتِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ 10 فِي ضِمْنِهَا. وَتِلْكَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا تَكُونُ لِقَوْمٍ أَهْلُ يَنْبَغٍ وَرِئَاسَةٍ فِيهِمْ؛ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رِئِيسًا لَهُمْ غَالِبًا عَلَيْهِمْ؛ فَيَتَعَيَّنُ رِئِيسًا لِلْعَصِيَّاتِ كُلِّهَا لِقَلْبٍ مُنْبِئِهِ لِمَجْمُعِهَا. وَإِذَا تَعَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ - وَمِنَ الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ خُلِقَ الْكِبَرُ وَالْأَقْعَةُ - فَيَأْتِي حِينَئِذٍ مِنَ الْمُسَاهَمَةِ وَالْمُشَارَكَةِ فِي اسْتِثْبَاعِهِمْ وَالتَّحَكُّمِ فِيهِمْ؛ وَنَجْيُ خُلُقِ النَّالَةِ الَّذِي فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ انْفِرَادِ الْحَاكِمِ، لِفَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ 15 الْحُكْمِ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء، من الآية 22]. فَيَجْدُرُ حِينَئِذٍ أَنْوَافُ الْعَصِيَّاتِ، / وَيَكْبُحُ شَكَائَتُهُمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مُشَارَكَتِهِ فِي [113]

(أ) جمعت ع، في مرحلة لاحقة، بين هذا الفصل والقبولين التاليين، فأضاف المؤلف بمطّعه إلى هذا العنوان: [...] والتوغل في الترف وإثارة المدّة والسكون] (ب) من ط، وحدها، وفي بقية الأصول: القلب.



التحکم، ویتزعج عصبهم<sup>(١)</sup> عن ذلك، ويتفرد به ما استطاع، حتى لا يترك لأحد منهم في الأمر ناقة ولا جملًا، فيتفرد<sup>(ب)</sup> بذلك المجد بكنيته؛ ويدفعهم عن مساهمته فيه. وقد يتم ذلك للأول من ملوك الدولة، وقد لا يتم إلا للثاني أو الثالث على قدر مضاعفة العصبية وقوتها. إلا أنه أمر لا بد منه في الدول، سنة الله في عباده.

5

## 11 • فصل، في أن من طبيعة الملك التسرف<sup>(ج)</sup>

وذلك أن الأمة إذا ثقلت وملكت ما بأيدي أهل الملك قبلها، كثر رياسها ونعمتها فتكثر عوائدهم؛ ويتجاوزون ضرورات العيش وحشوته إلى نوافله ورفته وزينته؛ ويذهبون إلى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم، وتصبح لسلوك التوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، ويتزعمون مع ذلك إلى رقة الأحوال في المطاعيم والملابس والفرش والآنية، ويتفاخرون في ذلك ويفاجرون فيه غيرهم من الأمم، في أكل الطيب، ولبس الأنيق، وركوب الفاره، وينبغي خلفهم في ذلك سلفهم إلى آخر الدولة. وعلى قدر ملكهم يكون خطئهم من ذلك وترفهم فيه، إلى أن يتلغوا من ذلك الغاية التي للدولة أن تتلغها بحسب قوتها وعوائده من قبلها؛ سنة الله في خلقه.

15

(١) ح: عصبهم (ب) ل: فيتزعج (ج) كما ورد عنوان هذا الفصل في ط ل ج ي، وفي مسوده ح، شطب عنوانه وجعله امتدادا للفصل قبله بقوله: وأما النوع في الثرف فلأن الأمة إذا ...

12 • فصلٌ، في أن من طَبِيعَةِ الْمُلْكِ الدَّعَةُ وَالسُّكُونُ<sup>(1)</sup>

وذلك أَنَّ الأُمَّةَ لَا يَحْصُلُ لَهَا الْمُلْكُ إِلَّا بِالْمُطَالَبَةِ ، وَالْمُطَالَبَةُ غَايَةُهَا الْقَلْبُ  
وَالْمُلْكُ ، وَإِذَا خُصِلَتِ الْغَايَةُ انْقَضَى السَّغْيُ إِلَيْهَا : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِسَغْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ<sup>(2)</sup>

- 5 فإذا حصلَ الْمُلْكُ ، أَقْصَرُوا عَنِ الْمَتَاعِبِ الَّتِي كَانُوا يَتَكَلَّفُونَهَا فِي طَلَبِهِ ،  
/ وَآثَرُوا الرَّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالدَّعَةَ ، وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ الْمَسَافِي [113 ب]  
وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَابِسِ ، فَيَتَنَوَّنُونَ الْقُصُورَ ، وَيُجْبِرُونَ الْمِيَاهَ ، وَيُفَرِّسُونَ الرِّيَاضَ ،  
وَيَسْتَفْتِعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا ، وَيُؤْثِرُونَ الرَّاحَةَ عَلَى الْمَتَاعِبِ ، وَيَتَأَتَّقُونَ فِي أَحْوَالِ  
الْمَلَابِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْآتِيَةِ وَالْفَرَشِ مَا اسْتَطَاعُوا ، وَيَأْلَفُونَ ذَلِكَ وَيُورَثُونَهُ مِنْ بَعْدِهِمْ  
10 مِنْ أَجْيَالِهِمْ ؛ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ فِيهِمْ إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ .

(1) كما حصل في الفصل قبله، شطب المؤلف هذا العنوان في نسخه "ع". وربط الكلام بما قبله بقوله: وأما إيراد السكون  
فلأن الأمة لا يحصل لها الملك ....

(2) البيت لأبي حنيفة الهذلي، انظر أمالي القاضي: 1 : 148، الأغاني: 5 : 121، المعاني بن زكرياء: المجلس  
الصالح الكافي: 4 : 102، التنالي: لباب الآداب: 2 : 40، داود الأصفهاني: الزهرة: 1 : 275.

13 • فصل، في أنه إذا استحكمت طبيعة الملك من الأفراد بالمجد وحصول  
السرف والدعة، أقبلت الدولة على الهرم

وبلائه من وجوه :

الأول : أنها تقتضي الانفراد بالمجد كما قلناه . ومنها كان المجد مشتركاً بين  
العصابة ، وكان سغمهم له واحداً ، كانت همهم في التغلب على الغير ، والذب عن  
5 الخوزة ، إيسوة في طموحها وقوة شكائيتها ، ومزامهم إلى العز جميع ؛ فهم يشطيون  
الموت في بناء مجدهم ويؤثرون الهلكة على فسادهم . وإذا انفراد الواحد منهم بالمجد ،  
فزع عصيتهم ، وكبح من أعيتهم ، واستأثر بالأموال دونهم ، فتكاسلوا عن العز ، وقشل  
رجمهم ، ورثموا المذلة والاستعباد . ثم ربي الجيل الثاني على ذلك ، يحسبون ما ينالهم  
من العطاء أجراً من السلطان لهم على الحماية والمعونة ، لا يجري في عقولهم سواه .  
10 وقال أن يستأجر أحد نفسه على الموت ؛ فيصير ذلك وهنا في الدولة وخضداً من  
الشوكة ، وتقبل به على مناحي الضعف والهزم لفساد القصية بذهاب التأس من أهلها .

الوجه الثاني : أن طبيعة الملك تقتضي السرف كما قدمناه ؛ فتكثر عوائدهم  
وتزيد نفقاتهم على أعطيائهم ، ولا يقي دخلهم بخزيتهم ؛ فالفقير منهم يملك ، / والمترف  
يستغرض عطاءه بترقه ، ثم يزداد ذلك في أجيالهم المتأخرة ، إلى أن يقصر العطاء كله  
15 عن السرف وعوائده ، وتفسد الحاجة ، وتطالبهم<sup>(1)</sup> ملوكهم بخضر نفقاتهم في العزرو

(1) ع : بطالهم .

والحروب، فلا يجِدون وليَّةَ عنها، فيوقعون بهم الغيوبات، وينزعون ما في أيدي الكثير منهم، ينسأثرون به عليهم، أو يؤثرون به أبناءهم وصنائع دولتهم، فيضعفونهم لذلك عن إقامة أخوالهم، ويضعف صاحب الدولة بضعفهم. وأيضاً إذا كثر الترف في الدولة وصار عطاؤهم مقتصراً عن حاجاتهم وثقاتهم، اختاج صاحب الدولة الذي هو السلطان إلى الزيادة في أعطياتهم حتى يسد خللهم ويرجح عليهم. والجباية مقدارها 5 معلوم لا يزيد ولا ينقص، وإن زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدوداً. فإذا وزعت الجباية على الأعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من تزفهم وكثرة ثقتاتهم، نُقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة الأعطيات. ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الأعطيات لذلك، فينقص عدد الحامية، وثالثاً ورابعاً إلى أن يعود العسكر إلى أقل الأعداد؛ فتضعف الحماية لذلك، 10 وتسقط قوة الدولة، ويتجاسر عليها من يجاورها من الدول أو من تحت أيديها من القصاب والقبائل، ويتأذن الله فيها بالقضاء الذي كتبه على خليقته.

وأيضاً فالترف مُفسد للخلق بما يحصل في النفس من [الوان] <sup>(1)</sup> الشر والسفسفة وعوائدها، كما يأتي في فضل الحضارة، فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلاً عليه، ويتصفون بما يناقضها / من خلال الشر، 15 فتكون علامة على الإذبار والافتراض، بما جعل الله من ذلك في خليقته، وتأخذ الدولة مبادئ العطب، وتتضعف أخوالها، وتزل بها أمراض مؤمنة من الهرم، إلى أن يقضى عليها.

(1) سقطت من ظ وحدها .

الوجه الثالث : أن طبيعة الملك تقتضي الدعة كما ذكرناه؛ وإذا اتخذوا الدعة والزاحة مألفاً وحلقاً صار لهم ذلك طبيعة وجيلة، شأن العوائد كلها وإيفائها، قترناً<sup>(١)</sup> أجيالهم الحادثة في غصارة الغيش ومهاد الترف والدعة، ويتقلب خلق التوحش، ويتسبون عوائد البداوة، التي كان بها الملك، من شدة البأس، وتعود الافتراس، وركوب البنداء، وهداية الفقر. فلا يفرق بينهم وبين السوقة من الحضر 5 إلا في الثقافة والشارة، فتضعف حمايتهم، ويذهب بأسهم، وتتخضع شوكتهم، ويعود وبال ذلك على الدولة بما تلبس به من ثياب الهزم. ثم لا يزالون يتلونون بعوائد الترف والحضارة، والسكون والدعة، ورقة الحاشية، في جميع أحوالهم، ويتغمسون فيها، وهم في ذلك يتعدون عن البداوة والحشونة، ويتسلخون عنها شيئاً فشيئاً، ويتسبون خلق النبالة التي كانت بها الحماية والمدافعة، حتى يعودوا عيالاً على حامية 10 أخرى إن كانت لهم.

واعتبر ذلك في الدول التي [أخبارها]<sup>(ب)</sup> في الصحف لديك، نجد ما قلناه لك من ذلك صحيحاً من غير ريب.

وربما يحدث في الدولة إذا طرأ هذا الهزم بالتلف والزاحة، أن يتخير صاحب الدولة أنصاراً وشبيعاً من غير جلدتهم ممن تعود الحشونة، فيتخذهم جنداً 15 يكونون أضرباً على الحروب وأقدر على معاناة الشدائد، من الجوع والشطط، ويكون ذلك دواءً للدولة من الهزم الذي عساه يطرقها، حتى يتأذن الله فيها بأمره.

(١) كذا ضبطت في ع، من "رتاً" ولا معنى له، ولعلها حسب السياق من "رتز" بمعنى نشأ (ب) ط: اختارها .

وهذا كما وقع في دولة الترك بالمشرق ، / فإن غالب جُنْدِها الموالى من  
الترك، فتنخِبر ملوكهم من أولئك المماليك المخلوبين إليهم فُرساناً وجُنْداً، فيكونون  
أجراً على الحزب، وأصبر على الشَّطَف من أبناء المماليك الذين كانوا قَبْلَهم، وُرِّبوا  
في ماء التَّعِيم والسُّلْطَانِ وِطْلَه .

5 وكذلك في دولة الموحدين بإفريقية ، فإن صاحبها كثيراً ما يتخذ أجناده  
من زناثة والعرب، ويستكثر منهم ، ويترك أهل الدولة المتعودين للترف ، فتستجد  
الدولة بذلك عمراً آخر سالماً من الهزم . والله وارث الأرض ومن عليها .

# 14 • فصلٌ ، في أن الدُّوَل لها أعمارٌ طَبِيعِيَّةٌ كما للأشخاص

اعلم أن العُمر الطَّبِيعِي للأشخاص على ما زعم الأطباء والمُنَجِّمون مائة وعشرون سنةً ، وهي سنُو القَمَر الكُبْرَى عند المُنَجِّمين . ويختلف العُمر في كلِّ جيلٍ بحسَب القِرانات ، فيزيدُ عن هذا وينقص [منه] <sup>(١)</sup> . فتكونُ أعمارُ بغضِ أهل القِرانات مائةً تامةً ، وبعضُهم تحسِين أو ثمانين أو سبعين ؛ على ما تقتضيه أدلةُ 5 القِرانات عند الثَّاطِرِينَ فيها . وأعمارُ أهل هذه المِلَّة ما بين السَّتين إلى السَّبعين كما في الحديث <sup>(٢)</sup> . ولا يزيدُ على العُمر الطَّبِيعِي الَّذِي هو مائة وعشرون ، إلَّا في الصُّور النَّادِرة ، وعلى الأَوْضَاع القَرِيبَةِ مِنَ القَلْكِ ، كما وَقَعَ في شَأْن نوحٍ عليه السَّلام ، وقليلٍ من قَوْم عادٍ وثمود .

وأما أعمارُ الدُّوَل أيضًا ، وإن كانت تَخْتَلِفُ <sup>(ب)</sup> بحسَب القِرانات ، إلَّا أن 10 الدُّوَلَةَ في الغالب لا تَعْدُو أعمارَ ثلاثة أجيال . والجيلُ هو عُمُر شَخْصٍ واحدٍ مِنَ العُمر الوَسْطِ ، فيكونُ أربعين الَّذِي هو انتهاء النَّمُو والنُّشُوء إلى غايَتِهِ . قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ <sup>(ج)</sup> سَنَةً ﴾ . [سورة الأحقاف ، من الآية 15] . ولهذا قُلْنَا إنَّ عُمُرَ الشَّخْصِ الواحدِ هو عُمُرُ الجيل . ويؤَيِّدُهُ ما ذَكَرناه في [جِئمة] <sup>(د)</sup> النَّبِيِّ

(١) سَطَطَ مِنْ طَ (ب) ع : وإن كان يختلف (ج) سَطَطَ مِنْ طَ (د) في ط وحدها : حكم .

(1) أخرجه الترمذی (2331) (3550)، وابن ماجه (4226)، وأبو يعلى (5990)، وابن حبان (2980)، والحاكم 2: 427، والخطيب في تاريخه 7: 438، 13: 496، والبيهقي في السنن الكبرى 3: 370 من حديث أبي هريرة، واقتصر الترمذي على تحسينه.

الَّذِي وَقَعَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْبَعِينَ فِيهِ، فَنَاءُ الْجِيلِ الْأَخْيَاءَ وَنَشَأَهُ جِيلٍ  
[آخِر] <sup>(1)</sup> لَمْ يَنْهَدُوا اللَّذْلَ وَلَا عَرَفُوهُ؛ فَذَلَّ عَلَى اعْتِبَارِ الْأَرْبَعِينَ فِي عُمُرِ الْجِيلِ الَّتِي  
هِيَ عُمُرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ .

وإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ عُمُرَ الدَّوْلَةِ فِي الْغَالِبِ لَا يَنْغَدُو ثَلَاثَةَ أَجْيَالٍ؛ لِأَنَّ الْجِيلَ الْأَوَّلَ  
5 لَمْ يَزَالُوا عَلَى خُلُقِ الْبِدَاوَةِ / وَخُشُونَتِهَا وَتَوَحُّشِهَا مِنْ شَطَفِ الْغَيْشِ وَالْبَسَالَةِ [115 ب]  
وَالْإِفْتِرَاسِ وَالِاسْتِرَاكِ فِي الْمَجْدِ، فَلَا تَزَالُ بِذَلِكَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ مَحْفُوظَةً فِيهِمْ،  
خَذُّهُمْ مُرَهَقٌ، وَجَائِبُهُمْ مَرْهُوبٌ، وَالتَّائِسُ لَهُمْ مُغْلَبُونَ .

وَالْجِيلُ الثَّانِي تَحَوَّلَ حَالُهُم بِالْمُلْكِ وَالرَّفْعِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْحَضَارَةِ، وَمِنْ  
الشَّطَفِ إِلَى التَّرَفِ وَالْحِضْبِ، وَمِنْ الْإِسْتِرَاكِ فِي الْمَجْدِ إِلَى إِفْرَادِ الْوَاحِدِ بِهِ،  
10 وَكَسَلِ الْبَاقِينَ عَنِ السَّعْيِ فِيهِ، وَمِنْ عِزِّ الْإِسْطِطَالَةِ إِلَى ذُلِّ الْإِسْتِكَانَةِ، فَتَنَكُّبُ  
سُورَةِ الْعَصِيَّةِ بَغْضِ الشَّيْءِ، وَتَوَلُّسِ مِنْهُمْ الْمَهَانَةِ وَالْخُضُوعِ؛ وَيَبْقَى لَهُمُ الْكَثِيرُ مِنْ  
ذَلِكَ، بَمَا أَذْرَكُوا الْجِيلَ الْأَوَّلَ، وَبَاشَرُوا أَخْوَالَهُمْ وَشَاهَدُوا مِنْ اعْتِرَازِهِمْ وَسَخِيمِهِ إِلَى  
الْمَجْدِ، وَمَرَامِيهِمْ فِي الْمُدَافَعَةِ وَالْحَيَاةِ، فَلَا يَسْمَعُهُمْ تَرْكُ ذَلِكَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ ذَهَبَ مِنْهُ  
مَا ذَهَبَ، وَيَكُونُونَ عَلَى رَجَاءٍ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْأَخْوَالِ الَّتِي كَانَتْ لِلْجِيلِ الْأَوَّلِ، أَوْ  
15 عَلَى ظَنٍّ مِنْ وُجُودِهَا فِيهِمْ .

وَأَمَّا الْجِيلُ الثَّالثُ فَيَسْتَوِي عَهْدُ الْبِدَاوَةِ وَالْخُشُونَةِ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ، وَيَقْتَدِرُونَ  
خِلَافَةَ الْعِزِّ وَالْعَصِيَّةِ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ مَلَكَهَةِ الْقَهْرِ، وَيَتَلَعُّ التَّرَفَ فِيهِمْ غَايَتُهُ بِمَا تَبَسَّكُوهُ  
مِنْ التَّعَمِّ وَغَضَارَةِ الْغَيْشِ، فَيَصِيرُونَ عِيَالاً عَلَى الدَّوْلَةِ، وَمِنْ جُمْلَةِ النِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ،

(1) سقط من ظ .



المُحتاجين للمُدافعة عنهم، وتُسَقَطُ العَصِيَّةُ بِالْجُمْلَةِ، وَيَتَسَوَّنُ الْحَمَاةُ وَالْمُدَافِعَةُ  
وَالْمُطَالِبَةُ، وَيُلَبَّسُونَ عَلَى النَّاسِ فِي الشَّارَةِ وَالزَّرِيِّ وَرُكُوبِ الْحَيْلِ وَحُسْنِ الثَّقَافَةِ،  
يُمَوِّهُونَ بِهَا، وَهُمْ فِي الْأَكْثَرِ أَجَبُّ مِنَ السَّنَوَانِ عَلَى ظُهُورِهَا . فَإِذَا جَاءَ الْمُطَالِبُ لَهُمْ  
لَمْ يَقَاوِمُوا مُدَافَعَتَهُ . فَيَحْتَاجُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى الْإِسْتِظْهَارِ بِسِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ  
الثَّجْدَةِ ، وَيَسْتَكْثِرُ بِالْمَوَالِي ، وَيَضْطَلِعُ مِنْ يُغْنِي عَنْ الدَّوْلَةِ بَعْضَ الْغَنَاءِ ، حَتَّى يَتَأَذَّنَ 5  
اللَّهُ بِاتِّعَازِهَا ، فَتَذْهَبَ الدَّوْلَةُ بِمَا حَلَّتْ .

فهذه ، كما نَرَاهُ ، ثَلَاثَةُ أَجْيَالٍ فِيهَا يَكُونُ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَتَحْلُقُهَا .

وكذلك<sup>(1)</sup> كَانَ انْقِرَاضُ الْحَسَبِ فِي الْجِيلِ الرَّابِعِ كَمَا مَرَّ ، فِي أَنَّ الْمَخْذَ  
[115] / وَالْحَسَبُ إِنَّمَا هُوَ فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ . وَقَدْ أَتَيْنَاكَ فِيهِ بِزُهَانٍ طَبِيعِيٍّ ظَاهِرٍ ، مَبْتَنِيٍّ عَلَى  
مَكْرٍ مَا مَهْدَنَاهُ قَبْلُ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ . فَتَأَمَّلْهُ ، فَلَنْ تَعْدُو وَجْهَ الْحَقِّ إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ الْإِنْصَافِ . 10  
وهذه الأجيال الثلاثة أعمارها مائة وعشرون سنة على ما مَرَّ . وَلَا تَعْدُو  
الدَّوْلُ فِي الْغَالِبِ هَذَا الْغُفْرَ ، بِتَقْرِيبِ قَبْلِهِ أَوْ بَعْدَهُ ، إِلَّا إِنْ عَرَضَ لَهَا عَارِضٌ  
آخَرٌ مِنْ فِشْدَانِ الْمُطَالِبِ ، فَيَكُونُ الْهَرَمُ حَاصِلًا مُسْتَوِلِيًا وَالطَّالِبُ لَمْ يَحْضُرْهَا ،  
وَلَوْ قَدْ جَاءَ الطَّالِبُ لَمَا وَجَدَ مُدَافِعًا . ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا  
يَسْتَعْفِفُونَ ﴾ [سورة التحل ، من الآية 61] . 15

وهذا الْغُفْرُ لِلدَّوْلَةِ بِمَثَابَةِ عُمْرِ الشَّخْصِ ، مِنْ التَّرِيدِ إِلَى سِنِّ الْوُقُوفِ ، ثُمَّ إِلَى  
سِنِّ الرَّجُوعِ . وَلِهَذَا يُجْرَى عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ فِي الْمَشْهُورِ أَنَّ عُمْرَ الدَّوْلَةِ مِائَةُ سَنَةٍ ،

(1) ع ج ل ي: ولذلك .

وهذا معناه. فاعْتَرِزْهُ وَاتَّخِذْ مِنْهُ قَانُونًا يُصَحِّحُ لَكَ عَدَدَ الْآبَاءِ فِي عَمُودِ النَّسَبِ الَّذِي تُرِيدُهُ مِنْ قِبَلِ مَعْرِفَةِ السَّنِينَ الْمَاضِيَةِ، إِذَا كُنْتَ قَدْ اسْتَرَبْتَ فِي عَدَّتِهِمْ، وَكَانَتِ السَّنُونَ الْمَاضِيَةُ مِنْذُ أَوَّلِهِمْ مُخَصَّلَةً لَدَيْكَ، فَقَدْ لَكَلَّ مِائَةً مِنَ السَّنِينَ ثَلَاثَةً مِنَ الْآبَاءِ؛ فَإِنْ قَدَّمْتَ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ مَعَ سُوءِ عَدَّتِهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ، وَإِنْ قَصَصْتَ عَنْهُ 5 بِجِيلٍ فَقَدْ غَلَطَ عَدَدُهُمْ بِزِيَادَةٍ وَاحِدَةٍ فِي عَمُودِ النَّسَبِ، وَإِنْ زَادَتْ بِمِثْلِهِ فَقَدْ سَقَطَ وَاحِدٌ. وَكَذَلِكَ تَأْخُذُ عَدَدَ السَّنِينَ مِنْ عَدَّتِهِمْ إِذَا كَانَ مُخَصَّلًا لَدَيْكَ صَحِيحًا. وَاللَّهُ مَقْدَرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

## 15 • فَضْلٌ، فِي اسْتِقَالِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْحَضَارَةِ

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَطْوَارَ طَبِيعِيَّةٌ لِلنُّوْلِ. فَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْمُلْكُ إِنَّمَا 10 هُوَ بِالْقَصِيَّةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ وَتَقَوُّدِ الْإِفْتِرَاسِ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ غَالِيًا إِلَّا مَعَ الْبِدَاوَةِ؛ فَطَوْرُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَوَّلِهَا بَدَاوَةٌ، ثُمَّ إِذَا حَصَلَ الْمُلْكُ يَتَّبِعُهُ الرُّفَةُ وَاتِّسَاعُ الْأَحْوَالِ، وَالْحَضَارَةُ إِنَّمَا هِيَ قَبْلُ فِي التَّرَفِّ وَاحْكَامِ / الصَّنَاعِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي وُجُوهِهِ 15 وَمَذَاهِبِهِ؛ مِنَ الْمَطَابِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَبَانِي وَالْفُرَشِ وَالْآتِيَةِ وَسَائِرِ عَوَائِدِ الْمَنْزِلِ وَأَحْوَالِهِ؛ فَلَكَ وَاحِدٌ مِنْهَا صَنَائِعٌ فِي اسْتِجَادَتِهِ وَالتَّائِقُ فِيهِ تَخْتَصُّ بِهِ وَيَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ وَتَتَكَثَّرُ بِهِ <sup>(١)</sup> بِاخْتِلَافِ مَا تَنَزَّعَ إِلَيْهِ التَّقْوُسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَادِّ وَالتَّنْعَمِ بِأَحْوَالِ التَّرَفِّ؛ وَمَا تَتَلَوُّ بِهِ مِنَ الْعَوَائِدِ، فَصَارَ طَوْرُ الْحَضَارَةِ لِلْمُلْكِ يَتَّبِعُ طَوْرَ الْبِدَاوَةِ ضَرُورَةً؛ لَضَرُورَةِ تَبَعِيَةِ الرُّفَةِ لِلْمُلْكِ.

(١) سقط من ع ج ل ي .

وأهل الدُول أبداً يفلدون في طُور الحضارة وأحوالها للدُول السالفة قبلهم ،  
فأحوالهم يُشاهدون؛ ومنهم في الغالب يأخذون. ومثل هذا وقع للقرب لما كان الفتح  
ومَلَكوا فارس والروم، واستخدموا بناتهم وأبنائهم، ولم يكونوا لذلك العهد في شيء  
من الحضارة. فقد حُكي أنه قدّم لهم المُرَّق فكانوا يخسبونه رقاغاً. وعثروا على الكافور  
في خِزَانِ كِسْرَى فاستعملوه في عَجِينهم مِلْحاً، وأمثال ذلك. فلما استغبدوا أهل  
الدُول قبلهم واستعملوهم في مِهَنهم وحاجات منازلهم، واختاروا منهم <sup>(1)</sup> المَهْزَة في أمثال  
ذلك والقُوْمَة عليه ، أفادوهم علاج ذلك والقيام على عمله والثَّقَنَ فيه ، مع ما  
حصل لهم من اتِّساع الغنیش والثَّقَنَ في أحواله ؛ فبلغوا الغاية في ذلك؛ وتطَوَّروا  
بطُور الحضارة والتَّرف في الأخوال، واستجادة المَطَام والمشارب والملابس والمباني  
والأشْليخَة والفَرش والآنية والغناء وسائر الماعون والحُرَاقِ؛ وكذلك أحوالهم في أيام  
المبَاهاة والولائم وليالي الإغراس؛ فَأَتَوْا من ذلك وراء الغاية .

وانظر ما نقله المَسْعُودِي <sup>(1)</sup> والطَّبْرِي <sup>(2)</sup> وَغَرُّهَا في إغراس المأمون بِوَرَان  
[116] بنت الحسن بن سَهْل ، وما بذل أبوها لحاشية المأمون حين / وافته في خطبتها إلى  
داره بِمِ الصُّلَح ، وركب إليها في السَّفِين ؛ وما أَثَقَ في إملاكها ، وما نَحَلها المأمون  
وَأَثَقَ في غَرَسِها ، تَقَفَ من ذلك على العَجَب . فنه أن الحسن بن سَهْل نثر يوم  
الإملاك في الصَّنِيع الَّذِي حَضَرهُ حاشية المأمون ، فنثر على الطبقة الأولى منهم

(1) سقط من ع .

(1) مروج الذهب 4: 366 (2752) واسم بوران خديجة .

(2) تاريخ الرسل والملوك 8: 606 .

بناذِقَ المِسْكِ مَلْتَوْتَةً عَلَى الرِّقَاعِ بِالصِّيَاعِ وَالْعِقَارِ مُسَوَّعَةً لِمَنْ حَصَلَتْ فِي يَدِهِ؛ يَتَقَعُ  
لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا أَذَاهُ إِلَيْهِ الْإِتْقَانُ وَالْبَحْثُ. وَفُرِّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بِدَرِّ  
الدَّنَائِيرِ، فِي كُلِّ بَذْرَةٍ عَشْرَةُ آلَافٍ. وَفُرِّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ بِدَرِّ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ؛  
بَعْدَ أَنْ أَتُفِقَ فِي مَقَامَةِ الْمَأْمُونِ بِدَارِهِ أَضْعَافُ ذَلِكَ .

5 وَمِنْهُ أَنَّ الْمَأْمُونَ أَغْطَاهَا فِي مَهْرِهَا لَيْلَةً زَفَافِهَا أَلْفَ خَصَاصَةٍ مِنَ الْيَاقُوتِ ،  
وَأَوْقَدَ شَمْعَ الْعَنْبَرِ ، فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةً مَنٍّ وَهُوَ رَطْلٌ وَثُلَاثَانُ ؛ وَبَسَطَ لَهَا  
فُرْشًا كَانَ الْحَصِيرُ مِنْهَا مَنَسُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِالذَّرِّ وَالْيَاقُوتِ . وَقَالَ الْمَأْمُونُ حِينَ  
رَأَاهُ : قَاتَلَ اللَّهُ أَبَا نُوَّاسٍ ؛ كَأَنَّهُ أَبْصَرَ هَذَا حَيْثُ يَقُولُ فِي صِفَةِ الْحَقِيرِ <sup>(1)</sup> : (مَنْ  
الْبَسِيطُ)

10 كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا خَضْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ

وَأَعَدَّ بَدَارَ الطَّنِخِ مِنْ الْحَطَبِ لِللَّيْلَةِ الْوَلِيمَةِ ، نَقَلَ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ بَغْلًا  
مُدَّةً عَامَ كَامِلٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَفِي الْحَطَبِ لَيْلَتْنِدٌ ؛ وَأَوْقَدُوا الْجَرِيدَ  
يَضُوبُونَ عَلَيْهِ الزَّيْتُ . وَأَوْعَزَ إِلَى الثَّوَاتِيَةِ بِإِخْضَارِ الشُّفَنِ لِجَازَةِ الْخَوَاصِ مِنَ النَّاسِ  
بِدِجَلَةٍ ، مِنْ بَغْدَادَ إِلَى قُصُورِ الْمَلِكِ بِمَدِينَةِ الْمَأْمُونِ لِحُضُورِ الْوَلِيمَةِ ؛ فَكَانَتِ الْحَرَاقَاتُ  
15 الْمُعْدَّةُ لِذَلِكَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ؛ أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أَخْرَابَ نَهَارِهِمْ . وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا  
وَمِثَالِهِ .

(1) الديوان 72 ومطلع القصيدة:

سَاعَ بَكَاسٍ إِلَى نَائِشٍ عَلَى طَرَبٍ      كَلَامَهَا عَجَبٌ فِي مَنْظَرٍ عَجَبٍ

وكذلك غُرس المأمون بن ذي النون بَطْلِيْظَلَّة ؛ نقله ابنُ بسّام في كتاب  
الذخيرة<sup>(1)</sup> وابنُ حَيّان. بعد / أن كانوا كُلُّهم في الطَّوَرِ الأوَّل من البداة عاجزين عن  
ذلك جُمْلَةً؛ لِفَقْدانِ أَشباهه والقائمين على ضنائه في غَضاضَتهم وسداجتهم.

يُذكر أَنَّ الحجاجَ أوَّلَم في إختنانِ بغضِ ولده ، فاستخضر بعضَ الدَّهَّاقين  
يَسْأَلُه عن ولائهم الفُرسَ ، وقال: أَخْبِرْنِي بِأَعْظَمِ صَنِيعٍ شَهِدْتَه ، فقال له: نَعَمْ أَيُّهَا  
الأمير ، شَهِدْتُ بعضَ مَرَاوِيةٍ كِشْرَى ، وقد صَنَعَ لِأَهْلِ فَارِسٍ صَنِيعاً أَخْضَرَ فِيهِ  
[صِخَافٌ]<sup>(2)</sup> الذَّهَبَ عَلَى أُخُوَّةِ الْفُصَّةِ ، أَرْبَعاً عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ ، وَتَحْمِلُهُ أَرْبَعُ وَصَائِفٍ ،  
وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةُ مِنَ النَّاسِ ، فَإِذَا [طَعِمُوا]<sup>(3)</sup> أَتَبِعُوا أَرْبَعَتَهُمُ الْمَائِدَةَ بِصَحَافِهَا  
وَوَصَائِفِهَا. فقال الحجاجُ: يَا غُلَامَ ، انْجِرِ الْجَزُورَ وَأَطْعِمِ النَّاسَ ؛ وَغِلْمُ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِيلُ  
بِهَذِهِ الْأُيُتَةِ ؛ وَكَذَلِكَ كَانَتْ .

ومن هذا البابِ أَغْطِيَهُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجَوَائِزُهُمْ ؛ فَإِنَّمَا كَانَ أَكْثَرُهَا الْإِبِلَ ، أَخْذاً  
بِمَذَاهِبِ الْغَرْبِ وَبِدَاوَتِهِمْ . ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَائِزُ فِي ذُوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَمِنْ  
بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتُ ، مِنْ أَخْطَالِ الْمَالِي ، وَنُحُوتِ الثِّيَابِ ، وَأَعْدَادِ الْحَيْلِ بِمَرَكَبِهَا .

وهكذا كان شأنُ كُتامةٍ مع الأغالبة بِإِفْرِيقِيَّةِ ، وَبَنِي طُفَيْجٍ بِمِصْرَ ،  
وَشَأْنُ لَفْتَوَةٍ مَعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ ، وَالْمُوَحِّدِينَ كَذَلِكَ ، وَشَأْنُ زَنَانَةِ مَعَ  
الْمُوَحِّدِينَ ، وَهَلُمَّ جَرّاً . تَنْتَقِلُ الْحَضَارَةُ مِنَ الدَّوْلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدَّوْلِ الْخَالِفَةِ ؛ فَانْتَقَلَتْ

(1) ظ: صحائف (ب) من ج ل ي ، وفي ط : أطعموا .

(2) ما أورده ابنُ بسّام لا يتعلق بعُرسِ المأمون بن ذي النون ، وَإِنَّمَا مَبْدَأُهُ إِغْثَارُ حَصِيدِهِ بِحِجْيٍ . وَقَدْ نَقَلَ  
صَاحِبُ الذَّخِيرَةِ الْحَبْرَ مَقْضِلاً عَنْ أَبِي مَرْوَانَ بْنِ حَيَّانَ . الذخيرة 4 : 93 .

حضارةُ الفُرس للغرب : بني أُمَيَّة وبنو العباس ؛ وانتقلت حضارةُ بني أُمَيَّة بالأندلس إلى ملوك المغرب من الموحدين وزناتة لهذا العهد ؛ وانتقلت حضارةُ بني العباس إلى الديلم ، ثم إلى الترك السلجوقية ، ثم إلى الترك المماليك بمصر ، والتمتار بالعراقين .

5 وعلى قدر عظم الدولة يكون شأنها في الحضارة ؛ إذ أمور الحضارة من ثواب الترف ، والترف من ثواب الثروة والتعفة ، والثروة والتعفة من / ثواب الملك [117] ومقدار ما يشتوي عليه أهل الدولة ، فعلى نسبة الملك يكون ذلك كله . فاعتز به ونفهمه وتأمله ، تجده صحيحاً في الفئران [الدول] (1) . والله وارث الأرض ومن عليها .

## 10 16 • فصل ، في أن الترف يترد الدولة في أولها قوة إلى قوتها

والسبب في ذلك ، أن القبيل إذا حصل لهم الملك والترف ، كثرت المنازل والولد والعمومية ، فكثر العصابة ؛ واستكثرُوا أيضاً من الموالى والصنائع ، ورثت أجيالهم في جَو ذلك التعم [الترفه] (ب) ، فازدادوا بهم عدداً إلى عددهم وقوة إلى قوتهم ، بسبب كثرة العصابات حينئذ بكثرة الغد . فإذا ذهب الجيل الأول والثاني ، وأخذت الدولة في الهزم ، لم تستقل أولئك الصنائع والموالى بأنفسهم في تأسيس الدولة وتمهيد ملكها ، لأنهم ليس لهم من الأمر شيء ، إنما كانوا عيالاً على

(1) من ع يحسكه (ب) سقط من ط .

أهلها ومَعُونَةُ لها ؛ فإذا ذهب الأصل لم تستَقِلَّ الفروع بالزُسوخ فتذهب وتُتلاشى ،  
ولا تبقى التَّوَلَّة على حالها من القُوَّة .

واعتبر هذا بما وقع في التَّوَلَّة العربيَّة في الإسلام ؛ كان عددُ الغُزب كما  
قُلْنَا لعهد النبوة والخِلافة مائة وخمسين ألفاً أو ما يُقاربها من مُضر وقُحطان ؛ ولما  
بلغ الترفُّ مبالغته في الدولة وتوفر ثَمُومهم بتوفر التعمَّة ، واستكثر الخلفاء من الموالى 5  
والصنائع ، بلغ ذلك العدْدُ إلى أضعافه . يُقال إنَّ المُقتَصِم نازل عمُوريَّة لما افتتَحها في  
تِسعمائة ألف . ولا يُنعد مثلُ هذا العدْد أن يكون صحيحاً ، إذا اعتبرت حاميَّتهم في  
الثغور الثانيَّة والقاصية شرقاً وغرباً ، إلى الجند الحاملين سرير المُلك ، والموالى  
والمُضطنعين .

وقال المنسعودي<sup>(1)</sup> : أَخْبَيَ بنو العبَّاس بن عبد المُطلب خاصَّةً أَيَّام 10  
[117 ب] المأمون للإِتياف عليهم ، فكانوا ثلاثين ألفاً [بين]<sup>(1)</sup> ذَكَرَان وإِناث . فانظر / مبالغ هذا  
العدد لأقلَّ من مائتي سنة ؛ واعلم أن سببَه الرَّفَّة والتعمُّ الذي حصل للتَّوَلَّة وزَيَّ  
فيه أَجْيالُهم ؛ وإلَّا فعدْدُ الغُزب لأوَّل الفُتح لم يَبْلُغ هذا ولا قَريباً منه . والله  
﴿الخلافة العليم﴾ [سورة الحجر ، من الآية 86] .

(1) منقط من ط .

(2) لم يرد في المروج ، ولعله في كتابه المفقود ، أخبار الزمان .

17 • فصل، في أطوار الدَّولة واختلاف أحوالها وبداوة أهلها باختلاف الأطوار<sup>(1)</sup>

اعلم أن التَّولة تشتمل في أطوار مختلفة وحالات متجددة ، ويكتسب القائمون بها في كل طور خلقاً من أحوال ذلك الطور لا يكون مثله في الطور الآخر ، لأن الخلق تابع بالطبع لمزاج الحال الذي هو فيه . وحالات التَّولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة . 5

الأول: طور الظفر بالبغية<sup>(ب)</sup> وغلب المدافع والممانع<sup>(ب)</sup> ، والاستيلاء على الملك واتراعه من أيدي التَّولة السالفة قبلها . فيكون صاحب التَّولة في هذا الطور أشوة قومه في اكتساب المجد وجباية المال والمدافعة عن الحوزة والحماية ، لا ينفرد دونهم بشيء ؛ لأن ذلك هو مقتضى القصية التي وقع بها القلب ، وهي لم تزل بعد بحالها . 10

الطور الثاني: طور الاستيصاد على قومه والاشفراد دونهم بالملك ، وكنيتهم عن التَّطاول للمساهمة والمشاركة . ويكون صاحب التَّولة في هذا الطور مغنياً باضطناع الرجال واتخاذ الموالى والصنائع ، والاستيكتار من ذلك ، لجذع أنوف أهل عصيته وعشيرته المقايمين له في نسبه ، الضارين في الملك بمثل سهمه . فهو يدايفهم عن الأمر ، ويصدّهم عن موارده ، ويرُدّهم على أعقابهم أن يخلصوا إليه ، حتى يبرّ

(1) كذا ورد عنوان الفصل في كل الأصول ، ومنها الأصل ع ، الذي شطب المؤلف فيه جزءاً من العنوان ، وحوله بخطه كما يلي : فصل في أطوار الدولة وكيف تختلف أحوال أهلها في البداوة باختلاف الأطوار (ب) شطبنا في أصل ع بعد الإتيان .



الأمر في نصابه ، ويُفَرِّدَ أَهْلَ بَيْتِهِ بما يَنْبَغِي من مَجْدِهِ ؛ فَيُعَانِي من مُدَافَعَتِهِمْ وَمُغَالَبَتِهِمْ  
 مثل ما عاناه الأولون في طَلَبِ الأَمْرِ أو أَشَدَّ ؛ لِأَنَّ الأولين دَافَعُوا الأَجَانِبَ ، فَكَانَ  
 ظُهُورُهُمْ - على / \* مُدَافَعَتِهِمْ - أَهْلَ العَصِيَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ ؛ وَهَذَا يُدَافِعُ الأَقَارِبَ وَلَا  
 يَظَاهِرُهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ \*<sup>(١)</sup> إِلَّا الأَقْلَ من الأَبَاعِدِ ، فَيَرَكِبُ صَغْباً من الأَمْرِ<sup>(ب)</sup> .

5 الطُّورُ الثَّالِثُ : طَوْرُ الفَرَاغِ والدَّعَاةِ ، لِتَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ المُلْكِ تَمَّا تَشْرَعُ طِبَاعُ  
 البَشَرِ إِلَيْهِ ، مِنْ تَحْصِيلِ المَالِ ، وَتَحْلِيدِ الآثَارِ ، وَبُعْدِ الصَّبِ ، فَيَسْتَفْرِغُ وَسْعُهُ فِي  
 الحِبَايَةِ وَضَبْطِ الدَّخْلِ وَالحَزْجِ ، وَإِخْصَاءِ التَّفَقَّاتِ وَالقَصْدِ فِيهَا ، وَتَشْيِيدِ المَبَانِي  
 الحَافِلَةِ ، وَالمَصْنَعِ العَظِيمَةِ ، وَالأَنْصَارِ المُتَنَسِّعَةِ ، وَالهَيَاكِلِ المُزْتَفِعَةِ ، وَاجَازَةِ الوُفُودِ مِنْ  
 أَشْرَافِ الأُمَمِ وَوُجُوهِ القَبَائِلِ ، وَبَثِّ المَعْرُوفِ فِي أَهْلِهِ . هَذَا مَعَ التَّوَسُّعِ عَلَى ضَرَائِعِهِ  
 وَحَاشِيَتِهِ فِي أَخْوَالِهِ بِالمَالِ وَالجَاهِ ، وَاعْتِرَاضِ جُنُودِهِ وَإِذْرائِ أَرْزَاقِهِمْ وَإِنْصَافِهِمْ فِي  
 10 أَعْطِيَانِهِمْ لِكُلِّ هِلَالٍ ، حَتَّى يَظْهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَزِيَّهِمْ وَشِكْمَتِهِمْ إِنِ تَامَ  
 الزَّيْنَةُ ، فَيُبَاهِي بِهِمُ الدُّوْلَ المُسَالِمَةَ ، وَيُرْهِبُ الدُّوْلَ المُحَارِبَةَ . وَهَذَا الطُّورُ آخِرُ  
 أَطْوَارِ الاسْتِبْدَادِ مِنْ أَصْحَابِ الدُّوْلَةِ ، لِأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الأَطْوَارِ كُلِّهَا مُسْتَقْبِلُونَ بَارَائِهِمْ ،  
 بَانُونَ لِعِزِّهِمْ ، مُوَضَّعُونَ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَتَعَدَّمُ .

15 الطُّورُ الرَّابِعُ : طَوْرُ<sup>(ج)</sup> الضَّرْعِ وَالمُسَالَمَةِ . وَيَكُونُ صَاحِبُ الدُّوْلَةِ فِي هَذَا  
 قَائِماً بِمَا بَقِيَ أَوَّلُوهُ ، سِلْماً لِأَنْظَارِهِ مِنَ المُلُوكِ وَأَقْنَالِهِ ، مُقْلَباً لِلْمَاضِينَ مِنْ سَلْفِهِ ، فَيَتَّبِعُ  
 آثَارَهُمْ حَذْوَ التَّغْلِ بِالتَّغْلِ ، وَيَقْنِي طَرَفَهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَاجِحِ الاِئْتِدَاءِ ، وَيَرَى أَنَّ فِي  
 الحُرُوجِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ فِسَادَ أَمْرِهِ ، وَأَنَّهُمْ أَبْصَرُ بِمَا بَنَوْا مِنْ مَجْدِهِ .

(١) سقط ما بين النجيين من ي (ب) ي : الأمور (ج) سقط من ع .

الطور الخامس : طور الإسراف والتبذير ، ويكون صاحب الدولة في هذا  
الطور ، مثقلاً لما جمع أولوه في سبيل الشهوات والملذات والكرم على بطانتها وفي  
مجالسها ، واضطناع أخذان السوء وخضراء الدمن ، وتقليد غطيات الأمور  
/ التي لا يستقلون بحملها ، ولا يعرفون ما يأتون ويدرون منها ، مستغنياً لكبار  
5 الأولياء من قومه وصنائع سلفه ، حتى يضطفونوا عليه ، ويتخاذلوا عن نصرته ، مضيعاً  
من جنده بما أثق أعطياتهم في شهواته ، وحجب عنهم وجه مباحثته وتفقده . فيكون  
مخرباً لما كان سلفه يؤسسون ، وهادماً لما كانوا يتنون . وفي هذا الطور تحصل في  
الدولة طبيعة الهرم ، وتستولي عليها المرص المزمع الذي لا تكاد تخلص منه ، ولا  
يكون لها معه برء ، إلى أن تقرر ، كما تبينه في الأحوال التي نسردها . والله خير  
10 الوارئين ﴿ سورة الأنبياء ، من الآية [89] .

## 18 • فصل ، في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أهلها

والسبب في ذلك ، أن الآثار إنما تحدث عن القوة التي بها كانت أولاً ،  
وعلى قدرها يكون الأثر . فمن ذلك مباني الدولة وهياكلها العظيمة ؛ فإنها تكون على  
نسبة قوة الدولة في أهلها ؛ لأنها لا تقيم إلا بكثرة الفعلة ، واجتماع الأيدي على العمل  
15 والتعاون فيه . فإذا كانت الدولة عظيمة فسيحة الجوانب ، كثيرة الممالك والزعايا ، كان  
الفعلة كثيرين جداً وخشروا من آفاق الدولة وأقطارها ، فتم العمل على أعظم  
هياكله .

ألا تَرى إلى مَصْنَع قوم عادٍ وشُود وما قَصَّه القرآنُ عنها. وانظر بالمُشاهدة  
إيوان كِسرى وما افْتَدَر فيه الفُرس، حتَّى إنّه اعترَم الرُّشيدُ<sup>(1)</sup> على هُذمه وتَحْريبه  
فَتَكَادَ عنه، وشرع فيه ثم أدركه العجز؛ وقصّه استِشارته يحيى بن خالد في شأنه  
مُغرّفة. فانظر كيف تُتَدَرُّ دولةٌ على بناءٍ ما لا تُستطيع أخرى على هُذمه، مع بَؤن  
ما بين الهُذم والبناء في السهولة، تُعرَف من ذلك بَؤن ما بين الدُولَتَيْن. وانظر إلى 5  
[119] بلاط الوليد بدمشق، وجامع بني أُميّة بِقُرْبَطَة ، والقَنْطَرَة / التي على واديها ، وكذا  
بناء الحنايا لجلب الماء إلى قَرْطاجَة في القنّاة الزاكية عليها، وآثار شَرْشال بالمغرب،  
والأهرام بِمصر، وكثير من هذه الآثار الماثلة للعينان، تعلم منه اختلاف الدُول في  
القُوّة والضعف .

- 10 واغْلَمْ أَنَّ تلك الأفعال للأقدمين إِنما كانت بالهُندام، واجتماع الفعلة وكثرة  
الأيدي عليها؛ فبذلك شِيدَت تلك الهياكلُ والمصانع. ولا تَوَهَّم ما تَوَهَّمه العامةُ أَنَّ  
ذلك يُعْظَم أجسام الأقدمين عن أجسامنا في أطرافها وأُطْرافها؛ فليس بين البشر  
في ذلك كِبَرٌ بَؤن، كما تَجِدُ بين الهياكل والآثار. ولقد وَلِعَ الفُصَّاصُ بذلك وتغالوا فيه،  
وسَطَروا عن عادٍ وشُود والعابِقة في ذلك أَخْبازا عريفة في الكذب ، من أغْرَبها ما  
يُحْكُون عن عُوج بن عناق ، زجلٍ من [الكِنَعاتَيْن] <sup>(ب)</sup> الَّذِينَ قاتَلَهُمْ بنو إِسرائيلَ 15  
بالشّام؛ رَمَعُوا أَنَّهُ كان لَطولُه يَتناولُ السَّمَك من البخر ويشويه إلى الشَّمْس .  
ويَزيدون إلى تَهْلِهِم بأحوال البشر الجَهْل بأحوال الكواكب، لما اعتقدوا أَنَّ للشَّمْس

(1) ج: في (ب) في ظل ي: العالقة، وفي ج ع مستدركة بحقه في الحاشية .

(1) مروج الذهب 1: 301 (610) .

حرارة وأتتها شديدة فيما قُرب منها، ولا يغلَمون أن الحرَّ هو الصَّوء؛ وأن الصَّوء فيما قُرب من الأرض أكثر، لانعكاس الأشعة من سطح الأرض بمُقابلة الأضواء، فتتضاعف الحرارة هنا لأجل ذلك، وإذا تجاوزت<sup>(1)</sup> مطارح الأشعة المنعكسة فلا حرَّ هناك، بل يكون فيه البرد حيث مجاري السَّحب؛ وإنَّا السَّمْسُ في نفسها لا حارَّة ولا باردة، وإنَّا هو جنسٌ بسيطٌ مُضيء لا مزاج له. وكذلك عوج بن عناق هو فيما ذكروه من العالقة<sup>(ب)</sup> أو من الكنعانيين الذين كانوا قريسةً بني إسرائيل<sup>(ج)</sup> عند فتحيهم الشام، وأطوال بني إسرائيل وجُثمانهم لذلك العهد قريب من هياكلنا؛ يشهد لذلك أبواب بيت المقدس؛ / فإنها وإن خربت وجُدَّت لم تزل المحافظة على أشكالها ومقادير أبوابها. وكيف يكون التفاوت بين عوج وبين أهل عصره بهذا المقدار؟ وإنَّا مثار غلظهم في هذا أنهم استغظمو آثار الأمم، ولم يفقهوا حال الدول في الاجتماع والتعاون، وما يُحصل بذلك وبالهندام من الآثار العظيمة، فصرَّفوه إلى قوَّة الأجسام وشِدَّتْها يعظم هياكلها، وليس الأمر كذلك.

وقد زعم المشعودي<sup>(1)</sup> ونقله عن الفلاسفة مزعمًا لا مُستند له إلا التَّحَكُّم، (وهو)<sup>(2)</sup> أن الطَّبيعة التي هي جيلةٌ للأجسام لما يزاها الله الخلق، كانت في تمام الكثرة ونهاية القوَّة والكمال، فكانت الأغار أطول، والأجسام أقوى، لكمال تلك الطَّبيعة؛ فإنَّ طروء الموت إنَّما هو بانحلال القوَّة الطَّبيعية، فإذا كانت قوَّة كانت الأعمار

(أ): ي: جلوزت (ب): كذا في ط ي ج ل. وفي ع شعلت لفظة العالقة وأبليت في الحاشية بخطه بكلمة "الكنعانيين" وعليها صح (ج): ريمت في ل: لبني إسرائيل (د): ط: وهي.

(1) مروج الذهب 153/2 (924-) ويبدو أنه بسط أقواله في كنبه الأخرى مثل كتاب الرؤوس السبعية، الذي تحدَّث فيه عن علة عظم الأجسام وطول الأعمار (المروج 155/2 / 928).

أُزِيدَ . فكان العالم في أوليته شأنه تام الأغمار كامل الأجسام ، ثم لم يزل يتناقص  
لنقصان المادة إلى أن بلغ هذه الحال التي هو عليها ؛ ثم لا يزال يتناقص إلى وقت  
الانحلال وانقراض العالم . وهذا رأي لا وَجْه له إلا التحكّم كما تراه؛ وليس له  
علة طبيعية ولا سبب برهاني . ونحن نشاهد مساكن الأولين وأبوابهم وطرقهم فيما  
أخذوه من البنيان والهياكل والديار والمساكن ، كديار ثمود المنحوتة في الصلْد من  
الصخر، بيوتًا صغارًا وأبوابًا<sup>(1)</sup> ضيقة . وقد أشار ﷺ إلى أنها ديارهم، ونهى عن  
استيغال مياههم، وطرح ما عُجِنَ به وأهريق، وقال<sup>(2)</sup>: "لا تدخلوا مساكن الذين  
ظلموا أفئسهم، إلا أن تكونوا بأكين أن يُصَيِّتكم ما أصابهم". وكذلك أرض عاد ومضر  
والشام وسائر بقاع الأرض شرقًا وغربًا؛ والحق ما قرّزناه.

ومن آثار الدول أيضًا حالها في الإغراس<sup>(ب)</sup> والولائم ، كما ذكرناه في وليمة  
بوران، وصنيع الحجاج، وابن ذي الثون، وقد مرّ ذلك كله .

[1 120] ومن آثارها أيضًا / عطايا الدول ، وأنها تكون على نسبتها ؛ ويظهر ذلك  
فيها ولو أشرفت على الهرم؛ فإنّ الهمم التي لأهل الدولة تكون على نسبة قوّة ملكهم  
وغلبهم للناس، والهمم لا تزال مصاحبة لهم إلى انقراض الدولة. واعتبر ذلك بجوائز  
ابن ذي يزن لوفد قرينش، كيف أعطاهم من أوطال الذهب والفضة والأغبد والوصاف  
عشرًا عشرًا، ومن كرش العنبر واحدة، وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب.

(أ): ل: وأبوابا (ب): ع: العراسة .

(1) في الصحيحين من حديث الزهري، عن سالم، عن أبيه ابن عمر: البخاري في أحاديث الأنبياء 4: 181  
(3380) و (3881)، ومسلم (2980) (39) من حديث ابن عمر .

وإنما مُلكه يومئذٍ قراره اليمن، خاصة تحت استبداد فارس؛ وإنما حمله على ذلك،  
هجم نفسه بما كان لقومه التبعية من الملك في الأرض، والغلب على الأمم في  
العراقين والهند والمغرب.

5 وكان الصنهاجيتون بإفريقية أيضاً إذا أجازوا الوفد من أمراء زناتة الوافدين  
عليهم، فإنما يُعطونهم المال أخلاً، والكساء نحوًا مفلوءة، والحفلات جنائب عديدة،  
وفي تاريخ ابن الرقيق من ذلك أخبار كثيرة. وكذلك كان عطاء البراميكة وجوايزهم  
وتفانيهم، وكانوا إذا كسبوا مُقدماً فإنما هو الملك والولاية والتعنة آخِر الدهر، لا  
العطاء الذي يستنفذه يوم أو نقض يوم، وأخبارهم في ذلك كثيرة منسورة، وهي  
كلها على نسبة الدول جارية.

10 هذا جوهر الصقلي<sup>(1)</sup> الكاتب فاضل جيش العبيديين، لما انزحل إلى فتح  
مصر، استعد من القروان بألف جليل من المال. ولا تنتهي اليوم دولة إلى مثل هذا.

• (ب) وكذلك وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عملاً بما يُحمل إلى  
يُنت المال ببغداد أيام المأمون، من جميع النواحي، نقلته من كتاب جراب الدولة<sup>(1)</sup>:

(1) كذا منسوبة للصقالية في ط ع ل، وفي ج: الصقلي (ب) هذا العمل أو الوثيقة التالية المصورة بين السجين كانت  
موجودة في المسودة "ع" وقد أشار في السطر الرابع من الصفحة (205) بعلامة تُخرج لها في بطاقة كانت منفردة، ولكنها لا توجد  
الآن، وقد نقلنا عنها نسخ ط ل ج قبل اختفائها، وسقطت من ي. والوثيقة أوردها الجهمياري في كتاب الوزراء والكاتب، مع  
بعض الفروق والتعريف، (ص 281 - 288).

(1) جراب الدولة، اسم كتاب ألفه أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار الكاتب. قاضي طرابلس الشام  
وحاكمها، كان فقيهاً شيعياً عافلاً سديد الرأي، توفي سنة 464هـ. ومنه نقل ابن خلدون هذا النص. ونقل  
منه أيضاً ابن أبي أضيعة بعض أخبار ابن ماسويه (طبقات الأطباء 253). انظر ابن الفرات 8: 77، ابن  
الأنبار (حوادث سنة 464)، 10: 71، النجوم الزاهرة 5: 89، وانظر عن بعض الإيضاحات المهمة  
مصطفى جواد، مجلة العرفان ج 2 ص 33 م 149؛ والسيد محسن الأمين: أعيان الشيعة 5: 217 - 219.

غَلَاثُ السَّوَادِ : سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ ،  
وَتَمَانُونَ أَلْفَ دِزْهِمٍ .

[120 ب] أَبْوَابُ الْمَالِ بِالسَّوَادِ : أَرْبَعَةُ عَشَرَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، / وَتَمَانُمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ .  
وَمِنَ الْحَلَلِ النَّخْرَاتِيَّةِ مِائَتَا حُلَّةً ، وَمِنَ طِينِ الْحَتَمِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ رِطْلًا .

5 كَسْكَرٌ : أَحَدُ عَشَرَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَسِتْمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ  
كُورٌ دِجَلَةٌ : عِشْرُونَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَتَمَانُمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ .  
حُلْوَانٌ : أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَتَمَانُمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ .

الأَهْوَاؤُ : خَمْسَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّةً ، وَمِنَ السُّكَّرِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رِطْلٍ .  
فَارِسٌ : سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، وَمِنَ مَاءِ الْوَزْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ قَارُورَةٍ ،  
وَمِنَ الزَّيْبِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ .

10 كَرْزَمَانٌ : أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمِائَتَا أَلْفَ دِزْهِمٍ ، وَمِنَ الْمَتَاعِ الْبَهَائِيِّ  
خَمْسُمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَمِنَ الثَّمَرِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ . وَمِنَ الْكَمُونِ أَلْفَ رِطْلٍ .  
مُكْرَانٌ : أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّةً .

السُّنْدُ وَمَا يَلِيهِ : أَحَدٌ<sup>(1)</sup> عَشَرَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَخَمْسُمِائَةِ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، وَمِنَ  
الْعُودِ الْهِنْدِيِّ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رِطْلًا .

15 سَيْجِسْتَانٌ : أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمِنَ الثِّيَابِ الْمُعْتَبَةِ ثَلَاثُمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَمِنَ  
الْفَانِيدِ<sup>(ب)</sup> عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ .

(1) ل: عِشْرُونَ (ب) كَذَا بِالْبَالِ فِي آخِرِهَا ، وَفِي اللِّسَانِ بِالْقَالِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحُلِيِّ ، مَثَرَةٌ عَنِ الْفَارَسِيَّةِ .

حُرَّاسَان : ثَمَانِيَّةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ نَقَّرَ الْفِضَّةَ أَلْفَا نَقْرَةً ، وَمَنْ  
الْبَرَّادِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَمَنْ الرُّقِيقَ أَلْفَ رَأْسٍ ، وَمَنْ الْمَتَاعَ سَبْعَةَ وَعِشْرُونَ أَلْفَ  
ثَوْبٍ ، وَمَنْ الْإِهْلِيلَجَ ثَلَاثَةَ آلَافٍ رِطْلٍ .

جُزْجَان : اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ الْإِيرِيسَمَ أَلْفَ شِغَّةً .

5 [قُومِس] <sup>(أ)</sup> : أَلْفَ أَلْفَ ، مَرَّتَيْنِ ، وَخَمْسُمِائَةَ أَلْفَ ، وَمَنْ نَقَّرَ الْفِضَّةَ أَلْفَ .

طَبَرَسْتَان وَالرُّوْيَان وَنَهَاوَنْد : سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفَ ، مَرَّتَيْنِ ، وَثَلَاثُمِائَةَ أَلْفَ ، وَمَنْ  
الْفَرَشَ الطَّبَرِيَّ سِتِّمِائَةَ قِطْعَةٍ ، وَمَنْ الْأَكْسِيَّةَ مِائَتَانِ ، وَمَنْ الْقِيَابَ خَمْسُمِائَةَ ثَوْبٍ ،  
وَمَنْ الْمَنَادِيلَ ثَلَاثُمِائَةَ ، وَمَنْ الْجَامَاتِ ثَلَاثُمِائَةَ .

الرِّيَّ : اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ الْقَسَلَ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ .

10 هَمْدَان : أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفَ دِزْهِمٍ <sup>(ب)</sup> ، مَرَّتَيْنِ ، وَثَمَانُمِائَةَ أَلْفَ ، وَمَنْ رَبِّ الزَّيْمَانِ <sup>(ج)</sup>

أَلْفَ رِطْلٍ . وَمَنْ الْقَسَلَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ .

مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ : عَشْرَةُ آلَافٍ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، وَسَبْعُمِائَةَ أَلْفَ دِزْهِمٍ .

مَاسَبْدَانِ وَالزَّيْمَان : أَرْبَعَةُ آلَافٍ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ .

/ شَهْرُزُور : سِتَّةُ آلَافٍ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ . [121]

15 الْمُوَصِّلُ وَمَا إِلَيْهَا : أَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ أَلْفَ دِزْهِمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمَنْ الْقَسَلَ الْأَبْيَضَ

عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ .

(أ) مِنْ ج ل ، وَفِي ط : قَرَسَ (ب) سَقَطَ مِنْ ج (ج) كُنَّا فِي ط ج ل ، وَلَمَّا جَمَعَ عَاتِي لِلزَّيْمَانِ .



أُذْرِيحَان : أَرْبَعَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ .

الْجَزِيرَةُ وَمَا يَلِيهَا مِنْ أَغْمَالِ الْفُرَاتِ : أَرْبَعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ .

الْكَرْخُ : ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

كِلَانٌ : خَمْسَةُ آلَافِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمِنْ الرِّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ ، وَمِنْ الْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رِيقٍ ، وَمِنْ الْبُرَّةِ عَشْرَةٌ ، وَمِنْ الْأَكْبِيَةِ عِشْرُونَ .

أَرْمِينِيَّةٌ : ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمِنْ الْبُسْطِ الْمَخْفُورَةِ عِشْرُونَ ، وَمِنْ الرُّثْمِ خَمْسُمِائَةِ وَثَلَاثُونَ رِطْلًا ، وَمِنْ الْمَالِخِ السُّورْمَاهِيِّ عَشْرَةُ آلَافِ رِطْلٍ ، وَمِنْ الْكَلْرِجِ عَشْرَةُ آلَافِ رِطْلٍ ، وَمِنْ الْبَغَالِ مِائَتَانِ ، وَمِنْ الْبُرَّةِ ثَلَاثُونَ .

قَنْسَرِينَ : أَرْبَعُمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِنْ الزَّيْبِ أَلْفُ جِلٍّ .

دِمَشْقُ : أَرْبَعُمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

الْأَزْدُ : سِتَّةٌ وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

فِلَسْطِينُ : ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَعَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ ، وَمِنْ الزَّيْبِ ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفِ رِطْلٍ .

مِصْرُ : أَلْفًا أَلْفَ دِينَارٍ ، مَرَّتَيْنِ <sup>(1)</sup> ، وَتِسْعُمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ .

بَرْقَةُ : أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ .

إِفْرِيْقِيَّةٌ : ثَلَاثَةُ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، مَرَّتَيْنِ ، وَمِنْ الْبُسْطِ مِائَةُ وَعِشْرُونَ .

الْيَمَنُ : ثَلَاثُمِائَةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، سِوَى الْمَتَاعِ .

(1) سَطْنُ ح .

الحِجَارُ : ثلاثمائة ألف دينار . انتهى .

وأما الأندلس ، فالذي ذكره الثقات من مؤرخيها ، أن التاجر عبد الرحمن ،  
خلف في يوت أمواله خمسة آلاف ألف ألف<sup>(1)</sup> دينار ، مكررة ثلاث مَرَّات ، يكون  
جُمْلَتُهَا بِالقناطر خمسمائة ألف<sup>(ب)</sup> قنطار .

5 ورأيْتُ في بعض تواريخ الرشيد أن المَحْمُولَ إلى يَنْتِ المال في أيامه سبعة  
آلاف قنطار وخمسمائة قنطار في كل سنة . وكذلك وُجِدَ للأفضل أمير الجيوش<sup>(ج)</sup>  
المُسْتَبَدُّ على العبيدين بمصر عندما قُتِل ، ستمائة ألف دينار مكررة مَرَّتَيْنِ ، ومائتان  
وخمسون إزدباً من الدراهم ، / وما يُنَاسِبُ ذلك من الأقمشة والأمتعة والفصوص [121 ب]  
واللآلئ . ذكر ذلك ابن خلكان<sup>(1)</sup> في تاريخه<sup>(د)</sup> .

10 [وأما دولة العبيدين ، فرأيْتُ في تاريخ ابن خلكان عندما ذكر الأفضل  
أمير الجيوش بن بدر الجمالي المُسْتَبَدُّ على خلفائهم بمصر ، أنه لما قُتِل ، وُجِدَ في  
خزائنه ستمائة ألف دينار مكررة مَرَّتَيْنِ ، ومائتان وخمسون إزدباً من الدراهم ،  
وما يُنَاسِبُ ذلك من ذخائر الفصوص واللآلئ والأقمشة والأمتعة والمراكب  
والظهور .

(أ) ج: مَرَّتَيْنِ (ب) سقط من ج (ج) سقط من ط (د) إلى هنا تنهي الوثيقة والإضافة التي ضاعت من نسخة "ع"  
وسقطت من نسخة ي .

(1) وفيات الأعيان 2 : 451 ويُعيد ذكره في الإضافة المستدركة تالياً ، وما ورد فيها عن مخلف الأفضل نقله  
ابن خلكان من أخبار الدول المنقطعة لابن ظافر الأزدي 1 : 239 .

وأما هذه الدُّولُ الحادثة التي أذكرناها، فأعظمها ذُولة التَّرك بمصر، وكان  
استيفُحُها أَيْامُ النَّاصرِ مُحَمَّدِ بْنِ قُلاوُونٍ مِنْهُمْ. وَغَلَبَ عَلَيْهِ لِأَوَّلِ ذُلُولِهِ الْأُمِيرَانُ:  
يَبْرِسَ وَسَلارَ، ثُمَّ خَلَعَهُ يَبْرِسَ وَاسْتَبَدَّ بِكَرْسِيَّتِهِ، وَسَلارَ زَدِيْقٌ لَهُ.

فَلَمَّا اتَّرَعَ النَّاصِرُ الْمَلِكُ مِنْ يَدِهِ، نَكَبَ بِقَدِّ مُدَّةِ رَدِيْقِهِ سَلارَ، وَاسْتَنْصَفَى  
ذَخِيرَتَهُ. فَوْقَتْ عَلَى جَرِيْدَةِ إِحْصَائِهَا، وَمِنْهَا نَقَلْتُ:

5 من الياقوت<sup>(1)</sup> البهْرمان والبلخش<sup>(2)</sup>، أَرْبَعَةُ أَرْطالٍ وَنِصْفٍ .  
وَمِنْ الزَّمَرْدَ تَشْعَةً عَشَرَ رَطْلًا .

وَمِنْ قُصُوصِ مَابِسَ وَعَيْنِي هِرَّ، ثَلَاثُمِائَةِ قِطْعَةٍ كَبَارٍ .

وَمِنْ الْقُصُوصِ الْمُخْتَلَفَةِ رِطْلَانٍ .

10 وَمِنْ اللَّوْلُؤِ الْمُدَوَّرِ مِنْ زَبَّةٍ مَبْتَقَالٍ إِلَى دِزْهِمٍ، أَلْفٌ وَمِائَةٌ وَخَمْسُونَ حَبَّةً .

وَمِنْ الذَّهَبِ الْعَيْنِ، أَلْفٌ أَلْفٌ دِينَارٍ مُكَرَّرًا مَرَّتَيْنِ، وَأَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ مَرَّةً؛ وَفَسْفِيَّتُهُ  
مَفْلُوءَةٌ بِالذَّهَبِ ضَبِيْبًا .

وَأَكْيَاشُ مَفْلُوءَةٌ ذَهَبًا اسْتُخْرِجَتْ مِنْ بَيْنِ حَائِطَيْنِ وَلَمْ يُعْلَمْ عَدَّتُهَا .

وَمِنْ الدَّرَاهِمِ أَلْفًا أَلْفًا، اثْنَانِ مُكَرَّرًا مَرَّتَيْنِ، وَأَحَدٌ (كُنَا) وَسَبْعُونَ أَلْفًا. وَمِنْ الْحَلِيِّ

15 الْمِصْبَاحِ، أَرْبَعَةُ قَنَاطِيرٍ .

---

(1) يَذْكُرُ الْبِيْرُونِيُّ أَنَّ أَحْمَدَ الرَّمَانيَّ ثُمَّ الْبَهْرَمَانِيَّ. (الْجَاهِرُ 33) وَيَذْكُرُ بَيَاءَ النَّسَبَةِ وَبَهِرَهَا. وَلَوْ أَنَّ الْبَهْرَمَانَ  
هُوَ الصَّبْغُ الْحَالِصُ الْحَاصِلُ عَنِ الْقُضْفَرِ دُونَ صُفْرَةٍ. (ابْنُ الْأَكْثَامِيِّ: نَحْبُ الدَّخَانِ 3) وَفِي النِّسْخَةِ  
الْتِمْيُزِيَّةِ 98 أ: الْيَاقُوتُ الْهَرْمَانُ، خَطَأً.

(2) الْبَلْخَشُ Spinelle: حَجَرٌ يَضَاهِي الْيَاقُوتَ فِي لَوْنِهِ، وَلَكِنْ دُونَهُ فِي الصَّلَابةِ (نَحْبُ الدَّخَانِ 14-).  
انْظُرِ التَّنْوِيخِي: نَشْوَارُ الْمَحَاضِرَةِ 2: 113، ابْنُ الْوَرْدِيِّ: خَرِيْدَةُ الْعِجَابِ 171، وَعَنْ مَوْطِنِهِ، انْظُرِ يَاقُوتُ:  
مَعْجَمُ الْبَلْبَانَ 1: 360 .

إلى ما يُناسبُ ذلك من الأقمشة والأمتعة والمراكب والظَّهَر والغلال  
والمواشي والمالِك والجواري والعقار .

وتغدها دَوْلَة بَنِي مَرِين بِالْمَغْرِبِ الْأَقْصَى ، وَقَفَّتْ عَلَى جَرِيدَةٍ فِي خِزَانَةِ  
مُلُوكِهِمْ ، بِحِطِّ صَاحِبِ الْمَالِ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ مِنْهُمْ ، أَنَّ مُخْلَفَهُ كَانَ بَنِيَتْ  
5 مَالَهُ سَبْعِمِائَةَ قِنْطَارٍ وَتَيْفٍ مِنْ دَنَانِيرِ الذَّهَبِ ، وَكَانَ فِي مَوْجُودِهِ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ  
مِمَّا يَنْسَبُهُ . وَكَانَ لِلْسُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ ، ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ ، أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ . وَلَمَّا  
اسْتَوَلَى عَلَى يَلْمَسَانَ وَجَدَ فِي دَخَانِرِ سُلْطَانِهَا أَبِي تَائِشِيغِينَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ ،  
ثَلَاثِمِائَةَ قِنْطَارٍ مِنَ الذَّهَبِ ، مَا بَيْنَ مَشْكُوكٍ وَمُصَاغٍ ، إِلَى مَا يَنْسَبُ ذَلِكَ تَمَّ سِوَاهُ .

وَأَمَّا مُلُوكُ إِفْرِيقِيَّةٍ مِنْ بَقِيَّةِ الْمُوحِدِينَ ، فَأَدْرَكْتُ السُّلْطَانَ أَبَا بَكْرٍ تَائِغَ  
10 مُلُوكِهِمْ وَقَدْ تَكَبَّ قَائِدَهُ وَأَتَاكَ عَسَاكِرُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكِيمِ ، فَاسْتَضَفَى مِنْهُ أَرْبَعِينَ  
قِنْطَاراً مِنْ دَنَانِيرِ الذَّهَبِ ، وَمِكِيلَةً مُدٍّ مِنَ الْفُصُوصِ وَاللَّالِيَةِ . وَنُهَبَ مِنْ فَرَشِ بُيُوتِهِ  
قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ . وَاسْتَضَفَى لَهُ مِنَ الْعَقَارِ وَالْمُتَمَلَكَاتِ مِثْلَهُ .

وَحَضَرْتُ بِمَضْرُ أَيْامِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَبِي سَعِيدٍ بَرْقُوقِ ، الْمُسْتَوَلِيِّ عَلَى دَوْلَةِ  
بَنِي قَلَاوُونَ مِنْهُمْ ، وَقَدْ تَكَبَّ أَسْتَاذُ دَارِهِ الْأَمِيرُ مُحَمَّدٌ وَصَادَرَهُ . فَأَخْبَرَنِي مَتَوَلِّي  
15 مُصَادَرَتِهِ أَنَّ مَبْلُغَ مَا اسْتَضَفَى مِنْهُ مِنَ الذَّهَبِ ، أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً مَرَّتَيْنِ ،  
وَسِتِّمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً مَرَّةً . وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَقْمِشَةِ وَالْمَرَائِكِبِ وَالظَّهَرِ  
وَالْأَنْعَامِ وَالْغِلَالِ ، فَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ .<sup>(1)</sup>

(1) مَا بَيْنَ الْحَاصِرَتَيْنِ انْفَرَدَتْ بِهِ نَسْخَةُ ج ، وَقَدْ سُجِّلَ عَلَى بَطَاقَةٍ بِوَسْطِهَا تَحْمِلُ رَقْمَ 80 مِنْ أَزْوَاقِ الْمَحْطُوطِ  
الْمُسْتَسْلَسَةِ ، وَهُوَ بِحِطِّ ابْنِ الْفَخَّارِ كَاتِبِ النُّسخَةِ نَفْسَهَا ، وَفِي مَوْقِعِهَا مِنْ نَسْخَةٍ عِشْرَةَ أَشْرَافِ الْخَرْجِ ، الَّتِي =

فاعتبر ذلك في ينسب الدول بغضها من بغض، ولا تُكبر ما ليس بمعهود  
عندك ولا في عَصْرِكَ من أمثاله، فتصيقُ خوصلتك عن مُلتَقَطِ<sup>(أ)</sup> المُكَبَّات. فكثير  
من الخواص إذا سمعوا أمثال هذه الأخبار عن الدول السالفة بادّر بالإنكار؛ وليس  
ذلك من الصواب؛ فإن أحوال الوجود والغفران متفاوتة، ومن أدرك منها رُبَّة سُفلى  
أو وَسْطى فلا يَحْصُرُ المَدَارِكُ كُلَّهَا فيها. ونحن إذا اعتبرنا ما يُنْقَلُ لنا عن دولة بني  
العباس وبني أُمَيَّة والعبيديين، قايَسنا الصَّحِيح من ذلك والذي لا تُشكُّ فيه، والذي  
نُشَاهِدُه من هذه الدول التي هي أقلُّ بالنسبة إليها، وَجَدْنَا بَيْنَهَا بوناً؛ وهو لما يَنبَغُ  
من التَّفَاوُتِ في أَضَلِّ قُوَّتِهَا وعُمران مَمَالِكِهَا. فالآثارُ كُلُّهَا جاريةٌ على نسبة الأضل في  
القُوَّةِ كما قَدَّمْنَاهُ؛ ولا يَسَعُنَا إِنْكَارُ ذلك عنها، إذ كثيرٌ من هذه الأخوال في غاية  
الشُّهُرَةِ والوُضُوح، بل فيها ما يَلْحَقُ<sup>(ب)</sup> بالمُسْتَقْبِضِ والمُتَوَاتِرِ، وفيها المَعَانِي والمُشَاهِدُ  
من آثار البناء وغيره. فخذ من الأخوال المُنْقُولَةِ مراتب الدول في قُوَّتِهَا أو ضَعْفِهَا  
وَصَفَاتِهَا أو صِغَرِهَا .

واعتبر ذلك بما نُقَصُّهُ عليك من هذه الحكاية المُسْتَظَرَّة<sup>(ج)</sup>؛ وذلك أنه ورد  
على المَغْرِبِ لَهْدُ السُّلْطَانِ أَبِي عِيْنَانَ من مُلُوكِ بَنِي مَرْين، رَجُلٌ من مَشِيخَةِ طَنْجَةَ،  
يُعرفُ بِابْنِ بَطْلُوطَةَ، كان رَجُلٌ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً قَبْلَهَا إلى المَشْرِقِ، وَتَقَلَّبَ في بِلَادِ  
15

(أ) ل: تَلَقَّطَ (ب) كلمة غير واضحة في ع (ج) ع: المستطرة .

= ألحق بها بلا شك، ثم قُفِدَ مؤخراً بعد جادى الآخرة سنة 1140هـ، تاريخ نسخة أحمد تيمور (355 تاريخ  
بدار الكتب المصرية) حيث نجد بها النص نفسه (الورقة 198)، علماً بأنها نسخة منقولة عن أصل عاطف  
رقم 1936 .

العراق واليمن والهند، ودخل مدينة دلي حاضرة ملك الهند<sup>(1)</sup> وهي فيروزجوه،  
 واتصل بملكها لذلك العهد<sup>(2)</sup> وهو السلطان محمد شاه، وكان له منه مكان، واستغفله  
 في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمله، ثم / انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان [122 أ]  
 أبي عنان، وكان يحدث عن شأن رحلته وما رأى من العجائب بمالك الأرض؛ وأكثر  
 5 ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند، (ويأتي من أخواله بما يستغفريه السامعون ،  
 مثل<sup>(3)</sup> أن ملك الهند<sup>(ب)</sup> إذا خرج إلى السفر أحصى أهل مدينته من الرجال  
 والنساء والولدان ، وفرض لهم رزق ستة أشهر تدفع لهم من عطائه، وأنه عند  
 رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافة إلى ضراء البلد  
 ويطوفون به، ويُنصب أمامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمي بها شكائر  
 10 الثرأهم والدنانير على الناس، إلى أن يدخل إيوانه، وأمثال هذه الحكايات، فتناجي  
 الناس في الدولة بتكذيبه. ولقيت أنا يومئذ في بعض الأيام وزير السلطان فارس بن  
 وذرار البعيد الصيت، ففاوضته في هذا الشأن، وأزيته إنكار أخبار ذلك الرجل، لما  
 استفاض في الناس من تكذيبه. فقال لي الوزير فارس: إياك أن تستنكر مثل هذا  
 من أخوال الدول، بما أنك لم تره، فتكون كائن الوزير التاشي بالسجن؛ وذلك أن

(1) في الأصل ع علامة مخرج بعد كلمتي الهند، والعهد، وفي الطرة ثمنان: "وهو السلطان محمد شاه"، وهي فيروزجون، غير  
 متبنتين لعلامة الإخراج، فبادلت النسخ كلها موضع الحاشيتين، وقد أوضح المؤلف بخطه هذا الارتباك في نسخة ل وحدها  
 (ب) سقط من ط وحدها .

(2) في الرحلة، أن السلطان أمر بنفقة ستة أشهر لأهل دهلي (دلي) بمناسبة التحط والغلاء والجماعة التي  
 استمرت سبع سنوات، بدءاً من عام 736هـ (تحفة النظار 3: 184، 222- ) وفي نص ابن خلدون تفاصيل  
 ليست في الرحلة .

وزيراً اغتقله سلطانه، ومكث في السجن سنين زبي فيها ابنه في ذلك المخبس، فلما أدرَكَ وعَقَلَ، سأل عن اللّخّان الّتي يَغْتَندي بها، فإذا قال له أبوه: هذا لحم الغنم، يقول: وما الغنم؟ فيصِفُها له أبوه بشيائنها ونعوتها؛ فيقول: يا أبت، شَراها مثل الفأر، فيُنكر عليه ويقول: أئن الغنم من الفأر؟ وكذا في لحم البقر والإبل، إذ لم يُعائِن في مخبسه إلا الفأر، فيحسِبُها<sup>(1)</sup> كلّها أبناء جنس الفأر. وهذا كثيراً ما يَغْتري 5 الناس في الإخبار، كما يَغْتريهم الوسواس في الزيادة عند قُصْد الإغراب كما قدّمناه أوّل الكتاب.

فليرجع الإنسان إلى أصوله، وليكن مهتماً على نفسه، ومُميّزاً بين طبيعة الممكن والمُتَنَبِّع بصرح عقله ومُسْتَقِيم فطرته؛ فما دَخَلَ في نطاق الإمكان قبله، وما خَرَجَ عنه رَفَضَهُ. وليس مرادنا الإمكان العقلي المطلق، فإن نطاقه أوسع شيء، فلا 10 يُفرض حدّاً بين الواقعات؛ وإنّا مرادنا الإمكان بحسب المادّة الّتي للشيء؛ فإذا نَظَرْنَا أصل الشيء وجنسه وقضه ومقدار عظمه وقوّته، أجرنا الحكم من نسبة ذلك على أخواله، وحكّمنا بالامتناع على ما خَرَجَ عن نطاقه. ﴿وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [سورة طه، من الآية 114].

(1) ع: غيبها .

## 19 • فَضْلٌ ، فِي اسْتِظْهَارِ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ عَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِ عَصِيَّتِهِ بِالْمَوَالِي وَالْمُصْطَفَعِينَ

اَعْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ الدَّوْلَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ أَمْرُهُ - كَمَا قُلْنَا - بِقَوْمِهِ ، فَهُمُ عِصَابَتُهُ  
وُظْهَرَاؤُهُ عَلَى شَأْنِهِ ، وَبِهِمْ يُقَارِعُ الْخَوَارِجَ عَلَى ذَوْلَتِهِ ، وَمِنْهُمْ أَمِنْ<sup>(١)</sup> يُقْلَدُ أَعْمَالَ  
5 مَمْلَكَتِهِ وَوِزَارَةَ ذَوْلَتِهِ وَجَبَايَةَ أَمْوَالِهِ ، لِأَنَّهُمْ أَغْوَاهُ عَلَى الْقَلْبِ ، وَشَرَكَاهُ فِي الْأَمْرِ ،  
وَمُسَاهِمِيهِ فِي سَائِرِ مُهَمَّاتِهِ ؛ هَذَا مَا دَامَ الظُّورُ الْأَوَّلُ لِلدَّوْلَةِ كَمَا قُلْنَا . فَإِذَا جَاءَ  
الظُّورُ الثَّانِي وَظَهَرَ الْاسْتِبْدَادُ عَنْهُمْ وَالْانْفِرَادُ بِالْمَجْدِ ، وَدَافَقَهُمْ عَنْهُ بِالزَّحاحِ ، صَارُوا  
فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ مِنْ بَغْضِ أَغْدَائِهِ ، وَاجْتِنَاحِ فِي مُدَافَقَتِهِمْ عَنِ الْأَمْرِ وَضَدِّهِمْ عَنِ  
الْمُشَارَكَةِ إِلَى أَوْلِيَاءِ آخَرِينَ مِنْ غَيْرِ جِلْدَتِهِمْ يَسْتَنْظِرُ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَيَتَوَلَّاهُمْ دُونَهُمْ ،  
10 فَيَكُونُونَ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ سَائِرِهِمْ ، وَأَخْصَّ بِهِ قُرْبًا وَاضْطِنَاعًا ، وَأَوَّلَى إِشَارًا وَجَاهًا ،  
لَمَّا أَنَّهُمْ يَسْتَبْتِمُونَ دُونَهُ فِي مُدَافَعَةِ قَوْمِهِ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ ، وَالرِّثَةِ الَّتِي أَلْفَوْهَا  
فِي مُشَارَكَتِهِمْ ؛ فَيَسْتَخْلِصُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ وَيُخَصِّصُهُمْ بِمَزِيدِ التَّكْرِمَةِ وَالْإِثَارِ ،  
وَيُقْسِمُ لَهُمْ مِثْلَ مَا لِلْكَثِيرِ مِنْ قَوْمِهِ ، وَيُقْلَدُهُمْ جَلِيلَ الْأَعْمَالِ وَالْوِلَايَاتِ ، مِنْ الْوِزَارَةِ  
وَالْقِيَادَةِ وَالْجَبَايَةِ وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ لِنَفْسِهِ ، وَيَكُونُ خَالِصَةً لَهُ دُونَ قَوْمِهِ مِنْ أَلْقَابِ  
15 الْمَمْلَكَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ أَوْلِيَاؤُهُ الْأَقْرَبُونَ / وَنُصَحَاؤُهُ الْمُخْلِصُونَ . وَذَلِكَ حِينَئِذٍ مُؤَذَّنٌ [١٢٣] أ

الغلب عليها ، ومَرَضِ قُلُوبِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ مِنَ الْاِمْتِنَانِ وَغَدَاوَةِ السُّلْطَانِ ،

(١) سقط من ظ .



فيضطّعون عليه، ويترّصون به التّوائن، ويعودُ وبالأُ ذلك على التّولة، ولا يُطمَعُ في  
بُزّها من هذا الدّاء، لأنّه ما مضى يتأكّد في الأعقاب إلى أن يذهبَ رُسْمُها.

واغتَيز ذلك في ذُولة بتي أميّة، كيف كانوا إنّما يَسْتَظْهرون في حُرُوبهم  
وولاية أَعْمَالهم برجال القُرب، مثل عُمر بن سَعْد بن أبي وقاص، وعُتَيْد الله بن  
زياد بن أبي سفيان، والحجّاج بن يوسف، والمُهَلَّب بن أبي صُفْرة، وخالد بن عبد الله 5  
القُسَيري، وابن هُبَيْرَة، وموسى بن نُصَيْر، وبلال بن أبي بَرْدَة بن أبي موسى الأشْعرِي،  
ونُصْر بن سَيّار، وأمثالهم من رجالات القُرب. وكنا صُدْرًا من ذُولة بتي العبّاس، كان  
الاستظهار فيها أيضًا برجالات القُرب؛ فلَمّا صارت التّولة للانفراد بالمجد، وكَبِخ  
القُرب عن التّطاؤل للولايات، صارت الوِزارَةُ للعَجَم، والصّنائع من البرامكة، وبي  
سهل بن نُوخْت، وبي طاهر<sup>(أ)</sup>، ثمّ بتي بُونَه، وموالي التُّرك، مثل: بَغَا، ووَصِيف، 10  
وأنامش، وإيّاك<sup>(ب)</sup>، وابن طولون، وأبنائهم<sup>(ج)</sup>، وغير هؤلاء من موالِي العَجَم؛  
فتَصِيرُ التّولة لغير من مَهْدَها، والعُرُ لغير من اجْتَلَبَها؛ سُنّة الله في عِباده.

## 20 • فَضْلٌ، فِي أَحْوالِ المَواليِ والمُصْطَلَعين فِي الدُّوَلِ

اعْلَمْ أَنَّ المُصْطَلَعين فِي التّوَل يَتَفَاوَتون فِي التّولة بِتَفَاوُت قَدِيمهم وَحَدِيثهم فِي  
الانْتِهاج بِصَاحِبِها، والسَّبَب فِي ذلك، أَنَّ المُقْصودَ فِي العَصِيّة من المَدافعةِ والمُخَالَبةِ 15  
[123 ب] إنّما يَمَّ بِالسَّبَب، / لأجل التَّنَاصُر فِي ذَوِي الأَرْحامِ والقُرْبى، والتَّخادُل فِي الأَجابِ

(أ) سقط من ج ي (ب) كنا في الأصول . وعند الطبري : بابك (ج) ي : وانما لم .

والبقاء كما قدمناه. والولاية والمخالطة بالرق أو بالجلف يتنزل منزلة ذلك؛ لأن أمر النسب وإن كان طبيعياً فإنما هو وهمي، والمعنى الذي كان به الالتحام إنما هو العشرة والمزاقمة وطول الممارسة، والصحة بالمزني والرضاع وسائر أحوال المؤب والحياة؛ وإذا حصل الالتحام بذلك جاءت الثغرة والتناصر، وهذا مُشاهد بين الناس.

5 واعتبر مثله في الاضطناع؛ فإنه يُحدث بين المضطنع ومن اضطنعه نسبة خاصة من الوضلة، تنزل هذه المنزلة وتؤكد اللحمة؛ وإن لم يكن نسب فمراث النسب موجودة.

فإذا كانت الولاية بين القبيل وبين أوليائهم قبل حصول الملك لهم، كانت عروفتها أوضح، وعقائدها أصح، ونسبها أصرح، لو تخمين :

10 أحدهما أنهم قبل الملك أسوة في حالهم، فلا يتميم النسب عن الولاية إلا عند الأقل منهم، فيتناولون منهم منزلة ذوي قُرباهم وأهل أرحامهم. وإذا اضطنعوهم بعد الملك كانت مرتبة الملك مميزة للسيد عن المؤلى، ولأهل القرابة عن أهل الولاية والاضطناع؛ لما تقتضيه أحوال الرئاسة والملك من تمييز الرتب وشاؤمها، فتميز حالهم ويتناولون منزلة الأجانب، ويكون الالتحام بينهم أضعف والتناصر 15 لذلك أبعد، وذلك أقص من الاضطناع قبل الملك.

الوجه الثاني : أن الاضطناع قبل الملك يُبعد أهله عن التولية بطول الزمن، ويخفي شأن تلك اللحمة، ويظهر بها في الأكثر النسب فيعوي حال العصبية. وأما بعد الملك، فيقرب العهد ويستوي في معرفته الأكثر، فتتبين اللحمة وتتميز عن النسب، فتضعف العصبية / بالنسبة إلى الولاية التي كانت قبل التولية.

واعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ وَالرَّئِاسَاتِ نَجْدَهُ. فَكُلُّ مَنْ كَانَ اضْطِنَاعُهُ قَبْلَ  
 حُصُولِ الرِّئَاسَةِ وَالْمُلْكِ لِمُضْطَنَعِهِ نَجْدَهُ أَشَدَّ لِحَاماً بِهِ، وَأَقْرَبَ قَرَابَةً إِلَيْهِ، وَيَتَنَزَّلُ  
 مِنْهُ مَنْزِلَةٌ أَبْنَانُهُ وَإِخْوَانُهُ وَذَوِي رَجَمِهِ. وَمَنْ كَانَ اضْطِنَاعُهُ بَعْدَ حُصُولِ الْمُلْكِ أَوْ  
 الرِّئَاسَةِ لِمُضْطَنَعِهِ، لَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَاللُّحْمَةِ مَا لِلأَوَّلِينَ. وَهَذَا مِشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ؛  
 حَتَّى أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي آخِرِ أَمْرِهَا تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَجَانِبِ وَاضْطِنَاعِهِمْ، وَلَا يَبْتَنِي 5  
 لَهُمْ مَجْدٌ كَمَا بَنَاهُ الْمُضْطَنَعُونَ قَبْلَ الدَّوْلَةِ، لِقُرْبِ الْعَهْدِ حِينَئِذٍ بِأَوْلِيَّتِهِمْ، وَمُشَارَفَةِ<sup>(1)</sup>  
 الدَّوْلَةِ عَلَى الْإِقْرَاضِ، فَيَكُونُونَ مُنْخَطِطِينَ فِي مَهَاوِي الضَّعْفِ. وَإِنَّمَا يَجْعَلُ صَاحِبُ  
 الدَّوْلَةِ عَلَى اضْطِنَاعِهِمْ وَالْعُدُولِ إِلَيْهِمْ عَنْ أَوْلِيَّائِهَا الْأَقْدَمِينَ وَضَائِعِهَا الْأَوَّلِينَ، مَا  
 يَغْتَرِبُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعِزَّةِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَقَلَّةِ الْخُضُوعِ لَهُ، وَنَظَرُهُ بِمَا يَنْظُرُهُ  
 بِهِ قَبِيلُهُ وَأَهْلُ نَسَبِهِ، لِتَأَكِّدِ اللَّحْمَةَ مُنْذُ الْغُصُورِ الْمُتَطَوِّلَةِ بِالْمَرْزِي، وَالْإِتِّصَالِ بِآبَائِهِ 10  
 وَسَلَفِ قَوْمِهِ، وَالِاتِّظَامِ مَعَ كِبَرَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ فَيَخْضَلُ لَهُمْ بِذَلِكَ دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَاعْتِرَازٌ؛  
 فَيُنَافِزُهُمْ بِسَبْتِهَا صَاحِبُ الدَّوْلَةِ، وَيَغْدِلُ عَنْهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ سِوَاهُمْ؛ وَيَكُونُ عَهْدُ  
 اسْتِخْلَاصِهِمْ وَاضْطِنَاعِهِمْ قَرِيباً، فَلَا يَتَلْعَوْنَ رُتَبَ الْمَجْدِ، وَيَتَّقُونَ عَلَى حَالِهِمْ مِنَ  
 الْخَارِجِيَّةِ.

وهكذا شأنُ الدُّوَلِ فِي آخِرِهَا. وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ اسْمُ الصَّنَائِعِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى 15  
 الْأَوَّلِينَ؛ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمَخْذُونُونَ فَحَدَمٌ وَأَغْوَان. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران،  
 من الآية 68].

(1) فِي حَاشِيَةِ عِ بَحْثِهِ : إِشْرَاف .

21 • فصلٌ، فيما يعرض في الدُّول من حَجَرِ السُّلطان والاسْتِبدادِ عَلَيْهِ

إذا اسْتَقَرَّ الْمُلْكُ في نِصابِ مُعَيَّنٍ وَمُنْتَبِ واحدٍ من الْقَبِيلِ / القائمين [124 ب]  
بالْبُدْلةِ، وانْقَرَدُوا به ودَفَعُوا سائرَ الْقَبِيلِ غنَه، وتداوَلَهُ بنوهم واحدًا بقَد واحدٍ  
بِحَسَبِ التَّرْشِيحِ، فربَّما حَدَثَ <sup>(أ)</sup> التَّغْلُبُ على الْمُنْصَبِ من وُزَرَاءِهِمْ وحاشيتِهِمْ. وسَبَّكِهِ  
5 في الْأَكْثَرِ ولايةً صَبِيٍّ صَغِيرٍ أو مُضَعَّفٍ من أَهْلِ الْمُنْتَبِ، يَتَرَشَّحُ لِلولايةِ بَعْدَ أَبِيهِ، أو  
بِتَرْشِيحِ ذَوِيهِ وَخَوَلِهِ، وَيُؤَنَسُ مِنْهُ الْعِزُّ عن الْقِيَامِ بِالْمُلْكِ، فيقومُ به كإِفْلِهِ من وُزَرَاءِ  
أَبِيهِ أو حاشيتِهِ ومَوَالِيهِ أو قَبِيلِهِ، وَيُوزَرِّي بِحِفْظِ أَمْرِهِ عَلَيْهِ؛ حَتَّى يُؤَنَسَ مِنْهُ الْاسْتِبدادُ،  
وَيَجْعَلَ ذَلِكَ ذُرْعَةً لِلْمُلْكِ. فينْجِبُ الصَّبِيَّ <sup>(ب)</sup> عن التَّاسِ، وَيَعُوْذُهُ اللَّذَاتِ الَّتِي  
يَذْعُوهُ إِلَيْهَا تَرْفُ أخْوالَهُ، وَيُسِمُهُ في مَرَاعِيهَا مَتَى أَمَكْنَهُ، وَيُسِيهِه النَّظَرُ في الْأُمُورِ  
10 السُّلْطَانِيَّةِ، حَتَّى يَسْتَبْدَّ عَلَيْهِ. وهو بما عَوَّذَهُ يَتَعَدَّى أَنْ حَظَّ السُّلْطَانُ من الْمُلْكِ إِنَّمَا هو  
مُجْلُوسُ السَّرِيرِ، وإِعْطَاءُ الصَّفَقَةِ، وَخِطَابُ التَّمْوِيلِ، والقُعُودُ مع النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ،  
وَأَنْ الْحُلَّ والعَقْدَ والأَمْرَ والنَّهْيَ وَمُبَاشَرَةَ الْأَحْوالِ الْمُلْكِيَّةِ وَتَقْضُودَهَا، من النَّظَرِ في الْجَيْشِ  
وَالْمَالِ والتَّغَوُّرِ، إِنَّمَا هو لِلْوَزِيرِ؛ وَيُسَلِّمُ لَهُ في ذَلِكَ إلى أَنْ تَسْتَحْكَمَ لَهُ صِبْغَةُ الرِّئَاسَةِ  
والاسْتِبدادِ، وَيَتَحَوَّلُ الْمُلْكُ إِلَيْهِ، وَيُؤَثِّرُ به عَشِيرَتُهُ وَأَبْنَاءُهُ مِنْ بَعْدِهِ. كما وَقَعَ لِبَنِي بُوَيْهِ،  
15 وَالتُّرْكِ، وكافُورِ الْإِخْشِيدِيِّ، وَغَيْرِهِم بِالْمَشْرِقِ، وَلِلْفُتُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ.

وقد يَنْفُظُنْ ذَلِكَ الْمَحْجُوزُ الْمَغْلَبُ لَشَأْنِهِ، فيَحَاوِلُ على الْخُرُوجِ مِنْ رِقَّةِ  
الْحَجَرِ والاسْتِبدادِ، وَيَرْجِعُ الْمُلْكُ إلى نِصَابِهِ، وَيَضْرِبُ على يَدِ التَّغْلِبِ عَلَيْهِ؛ إِنَّمَا

(أ): ل: خضل (ب): ع: للصبي .

بَقْلٍ أَوْ يَدْفَعُ عَنِ الرَّيْثَةِ فَقَطْ؛ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ فِي التَّادِيرِ الْأَقْلَى، لِأَنَّ التَّوَلَّى إِذَا أَخَذَتْ فِي تَغْلِبِ الزُّرَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَمَرَّ لَهَا ذَلِكَ، وَقُلُّ أَنْ تَخْرُجَ عَنْهُ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَوْجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنِ أَحْوَالِ / التَّرَفِ، وَنَشَأَةِ أَبْنَاءِ [الْمَلِكِ] <sup>(1)</sup> مُنْغِيسِينَ فِي نَعِيمِهِ، قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرِّجُولَةِ، وَأَلْفُوا أَخْلَاقَ الدَّيَّاتِ وَالْأَطْطَارِ وَرَبُّوا عَلَيْهَا، فَلَا يَنْزِعُونَ إِلَى رِئَاسَةٍ، وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِبْدَادًا مِنْ تَغْلِبِ، إِنَّمَا هُمْ فِي الشُّوعِ بِالْأَيْمَةِ وَالتَّقَنُّ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْوَاعِ التَّرَفِ. 5

وهذا التغلب يكون للموالي والمضطعين عند استبداد عَشِيرِ الْمَلِكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَانْفِرَادِهِمْ بِهِ دُونِهِمْ. وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ ضَرُورِيٌّ كَمَا قَدَّمَاهُ. وَهَذَانِ مَرْضَانِ لَا بَرَّةَ لِلدَّوْلَةِ مِنْهَا إِلَّا فِي الْأَقْلَى التَّادِيرِ. وَاللَّهُ يُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ يَشَاءُ.

22 • فَضْلٌ، فِي أَنْ التَّغْلِبِينَ عَلَى السُّلْطَانِ لَا يُشَامِرُ كَوْنَهُ فِي الْقَبْلِ الْخَاصِ بِالْمَلِكِ

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ خَصَلَ لِأَوَّلِهِ مَذْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ، بِعَصِيَّةِ قَوْمِهِ 10 وَعَصِيَّةِ الَّذِينَ اسْتَبَعَهُمْ <sup>(ب)</sup>، حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ لَهُ وَلِقَوْمِهِ صِبْغَةُ الْمَلِكِ وَالْقَلْبِ؛ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَاقِيَةً، وَهِيَ الْخَفِظَةُ رَسْمُ التَّوَلَّى وَتَقَاؤُهَا. وَهَذَا التَّغْلِبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عَصِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ الْمَلِكِ أَوْ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ، فَقَعَصِيَّتُهُ مَنْدَرِجَةٌ فِي عَصِيَّةِ أَهْلِ الْمَلِكِ وَتَابِعَةٌ لَهَا، وَلَيْسَ لَهُ صِبْغَةٌ فِي الْمَلِكِ. وَهُوَ لَا يُحَاوِلُ بِاسْتِبْدَادِهِ اتِّزَاعَ الْمَلِكِ ظَاهِرًا، وَإِنَّمَا يُحَاوِلُ اتِّزَاعَ ثَمَرَاتِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ وَالتَّقْضِ، يُؤْهِمُ فِيهَا 15 أَهْلَ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ عَنْ سُلْطَانِهِ، مُتَقَدِّدٌ فِي ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لِأَحْكَامِهِ.

(1) في ط: الملوك (ب) من ط ج ح ي، وفي ل: اشتغبتهم.

فهو يتجافى عن سيئات الملك وشارائيه وألقابه فجذبه، ويُبْعِدُ نفسه عن التُّهْمَةِ بذلك وإن حَصَلَ له الاستيْدادُ، لأنَّه مُسْتَبَرٌّ في استيْدادِهِ ذلك بالجِباب الَّذِي ضَرَبَهُ السُّلْطَانُ، وأَوَّلُوهُ على أَنفسهم من القَبِيلِ مَذْأُولٍ / الدَّوْلَةِ، ومُغَالِطًا عنه بالتَّيْبَةِ. [125 ب]

5 ولو تَعَرَّضَ لشيءٍ من ذلك لَنَفْسَهُ غَلَبَهُ <sup>(1)</sup> أَهْلُ العَصِيَّةِ وقَبِيلُ الْمَلِكِ، وحاولوا الاستيْثارَ به دُونَهُ؛ لأنَّه لم سَتَحْكَمْ له صِبْغَةً في ذلك تُحْمِلُهُم على التَّسْلِيمِ له والاقْصَادِ؛ فَيَهْلِكُ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ .

وقد وَقَعَ مِثْلُ هذا لعبد الرَّحْمَنِ بنِ الْمَنْصُورِ بنِ أَبِي عَامِرٍ، حين سَمَا إلى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلِي بَيْتِهِ فِي لَقَبِ الْخِلَافَةِ، ولم يَقْنَعْ بِمَا قَنِعَ أبوه وأخوه من الاستيْدادِ بِالْحَلِّ وَالْقُدِّ والمَرايِمِ الثَّابِتَةِ، فطَلَبَ من هِشَامٍ خَلِيفَتِهِ أَنْ يَتَّهَدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ؛ فَتَمَّ ذلك عَلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ، وَبَايَعُوا لابْنَ عَمِّ الْخَلِيفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجَبَّارِ بنِ التَّائِصِرِ، وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ؛ وَكَانَ فِي ذَلِكَ خَرَابٌ دَوْلَةِ الْعَامِرِيِّينَ وَهَلَاكٌ الْمُؤَيَّدِ خَلِيفَتِهِمْ، وَاسْتَبْدَلَ مِنْهُ بِسِوَاهُ مِنْ أَغْيَاصِ الدَّوْلَةِ إِلَى آخِرِهَا، وَاخْتَلَتْ مَرايِمُ مُلْكِهِمْ، وَاللَّهُ ﴿خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [سورة الأنبياء، من الآية 98] .

10

## 23 • فَضْلٌ، فِي حَقِيقَةِ الْمَلِكِ وَأَصْنَافِهِ

15 الْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيُّ لِلْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُتَكَنُّ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قَوَّتِهِمْ وَضَرُورَاتِهِمْ. وَإِذَا اجْتَمَعُوا دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَى الْمُعَامَلَةِ وَاقْتِضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَمَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ

(1) في ل: ولو تعرّض لشيءٍ من ذلك لنفسه، غلبه عليه أهل العصية .

يَأْخُذُهَا، لَمَّا فِي الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَإِنِائِهِ  
الْآخَرُ عَنْهَا بِمُقْتَضَى الْعَصَبِ وَالْأَنَفَةِ وَمُقْتَضَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ، فَيَقْعُ التَّنَازُعُ  
الْمُقْتَضَى إِلَى الْمُقَاتَلَةِ، وَهِيَ تُؤَدِّي إِلَى الْهَزَجِ وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِذْهَابِ التَّقْوَسِ، الْمُضْطَرِ  
ذَلِكَ إِلَى انْقِطَاعِ التَّنَوُّعِ، وَهُوَ مِمَّا خَصَّهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ / بِالْمُحَافَظَةِ، فَاسْتِحَالَ بِقَائِهِمْ [126]

فَوَضَى دُونَ حَاكِمٍ يَرِغُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ؛ وَاجْتَاوَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْوَارِغِ، وَهُوَ 5  
الْحَاكِمُ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُتَحَكِّمُ. وَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ مِنْ  
الْعَصِيَّةِ، لَا قَدَمَانَهُ مِنْ أَنَّ الْمُطَالِبَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدَافَعَاتِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ.

وَهَذَا الْمُلْكُ كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ تَتَوَجَّهُ نَحْوَهُ الطَّلَبَاتُ وَبِحَتَاجٍ إِلَى  
الْمُدَافَعَاتِ؛ وَلَا يَتِمُّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَصِيَّاتِ كَمَا مَرَّ، وَالْعَصِيَّاتُ مُتَفَاوِتَةٌ، وَكُلُّ  
عَصِيَّةٍ فَلَهَا تَحَكُّمٌ وَتَغَلُّبٌ عَلَى مَنْ يَلِيهَا مِنْ قُوَّامِهَا وَعَشِيرَتِهَا. وَلَيْسَ الْمُلْكُ لِكُلِّ عَصِيَّةٍ، 10  
وَإِنَّمَا الْمُلْكُ عَلَى <sup>(1)</sup> الْحَقِيقَةِ لِمَنْ يَسْتَعْبِدُ الرِّعْيَةَ، وَيُنْجِي الْأَمْوَالَ، وَيَنْتَعِثُ الْبُعُوثَ،  
وَيُنْجِي الثُّغُورَ، وَلَا يَكُونُ فَوْقَ يَدِهِ يَدٌ قَاهِرَةٌ. وَهَذَا مَعْنَى الْمُلْكِ وَحَقِيقَتُهُ فِي  
الْمَشْهُورِ. فَمَنْ قَصَّرَتْ بِهِ عَصِيَّتُهُ عَنْ بَعْضِهَا، بِمِثْلِ جَمَاعَةِ الثُّغُورِ، أَوْ جَبَايَةِ الْأَمْوَالَ،  
أَوْ بَغْتِ الْبُعُوثِ، فَهُوَ مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَتِمَّ حَقِيقَتُهُ؛ كَمَا وَقَعَ لكَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ الْبَرْزِ فِي  
ذَوْلَةِ الْأَغَالِبَةِ بِالْقُرْيَانِ، وَلِلْمُلُوكِ الْعَجَمِ صَدْرُ الذَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. وَمَنْ قَصَّرَتْ بِهِ عَصِيَّتُهُ 15  
أَيْضًا عَنْ الْإِسْتِغْلَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَصِيَّاتِ وَالضَّرْبِ عَلَى سَائِرِ الْأَيْدِي، وَكَانَ فَوْقَهُ  
حُكْمٌ غَيْرُهُ، فَهُوَ أَيْضًا مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَتِمَّ حَقِيقَتُهُ؛ وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ أَمْرَاءِ التَّوَاخِي  
وَرُؤَسَاءِ الْجِهَاتِ الَّذِينَ تَجْمَعُهُمْ ذَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ. وَكَثِيرًا مَا يَوْجَدُ هَذَا فِي السُّوَلِ الْمُسْتَعْبِقَةِ

(1) ل: في .

الطُّفاق، أَغْنَى يُوجِدُ مُلُوكَ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي التَّوَّاجِي وَالْقَاصِيَةِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الدَّوْلَةِ  
الَّتِي جَمَعْتَهُمْ؛ مِثْلَ صِهْجَةِ مَعَ الْعَبِيدِينَ؛ وَرَنَاتِهِ مَعَ الْأُمُورِ تَارَةً، وَالْعَبِيدِينَ أُخْرَى؛  
وَمِثْلَ مُلُوكِ الْعَجَمِ / فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ؛ وَمِثْلَ أُمَرَاءِ الْبَزْرِ وَمُلُوكِهِمْ مَعَ الْإِفْرَنْجَةِ [126ب]  
قَبْلَ الْإِسْلَامِ؛ وَمِثْلَ مُلُوكِ الصَّوَّافِ مِنَ الْفُرسِ مَعَ الْإِسْكَندَرِ وَقَوْمِهِ الْيُونَانِيِّينَ؛ وَكَثِيرٌ  
5 مِّنْ هَؤُلَاءِ. فَاعْتَبِرْهُ نَجْدَهُ. وَاللَّهُ ﷻ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴿[سُورَةُ الْأَنْعَامِ، مِّنَ الْآيَةِ 18].

## 24 • فَضْلٌ، فِي أَنَّ إِبْرَاهِيمَ أَخَذَ مُضِرًّا بِالْمُلِكِ وَمُسَدِّدًا لَهُ فِي الْأَكْثَرِ

اعْلَمْ أَنَّ مَضْلَحَةَ الرِّعْيَةِ فِي السُّلْطَانِ، لَيْسَتْ فِي ذَاتِهِ وَجِسْمِهِ؛ مِّنْ حُسْنِ  
شَكْلِهِ، أَوْ مَلَاحَةِ وَجْهِهِ، أَوْ عِظَمِ جُفْمَانِهِ، أَوْ اتِّسَاعِ عِلْمِهِ، أَوْ جَوْدَةِ خَطِّهِ، أَوْ  
تَقْوِيٍّ ذِهْنِهِ، وَإِنَّمَا مَضْلَحَتُهُمْ فِيهِ مِّنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ الْمُلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِّنْ  
10 الْأُمُورِ الْإِضَافِيَّةِ، وَهِيَ يَنْسَبَةُ بَيْنَ مُتَنَسِّبَيْنِ. فَحَقِيقَةُ السُّلْطَانِ أَنَّهُ الْمَالِكُ لِلرِّعْيَةِ الْقَائِمِ  
بِأُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ؛ فَالسُّلْطَانُ مِّنْ لَهُ رِعْيَةٌ؛ وَالرِّعْيَةُ مِّنْ لِّهَا سُلْطَانٌ؛ وَالصِّفَةُ الَّتِي لَهُ مِّنْ  
حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَلَكَةُ، وَهِيَ كَوْنُهُ يَمْلِكُهُمْ. فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ  
الْمَلَكَةُ وَتَوَابَعُهَا بِمَكَانٍ مِنَ الْجَوْدَةِ، حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ؛  
فَإِنَّمَا إِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً صَالِحَةً كَانَ ذَلِكَ فَضْلَةً لَهُمْ؛ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً مُتَعَسِّفَةً كَانَ  
15 ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ وَهَلَاكًا لَهُمْ .

وَيَعُودُ حُسْنُ الْمَلَكَةِ إِلَى الرَّفْقِ؛ فَإِنَّ الْمُلِكَ إِذَا كَانَ قَاهِرًا بَاطِشًا  
بِالْعُقُوبَاتِ، مُتَّبِعًا عَنْ غَوَرَاتِ النَّاسِ وَتَعْدِيدِ ذُنُوبِهِمْ، شَمِلَهُمُ الْخَوْفُ وَالذُّلُّ؛ وَلَاقُوا  
مِنْهُ بِالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ وَالْحَدِيدَةِ، فَتَخَلَّقُوا بِهَا، وَفَسَدَتْ بِصَائِرِهِمْ وَأَخْلَاقُهُمْ؛ وَزُبْنًا



خَذَلُوهُ فِي مَوَاطِنِ الْحَزَبِ وَالْمُدَافَعَاتِ، فَفَسَدَتْ الْحِمَايَةُ بِفَسَادِ النِّيَّاتِ؛ وَرَبَّمَا أَتَجَمَعُوا  
[على] <sup>(1)</sup> قَتْلَهُ لَذَلِكَ، فَتَفْسَدُ التَّوَلُّةُ / وَيَحْزَبُ السِّيَاحُ؛ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَفَهَزَهُ،

فَسَدَتْ الْعَصِيَّةُ بِمَا قُلْنَاهُ أَوَّلًا، فَفَسَدَ السِّيَاحُ مِنْ أَضْلِهِ بِالْعَجْزِ عَنِ الْحِمَايَةِ. وَإِذَا  
كَانَ زَفِيقًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ اسْتَنَامُوا إِلَيْهِ وَلَا ذُوَا بِهِ، وَأُشْرِبُوا مَحَبَّتَهُ، وَاسْتَأْتَسُوا  
دُونَهُ فِي مُحَارَبَةِ أَعْدَائِهِ، وَاسْتَقَامَ <sup>(ب)</sup> الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

5

وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَلَكَةِ، فَهِيَ التَّغَمُّعُ عَلَيْهِمِ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ؛ فَالْمُدَافَعَةُ بِهَا تَبْنِي  
حَقِيقَةَ الْمُلْكِ؛ وَأَمَّا التَّغَمُّعُ عَلَيْهِمِ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جُمْلَةِ الرَّفْقِ بِهِمْ، وَالتَّظَرُّعُ لَهُمْ فِي  
مَعَاشِهِمْ، وَهِيَ أَضَلُّ كَبِيرٌ فِي التَّحَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلَّمَا تَكُونُ مَلَكَةُ الرَّفْقِ فِيمَنْ يَكُونُ يَقْظًا <sup>(ج)</sup> شَدِيدَ الذِّكَاءِ مِنْ  
النَّاسِ؛ وَأَكْثَرُ مَا يَوْجِدُ الرَّفْقَ فِي الْغُلِّ أَوْ الْمُتَقَلِّ. وَأَقْلَمَا فِي الْيَقْظِ <sup>(ج)</sup> أَنَّهُ يَكْلَفُ  
الرَّعِيَّةَ فَوْقَ طَوْقِهِمْ، لِنُفُودِ نَظَرِهِ فِيهَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ، وَاطِّلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ  
فِي مَبَادِيهَا بِالْفِعْيَةِ، فَيَهْلِكُونَ. لَذَلِكَ قَالَ <sup>(1)</sup> صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "سِيرُوا عَلَى سِيرِ أَوْعَفِكُمْ". وَمِنْ  
هَذَا الْبَابِ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ فِي الْحَاكِمِ قِلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاءِ؛ وَمَأْخُذُهُ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ  
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ لَمَّا عَزَلَهُ عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ، وَقَالَ: لِمَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الْبَغْضُ  
أَمْ لِحَيَانَةٍ؟! فَقَالَ عُمَرُ: لَمْ أَغْزِلْكَ لَوَاحِدَةٍ مِنْهَا؛ وَلَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أُحْمَلَ فَضْلُ عَقْلِكَ  
عَلَى النَّاسِ. فَأُخِذَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْحَاكِمَ لَا يَكُونُ مُفْرِطَ الذِّكَاءِ وَالْكَيْسِ، مِثْلَ زِيَادِ بْنِ

15

(1) سقط من ط (ب) في ع ل ي ج: فاستقام (ج) كذا بضم الف في ع ل، والضم والكسر واحد.

(1) حديث موضوع بهذا اللفظ، ذكره البخاري في المقاصد الحسنة 247، وعلي التتاري في كتاب "المصنوع في معرفة الحديث الموضوع"، رقم 158.

أبي سُفْيَان ، وَغَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، لَمَّا يَتَّبِعْ ذَلِكَ مِنَ التَّعَسُّفِ وَسُوءِ الْمَلَكََةِ ، وَحَمَلُ  
الْوُجُودِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي طَبِيعَتِهِ ، كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ ؛ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَالِكِينَ .  
وَنَقَرَزَ [مِنْ] <sup>(4)</sup> هَذَا أَنَّ الْكَيْسَ وَالذِّكَاءَ غَيْبٌ فِي / صَاحِبِ السِّيَاسَةِ ، لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي  
الْفِكْرِ ، كَمَا أَنَّ الْبِلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي الْجُمُودِ . وَالطَّرْفَانِ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِفَةِ إِنْسَانِيَّةٍ ،  
5 وَالْحَمُودُ هُوَ التَّوَسُّطُ ؛ كَمَا فِي الْكَرَمِ مَعَ التَّبَذِيرِ وَالْبُخْلِ ؛ وَكَمَا فِي الشُّجَاعَةِ مَعَ الْهَزَجِ  
وَالْجَبْنِ ؛ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ . وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَيْسَ بِصِفَاتِ  
الشَّيْطَانِ ، فَيَقَالُ : شَيْطَانٌ وَمَتَشَيْطَلٌ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ . ﴿ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾  
[سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ ، مِنْ آيَةِ 47] .

## 25 • فَضْلٌ ، فِي مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ

لَمَّا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمُلْكِ أَنَّهُ الْاجْتِمَاعُ الصَّرُورِيُّ لِلنَّشْرِ ، وَمُقْتَضَاهُ التَّغَلُّبُ  
10 وَالْقَهْرُ اللَّبَانُ هُمَا مِنْ آثَارِ الْقَضْبِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ ، كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْغَالِبِ جَائِزَةً  
عَنِ الْحَقِّ ، مُجْجِفَةً بِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ ، لِيَحْفَلِهِ إِثَامُهُمْ فِي  
الْغَالِبِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِمْ مِنْ أَعْرَاضِهِ وَشَهَوَاتِهِ . وَخُتِلَفَ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ  
الْمَقَاصِدِ مِنَ الْخَلْفِ وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ ، فَتَعَسَّرَ طَاعَتُهُ لِنَدَاكَ ، وَتَحَيَّءَ الْقَصِيَّةُ الْمُفْضِيَّةُ  
15 إِلَى الْهَزَجِ وَالْقَتْلِ . فَوَجِبَ أَنْ يَرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَائِنِ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ ، يُسَلِّمُهَا  
الْكَلْفَةُ وَيَتَقَادُونَ إِلَى أَحْكَامِهَا ، كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفُرْسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ .

(1) ط : فِي .

وإذا خَلَّتْ التَّوَلَّةُ من مثل هذه السِّيَاسَةِ، لم يَسْتَقْبِ أمرُها، ولا يَتِمَّ استيلاؤها، ﴿سُئِلَ اللهُ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الأحزاب، من الآية 38]. فإذا كانت هذه القَوَائِنُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَكَبِيرِ الدَّوَلَةِ وَبَصَائِرِهَا، كانت سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً، وإذا كانت مَفْرُوضَةً مِنَ اللهِ بِشَارِعٍ يُقَرِّرُهَا وَيُشَرِّعُهَا كانت سِيَاسَةً دِينِيَّةً، نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطْ، فَإِنَّمَا 5 كُلُّهَا عِبْتُ وَبَاطِلٌ، إِذْ غَايَتُهَا / الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ؛ وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون، من الآية 115]، فَالْمَقْصُودُ بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمُقْضَى بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ: ﴿صِرَاطَ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الشورى، من الآية 53]. فَجَاءَتِ الشَّرَائِعُ بِحَمْلِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ عِبَادَةٍ وَمُعَامَلَةٍ؛ حَتَّى فِي الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ طَبِيعِيٌّ لِلِاجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ، فَأَجْرَتْهُ عَلَى 10 مَنَهِجِ الدِّينِ، لِيَكُونَ الْكُلُّ مَحْوَطًا بِنَظَرِ الشَّارِعِ<sup>(1)</sup>.

فَمَا كَانَ مِنْهُ بِمُقْتَضَى الْقَهْرِ وَالتَّغْلُبِ وَإِهْمَالِ الْقُوَّةِ الْفَضِيَّةِ فِي مَزَعَاها، فَجَوَزَ وَغَدَوَانَ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ، كَمَا هُوَ فِي مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ. وَمَا كَانَ مِنْهُ بِمُقْتَضَى السِّيَاسَةِ وَأَحْكَامِهَا [مِنْ غَيْرِ نَظَرِ الشَّارِعِ]<sup>(ب)</sup> فَمَذْمُومٌ أَيْضًا، لِأَنَّهُ نَظَرٌ بِغَيْرِ نَوْرِ اللهِ ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [سورة النور، من الآية 40]. لِأَنَّ الشَّارِعَ 15 أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْكَافَّةِ فِيمَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ؛ وَأَعْمَالُ الْبَشَرِ كُلُّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي مَعَادِهِمْ، مِنْ مُلْكٍ أَوْ غَيْرِهِ، قَالَ ﷺ<sup>(1)</sup>: "إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ؛"

(1) مِنْ ط، زَع بِحَمْلِهِ، وَفِي ل: الشَّرْع (ب) مِنْ حَاسِبَةٍ عَ بِحَمْلِهِ، وَسَقَطَتْ مِنْ بَقِيَةِ الْأَصُولِ .

(1) أَخْرَجَهُ الْعَجْلُونِي فِي كَشْفِ الْخَفَاءِ 1: 251، 2: 70 .

وأحكام السياسة إنما تُطلع<sup>(١)</sup> على مصالح الدنيا فقط: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الروم، من الآية 7]؛ ومقصود الشارع بالتاس صلاح آجزتهم. فوجب بمقتضى الشرائع حل الكافة على الأحكام الشرعية في أحوال ذويهم وآجزتهم، وكان هذا الحكم لأهل الشريعة؛ وهم الأنبياء، ومن قام مقامهم وهم الخلفاء.

5 فقد تبين لك من ذلك معنى الخلافة، وأن الملك الطبيعي هو حمل الكافة على مقتضى الغرض والشهوة؛ والسياسي هو حمل الكافة على مقتضى النظر العقلي في جلب المصالح الدنيوية ودفع المضار؛ والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية التراجعة إليها، إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اغتبارها / بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة [خلافة]<sup>(ب)</sup> عن [128] صاحب الشرع في جراسة الدين وسياسة الدنيا به. فافهم ذلك واعتبره فيما نورد<sup>(ج)</sup> عليك من بعد. والله الحكيم العليم.

## 26 • فصل، في اختلاف الأمة في حكم هذا المنصب<sup>(د)</sup> وشروطه

وإذ قد بيننا حقيقة هذا المنصب، وأنه نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين وسياسة الدنيا به، ويسمى خلافة وإمامة، والقائم به خليفة وإماماً. [وسمى] المتأخرون سُلطاناً حين فشا التعدد فيه، واضطربوا بالتباغيد وفقدان شروط 15 المنصب إلى عقد البيعة لكل مُتَغَلَّب<sup>(هـ)</sup>. فأما تسميته إماماً، فتشبيهاً بإمام الصلاة

(أ) ع: تكلّف (ب) سقط من ظ، وكذا وردت في ل ج ي، وفي ع: نيابة (ج) ل: نعدّه (د) علق المؤلف بقية عنوان الفصل بحطه في ع: ... في حكم الخلافة وشروطها (هـ) زيادة مدرجة في حاشية ع وحدها بحطه .

في اتباعه والافتداء به؛ ولهذا يقال الإمامة الكبرى. وأما تسميته خليفة فلكونه يُخلف النبي في أمته، فيقال خليفة بإطلاق، وخليفة رسول الله. واختُلف في تسميته خليفة الله؛ فأجازه بعضهم اقتباساً من الخلافة العامة التي للآدميين في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة، من الآية 30] وقوله: ﴿جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام، من الآية 165]. ومَنَعَ الجمهور منه؛ لأنَّ معنى الآية 5 ليس عليه؛ وقد نهى أبو بكر [عنه] <sup>(١)</sup> لما دُعي به، وقال: لَسْتُ خَلِيفَةَ اللَّهِ، ولكني خليفة رسول الله، ولأنَّ الاختلاف إنَّما هو في حقِّ الغائب، وأما الحاضر فلا .

ثم إنَّ نَصَب الإمام واجبٌ قد عُرِفَ وجوبه من الشرع بإجماع الصحابة والتابعين؛ لأنَّ أصحاب رسول الله ﷺ عند وفاته، باذروا إلى تبعه أبي بكر رضي الله عنه، وتسليم التظنر إليه في أمورهم. وكذا في كلِّ غُضْرٍ من بعد ذلك. ولم يترك 10 الناس قَوْضَى في غُضْرٍ من الأغصار؛ واستقرَّ ذلك إجماعاً دالاً على وجوب <sup>(ب)</sup> نَصَب الإمام.

وقد ذهب بعض الناس إلى أن مذكرك وجوبه العقل، وأنَّ الإجماع الذي وَقَعَ فإنَّما هو قضاءٌ بِحُكْمِ العقل فيه. قالوا: وإنَّما وجب بالعقل لضرورة / الاجتماع [129]

للنَّشْر واستِحالة حياتهم ووجودهم مُتَفَرِّدين، ومن ضرورة الاجتماع التنازع لازدحام 15 الأغراض. فالمرء لا يمكن أن يكون الحاكم الوازع، أفضى ذلك إلى الهرج المؤذن بهلاك النَّشْر والقطاعهم؛ مع أنَّ حفظ النَّوع من مقاصد الشرع الصَّروية. وهذا المعنى بعينه هو الذي لحظَ الحكماء في وجوب التَّبَوُّات في النَّشْر، وقد نَهَّها على فساده، وأنَّ

(١) سقط من ط وجمعا (ب) سقط من ل .

إحدى مقدماته أن الوازع إنما يكون بشرع من الله تُسلّم له الكفاة تسليم إيمان واعتقاد، وهو غير مُسلّم؛ لأن الوازع قد يكون بسطوة المُلْك، وقهر أهل الشُّوكة، ولو لم يكن شرعاً، كما في أمم المجوس وغيرهم ممن ليس له كتاب أو لم تبلغه الدعوة؛ أو قول: يكفي في زفع التنازع معرفة كل واحد بتخريم الظلم عليه بحكم العقل. فادّعاؤهم أن ارتفاع النزاع إنما يكون<sup>(1)</sup> بوجود الشرع هناك ونصب الإمام هنا، غير صحيح؛ بل كما يكون بنصب الإمام يكون بوجود الرؤساء أهل الشُّوكة، أو بامتناع الناس عن التنازع والتظالم؛ فلا ينتهض دليلهم العقلي المبني على هذه المقدمة. فدلّ على أن مُدرك وجوبه إنما هو بالشرع، وهو الإجماع الذي قدّمناه.

وقد شدّد بعض الناس فقال بعدم وجوب هذا المنصب رأساً؛ لا بالعقل ولا بالشرع؛ منهم الأصمّ من المغترلة، وبعض الخوارج، وغيرهم؛ والواجب عند هؤلاء إنما هو إفضاء أحكام الشرع؛ فإذا تواطأت الأمة على الغدل وتنفيذ أحكام الله، لم يُحتج إلى إمام ولا يحجب نصبه. وهؤلاء مخرجون بالإجماع. والذي حملهم على هذا المذهب إنما هو الفراغ عن المُلْك ومذاهبه من الاستطالة / والتغلب والاستيفاع [129ب] بالدنيا، لما رأوا الشريعة مُقتلنة بدم ذلك والتغي على أهله، ومُرعبة في رفضه.

واعلم أن الشرع لم يذم المُلْك لذاته ولا خطر القيام به، وإنما ذمّ المفساد الناشئة عنه من القهر والظلم والتّمع بالذات، ولا شك في أن هذه مقاصد محظورة [وهي من ثوابه]<sup>(ب)</sup>. كما أتى على الغدل والنصفة، وإقامة مراسم الدين والذب عنه، وأوجب بإزائها الثواب، وهي كلّها من ثواب المُلْك. فإذا إنما وقع الذمّ للمُلْك

(1) ي: هو (ب) سقط من ظ وحدها .

على صفة وحالٍ دون أُخرى، ولم يذُمَّ لذاته، ولا طلب تركه، كما ذمَّ الشهوة والغضب من المكلفين، وليس مراده تركها بالكلفة لدعاية الضرورة إليهما، وإثما المراد نصريهما على مقتضى الحق. وقد كان لداود وسليمان - صلوات الله عليهما - الملك الذي لم يكن لغيرهما، وهما من أنبياء الله وأكرم الخلق عنده .

ثم نقول لهم: إن هذا الفراز عن الملك يقدم وجوب هذا المنصب لا يُغنيكم 5 شيئاً، فإنكم موافقون على وجوب إقامة أحكام الشريعة، وذلك لا يحصل إلا بالعصية والشوكة، والعصية مُقتضية بطئها للملك، فيحصل الملك ولو لم ينتصب إمام، وهو غيّر ما قرزتم عنه.

وإذا تقرر أن هذا المنصب واجب بالإجماع، فهو من فروض الكفاية، 10 وراجع إلى اختيار أهل الحل والعقد، فيتعين عليهم نصبه، وتجب على الخلق جميعاً طاعته، لقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء، من الآية 59] .

•<sup>(1)</sup> ولا يجوز عقد هذا المنصب لاثنين معاً، وعليه جمهور العلماء، وقوفاً مع ظواهر الأحاديث التي دلّت على ذلك وهي في صحيح مسلم<sup>(1)</sup> في كتاب الإمامة منه. وذَهَب آخرون إلى أن ذلك إثمًا هو في البلد الواحد وفي حال تقائهما، وأما 15 عند التباعد وقصور الإمام عن البلد السابع، فيجوز نصب آخر هنالك للقيام بالمصالح.

(1) ما بين النجسين مُخرج في حاشية ع، ولم نقله الأصول الأربعة الموازية .

(1) الجامع الصحيح، كتاب الإمامة 3/1451، وينظر خاصة باب إذا بويع لخليفين - حديث رقم (61) 1853-

ومن المشاهير الذين نُقِلَ عنهم ذلك، الأستاذ أبو إسحاق الأسفَراني شيخ المتكلمين ، ومال إليه إمام الحرمين<sup>(1)</sup> في كتاب الإرشاد ؛ وربما يظهر من آراء الأندلسيين والمقاربة الجنوخ إلى ذلك . فقد كان العلماء بالأندلس مُتوافرين ، وبايعوا لبني أُمَيَّة ، ولَقَّبوا التَّاصِرَ عبدَ الرَّحْمَنِ منهم وأبناءه بأمر المؤمنين ، وهي سِمَةُ الخلافة كما يأتي ، وكذا المؤخِّدون بَعْدَهُم بالمغرب . وقد رَدَّ بعضُهم ذاك بالإجماع ، وهو غيرُ ظاهرٍ ، إذ كان هناك إجماعٌ لم يُخالفه الأستاذ أبو إسحاق ولا إمام الحرمين ، فهم أفعَدُ بمعرفة الإجماع . نعم ، رَدُّ على الإمام المازري<sup>(2)</sup> والتووي<sup>(3)</sup> وقوفاً مع ظواهر الأحاديث كما قلناه ، وربما احتجَّ لذلك بعضُ المتأخِّرين ، بذليل التَّمَنُّعِ النَّبِيِّ فِي التَّنْزِيلِ ، وهو قَوْلُهُ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا آلَهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [سورة الأنبياء ، من الآية 22] ، ولا يَنْهَضُ الاستِدْلَالُ عَلَى ذَلِكَ بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ ، لِأَنَّ دِلَالَتَهَا عَقْلِيَّةً ، تَبْهِنَا اللَّهُ عَلَيْهَا لِيَنْخُصَّ لَنَا التَّوْحِيدَ الَّذِي أَمَرْنَا بِاِغْتِقَادِهِ بِذَلِيلِ عَقْلِيٍّ ، فَيَكُونُ أَرْسَخٌ ، وَمَطْلُوبُنَا فِي بَابِ الْإِمَامَةِ الْمَنْعُ مِنْ نَصْبِ إِمَامَيْنِ وَهُوَ شَرْعِيٌّ ، فَلَا يَمُتُّ الاستِدْلَالُ بِهَا إِلَّا إِنْ تَقَرَّرَ هُنَا شَرْعِيَّتُهُ بِزِيَادَةِ مُقَدِّمَةِ أُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّ التَّعَدُّدَ يَنْشَأُ عَنْه الْفَسَادُ ، وَنَحْنُ مُمْنَعُونَ مِمَّا يُجْبِرُ إِلَيْهِ ، وَيَصِيرُ الاستِدْلَالُ<sup>(4)</sup> بِهَا حِينَئِذٍ شَرْعِيًّا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .<sup>(ب)</sup>

(أ) كتب المؤلف بدلها : الدليل حينئذ ، ثم غيرها (ب) إلى هنا تنتهي حاشية ع المنفردة .

(1) عبد الملك الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة 425 .

(2) المعلم بفوائد مسلم 3 : 35 - (883) .

(3) شرح صحيح مسلم 12 : 231 - باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول .



وأما شروط هذا المنصب فهي أربعة: العلم؛ والعدالة؛ والكفاية؛ وسلامة  
الحواس والأعضاء، مما يؤثر في الرأي والعقل. واختلف في شرط خامس وهو  
النسب القرشي.

[130] فأما اشتراط العلم فظاهر؛ لأنه إما يكون مُنفذاً / لأحكام الله تعالى<sup>(1)</sup>  
إذا كان عالماً بها<sup>(ب)</sup>، وما لم يَعْلَمها لا يصح تقييده لها. ولا يكفي من العلم إلا أن  
5 يكون مُجتهداً، لأنَّ التقليد نقص؛ والإمامة تستدعي الكمال في الأوصاف والأحوال.

وأما العدالة، فلائحة منصب ديني يتنظر في سائر المناصب التي هي  
شُرط فيها، فكان أولى باشتراطها فيه. ولا خلاف في انشاء العدالة فيه بفسق  
الجوارح من ارتكاب المخظورات وأمثالها، وفي انتفاءها بالبدع الاعتقادية خلاف.

10 وأما الكفاية، فهو أن يكون جريئاً على إقامة الحدود، واقتحام الحروب،  
بصيرة بها، كميلاً يحمل الناس عليها، عارفاً بالعصية وأحوال اللهاء، قوياً على  
مُعانة السياسة؛ ليصح له بذلك ما يجعل إليه من حماية الدين، وجهاد العدو،  
 وإقامة الأخكام، [وسياسة الدنيا]<sup>(ج)</sup>، وتذير المصالح.

وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والظلمة، كالجنون والعمى  
والصمم والخرس، وما يؤثر فقده من الأعضاء في العمل، كفقْد اليدين والرجلين  
15 والأنتين، فستشترط السلامة منها كلها، لتأثير ذلك في تمام عمله وقيامه بما جُعل<sup>(د)</sup>  
إليه. وإن كان إنما يشين في المنظر فقط، كفقْد إحدى هذه الأعضاء، فستشترط

(1) سقط من ع ل ج ي (ب) سقط من ج (ج) من ع وحده (د) جعل الله إليه .

السلامة منه شرط كمال. ويُلقَى بفقدان الأعضاء المنع من التصرف؛ وهو ضربان: ضرب يُلقَى بهذه في اشتراط السلامة منه شرط وجوب، وهو الفهر والعجز عن التصرف جملة، بالأثر وشبهه؛ وضرب لا يُلقَى بهذه، وهو الحجر باستيلاء بغض أغوانه عليه<sup>(1)</sup> من غير عضيان ولا مُشاقّة، فينتقل النظر في حال هذا المُستولي، فإن جرى على حكم الدين والغذل / وحميد السباسة، جاز إقراره، والآ استنصر [ب130] 5 المسلمون بمن يقبض يده عن ذلك ويدفع عنه، حتى يُنفذ فعل الخليفة.

وأما النسب الفرشي، فلاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك، واحتجّ قريش على الأنصار لما هتوا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة<sup>(ب)</sup>، وقالوا: مينا أمير ومنكم أمير. واحتجّت قريش بقوله ﷺ: "الأئمة من قريش"، وبأن النبي ﷺ أوصانا 10 بأن نُحسنَ إلى مُحسينكم ونَجاورَ عن مُسيئكم، ولو كانت الإمارة فيكم لم تكن الوصية بكم. فحجّوا الأنصار، وزجّوا عن قولهم مينا أمير ومنكم أمير، وغدّوا عما كانوا هتوا به من بيعة سعد لذلك. وثبّت أيضاً في الصحيح<sup>(2)</sup>: "لا يزال هذا الأمر في هذا الحي من قريش"، وأمثال هذه الأدلة كثير.

إلا أنه لما ضعف أمر قريش وتلاشت عصبيّتهم بما نالهم من الترف والنعيم، وعاج<sup>(ج)</sup> أنفقهم الدولة في سائر أقطار الأرض، عجزوا لذلك عن حمل الجلالة، 15

(1) سقط من ل (ب) في ظ: سعد بن أبي عبادة، غلطاً (ج) ع: وما .

(1) أخرجه الطيالسي في مسنده (2133)، وأحمد في المسند 3: 29، وابن أبي عاصم في الستة (1020) وأبو نعيم في حلية الأولياء 3: 171، والحاكم في المستدرک 4: 501، والبيهقي في الشن الكبرى 3: 121 من حديث أنس بن مالك .

(2) أخرجه البخاري 9: 78 (7140) ومسلم (1818) من حديث عبد الله بن عمر .

وتغلبت عليهم الأعاجم، وصار الحُلُّ والعقد لهم؛ فاشتبه ذلك على كثير من المحققين حتى ذهبوا إلى نفي اشتراط القرشية، وعولوا على ظواهر في ذلك، مثل قوله ﷺ: "اسمعوا وأطيعوا، وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زينة"؛ وهذا لا تقوم به حجة في ذلك، فإنه خرج مخرج التشيل والفرض للمبالغة في إيجاب الشفع والطلاعة؛ ومثل قول عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حياً لولئشه، أو: لما داخلني فيه 5 الطئنة؛ وهو أيضاً لا يفيد ذلك، لما عرفت أن مذهب الصحابي ليس بحجة. وأيضاً، فمولى القوم منهم، وعصبية الولاء حاصلة لسالم من قريش، وهي الفائدة في اشتراط النسب. ولما استغظم عمر أمر الخلافة، ورأى شروطها كأنها مفقودة في ظنه، عدل إلى سالم لتوفر / شروط الخلافة عنده فيه، حتى من الولاء المفيد [131] للعصبية كما نذكر، ولم يتبق إلا صراحة النسب، فرآه غير محتاج إليه، إذ الفائدة في 10 النسب إنما هي العصبية، وهي حاصلة من الولاء. وكان ذلك جزئاً من عمر على النظر للمسلمين، وتقليد أمرهم لمن لا تلحقه فيه لائنة، ولا عليه فيه عهدة.

ومن القائلين بنفي اشتراط القرشية، القاضي أبو بكر الباقلاني<sup>(2)</sup>، لما أدرك ما عليه عصبية قريش من التلاشي والاضمحلال، واستبداد ملوك العجم على 15 الخلفاء، فأسقط شرط القرشية، وإن كان موافقاً لرأي الخوارج، لما رأى عليه حال

(1) أخرجه البخاري في الصلاة من صحيحه 1: 178 (693) و (696)، وفي الأحكام 9: 78 (7142)، وأحمد 3: 114 و 171، وابن ماجة (2860).

(2) بل على العكس من ذلك في كتابه التمهيد (181) فقد اشترط أن يكون الإمام قرشياً من الصميم، ويجوز العقد للمفضول وترك الأفضل لحوف الفتنة (184) ولا يجب أن يكون من بني هاشم دون غيرها من قبائل قريش، وإنما تكون شائعة في سائرهم. ولا يقول بالعصمة.

الخلفاء لعهد. وبقي الجمهور على القول باشتراطها وصحة الإمامة للقرشي، ولو كان عاجزاً عن القيام بأمور المسلمين. ويَرَدُّ عليهم سقوط شرط الكفاية التي بها يقوى على أمره؛ لأنه إذا ذهب الشؤكة بذهاب العصية فقد ذهب الكفاية؛ وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية تطرّق ذلك أيضاً إلى العلم والدين، وسقط اعتبار شروط 5 هذا المنصب، وهو خلاف الإجماع.

وَأنتكلم الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقّق به الصواب في هذه المذاهب، فنقول: إن الأحكام الشرعية كلّها لا بُدَّ لها من مقاصد وحكم تشتمل عليها، وتشرّع لأجلها. ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب للقرشي ومقصد الشارع منه، لم تقتصر فيه على التبرك بوضلة النبي ﷺ كما هو في المشهور، وإن كانت تلك الوضلة موجودة والتبرك بها حاصلاً؛ لكن التبرك ليس من المقاصد 10 الشرعية كما عرفت، فلا بُدَّ إذا من مصلحة في اشتراط النسب هي المقصودة في مشروعيتها. وإذا سبرنا وقسّمنا / لم نجد لها إلا اعتبار العصية التي تكون بها الحماية [131] والمطالبة، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب، فتسكن إليه الملة وأهلها، ويتنظم خبل الألفة فيها. وذلك أن قريناً كانوا ألق مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم، وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصية والشرف، فكان 15 سائر العرب يعرفون لهم ذلك، ويستكبرون لعلمهم. فلو قد جعل الأمر في سواهم لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم، وعدم اتقيادهم؛ ولا يقبل غيرهم من قبائل مضر أن يرُدُّهم عن الخلاف، ولا يحملهم على الكره، فتفترق الجماعة وتختلف الكلمة. والشارع مخدّر من ذلك، حريص على اتقافهم ورفع التنازع والشتات بينهم، لتخصل اللئمة

والعصبيَّة وتَحَسَّنَ الحمايَّة. بخلاف ما إذا كان الأمر في قُرَيْشٍ، لأنَّهم قادرون على سوق الناس بقِصَّة الغلب إلى ما يُراد مِنْهم، فلا يُخشَى من أحدٍ خلافَ عليهم ولا فُرقة؛ لأنَّهم كَفِيلون حينئذٍ بذِفعها ومنع الناس منها. فاشتَرَطَ نَسَبُهم القُرَشِيَّ في هذا المنصب، وهم أهلُ العِصْبَةِ القويَّة، ليكون أُنْبَغ في انْظَام المِلَّة واثاق الجماعة؛ وإذا انْظَلَمَت كَلِمَتُهُم انْظَلَمَت بانْظَامها كَلِمَةُ مُضَرٍّ أَجْمَع، فأذعن لهم سائرُ القُرب، واقادث 5 الأُمَمَ سِوَاهُم إلى أحكام المِلَّة، ووَطِئَتْ جنودُهم قاصِيَةَ البلاد، كما وقع في أيام الفُتُوحات، واستمرَّ بعدها في الدُّوَلَيْنِ إلى أن اضمحلَّ أمرُ الجِلافة، وتلاشت عِصْبَةُ القُرب. وَيَعْلَمُ ما كان لقُرَيْشٍ من الكثرة والتغلب على بَطُونٍ مُضَرٍّ، من مَازَس أخبار القُرب وسِيرِهِم، وقَطَنَ لِمَكَ من أخوالهم. وقد / ذكر ذلك ابنُ إسحاق في كتاب السَّيَرِ <sup>(1)</sup>، وغيره.

10

وإذا ثَبَتَ أَنَّ اشتِراطَ القُرَشِيَّةِ إِنَّمَا هو لرفعِ النَّتائِجِ بما كان لهم من العِصْبَةِ والغلب، وعَلِمْنَا أَنَّ الشَّارِعَ، لا يَخْصُ الأحكامَ بِجِيلٍ ولا عَصْرِ ولا أُمَّةٍ، عَلِمْنَا أَنَّ ذلك إِنَّمَا هو من الكِفايَةِ، فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْهَا وَطَرَدْنَا الْعِلَّةَ الْمُشْتَبِلَةَ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنَ القُرَشِيَّةِ، وهي وُجُودُ العِصْبَةِ، فاشتَرَطْنَا في القائمِ بِأُمُورِ المُسْلِمِينَ أن يكونَ من قومٍ أُولَى عِصْبَةٍ قويَّةٍ غالبةٍ على من مَعَهَا لِعَضْرُهَا، لِيَسْتَتَبِعُوا مِنْ سِوَاهُم، وتَجَمَّعَ 15 الكلمةُ على حُسْنِ الحِجَابَةِ. ولا يَغْمُ ذلك في الأَفْطَارِ والأَفَاقِ كما كان في القُرَشِيَّةِ؛ إِذ الدَّعْوَةُ الإِسْلامِيَّةُ الَّتِي كانت لهم كانت عامَّةً، وعِصْبَةُ القُرب كانت وافيةً بها فَعَلَبُوا سائِرَ الأُمَمِ. وَإِنَّمَا نَخْصُ لِهَذَا الْعَهْدِ كُلِّ قُطْرٍ مَنْ تَكُونُ لَهُ فِيهِ العِصْبَةُ الغالبة. وإذا

(1) لا يوجد في القسم المطبوع من الكتاب .

نَظَرَتْ سَرَّ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ يَغْدُ هَذَا؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخَلِيفَةَ نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورٍ <sup>(١)</sup> عِبَادَةٍ لِيُخَيِّلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيُرْجِعَهُمْ عَنْ مَضَارِّهِمْ، وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِذَلِكَ، وَلَا يُخَاطَبُ بِالْأَمْرِ مِنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ. أَلَا غَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ <sup>(٢)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ، وَأَنَّهُنَّ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ جُعِلْنَ تَبَعًا لِلرِّجَالِ 5 وَلَمْ يَدْخُلْنَ فِي الْخِطَابِ بِالْوَضْعِ، وَإِنَّمَا دَخَلْنَ عِنْدَهُ بِالْقِيَاسِ، وَذَلِكَ لَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، وَكَانَ الرِّجَالُ قَوَامِينَ <sup>(ب)</sup> عَلَيْهِنَّ، اللَّهُمَّ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ <sup>(ج)</sup> فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ، فِخْطَابُهُنَّ فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْقِيَاسِ. ثُمَّ إِنَّ الْوُجُودَ شَاهِدًا بِذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِأَمْرِ أُمَّةٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مِنْ غَلَبِ عَلَيْهِمْ. وَقَدْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الشَّرْعِيُّ مُخَالِفًا لِلْأَمْرِ الْوُجُودِيِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

# 10 27 / فصل، في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة {132ب}

أَعْلَمُ أَنَّ الشَّيْعَةَ لَفَةٌ هِيَ الصَّخْبُ وَالْأَتْبَاعُ، وَيُطْلَقُ فِي عَرَفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنَ الْخَلْفِ وَالسَّلَفِ عَلَى أَتْبَاعٍ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وَمَذْهَبُهُمْ جَمِيعًا مُتَّفِقِينَ عَلَيْهِ: أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَقُوضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ، وَيَتَغَيَّرُ الْقَائِمُ بِهَا بِتَغْيِيرِهِمْ، بَلْ هِيَ زَكْنُ الدِّينِ وَقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِ، وَلَا يَجُوزُ لِلتَّبَعِ 15 إِغْفَالُهُ وَلَا تَقْوِضُهُ إِلَى الْأُمَّةِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ، وَيَكُونُ مَعْصُومًا مِنَ الْكِبَايِرِ وَالصَّغَايِرِ. وَأَنْ عَلِيًّا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هُوَ الَّذِي عَيَّنَهُ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ

(١) ج: بأمر (ب) ظل: قوامون (ج) ل: واحد.

(٢) هو ابن خطيب التري، محمد بن عمر التزازي، غفر الدين. (يزد الشرف به في المنعم)، ومعنى التثقل في مفاتيح الغيب 10: 90-91.

بخصوص يُثْمَلُونَهَا وَيُؤْذَلُونَهَا عَلَى مُفْتَضَى مَذْهَبِهِمْ، لَا يَغْرِفُهَا تَجَاهِذُ السُّنَّةِ وَلَا نَقْلَةُ الشَّرِيعَةِ، بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرِيقِهِ، أَوْ بَعِيدٌ عَنْ تَأْوِيلِهِمُ الْفَاسِدَةِ.

وَتَنْتَقِسُ هَذِهِ التَّنُصُوصُ عَنْدهُمْ إِلَى جَلِيٍّ وَخَفِيٍّ:

- فَالْجَلِيُّ مِثْلُ قَوْلِهِ <sup>(1)</sup>: "مَنْ كَتَبَ مَوْلَاهُ فَعَلِيَ مَوْلَاهُ". قَالُوا: وَلَمْ تَنْظُرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ إِلَّا فِي عَلِيٍّ؛ وَلِهَذَا قَالَ لَهُ عُمَرُ: أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ. وَمِنْهَا 5 قَوْلُهُ <sup>(2)</sup>: "أَفْضَاكُمُ عَلِيٌّ". وَلَا مَعْنَى لِلْإِمَامَةِ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِأُولِي الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتِهِمْ مِنْ اللَّهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [سورة النساء، من الآية 59]، وَالْمُرَادُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ، وَلِهَذَا كَانَ حَكْمًا فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ التَّقِيَّةِ دُونَ غَيْرِهِ. وَمِنْهَا قَوْلُهُ <sup>(3)</sup>: "مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى رُوحِهِ وَهُوَ <sup>(1)</sup> وَجِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي"، فَلَمْ يُبَايِعْهُ إِلَّا عَلِيٌّ.
- 10

وَمِنَ الْخَفِيِّ عَنْدهُمْ بَعْثُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيَّاءَ لِقِرَاءَةِ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمَوْسِمِ حِينَ أَنْزَلَتْ؛ فَإِنَّهُ بَعْثَ بِهَا أَوَّلًا أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ أَوْجَحِي إِلَيْهِ: لِيُنْبَلِّغَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ،

(1) ل: فهو .

(1) هذه الجملة من الحديث ذكرت عن عدد من الصحابة، منهم: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وريدة بن الحصبب وغيرهم. جمعهم النهي في رسالة سماها: طرق حديث من كتب مولاة فعلي مولاة. حققها السيد عبد العزيز الطباطبائي. وطبع في طهران سنة 1423 هـ .

(2) هذا ليس من الحديث، إنَّما هو من قول عمر بن الخطاب ، أخرجه ابن سعد في طبقاته 2: 339، والحاكم 3: 305، وشبهه : علي أفضانا وأبي أقرؤنا . انظر تاريخ الإسلام 2: 362- .

(3) لم أقف عليه .

/ فَبَعَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ الْقَارِيءَ الْمُبْلَغَ. قَالُوا: وَهَذَا يُدُلُّ عَلَى تَشْدِيدِ عَلِيٍّ؛ وَأَيْضًا فَلَمْ يُعْرِفْ أَنَّهُ قَدَّمَ أَحَدًا عَلَى عَلِيٍّ. وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِمَا فِي غَزَاتَيْنِ، أَسَامَةُ ابْنُ زَيْدٍ مَرَّةً، وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ أُخْرَى .

وهذه كلها أدلة شاهدة بتعيين عليٍّ للخلافة دون غيره. فمنها ما هو غير

5 معروف، ومنها ما هو بعيد عن تأويلهم .

ثم منهم من يرى أنَّ هذه التصوص تدلُّ على تعيين عليٍّ<sup>(أ)</sup> وتشخيصه، وكذلك تثقل منه إلى مَنْ بعده ، وهؤلاء هم الإمامية ، ويتبرأون من الشيخين حين لم يقدموا عليًّا ويأبوه بمقتضى هذه التصوص، يغمضون في إمامتها . ولا نلتفت<sup>(ب)</sup> إلى نقل القذح فيها من غلاتهم ، فهو مردود عندنا وعندهم.

10 ومنهم من يقول إنَّ هذه الأدلة إما اقتضت تعيين عليٍّ بالوصف لا بالشخص، والتاس مقتصرون حيث لم يضعوا الوصف موضعه، وهؤلاء هم الزيدية، ولا يتبرأون من الشيخين ولا [يغمضون]<sup>(ج)</sup> في إمامتها، مع قولهم بأنَّ عليًّا أفضلُ منها، لكنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

ثم اختلف هؤلاء الشيعة في مساقٍ الخلافة بعد عليٍّ:

15 فمنهم من ساقها في ولد فاطمة بالنص عليهم واجداً بعد واحد، على ما نذكر بعد؛ وهؤلاء يُسمون الإمامية، نسبةً إلى مقالاتهم باشتراط معرفة الإمام وتعيينه في الإيمان، وهي أصلُ مذهبهم.

(أ): ل: تعيينه (ب): ل: نلتفت (ج): ط: يغمضون .



ومنها من ساقها في ولد فاطمة، لكن بالاختيار من الشيعة. ويُشترط أن يكون الإمام منهم عالماً زاهداً جواداً شجاعاً، ويُخرج داعياً إلى إمامية؛ وهؤلاء هم الزيدية، بنسبة إلى صاحب المذهب، وهو زيد بن علي بن الحسين السبط، وقد كان يُناظر أخاه مُحَمَّداً الباقر على اشتراط الخروج في الإمام، فيلزمه الباقر أن لا يكون أبوهما زين العابدين إماماً لأنه لم يُخرج ولا تَعَرَّض للخروج. وكان من ذلك 5 يتنوع عليه مذاهب المُعْتزلة وأخذها إياها عن واصل بن عطاء. ولما ناظر الإمامية زيداً في إمامة الشنخنة ورأوه يقول بأمامتها ولا يتبرأ منها، رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة، وبذلك سُموا رافضة .

ومنها من ساقها بعد علي أو ابنه السبطين، على اختلافهم في ذلك، إلى أخيها محمد بن الحنفية، ثم إلى ولده، وهم الكيسانية، نسبة إلى كيسان مَولاه. 10 وبين هذه الطوائف اختلافات تركناها اختصاراً .

وفيه طوائف يُسمون الغلاة، تجاوزوا حدود العقل والإيمان في القول باللاهية<sup>(١)</sup> هؤلاء الأئمة؛ إما على أنه بشر اتصف بصفات الألوهية؛ أو أن الإله حل في ذاته البشرية، وهو قول بالحلول يُوافق مذاهب النصارى في عيسى صلوات الله عليه. ولقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب إلى ذلك فيه منهم؛ وسخط 15 محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه، فصرح بلفنته والبراءة منه؛ وكذلك فعل جعفر الصادق من بلغه مثل هذا عنه .

(١) ل : نزلت إلى الوهية .

ومنها من يقول إن كمال الإمام لا يكون لغيره، فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر ليكون فيه ذلك الكمال؛ وهو قول بالتناسخ.

ومن هؤلاء الفلاة من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزهُ إلى غيره، بحسب من تعين لئلك عندهم، وهؤلاء هم الواقفية.

- 5 فبعضهم يقول: هو حيّ لم يمُت، إلّا أنه غائب عن أعين الناس، ويستشهدون لئلك بقضية الحضير. / قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه، وآته في السحاب، (134) والزعّد صوته، والبرق سوطه. وقالوا مثله في محمد بن الحنفية، وآته في جبل رضى من أرض الحجاز، قال شاعرهم كثير<sup>(1)</sup>: [من الوافر]

10 أَلَا إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ      وَلَاةُ الْحَقِّ أَزِيعةٌ سَوَاءُ  
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ بَنِيهِ      هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ<sup>(1)</sup>  
فَيَسْبِطُ سَبْطُ إِيْمَانٍ وَبِرٍّ<sup>(ب)</sup>      وَيَسْبِطُ غَيْبُهُ كَرِيْلَاءُ  
وَيَسْبِطُ لَا يَنْوُقُ الْمَوْتُ حَتَّى      يَقُوْدَ الْجَيْشُ<sup>(ج)</sup> يَقْدُمُهُ اللَّوَاءُ  
تَقِيْبٌ لَا يُرَى فِيهِمْ<sup>(د)</sup> زَمَانًا      بِرَضْوَى، عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

- وقال مثله غلاة الإمامية، وخصوصاً الاثنا عشرية منهم، يزعمون أن الثاني عشر من أئمتهم، وهو محمد بن الحسن العسكري، ويلقبونه المهدي، دخل في سِرْدَابٍ بدارهم بالحلّة، وتغيّب حين اغتُفِلَ مع أمّه وغاب هنالك، وهو يُخْرَجُ آخر

(1) رواية الديوان: هُمُ أسباطه والأوصياء (ب) الديوان: وحلم (ج) الديوان: الخيل يقدمها (د) الديوان: عنهم.

الزَّمانَ فَمِلاً الْأَرْضَ غَدلاً؛ يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التَّرْمِذِيِّ<sup>(1)</sup> فِي الْمَهْدِيِّ؛ وَهُمْ إِلَى الْآنَ يَنْتَظِرُونَهُ، وَيُسَمُّونَهُ الْمُنْتَظَرِ لِنَاكَ، وَيَقِفُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بَابَ هَذَا السَّرْدَابِ، وَقَدْ قَرَّبُوا مَرْكَباً، فَمَهَيْتُفُونَ بِاسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلْخُرُوجِ، حَتَّى تَشْتَبِكَ النُّجُومُ، [ثُمَّ يَنْفُضُونَ]<sup>(2)</sup> وَيَرْجِنُونَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَةِ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ [هَذَا]<sup>(3)</sup> الْعَهْدِ.

5

وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ الْوَاقِعِيَّةِ يَقُولُ: إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا. وَيَسْتَشْهَدُونَ لِنَاكَ بِمَا وَقَعَ فِي الشَّرَافِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ، وَقَتَّلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقَرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِذَنْجِهَا. وَمِثْلُ ذَلِكَ / مِنَ الْحَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى طَرِيقِ الْمُعْجَزَةِ<sup>(ب)</sup>، فَلَا يَصُحُّ الِاسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا . وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدِ الْجِنْفِيرِيِّ ، وَمَنْ شَفَرَهُ فِي ذَلِكَ<sup>(2)</sup> : [مِنْ الْوَافِرِ]

10

إِذَا مَا الْمَرْءُ شَابَ لَهُ قَدَالٌ وَعَلَّلَهُ الْمَوَاشِطُ بِالْخِضَابِ  
فَقَدْ ذَهَبَتْ<sup>(ج)</sup> بِشَاشَتِهِ وَأَوْدَى فَقُمَ بِأَصَاحِ بَيْتِكَ عَلَى الشَّبَابِ  
فَلَيْسَ بِعَائِدٍ مَا فَاتَ مِنْهُ إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْإِيَابِ<sup>(د)</sup>  
إِلَى يَوْمٍ. يَتُوبُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى دُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ

(1) سقط من ط وحدها (ب) ل: الإجماع (ج) الديوان : زلت (د) الديوان: المآب .

(1) ليس في الأحاديث التي أخرجها الترمذي في المهدي هذه الألفاظ، وهي ثلاثة أحاديث (2230) و(2231) و (2232) على أنه ورد من حديث أبي سعيد الخدري عند أبي داود (4285) وفي حديث علي (4283).

(2) ديوانه : 120 .

أَدِينُ بَأَنَّ ذَلِكَ دِينُ حَقٍّ      وما أنا في الشُّورِ بذي اِزْتِيَابٍ  
كَذَاكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَاسٍ      خِيَوْا مِنْ بَعْدِ دَرَسٍ فِي التَّرَابِ

وقد كفانا مؤونة هؤلاء الغلاة أئمة الشيعة ، فإنهم لا يقولون بها ، ويطلبون  
اختيجاجاتهم عليها .

5 فأما الكيسانية، فساقوا الإمامة من نعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي  
هاشم، وهؤلاء هم الهاشمية. ثم افترقوا، فمنهم من ساقها بَعْدَهُ إلى أخيه عليّ، ثم إلى  
ابنه الحسن بن عليّ . وآخرون زعموا أنَّ أبا هاشم لما مات بأرض [الشَّراء]<sup>(أ)</sup>  
مُضْطَرِّقاً مِنَ الشَّامِ ، أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ، وَأَوْصَى مُحَمَّدَ  
إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِمَامِ ، وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ ،  
10 الْمَلَقَّبُ بِالسَّقَّاحِ ، وَأَوْصَى هُوَ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَلَقَّبُ بِالْمَنْصُورِ ،  
وَانْتَقَلَتْ فِي وَلَدِهِ بِالنِّصِّ بِالْعَهْدِ<sup>(ب)</sup> وَاجِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهِمْ . وَهَذَا مَذْهَبُ  
الْهَاشِمِيَّةِ الْقَائِمِينَ بِذُؤْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ . وَكَانَ مِنْهُمْ : أَبُو مُسْلِمٍ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ ، وَأَبُو  
سَلَمَةَ الْخَلَّالُ ، وَغَيْرُهُمْ مِنْ شِيعَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ . وَرَبَّمَا يَغْضُدُونَ ذَلِكَ بِأَنَّ حَقَّهُمْ فِي هَذَا  
الْأَمْرِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَبَّاسِ ، لِأَنَّهُ كَانَ حَيًّا عِنْدَ الْوَفَاةِ ، وَهُوَ أَوْلَى بِالْوَرَاةِ بَعْضُهُ  
15 الْعُصُومِيَّةِ<sup>(ج)</sup> .

وأما الزيدية ، / فساقوا الإمامة على مذهبهم فيها ، وأنها باختيار الحلّ والعقد  
لا بالنص . فقالوا بإمامة عليّ ، ثم ابنه الحسن ، ثم أخيه الحسين ، ثم ابنه عليّ زين

(أ) من ع ، وفي بقية الأصول محمداً : السراة (ب) من ظه ، وفي بقية النسخ : والعهد (ج) من ط ج ع ، وفي ل ي : العمومة .

العابدين، ثم ابنه زَيْد بن عَلِيٍّ، وهو صاحب هذا المذهب. وخرج بالكوفة<sup>(1)</sup> داعيًا إلى الإمامة، فُقِلَّ وصُلِبَ بالكُتَّاسَة .

وقال الزَيْدِيَّة بِإِمَامَة ابْنه يُحْيَى من بعده ، فمضى إلى خُرَاسَان ، وقُتِلَ بالجَوْزْجان، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى إلى مُحَمَّد بن عبد الله بن حَسَن بن الحسن السَّنْبَطِ؛ ويُقال له النَّفْسُ الزَّكِيَّة ؛ فخرَجَ بالجِجَار وتلقَّبَ بالمُهْدِيِّ، وجاءته عساكرُ المَنْصُورِ فَهُزِمَ 5 وقُتِلَ، وَعَهَدَ بالأمر إلى أخيه إِبراهيم، فقام بالبصرة ومعه عيسى بن زَيْد بن عَلِيٍّ، فَرَحَفَ إليهم المَنْصُورُ في عساكره، أو قُوَّادَه<sup>(ب)</sup>، فَهُزِمَ، وقُتِلَ إِبراهيم وعيسى؛ وكان جَعْفَرُ الصَّادِق قد أخبرهم بذلك كلَّه، وهي معدودة في كراماته .

وذهب آخرون منهم إلى أَنَّ الإمامَ بَعْدَ مُحَمَّد بن عبد الله النَّفْسُ الزَّكِيَّة، هو مُحَمَّد بن القاسم بن عَلِيٍّ بن عَلِيٍّ بن عُمَر، وعُمَرُ هو أخو زَيْد بن عَلِيٍّ، فخرَجَ مُحَمَّد 10 ابن القاسم بالمطالِقَان، فَقُبِضَ عليه وسِيقَ إلى المَغْتَصِم، فحبسه، وماتَ في مَحَبَسِهِ.

وقال آخرون من الزَيْدِيَّة: إِنَّ الإمامَ بَعْدَ يُحْيَى بن زَيْد هو أخوه عيسى الَّذِي حَضَرَ مع إِبراهيم بن عبد الله في قتاله مع المَنْصُور، وسَقَلُوا الإمامة في عَقِبِهِ، وإليه انْتَسَبَ دَعْيُ الرَّئِج، كما نَذَرُكَ في أخبارهم.

وقال آخرون من الزَيْدِيَّة: إِنَّ الإمامَ بَعْدَ مُحَمَّد بن عبد الله، أخوه إِدْرِيسُ 15 الَّذِي قَرَّ إلى المَغْرِبِ وماتَ هُنَاكَ، وقام بأمره ابْنُه إِدْرِيسُ بن إِدْرِيس، وَاخْطَأَ مَدِينَةَ فَاس، وكان من بعده عَقِبُهُ مُلُوكًا بالمَغْرِبِ إلى أَنْ انْقَرَضُوا، كما نَذَرُكَ في أخبارهم.

(1) ظ: إلى الكوفة (ب) كذا ضبطت في ل ع على معنى الشك فمن تولى الرحف، فكون فاعل زحف .

وَبَقِيَ أَمْرُ الزَّيْدِيَّةِ بَعْدَ / ذَلِكَ غَيْرُ مُنْتَظِمٍ. وَكَانَ مِنْهُمْ الدَّاعِي الَّذِي مَلَكَ [135ب]  
طَبْرِسْتَانَ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْحَسَنِ  
السَّنْبُطِ، وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ. ثُمَّ قَامَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ فِي الدَّيْلَمِ النَّاصِرُ الْأَطْرُوشُ مِنْهُمْ،  
وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عُثْمَرَ، وَعُمَرُ أَخُو زَيْدِ  
5 ابْنِ عَلِيٍّ، فَكَانَتْ لَبْنِيهِ فِي طَبْرِسْتَانَ ذَوْلَةً، وَتَوَصَّلَ الدَّيْلَمُ مِنْ سَبْيِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ  
وَالْأَسْتِخْدَادِ عَلَى الْخَلَفَاءِ بَيْغَدَادَ، كَمَا نَذَكُرُ فِي أَخْبَارِهِمْ.

وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ، فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيِّ الْوَصِيِّ <sup>(1)</sup> إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالْوَصِيَّةِ،  
ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ الْحُسَيْنِ، ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ، ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ، ثُمَّ  
إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَمِنْ هُنَا افْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ:

10 فِرْقَةٌ سَاقَوْهَا إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَيُعَرِّفُونَهُ بَيْنَهُم بِالْإِمَامِ، وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ.  
وَفِرْقَةٌ سَاقَوْهَا إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ، وَهُمْ الْاِثْنَا عَشَرِيَّةُ، لَوْفُفِهِمْ عِنْدَ  
الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَيْمَةِ، وَقَوْلُهُمْ بِغَيْبَتِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا مَرَّ.

فَأَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلِ الْإِمَامِ بِالتَّصُّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرٍ،  
وَفَائِدَةُ التَّصُّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ، وَإِنْ كَانَ قَدْ مَاتَ قَبْلَ أَبِيهِ، إِنَّمَا هِيَ بَقَاءُ الْأَيْمَةِ <sup>(ب)</sup> فِي  
15 عَقِيهِ، كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا.

قَالُوا: ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ، وَهُوَ أَوَّلُ  
الْأَيْمَةِ الْمَسْتُورِينَ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا تَكُونُ لَهُ شَوْكَةٌ فَيَسْتَسْتَرُّ، وَيَكُونُ دُعَاةُ

(1) كَذَا فِي ط ع ج، وَفِي ل ي: الرَضِيِّ (ب) مِنْ ط، وَفِي الْأَصُولِ الْأُخْرَى: الْإِمَامَةُ.

ظاهرين ، إقامة للحجة على الخلق ، وإذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته .  
 قالوا: وبعد مُحمد المكنوم ابنه جعفر المُصدق؛ وتبعه ابنه محمد الحبيب وهو آخر  
 المُشْتورين؛ وتبعه ابنه عُبيد الله المُهدي الذي ظهر داعيته / أبو عبد الله الشيعي [136]  
 في كُتامة ، بايع الناس على دعوته ، ثم أخرجهُ من مَعْتقله بسِجِلْمَسة ، ومَلَكَ القِيروانَ  
 والمغرب ، ومَلَكَ بتوهُ من بعده مِصرَ كما هو معروف في أخبارهم .

ويُسَمَّى هؤلاء الإسماعيلية، نسبةً إلى القول بإمامة إسماعيل ، ويُسمَّون  
 أيضًا الباطنية نسبةً إلى قولهم بالإمام الباطن أي المُشْتور . ويُسمَّون أيضًا المِلْحَدة  
 لما في ضمن مقالاتهم من الإلحاد . ولهم مقالات قديمة ومقالات جديدة ، دعا إليها  
 الحسن بن محمد الصباح في آخر المائة الخامسة ، ومَلَكَ خصوصاً بالشام والعراق ،  
 ولم تَزَلْ دَعْوَتُهُ [قائمة<sup>(1)</sup>] فيها إلى أن تَوَزَّعَها الهلاك بين مُلوك التُّرك بِمِصرَ ومُلوك  
 [الظطر]<sup>(2)</sup> بالعراق فانقرضت . ومقالةُ هذا الصباح في دعوته مذكورة في كتاب المِلَل  
 والتحل للشَّهرستاني<sup>(1)</sup> .

وأما الأثنا عشرية - ورُبَّمَا خُصُّوا باسم الإمامية عند المتأخرين منهم - فقالوا  
 بإمامة موسى الكاظم بن جعفر ، لوفاء أخيه الأكبر إسماعيل الإمام في خِباء أبيهما  
 جعفر ، فنَصَّ على إمامة موسى هذا ، ثم ابنه عَلِي الرِّضا ، الذي عَهِدَ إليه المأمُونُ ،  
 ومات قَبْلَهُ فلم يَمِّ له أمرٌ ، ثم ابنه مُحَمَّد التَّقي ، ثم ابنه عَلِي الهادي ، ثم ابنه الحسن  
 العسكري ، ثم ابنه مُحَمَّد المَهدي المُنتظر الذي قَدَّمنا ذِكرَهُ .

(1) من ل (ب) من ج ل ي ، وفي ط: الطوطر . وضع على السماء شطين لضبط النطق .

(1) المِلل والتحل 2 : 195 .

وفي كل واحد من هذه المقالات للشَّيعة اختلاف كثير؛ إلا أنَّ هذه أشهر مذاهبهم، ومن أراد استيعابها ومطالعها فعليه بكتب الملل والنحل لابن خزم والشَّهرستاني وغيرهما، ففيها بيان ذلك. والله ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النحل، من الآية 93] .

## 5 28 • فصل، في انقلاب الخلاف إلى الملك

اعلم أنَّ الملك غاية طبيعية للعصية، ليس وقوعه عنها / باختيار، إنما هو [136ب] بضرورة الوجود وترتبه كما قلناه من قبل، وأنَّ الشرائع والتدانيات وكل أمر يُحْمَلُ عليه الجمهور فلا بدَّ فيه من العصية، إذ المطالبة لا يتم إلا بها كما قدَّمناه؛ فالعصية ضرورة لليلة، وبوجودها يتم أمر الله منها. وفي الصحيح<sup>(1)</sup>: "ما بعث الله نبياً إلا في منعة من قومه". 10

ثم وجدنا الشارع قد دَمَّ العصية ونَدَب إلى أطرائها وعَرَكَها، فقال<sup>(2)</sup>: "إنَّ الله أذهب عنكم غيبة الجاهلية وفخرها بالآباء، أنتم بنو آدَمَ وآدَمُ من ثراب"، وقال تعالى: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات، من الآية 13]. وَوَجَدْنَاهُ أيضاً قد دَمَّ الملك وأَهْلَه، ونعى على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلق

(1) سقط من ل .

(1) قدَّم ذكره وتخرجه في صفحتي 168، 277.

(2) أخرجه أحمد 2: 361، والترمذي (3956) وهو آخر حديث في كتابه، وأبو داود (5116)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (3458)، والبيهقي في السنن الكبرى 10: 232 وفي شعب الإيمان (5126) و(5127) و(5128) .



والإسراف في غير القصد، والتَّكَبُّعُ عن صراطِ الله، وإِنَّمَا خَصَّ عَلَى الْأَلْفَةِ فِي الدِّينِ، وَخَدَّرَ مِنَ الْخِلَافِ وَالْفُرْقَةِ .

- واعلم أنَّ الدُّنْيَا وأحوالها كلها عند الشَّارِعِ مطيئةٌ لِلْآخِرَةِ، وَمَنْ فَقَدَ الْمَطِيئَةَ فَقَدَ الْوَصُولَ. وَلَيْسَ مُرَادُهُ فِيمَا يَنْهَى عَنْهُ أَوْ يُذَمُّهُ مِنْ أَعْمَالِ الْبَشَرِ، أَوْ يَنْدُبُ إِلَى تَرْكِه، إِمَّا هَلَّا بِالْكَلْبَةِ أَوْ اقْتِلَاعِهِ مِنْ أَصْلِهِ، وَتَعْطِيلِ الْقَوَى الَّتِي نَشَأُ عَلَيْهَا بِالْكَلْبَةِ ، 5  
إِنَّمَا قَصْدُهُ تَصْرِيفُهَا فِي أَغْرَاضِ الْحَقِّ مُجْتَهِدِ الْإِسْتِطَاعَةِ ، حَتَّى تَصِيرَ الْمَقَاصِدُ كُلُّهَا حَقًّا وَتُحْدِ الْوُجْهَةَ ، كَمَا قَالَ ﷺ <sup>(1)</sup> : "مَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَرَوَّجُهَا فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ". فَلَمْ يَذَمَّ الْعُصْبَ وَهُوَ يَقْصِدُ نَزْعَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّهُ لَوْ زَالَتْ مِنْهُ قُوَّةُ الْعُصْبِ لَفَقِدَ مِنْهُ الْإِنْتِصَارُ لِلْحَقِّ ، وَبَطُلَ الْجِهَادُ وَإِعْلَاءُ كَلِمَةِ اللَّهِ بِهِ ؛ وَإِنَّمَا يَذَمُّ الْعُصْبَ 10  
لِلشَّيْطَانِ وَالْأَغْرَاضِ الدَّمِيمَةِ ؛ فَإِذَا كَانَ الْعُصْبُ لِلذَّكَاءِ كَانَ مَذْمُومًا ، وَإِذَا كَانَ الْعُصْبُ <sup>(2)</sup> فِي اللَّهِ وَفِي اللَّهِ كَانَ مَمْدُوحًا ؛ وَهُوَ مِنْ شِمَائِلِهِ ﷺ . وَكَذَا ذَمُّ الشَّهَوَاتِ لِلسَّيِّئَاتِ / <sup>(3)</sup> أَيْضًا ، لَيْسَ الْمُرَادُ إِطْلَاقُهَا بِالْكَلْبَةِ؛ فَإِنَّ مِنْ بَطُلَتْ شَهْوَتُهُ كَانَ نَقْصًا فِي حَقِّهِ؛ 1337  
وَإِنَّمَا الْمُرَادُ تَصْرِيفُهَا فِيمَا أُبِيحَ لَهُ بِإِسْتِثْنَائِهِ عَلَى الْمَصَالِحِ؛ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَصَرِّفًا طَوَّعَ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ. وَكَذَا الْعَصِيَّةُ حَيْثُ ذَمُّهَا الشَّرْعُ، وَقَالَ: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ 15  
أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ [سورة المتحنة، من الآية 3]، فَإِنَّمَا مُرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ الْعَصِيَّةُ

(1) من ع ج ل ي، وسقط من ل (ب) سقط من ل .

(2) هو في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب، وبه افتتح البخاري صحيحه (1)، وهو في الجهاد عند مسلم (1907) .

على الباطل وأخواله كما كانت في الجاهلية، وأن [لا]<sup>(أ)</sup> يكون لأحد فخر بها أو حق على أحد، لأن ذلك مجاز من أفعال العقلاء، وغير نافع في الآخرة التي هي دائر القرار. فاما إذا كانت العصبية في الحق وإقامة<sup>(ب)</sup> أمر الله، فأمر<sup>(ج)</sup> مطلوب، ولو بطل لبطلت الشرائع، إذ لا يتم قيامها إلا بالعصبية كما قلناه من قبل. وكذا الملك،  
 5 لما دمه الشارع لم يذم منه الغلب بالحق وقهر الكافة على الدين، ومراعاة المصالح؛ وإثما دمه لما فيه من التغلب بالباطل وقصريف الآدميين طوع الأغراض والشهوات كما قلناه. فلو كان الملك مخلصاً في غلبه للناس أنه الله، ويحلمهم على عبادة الله وجهاد عدوه لم يكن ذلك مذموماً.

وقد قال سليمان صلوات الله عليه: هرب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من  
 10 بقدي ﴿سورة ص، من الآية 35﴾؛ لما علم من نفسه أنه بمنزلة عن الباطل في الثبوت والملك.

ولما لقي معاوية عزم بن الخطاب عند قدومه إلى الشام في أئمة الملك وزيه من العديد والعدة، استنكر ذلك، وقال: أكسروية يا معاوية؟! فقال: يا أمير المؤمنين،  
 إنا في ثمر نجاه العدو، وبنا إلى مباحاتهم بزيئة الحزب والجهاد حاجة؛ فسكت ولم يخطئه  
 لما احتج عليه بمقصد من مقاصد الحق والدين. فلو كان القصد رفض الملك من  
 15 أضله لم يثبته هذا الجواب في تلك الكسروية واتحاليها، بل كان يحرص على خروجه

منها بالجملة. وإثنا أراد عزم بالكسروية ما كان عليه أهل فارس / في ملكهم من ارتكاب [137ب]  
 الباطل والتبغي وسلوك سبيله، والفظة عن الله؛ وأجابه معاوية بأن القصد بذلك ليس  
 كسروية فارس وباطلهم، وإثنا قضه<sup>(د)</sup> بها ووجه الله، فسكت.

(أ) من ل (ب) ي: وأقاموا (ج) ل: هو أئمة (د) ل: قضد.

وهكذا كان شأن الصحابة في رفض الملك وأحواله ونسيان عوايده ، حذراً من التباسها بالباطل .

فلما استخضر رسول الله ﷺ ، استخلف أبا بكرٍ على الصلاة، إذ هي أهم أمور الدين، وارتضاه الناس للخلافة، وهي تحمل الكفاية على أحكام الشريعة. ولم يُجَرِّ للملك ذِكْرٌ، لِمَا أَنَّهُ مَظِنَّةٌ لِلْبَاطِلِ وَنَحْلَةٌ يَوْمَنِيذٍ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ. فقام 5 بذلك أبو بكر ما شاء الله متبعاً سنن صاحبه، وقاتل أهل الردة حتى اجتمع العرب على الإسلام.

ثم عهد إلى عمر فاتبع أثره، وقاتل الأمم فغلبهم، وأذن للعرب في انتزاع ما بأيديهم من الدنيا والملك فغلبوهم عليه، وانتزعوه منهم. ثم صارت إلى عثمان، ثم إلى علي؛ والكل مُتَبَرِّئُونَ مِنَ الْمُلْكِ مُنْكَبُونَ عَنْ طُرُقِهِ. 10

وأكد ذلك لديهم ما كانوا عليه من غضاضة الإسلام ونداوة العرب. فقد كانوا أبعَدَ الأمم عن أحوال<sup>(1)</sup> الدنيا وتزرفها، لا من حيث دينهم الذي يذعوهم إلى الزهد في التعميم، ولا من حيث بداوتهم ومواطنهم، وما كانوا عليه من خشونة العيش وشططيه الذي ألفوه.

فلم تكن أمة من الأمم أشغبت عيشاً من مضر، لما كانوا بالجهاز في أرض 15 غير ذات زرع ولا ضرع، وكانوا متنوعين من الأزياف وحبوبها، لبغدها واختصاصها بمن وليها من زبيعة واليمن؛ فلم يكونوا يتطاولون إلى خيبتها؛ ولقد

(1) ل: زينة .

كانوا كثيراً ما يأكلون العقارب والحنافس، ويُسَخَّرُونَ بِأَكْلِ الْعِلْهَرِ، وهو وَرَّ الإِبِلِ يَتَهَوَّنُهُ بِالْحِجَارَةِ فِي الدَّمِ وَيَطْبَخُونَهُ. وقريباً من هذا كانت حَالُ قُرَيْشٍ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ .

- حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ / عَصِيَّةُ الْقَرْبِ عَلَى الدِّينِ بِمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ بُيُوتِهِ [138]
- 5 محمد ﷺ، زَخَفُوا إِلَى أُمَمٍ فَارِسٍ وَالرُّومِ، وَطَلَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَوَعْدِ الصَّدَقِ؛ فَاتَّبَعُوا مُلْكَهُمْ، وَاسْتَبَاحُوا دُنْيَاهُمْ، فَزَخَرَتْ بِحَارِ الرَّفْهِ لَدَيْهِمْ، حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ الْوَاحِدُ يُنْسَمُ لَهُ فِي بَغْضِ الْغَزَوَاتِ ثَلَاثُونَ<sup>(1)</sup> أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ نَحْوِهَا، فَاسْتَوَلُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ الْحَضَرُ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خُشُونَةٍ عَيْنِهِمْ؛ فَكَانَ عُمَرُ يُرَقِّعُ ثَوْبَهُ بِالْجِلْدِ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ: يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ، غُرِّي غُرِّي. وَكَانَ 10 أَبُو مُوسَى يَتَجَافَى عَنْ أَكْلِ الدَّجَاجِ لِأَنَّهُ لَمْ يَفْعَدْهَا لِلْغَرَبِ لِقَلَّتْهَا يَوْمِيذٍ، وَكَانَتْ الْمَنَاخِلُ<sup>(ب)</sup> مَفْقُودَةً عَنْدهُمْ بِالْجُمْلَةِ، وَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ الْجِنْتَ بِنَخَالِهَا. وَمَسَاكِينُهُمْ مَعَ هَذَا أُمَمٌ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ.

- قال المشعودي<sup>(1)</sup>: فِي أَيَّامِ عُثْمَانَ افْتَنَى الصَّحَابَةُ الصَّيَّاعَ وَالْمَالَ، فَكَانَ لَهُ يَوْمَ قُبَيْلٍ عِنْدَ خَازِنِهِ خَمْسُونَ وَمِائَةً أَلْفَ دِينَارٍ، وَأَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ؛ وَقِيمَةُ ضِيَاعِهِ بَوَادِي 15 الْقُرَى وَحُتَيْنِ وَغَيْرِهَا، مِائَتَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَخُلُفٌ إِبِلًا وَخَيْلًا كَثِيرَةً.
- وَبَلَغَ الثَّمَنُ الْوَاحِدُ مِنْ مَثْرُوكِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ وَفَاتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَخُلُفٌ أَلْفَ قَرِيصٍ وَأَلْفَ أُمَةٍ.

(أ) فِي الْأَصُولِ كَلِمَا: ثَلَاثِينَ (ب) مِنْ ظ، وَفِي ع ج ل ي: الْمَنَاخِلُ .

(1) مروج الذهب 76/3، 579 - 582 .

وكانت غَلَّةُ طَلْحَةٍ من العراق أَلْفَ دينار كلَّ يوم، ومن ناحية الشَّراة أكثر من ذلك.

وكان على مَرْيَطَ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَلْفَ فَرَسٍ، وله أَلْفُ بَعِيرٍ وَعَشْرَةُ أَلْفٍ من الغنم، وبلغ الرُّبْعُ من مَتْرُوكِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَرْبَعَةً وَثَانِينَ أَلْفًا.

وَحَلَفَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ مِنَ الْفِصَّةِ وَالذَّهَبِ مَا كَانَ يَكْتَسِرُ بِالْفُؤُوسِ، غَيْرَ مَا 5  
خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ .

وَبَنَى الزُّبَيْرُ دَارَهُ بِالْبَصْرَةِ، وَكَذَلِكَ بَنَى بِمَضَرَ وَالْكُوفَةِ وَالِإِسْكَندَرِيَّةِ.

وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ بِالْكُوفَةِ، وَشَيْدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ، وَبَنَاهَا / بِالْجِصِّ [138ب]  
وَالْأَجْرُ وَالسَّاحِ .

وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ دَارَهُ بِالْعَقِيقِ، وَرَفَعَ سَمَكَهَا، وَأَوْسَعَ قِضَاءَهَا، 10  
وَجَعَلَ عَلَى أَغْلَاهَا شُرُفَاتٍ.

وَبَنَى الْمُشَدَّادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ، وَجَعَلَهَا مُجَصَّصَةً الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ .

وَحَلَفَ يَغْلَى بْنُ مُنِيَّةٍ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَقَارًا وَغَيْرَ ذَلِكَ، مَا قِيمَتُهُ  
ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ. انْتَهَى كَلَامُ الْمُسَعَوْدِيِّ .

فَكَانَتْ مَكَاسِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَنُوعِيًّا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ، إِذْ هِيَ 15  
أَمْوَالٌ حَلَالٌ لِأَنَّهُا غَنَائِمٌ وَ[فُيُوءٌ]<sup>(أ)</sup>، وَلَمْ يَكُنْ تَقْصُرُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ، إِنَّمَا كَانُوا عَلَى  
قَصْدٍ فِي أَخْوَالِهِمْ كَمَا قُلْنَا؛ فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ [فِهِمْ]<sup>(ب)</sup>. وَإِنْ كَانَ الْإِسْتِكْنَارُ مِنْ

(أ) فِي ظَوْحِهَا: فِيهِ (ب) سَقَطَ مِنْ ظَوْحِهَا.

الدُّنْيَا مَذْمُومًا، فَإِنَّمَا يَرْجَعُ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالْحُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ. وَإِذَا كَانَ حَالُهُمْ قَصْدًا وَتَقَاتُهُمْ فِي سُبُلِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ، كَانَ ذَلِكَ الْاِسْتِكْنَارَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى طُرُقِ الْحَقِّ وَاكْتِسَابِ الثَّارِ الْآخِرَةِ. فَلَمَّا تَدَرَّجَتِ الْبِدَاوَةُ وَالْقَضَاةُ إِلَى نِهَائِهَا، وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكَ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا، وَحَصَلَ التَّغْلُبُ 5 وَالْفَهْرُ، كَانَ حُكْمُ ذَلِكَ الْمُلْكَ عِنْدَهُمْ حُكْمُ الرَّفَةِ وَالِاسْتِكْنَارُ مِنَ الْأَمْوَالِ؛ فَلَمْ يَضْرَفُوا ذَلِكَ التَّغْلُبَ فِي بَاطِلٍ، وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنْ مَقَاصِدِ الْبَيَانَةِ وَمَذَاهِبِ الْحَقِّ.

وَلَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَهِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ، كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقَّ وَالِاجْتِهَادَ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي مُحَازَنَتِهِمْ لِعَرَضِ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ لِإِثَارِ بَاطِلٍ، أَوْ لِاسْتِشْعَارِ جَفْدٍ كَمَا يَتَوَهَّمُهُ مَتَوَهَّمٌ<sup>(1)</sup>، أَوْ يَنْزِعَ إِلَيْهِ مُلْجِدٌ. وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ، وَخَالَفَ كُلُّ وَاحِدٍ نَظَرَ صَاحِبِهِ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ، فَاقْتَتَلُوا عَلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ 10 الْمُصِيبُ عَلِيًّا فَلَمْ يَكُنْ مُعَاوِيَةُ فَائِمًا فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ؛ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ. وَالْكُلُّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ.

ثُمَّ اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكَ الْاِثْرَادَ / بِالْمَجْدِ وَاسْتِثْنَاةَ الْوَاحِدِ بِهِ. وَلَمْ يَكُنْ 15 لِمُعَاوِيَةَ أَنْ يَذْفَعُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ، فَهُوَ أَمَرَ طَبِيعِي سَاقَتَهُ الْعَصِيَّةَ بِطَبِيعَتِهَا، وَاسْتَشْفَعَتْهُ بِنُؤْمِيَّةٍ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مُعَاوِيَةَ فِي اقْتِضَاءِ الْحَقِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، فَاعْضَوْضُبُوا عَلَيْهِ وَاسْتَنَاتُوا دُونَهُ. وَلَوْ قَدْ حَمَلَهُمْ مُعَاوِيَةُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْاِثْرَادِ بِالْأَمْرِ، لَوَقَعَ فِي افْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَ جَمْعُهَا وَتَأْلِيفُهَا أَهْمٌ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ لَيْسَ وَرَاءَهُ كَبِيرُ مُخَالَفَةٍ. وَقَدْ كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْقَاسِمَ

(1) سقط من ل.

ابن محمد ابن أبي بكر : لو كان لي من الأمر شيء لولّيته الخلافة . ولو أراد أن يتعهد إليه لفعل ؛ لكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل والعقد لِمَا ذكرناه ؛ فلا يقدِر أن يُحوّل الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة.

وهذا كله إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعَ الْمُلْكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ . فالمُلْكُ إِذَا خَصَلَ ، وفرضنا أَنَّ الواحدَ انْفَرَدَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ ، لم يكن 5 في ذلك نِكِيرٌ عَلَيْهِ . وقد انْفَرَدَ سُلَيْمَانُ ، صلواتُ الله عليه ، وأبوه داوود بِمُلْكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، لِمَا اقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ فِيهِمْ مِنَ الْاِثْقَادِ بِهِ ، وكانوا ما علمت من التَّبَوُّةِ وَالْحَقِّ . وكذلك عَهْدُ معاويةَ إِلَى يزيدٍ خوفاً من افْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ ، بما كان بنو أمية لم يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ لِمَنْ سِوَاهُمْ . فلو قد عَهِدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ ؛ مع أَنَّ ظَنَّهُمْ كان به صالحاً ، و<sup>(١)</sup> لا يَرْتَابُ أَحَدٌ فِي ذلك ، ولا يُطْرَقُ بِمعاويةَ غَيْرُهُ ؛ فلم 10 يكن لِيَتَعَهَّدَ إِلَيْهِ وهو يَفْتَقِدُ ما كان عليه من الفسق ، حاشا لله لِمعاويةَ من ذلك .

وكذلك كان مَرْوَانُ بن الحَكَمِ وابْنُهُ ، وَإِنْ كانوا مُلُوكًا ، فلم يكن مَذْهَبُهُمْ فِي الْمُلْكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ وَالْبَغْيِ ؛ إِنَّمَا كانوا مَتَحَرِّينَ لِمَقاصِدِ الْحَقِّ مُحَمَّدَهُمْ / إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَحْمِلُهُمْ عَلَى بَغْضَاهَا ، مثل خَشْيَةِ افْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ أَمُّ لَدِينِهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصِدٍ . يَشْهَدُ [لِلذَلِكَ] <sup>(ب)</sup> ما كانوا عليه مِنَ الْاِتِّبَاعِ وَالْاِفْتِدَاءِ ، وما عَلِمَ السَّلَفُ مِنْ 15 أَخْوَالِهِمْ . فقد احْتَجَّ مالِكٌ فِي الْمُوطَأِ <sup>(١)</sup> بِعَمَلِ غَبْدِ الْمُلْكِ ، وَأَمَّا مَرْوَانُ فَكان من

(١) سقط من ل (ب) في ط وحدها: لك .

(١) احتج بعمله في جملة مسائل ، انظر الموطأ 2: 278 (رقم 2146) و 2: 344 (رقم 2287) ، واحتج بقضائه فيما يجب فيه الفضل العدد 2: 444 (رقم 2555) .

الطبقة الأولى من التابعين، وفضله معروف، ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك، وكانوا من الذين بالمكان الذي كانوا عليه؛ وتوسطهم عمر بن عبد العزيز، ونزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابه مجده، ولم ينفهل. ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدينية ومقاصدهم، ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد 5 فيها واعتماد الحق في مذاهبا. فكان ذلك تما دعا الناس إلى أن نغوا عليهم أفعالهم. وأدالوا بالدعوة القبايسة منهم.

وولي رجالها الأمر، فكانوا من العدالة بمكان، وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا؛ حتى جاء بنو الرشيد من بعده، فكان منهم الضال والصالح، ثم أفصى الأمر إلى بنهم، فأعطوا الملك والثرف حقه، وانغمسوا في الدنيا وابطلها، 10 وبنذوا الذين وراءهم ظهرياً، فتأذن الله بحزبهم، وانزع الأمر من أيدي العرب جملة وأمكن سيواهم منه. وإلّا [الله لا يظلم مثقال ذرة] ﴿سورة النساء، من الآية 40﴾.

ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك، واختلافهم في تحري الحق من الباطل، علم صحة ما قلناه. وقد حكى المسعودي<sup>(1)</sup> مثله في أخوال بني أمية، عن أبي جعفر المنصور، وقد حضر محمومته وذكروا بني أمية، فقال: أما عبد الملك فكان 15 جباراً لا يبالي بما صنع؛ وأما سليمان فكان همة بطنه وفرجه؛ وأما عمر فكان أغور بين عثيان، وكان رجل القوم هشام. قال: ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من / السلطان، يحوطونه ويصونون ما وهب الله لهم منه، مع تسنيهم معالي الأمور [140] وزفضهم أدانيها، حتى أفصى الأمر إلى أبنائهم المترفين، فكانت همتهم قصد الشهوات،

(1) مروج الذهب 130/4 (2374 - 2376).



وركوب اللذات من معاصي الله، تخلصاً باستناده وأمناً لفرجه، مع أطراحهم صيانة  
الخلافة، واستخفافهم بحق الرئاسة، وضغفهم عن السياسة، فسلبهم الله العز،  
وألبسهم الذل، ونش عنهم الثقة.

ثم استخضر عبد الله بن مروان، فقض عليه خبره مع ملك الثونة، لما  
دخل أرضه فاراً أمام<sup>(١)</sup> بني العباس، قال: أقضت ملياً<sup>(ب)</sup> ثم أتاني ملكهم، فقعد على  
الأرض<sup>(ج)</sup> وقد بسط لي فرش ذات قيمة، فقلت: ما منعك من القعود على  
ثيابنا، فقال: إني ملك، وحق لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رعمه الله. ثم  
قال لي: لم تشربون الخمر وهي محترمة عليكم في كتابكم؟ فقلت: اجترأ على ذلك  
عبيدنا وأتباعنا، قال: فلم تظوون الزرع بدوائكم والفساد محترماً عليكم في كتابكم؟  
قلت: فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم، قال: فلم تلبسون الديباج والذهب  
والحرير وهو محترماً عليكم في كتابكم؟ قلت: ذهب منا الملك واشترنا بقوم من  
العجم، دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكزّه مثاً. فأطرق يئساً بيده في  
الأرض، ويقول: عبيدنا، وأتباعنا، وأعاجم دخلوا في ديننا!! ثم رفع رأسه إلي  
وقال: ليس كما ذكرت! بل أنتم قوم استحلتم ما حرّم الله، وأتيتهم ما عنه نهيتهم،  
وظلّتم فيما ملكتم، فسلبكم الله العزّ وألبسكم الذلّ بذنوبكم، والله ثمة لم تبلغ  
غايتهما فيكم، وأنا خائف أن يحلّ بكم<sup>(د)</sup> العذاب وأنتم ببلدي فينالي معكم، وإنا  
الضيافة ثلاث، / فترؤد ما احتجت إليه وازنجل عن أرضي<sup>(هـ)</sup>. فتعجب المنصور  
[140ب] وأطرق.

(١) من ط ج ع. وفي ل ي: أمام (ب) في المروج: ثلاثاً وهو أصوب (ج) ل: التراب (د) ل: عليكم (هـ) سقط من ل.

فقد تبين لك كيف انقلبت الخلافة إلى الملك، وأن الأمر كان في أوله  
 خلافة، ووزع كل أحد فيها من نفسه وهو الدين، وكانوا يؤثرونه على أمور دنياهم،  
 وإن أقصت إلى هلاكهم وخدّم دون الكافة. فهذا عثمان لما حصر في الدار، جاءه  
 الحسن والحسين وعبد الله بن عمر وابن جعفر وأمثالهم يريدون المدافعة عنه،  
 فأبى، ومنع من سلّ السيف بين المسلمين، مخافة الفرقة، وحفظاً للألفة التي بها  
 5 حفظ الكلمة، ولو أدى إلى هلاكه. وهذا عليّ أشار عليه المغيرة لأوّل ولايته  
 باستبقاء الزبير ومعاوية وطلحة على أعمالهم، حتّى يجتمع الناس على بيعته وتتفق  
 الكلمة، وله بعد ذلك ما شاء من أمره، وكان ذلك من سياسة الملك؛ فأبى، فإرازا  
 من الغش الذي ينافيه الإسلام. وعنا عليه المغيرة من الغداة فقال: أشرت عليك  
 10 بالأمس بما أشرت، ثمّ عدت إلى نظري فعلمت أنّه ليس من الحقّ والتصيحة، وأنّ  
 الحقّ فيما رأيته أنت؛ فقال عليّ: لا والله، بل أعلم أنّك نصحتني بالأمس وغششتني  
 اليوم، ولكن منعتني مما أشرت به ذائد الحقّ.

وهكذا كانت أحوالهم في إصلاح دينهم بفساد دنياهم. ونحو<sup>(1)</sup>: [من الطويل]

نُزِعَ دُنْيَانَا بِتَفْزِيقِ دِينِنَا      فَلَا دِينَنا يَبْقَى وَلَا ما نُرْقَعُ

15 فقد رأيت كيف صار الأمر إلى الملك، وتبيّث معاني الخلافة من تحزّي  
 الدين ومذاهبه والجزّي على منهاج الحقّ، ولم يظهر التّفْزِيقُ إلّا في الوازع الذي كان  
 دينا ثم انقلب عصبيةً وسيفاً. وهكذا كان الأمر لعهد معاوية ومزوان وابنه عبد

(1) كان إبراهيم بن آدم العجلي الزاهد يردّها، انظر البيان والتبيين 1: 260، عيون الأخبار 2: 330، العقد  
 الفريد 3: 176، المحاسن والأضداد 101، ولا يعرف قائلها.

المَلِك، والصَّدرِ الأوَّل من خُلَفاء بني العباس إلى الرَّشيد وتغصُّ ولده. ثم ذهبَتْ  
 [141] معاني الخِلافة / ولم يبقَ إلا اسمُها، وصار الأمرُ مُلكًا بَحْتًا، وجَزَتْ طَبِيعَةُ التَّقَلُّبِ  
 إلى غايَتها، واشتَغِلَتْ في أغراضها من القَهَر والتَّحَكُّم في الشَّهوات والملاذِّ. وهذا كما  
 كان الأمرُ لِحَلَفِ بَني عَبْدِ المَلِك، ولمَّا جاء بَعْدُ المُعْتَصِم والمتوكِّل من بَني العباس؛  
 واسمُ الخِلافة باقياَ فيهم لبقاء عَصِيَّةِ العَرَب، والخِلافةُ والمُلْكُ في الطَّوَرَيْنِ مُلْتَمِسٌ 5  
 بَعْضُها بَعْضٌ. ثم ذهبَ رِسمُ الخِلافةِ وأثرُها بذهابِ عَصِيَّةِ العَرَبِ وفناء جيلِهم  
 وتلاشي أخواهم، وبقي الأمرُ مُلكًا بَحْتًا كما كان الشَّأْنُ في مُلوك العَجَم بِالمَشْرِقِ،  
 يَدِينون بِطاعةِ الخَلِيفَةِ بَتَرَكًا، والمُلْكُ بِجَمِيعِ أَلْقَابِهِ وَمَنَاجِيهِ لَهُمْ، وليس للخَلِيفَةِ مِنْهُ  
 شَيْءٌ. وكذلك فَعَلَ مُلوكُ رَمَاتِهِ بِالمَغْرِبِ، مِثْلَ صِنْهَاجَةٍ مَعَ العُيَيْنِيِّينَ، وَمَغْرَاوَةٍ وَبَني  
 يَثْرَنْ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَني أُمَيَّةٍ بِالأَنْدَلُسِ، والعُيَيْنِيِّينَ بِالقُرُونِ. 10  
 فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الخِلافةَ قَدْ وُجِدَتْ بِدُونِ المُلْكِ أَوَّلًا، ثُمَّ التَّبَسَّطَ مَعَانِيهَا  
 وَاخْتَلَطَتْ، ثُمَّ انْفَرَدَ المُلْكُ حَيْثُ افْتَرَقَتْ عَصِيَّتُهُ مِنْ عَصِيَّةِ الخِلافةِ. وَاللَّهُ مُقَدِّرُ  
 اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

## 29 • فَصْلٌ فِي مَعْنَى الْبَيْعَةِ

اغْلَمْ أَنَّ النِّيعَةَ هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ؛ كَأَنَّ الْمُبَايَعَ يُعَاهِدُ أَمِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ يَسْلَمُ 15  
 لَهُ التَّنَظَّرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يُنَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَيُطِيعُهُ فِيمَا يَكْلِفُهُ  
 بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ. وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عَهْدَهُ <sup>(١)</sup>، جَعَلُوا

(١) ل: غَفَّةٌ .

أيديهم في يده توكيداً للعهد؛ فأشبه ذلك فعل الباع والمشتري؛ فسُمِّيَ بَيْعَةً، مُضَرَّعٌ بَاعٌ؛ وصارت البيعةُ مُصَاحَةً بالأيدي. هذا مَذْلُولُهَا فِي غُرْفِ اللَّغَةِ وَمَقْهُودُ الشَّرْعِ؛ وهو المُرَادُ فِي الْحَدِيثِ <sup>(1)</sup> فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّجَرَةِ، وَحَيْثُمَا وَزَدَ / هَذَا اللَّفْظُ. وَمِنْهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ، وَمِنْهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ؛ لِأَنَّ الْخُلَفَاءَ كَانُوا يَسْتَخْلِفُونَ 5 عَلَى هَذَا الْعَهْدِ وَيَسْتَوْعِبُونَ الْأَيَّانَ كُلَّهُا لَذَلِكَ، فَسُمِّيَ هَذَا الْإِسْتِيعَابُ أَثْمَانُ الْبَيْعَةِ؛ وَكَانَ الْإِكْرَاهُ فِيهَا أَغْلَبَ. وَلِهَذَا لَمَّا أَقْبَى مَالِكٌ <sup>(1)</sup> رَحِمَهُ <sup>(ب)</sup> اللَّهُ بِسُقُوطِ يَمِينِ الْإِكْرَاهِ أَنْكَرَهَا الْوَلَاءُ عَلَيْهِ، وَرَأَوْهَا قَادِحَةً فِي أَثْمَانِ الْبَيْعَةِ، وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ مِخْنَةِ الْإِمَامِ رَجَمَهُ <sup>(ب)</sup> اللَّهُ.

وَأَمَّا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ، فَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكِسْرَوِيَّةِ، مِنْ تَقْبِيلِ 10 الْأَرْضِ أَوْ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ أَوْ الذَّنْبِلِ، أَطْلُقَ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ جَازًا؛ لِمَا كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحِيَّةِ وَالْإِزَامِ الْآدَابِ مِنْ لَوَازِمِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا، وَغَلَبَ فِيهِ حَتَّى صَارَ حَقِيقَةً عُرْفِيَّةً، وَاسْتُغْنِيَ بِهَا عَنْ مُصَاحَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي الْأَصْلِ، لَمَّا فِي الْمُصَاحَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّزْلِ وَالْإِنْبِذَالِ الْمُنَافِقِينَ لِلرَّئِاسَةِ وَضُوءِ الْمَنْصِبِ الْمُلُوكِيِّ، إِلَّا فِي الْأَقْلِ تَمَنَّى يَقْصِدُ التَّوَاضُّعَ مِنَ 15 الْمُلُوكِ، فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ مَعَ خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ.

فَافْهَمْ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْغُرْفِ؛ فَإِنَّهُ أَكَيْدٌ عَلَى الْإِنْسَانِ مَقَرَّتُهُ، لِمَا يَلْزِمُهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِيهِ، وَلَا تَكُونُ أَعْمَالُهُ عِبْثًا وَمَجَانًا؛ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ. وَاللَّهُ ﴿الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [سورة الشورى، من الآية 19].

(1) ل: بالحديث (ب) ع ج ل ي: رضي الله عنه .

(1) استند مالك في ذلك إلى الحديث الذي أورده في الموطأ 2: 101 رقم (1719) .

اعلم أننا قد قدّمنا الكلام في الإمامة ومشروعيتها لفا فيها من المصلحة، وأن حقيقة النظر في مصالح الأمة لدينهم ودنياهم؛ فهو وليهم والأمين عليهم، ينظر لهم ذلك في حياته، ويتبع ذلك أن ينظر لهم بعد مماته، ويقسم لهم من يتولى أمورهم كما كان هو<sup>(١)</sup> يتولّاها، ويتيقن بنظره لهم في ذلك كما تقوا به فيما قبل.

وقد عرف ذلك من الشرع بإجماع الأمة على جوازه وانعقاده إذا وقع، فعهده أبو بكر / إلى عمر بمخضّر الصحابة<sup>(ب)</sup>، وأجازوه وأوجبوا على أنفسهم به طاعة عمر رضي الله عن جميعهم. وكذلك عهد عمر في الشورى إلى الشثّة<sup>(ج)</sup> من بقية العشرة، وجعل لهم أن يختاروا للمسلمين، ففوض ذلك بعضهم إلى بنّص، حتى أفضى [إلى]<sup>(د)</sup> عبد الرحمن بن عوف، فاجتهد وناظر المسلمين، فوجدهم متفقين على عثمان وعلي، وآثر عثمان بالبيعة على ذلك، لموافقته إياه على لزوم الاقدياء بالشينخين في كل ما يعرّ دون اجتهاده، فانعقد أمر عثمان لذلك وأوجبوا طاعته. والملا من الصحابة حاضرون للأولى والثانية، ولم يُكره واحد<sup>(هـ)</sup> منهم. فدلّ على أنهم متفقون على صحة هذا العهد، عارفون بمشروعيته، والإجماع حجة كما عرف.

ولا يثبت الإمام في هذا الأمر وإن عهد إلى أبيه أو ابنه، لأنه مأمور على النظر لهم في حياته، فأخرى<sup>(د)</sup> ألا يتخلّل فيها تبعه بعد مماته، خلافا لمن قال باتهامه في الولد والوالد، أو لمن خصّص التهمة في الولد دون الوالد، فإنه بعيد عن

(١) سقط من ل (ب) ل ي: من الصحابة (ج) ل: سنة (د) سقط من ط (هـ) ل: أحد (و) ل: فأولى.

الطَّئَةِ فِي ذَلِكَ كَلَمَةً، لَا سِيَّما إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ، مِنْ إِيْشَارِ مَضْلَحَةٍ أَوْ تَوَقُّعِ مَفْسَدَةٍ، فَتَنْتَفِي الطَّئَةُ عِنْدَ ذَلِكَ رَأْسًا، كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ<sup>(أ)</sup> مُعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يَزِيدَ. وَإِنْ كَانَ فِعْلُ مُعَاوِيَةَ مَعَ وِفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ. وَالَّذِي دَعَا مُعَاوِيَةَ إِلَى إِيْشَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ، إِنَّمَا هُوَ مُرَاعَاةُ الْمَضْلَحَةِ فِي اجْتِمَاعِ النَّاسِ<sup>(ب)</sup>،

5 وَاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ؛ إِذْ بَنُو أُمَيَّةٍ يَوْمَئِذٍ لَا يَرْضَوْنَ سِوَاهُ، وَهُمْ عَصَابَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ أَجْمَعُ وَأَهْلُ الْغَلَبِ مِنْهُمْ، فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ مَنْ يُظَلُّ أَنَّهُ أَوَّلَى بِهَا، وَعَدَلَ عَنِ الْمَفْضُولِ إِلَى الْفَاضِلِ، جُزْأً عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ الْأَهْوَاءِ الَّتِي شَأْنُهُ أَهْمٌ عِنْدَ الشَّارِعِ. وَلَا يُظَلُّ بِمُعَاوِيَةَ غَيْرَ هَذَا، فَعِدَالَتُهُ وَصِحَابَتُهُ مَا بَعْدَهُ مِمَّا سِوَى / ذَلِكَ، وَحُضُورِ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ لِنَظَرِ<sup>[142ب]</sup>

10 وَسُكُوتِهِمْ عَنْهُ دَلِيلٌ عَلَى انْتِفَاءِ الرَّيْبِ فِيهِ؛ فَلَيْسُوا بِمَنْ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ هَوَاذَةٌ، وَلَيْسَ مُعَاوِيَةُ بِمَنْ تَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ؛ فَإِنَّهُمْ كُلُّهُمْ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ، وَعَدَالَتُهُمْ مَا بَعْدَهُ مِنْهُ. وَفِرَارُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ<sup>(ج)</sup> عَنْ ذَلِكَ<sup>(ج)</sup>، إِنَّمَا هُوَ مَحْمُولٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ عَنِ الدِّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ، مُبَاحًا كَانَ أَوْ مَخْطُورًا، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ. وَلَمْ يَتَّقِ فِي الْمُخَالَفَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ، إِلَّا ابْنَ الزُّبَيْرِ؛ وَنُدُورُ الْمُخَالَفِ

15 مَعْرُوفٌ.

ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ مُعَاوِيَةَ، مِنَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّوْنَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ، مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةٍ، وَالشَّقَاحِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمَهْدِيِّ وَالرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَأَمَثَالِهِمْ مِمَّنْ عُرِفَتْ عَدَالَتُهُمْ وَحُسْنُ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ،

(أ): ل: عَهْد (ب): ل: النَّاسِ عَلَيْهِ (ج): سَقَطَ مِنْ ل .

والنظر لهم؛ ولا يعاب عليهم إيشار أبنائهم وإخوانهم، وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك. فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء؛ فإنهم كانوا على [حين] <sup>(١)</sup> لم تحدث طبيعة الملك، وكان الوازع دينياً، فعند كل أحد وازع من نفسه، فعهدوا إلى من يرضيه الدين فقط وآثروه على غيره، ووكّلوا كل أحد من ينمو إلى ذلك إلى وازعه. وأما من بعدهم من لأن معاوية، فكانت العصية قد أشرفت على غايتها من 5 الملك. والوازع الديني قد ضعف، واختيج إلى الوازع السلطاني والعصباتي. فلو قد عهد إلى غير من يرضيه العصابة لردت ذلك العهد وانتفض أمره سريعاً، وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف.

سأل رجل عليّاً رضي الله عنه: ما بال الناس اختلفوا عليك، ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر؟، فقال: لأن أبا بكر وعمر كانا والين على مثلي، وأنا اليوم والي 10 على مثلك؛ يشير إلى وازع الدين.

[143] أفلا ترى إلى المأمون لما عهد إلى علي بن / موسى بن جعفر الصادق، وسمّاه الرضا، كيف أنكرت العباسية ذلك وقضوا بيعته، وبايعوا لعنه إبراهيم بن المهدي، وظهر من النهج والخلاف، وانقطاع السبل، وتعدد التوار والخوارج، ما كاد أن يضطلم الأمر، حتى بادّر المأمون من خراسان إلى بغداد ورّد أمرهم لمعاهده، 15 فلا بد من اعتبار ذلك في العهد، فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات، وتختلف باختلافها المصالح، ولكل منها حكم يخصه، لطفاً من الله تعالى بعباده.

(١) من ع ل .

وأما أن يكونَ القصدُ بالعهد حفظَ التراث على الأبناء ، فليس من المقاصد الدينية<sup>(1)</sup> ؛ إذ هو أمرٌ من الله يختص به من يشاء ، فينبغي أن تحسن النية فيه ما أمكن ، خوفاً من العتب بالمناصب الدينية. والملك لله يؤتیه من يشاء من عباده.

وعرض هنا أمورٌ تدعو الضرورة إلى بيان الحق فيها:

- 5 فالأول منها : ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته. فإياك أن تنظر بمعاوية رضي الله عنه أنه علم ذلك من يزيد ؛ فإنه أعذل من ذلك وأفضل؛ بل قد كان يعدله أيام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه، وهو أقل من ذلك، وكانت مذاهيهم فيه مختلفة. ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق، اختلف الصحابة يومئذ في شأنه، فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك، كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - ومن اتبعهما في ذلك. ومنهم من أبأ، لما فيه من إثارة الفتن وكثرة القتل، مع العجز عن الوفاء به ؛ لأن شوكة يزيد يومئذ هي عصية بني أمية ، وجمهور أهل الحل والعقد من قريش ، وتشتبع عصية مضر أجمع ، فهي أعظم من كل شوكة، ولا تطلق مقاومتهم؛ فأقصرُوا عن يزيد / بسبب ذلك ، وأقاموا على الدعاء بهديته أو الراحة منه؛ وهذا كان شأن [143]
- 15 جمهور المسلمين. والكل مجتهدون، ولا تكبر على أحد من الفريقين، فمقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة. وقفنا الله للأفتاء بهم .

والثاني : هو شأن العهد من النبي ﷺ، وما تدعيه الشيعة من وصيته لعلي رضي الله عنه؛ وهو أمر لم يصح ولا قلّه أحد من أئمة الثقل. والذي وقع في

(1) ع : الديانة .



الصحيح<sup>(1)</sup> من طلبِ الدَّواةِ والقِرطاسِ لكتِّبِ الوصيةَ، وأنَّ عَمْرَ مَنَعَ من ذلك،  
 فـدليلٌ واضحٌ على أنَّه لم يَفْعَ. وكذا قولُ عَمْرٍ رضي الله عنه حين طُعنَ وسُئِلَ في  
 العهدِ فقال: إنَّ أعْهَدَ فقد عَهِدَ من هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، يَغْنِي أبا بَكْرَ، وإنَّ أَثْرَكَ فقد نَزَكَ  
 من هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، يَغْنِي النَّبِيَّ ﷺ. \*والصَّحابةُ حاضرون مُوافقون له على أنَّ  
 النَّبِيَّ ﷺ \*<sup>(1)</sup> لم يَفْعَ.

5

وكذلك قولُ عليٍّ للعباسِ رضي الله عنهما، حين دَعاهُ إلى الدُّخولِ على  
 النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُانِهِ عن شَأْنِها في العهدِ، فَأَبَى عَلِيٌّ من ذلك، وقال: إِنَّه إن مَنَعنا  
 منها فلا نَقْطَعُ فيها آخرَ الدَّهْرِ؛ وهذا دليلٌ على أنَّ عَلِيّاً عَلِمَ أنَّه لم يُوصَ ولا عَهِدَ  
 لأَحَدٍ. وشُبْهَةُ الإماميةِ في ذلك إِنَّمَا هي كَوْنُ الإمامَةِ من أَزْكانِ الإيمانِ كما يَزْعُمون،  
 وَلَيْسَ كذلك؛ وإِنَّمَا هي من المَصالحِ العامَّةِ المُفَوَّضَةِ إلى نَظَرِ الحَلَقِ. ولو كانَتْ من  
 أَزْكانِ الإيمانِ لكانَ شَأْنُها شأنَ الصَّلاةِ، ولكن يَسْتَخْلِفُ فيها كما اسْتَخْلَفَ أبا بَكْرَ  
 في الصَّلاةِ، ولكن يَشْتَهَرُ كما اشْتَهَرَ أمرُ الصَّلاةِ. واحتِجَّاجُ الصَّحابةِ على خِلافَةِ  
 أَبِي بَكْرٍ بقياسِها على الصَّلاةِ في قولهم اِزْتِضَاءُ رَسولِ اللهِ ﷺ لِدِينِنا، أَفلا تَرْضاهُ  
 لِدُنْيائِنا؟! دليلٌ على أنَّ الوَصِيَّةَ به لم تَفْعَ. وبَدَلُ ذلك أَيْضاً على أنَّ أَمْرَ الإمامَةِ  
 والعهدِ بهما لم يَكُنْ / مُهِمّاً كما هو اليَوْمُ، وشَأْنُ العَصْبِيَّةِ المِراعاةُ في الاجْتِماعِ  
 والافْتِراقِ في مجارِي العادَةِ، لم يَكُنْ يومئِذٍ بذلكِ الاغْتِيارُ؛ لأنَّ أَمْرَ الدِّينِ

15

(1) سقط ما بين التَّجْنِيسِ من ج .

(1) أخرجه البخاريُّ في المغازي من صحيحه 6 : 11 حديث رقم (4432)، ومسلم في الوصايا (1637) من حديث ابن عباس .

والإسلام كان كله بخوارق العادة؛ من تأليف القلوب عليه، واستحسان الناس دونه؛ وذلك من أجل الأحوال التي كانوا يُشاهدونها في حضور الملائكة لنصرهم، وتزداد خبر السباء بينهم، وتجدد خطاب الله في كل حادثة يُنلى عليهم. فلم يُخنّج إلى مراعاة الغصية، لما شغل الناس من صبغة الاتقياء والإذعان، وما يستغفرونهم من تسامح هذه المعجزات الخارقة، والأحوال الإلهية الواقعة، والملائكة المترددة التي وجّحوها لها، 5 ودهشوا من نتائجها. فكان أمر الخلافة والمُلك والعهد والغصية وسائر هذه الأنواع مُندرجاً في ذلك الغُباب، كما وقع. فلما انحسر ذلك المدد بذهاب تلك المعجزات، ثم بقاء القرون [التي]<sup>(1)</sup> شاهدوها، فاستحالت تلك الصبغة قليلاً قليلاً، وذهبت آثار الخوارق، وصار الحكم للعادة كما كان. فاعترض أمر الغصية ومجاري القوائد فيما ينشأ عنها من المصالح والمفاسد، وأضحت 10 الخلافة والمُلك والعهد بهما من المهمات الأكيدة كما زعموه، ولم يكن ذلك من قبل.

فانظر كيف كانت الخلافة لعهد النبي ﷺ غير مهمة، فلم يعهد فيها. ثم تدرجت الأهمية أزمان الخلفاء بعض الشيء، بما دعت الضرورة إليه في الحياة والجهاد 15 وشأن الردة والفُتوحات، فكانوا بالخيار في الفعل والتترك كما ذكرنا عن عمر رضي الله عنه. ثم صارت اليوم من أهم الأمور، للألفة على الحماية، والقيام بالمصالح؛ فاعترفت فيها الغصية التي هي سِرُّ الوازع عن الفُتوة والتخاذل، ومنشأ الاجتماع والتوافق، / الكفيل بمقاصد الشريعة وأحكامها.

[144ب]

(1) من ل. وفي بقية الأصول: الدين. وتصح إذا قدم عليها واو المطلب [والدين].

والأمر الثالث : شأن<sup>(١)</sup> الحروب الواقعة في الإسلام بين الصحابة والتابعين. وأعلم أن اختلافهم إنما يقع في الأمور الدينية، وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المتغيرة. والمجتهدون إذا اختلفوا عن الأدلة، فإن قلنا إن الحق في المسائل الاجتهادية واحد من الطرفين، ومن لم يصادفه فهو مخطيء، فإن جهته لا تتعين بإجماع، فينتهي الكل على احتمال الإصابة، ولا يتعين المخطيء منهما، والتأنيب 5 مدفوع عن الكل إجماعاً. وإن قلنا إن الكل على<sup>(ب)</sup> حق، وإن<sup>(ب)</sup> كل مجتهد مصيب، فأخرى ينفي الخطأ والتأنيب. وغايته الخلاف الذي بين الصحابة والتابعين أنه<sup>(ج)</sup> خلاف اجتهادي في مسائل<sup>(د)</sup> دينية ظنية، وهذا حكمه .

والذي وقع من ذلك في الإسلام إنما هو واقعة علي مع معاوية، ومع الزبير، وظلمة، وعائشة، وواقعة الحسين مع يزيد، وواقعة ابن الزبير مع عبد الملك . 10

فأما واقعة علي، فإن الناس عند مقتل عثمان كانوا مُفترقين في الأمصار، فلم يشهدوا بيعة علي؛ والذين شهدوا، ففهم من بايع ومنهم من توقف حتى يجتمع الناس ويتفقوا على إمام، كسعيد، وسعيد، وابن عمر، وأسامة بن زيد، والمغيرة بن شعبة، وعبد الله بن سلام، وقدامة بن مظعون، وأبي سعيد الخدري، وكعب بن عجرة، وكعب بن مالك، والتميم بن بشير، وخسبان بن ثابت، ومسلمة بن مخلد، 15 وفصالة بن عبيد، وأمثالهم من أكابر<sup>(هـ)</sup> الصحابة . والذين كانوا في الأمصار غدّوا عن بيعته أيضاً إلى الطلب بدم عثمان، وعزّوا الأمر قسوى حتى يكون<sup>(و)</sup> شوزى

(١) في ع وحدها: بشأن. وهذا الأمر الثالث إلى آخر الفصل، إضافة بخطه في نسخة ع. وأدرجنا بقية الأصول في موضعها (ب) سقط من ع ل ي (ج) سقط من ل (د) ل: في مسائل اجتهادية دينية (هـ) ل: كبار (و) ع: تكون .

بين المسلمين فمن يؤلّوه. وظلّوا بعليّ هوداة في السكوت عن ضرّ عثمان من قائله،  
 لا في المبالاة عليه ، لحاش لله من ذلك . ولقد كان معاوية إذا صرّح بلامته / إنّا [145]  
 يؤخّجها عليه في سكوته فقط.

ثم اختلفوا بعد ذلك؛ فرأى عليّ أن يبعثه قد انعقدت، ولزمث من تأخّر  
 5 عنها باجتماع<sup>(1)</sup> من اجتمع عليها بالمدينة دار النبي وموطن الصحابة، وأزجأ الأمر  
 في<sup>(ب)</sup> المطالبة بدم عثمان إلى اجتماع الناس واتفاق الكلمة، فيتمكّن حينئذٍ من ذلك.

ورأى الآخرون أن يبعثه لم يتعقد لافتراق الصحابة أهل الحل والعقد  
 بالافاق، ولم يحضر إلا القليل، ولا تكون البيعة إلا باتفاق أهل الحل والعقد، ولا  
 تلزم لعقد<sup>(ج)</sup> من تولّاها لغيرهم<sup>(د)</sup> أو من القليل منهم، وأن المسلمين حينئذٍ فوضى،  
 10 فيطالبون أولاً بدم عثمان، ثم يجتمعون على إمام. وذهب إلى هذا معاوية، وغمر بن  
 العاص، وأم المؤمنين عائشة، والزبير، وابنه عبد الله، وطلحة، وابنه محمد، وسعد،  
 وسعيد، والتيمان بن بشير، ومعاوية بن حديج، ومن كان على رأيهم من الصحابة  
 الذين تخلّفوا عن بيعة عليّ بالمدينة كما ذكرنا.

إلا أن أهل العصر الثاني من بعدهم اتفقوا على انعقاد بيعة عليّ ولزومها  
 15 للمسلمين أجمعين، وتضويّب رأيه فيما ذهب إليه، وتعيين الخطأ في جهة معاوية ومن  
 كان على رأيه، وخصوصاً طلحة والزبير، لانتقاضها على عليّ بعد البيعة له فيما قيل،  
 مع دفع التائبين عن كلّ واحد من الفريقين، كالشأن في المجتهدين. وصار ذلك إجماعاً  
 من أهل العصر الثاني على أحد قولَي أهل العصر الأول، كما هو معروف.

(1) ع: بإجماع (ب) سقط من ل (ج) من ط ع ي: وفي ل: بعقد (د) ي: عن غيرهم، وفي ع ج: من غيرهم .

ولقد سُئِلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه عن قَتْلِ الجَمَلِ وَصِفَيْنِ، فقال: وَالَّذِي  
نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَمُوتُنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَفْيٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، يَشِيرُ عَلَى  
الْفَرِيقَيْنِ؛ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ<sup>(1)</sup> وَغَيْرُهُ. فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ زَيْبٌ فِي عَدَالَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا فَذَخٌ  
بشئٍ من ذلك، فهم مَنْ غَلَفَتْ، / وَأَفْعَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ<sup>(2)</sup> إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَشْدَاتِ،  
وَعَدَاتُهُمْ مَفْرُوعٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَزِلَةِ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ 5  
أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عُرِّجَ عَلَيْهِ.

وَإِذَا نَظَرْتَ بَعَيْنَ الْإِنصَافِ<sup>(ب)</sup> عَذَرْتَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ الْإِخْتِلَافِ  
فِي عُثْمَانَ، وَإِخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدِهِ. وَعَلِمْتَ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً ابْتُلِيَ بِهَا الْأُمَّةُ،  
بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عُدُوَّهُمْ وَمَلَكُهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ، وَنَزَلُوا الْأَنْصَارَ عَلَى  
حُدُودِهِمْ بِالْبُصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ. وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَزَلُوا هَذِهِ الْأَنْصَارَ 10  
جُفَاءً لَمْ يَسْتَكْثِرُوا مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا هَدَبَتْهُمْ سَيْرُهُ وَأَدَابُهُ، وَلَا ارْتَضَوْا  
بِخُلُقِهِ، مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْهَفَاءِ وَالْعَصِيَّةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالبَغْدِ عَنْ سَكِينَةِ  
الْإِيمَانِ. وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِفْخَالِ التَّوَلَةِ، قَدْ أَضْبَحُوا فِي مَلَكََةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ،  
مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةٍ وَصَيْفٍ وَهَذِيلٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَيُثْرِبِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ إِلَى الْإِيمَانِ،  
فَاسْتَنَكُوا<sup>(ج)</sup> مِنْ ذَلِكَ وَغَضُّوا بِهِ لَمَّا يَرَوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِأَنْسَابِهِمْ وَكَثْرَتِهِمْ، 15  
وَمُضَادَّةِ فَارِسَ وَالرُّومِ، مِثْلَ قَبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَعَبِيدِ الْقَيْسِ مِنْ زَيْبَةَ، وَقَبَائِلِ  
كِنْدَةَ وَالْأَزْدَ مِنَ الْيَمَنِ، وَتَمِيمَ وَقَيْسَ مِنْ مُضَرَ، وَأَمْثَالِهِمْ. فَصَارُوا إِلَى الْفُصْ مِنْ

(أ) كَذَا فِي ع ط ي، وَفِي ل ج: وَأَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ (ب) ل: التَّحْقِيقُ (ج) فِي ط وَحَدَّثَا: وَاسْتَكْفُوا .

(1) تَارِيخُ الرُّسُلِ وَالْمُلُوكِ 4 : 537 .

فُريش والأفقه عليهم، والتفريض في طاعتهم، والتَّعْلِيلُ في ذلك بالتَّعْلِيلِ منهم، والاستيغناء عنهم، والطفن فيهم بالعجز عن السريّة، والعدول في القسم عن السويّة<sup>(١)</sup>، وفشت القالّة بذلك، وانتَهت إلى أهل المدينة، وهم من غلبت. فأعْظَموه وأبلغوه عُثْمَانَ، فبعث إلى الأمصار من يَكْشِف له الخبر؛ بعث ابنُ عُمَرَ، ومُحَمَّدُ

- 5 ابن مسleme، وأسامة / بن زُند، وأمثالهم، فلم يُنكروا على الأمراء شيئاً ولا رأوا عليهم طغناً، وأدّوا ذلك كما علّموه. فلم يَنْقَطِ الطُّغْنُ من أهل الأمصار، وما زالت الشناعات تكثر والإشاعات تنمو. ورُمي الوليدُ بن عُقبَة وهو على الكوفة بشرب الخمر، وشهد عليه جماعة منهم، وحَدَّ عُثْمَانُ وعَزَله. ثم جاء إلى المدينة من أهل الأمصار يسألون عَزَلَ العَمَال، وشكّوا إلى عليّ وعائشة والزبير وطلحة. وعَزَلَ لهم عُثْمَانُ بَعْضُ العَمَال، فلم تَنْقَطِ بذلك أَلْسِنَتُهُمْ؛ بل وَقَد سَعِيدُ بن العاص وهو على الكوفة، فلَمَّا رَجَعَ اغترضوه بالطريق ورَدّوه مغزولاً. ثم انْثَقَلَ الجَلَاظُ بَيْنَ عُثْمَانَ ومن مَعَه من الصحابة بالمدينة، وسَمّوا عليه امتناعه من العزل، فأبى إلا أن يكون عن جُرْحَةٍ. ثم قلوا التَّكْيِيرَ إلى غير ذلك من أفعاله وهو مُتَمَسِّكٌ بالاجتهاد، وهم أيضاً كذلك. ثم تَجَمَّع قومٌ من القَوَّاء وجاءوا إلى المدينة يُظْهِرون طَلَبَ التَّصَفَةِ من 15 عُثْمَانَ، وهم يُضْمِرُونَ خِلَافَ ذلك من قَتْلِهِ. وفيهم من البُصْرَةِ والكوفة ومِصْرَ، وقام مَعَهُمْ في ذلك عليّ وعائشة والزبير وطلحة وغيرهم، يُحَاوِلُونَ تَشْكِينَ الأمور، ورجوع عُثْمَانَ إلى رأيهم فيها. وعَزَلَ لهم عاملٌ مِصْرَ فأنصرفوا قليلاً، ثم رَجَعُوا وقد لَبَسُوا بكتابٍ مُدْلَسٍ يزعمون أنهم لقوه في يد حاميهِ إلى عاملٍ مِصْرَ بأن يُقَتِّلَهُمْ، وخَلَفَ

(١) ج: السريّة .

عُثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ؛ فَقَالُوا: مَكَّنَّا مِنْ مَزَوَانِ فَهُوَ كَاتِبُكَ، خَلَفَ مَرْوَانُ؛ فَقَالَ عُثْمَانُ:  
لَيْسَ فِي الْحَكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا. فَحَاصِرُوهُ بَدَارَهُ، ثُمَّ بَيَّتُوهُ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنَ النَّاسِ  
وَقَتْلُوهُ، وَاشْتَحَ بِأَبِ الْفِئَةِ.

فَلِكُلِّ مِنْ هَؤُلَاءِ عُذْرٌ فِيمَا وَقَعَ، وَكُلُّهُمْ كَانُوا مُهْتَمِّينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يُضِيعُونَ  
[146ب] شَيْئًا مِنْ تَعَلُّقَاتِهِ. ثُمَّ نَظَرُوا / بَعْدَ هَذَا [الْوَقَاعِ] <sup>(1)</sup> وَاجْتَهَدُوا. وَاللَّهُ مَطَّلَعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ  
وَعَالَمٌ بِهِمْ. وَنَحْنُ لَا نَقْضُ بِهِمْ إِلَّا خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ، وَمَقَالَاتُ الصَّادِقِ  
فِيهِمْ.

وَأَمَّا الْحُسَيْنُ، فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فِشْقُ يَزِيدٍ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنْ أَهْلِ غَضْرَه، دَعَتْ  
شِيعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكَوْفَةِ الْحُسَيْنِيَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ فَيَقْرَءُوا بِأَمْرِهِ. فَرَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ  
الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدٍ مُتَعَيِّنٌ مِنْ أَجْلِ فِشْقِهِ، لَا بَيْتِيًّا عَلَى مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ،  
10 وَظَلَمَهَا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشَوْكَتِهِ؛ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ كَمَا ظَنَّ وَزِيَادَةُ؛ وَأَمَّا  
الشَّوْكَةُ فَلَقِلَطَ - يَزِجُهُ اللَّهُ - فِيهَا؛ لِأَنَّ غَضَبِيَّةَ مُضَرَّ كَانَتْ فِي قُرَيْشٍ، وَغَضَبِيَّةُ  
قُرَيْشٍ فِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَغَضَبِيَّةُ عَبْدِ مَنَافٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ، تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ  
قُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا يُنْكِرُونَهُ. وَإِنَّمَا نُسِيَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لِمَا شَغَلَ النَّاسَ مِنْ  
الدُّهُولِ بِالْخَوَارِقِ وَأَمْرِ السُّوْحَى، وَتَرَدَّدِ الْمَلَائِكَةِ لِنَصْرِ الْمُسْلِمِينَ. فَأَغْفَلُوا أُمُورَ  
15 عَوَائِدِهِمْ، وَذَهَبَتْ غَضَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَازِعُهَا وَنُسِيَتْ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغَضَبِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، يُشْتَفَعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَالدِّينُ فِيهَا مُحَكَّمٌ  
وَالْعَادَةُ مَغْزُولَةٌ.

(1) ط وجمعها: الوقائع.

حَتَّى [إذا] <sup>(أ)</sup> انْقَطَعَ أَمْرُ الثَّبَوَةِ والْخَوَارِقِ الْمَهُولَةِ، تَرَاجَعَ الْحُكْمُ بَعْضَ الشَّيْءِ  
لِلْعَوَائِدِ؛ فَعَادَتِ الْغَضَبِيَّةُ كَمَا كَانَتْ وَلَمْ يَكُنْ كَانَتْ، وَأَصْبَحَتْ مُضَرَّ أَطْوَعَ لِبَنِي أُمَيَّةٍ مِنْ  
سِوَاهُمْ بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ [قَبْلَ] <sup>(ب)</sup>.

فَتَبَيَّنَ لِذَلِكَ غَلَطُ الْحَسَنِينِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَاوَيَ لَا يَضِيرُهُ الْغَلَطُ فِيهِ.  
5 وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلُطْ فِيهِ ، لِأَنَّهُ مَنُوطٌ بِظَنِّهِ ؛ وَكَانَ ظَنُّهُ الْقُدْرَةُ عَلَى ذَلِكَ .  
وَلَقَدْ عَذَّلَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ الزَّيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنَفِيَّةِ أَخُوهُ وَغَيْرُهُ فِي مَسِيرِهِ  
إِلَى الْكُوفَةِ ، وَغَلِمُوا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ <sup>(ج)</sup> يَرْجِعْ / عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ ، لِمَا أَرَادَهُ <sup>(د)</sup> [147]  
اللَّهُ .

وَأَمَّا غَيْرُ الْحَسَنِينِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ ، وَمَعَ زَيْدٍ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ  
10 وَمِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ ، فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى زَيْدٍ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَجُوزُ ، لِمَا يَنْشَأُ <sup>(هـ)</sup>  
عَنْهُ مِنَ الْهَزَجِ وَ[سَفْكَ] <sup>(و)</sup> الدِّمَاءِ ، فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يُتَابِعُوا الْحُسَيْنَ ، وَلَا  
أُنْكِرُوا عَلَيْهِ وَلَا أُنَمَّوْهُ ، لِأَنَّهُ مَجْتَهِدٌ وَهُوَ أَشْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ .

وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْغَلَطُ أَنْ تَقُولَ بِتَأْنِيهِمْ هَؤُلَاءِ بِمُخَالَفَةِ الْحُسَيْنِ وَقُعُودِهِمْ عَنْ  
نَصْرِهِ؛ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ ، وَكَانُوا مَعَ زَيْدٍ وَلَمْ يَزُوا الْخُرُوجَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ الْحُسَيْنُ  
15 يَشْتَشْهَدُ بِهِمْ وَهُوَ يُقَاتِلُ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ ، وَيَقُولُ: سَلُوا جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ،  
وَأَبَا سَعِيدَ الْخُدْرِيَّ ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ ، وَسَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ، وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمٍ ، وَأَمْثَالَهُمْ ،  
وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ قُعُودَهُمْ عَنْ نَصْرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لِنَدْبِ اللَّهِ ، لِغَلَمِهِ أَنَّهُ عَنْ اجْتِهَادٍ مِنْهُمْ كَمَا  
كَانَ فِعْلُهُ هُوَ عَنْ اجْتِهَادٍ مِنْهُ .

(أ) سقط من ظ (ب) من ع ج ل ي (ج) ل : لم (د) ل : أراد (هـ) ج : فناء (و) من ل .



وكذلك لا يذهب بك الغلط أن تقول بتضويب قتله لما كان عن اجتihad وإن كان هو على اجتihad، ويكون ذلك كما يحذ الشافعي والمالكي والحنفي<sup>(1)</sup> على شرب التبيذ. واعلم أن الأمر ليس كذلك، وقاتله لم يكن عن اجتihad هؤلاء وإن كان خلافة عن اجتihadهم، وإنما انفرد بقاتله يزيد وأصحابه. ولا تقول إن يزيد وإن كان فاسقاً ولم يحز هؤلاء الخروج عليه، فأفعاله عندهم نافذة صحيحة. واعلم أنه 5 إنما يتنفذ من أفعال الفاسق ما كان مشروعاً، وقتال البغاة عندهم<sup>(ب)</sup> من شرطه أن يكون مع الإمام العادل، وهو مفقود في منألتنا، فلا يجوز قتال الحسين مع يزيد ولا ليزيد، بل هي من فغلاته المؤكدة ليشقه؛ والحسين فيها شهيد مثاب، وهو على 147ب] حق واجتihad، / والصحابه الذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتihad.

وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربي المالكي في هذا، فقال في كتابه المستقى 10 بالقواصم والقواصم<sup>(1)</sup> ما مغناه: أن الحسين قُتل بشرع جدّه؛ وهو غلط حملّه عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل في قتال أهل الآراء.

وأما ابن الزبير، فإنه رأى في خروجه ما رآه الحسين، وظن كما ظن، وغلطه في أمر الشؤكة أعظم؛ لأنّ بني أسد لا يقاومون بني أمية في جاهلية ولا 15 إسلام. والقول بتغيين الخطأ في حجة مخالفة كما كان في حجة معاوية مع علي لا سبيل

(1) سقط من ج (ب) سقط من ل .

(1) كذا في كل الأصول، واسم الكتاب: القواصم من القواصم، وهذه الإشارة وردت فيه بالمعنى، استمداذا من حديث رواه مسلم عن زياد بن علقمة، عن عذبة بن شرح، وهو قوله ﷺ: "إنها ستكون هنات وقنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كانتا من كان" (القواصم من القواصم 338، صحيح مسلم - كتاب الإمارة - حديث رقم 1852).

إليه، لأنَّ الإجماعَ هنالك قضى لنا به ولم نَجِدْه ههنا. وأمَّا تَزِيدُ فَعَيْنُ خَطَأُهُ فَنَسَقُهُ.  
وعبدُ المَلِكِ، صاحبُ ابنِ الزَّيْزُرِ، أعظمُ الناسِ عدالةً، وناهيك في عدالته احتجاجُ مالكٍ  
بِقِصْلِهِ، وعُصُولُ ابنِ عَبَّاسٍ وابنِ عُمَرَ إلى يَمِينِهِ عن ابنِ الزَّيْزُرِ وهُم مَعَهُ بِالْحِجَازِ؛ مع أنَّ  
الكثيرَ من الصَّحابةِ كانوا يَزُورُونَ أن يَبْعَةَ ابنَ الزَّيْزُرِ لم تَتَعَيَّدْ، لأنَّهُ لم يَحْضُرْها أَهْلُ الْحَلِّ  
5 والعقدُ كَبَيْعَةُ مَرْوانَ؛ وابنُ الزَّيْزُرِ على خلاف ذلك؛ والكلُّ مُجْتَبِهُونَ مَحْمُولُونَ على  
الْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ؛ وإن لم يَتَعَيَّنْ في جَهَةِ مَنَها. وَالْقَتْلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ بَعْدَ تَرْسِيرِ مَا قَرَّرْناهُ،  
يَجْرِي على قَوَاعِدِ الْفِقْهِ وَقَوَائِنِهِ؛ مع أنَّه شَهِيدٌ مُثَابٌ بِاعْتِبَارِ قَضِيهِ وَتَحْزِيرِهِ الْحَقَّ.

هذا هو الَّذِي يُبَغْيُ أن تُحْمَلَ عليه أفعالُ السُّلَفِ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ،  
فهم خيارُ الأُمَّةِ، وإذا جَعَلْناهم غَرْصَةً لِلْمَدْحِ، فَتَنَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالْعَدَالَةِ؟ وَالنَّبِيُّ  
ﷺ يَقُولُ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ / يُنْشَوُ [148]  
10 الْكَذِبُ"، فجعلَ الْحَزْرِيَّةَ<sup>(1)</sup> وهي الْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةً بِالْعَصْرِ الْأَوَّلِ وَالَّذِي يَلِيهِ. فَإِنَّكَ أن  
تَعُودَ نَفْسَكَ أو لِسَانَكَ التَّعَرُّضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، ولا تَتَوَسَّسْ قَلْبَكَ بِالزَّيْبِ فِي شَيْءٍ مِمَّا  
وَقَعَ مِنْهُمْ؛ وَالنَّمِيشُ لَهُمْ مَذَاهِبُ الْحَقِّ وَطُرُقُهُ مَا اسْتَطَلَعْتَ، فهم أَوَّلَى النَّاسِ بِذَلِكَ؛  
وما اخْتَلَفُوا إِلَّا عَنِ بَيِّنَةٍ، وما قَتَلُوا وَقُتِلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أو إظهارِ حَقٍّ، وَاغْتَقَدَ  
مع ذَلِكَ أنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةً لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ، لِيَقْتَدِيَ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ يَخْتَارُهُ مِنْهُمْ،  
15 وَيَجْعَلُهُ إِمَامَهُ وَهَادِيَهُ وَدَلِيلَهُ<sup>(ب)</sup>. فَافْهَمْ ذَلِكَ، وَتَبَيَّنْ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْوَانِهِ.

(أ) كذا في ظ ل، وفي ع: الحزير له، وفي ج ي: الحزير به (ب) إلى هنا تنتهي الحاشية التي أضافها المؤلف بحفظه عن الأمر الثالث، وأدرجتها بقية الأصول في موقعها.

(1) في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود: البخاري في الشهادات 3: 224 (2652)، وفي الفضائل 5: 3 (3651)، وفي الزقاق 8: 113 (6429)، وفي النور 8: 167 (6658)، ومسلم في الفضائل (2533).

### 31 • فصل ، في الحُطْطِ الدِّينِيَّةِ الخِلَافِيَّةِ

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الخِلَافَةِ نِبَاءَةٌ عَنِ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ  
وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا، فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُتَصَرِّفٌ فِي الْأُمُورِ. أَمَّا فِي الدِّينِ فَيُفْقِئُ  
التَّكْلِيفَ الشَّرْعِيَّ الَّذِي هُوَ مَأْمُورٌ بِتَبْلِيغِهَا وَتَحْلِ النَّاسِ عَلَيْهَا؛ وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا  
فَيُفْقِئُ رِعَايَتَهُ لِمَصَالِحِهِمْ فِي الْغَمْرَانِ الْبَشَرِيِّ. 5

وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْغَمْرَانَ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ، وَأَنَّ رِعَايَةَ مَصَالِحِهِ كَذَلِكَ،  
لَقَلَّا يَفْسُدُ إِنْ أَهْمِلْتُ؛ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْمَلِكَ وَسُطُوتَهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْمَصَالِحِ.  
نَعَمْ، إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلُ إِذَا كَانَتْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الْمَصَالِحِ. فَقَدْ صَارَ  
الْمَلِكُ يَتَنَذَّرُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا. وَقَدْ يَتَفَرَّدُ إِذَا كَانَ  
فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ، وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَاتِبُ خَادِمَةٍ وَوُظَائِفُ تَابِعَةٍ تَتَعَيْنُ حُطْطًا، وَتَتَوَزَّعُ 10  
عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَوُظَائِفَ ، فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ بِوُظَيْفَتِهِ <sup>(1)</sup> / حَسْبَمَا يُعَيِّنُهُ الْمَلِكُ الَّذِي  
تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ، فَيَتِمُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ، وَيَحْسُنُ قِيَامُهُ بِسُلْطَانِهِ.

وَأَمَّا الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَتَنَذَّرُ تَحْتَهُ بِهَذَا الْإِغْتِبَارِ الَّذِي  
ذَكَرْنَاهُ، فَتَقْصُرُ الدِّينِيَّةُ بِحُطْطِ مَرَاتِبِ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ.  
فَلَنَذْكُرَ الْحُطْطَ الدِّينِيَّةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْخِلَافَةِ ، وَنَرْجِعُ إِلَى الْحُطْطِ الْمُسَوِّكَةِ 15  
السُّلْطَانِيَّةِ .

(1) في ع ج: بوظيفة .

فاعلم أن الحُطَّطَ الدينيَّة الشَّرعيَّة من الصَّلَاة والفُتْيَا والقضاء والجهاد والجنسبة، كُلُّها مُندرج تحت الإمامة الكُبرى الَّتِي هي الخلافة، وَكَأَنَّها الأُمُّ الكُبرى والأصلُ الجامع، وهذه كُلُّها مُتفرعة عنها وداخلَةٌ فيها، لعموم نَظَرِ الخلافة وتَصَرُّفِها في سائر أحوالِ المِلَّة الدينيَّة والدُّنيويَّة ، وتنفيذ أحكام<sup>(١)</sup> الشَّرع فيها على العموم .

5. أ. فأما إمامة الصَّلَاة ، فهي أرفعُ هذه الحُطَّط كُلِّها، وأرفعُ من الملك بِمُخصَّصِه المندرج مَعها تحت الجِلافة. ولقد يَشْهَد لذلك اسْتِدلالُ الصَّحابة في شأن أبي بكر رضي الله عنه باستِخلافِه في الصَّلَاة على استِخلافِه في السِّياسة، في قولهم: انْصَأهُ رسولُ الله ﷺ لِدِينِنَا ، أَفَلَا تَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا؟ فلولَا أَنَّ الصَّلَاةَ أرفعُ من السِّياسة لما صَحَّ القياسُ.

10. وإذا ثَبَتَ ذلك، فاعلم أَنَّ المَساجِدَ في المدينة صِنْفان: مَساجِدٌ عَظيمةٌ كَثيرةٌ الغاشية، مُعدَّةٌ للصَّلواتِ المُشهودة؛ وأخرى دونها، مُختَصَّةٌ بِقَوْمٍ أو مَحَلَّةٍ، وَلَيْسَتْ للصَّلواتِ العامَّةِ .

15. فأما المَساجِدُ العَظيمةُ فأمرُها راجعٌ إلى الخليفة أو إلى من يُفَوِّضُ إليه من سُلْطانٍ أو وزيرٍ أو قاضٍ، فيُنصَّبُ لها الإمامُ في الصَّلواتِ الخمسِ والجمعة والعِيدَينِ والحُسُوفَينِ والانشِقَاءِ . وتَقْبَلُ ذلك إمَّا هو من طريقِ الأولى والانشِقَاءِ، وإمَّا ثَنَاءً الرَّعايا عليه بَشْيءٍ من / التَّظَرُّفِ في المَصلِحِ العامَّةِ . وقد يقولُ بالوُجوبِ في [١49] ذلك من يقولُ بِوُجوبِ إقامَةِ الجُمعة ، فيكونُ نَصَبُ الإمامِ لها عِنْدَهُ واجباً .

(١) سَطَمَ من ل .

وأما المساجد المَخْتَصَّة بقوم أو مَحَلَّة فأمرها راجع إلى الجيران، ولا تحتاج إلى نظَر خَلِيفَة ولا سُلطان.

وأحكام هذه الولاية وشروطها والمؤلَّى فيها معروفة في كُتُب الفقه، ومنسوبة في كُتُب الأحكام السُلطانية للمأزدي<sup>(1)</sup> وغيره، فلا نطوّل بذكره. وقد كان الخلفاء الأولون لا يقدِّمونها لقَبرهم من الناس. وانظر من طعن من الخلفاء في 5 المسجد عند الإيدان بالصلاة وتزُدهم بذلك في أوقاتها، يشهد لك ذلك بمباشرتهم لها وأنهم لم يكونوا يَسْتَخْلِفون فيها<sup>(2)</sup>. وكذا كان حال الدولة الأموية من بعدهم، استثناءً<sup>(3)</sup> بها<sup>(ب)</sup> واستيغظاماً لرتبتها. يحكى عن عبد الملك أنه قال لحاجبه: قد جعلت لك حِجَابَه بآبي إلا عن ثلاثة: صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير؛ والأمين بالصلاة فإنه داع إلى الله؛ واليريد فإن في تأخيرهِ فساد القاصية. فلما جاءت طبيعة الملك 10 وعوارضه من الغلظة والترفع عن مساواة الناس في دينهم ودُنياهم، استثنوا في الصلاة، وكانوا يستأثرون بها في الأخيان وفي الصلوات العامة، كالعيدين والجمعة، إشادةً وتثويًا. فعَل ذلك كثيرٌ من خلفاء بني العباس والغُبَيدِيِّين صَدَرَ ذُلَّتِهِمْ.

ب. وأما الفُتَيَّا، فَلِلْخَلِيفَةِ تَصَحُّحُ أَهْلِ الْعِلْمِ والتَّدرِيس، ورُدُّ الفُتَيَّا<sup>(ج)</sup> إلى من هو أَهْلٌ لها، وإعانتُهُ على ذلك، ومنَع من لَيْسَ بِأَهْلِ لها وَزَجَرَه؛ لأنها من 15 مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ في أَدْيَانِهِمْ، فَتَجِبُ عَلَيْهِ [مُرَاعَاتُهَا]<sup>(د)</sup>، لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ، فَيُضِلَّ النَّاسَ.

(1) ل: يستخلفون فيها أحداً (ب) ل: لها (ج) ج: الفتوى (د) كذا في الأصول، وفي ط: رعايتها.

(2) الأحكام السُلطانية 276 - .

وللمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبتّه، والجلوس لذلك في المساجد؛ / فإن [149ب]  
كانت من المساجد العظام التي للسُلطان الولاية عليها والنظر في أمّتها كما مرّ، فلا  
بُدّ من استئذانه في ذلك؛ وإن كانت من مساجد العامة، فلا يتوقّف ذلك على  
إذن. على أنّه ينبغي أن يكون لكلّ أحدٍ من المفتين والمُدرّسين راجِعٌ من نفسه ينعى  
5 عن التصدّي لما ليس له بأهل، فيُضِلّ به المُستَهْدِي ويُرِلّ به المُستَرْشِد؛ وفي  
الأثر<sup>(1)</sup>: أجروكم على الفتوى أجروكم على جرائم حتم. فللسُلطان فيهم لذلك من  
ا نظر ما توجّه المصلح من إجازة أو ردّ.

ج. وأما القضاء، فهو من الوظائف الدّاخلية تحت الخلافة، لأته منصب  
الفصل بين الناس في الخصومات حسناً للتداعي وقطعاً للتساع؛ إلا أنّه بالأحكام  
10 الشرعية المتعلّقة من الكتاب والسنة؛ فكان لذلك من وظائف الخلافة ومُندرجاً في  
عمومها. وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم ولا يجعلون القضاء في  
شيء إلى سواهم. وأوّل من دَفَعه إلى غيره وقوّض فيه، عمر رضي الله عنه،  
فولّى أبا النّزداء مَقَه بالمدينة، وولّى شَرِيحاً بالبصرة، وولّى أبا موسى الأشعريّ  
بالكوفة. وكتب له في ذلك الكتاب<sup>(2)</sup> المشهور الذي تدور عليه أحكام القضاء،  
15 وهي مُستوفاة فيه، يقول فيه:

(1) سنن الدارمي: 1: 57، كنز العمال 28961.

(2) نص الكتاب في البيان والتبيين: 1: 49، عيون الأخبار: 1: 66، الكامل: 1: 8 العقد الفريد: 1: 79،  
التذكرة الحمديّة: 1: 341، أخبار القضاة: 1: 70، مع بعض الفروق والاختلافات اللفظية.

أما بعد، فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة، فافهم إذا [أذلي]<sup>(أ)</sup>  
إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نقاد له. وآس بين الناس في ونهمك وعذلك<sup>(ب)</sup>  
ومخيليك، حتى لا يطمع شريف في خيفك، ولا يتأس<sup>(ج)</sup> ضعيف من عذلك.

التيئة على من ادعى واليمين على من أنكر. والصلح جائز بين المسلمين إلا  
صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . 5

ولا يمتنعك<sup>(د)</sup> قضاء قضيته أمس<sup>(هـ)</sup>، فراجعت اليوم فيه عقلك، وهديت  
فيه لرشدك، / أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التهادي  
في الباطل. [1150]

الفهم فيما تلجأ في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اغرف الأمثال  
والأشياء؛ وقس الأمور بنظائرها. واجعل لمن ادعى حقا غائبا أو يئنه أمدا ينتهي  
إليه، فإن أخضر يئنه أخذت له بحقه، وإلا استحللت القضية عليه؛ فإن ذلك أنقى  
للشك وأجلى للغمى. 10

المسلمون عدول بعضهم في بعض، إلا مجلودا في حد، \* أو مجريا عليه  
شهادة زور<sup>(و)</sup>، أو ظليفا في نسب أو ولاء؛ فإن الله سبحانه عفا عن الإيمان،  
ودرا بالبينات. 15

وإياك والقلق والصخر والتأفف بالخصوص؛ فإن استبشراز الحق في مواطن  
الحق يعظم الله به الأجر، ويحسن به الذكر. والسلام. انتهى كتاب عمر.

(أ) ط: أولي (ب) سقط من البيان والبيان وعيون الأخبار والمقد (ج) في البيان والبيان : ولا يخاف ضعيف من جورك  
(د) ل: يملك (هـ) ل: بالأس (و) سقط ما بين النجمين من ج .

وإنما كانوا يَقْلُدُونَ القضاء لغيرهم وإن كان مما يَتَعَلَّقُ بهم، لقيامهم بالسياسة العامة وكثرة أشغالها؛ من الجهاد، والفتوحات، وسد الثغور، وحماية البنية، ولم يكن ذلك مما يقوم به غيرهم لعظيم العناية به. فاستخفوا أمر القضاء في الواقعات بين الناس، واستخفّلوا فيه من يقوم به تخفيفاً على <sup>(1)</sup> أنفسهم. وكانوا مع ذلك إنما يَقْلُدُونَهُ 5 أهل عصبيتهم بالنسب أو الولاء، ولا يَقْلُدُونَهُ لمن بُعد عنهم في ذلك.

وأما أحكامُ هذا المنصب وشروطه، فمعرفة <sup>(2)</sup> في كتب الفقه، وخصوصاً كتب الأحكام السلطانية؛ لأن القاضي إنما كان له في عصر الخلفاء الفضل بين الخصوم فقط؛ ثم دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التدرج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك <sup>(ب)</sup> بالسياسة الكبرى. واستقر منصب القضاء آخر الأمر على أنه يجمع مع 10 الفضل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامة للمسلمين، بالنظر / في أموال [150 ب] المخجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السقفة، وفي وصايا المسلمين وأوقافهم، وتزويج الأيتام عند فقد الأولياء على رأي من يراه، والتظير في مصالح الطرقات والأبنية؛ وتصفح الشهود والأمناء والثواب، واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح، ليحصل له الوثوق بهم. وصارت هذه كلها من تعلقات وظيفته 15 وتوابع ولايته.

وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون للقاضي النظر في المطالب، وهي وظيفة مُفْتَزجة من سطوة السلطنة ونسبة القضاء. وتحتاج إلى علو يد وعظم زهبة تسمع

(1) ع: عن (ب) سقط من ج.

(2) الأحكام السلطانية 199.



الظالم من الخصمين وتزجر المتعدي، وكأته يُمضي ما عجز القضاء أو غيرهم عن إفضائه. ويكون نظره في التبتات والتغزير واعتماد الأمارات والقرائن، وتأخير الحكم إلى استيغلاء الحق، وحمل الخصمين على الصلح، واستيغلاف الشهود؛ وذلك<sup>(١)</sup> أوسع من نظر القاضي .

- 5 وكان الخلفاء الأولون يُباشرونها بأنفسهم إلى أيام المهدي من بني العباس، وربما كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل علي رضي الله عنه مع قاضيه أبي إدريس الخولاني، وكما فعله المأمون ليخبي بن أكرم، والمعتصم لابن أبي دؤاد. وربما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الصوائف؛ وكان يخبي بن أكرم يخرج أيام المأمون بالصائفة إلى أرض الروم؛ وكذا منذر بن سعيد، قاضي عبد الرحمن الناصر من بني أمية بالأندلس. وكانت توليته هذه الوظائف إنما تكون للخلفاء، أو من يجعلون ذلك له، من وزير مفوض أو سلطان متغلب.
- 10

- وكان أيضاً النظر في الجرائم وإقامة الحدود مختصاً في الدولة العباسية [١٢٥١] / والأموية بالأندلس والعبيدية<sup>(ب)</sup> بمصر والمغرب، راجعاً إلى صاحب الشرطة؛ وهي وظيفة أخرى دينية كانت من الوظائف الشرعية في تلك الدول، توسع النظر فيها عن أحكام القضاء قليلاً؛ فيجعل للثمة في الحكم مجالاً، ويفرض العقوبات<sup>(ج)</sup> الزاجرة قبل ثبوت الجرائم، ويقيم الحدود الثابتة في محالها<sup>(ج)</sup>، ويحكم في القود والقصاص، ويقيم التغزير والتأديب في حق من لم ينته إلى الجريمة.
- 15

(١) سقط من متن نسخة ع، وبها إشارة مغزج، ولكن لم نره على المخطوط وأبقت في كل النسخ (ب) ي: الشبيدين (ج) ع: مجالها .

ثم تُوسِي شأنَ هاتينِ الوظيفَتينِ في التَّوَلَّى الَّتِي تُوسِي فِيهَا أَمْرُ الْخِلَافَةِ،  
فَصَارَ أَمْرُ الْمَطَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ، كَانَ لَهُ تَقْوِيضٌ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ.  
والتَّسَمَّتْ وَظِيفَةُ الشَّرْطَةِ قِنَسِينَ، مِنْهَا وَظِيفَةُ التَّهْمِ عَلَى الْجَرَائِمِ، وَإِقَامَةُ حُدُودِهَا،  
وَمُبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقَصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ؛ وَنُصِبَ لَذَلِكَ فِي هَذِهِ التَّوَلَّى حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِيهَا  
5 بموجبِ السِّيَاسَةِ دُونَ مُرَاجَعَةِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيُسَمَّى تَارَةً بِاسْمِ الْوَالِي، وَتَارَةً  
بِاسْمِ الشَّرْطَةِ. وَبَقِيَ قِسْمُ التَّعَاوِيرِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرْعًا، تَجُمُّعٌ لِلْقَاضِي  
مَعَ مَا تَقَدَّمَ، وَصَارَ ذَلِكَ مِنْ تَوَاعِيظِ وَظِيفَتِهِ وَوِلَايَتِهِ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ.  
وخرَجَتْ هَذِهِ الْوِظِيفَةُ عَنْ أَهْلِ غَصْبِيَّةِ التَّوَلَّى، لِأَنَّ الْأَمْرَ لَهَا كَانَ خِلَافَةً دِينِيَّةً، وَهَذِهِ  
الْحِظَّةُ مِنْ مَرَامِيمِ الدِّينِ، فَكَانُوا لَا يُوَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ غَصْبِيَّتِهِمْ مِنَ الْقَرْبِ،  
10 وَمَوَالِيهِمْ بِالْجُلْفِ أَوْ الرِّقِّ أَوْ بِالْأَضْطِنَاعِ، تَمَّ يُوَثَّقُ بِكَفَالَتِهِ أَوْ<sup>(1)</sup> غَنَائِهِ فِيمَا يُدْفَعُ إِلَيْهِ.

وَلَمَّا انْقَرَضَ شَأْنُ الْخِلَافَةِ وَظَهَرَهَا، وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُلْكًا وَسُلْطَانًا،  
صَارَتْ هَذِهِ الْحِظَّةُ الدِّينِيَّةُ بَعِيدَةً عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ، لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ أَلْقَابِ الْمُلْكِ  
وَلَا مَرَامِيمِهِ. ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ جُمْلَةً عَنِ الْقَرْبِ وَصَارَ الْمُلْكُ لِسِوَاهُمْ مِنْ أَمَمِ التُّرْكِ  
وَالْبَرْزَرِ، فَازْدَادَتْ هَذِهِ الْحِظَّةُ / الْجِلَافِيَّةُ بَعْدًا عَنْهُمْ بِمَنَاحِهَا وَغَصْبِيَّتِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ  
15 الْقَرْبَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ دِينُهُمْ، وَالنَّبِيَّ ﷺ مِنْهُمْ، وَأَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ يَخْلُصُهُمْ  
بَيْنَ الْأُمَمِ وَطَرِيقُهُمْ. وَغَيْرُهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ، إِنَّمَا يُوَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ التَّعْظِيمِ لَمَّا دَانُوا بِالْإِلَهِ  
فَقَطُّ. فَصَارُوا يَقْلِدُونَهَا مِنْ غَيْرِ عِصَابَتِهِمْ تَمَّ كَانَ تَاهَلُّ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّلَافَةِ.  
وَكَانَ أُولَئِكَ الْمُتَاهِلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرْفُ التَّوَلَّى مُنْذُ مِثْنِينَ مِنَ السَّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ

(1) ع: وَغَنَائِهِ.

البداءة وحُشُونَتِهَا، وَالتَّبَسُّوا بِالْحَضَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعَتِهِمْ، وَقَلَّةُ الْمَنَافِعِ عَنْ  
 أَنْفُسِهِمْ، وَصَارَتْ هَذِهِ الْحَطَطُ فِي التَّوَلُّ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ، مُخْتَصَّةٌ بِهَذَا الصَّنَفِ  
 مِنَ الْمُشْتَغَفِينَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ، وَتَزَلْ أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ لِقَدِّ الْأَهْلِيَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ  
 وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَضَارَةِ، فَلَجِبَتْهُمْ مِنَ الْإِخْتِقَارِ مَا يُلْحَقُ الْحَضَرَ الْمُتَعَمِّسِينَ فِي التَّرَفِ  
 5 وَالِدَّةِ، الْبَعْدَاءِ عَنْ عَصِيَّةِ الْمُلْكِ، الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ، وَصَارَ اغْتِيَارُهُمْ فِي  
 التَّوَلُّ مِنْ أَجْلِ قِيَامِهَا بِالْمِلَّةِ وَأَخْذِهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ، لَمَّا أَنَّهُمْ الْحَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ،  
 الْمُتَشَوِّهِينَ بِهَا. وَلَمْ يَكُنْ إِثَارُهُمْ فِي التَّوَلُّ حِينَئِذٍ إِكْرَامًا لِلنَّوَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَتَلَمَّحُ مِنْ  
 التَّجَمُّلِ بِمَكَائِهِمْ فِي مَجَالِسِ الْمُلْكِ لِتَعْظِيمِ الرُّتَبِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْحَلِّ  
 وَالْعَقْدِ شَيْءٌ، وَإِنْ حَضَرُوهُ خُضُورَ رَسْمِيٍّ لَا حَقِيقَةٍ وَرَاءَهُ، إِذْ حَقِيقَةُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ  
 10 إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ، فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ، فَلَا حَلَّ وَلَا عَقْدَ لَدَيْهِ، اللَّهُمَّ أَخْذُ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْهُمْ، وَتَلَقِّي الْفَتَاوَى مِنْهُمْ، فَتَعَمَّ. وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ.

وَرُبَّمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا وَرَاءَ ذَلِكَ، وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيهَا  
 فَعَلُوهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقُضَاةِ عَنِ الشُّورَى مَرْجُوحٌ، وَقَدْ قَالَ عليه السلام (1): "الْعُلَمَاءُ  
 [1152] / وَرَبُّهُ الْأَنْبِيَاءُ"، فَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنَّنَاهُ، وَحُكْمُ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ إِنَّمَا يَجْرِي  
 15 عَلَى مَا تَنْضِيهِ طَبِيعَةُ الْغُفْرَانِ، وَإِلَّا كَانَ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسَةِ. وَطَبِيعَةُ  
 الْغُفْرَانِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، لِأَنَّ الشُّورَى وَالْحَلَّ وَالْعَقْدَ إِنَّمَا  
 يَكُونُ لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَمْتَدِّرُ بِهَا عَلَى حَلٍّ أَوْ عَقْدٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ. وَأَمَّا مَنْ لَا

(1) طَرَفٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (3642)، وَالتِّرْمِذِيُّ (2682)، وَأَحْمَدُ (5: 196)، وَابْنُ مَاجَةَ (223)،  
 وَابْنُ حِبَانَ (88) مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ .

عَصِيَّةٌ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا مِنْ جَمَاعَتِهَا ، وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ ،  
فَأَيُّ مُذْخَلٍ لَهُ فِي الشُّوْزَى ، أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى اغْتِيَارِهِ فِيهَا ؟ اللَّهُمَّ شُوزَاؤُهُ  
فِيهَا يَغْلُمُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ فَمَوْجُودٌ فِي الْإِسْتِيفَاءِ خَاصَّةً . وَأَمَّا شُوزَاؤُهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ  
بَعِيدٌ عَنْهَا ، لِفَقْدَانِهِ الْقَضِيَّةِ وَالْقِيَامِ عَلَى مَعْرِفَةِ أَسْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا . وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ  
5 تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ ، الشَّاهِدَةُ لَهُمْ بِجَمِيلِ الْإِغْتِفَادِ فِي الدِّينِ وَتَعْظِيمِ مَنْ يَنْتَسِبُ<sup>(١)</sup>  
إِلَيْهِ ، بِأَيِّ دَهْمَةٍ انْتَسَبَ . وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ : "الْعُلَمَاءُ وَزَنَةُ الْأَنْبِيَاءِ" ، فَاعْلَمْ أَنَّ الْفُقَهَاءَ  
فِي الْأَغْلَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمَا اخْتَفَ بِهِ ، إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالًا فِي كَيْفِيَّةِ الْأَعْمَالِ فِي  
الْعِبَادَاتِ ، وَكَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ فِي الْمَعَامَلَاتِ ، يُتَصَوَّنَهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ  
بِهَا ؛ هَذِهِ غَايَةُ أَكْبَرِهِمْ ؛ وَلَا يَتَصَفُّونَ إِلَّا بِالْأَقْلَ مِنْهَا ، وَفِي بَعْضِ الْأَسْوَالِ .  
10 وَالسَّلَفُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَأَهْلُ الدِّينِ وَالزُّوْعِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ ،  
اتِّصَافًا بِهَا وَتَحَقُّقًا بِمَذَاهِبِهَا . فَمَنْ حَمَلَهَا اتِّصَافًا وَتَحَقُّقًا دُونَ نَقْلِ فَهُوَ مِنَ الْوَارِثِينَ ،  
مِثْلُ<sup>(ب)</sup> أَهْلِ رِسَالَةِ الْقُسَيْرِيِّ . وَمَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرَانِ ، فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ الْوَارِثُ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ ، مِثْلُ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ وَالْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَمَنْ افْتَنَى [طَرِيقَهُمْ]<sup>(ج)</sup> وَجَاءَ  
عَلَى إِثْرِهِمْ ، وَإِذَا افْتَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأُمَّةِ بِأَخْذِ الْأَمْرَيْنِ ، فَالْعَابِدُ / أَخَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
15 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ ؛ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرِثَ صِفَةً ، وَالْفَقِيهُ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ  
يَرِثْ شَيْئًا ، إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يُتَّصَفُهَا عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ ، وَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ  
فُقَهَاءِ عَصْرِنَا ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [سُورَةُ ص ، مِنْ  
الْآيَةِ 24] .

(١) ل: يَنْتَسِبُ (ب) مُخْرَجٌ فِي حَاشِيَةِ ع وَجَدَهَا بِمَخْطُوتٍ مُتَأَخِّرٍ: وَرَوَى الْأَنْبِيَاءُ (ج) فِي ط : أَنْزَمَ .

د. العدالة، وهي وظيفة دينية تابعة للقضاء ومن موارد تضريره. وحقبة هذه الوظيفة، القيام عن إذن القاضي بالشهادة بين الناس فيما لهم وعليهم، تحلاً عند الإسهاد، وأداء عند الشئاع، وكتاباً في السجلات يحفظ به حقوق الناس وأملاتهم وديونهم وسائر معاملاتهم. وإثماً قلنا عن إذن القاضي، لأن الناس قد اختلطوا، وخفي التغديل والجزع إلا على القاضي، فكأنه إنما يأذن لمن ثبتت 5 عنده عدالته ليحفظ على الناس أمورهم ومعاملاتهم<sup>(1)</sup>.

وشرط هذه الوظيفة الاتصاف بالعدالة الشرعية، والبراءة من الجزع، ثم القيام بكتاب السجلات والعقود من جهة عبارتها وانبطام فصولها، ومن جهة إخكام شروطها الشرعية وعقودها، فيحتاج حينئذ إلى ما يتعلق بذلك من الفقه. ولأجل هذه الشروط وما تحتاج<sup>(ب)</sup> إليه من الميزان على ذلك والممارسة له<sup>(ج)</sup>، اختص ذلك 10 بنقض العدول، وصار الصنف القائمون به كأهم مختصون بالعدالة؛ وليس كذلك، وإثماً العدالة من شروط اختصاصهم بالوظيفة.

ويجب على القاضي تصفح أحوالهم والكشف عن سيرهم، رعاية لشروط العدالة فيهم، والأهمل ذلك، لما يتعين عليه من حفظ حقوق الناس، فالهتد عليه في ذلك كله، وهو ضاير ذكره. وإذا تعين هؤلاء لهذه الوظيفة 15 عمت الفائدة بهم في تغديل من تخفى عدالته على القضاة بسبب اتساع الأمصار واشتياخ الأحوال، واضطرار القضاة إلى الفضل بين المتنازعين بالبيئات المؤتفة، فيقولون غالباً في / الوثوق بها على هذا الصنف؛ ولهم في سائر الأمصار دكاكين [153]

(1) حاشية منزلة على هذا المخرج، اهدت بها ع يخطه (ب) ع : يحتاج (ج) سقط من ل .

وَمَصَاطِبُ يَخْتَصُونَ بِالْجُلُوسِ فِيهَا ، لِيَتَعَاهَدَهُمُ أَصْحَابُ الْمَاعَلَاتِ لِلإِشْهَادِ وَتَشْيِيدِهِ  
بِالْكِتَابِ .

وصار مدلول هذه اللفظة مُشْتَرَكًا بين هذه الوظيفة الَّتِي تَبَيَّنَ مدلولها ،  
وبين العدالة الشَّرْعِيَّة الَّتِي هِيَ أَخْتُ الْجَرْحِ ، وقد يَتَوَازَنانِ وَيُفْتَرَقَانِ . والله أعلم .

## 5 هـ . الْحِسْبَةُ وَالسَّكَّةُ

أَمَّا الْحِسْبَةُ ، فَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ  
الْمُنْكَرِ ، الَّذِي هُوَ فَرَضٌ عَلَى الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ؛ يُعَيِّنُ لِنَاكِحٍ مِنْ بَرَاءِ أَهْلٍ لَهُ ،  
فَيَتَعَيَّنُ فَرَضُهُ عَلَيْهِ ، وَيَتَجَدُّ الْأَعْوَانُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَتَحَثُّ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَيُعَزِّرُ  
وَيُؤَدِّبُ عَلَى قَدَرِهَا ، وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ ؛ مِثْلُ الْمَنْعِ مِنْ  
10 الْمُضَايِقَةِ فِي الطَّرِيقَاتِ ؛ وَمَنْعِ الْحَالِينَ وَأَهْلِ السُّفْنِ مِنَ الْإِكْثَارِ فِي الْحَمْلِ ؛ وَالْحُكْمِ  
عَلَى أَهْلِ الْمَبَانِي الْمُتَعَتِّبَةِ لِلْسُّقُوطِ بِهَذْمِهَا ، وَإِزَالَةِ مَا يَتَوَقَّعُ مِنْ ضَرَرِهَا عَلَى السَّابِلَةِ ؛  
وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الْمُفْلِمِينَ بِالْمَكَاتِبِ وَغَيْرِهَا فِي الْإِبْلَاقِ فِي ضَرْبِهِمُ لِلضَّبَّانِ  
الْمُتَعَلِّمِينَ . وَلَا يَتَوَقَّفُ حُكْمُهُ عَلَى تَنَازُعٍ أَوْ اسْتِغْدَاءٍ ، بَلْ لَهُ التَّنَظُّرُ وَالْحُكْمُ فِيمَا  
يَصِلُ إِلَى عِلْمِهِ مِنْ ذَلِكَ وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ . وَلَيْسَ لَهُ أَيْضًا الْحُكْمُ فِي الدَّعَاوَى مُطْلَقًا ؛ بَلْ  
15 فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالنِّشْ وَالْتِّذْلِيسِ فِي الْمَعَاشِ وَغَيْرِهَا ، وَفِي الْمَكَايِلِ وَالْمَوَازِينِ ، وَلَهُ أَيْضًا  
تَحْمِلُ الْمَاطِلِينَ عَلَى الْإِنْصَافِ ، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ تَمَّا لَيْسَ فِيهِ سَمَاعٌ يَبْتَنَّى وَلَا إِتْقَانٌ حُكْمٍ .  
وَكَانَتْهَا أَحْكَامٌ يُتَرَى عَنْهَا الْقَضَاءُ لِعُمُومِهَا وَسَهُولَةِ أَغْرَاضِهَا ، فَتُذَنَّقُ إِلَى صَاحِبِ  
هَذِهِ الْوِظِيفَةِ لِيَقُومَ بِهَا ؛ فَوْضِعُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ خَادِمَةً لِمَنْصِبِ الْقَضَاءِ .

وقد كانت في كثير من النُؤل الإسلامية، مثل العَبِيدِيَّين بمِصر والمَغْرِب،  
 [153ب] والأُمُويَّين بالأندلس، داخلة في / عُموم ولاية القاضي يُولَى<sup>(أ)</sup> فيها باختياره. ثم لما  
 انْقَرَضَتْ وَظِيفَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْجَلَاةِ، وصَارَ نَظَرُهُ عَاماً فِي أُمُور السِّيَاسَةِ،  
 فاندَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمُلْكِ وَأُفْرِدَتْ<sup>(ب)</sup> بِالْوِلَايَةِ.

- وَأَمَّا السَّكَّةُ فَهِيَ النَّظَرُ فِي النَّقُودِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَحَفْظُهَا 5  
 مَتَا يَدْخُلُهَا مِنَ الْغَشِّ أَوْ النَّقْصِ إِنْ كَانَتْ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ  
 وَيُوصِلُ إِلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ الْاِغْتِبَارَاتِ، ثُمَّ فِي وَضْعِ غَلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ النَّقُودِ  
 بِالِاسْتِجَادَةِ وَالْخُلُوصِ، تُزَسَّمُ تِلْكَ الْعَلَامَةُ فِيهَا مِنْ خَاتَمٍ حَدِيدٍ أُتْخِذَ لِنَظَرِهَا،  
 وَيُقَشَّ فِيهِ نَقُوشٌ خَاصَّةٌ بِهِ، \* فَيُوضَعُ عَلَى الدِّينَارِ [أَوْ التَّرْهَمِ]<sup>(ج)</sup> بَعْدَ أَنْ يُقَدَّرَ \*<sup>(د)</sup>،  
 وَيُضْرَبُ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تَرْتَسِمَ فِيهِ تِلْكَ النَقُوشُ، وَتَكُونَ عِلَامَةً عَلَى خُودَتِهِ، 10  
 بِحَسَبِ الْغَايَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا السَّبْكُ وَالتَّخْلِيصُ فِي مُتَعَارَفِ أَهْلِ الْفُطُرِ  
 وَمَذْهَبِ النُّوَلَةِ الْحَاكِمَةِ؛ فَإِنَّ السَّبْكَ وَالتَّخْلِيصَ فِي النَّقُودِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ، وَإِنَّمَا  
 تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْاِجْتِهَادِ؛ فَإِذَا وَقَفَ<sup>(هـ)</sup> أَهْلُ أَفْقٍ أَوْ قَطْرِ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّخْلِيصِ،  
 وَقَفُوا عِنْدَهَا وَسَمُّوهُ إِمَامًا وَعِيَارًا، يَغْتَبِرُونَ بِهِ نَقُودَهُمْ وَيَنْتَقِدُونَهَا بِمَائِلَتِهِ، فَإِنْ نَقَصَ  
 عَنِ ذَلِكَ كَانَ زَيْفًا.

15

وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْوِظِيفَةِ، وَهِيَ دِيْنِيَّةٌ بِهَذَا الْاِغْتِبَارِ؛  
 فَتَنْتَدِجُ تَحْتَ الْجِلَالَةِ. وَلَقَدْ كَانَتْ تَدْخُلُ فِي عُمُومِ وِلَايَةِ الْقَضَاءِ، ثُمَّ أُفْرِدَتْ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ بِالْوِلَايَةِ كَمَا وَقَعَ فِي الْحِسْبَةِ.

(أ) ل: يُولَيُهَا (ب) ي: وَأُفْرِدَتْ (ج) من حاشية ع بخطه، ومن ج (د) سقط ما بين النجيين من ي (هـ) في ع ج: انفق.

هذا آخر الكلام في الوظائف الخِلافية. وَبَقِيَ منها وظائف ذهبَ بذهاب ما  
تُظَنُّ فيه، وأخرى صارت سُلْطانية. فوظيفةُ الإمارة، والوزارة، والحزب، والخراج،  
صارت سُلْطانيةً، يَتَكَلَّمُ<sup>(١)</sup> عليها في مكانها بتد. ووظيفةُ الجهاد بطلت بطلانه إلا  
في قليلٍ من الدول، لحارسونه ويُدرجون أحكامه غالباً في السُلْطانيات. وكذا بقاؤه  
5 الأسباب التي يتوصل بها إلى / الخلافة أو الحق في نيل المال، قد بطلت لدثور  
الخلافة ورُسومها. وبالجملة، فقد اندرجت رُسومُ الخلافة ووظائفها في رُسوم الملك  
والسياسة في سائر الدول لهذا العهد. والله مُصَرِّفُ الأمور بِحُكْمِهِ<sup>(ب)</sup>.

### 32 • فصل، في اللَّقَبِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وأنه من سماتِ الخِلافةِ

وهو مُخَدَّثٌ منذ عهد الخلفاء، وذلك أنه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه،  
10 كان الصحابةُ وسائر المسلمين يُسَمُّونه خليفةَ رسول الله ﷺ؛ ولم يزل الأمر على  
ذلك إلى أن هلك. فلما بويع لعمر بعهد إليه، كانوا يدعونه خليفةَ خليفة رسول الله.  
وكانهم اشتغلوا هذا اللَّقَبَ لطوله وكثرة إضافته، وأنه يتردّد فيما بعد دائماً، إلى أن  
ينتهي إلى الهُجْنة، ويذهب منه التمييزُ بتعدد المضافات وكثرتها، فلا يُعرف. فكانوا  
[يقدلون]<sup>(ج)</sup> عن هذا اللَّقَبِ إلى سواه مما يناسبه ويدعى به مثله. وكانوا يُسمّون  
15 قَوَادِ البعث باسم الأمير، وهو فعيلٌ من الإمارة. وقد كان الجاهليّة يدعون النَّبِيَّ  
ﷺ أميرَ مكةَ وأميرَ الحجاز؛ وكان الصحابةُ أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أميرَ  
المسلمين لإمارته على جيش القادسية، وهو مُعْظَمُ المسلمين يؤمّنون.

(١) ل: تكلم (ب) ي: يحكمه (ج) سقط من ط.



واتفق أن دَعَا بعضُ الصَّحابة عُمَرَ رضي الله عنه باسم<sup>(أ)</sup> أمير المؤمنين، فاستَحْسَنه النَّاسُ واشْتَضَوْوه ودَعَوْه به. يُقَالُ أَوَّلُ مَنْ دَعَاه بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ؛ وقيل عُمَرُو بْنُ الْعَاصِ، والمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ؛ وقيل بَرِيدٌ جَاءَ بِالْفَتْحِ مِنْ بَعْضِ الْبُعُوثِ، ودَخَلَ الْمَدِينَةَ وَهُوَ يَسْأَلُ عَنْ عُمَرَ ويقول: أَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَسَمِعَهَا<sup>(ب)</sup> أَصْحَابُهُ فَاسْتَحْسَنُوهُ، وقالوا أَصَبَتْ وَاللَّهِ اسْمُهُ، إِنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا، فدَعَوْه به 5 ودَهِبَ لِقَبَا لَهُ فِي النَّاسِ. وتَوَارَتْهُ الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِ سِمَةً لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا أَحَدٌ سِوَاهُمْ / سائر ذُؤَلَةٌ بَنِي أُمَيَّةَ . [154ب]

ثم إن الشَّيْعَةَ خَصَّصُوا عَلِيًّا بِاسْمِ الْإِمَامِ، نَعَتْهُ لَهُ بِالْإِمَامَةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ الْخِلَافَةِ، وتَعْرِضُ بِمَذْهَبِهِمْ فِي أَنَّهُ أَحَقُّ بِإِمَامَةِ الصَّلَاةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ كَمَا هُوَ مَذْهَبُهُمْ وبِذَعْتِهِمْ؛ فَخَصَّصُوا هَذَا اللَّقْبَ وَلَمْ يَسُوقُوا إِلَيْهِ مَنْصِبَ الْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَكَانَ 10 كُلُّهُمْ يُسْتَعَى بِالْإِمَامِ مَا دَامُوا يَدْعُونَ لَهُمْ فِي الْخَفَاءِ؛ حَتَّى إِذَا يَسْتَوْلُونَ عَلَى الدَّوْلَةِ يَحُولُونَ اللَّقْبَ فِيمَنْ يَبْغُوهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؛ كَمَا فَعَلَهُ شَيْعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَإِنَّهُمْ مَا زَالُوا يَدْعُونَ أَتِثَّتَهُم بِالْإِمَامِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الَّذِي تَخَفَرُوا بِالْإِدْعَاءِ لَهُ، وَعَقَدُوا الزَّيَّاتِ لِلْحَزْبِ عَلَى أَمْرِهِ، فَلَمَّا هَلَكَ، دُعِيَ أَخُوهُ الشَّقَاحُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وكذا الرَّافِضَةُ بِأَفْرِيقِيَّةٍ مَا زَالُوا يَدْعُونَ الْأَيْمَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بِالْإِمَامِ، حَتَّى انْتَهَى الْأَمْرُ لِعَبْدِ<sup>(ج)</sup> 15 اللَّهِ الْمُهَدِّيِّ، وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُونَهُ بِالْإِمَامِ، وَلابْنُهُ أَبِي الْقَاسِمِ مِنْ بَعْدِهِ. فَلَمَّا اسْتَوْسَقَ لَهُمُ الْأَمْرُ، دَعَوْا مَنْ يَبْغُوهُمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. وكذا الْأَدَارِسَةُ بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يَدْعُونَ إِدْرِيسَ بِالْإِمَامِ، وَابْنَهُ إِدْرِيسَ الْأَصْفَرَ كَذَلِكَ، وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ .

(أ) سقط من ل. وفيها: بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ب) في ل: فَاسْتَحْسَنَهَا أَصْحَابُهُ، وَقَالُوا ... (ج) من ط ج ي كما هو على السَّكَّةِ والصَّوْجِ وَفِي كَتَمِهِمْ . وَفِي ع ل: عَبِيدُ كَمَا هُوَ الشَّاعِرُ .

وتوارث الخلفاء هذا اللقب بأمر المؤمنين، وجعلوه سمة لمن يملك الحجاز والشام والعراق، المواطن التي هي ديار العرب، ومراكز الدولة، وأصل الملة والفتح. وإزاداً لذلك في غفوان الدولة وبذخها لقب آخر للخلفاء يميّز به بغضهم عن بفض، لما في أمير المؤمنين من الاشتراك بينهم؛ فاستخذت ذلك بنو العباس حجاباً 5 لأسماهم الأعلام عن امتيازها في ألسنة السوقة، وضوئاً<sup>(أ)</sup> لها عن الاستبدال، فتلقبوا بالشفاح، والمنصور، والهادي، والمهدي، والرّشيد، إلى آخر الدولة. وافتنى أثرهم في ذلك العبّيدون بإفريقية ومصر. وتجاوى بنو أمية عن ذلك. أمّا بالمشرق قبلهم، فجزاً مع الغضاضة والسداجة، لأنّ الرويية ومنازعها لم تضار حينئذ ولم يتحول عنهم شعار البداوة إلى شعار الحضارة. / وأمّا بالأندلس فتقليداً لسلفهم مع ما علموه [1155]

10 من أنفسهم من القصور عن ذلك بالقصور \* عن الخلافة التي استأثر بها بنو العباس، ثم بالعجز\*<sup>(ب)</sup> عن ملك الحجاز أصل العرب والملة، والبغد عن دار الخلافة التي هي مركز العصية، وأنهم إنما منعوا بأمر القاصية أنفسهم من مهالك بني العباس. حتى إذا جاء عبد الرحمن الآخر منهم، وهو التاجر ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، لأول المائة الرابعة، واشتهر ما نال الخلافة 15 بالمشرق من الحجز واستياد الموالى، وغيتهم في الخلفاء الغزل والاستبدال<sup>(ج)</sup> والقتل والسفل، ذهب عبد الرحمن هذا إلى مثل مذاهب الخلفاء بالمشرق وإفريقية، وتسمى بأمر المؤمنين، وتلقب بالتاجر لدين الله، وأخذت من بعده عادة ومذهباً لقن [عنه]<sup>(د)</sup> ولم يكن لأبائه وسلف قومه.

(أ) ل: وضوئاً (ب) سقط من ل (ج) من ع ج ل ي، وفي ظ: الاستبداد (د) ظ: عليه.

واستمر الحال على ذلك إلى أن انقضت عصبة العرب أجمع، وذهب رسم الخلافة، وتقلب الموالي من العجم على بني العباس، والصناعات على العبيدين بالقاهرة، وصنهاجة على أمر إفريقية، وزناتة على المغرب، وملوك الطوائف بالأندلس على أمر بني أمية، واقتسموه، واقترق أمر الإسلام، فاختلفت مذاهب الملوك بالمغرب والمشرق في الاختصاص بالألقاب، بعد أن تسموا جميعاً باسم 5 السلطان.

فأما ملوك المشرق من العجم، فكان الخلفاء يخصصونهم بألقاب تشرقية يستعز منها أسيادهم وطاعتهم وحسن ولايتهم، مثل: شرف الدولة، وعُضد الدولة، وركن الدولة، ومِعز الدولة، ونصير الدولة، ونظام الدولة، ونظام الملك، ونهاه الملك، وذخيرة الملك، وأمثال هذه. وكان العبيدون أيضاً يخصصون بها 10 أمراء صنهاجة. فلما / استبدوا على الخلفاء قنعوا بهذه الألقاب، وتجاؤا عن ألقاب الخلافة أدباً معها، وعدولاً عن سبائها المختصة بها، شأن المتغلبين المستبدين كما قلناه قبل.

وتزع المتأخرون من أعاجم المشرق، حين قوي استيادهم على الملك، وعلا كعبهم في الدولة والسلطان، وتلاشت عصبة الخلافة واضمحلت بالجملة، إلى 15 انتحال الألقاب الخاصة بالملك، مثل: الناصر، والمنصور، زيادة إلى ألقاب كانوا يختصون بها قبل هذا الانتحال، مشعرة بالخروج عن رتبة الولاء والاضطناع، بما أضافوها إلى الدين فقط، فيقولون: صلاح الدين، أسد الدين، نور الدين.

وأما ملوك الطوائف بالأندلس، فافتسّموا ألقاب الخلافة، وتوزّعوها لقوة  
استبّادهم عليها بما كانوا من<sup>(1)</sup> قبلها وعصيّتها، [فتلقّبوا]<sup>(ب)</sup> بالتأصّر والمنصور  
والمعتد، والمظفر، وأمثالها، كما قال ابن شرف<sup>(1)</sup> ينعي عليهم ذلك: [من البسيط]  
مِمَّا يَرُودُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ      أَسْمَاءُ مَعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَالِهَرِّ يَحْكِي انْفِاخًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وأما صنهاجة فافتصروا على الألقاب التي كان خلفاء الغنبيديين يلقّبونهم بها  
للتنويه، مثل نصير الدولة، وسيف الدولة، ومعرّ الدولة. واتّصل لهم ذلك لما أدالوا  
من دغوة العبديين بدغوة العباسيين. ثم بعدت الشقة بينهم وبين الخلافة ونسوا  
عندها، فنسّوا هذه الألقاب واقتصروا على اسم السلطان.

وكذا شأن ملوك مغراوة بالمغرب، لم ينتحلوا شيئاً من هذه الألقاب إلا اسم  
السلطان، جزياً على مذاهب البداوة والقضاضة.

ولما مُجّي اسم الخلافة / وتعلّ دسّتها ، وقام بالمغرب من قبائل البربر [156]  
يوسف بن تاشفين ملك لمتونة فملك العدوتين، وكان من أهل الحضر والاقتداء،  
نزعته به هجته إلى الدخول في طاعة الخليفة تكميلاً لرأسم دينه، فحاطب المستنصر  
العباسي، وأوفد عليه ببنيعه عبّذ الله بن العربي وابنه القاضي أبا بكر، من مشيخة  
إشبيلية، يطلبان توليته إياه على المغرب وتقليده ذلك، فالتقوا إليه بعهد الخليفة له

(1) سقط من ل (ب) سقط من ط .

(2) تقدّم ذكره وتخرجه في صفحة 272 .

على المغرب واشتد شعار زعيم في لبوسه وزايته، وخاطبه فيه بأمير المسلمين، تشريفاً له واختصاصاً، فاتخذها<sup>(أ)</sup> لقباً. ويقال إنه كان دُعي له بأمير المسلمين من قبل، أدبا مع رتبة الخلافة، لما كان عليه هو وقومُه المرابطون من انبثال الدين واتباع السنة .

وجاء المهدي على إثرهم داعياً إلى الحق، آخذاً بمذاهب الأشعرية، ناعياً

- 5 على أهل المغرب عدولهم عنها إلى تقليد السلف في ترك التأويل لطواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك، كما هو معروف من مذهب الأشعرية. وسمى أتباعه المؤخدين تعريضاً بذلك الكثير. وكان يرى رأي<sup>(ب)</sup> أهل البيت في الإمام المغمصوم، وأنه لا بد منه في كل زمانٍ يُحفظُ بوجوده نظام<sup>(ج)</sup> هذا العالم؛ فسعى بالإمام أولاً لما قلناه من مذهب الشيعة في ألقاب خلفائهم، وأزدد بالغمصوم إشارة إلى مذهبه في عضمة الإمام، وقرّره عند أتباعه عن أمير المؤمنين آخذاً بمذاهب<sup>(د)</sup> المتقدمين من الشيعة، 10 ولما فيها من مشاركة الأغهار والولدان من أغقاب أهل الخلافة يؤمنون بالمشرق والمغرب .

ثم انتحل عبد المؤمن وليّ عهده اللقب بأمير المؤمنين، وجرى عليه من

بغديه خلفاء بني عبد المؤمن، وآل أبي حفص من بعدهم، استثنائاً / به عن سواهم، [156]

- 15 لما دعا إليه شيوخهم المهدي من ذلك، وأنه صاحب الأمر، وأولياؤه من بغديه كذلك دون كل أحد، لانقضاء غصبة قرطيس وتلاشيها؛ فكان ذلك ذأهم.

ولما انتقض الأمر بالمغرب وانتزع زناتة، ذهب أولوهم مذاهب البداوة

والسداجة واتباع لمتونة في انبثال اللقب بأمير المسلمين، أدباً مع رتبة الخلافة التي

(أ) كذا في كل الأصول، وينير بالعائد المؤنت، إلى إمارة المسلمين (ب) ع : ما رأى (ج) سقط من ل (د) ل: بمذهب .

كانوا على طاعتها لبني عبد المؤمن أولاً، ولبني أبي حفص من بعدهم. ثم نَزَعَ المتأخرون منهم إلى اللّقب بأمر المؤمنين، واشتَخلوه لهذا العهد، استيلاً غاً في منازع المُلْك وتثميّاً لمذاهبه وسيماته، ﴿والله غالب على أمره﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

33 • فضل، في شرح اسم الباب<sup>(1)</sup> والبطرك في الملة النصرانية، واسم

5 الكوهر عند اليهود

أعلم أنّ الملة لا بُدَّ من قائم بها عند غيبة النبي، يحيلهم على أحكامها وشرائعها، ويكون كالحليفة فيهم للنبي فيما جاءهم به من التكليف. والتويع الإنساني أيضاً بما تقدم من ضرورة السياسة فيه للاجتماع البشري، لا بُدَّ لهم من شخص يحيلهم على مصالحهم، ويترعهم عن مقاصدهم بالقهر<sup>(ب)</sup>، وهو المستى بالملك.

10 والملة الإسلامية لما كان الجهاد فيها مشروعاً لغموم الدعوة، وحمل الكفاية على دين الإسلام طَوْعاً أو كَرْهاً، اتحدت فيها الخلافة والمُلْك لتؤجّه الشوكة من القائمين بها إليها معاً<sup>(ج)</sup>.

وأما ما سوى الملة الإسلامية، فلم تكن دعوته عامة ولا الجهاد عندهم مشروعاً إلا في المدافة فقط. فصار القائم بأمر الدين فيها لا يعنيه شيء من / سياسة [157] المُلْك. وإنّما وقع المُلْك لمن وقع منهم بالعرض ولأمر غير ديني، وهو ما اقتضته لهم العصية بما فيها من الطلّب للمُلْك بالطنبع كما قدّمناه<sup>(د)</sup>، لا [لأنهم]<sup>(هـ)</sup> مكلفون بالتغلّب على الأمم كما في الملة الإسلامية، وإنّما هم مطلوبون بإقامة دينهم في خاصّتهم.

(1) شدّت الباء الثانية في ع ل ي ط (ب) سقط من ل (ج) ل: جيتا (د) ل: فله (هـ) في ط وحدها: لا آتهم.

ولذلك بقي بنو إسرائيل من بعد موسى ويوشع - صلوات الله عليها - نحو أربعائة سنة لا يقتنون بشيء من أمر الملك ، إنما هم إقامة دينهم فقط . وكان القائم به بينهم يُسقى الكوهن ، كآته خليفة لموسى - صلوات الله عليه - يقيم لهم أمر الصلوات والقرآن . ويشترون فيه أن يكون من ذرية هارون - صلوات الله عليه - لأن \* ذلك كان له ولبنيه <sup>(١)</sup> بالوحي \* <sup>(ب)</sup> . ثم اختاروا لإقامة السياسة التي هي للبشر 5 بالطبع سبعين شيخاً كانوا يتولون أحكامهم العامة . والكوهن أعظم رتبة [منهم] <sup>(ج)</sup> في الدين ، وأبعد عن شغب الأخكام . واتصل ذلك فيهم ، إلى أن استحكمت طبيعة القصة ، وتمحّضت الشوكة للملك ؛ فغلبوا الكنعانيين على الأرض التي أوزعهم الله إياها - بنيت المقدس وما جاورها - كما بين لهم على لسان موسى صلوات الله عليه ، فحازتهم أمم الفلستين والكنعانيين والأرض وأدوم وعمون ومواب ، وراثتهم 10 في ذلك راجعة إلى شيوخهم . وأقاموا على ذلك نحوًا من أربعائة سنة ، ولم تكن لهم صولة الملك . وصيّر بنو إسرائيل من مغالبة الأمم ، فطلبوا على لسان شمويل من أنبيائهم ، أن يأذن الله لهم في تفليك رجل عليهم ، فملك عليهم طالوث ، وغلب الأمم وقُتل جالوت / ملك الفلستين . ثم ملك بعده داود ثم سليمان - صلوات 15 الله - عليها واستفحل ملكه وامتد إلى الحجاز ، ثم إلى أطراف اليمن ، ثم إلى أطراف بلاد الروم . ثم افترق الأسباط من سليمان - صلوات الله عليه - بمقتضى القصة في الدول - كما قدّمناه - إلى دولتين ، كانت إحداها بالجزيرة <sup>(د)</sup> والموصل <sup>(د)</sup> للأسباط

(١) في ج: ولبنه من بعده (ب) هذه الجملة المحصورة بين النجسين أضافها المؤلف بخطه في حاشية الأصل ع صويطاً عن نص منطوب . وظلها عنه بقية الأصول عداي التي نقلت قبل التبديل والإلغاء جملة [لأن موسى لم ينشأ] (ج) من ع وحدها ، وفي بقية الأصول : منه (د) كذا في ط ل ي ج . وفي ع: بنواحي نابلس .

العشرة، (وَكُزِّيْ مُلْكُهُمْ فِيهَا صُبْطِيَّةٌ)<sup>(أ)</sup>، والأُخْرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُوذَا وَبَنِي يَامِينَ .

ثُمَّ غَلِبَهُمْ يُحْتَنَصِرُ مَلِكُ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُلْكِ، أَوَّلًا، الْأَسْبَاطُ  
العشرة [فِي صُبْطِيَّةٍ]<sup>(ب)</sup>، ثُمَّ ثَانِيًا، بَنِي يَهُوذَا بَنِيَتْ الْمَقْدِسَ بَعْدَ اتِّصَالِ مُلْكِهِمْ  
5 نَحْوُ<sup>(ج)</sup> أَلْفِ سَنَةٍ، وَخَرَّبَ مَسْجِدَهُمْ وَأَحْرَقَ تَوَارِثَهُمْ وَأَمَاتَ دِينَهُمْ، وَقَتْلَهُمْ إِلَى  
أَصْهَانَ<sup>(د)</sup> وَبِلَادِ الْعِرَاقِ، إِلَى أَنْ رَدَّهُمْ بَعْضُ مَلُوكِ الْكِنِيزِيَّةِ مِنَ الْفُرْسِ إِلَى بَنِيَتْ  
الْمَقْدِسِ بَعْدَ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ خُرُوجِهِمْ، فَبَنَوْا الْمَسْجِدَ وَأَقَامُوا أَمْرَ دِينِهِمْ عَلَى الرَّسْمِ  
الْأَوَّلِ لِلْكَهَنَةِ<sup>(هـ)</sup> فَقَطْ، وَالْمَلِكُ لِلْفُرْسِ. ثُمَّ غَلَبَ الْإِسْكَندَرُ وَبَنُو يُونَانَ عَلَى الْفُرْسِ،  
وَصَارَ الْيَهُودُ فِي مَلِكَتِهِمْ. ثُمَّ فَشَلَ أَمْرُ الْيُونَانِيِّينَ، فَاعْتَزَّ الْيَهُودُ عَلَيْهِمُ بِالْعَصِيَّةِ  
10 الطَّبِيعِيَّةِ وَدَفَعُوهُمْ عَنِ الْإِسْتِيلَاءِ عَلَيْهِمْ، وَقَامَ بِمُلْكِهِمُ الْكَهَنَةُ<sup>(و)</sup> الَّذِينَ كَانُوا فِيهِمْ مِنْ  
بَنِي خَشْمَتَائِي، وَقَاتَلُوا يُونَانَ حَتَّى انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ، وَغَلَبَهُمُ الرُّومُ فَصَارُوا تَحْتَ أَمْرِهِمْ.  
ثُمَّ رَحَقُوا<sup>(ز)</sup> إِلَى بَنِيَتْ الْمَقْدِسِ وَبَهَا بَنُو هَيْزِدُوسَ أَصْهَارُ بَنِي خَشْمَتَائِي، وَبَقِيَّةُ دَوْلَتِهِمْ،  
فَخَاصَرُوهُمْ مُدَّةً، ثُمَّ افْتَتَحُوهَا غَنَوَةً وَأَفْخَشُوا فِي الْقَتْلِ وَالْهَذْمِ وَالتَّخْرِيقِ، وَخَرَّبُوا  
بَنِيَتْ الْمَقْدِسِ، وَأَجْلَوْهُمُ عَنْهَا إِلَى رُومَةٍ وَمَا وَرَاءَهَا، وَهُوَ الْخَرَابُ الثَّانِي لِلْمَسْجِدِ،  
15 تُسَمِّيهِ الْيَهُودُ بِالْجَلْوَةِ الْكُبْرَى. / فَلَمْ يَقُمْ لَهُمْ بَعْدَهَا مُلْكٌ لِفَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ مِنْهُمْ، وَبَقُوا  
بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَلِكَةِ الرُّومِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، يَقِيمُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمُ الرَّئِيسَ عَلَيْهِمُ الْمُسَمَّى  
بِالْكُوهَنَ.

[i158]

(أ) حاشية بخطه في ع (ب) من حاشية ع (ج) سقط من ل (د) ل: أصهان (هـ) ع: للكهنوتية (و) ع: الكهنوتية  
(ز) كذا في ط ع ل ي، وفي ج: رجعوا .



وكان المسيح - صلوات الله وسلامه عليه - لما جاءهم بما جاء به من الدين والنسخ لبغض أحكام التوراة، وظهرت على يديه الخوارق العجيبة، من إبراء المغنوة، وإخفاء الموتى، واجتمع عليه كثير من الناس وآمنوا به، وأكثرهم الحواريون أصحابه وكانوا اثني عشر، وبعث منهم رُسلاً إلى الآفاق داعين إلى ملته، وذلك أيام أوغسطس<sup>(١)</sup>، [أول ملوك القياصرة]، وفي مُدة هيردوس ملك اليهود الذي اُنتزع<sup>5</sup> الملك من بني حشمَتاي أضهاره. فحسده اليهود وكذبوه، وكتب هيردوس<sup>(ب)</sup> ملكهم ملك القياصرة أوغسطس<sup>(ج)</sup> يُغريه به، فأذن لهم في قتله، ووقع ما تلاه القرآن من أمره. وافترق الحواريون شيعاً، ودخل أكثرهم إلى بلاد الرُّوم داعين إلى دين التضارئة. وكان بطرس كبيرهم، فنزل برومة دار ملك القياصرة. ثم كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى - صلوات الله عليه - في نسخ أربع على اختلاف رواياتهم؛<sup>10</sup> فكتب متى إنجيله في نيت المقدس بالعبرانية، ونقله يوحنا بن زبدي منهم إلى اللسان اللطيني، وكتب لوقا منهم إنجيله باللطيني لبغض أكابر الرُّوم؛ وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة؛ وكتب بطرس إنجيله باللطيني ونسبه إلى مُرقاس تلميذه. واختلفت هذه النسخ الأربع من الإنجيل، مع أنها ليست كلها وخياً صِرفاً بل مشوبة بكلام عيسى - صلوات الله عليه - وبكلام الحواريين؛ وكلها<sup>(د)</sup> مواعظ وقصص؛<sup>15</sup> والأحكام فيها قليلة جداً. واجتمع الحواريون الرُّسل لذلك العهد برومة، ووضعوا قوانين الملة التضارئة، وصبروها بيد أفليمينطس تلميذ بطرس، وكتبوا فيها عذد الكتب التي يجب قبولها والعمل بها.

(١) في ط ج كتب باسم مملأ بدون نقل (ب) سقط من ي (ج) من ع ل (د) كنا في جميع الأصول، وأبدلها المؤلف بخطه في حاشية ع بكلمة: وغالبها.

فمن شريعة اليهود القديمة الثوراة، وهي خمسة أسفار، وكتاب يوشع، وكتاب القضاة، وكتاب زاعوث، وكتاب يهوذا، وأسفار الملوك / أزيعة، وسفر [158ب] بنيامين، وكتاب المقدس لابن كزبون، ثلاثة، وكتاب عزرا الإمام، وكتاب أوشير، وقصة هامان، وكتاب أيوب الصديق، ومزامير داود - عليه السلام - وكُتب ابنه سليمان - عليه السلام <sup>(١)</sup> - خمسة، ونبؤات الأنبياء الكبار والصغار ستة عشر، وكتاب يشوع بن شارخ، وزير سليمان عليه السلام.

ومن شريعة عيسى - صلوات الله عليه - المثلثات من الحوارين، نُسَخ الإنجيل الأربعة، وكتب <sup>(ب)</sup> القتاليقون <sup>(ج)</sup> سبع رسائل، وثامنها الأتركييس في قصص الرسل، وكتاب بولس <sup>(ج)</sup> أربع عشرة رسالة، وكتاب إقليمنطس وفيه الأحكام، وكتاب أنوغالمسيس <sup>(د)</sup> وفيه رؤيا يوحنا بن زبدي . 10

واختلف شأن القياصرة في الأخذ بهذه الشريعة تارة وتعظيم أهلها، ثم بتركها أخرى والتسلط عليهم بالقتل والتقي؛ إلى أن جاء قسطنطين وأخذ بها، فاستمروا عليها.

وكان صاحب هذا الدين والمقيم لمراسمه يُسمونه البطررك، وهو رئيس الملة 15 عندهم وخليفة المسيح فيهم، ويعت ثوابه وخلفاءه إلى ما بعد عنه من أمم التضاريا، ويُسمونه الأسقف، أي نائب البطررك. ويُسمون الإمام الذي يقيم

(أ) سقط من ل (ب) ط: كتاب (ج) كتب المؤلف بخطه على كتاب القتاليقون، «يوحنا»، وعلى كتاب بولس «بدم». وأخذت بهذا الترتيب نسخة ج. ولم تبادل نسخة ل الكتابين بل جعلت المؤخر آخر الأساء، وأسقطت نسخة ي كتاب إقليمنطس (د) في حاشية ع بخطه: أنوغالمسيس .

الصلوات ويُقْتَضَى في الدين بالتيسيس. ويُسَمُّونَ الْمُقْطَع الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْحَلْوَةِ  
 للعبادة بالزَّاهِبِ . وَكَثُرَ خَلَوَاتِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ . وَكَانَ يُظَرِّسُ الرَّسُولُ، رَأْسَ الْحَوَارِيِّينَ  
 وَكَبِيرَ التَّلَامِيذِ بِرُؤْمَةٍ ، يَقِيمُ بِهَا دِينَ التَّصَرَّاتِيَّةِ إِلَى أَنْ قَتَلَهُ نَثْرُونَ حَامِشَ الْقِيَاصَةِ .  
 ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي كُرْسِيِّ رُؤْمَةِ أُزْيُوسَ . وَكَانَ مُزْقَاسُ الْإِنْجِيلِيِّ بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَمِضْرَ  
 وَالْمَغْرِبِ دَاعِيَا سَبْعِ سِنِينَ ؛ فَقَامَ بَعْدَهُ حَنَانِيَا وَسَمَّى بِالْبَطْرِكِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطْرِكَةِ 5  
 فِيهَا . وَجَعَلَ مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ قِسًّا عَلَى أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْبَطْرِكُ يَكُونُ وَاحِدًا مِنَ الْإِثْنَيْ  
 عَشَرَ مَكَانَهُ ، وَيُخْتَارُ مِنْ / الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ الثَّانِي عَشَرَ . فَكَانَ أَمْرُ الْبَطْرِكَةِ [1159]  
 إِلَى الْفُسُوسِ . ثُمَّ لَمَّا وَقَعَ الْإِخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَاعِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ ، وَاجْتَمَعُوا بِنِيقِيَّةِ  
 أَيَّامَ قُسْطَنْطِينِ لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ ، وَاتَّفَقَ ثَلَاثَانِ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِفَتِهِمْ  
 عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ فِي الدِّينِ ، فَكَتَبُوهُ وَسَمَّوْهُ الْأَمَانَةَ ، وَصَيَّرُوهُ <sup>(1)</sup> أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ . 10  
 وَكَانَ فِيهَا كِتَابُهُ أَنَّ الْبَطْرِكَ الْقَائِمَ بِالَّذِينَ لَا يَرْجِعُ فِي تَعْيِينِهِ إِلَى اجْتِهَادِ الْأَقْسَةِ كَمَا  
 قَرَّرَهُ حَنَانِيَا تَلْمِيزُ مُزْقَاسَ ، وَأَبْطَلَ ذَلِكَ الرَّأْيَ ، وَإِنَّمَا يَقْدَمُ عَنْ مَلَأٍ وَاجْتِهَادٍ مِنْ  
 أُمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَرُؤَسَائِهِمْ ؛ فَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي قَوَاعِدِ الدِّينِ ،  
 وَكَانَتْ لَهُمْ مُجْتَمَعَاتٌ فِي تَقْرِيرِهِ ، وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ ؛ فَتَبَقِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى  
 ذَلِكَ . 15

وَاتَّصَلَ فِيهِمْ نِيَابَةُ الْأَسَاقِفَةِ عَنِ الْبَطْرِكَةِ ، وَكَانَ الْأَسَاقِفَةُ يَدْعُونَ الْبَطْرِكَ  
 بِالْأَبِ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَصَارَ الْأَقْسَةُ يَدْعُونَ الْأُسْقَفَ فِيمَا غَابَ عَنِ الْبَطْرِكِ بِالْأَبِ أَيْضًا  
 تَعْظِيمًا لَهُ ، فَاشْتَبَهَ الْأِسْمُ فِي أَغْصَارِ مُتَطَاوِلَةٍ ، يُقَالُ آخِرُهَا بَطْرِكِيَّةٌ هَزَقْلُ

(1) انقردت حاشية ع بالغاء الكلمة ولبدالها بفعل : « وجعلوه » ، مكتوبة بخطه .

باسكندرية؛ فأرادوا أن يَمَيِّزُوا البَطْرِكَ عن الأُسْقَف في التَّعْظِيم فدَعَوْهُ البَابَا، ومعناه أبو الآباء. وظهر هذا الاسمُ أوَّلَ ظُهوره بِمَصْرَ على ما زعم جِرْجِس بن العميد في تاريخه<sup>(1)</sup>. ثُمَّ نَقَلُوهُ إلى صاحب الكُرْسِيِّ الأَعْظَم عندهم وهو كُرْسِي رُومَة، لأنَّه كُرْسِي بُطْرُس الرُّسُول كما قَدَّمَناه. فلم يَزَلْ سِمَةً عليه إلى الآن.

5 ثم اختلف النَّصَارَى في دينهم بعد ذلك وفيما يَعتقدونه في المسيح، وصاروا طوائف وفرقا، واشتَظَّهروا بِمُلُوك النَّصْرَانِيَّة كُلِّ على صاحبه. فاختَلَفَت الحال في النُّصُور في ظهور فِرْقَةٍ دون فِرْقَةٍ، إلى أن اسْتَقَرَّتْ لهم ثلاث طوائف، هي فِرْقُهُم ولا يَلْتَفِتُونَ إلى غَيْرِهَا، / وهم: المَلِكِيَّة، واليُغُوقِيَّة، والنَّسْطُورِيَّة. [159ب]

10 ولم تَزَلْ أن تُسَمَّ أوراَقُ الكِتَاب بِذِكْر مَذاهب كُفْرِهِم، فهي على الجُمْلَةِ مَعْرُوفَة، وكُلُّهَا كُفْرٌ كما صَرَّحَ به القرآن الكريم، ولم يَتَّقِ بَيْنُنَا وبينهم في ذلك جِدَالٌ ولا اسْتِدْلَالٌ، إنما هو الإسلامُ أو الجُزْئَةُ أو القَتْلُ.

ثم اخْتَصَّصْتُ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ بِبَطْرِكَ؛ فَبَطْرِكَ رُومَة اليَومِ المُسَمَّى<sup>(1)</sup> بالبَابَا على رَأْيِ المَلِكِيَّة، ورُومَة للإفْرَنجِيَّة، ومُلْكُهُم قائِمٌ بِتِلْكَ النَّاحِيَّة. وبَطْرِكَ المُعَاهِدِينَ بِمَصْرَ

(1) ل: هو المسمى.

(1) لم يَتَكُنْ من الإطْلَاع عليه، وهذه الإفادة أوردَها القَلْقَشَنْدِي - وابن العميد أحد مصادره - فذكر عن هذا اللَّقب أنه "أول ما وُضِعَ عندهم على بطرك الإسكندرية صاحب كرسي مرقس الإنجيلي، ثم رأوا أن بطرك رومية أحق بهذا اللَّقب، لأنَّه صاحب كرسي بطرس كبير الحواريين ورسول المسيح إلى رومية". (صبح الأعشى 5 : 472 - ) وكَثُرَ البَيَانُ نَفْسَهُ في الجزء 13 : 274 ، وأوردَه القُرْبَازِي في المِوَاعِظ والاعتبار 4 : 975. ويشير الحق د. أمين فؤاد سيِّد أن أصل هذه البَيانات سعيد بن البطريق في كتابه : المجموع على التحقيق والتصديق 96 .

على رأي التيقونية، وهو ساكن بين ظهرائهم؛ والحبشة يدينون بدينهم؛ ولبطرك  
بضر فيهم أساقفة يوبون عنه في إقامة دينهم هنالك. واختص اسم البابا ببطرك  
رومية لهذا العهد. ولا تُسَمَّى التعاقبة بطرَكم بهذا الاسم.

وضبط هذه اللفظة بباءتين موحدتين من أسفل، والنطق بها مفخمة والثانية

مُشددة .

5

ومن مذاهب البابا عند الإفرنجية أنه يَحْصُهُم على الانقياد لملك واحد  
يرجعون إليه في اختلافهم واختصاصهم، تحرجاً من افتراق الكلمة، ويتحرى به  
العصية التي لا فوقها منهم، لتكون يده عالية على جميعهم، ويسمونه الإمبرطور؛  
وحزفه الوسط بين الذال والطاء المعجمتين؛ ويأشِرُه بوضع التاج على رأسه للتبرك،  
فيسمى المتوج؛ ولعله معنى لفظة الإمبرطور .

10

هذا ملخص ما أوردناه من شرح هذين اللمتين اللذين هما البابا  
والكوهن؛ والله ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النحل، من الآية 93].

### 34 • فصل، في مراتب الملك والسلطان والقابها

اعلم أن السلطان في نفسه ضعيف يحيل أمراً ثقيلاً، فلا بد له من

15 [160] الاستعانة بأبناء جنسه. وإذا كان يستعين بهم في / ضرورة معاشه وسائر مؤنه، فما

ظلك بسياسة نوعه ومن استرعاة الله من خلقه وعباده. وهو محتاج إلى حيازة  
الكافة من غنومهم بالمداغة عنهم، وإلى كف غنوان بعضهم على بعض في أنفسهم

بإمضاء الأحكام الوازنة فيهم، وكَفَّ الغَدوانَ عليهم في أموالهم حتَّى بإصلاح  
 سائلتهم، وإلى خلمهم على مصالحهم، وما<sup>(1)</sup> تُعْمَهُم به البلوى في معاشهم ومُعَانِلَتِهِمْ،  
 من تَقْدُّدِ المعاش والمكايل والموازين حَذَرًا من التَّطْفِيفِ ، وإلى التَّظَرُّ في السِّبْكَ  
 لحفظ الثُّقود التي يتعاملون بها من الغش، وإلى سياستهم بما يُريدُه منهم من الاتِّقياد  
 5 له والرضا بمقاصده فيهم ، واشتراده بالمجد دونهم . فَيَتَحَقَّلُ من ذلك فوق الغاية من  
 مُعَانَاةِ القُلُوبِ . قال بعضُ الأشراف من الحكماء : لِمُعَانَاةِ قَلْبِ الجبال من أماكِبِها  
 أهوُّ عليَّ من مُعَانَاةِ قُلُوبِ الرجال .

ثم إنَّ الاستعانة إذا كانت بأولي القُربى من أهل النَّسَبِ أو الثَّرية أو  
 الاضطناع القديم للتَّوَلَّاةِ كَانَتْ أَكْمَلَ ، لما يَقَعُ في ذلك من مُجَانَسَةِ خُلُقِهِمْ [خُلُقُهُ]<sup>(ب)</sup> ،  
 10 في الاستعانة . قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي زَوْجًا مِّنْ أَهْلِى، هَارُونَ أَخِى، أَشَدُّ بِهِ  
 أَزْرًى، وَأَشْرِكَةٌ فِى أَمْرِى﴾ [سورة طه، الآيات 32-29].

وهو إمَّا أن يُسْتَعِنَ في ذلك بسيفه ، أو بقلبه ، أو برأيه ومعارفه ، أو  
 بحجابه عن النَّاسِ أن يَزْدَجُوا عليه، فَيَسْغُلُوهُ عن التَّظَرُّ في مَهْمَاتِهِمْ. أو يَدْفَعُ النَّظَرَ  
 في المُلْكِ كُلِّهِ إليه، ويعوِّل على كِفَايَتِهِ في ذلك واضطِلاعه له . فلذلك قد توجد  
 15 لرجلٍ واحدٍ وَقَدْ تَفَرَّقُوا في أشخاص؛ وقد يَتَفَرَّقُ كُلُّ واحدٍ منها إلى قُرُوعٍ كثيرة،  
 كَالْتَّمِ يَتَفَرَّقُ إلى قَلَمِ الرِّسَالِ والمَخَاطِبَاتِ، وَقَلَمِ الصُّكُوكِ والإِفْطَاعَاتِ، وإلى قَلَمِ  
 المُحَاسَبَةِ ، وهو صاحبُ الجبَايةِ والعطاء / وديوان الجنش ؛ وكالشيء يَتَفَرَّقُ إلى [160ب]  
 صاحب الحزب ، وصاحب الشُّرْطَةِ، وصاحب البريد، وولاية الثُّغُور .

(1) ط : أو ما (ب) سقط من ط .

ثم اعلم أن الوظائف السلطانية في هذه الملة الإسلامية مُندرجة تحت الخلافة ، لاشتغال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدّمناه . فالأحكام الشرعية متعلّقة بجميعها وموجودة لكلّ واحدة منها في سائر وجوهها ، لعموم تعلّق الحكم الشرعي بجميع أفعال العباد . فالفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها استنباداً على الخلافة ، وهو معنى السلطان ، أو تفويضاً منها وهو معنى 5 الوزارة عندهم كما يأتي ، وفي حدود نظره في الأحكام والأموال وسائر السياسات مطلقاً أو مُقيّداً ، وفي موجبات الغزل إن غرّضت ، وغير ذلك من معاني الملك والسلطان . وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان ، من وزارة أو جباية أو ولاية ، لا بدّ للفقيه من النظر في جميع ذلك ، لما قدّمناه من انسياب حكم الخلافة الشرعية في الملة الإسلامية على رتبة الملك والسلطان . إلّا أن كلامنا في [وظائف] 10 الملك والسلطان ورُتبه إنّما هو بمقتضى طبيعة العُمران ووجود البشر ، لا بما يخصّها من أحكام [الشرع] (ب) ، فلنيس من غرض كتابنا كما علّمت ، فلا نحتاج إلى تفصيل أحكامها الشرعية ، مع أنّها مُستوفاة في كُتب الأحكام السلطانية ، مثل كتاب القاضي أبي الحسن الماوردّي وغيره من أعلام الفقهاء ؛ فإن أردت استيعابها فعليك بطلعتها هنالك . وإنّا نكلّمنا في الوظائف الخلائفة وأفرادها ، لتمييز بينها وبين الوظائف 15 السلطانية فقط ، لا لتحقيق أحكامها الشرعية ، فلنيس من غرض كتابنا ؛ فإنّا إنّما نكلّم في ذلك بما / تقتضيه طبيعة العُمران في الوجود الإنساني ، والله الموفق . [161]

(1) من ع ج ل ي ، وفي ط : رتبة (ب) سقط من ط .

## أ. الوزرارة

وهي أُم الحِطَطِ السُّلْطَانِيَّةِ والرَّتَبِ المُلُوكِيَّةِ ، لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ الإِعَانَةِ ؛ فَإِنَّ الْوِزَارَةَ مَأْخُوذَةٌ إِمَّا مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ ، أَوْ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ الثَّقُلُ ، كَأَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَ مُفَاعِلِهِ أَوْزَارَهُ وَأَثْقَالَهُ ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ الْمُطْلَقَةِ .

5 وقد كُنَّا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ أَنَّ أَخْوَالَ السُّلْطَانِ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَعْدُو أَرْبَعَةَ أَنْحَاءٍ ، لِأَنَّهَا :

إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ حِمَايَةِ الْكَافَّةِ وَأَسْبَابِهَا ، مِنْ التَّنَظَرِ فِي الْجُنْدِ وَالسَّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَةِ وَالْمُطَالَبَةِ ؛ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الْمُتَعَارَفُ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ بِالْمَشْرِقِ وَلِهَذَا التَّعَهُّدِ بِالْمَغْرِبِ .

10 وإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ مُحَاطَاتِهِ لِمَنْ يَبْعَدُ عَنْهُ فِي الْمَكَانِ أَوْ فِي الزَّمَانِ ، وَتَنْفِيزِهِ الْأَوَامِرَ فَمِنْ هُوَ مَخْجُوبٌ عَنْهُ ، وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْكَاتِبُ .

وإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ [جَبَائِيهِ لِلْمَالِ] <sup>(١)</sup> وَإِنْفَاقِهِ ، وَضَبْطُ ذَلِكَ مِنْ تَجْمِيعِ وَجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضِيْعَةٍ ، وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ ، وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا التَّعَهُّدِ بِالْمَشْرِقِ .

15 وإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي مُدَافَعَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزْدَجِمُوا عَلَيْهِ فَيَشْفَعُوا عَنْ مُهْمَتِهِ ، وَهَذَا رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْتَجُّ بِهِ .

(١) فِي ظ : حِمَايَةِ الْمَالِ .



فلا تعدو أحواله هذه الأربعة بوجه ، وكلُّ خطئة أو رُتبة من رُتب الملك والسلطان فإليها ترجع . إلا أنَّ الأرفع منها ما كانت الإعانة فيه عامّة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف ؛ إذ هو يقتضي مباشرة السلطان دائماً ومشاركته في كل صنف من أحوال ملكه . وأما ما كان خاصاً ببغض الناس ، أو ببغض الجهات ، فيكون دون الرتبة الأخرى ، كقيادة نفر ، أو ولاية جباية خاصة ، أو النظر في أمر خاص كحسبة<sup>(١)</sup> الطعام ، أو النظر في السكة ؛ فإن هذه كلها نظّر في أحوال خاصة ، فيكون صاحبها تبعاً / لأهل النظر العام ، وتكون رُتبته مرووسة لأولئك . [161ب]

وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام [هذا]<sup>(ب)</sup> ، حتّى إذا جاء الإسلام وصار الأمر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها بذهاب رسم الملك ، إلا ما هو طبيعي من المعاونة بالرأي والمفاوضة فيه ، فلم يتمكن زواله إذ هو أمر لا بد منه . فكان ﷺ يشاور أصحابه ويقاوضهم في مهماته العامة والخاصة ، ويختص مع ذلك أبا بكر بخصوصيات أخرى ؛ حتّى كان الغزب الذين غزفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصّر والتجاشي يُسمون أبا بكر وزيره . ولم يكن لفظ الوزير يُعرف بين المسلمين ، لذهاب رُتب الملك بسداجه الإسلام . وكذا عمّر مع أبي بكر ، وعليّ وعثمان مع عمر . وأما حال الجباية والإنفاق والحسبان ، فلم يكن عندهم برتبة ؛ لأنّ القوم كانوا غزاة أمّتين لا يُحسبون الكتاب ولا الحساب . فكانوا يستغفلون في الحسبان أهل الكتاب ، أو أفراداً من موالى الغنم بمن يجيده ، وكان قليلاً فيهم . وأما أشرافهم فلم يكونوا يجيدونه ؛ لأنّ الأميّة كانت صفتهم التي امتازوا بها . وكذا حال

(١) ي : كالنظر في الطعام (ب) سقط من ط .

المخاطبات وتنفيد الأمور لم تكن عندهم رُشَّة خاصة، للأُمِّيَّة التي فيهم، والأمانة العامة في كتمان القول وتأديته، ولم تُخرج السياسة إلى اختياره، لأن الخلافة إنما هي دين وليست من السياسة الملكية في شيء. وأيضاً فلم تكن الكتابة صناعةً فيُستعْجَد للخليفة أحسنها؛ لأنَّ الكل كانوا يعْبُرُون عن مقاصدهم بأبلغ العبارات. ولم يَتَّقِ إِلَّا الخطأ، فكان الخليفة يستنِيب في كتابه، متى عَرَّ له، من يُحْسِنُه. وأما مُدافعة ذوي الحاجات عن أبوابهم فكان محظوراً بالشرعية، فلم يفعلوه.

فلما انقَلَبَت / الخلافةُ إلى الملك، وجاءت رسومُ السلطان وألقابه، كان [162] أوَّلُ شيءٍ يَديءُ به في الدَّوْلَة شأنُ الباب وسدُّه دونَ الجمهور، لما كانوا يَحْشَوْنَ على أنفسهم من اغتيال الخَوارج وغيرهم، كما وقعَ بعمْر وعليٍّ، وبمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم، مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وسُغْلهم بهم عن المهمات. 10 فَاتَّخَذُوا من يقوم لهم بذلك وسمَّوه الحاجب. وقد جاء أنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لما وَلَّى حاجته قال له: وَلَيْتَنِكَ جِجَابَةٌ بَابِي إِلَّا عَنْ ثَلَاثَةِ: الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي اللَّهِ؛ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ فَأَمَّرَ مَا جَاءَ بِهِ؛ وَصَاحِبِ الطَّعَامِ لئَلَّا يَفْسُدَ.

ثم استشفل الملك بعد ذلك، فظهر المشاور والمعين في أمور القبايل 15 والقضايا واستبلاهم؛ وأُطلِقَ عليه اسمُ الوزير. وتقرَّى أمرُ الحُشبان في الموالى والأتَمِّين، واتَّخَذَ للسَّجَلَاتِ كَاتِبَ مَخْصُوصَ خُوطَةٍ على أسرار السلطان أن تَشْتَهَرَ فتفسد سياسته مع قومه؛ ولم يكن بمثابة الوزير، لأنه إنما اختِيجَ له من حيث الخطأ والكتاب لا من حيثُ اللسان الذي هو الكلام؛ إذ اللسان لذلك العهد على خاله لم يفسد؛ فكانت الوزارة لذلك أرفعَ رُتَبهم يومئذ. هذا سائر دَوْلَة بَنِي أُمِّيَّة؛ فكان

التنظر للوزير عاماً في أحوال التفويض والمفاوضات وسائر أمور الجبايات<sup>(1)</sup> والمطالبات، وما يتنبأها من النظر في ديوان الجند وقرض العطاء بالأهلة، وغير ذلك.

فلما جاءت دولة بني العباس، واستنخل الملك وعظمت مراتبه وازتفعت، عظم شأن الوزير، وصارت إليه التباينة في إنفاذ الحل والعقد، وتعينت مرتبته في 5 التولية، وعنت لها الوجوه وخضعت الرقاب، وجعل له النظر في ديوان الحساب لما تحتاج إليه خطته من قسم الأعطيات في الجند، فاحتاج إلى النظر في جمعه وثريقه /، وأضيف إليه النظر فيه، ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة، لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور. وجعل 10 الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الدباغ والشيع، ودفع إليه. فصار اسم الوزير جامعاً لحظتي السيف والقلم، وسائر معاني الوزارة والمعاونة. حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد، إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالتولية. ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الجباية التي هي القيام على الباب، فلم تكن له، لاشتراكه عن مثل ذلك .

ثم جاء في التولية العباسية شأن الاستبداد على السلطان<sup>(ب)</sup>، وتعاور فيها 15 استبداد الوزراء مرة والسلطان أخرى. وصار الوزير إذا استبدد محتاجاً إلى استبائبة الخليفة إياه لذلك، ليتصح الأحكام الشرعية وتجري على حالها، كما تقدم. فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ، وهي حال ما يكون السلطان قائماً على نفسه،

(1) ل ي : الجبايات، وكانت هكذا في ع ، ثم غلّت إلى الجبايات (ب) ع : الخلفاء .

والوزير كالوكيل في تنفيذ أحكامه<sup>(١)</sup>، وإلى وزارة شؤون، وهي حال ما يكون الوزير مستبدًا عليه. (وقد فوّض إليه الخليفة جميع أمور خلافته وخفّعلها لِنظره واختهاده. وجرى حينئذٍ الخلاف في العقد لوزيرين معاً بوزارة الشؤون، مثلما جرى في العقد لإمامين معاً، وقد تقدّم في أحكام الخلافة<sup>(ب)</sup>). ثم استمر الاستبداد وصار الأمر للملك العجم. وتعطل رسم الخلافة، ولم يكن لأولئك المتغلبين أن يتنحّلوا ألقاب الخلافة، واستنكفوا من مشاركة الوزراء في اللقب لأنهم خولّ لهم، فسَمَوْا بالإمارة والسُلطان. وكان المستبدّ على التّولية يُسمّى أمير الأمراء أو بالسُلطان، إلى<sup>(ج)</sup> ما يحلّيه به الخليفة من ألقابه كما تراه في ألقابهم، وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولّاها للخليفة في خاصّته. ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى آخر دولتهم؛ فسَدَ اللّسان خلال ذلك كلّهُ، وصارت صناعة يتنحّلها بغض النّاس، فامتنعت، وترقّع<sup>[163]</sup> الوزراء عنها لذلك، ولأنهم عجم وليس تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم، فتخيّر لها من سائر الطبقات واختصّت به، وصارت خادمة للوزير. واختصّ اسم الأمير بصاحب الحروب والجند وما يزجّع إليها، ويده مع ذلك عالية على أهل الرّتب، وأمره نافذ في الكلّ، إمّا نيابة أو استبداداً؛ واستمرّ الأمر على هذا .

ثمّ جاءت دولة الترك آخرًا بمصر، فرأوا الوزارة قد ابتدئت بترقّع أولئك عنها، ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المخجور، ونظّره مع ذلك معقّب بنظر الأمير، فصارت مرووسة ناقصة، فاستنكف أهل هذه الرّتبة العالية في التّولية عن اسم الوزارة. وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يُسمّى عندهم بالتائب لهذا العهد. واختصّ اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية.

(١) مستدرک بخطه انقوت به نسخا ع ج (ب) مخرج من حاشيتي ع ج بخطه . وسقط من بقية النسخ (ج) ل : أو .

وأما دَوْلَةُ بني أُمَيَّةَ بالأندلس، فأبقوا اسمَ الوَزِيرِ في مَذْلُوه أَوَّلَ الدَّوْلَةِ ، ثم قَسَمُوا حُطَّتَهُ أَصْنَافاً، وَأَفْرَدُوا لِكُلِّ صِنْفٍ وَزيراً، فَجَعَلُوا لِخُنْبَانِ المَالِ وَزيراً، وَلِلتَّرْشُلِ وَزيراً، وَلِلتَّنْظَرِ فِي خَوَائِجِ الْمُتَظَلِّمِينَ وَزيراً، وَلِلتَّنْظَرِ فِي أَحْوَالِ أَهْلِ التَّغَوُّرِ وَزيراً. وَجَعَلَ لَهُمْ بَيْتٌ يَجْلِسُونَ فِيهِ عَلَى فُرْشٍ مُنْصَدَّةٍ لَهُمْ، وَيَقْدُونَ أَمْرَ السُّلْطَانِ هُنَاكَ، كُلُّ فِيمَا جَعَلَ لَهُ. وَأَفْرَدَ لِلتَّرُدِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَاحِداً مِنْهُمْ ارْتَفَعَ عَنْهُمْ بِمُباشرةِ السُّلْطَانِ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ فَارْتَفَعَ مَجْلِسُهُ عَنْ مَجَالِسِهِمْ وَخَصَّوهُ بِاسْمِ الْحَاجِبِ؛ وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ. فَارْتَفَعَتْ حُطَّةُ الْحَاجِبِ وَمَرْتَبَتُهُ عَلَى سَائِرِ الرُّتَبِ، حَتَّى صَارَ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ يَسْتَحْلُونَ لِقَائَهَا، فَكَبَّرَهُمْ / يَوْمَئِذٍ يُسْتَعَى الْحَاجِبُ كَمَا نَذَكِرُهُ. [163ب]

ثم جاءت دَوْلَةُ الشَّيْعَةِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ وَالْقَيْسِرِوانِ، وَكَانَ لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُوحٌ فِي الْبَدَاوَةِ، فَأَعْلَمُوا أَمْرَ هَذِهِ الْخُطَطِ أَوَّلًا وَتَقَبَّحَ أَشْمَائَهَا، حَتَّى أَذْرَكَتْ دَوْلَتُهُمُ الْحَضَارَةَ، 10 فَصَارُوا إِلَى تَقْلِيدِ الدَّوْلَتَيْنِ قَبْلَهُمْ فِي وَضْعِ أَشْمَائِهَا كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ.

ولَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، أَغْفَلَتْ الْأَمْرَ، أَوَّلًا لِلْبَدَاوَةِ، ثُمَّ صَارَتْ إِلَى اتِّحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ؛ وَكَانَ اسْمُ الْوَزِيرِ فِي مَذْلُوه. ثُمَّ اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمَوِيِّينَ وَقَلَّسُوهَا فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانِ، وَأَصَارُوا اسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ يَحْجُبُ السُّلْطَانِ فِي مَجْلِسِهِ، وَيَقِفُ بِالْوُفُودِ وَالدَّخَالِينَ عَلَى السُّلْطَانِ عِنْدَ الْحُدُودِ؛ فِي تَحْيِيَّتِهِمْ 15 وَخِطَابِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَلْزَمُ فِي الْكُؤُنِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَفَعُوا حُطَّةَ الْحِجَابَةِ عَنْهُمَا شَاوُوا، وَلَمْ يَزَلِ الشَّأْنُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ.

وأما فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ ، فَيُسَمُّونَ هَذَا الَّذِي يَقِفُ بِالتَّاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي اللَّقَاءِ وَالتَّحِيَّةِ فِي مَجْلِسِ السُّلْطَانِ ، وَالتَّقَدُّمِ بِالْوُفُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ ،

يُسَمُّونَهُ النَّوَادِرَ، وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ اسْتِثْنَاءَ كَاتِبِ السِّرِّ، وَأَصْحَابِ الْبُرْدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانِ بِالْقَاصِيَةِ وَفِي الْحَضَرَةِ، وَحَالَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ . وَاللَّهُ مُتَوَلِّي الْأُمُورِ.

## ب. الْحِجَابَةُ

5 قد قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ كَانَ مُخْصِوَصاً فِي النَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ بِمَنْ يُحْجُبُ السُّلْطَانَ عَنِ الْعَامَّةِ، وَيُعْلِقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى قَدَرِهِ وَفِي مَوَاقِفِهِ. وَكَانَتْ هَذِهِ مَثَرَةً يُومِتُّ عَنْ الْحَطَّاطِ مَرْوُوسَةً لَهَا؛ إِذِ الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ فِيهَا بِمَا يَرَاهُ. وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ؛ فَهِيَ بِمَضَرِ مَرْوُوسَةٍ لِصَاحِبِ الْحِطَّةِ الْعَلِيَّا الْمُسَمَّى بِالثَّائِبِ.

- 10 / وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةٍ بِالْأَنْدَلُسِ، فَكَانَتْ الْحِجَابَةُ لِمَنْ يُحْجُبُ السُّلْطَانَ [1164] عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ، وَيَكُونُ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَاءِ مِنْ دُونِهِمْ. فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ رَفِيعَةً غَايَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ؛ كَابْنِ حُدَيْرٍ وَغَيْرِهِ مِنْ حُجَّابِهِمْ. ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْإِسْتِغْدَادُ عَلَى النَّوَلَةِ، اخْتُصَّ الْمُسْتَبْدُ بِاسْمِ الْحِجَابَةِ لَشَرَفِهَا؛ فَكَانَ الْمُنْصَوِّرُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَابْنَاهُ كَذَلِكَ. وَلَمَّا بَدَأُوا فِي مَظَاهِرِ الْمُلْكِ وَأَطْوَارِهِ، جَاءَ مَنْ بَغَدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَلَمْ يَتْرَكُوا لَقَبَهَا، وَكَانُوا يَفْخَرُونَهَا شَرَفًا لَهُمْ. وَكَانَ أَعْظَمُهُمْ مُلْكًا بَعْدَ انْتِحَالِ الْقَابِ الْمُلْكَ 15 وَأَسْمَانَهُ، لَا يُدْرِي لَهُ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوِزَارَتَيْنِ، يَتَغَنَّوْنَ بِهِ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ، وَيُدْلُونَ بِالْحِجَابَةِ عَلَى حِجَابَةِ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَبِذِي الْوِزَارَتَيْنِ عَلَى جَمْعِهِ حُطَّاطِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ.

ثُمَّ لم يكن في دُول المغرب وإفريقية ذَكَرٌ لهذا الاسم ، للبداوة التي كانت فيهم . وَرُبَمَا يُوجَدُ في دَوْلَةِ الغَنِيْدِيْن بِمَضْر عند اسْتِغْلَاطِهَا وخَضَارِهَا ، إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ .

ولما جاءت دولة الموحدين، لم تَشْتَفِكُن فيها الحَضَارَةُ التَّابِغِيَّةُ إلى انْتِحَالِ الألقاب وتَمَيِيزِ الحُطْطِ وتَعْيِينِهَا بالأَسْمَاءِ، إِلَّا آخِرًا. فلم يَكُنْ عندهم من الرُّتَبِ إِلَّا 5  
الوزير، فَكَانُوا أَوَّلًا يُخَصُّونَ بهذا الاسمِ الكَاتِبُ الْمُتَصَرِّفُ المُشَارِكُ لِلسُّلْطَانِ فِي خَاصِّ أَمْرِهِ، كَابْنِ عَطِيَّةٍ، وَعَبْدُ السَّلَامِ الكَوَيْي. وكان له مع ذلك النَّظَرُ فِي الحُسْبَانِ والأشغال المَالِيَّةِ. ثُمَّ صَارَ بعد ذلك اسمُ الوزير لأَهْلِ نَسَبِ الدَّوْلَةِ مِنَ المُوَحِّدِينَ، كَابْنِ جَامِعٍ وَغَيْرِهِ. ولم يَكُنْ اسمُ الحَاجِبِ مَعْرُوفًا فِي دَوْلَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ .

وَأَمَّا بَنُو أَبِي خَفِصٍ بِإفريقية، فَكَانَتِ الزَّنَازَةُ فِي دَوْلَتِهِمْ أَوَّلًا، وَالتَّعَدُّمُ لوزير 10  
الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ؛ وَكَانَ يُخَصُّ بِاسْمِ شَيْخِ المُوَحِّدِينَ، وَكَانَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْوَلَايَاتِ وَالْقَزْلِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ وَالْحُرُوبِ. وَاخْتَصَّ / الحُسْبَانُ وَالدِّيَوَانُ بِرُبَّةِ أُخْرَى يُسَمَّى مُتَوَلِّيَهَا بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ، يَنْظُرُ فِيهَا النَّظَرُ الْمَطْلُوقَ فِي الدَّخْلِ وَالخَرْجِ، وَيُحَاسِبُ وَيَسْتَخْلَصُ الْأَمْوَالَ، وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّفْرِيطِ، وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ 15  
المُوَحِّدِينَ.

وَاخْتَصَّ عَنْدهم الْقَلَمُ أَيْضًا بِمَنْ يُجَبِّدُ التَّرْسِيلَ وَيُوَثِّقُ عَلَى الْأَسْرَارِ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُنْتَحَلِ الْقَوْمِ وَلَا التَّرْسِيلُ بِلِسَانِهِمْ؛ فَلَمْ يُشْطَرَطْ فِيهِ النَّسَبُ.

وَاجْتِنَاعُ السُّلْطَانِ لِاتِّسَاعِ مُلْكِهِ وَكَثْرَةِ الْمُتَرْقِقِينَ فِي دَارِهِ، إِلَى قَهْرَمَانٍ خَاصَّ بَدَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ يُجَرِّبُهَا عَلَى قَدْرِهَا وَتَرْتِيبِهَا، مِنْ رِزْقٍ وَعَطَاءٍ وَكِسْوَةٍ وَتَقَعَةٍ فِي

المطايح والاضطرابات وغيرها، وخضر للأخيرة وتنفيذ ما يحتاج إليه في ذلك على أهل الجبابة. فحَصَّوه باسم الحاجب، ورُبُّما أضافوا له<sup>(1)</sup> كتاب العلامة على السجلات إذا اتفق أن يُخبِرَ صناعَةَ الكتابة، ورُبُّما جعلوه لغيره. واستمرَّ الأمر على ذلك، وحجَّبَ السُّلطانُ نفسه عن الناس، فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين أهل الرُّتب كلِّهم. ثُمَّ جُمع له آخرُ الدَّولة السَّيف والحزب، ثُمَّ الزَّأْي والمشورة، فصارت الحُطَّةُ أرفع الرُّتب وأوعِنها للخطط.

ثم جاء الاستيِّدادُ والحِجْرُ مُدَّةً من بعد السُّلطان الثَّاني عشر منهم، ثُمَّ استبدَّ بعد ذلك خافِذهُ السُّلطانُ أبو العباس على نفسه، وأذهب آثارَ الحِجْرِ والاستيِّدادِ بإذهاب حُطَّةِ الحِجَابَةِ الَّتِي كانت سُلماً إليه، وباشرَ أموره كُلِّها بنفسه من غيرِ استِيعَانَةٍ بأحدٍ، والأمرُ في ذلك لهذا العهد.

وأما دُولُ رَزَانَةِ بالمغرب، وأعظَمُها دولةُ بَني مَرِين، فلا أثَرَ لاسمِ الحاجب عندهم. وأما رئاسةُ الحزبِ والعساكرِ فهي للوزير، ورُبُّتُهُ القَلَمُ في الحِسبان والرسائل راجعةً إلى من يُخبِرُها من أهلها، وإن / اختَصَّتْ بِنَفْسِ البُيُوتِ من المُضطَّعِينَ فِي [165] دَوْلَتِهِمْ. وقد تُجْمَعُ عندهم وقد تَفَرَّقَ. وأما بابُ السُّلطانِ وحِجْبُهُ عن العامة، فهي رُتْبَةٌ عندهم يُسَمَّى صاحبُها بِالْمِزْوَارِ<sup>(ب)</sup>، ومعناه المَقْدَمُ على الجِندِ، المُتَصَرِّفِينَ بِبَابِ السُّلطانِ فِي تَنْفِيزِ أَوَامِرِهِ، وَتَصْرِيفِ عَقُوبَاتِهِ وَإِنْزَالِ سَطْوَتِهِ، وَحِفْظِ الْمُتَغَتِّلِينَ فِي سُجُونِهِ. وَالْعَرِيفُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ، فَالْبَابُ لَهُ، وَأَخَذَ النَّاسُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَّةِ رَاجِعًا إِلَيْهِ، فَكَانَتْهَا وَزَارَةً صُغْرَى.

(1) في ل: إليه (ب) ط: المزارع.



وأما دَوْلَة بني عَبْدِ الواد، فلا أَثَرٌ عِنْدَهُمْ لشيءٍ من هذه الألقاب ولا تَتَّيِزُ الحِطَاطُ، لِبِدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَقُصُورِهَا. وَإِنَّمَا يُخَصُّونَ بِاسْمِ الْحَاجِبِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ مُنْقَذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ، كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي خَفْصٍ. وَقَدْ يَجْمَعُونَ لَهُ الْحُسْبَانَ وَالسَّجَلِ كَمَا كَانَ فِيهَا؛ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي بَيْعَتِهَا<sup>(1)</sup> وَقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهَا مُذْ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ.

5

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ، فَالْمَخْصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحُسْبَانِ وَتَنْفِيذِ خَالِ السُّلْطَانِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْمَالِيَةِ يُسَمُّونَهُ بِالْوَكِيلِ، وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَالْوَزِيرِ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَجْمَعُ لَهُ التَّرْبِيبُ. وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خَطُّهُ عَلَى السَّجَلَاتِ كُلِّهَا، فَلَيْسَ هُنَاكَ خُطَّةٌ لِلْعَلَامَةِ كَمَا لِيَغْيَرَهُمْ مِنَ الدَّوْلِ.

- 10 وأما دَوْلَة التُّرْكِ بِبَصْرَ، فَاسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مُضَوِّعٌ لِحَاكِمٍ مِنْ أَهْلِ السَّوْكِةِ، وَهُمْ التُّرْكُ، يُنْقَذُ الْأَحْكَامُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ، وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ. وَهَذِهِ الْوُظُفَةُ عِنْدَهُمْ تَحْتَ وَظِيفَةِ التِّيَابَةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَّةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلِلنَّائِبِ التَّوْلِيَّةِ وَالْعَزَلُ فِي بَعْضِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْأَخْيَانِ، وَيُقَطِّعُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَزْرَاقِ، وَيُثَبِّتُهَا، وَتُقَدُّ أَوَامِرُهُ وَمَرَامِيهُ كَمَا تُنْقَذُ الْمَرَامِيصُ / السُّلْطَانِيَّةُ، وَكَانَ لَهُ التِّيَابَةُ الْمُطْلَقَةُ [165ب] عَنِ السُّلْطَانِ. وَلِلْحُجَّابِ الْحُكْمُ فَقَطْ فِي طَبَقَاتِ الْعَامَّةِ وَالْجُنْدِ عِنْدَ التَّرَافُعِ إِلَيْهِمْ، 15 وَإِجْبَارٌ مِنْ لَا يَتَقَادُّ لِلْحُكْمِ؛ وَطَوَّرَهُمْ تَحْتَ طَوْرِ التِّيَابَةِ.

وَالْوَزِيرُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ هُوَ صَاحِبُ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى اخْتِلَافِ أَضَافِهَا، مِنْ خَرَاجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جَزِيَةٍ، ثُمَّ [فِي] <sup>(ب)</sup> تَصْرِيفِهَا فِي الْإِنْفَاقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ

(1) ي: تَبِعَهَا (ب) سَطَطَ مِنْ ط.

أو الجزائات المقدرة، وله مع ذلك التولية والعزل في سائر العُمال المباشرين لهذه الجباية، والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وثبائن أضافهم. ومن عوائدهم أن يكون هذا الوزير من صنف القبط، القائمين على ديوان الحسبان والجباية، لاختصاصهم بذلك في مضر مُنذُ عصور قديمة. وقد يُؤَلِّمها السلطان بعض الأعيان لأهل الشؤكة من رجالات الترك أو أبنائهم على حسب الداعية لذلك. والله مَذِيرُ الأمور ومُصَرِّفُها 5 بِحُكْمَتِهِ، لا إله إلا هو .

### ج. ديوان الأعمال والجبايات

هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك، وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق التولية في الدُخْل والخَرْج، وإخصاء القساكر بأسمائهم، 10 وتقدير أَرْزاقهم، وصرف أعطياتهم في إبتائاتها. والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يَرِثُها قَوْمَةُ تلك الأعمال، وقَهَّارَةُ الدولة، وهي كُلُّها مَنْطُورَةٌ في كتاب شاهِدٍ بتفاصيل ذلك في الدُخْل والخَرْج، مَبْنِيٌّ على جُزءٍ كبيرٍ من الحسبان، لا يقوم به إلا المَهْرَةُ من أهل تلك الأعمال؛ وَيُسَمَّى ذلك الكِتَابُ بالديوان، وكذلك مكانُ جُلُوسِ العُمال والمباشرين لها. ويُقال إنَّ أَصْلَ هذه التسمية، أنَّ كِسْرَى نَظَرَ يوماً إلى كُتَّابِ 15 ديوانه وهم يَحْسِبُونَ / مع أَشْهِسَهُمْ كَاتِبَهُمْ يُحَادِثُونَ، فقال: ديوانه، أي مَجَانِبَ بَلْغَةِ [1266] الفُرس، فَسَمِي مَوْضِعُهُمْ بذلك، وَحُدِثَ الهاءُ لكَثْرَةِ الاسْتِغْمَالِ تخفيفاً فُقِلَ: ديوانٌ، ثُمَّ قِيلَ هذا الاسمُ إلى كُتَّابِ هذه الأعمال الْمُتَضَمِّنِ للقوانين والحسابات. وقيل إنَّه اسمٌ للشَّيَاطِينِ بالفارسية؛ وَسُمِّيَ الكُتَّابُ بذلك لِسُرْعَةِ تَوَدُّعِهِمْ في فَهْمِ الأمور وَوُقُوفِهِمْ على الجَلْبِيِّ منها والحَقِيقِيِّ، وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَدَّ وَتَفَرَّقَ؛ ثُمَّ قِيلَ إلى مكانِ جُلُوسِهِمْ

لنلك الأعمال. وعلى هذا فَيَتَنَاولُ اسمَ الديوان كُتَّابَ الرسائل ومكانَ جلوسهم بباب السلطان على ما يأتي بعد. وقد تُفَرَّدُ هذه الوظيفةُ بناظرٍ، كما يُفَرَّدُ في بعض الدُول النظرُ في العساكر وإقطاعاتهم وحُسنابِ أَعْطِيائِهِمْ أو غير ذلك، على حسب مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وما قَرَّرَهُ أَوَّلُوهَا.

واعلم أنَّ هذه الوظيفةُ إِنَّمَا تَحْدُثُ في الدَّوْلِ عند تَمَكُّنِ القَلْبِ والامْتِيْلَاءِ 5 والتَّظَرُّ في أَغْطافِ المُلْكِ وفُنونِ التَّمْهِيدِ .

وأول من وضع الديوان في الدَّوْلَةِ الإسلامية عُمرُ رضي الله عنه، يُقَالُ بسببِ مالٍ أتى به أبو هُرَيْرَةَ من البخرين، اسْتَكْبَرُوهُ وَتَعَبَوْا في قَسْمِهِ، فَسَمَوْا إلى إحصاء الأموال وَضَبَطَ القِطَاءَ والحَقُوقَ؛ فأشار خالدُ بنُ الوليد بالديوان، وقال: رَأَيْتُ مَلوكَ الشَّامِ يَذَوِّنُونَ؛ فقبلَ منه عُمرُ. وقيل بل أشار عليه به الهُزْءُزَانُ لما رآه 10 يَتَبَعُ البَعُوثَ بغير ديوان؛ فقال له: ومن يَعلَمُ بَغْيِيَّةَ من يَغِيْبُ منهم؟ فإن من تَخَلَّفَ منهم أَحَدٌ بمكانه، وإِنَّمَا يَضْبُطُ ذلك الكِتَابُ؛ فَأَثْبَتَ لَهُم دِيواناً. وسأل عُمرُ عن اسمِ الديوان، ففسَّرَ له. ولما أَجْمَعَ على ذلك أَمَرَ عَقِيلَ بنَ / أَبِي طَالِبٍ وَمَخْرَمَةَ [166ب] ابنَ تَوْهَلٍ وَجُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ، وكانوا من كُتَّابِ قُرَيْشٍ، فَكَتَبُوا دِيوانَ العَسَاكِرِ الإسلامية على تَرْتِيبِ الأَنْسابِ، مُبْتَدِئاً من قَرَابَةِ رسولِ الله ﷺ وما بَعْدَهَا، الأَقْرَبُ 15 فالأَقْرَبُ. هكذا كان ابتداء ديوان الحِيشِ. وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عن سَعِيدِ بنِ المُسَيَّبِ، أَنَّ ذلك كان في المُحَرَّمِ سَنَةِ عِشْرِينَ.

وأما ديوانُ الحِراجِ والجبايات، فبقيَ بعد الإسلام على ما كان عليه من قَبْلُ؛ دِيوانُ العِراقِ بالفارسية؛ ودِيوانُ الشَّامِ بالرومية. وكُتَّابُ الدَّواوين من أَهْلِ

العهد من الفريقتين . فلما جاء عبدُ الملكُ بنُ مَرْوان ، واستَحلَّ الأمرُ مُلكاً ، وانتقل القومُ من غِصَاصَةِ البداوةِ إلى زُؤنَقِ الحِضارةِ ، ومن سِداجَةِ الأُمِّيَّةِ إلى جَذقِ الكِتابَةِ ، وظَهَرَ في العَرَبِ ومَواليهِم مَهَرَةٌ في الكِتابِ والحِسابِ ، فأمرَ عبدُ الملكِ سُلَيمانُ بنُ سَعْدٍ والي الأُرْدنَ لِعَهْدِهِ ، أن يَنْتَقِلَ دِيوانَ السَّامِ إلى العَرِيثَةِ ، فأَكمَلَهُ 5 لِسَنَةِ من يَوْمِ ابْتِدَآءِهِ ، ووَقَّفَ عَلَيْهِ سَرْخُون<sup>(1)</sup> كاتِبَ عَبدِ المَلِكِ ، فَقَالَ [لِكُتَّابِ] (ب) الرُّومِ : اطلُبُوا العَيْشَ في غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، فَقَدْ قَطَعَهَا اللهُ عَنْكُمْ .

وأَمَّا دِيوانُ العِراقِ ، فَأَمَرَ الحِجَاجُ كاتِبَهُ صالِحَ بنَ عبدِ الرَّحْمَنِ ، وكان يَكُتِبُ بالعَرِيثَةِ والفارِسيَّةِ ، وَلَقِّنَ ذلِكَ عن زَاذَانَ فَرُوخَ كاتِبِ الحِجَاجِ قَبْلَهُ ، ولَمَّا قُتِلَ زَاذَانُ في حَزْبِ عَبدِ الرَّحْمَنِ بنِ الأَشْعَثِ ، اسْتَخْلَفَ الحِجَاجُ صالِحاً هَذا مَكَانَهُ ، وَأَمَرَ أَنْ 10 يَنْتَقِلَ الدِّيوانُ مِنَ العَرِيثَةِ إلى الفارِسيَّةِ ، ففَعَلَ ، وَرَبَّمْ لذلِكَ كُتَّابَ الفُرسِ ؛ وكان عَبدُ الحَمِيدِ بنُ يَحْيَى يَقولُ : لَلهِ دَرْ صالِحٍ ، ما أَعْظَمَ مِنْتَهُ على الكُتَّابِ .

ثم جُعِلَتِ هَذِهِ الوَظيفَةُ في ذِوَلَةِ بَنِي العَبَّاسِ مُضَافَةً إلى ما كانَ لَهُ النُّظَرُ فِيهِ ، كما كانَ شَأْنُ بَنِي بَزْغَمِك ، وَبَنِي سَهْلِ بنِ نُوحَيْمَت ، وَغَيرِهِم من وُزَرَاءِ تِلْكَ الدِّوَلَةِ .

فأَمَّا ما يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الوَظيفَةِ من / الأَحْكامِ الشَّرْعِيَّةِ ، فَمَا يَخْتَصُّ بِالْحَيْشِ أَوْ 15 بَيْتِ المَالِ في التَّخْلِ والْحَرْجِ ، أَوْ تَفْصِيلِ التَّوَاخِي بِالصُّلْحِ والعَنوَةِ ، وفي تَقْلِيدِ هَذِهِ الوَظيفَةِ مِمَّنْ يَكُونُ ، وشُرُوطِ التَّاطُرِ فِيهَا وَالْكَاتِبِ ، وَقَوَانِينِ الحُسْبانَاتِ ، فَأَمَرَ

(1) كَذَا في الأَصُولِ بِالحاءِ المَهْمَلَةِ ، وَعِنْدَ الطَّبْرِيِّ بِالْجِمْ (التَّارِخُ 5 : 330 ، 6 : 150) ، وَهُوَ سَرَجُونُ بنُ مَنْصُورِ الرُّومِيِّ مَوْلَى مَعَاوِيَةَ (ب) ط : لِكَاتِبِ .

راجع إلى كُتُب الأحكام السلطانية، وهي منسوبة هنالك وليست من غرض كتابنا. وإنما شكّلهم فيها من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه.

وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك، بل هي ثلثه أركانه؛ لأن الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لمن غاب عنه، فاحتاج صاحب الملك إلى الأغوان في أمر السيف وأمر القلم وأمر المال، فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رئاسة الملك. 5 وكذلك كان الأمر في دولة بني أمية بالأندلس والطوائف بعدهم.

وأما في دولة الموحدين، فكان صاحبها إنما يكون من الموحدين مستقلاً بالنظر في استخراج الأموال وجمعها وضبطها، وتُعَبّ نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفي موافقتها. وكان يُعرف بصاحب الأشغال، وكان رتباً يليها في الجهات غير الموحدين ممن يُحسبها. 10

ولما استبدّ بنو أبي حفص بإفريقية، وكان شأن الجالية من الأندلس، فقَدِم عليهم أهل البيوتات، وفيهم من كان يُستعمل في ذلك بالأندلس، مثل بني [سعيد]<sup>(1)</sup> أصحاب القلعة جوار غرناطة، المعروفين ببني أبي الحسين، فاستكفوا بهم في ذلك، وجعلوا لهم النظر في الأشغال كما كان لهم بالأندلس، ودالوا فيها بينهم وبين الموحدين. ثم استقلّ بها أهل الحشبان والكتّاب، وخرّجت عن الموحدين. ثم لما 15 استغلّظ أمر الحاجب ونقد أمره في كل شأن من شئون الدولة، تقطّل هذا الرّسم، وصار صاحبه / مزروسا للحاجب، وأصبح من جملة الجباة، وذهبت تلك الرئاسة التي كانت له في الدولة.

(1) من : ج ل ي ، وفي ع : ابن سعيد ، وفي ط : بني سعد .

وأما في دولة بني مرين لهذا العهد، فحُسنان العطاء والخراج مجموع  
لواحد؛ وصاحب هذه الرتبة هو الذي يُصَحَّح الحُسنانات كلها، ويرجع إلى ديوانه ونظره  
معقب بنظر السلطان أو الوزير؛ وخطه مُعتبر في صحة الحُسنان في الخراج والعطاء.  
هذه أصول الرتب والخطط السلطانية، وهي الرتب العالية التي هي عامة  
5 النظر ومباشرة للسلطان.

وأما هذه الرتبة في دولة الترك فمُتنوعة، وصاحب ديوان العطاء يُعرف  
بناظر الجنيش، وصاحب المال مخصوص باسم الوزير، وهو الناظر في ديوان الجباية  
العامة للدولة، وهو أعلى رتب<sup>(أ)</sup> الناظرين في الأموال؛ لأنَّ النظر في الأموال عندهم  
يَنْتزِع إلى رتب كبيرة، لانفساح ذوتهم، وعظم سلطانهم، واتساع الأموال والجبايات  
10 عن أن يَسْتَقِلَّ بضبطها الواحد من الرجال، ولو بَلَغ في الكفاية مبالغه، فتعين للنظر  
العام منها هذا المخصوص باسم الوزير، وهو مع ذلك زديف لمولى من موالى السلطان  
وأهل عصبته وأرباب السيوف في الدولة، يَرجع نظر الوزير إلى نظره، ويَجْتَهِدُ  
بُحْده في متابعتيه، ويسمى عندهم<sup>(ب)</sup> أستاذ الدار؛ وهو أحدُ الأمراء الأكابر في الدولة  
من الجند وأرباب السيوف. وتُنْعَى هذه الحطة عندهم حُططه أخرى كلها راجعة إلى  
15 الأموال والحُسنان، مقصورة النظر على أمور خاصة، مثل ناظر الخاَص، وهو المباشِر  
لأموال السلطان الخاصة به من إقطاعه أو شُهمائه من أموال الخراج وبلاد الجباية،  
مِمَّا ليس من أموال المسلمين العامة [التي لنظره]<sup>(ج)</sup>. وهو<sup>(د)</sup> تحت يد الأمير أستاذ

(أ) ل : مراتب (ب) سقط من ل (ج) من حاشية ع بخطه، وليست في بنية الأصول التي نقلت الحاشية المطولة وأدخلتها  
(د) ي : وكلم.

التار. وإن كان الوزير من الجند فلا يكون لأستاذ الدار نظَرٌ عليه. وناظر الخاص  
[168] أيضًا تحت يد الخازن/ لأموال السلطان من مَالِيكِهِ المُسْعَى خازن دار، لاختصاص  
وظيفتها<sup>(1)</sup> بمال السلطان الخاص به.

هذا بيان<sup>(ب)</sup> هذه الحطة في دولة الترك بالمشرق ، بقدر ما قدّمنا من أمرها  
بالمغرب. والله مُصَرِّفُ الأمور لا رُبَّ غيره .

5

### د. ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك بطبيعته، لاستيفناء كثير من الدول  
عنها رأساً، كما في الدول العريقة في البدو التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا  
استحكام الصنائع. وإنّا أكّد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية، شأن اللسان العربي  
والبلاغة في العبارة عن المقاصد. فصار الكتاب يؤدّي كُتّة الحاجة بأبلغ من العبارة  
اللسانية في الأكثر. وكان الكاتب للأمير يكون من أهل نسبه ومن عطاء قبيله، كما  
كان للخلفاء وأمرأ الصحابة بالشام والعراق، لعظيم أمانتهم وخلوص أسرارهم. فلما  
فسد اللسان وصار صناعة ، اختص بمن يُحسِنه، وكانت عند بني العباس رفيعه،  
وكان الكاتب يُضِدُّ السجلات مُطلقةً ويكتب في آخرها اسمه، ويختم عليها بخاتم  
السلطان ، وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو شازته، يُفمس في طين أحمر  
مذاف بالماء، ويسمى طين الحتم ، ويُطبع به على طر في السجل عند طيه وإصافه.

15

(1) من ع ي ، وفي ط ج ل: وظيفته (ب) كُتّا في كل الأصول. وشطب في ع وفوقها بخطه : مُسْعَى

ثم صارت السجلات من تقدم تصدر باسم السلطان، ويضع الكاتب فيها علامته أولاً أو آخراً، على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها. ثم قد تنزل هذه الحظّة بازدياد المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب في الدولة، أو استياد وزير عليه، فتصير علامة هذا الكاتب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه،

5 يستدل بها فيكتب صورة علامته المفهودة، / والحكم لعلامة ذلك الرئيس، كما وقع [168ب]

آخر التولية الحفصة لما ارتفع شأن الجبابة، وصار أمرها إلى التقيض ثم الاستياد، صار حكم العلامة التي للكاتب ملغى وصورتها ثابتة، اتباعاً لما سلف من أمرها. فصار الحاجب يرسم للكاتب إمضاء كتابته ذلك بخط<sup>(1)</sup> يضعه ويختار له من صيغ الإنفاذ ما شاء، فيأتمر الكاتب له، ويضع العلامة المفداة. وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك، إذا كان مستبدّاً بأمره قائماً على نفسه، فيرسم الأمر للكاتب ليضع علامته.

10

ومن خطط الكتابة التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وقضيه، ويقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها، متلقاً من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه؛ فإذا أن تصدّر كذلك؛ وإما أن يحدو الكاتب<sup>(ب)</sup> على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة. ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعهم. وقد كان جعفر بن يحيى يقع في القصص بين يدي الرشيد ويصي بالقبصة إلى صاحبها، فكانت توقيعاته يتنافس البلاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها، حتى قيل إنها كانت تباع كل قبضة منها بدينار. وهكذا كان شأن النول.

15

(1) ج: خطه (ب) ل: ع: الكتاب.



واغْلَمْ أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْحُطَّةِ لَا بُدَّ وَأَنْ يُتَخَيَّرَ مِنْ أَرْفَعِ طَبَقَاتِ النَّاسِ،  
وأَهْلِ الْمُرُوءَةِ وَالْجِشْمَةِ مِنْهُمْ، وَزِيَادَةِ الْعِلْمِ وَعَارِضَةِ الْبَلَاغَةِ؛ فَإِنَّهُ مُعَرَّضٌ لِلنَّظَرِ فِي  
أَصُولِ الْعِلْمِ لَمَا يَغْرِضُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمَقَاعِدِ أَحْكَامِهِمْ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ، مَعَ مَا  
تَدْعُو إِلَيْهِ عِشْرَةُ الْمُلُوكِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْآدَابِ، وَالتَّخَلُّقِ بِالْفَضَائِلِ، وَمَعَ مَا يُضْطَرُّ  
إِلَيْهِ فِي التَّرْسِيلِ وَتَطْبِيقِ مَقَاصِدِ الْكَلَامِ مِنَ الْبَلَاغَةِ / وَأَسْرَارِهَا. 5 [169]

وَقَدْ تَكُونُ الرُّثْبَةُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ مُسْتَنَدَةً إِلَى أَزْيَابِ السُّيُوفِ، لَمَا يَفْتَضِيهِ  
طَنْعُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبُغْدِ عَنْ مُعَانَاةِ الْعُلُومِ لِأَجْلِ سَذَاجَةِ الْعَصِيَّةِ، فَيَخْتَصُّ السُّلْطَانُ  
أَهْلَ عَصِيَّتِهِ بِحُطْطِ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ رُتَبِهِ؛ فَيَقْلُدُ الْمَالَ وَالسِّنْفَ وَالْكِتَابَةَ مِنْهُمْ. فَأَمَّا  
رُتَبُ السِّنْفِ فَتُسْتَفْنَى عَنْ مُعَانَاةِ الْعِلْمِ؛ وَأَمَّا الْمَالُ وَالْكِتَابَةُ فَيُضْطَرُّ [إِلَى ذَلِكَ] <sup>(أ)</sup> لِلْبَلَاغَةِ  
فِي هَذِهِ، وَالْحُسْبَانِ فِي الْآخَرَى؛ فَيَخْتَارُونَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ لِمَا دَعَتْ إِلَيْهِ الصَّرُورَةُ 10  
وَيُقَلِّدُونَهُ، إِلَّا أَنَّهُ تَكُونُ يَدُ آخَرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ غَالِبَةً <sup>(ب)</sup> عَلَى يَدِهِ، وَيَكُونُ نَظَرُهُ  
مُتَصَرِّقًا عَنْ نَظَرِهِ، كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ؛ فَإِنَّ رَأْسَةَ الْكِتَابَةِ عِنْدَهُمْ  
وإنْ كَانَتْ لِصَاحِبِ الْإِنْشَاءِ، إِلَّا أَنَّهُ تَحْتَ يَدِ أَمِيرٍ مِنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ السُّلْطَانِ يُعْرِفُ  
بِالْبُؤْيُودَارِ، تَقْوِيلُ السُّلْطَانِ وَوُثُوقُهُ بِهِ، وَاسْتِئْثَامُهُ فِي غَالِبِ أَخْوَالِهِ إِلَيْهِ؛ وَتَقْوِيلُهُ عَلَى  
الْآخَرِ فِي أَخْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقِ الْمَقَاصِدِ [وَكَيْفَانِ الْأَسْرَارِ] <sup>(ج)</sup> وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِهَا. 15

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمُغْتَبَرَةُ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الرُّثْبَةِ الَّتِي يَلَاحِظُهَا السُّلْطَانُ فِي  
اخْتِيَارِهِ وَاتِّبَاعِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ، وَأَحْسَنُ مِنْ اسْتَوْعَبِهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ  
الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكَتَّابِ <sup>(1)</sup>، وَهِيَ هَذِهِ:

(أ) سقط من ط (ب) ع: غالية (ج) من ي وحدها وترك لها ياض في ع.

(1) نص الرسالة مع فروق عند الجهشيارى، الوزراء والكتاب، 73؛ الفلقسندى، صبح الأعشى، 1: 85.

أما بقَدِّ ، حَفِظْكُمْ اللهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ ، وَخَاطِمْكُمْ وَوَقِّمَكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ ،  
 فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ - بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ،  
 وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمُكَرَّمِينَ - أَصْنَافًا ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً ، وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ  
 الصَّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمُخَاوَلَاتِ ، إِلَى أَنْسَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَنْبَابِ أَرْزَاقِهِمْ ؛ فِجْعَلْكُمْ  
 5 مَغَشَّرَ الْكِتَابِ / فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ ، أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَةِ ، وَالْعِلْمِ الزَّوَايَةِ . بكم  
 تَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مُحَاسِنُهَا وَتُسْتَقِمُ أُمُورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُضْلِحُ اللَّهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ  
 وَيَغْمُرُ بُلْدَانَهُمْ . لَا يَنْتَفِنِي الْمُلْكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوْجِدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ؛ فَوْقَكُمْ مِنْ  
 الْمُلُوكِ مَوْقِعَ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يَنْبَصِرُونَ ، وَالْيَسْتَبْتُهُمُ  
 الَّتِي بِهَا يَنْتَظِقُونَ ، وَيُدْعِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَنْتَظِشُونَ . فَأَمْتَعْكُمْ اللهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ  
 10 صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا [أَضْفَاهُ] <sup>(1)</sup> مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ ؛ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
 الصَّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجُ إِلَى اخْتِجَاعِ خِلَالِ الْحَيْرِ الْمَخْمُودَةِ ، وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ  
 الْمَغْدُودَةِ ، مِنْكُمْ .

أَيُّهَا الْكِتَابُ ، إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ  
 يَحْتَاجُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقِي بِهِ فِي مَهْمَاتِ أُمُورِهِ ، أَنْ يَكُونَ خَلِيمًا  
 15 فِي مَوْضِعِ الْجِلْمِ ، فَهَيْمَا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، وَمُقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِفْدَامِ ، وَمُخْجِمًا فِي  
 مَوْضِعِ الْإِخْجَامِ ، مُؤْتِزًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِتْنًا عِنْدَ  
 الشَّدَادَةِ ، عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ التَّوَارِثِ ، يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالطَّوَارِقَ أَمَاكِنَهَا ، قَدْ  
 نَظَرَ فِي كُلِّ قَرْنٍ مِنْ فُنُونِ الْعُلُومِ <sup>(ب)</sup> فَأَخَذَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَحْكُمْهُ أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا

(1) ظ : أضافه (ب) ل : العلم .

يَكْتَفِي بِهِ، يَغْرِفُ بِغَرِيْزَةِ عَقْلِهِ وَحُسْنِ أَذْبِهِ وَفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ قَبْلَ وُروْدِهِ،  
وَعَاقِبَةُ مَا يَصْدُرُ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ، فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عُدَّتُهُ وَعَتَاذَهُ، وَيُعَيِّدُ لِكُلِّ وَجْهِ  
هَيْئَتِهِ وَعَادَتِهِ.

فَتَنَاقَشُوا يَا مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ، وَتَقَهَّوْا فِي الدِّينِ، وَابْدَأُوا  
بِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْفَرَائِضِ، ثُمَّ الْغَرِيْبَةِ، فَإِنَّهَا تَقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ، ثُمَّ أَجِيدُوا  
الْحِطَّ فَإِنَّهُ جَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ، وَازْوُوا الْأَشْعَارَ وَاعْرِفُوا غَرِيْبَهَا، وَمَعَانِيَهَا، وَأَيَّامَ الْعَرَبِ  
وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا وَسِيَرَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ / مُعَيِّنٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَتَسَمَّوْنَ إِلَيْهِ هِمَمَكُمْ، وَلَا  
[170] تُضَيِّعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ، فَإِنَّهُ قِيَامُ كِتَابِ الْخِرَاجِ .

وَازْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَلْبَهَا وَذَنْبِهَا، وَسَفْسَافِ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا،  
فَإِنَّهَا مُذِلَّةٌ لِلزُّقَابِ، مُفْسِدَةٌ لِلْكِتَابِ. وَتَزْهَوُ صِنَاعَتُكُمْ عَنِ الدُّنَاءَاتِ. وَازِنُوا بِأَنْفُسِكُمْ  
عَنِ السَّعَايَةِ وَالثَّمَجَةِ، وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْكِبَرِ وَالشُّخْفِ وَالْعِظْمَةِ،  
فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ. وَتَحَاثُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ، وَتَوَاضَعُوا  
عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْقَى بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالْثَبَلِ مِنْ سَلَفِكُمْ. وَإِنْ تَبَا الزَّمَانُ بِرَجُلٍ  
مِنْكُمْ، فَاعْظِفُوا عَلَيْهِ وَوَأَسُوهُ، حَتَّى تَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ، وَيَسُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ. وَإِنْ أَقْعَدَ  
أَحَدُكُمْ الْكِبَرَ عَنْ مَكْتَسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ، فَرُوزُوهُ وَعَظَمُوهُ وَشَاوِرُوهُ، وَاسْتَظْهَرُوا  
بِفَضْلِ تَجَرُّبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ ، وَلْيَكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ اضْطَعَمَ وَاسْتَظْهَرَ بِهِ  
لِيُزِمَ حَاجَتَهُ إِلَيْهِ ، أَخُوْطَ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ. فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَخْعَدَةٌ فَلَا  
يُضِفْهَا إِلَّا إِلَى صَاحِبِهِ ، وَإِنْ عَرَضَتْ مَدْمَةٌ فَلْيُخَيِّلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ . وَلْيُخَذِرِ  
السُّقْطَةَ وَالزَّلَّةَ وَالْمَلَلَ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْحَالِ ؛ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكُتَّابِ أَسْرَعُ

منه إلى الثَّراء ، وهو لكم أفسدُ منه لها . فقد عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَعِبَتْهُ مِنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ ، فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّقَدَّ لَهُ مِنْ وَفَائِهِ وَشُكْرِهِ وَاحْتِيَالِهِ وَضَبْرِهِ ، وَنَصِيحَتِهِ ، وَكَثَانِ سِرِّهِ ، وَتَذَبُّرِ أَمْرِهِ ، مَا هُوَ جَزَاءُ لِحَقِّهِ ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ بَعَالُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ ، وَالْإِضْطِرَارَ إِلَى مَا لَدَيْهِ ، فَاسْتَشْعِرُوا 5 ذَلِكَ . وَقَفَّكُمُ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ وَالْجِزْمَانِ ، وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِخْسَانِ ، وَالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ . فَيَنْفَعُ الشَّيْئَةُ هَذِهِ لِمَنْ وَسَّيَمَ بِهَا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ .

/ وَإِذَا وَلَّى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْ صَيَّرَ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرًا ، (170ب) فَلْيَرِاقِبْ رِيَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلْيُؤْثِرْ طَاعَتَهُ ، وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا ، وَلِلْمُظْلُومِ مُنْصَفًا ؛ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَخْبَهُمْ إِلَيْهِ أَرْزَقَهُمْ بَعِيَالَهُ . 10

ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا ، وَلِلْأَشْرَافِ مُكْرَمًا ، وَلِلْفُقَرَاءِ مُوقِرًا ، وَلِلْبِلَادِ عَامِرًا ، وَلِلرَّعِيَّةِ مُتَأَلِّفًا ، وَعَنْ أَذَاهُمْ مُتَخَلِّفًا ، وَلْيَكُنْ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا خَلِيًّا ، وَفِي سَجَلَاتِ خُرَاجِهِ وَاسْتِقْضَاءِ (1) حُقُوقِهِ رَفِيقًا (ب) .

وَإِذَا صَعِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيَخْطِرْ خِلَافَتَهُ ، فَإِذَا عَزَفَ حَسَنُهَا وَفُتِيحُهَا أَعَانَهُ 15 عَلَى مَا يُؤَافِقُهُ مِنَ الْحَسَنِ ، وَاجْتَنَالْ لَصْرَفَهُ عَمَّا يَسُوَاهُ مِنَ الْقَبِيحِ ، بِاللَّطْفِ حِيلَةٍ وَأَجْمَلِ وَسِيلَةٍ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَهْمَةِ إِذَا كَانَ بَصِيرًا بِبَيَاسَتِهَا ، التَّمَسَّ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ زَمَوْحًا لَمْ يَخْجُهَا إِذَا رَكَبَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ شُبُوتًا انْقَاهَا مِنْ قَبْلِ يَدَيَّهَا ؛ وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شُرُودًا تَوَقَّاهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا ؛ وَإِنْ كَانَتْ خَرُونًا قَمَعَ بِرَفْقٍ

(1) كَذَا فِي طَح. وَفِي بَيِّنَةِ الْأَصُولِ : اسْتِغْنَاءَ (ب) ع : رَفِيقًا .

هواها في طَرْفها، فإن استمرَّت عَظفها يَسيراً فَيَسْلُسْ له قِيادُها. وفي هذا الوُصف من السِّياسة دلائلٌ لمن ساس النَّاسَ وعاملهم وخَدَمهم وداخلهم.

والكاتبُ بِفَضْلِ أدبه، وشَريف صُنْعته، ولَطِيف حِيلته، ومُعَامَلتيه لمن يُجاوِزه من النَّاسِ ويُنَاطِرُه، ويُفهم عنه أو يخاف سَطَوتَه، أولى بالرفق لصاحبه ومُداراته، وتَومِ أَوْدِه، من سائِس السَّهْمَةِ الَّتِي لا تَحِيرُ جَواباً، ولا تَعْرِفُ ضَواباً، ولا تَقْهَمُ خِطاباً، إلا بَقْدَر ما يُصِيرُها إليه صاحِبُها الرَّاكِبُ عليها. ألا فَارَفَقُوا رَحِمَكُم اللهُ في التَّظَرُّ، واعْمَلُوا فيه ما أَمَكَّنَكُم من التَّروِيَّةِ والفِكرِ، تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللهِ تَمَّ صَحيبُوه التَّنَبُّؤُةَ والاسْتِيقْطَالَ والجَفْوَةَ، ويَصِيرُ مِنْكُم إلى المَوافَقَةِ، وتَصِيرُوا مِنْهُ إلى المُواخَاةِ والشَّفَقَةِ، إن شاء اللهُ.

[١٧١] ولا يُجاوِزَنَّ الرَّجُلُ / مِنْكُمْ في هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ ومَلْبَسِهِ ومَرْكَبِهِ ومَظْعَمِهِ 10 ومُشَرِّبِهِ وبنائِهِ وخَدَمِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فُنُونِ أَمْرِهِ قَدَرِ حَقِّهِ ؛ فَإِنَّكُمْ مَعَ ما فَضَّلَكُم اللهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صُنْعَتِكُمْ ، خَدَمَهُ لا تُحْمِلُونَ في خَدَمَتِكُمْ على التَّصْصِيرِ ، وَحَفْظَةِ لا تُحْمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ والتَّهْدِيرِ . واستعينوا على عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ في كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ لَكُمْ ، وَقَضَضْتُهُ عَلَيْكُمْ . واحذَرُوا مَتَالِفَ السَّرَفِ وسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِّ ، فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ ، وَيُذِلَّانِ الرِّقَابَ ، وَيُفْضِحَانِ أَهْلَهُمَا ، ولا سِيَّما الْكِتَابَ وَأَرْبابَ 15 الْأَدَابِ .

وللأمور أَشْبَاهُ، وبعضُها دَلِيلٌ على بَعْضٍ، فاستدِلُّوا على مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بما سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرِبَتُكُمْ. ثم اسْلُكُوا مِنْ مَسالِكِ التَّذْيِيرِ أَوْصَحَها مَحَجَّةً، وأَضَدَّها حُجَّةً، وأَحْمَدَها عَاقِبَةً. واعْمَلُوا أَنَّ للتَّذْيِيرِ آفَةً مُثْلِفَةً وهو الوُضْفُ الشَّائِغِلُ لصاحِبِهِ

عن إنفاذ علمه وزويته . فليقصِد الرجلُ منكم في مجلسه قَصْدَ الكافي من منطِقته؛  
 وليوجز في ابتدائه وخوابه، وليأخذ بمجامع حُججه؛ فإنَّ ذلك مُصلَحَةٌ لِفعله،  
 ومُذَفَعَةٌ لِلشَّاعِلِ عن إكثاره. وليضِرْغ إلى الله في صلة تَوْفيقه وإمدايه بتسديده،  
 مخافة وقوعه في الغلط المُضِرَّ بِبَذَنه وعقله وأدبه. فإنه إن ظنَّ منكم ظانًّا أو قال  
 5 قائل إنَّ الذي يترز من جميل صنْعته وقُوَّة حركته إمَّا هو بِفَضْل جيلتِه وحُسن  
 تذييره، فقد تعرَّض بطلته أو مقالته إلى أن يكلِّه الله إلى نفسه، فيصيرُ منها إلى غير  
 كافي، وذلك على من تأمله غَيْرُ خافٍ. ولا يقلُّ أحدٌ منكم إنَّه أبصرُ بالأُمور، وأُحِلُّ  
 لعباء التذير، من مُرافِقِه في صناعتِه، ومُصاحِبِه في خِدمَتِه؛ فإنَّ أغفلَ الرَّجُلَيْنِ  
 عند ذوي الألباب، من رَمَى بالهَجَب وَرَاءَ ظَهْرِه، ورأى أنَّ صاحِبَه <sup>(1)</sup> أعقلُ منه،  
 10 وأخذ في طرِيقَه. وعلى كلِّ واحدٍ من الفريقَيْن أن يَعرِفَ فَضْلَ بِنَمَةٍ <sup>(ب)</sup> الله جلَّ  
 شأُوهُ، من غيرِ اغْتِرَابٍ بِرَأْيِه ولا تَزَكِيَةٍ لِنَفْسِه، / ولا تَكَاثُرٍ على أخيه أو نظيره،  
 وصاحِبِه وعشيرِه. ومُحَمَّدُ الله واجِبٌ على الجميع، وذلك بالتواضع لِعَظَمَتِه، والتَّذلُّلِ  
 لِعِزَّتِه، والتَّحَدُّثِ بِبِنَمَتِه .

وأنا أقولُ في كتابي هذا ما سَبَقَ به المثلُ، من تُلْزِمُه النَّصِيحَةُ يُلْزِمُه العَمَلُ.  
 15 وهو خُزْهُرُ هذا الكِتَابِ وغُرَّةُ كَلَامِه، بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ الله، فَلِذَلِكَ جَعَلْتُهُ  
 آخِرَه، وَتَمَنُّتُهُ بِهِ.

تولانا الله وإياكم يا مَعْشَرَ الطُّلَبَةِ والكَتَبَةِ، بما يتَوَلَّى به مَنْ سَبَقَ عِلْمُه في  
 إِسْعَادِه وإِرْشَادِه، فإنَّ ذلك إِلَيْهِ يَتِيده. والسَّلَامُ عَلَيْنِكم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ.

(1) ي : أصحابه (ب) من ط ، وفي الأصول الأخرى : بغم .

## هـ. الشُّرْطَةُ

ويُسمَّى صاحبُها لهذا العهد بإفريقيَّة الحاكم؛ وفي ذِوَلَة أهل الأندلس صاحب المدينة؛ وفي ذِوَلَة التُّرك الوالي .

وهي وظيفة مَرْوُوسَةٌ لصاحب السَّيف في الدَّوْلَة، وحُكْمُه نافذٌ في صاحبها بعض الأحيان. وكان أصل<sup>(١)</sup> وضعها في الدَّوْلَة العبَّاسيَّة لمن يقيم أحكام الجرائم في 5 حال استيْرائها أولاً ، ثم الحدود بعد استيفائها . فإن التَّهَمَ التي تُعْرِضُ في الجرائم لا نَظَرَ لِلشَّرْعِ إلَّا في استيفاء حُدُودها ، وللسِّيَاسَةِ التَّنْظُرُ في [استيْراء]<sup>(ب)</sup> موجباتها، بإقرار يَكْرِهُهُ عليه الحاكم إذا اخْتُفَتْ به القرائن ، لما توجَّبه المصلحة العامة في ذلك. فكان الَّذي يَقومُ بهذا الاستيْراء، وباستيفاء الحدود بعده إذا تَرَّه عنه القاضي، يُسمَّى صاحب الشُّرْطَة. وربَّما جعلوا إليه التَّنْظُرُ في الحدود والدماء بإطلاق، 10 وأفردوها من نَظَرِ القاضي، ونَوَّهوا بهذه الرِّثَّة وقلَّدها كبار القُوداء وعظماء الخاصة من مَوالِيهم. ولم تكن عامَّة التَّنْفِيز في طبقات التَّاس، إمَّا [كان]<sup>(ج)</sup> حُكْمُه على الدَّهْمَاء وأهل الرِّيب، والضَّرْبُ على أيدي الدُّعَار والفَجَرَة .

ثم عَظُمَتْ نَبَاهَتُهَا في ذِوَلَة بني أُمَيَّة بالأندلس، وتَوَعَّتْ إلى شُرْطَة كُبْرَى 15 وشُرْطَة صُغْرَى. وجُعِلَ حُكْمُ الكُبْرَى على الخاصَّة والدَّهْمَاء. وجُعِلَ له / الحُكْمُ على 15 ذِوِي المَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّة، والضَّرْبُ على أيديهم في الطَّلَامَات، وعلى أيدي أقاربهم ومن إليهم من أهل الجَاو؛ وجُعِلَ صاحب الصُّغْرَى مَخْصُوصًا بالعامة. ونُصِبَ

(١) كذا في ط ج ل ع ، وفي ي : وكان أصلها (ب) ط : استيفاء (ج) سقط من ط .

صاحب الكُبرى كُرسِيَّ باب دار السُلطان، وَرَجُلٌ يَتَّبِعُونَ المَقَاعِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فلا يَنُرحون عنها إلَّا في ضَريفه. وكانت ولائِها للأكابر من رجال الدَّولة، حتَّى كانت تُرشِخًا للوزارة والحِجَابَة.

وأما في دَوْلَة المُوَحِّدين بالمَغْرِب، فكان لها حَظٌّ من الثَّوْبَة، وإن لم يجعلوها 5 عَامَّةً، وكان لا يَلِياها إلَّا رِجالاتُ المُوَحِّدين وَكُبرائِهم؛ وإنَّ<sup>(1)</sup> لم يكن له التَّحَكُّمُ على أَهل المَراتِب السُّلْطانيَّة. ثم فَتَسَدَّ اليَوْمُ مَنَصِبُها وَخَرَجَتْ عن ولاية رجال المُوَحِّدين، وصارتْ ولائِها لمن قام بها من المُضْطَّعين .

وأما في دَوْلَة بَنِي مَرِين لهذا العهد بالمَغْرِب، فولائِها في بُيُوت مَوالِيهم وأهل اضْطِناعيم؛ وفي دَوْلَة التُّرك بِالْمَشْرِق في رِجالات التُّرك، أو أَغْصَاب أَهل الدَّولة 10 قِبَلْهم من الكُرد، يَتَخَيَّرُونهم لها في القُطْرَيْن بما يَظْهَرُ منهم من الصَّلاَةِ والمُضَاء في الأخْكام، لِقُطْع مَوادِّ الفَساد، وَحَسَم أَشْباب الدَّعَاة، وَتَحْرِيب مَواطِن القُسُوق وَتَفْرِيق مَجاميعه، مع إقامة الحُدُود الشَّرْعِيَّة والسِّيَاسِيَّة، كما تَقْضِيه رِعايَةُ المَصالِح العامَّة في المَدِينَة. والله مُقَلِّب اللَّيْلِ والنَّهار.

### وه قيادةُ الأَساطيل

وهي من مَراتِب الدَّولة وَحُطَّطِها في مُلْك المَغْرِب وإفريقيَّة، ومَرْوُوسَة 15 لصاحب السَّيْف وَتَحْتَ حُكْمه في كَثير من الأَحوال. وَيُسَمَّى صاحبُها في عَزْفهم المَلْنَد، بِتَفْخيم اللّام، مَتَقُولًا من لُغَة الإِفْرَنْجِيَّة، [فأَيْنَه] <sup>(ب)</sup> اسْمُها في اضْطِلاح لُغَتِهم.

(1) من ل (ب) ظ: فلأها .



وإنما اختصت هذه الرتبة بملك إفريقية والمغرب، لأنها جميعاً على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب، وعلى غדותه الجنوبية بلاد البركلهم، من سبنة إلى إسكندرية إلى الشام، وعلى غדותه الشمالية / بلاد الأندلس والإفرنجية والصقالية [172ب] والروم إلى بلاد الشام أيضاً؛ ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي، نسبة إلى أهل غדותه. والساكين بسيف هذا البحر وسواجله من غדותه يعانون من أخواله ما لا 5 ثعانيه أمة من أمم البحار. فقد كانت الروم والإفرنجية والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي، وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن، فكانوا مهرة في زكوبه والخزب في أساطيله. ولما أسف من أسف منهم إلى ملك العدو الجنوبية، مثل الروم إلى إفريقية، والقوط إلى المغرب، أجازوا في الأساطيل وملكوها وتغلبوا على البرز بها، وانتزعوا من أيديهم أمهرها، وكان لهم بها المدن الحافلة، مثل قرطاجنة 10 وسبيلة وجلولاء ومزناق وشرشال وطنجة. وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم بحارب صاحب رومة، ويتعأساطيل لخرجه مشحونة بالعساكر والغدد. فكانت<sup>(1)</sup> هذه عادة لأهل هذا البحر الساكنين جفاقيه، معروفة في القديم والحديث.

ولما ملك المسلمون مصر، كتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص، أن صيف لي البحر، فكتب إليه: إن البحر خلق عظيم، يركبه خلق ضعيف، دود على 15 غود. فأوعز حينئذ بمنع المسلمين من زكوبه؛ ولم يركبه أحد من العرب إلا من افتات على عمر في زكوبه ونال من عقابه، كما فعل بعرفة<sup>(1)</sup> بن هرثمة الأزدی،

(1) ل: وكانت .

(1) في الطبري : تاريخ الرسل والملوك 3 : 462 إشارة موجزة للموضوع .

سيد بحيلة، لما أغراه عُمان، فبلغه فأنكر<sup>(1)</sup> عليه وعتقه<sup>(2)</sup> أنه ركب البحر للغزو. ولم يزل الشأن ذلك، حتى إذا كان لفهد معاوية أذن للمسلمين في زكوه والجهاد على أغواده. والسبب في ذلك، أن العرب لبداوتهم لم يكونوا أول الأمر مهرة في ثقافته وزكوه، والروم والفرنجية لمأزستهم أحواله ومزناهم في التقلب على أغواده، / مَرِنُوا [173] عليه وأحكموا الذمة بثقافته.

فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم، وصارت أمم<sup>(ب)</sup> العجم خولا لهم ونحت أيديهم، وتقرّب كل ذي صنعة إليهم ببلغ صناعته، واستخدموا من التواشّة في حاجاتهم البحرية أممًا، وتكرّرت مآزستهم للبحر وثقافته، استخذثوا بصراها، فشرّوها إلى الجهاد فيه، وأنشأوا السفن والشواني، وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح، 10 وأمطلوها العساكر والمقاتلة من وراء البحر من أمم الكفر، واحتضوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب إلى هذا البحر، وعلى صيفته، مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس. وأوعز الخليفة عبد الملك إلى حسان بن الثعنان عامل إفريقية باتخاذ دار صناعة بثونس لإنشاء الآلات البحرية، جزصاً على مراسيم الجهاد. ومنها كان فتح صقلية أيام زيادة الله الأول ابن إبراهيم بن الأغلب، على يد أسد بن 15 الفرات شيخ الفتيان، وفتح قوصرة أيضاً في أيامه، بعد أن كان معاوية بن حديج<sup>(1)</sup> أغزى صقلية أيام معاوية بن أبي سفيان، فلم يفتح الله على يده، وفتحت على يد

(1) على هذه الجملة في نسخة ل إشارة للتأخير والتقدم لصح: فبلغه أنه ركب البحر للغزو، فأنكر عليه وعتقه (ب) سقط من ل.

(1) ورد في أكثر المصادر بالخاء المعجمة مُصْعَرًا. انظر ابن عبد البر: الاستيعاب 3: 386، ابن الأثير: أسد الغابة 4: 383، ابن ناخي: معالم الإيمان 1: 140. (الحاشية).

ابن الأغلَّب وقائده أسد بن الفرات. وكانت من بعد ذلك أساطيل إفريقية والأندلس في دولة الغنبيديين والأمويين تتعاقب إلى بلادها في سبيل الفتنه ، فتجوش خلال السواجل بالإفساد والتخريب . وانتهى أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى ماتي مَرَكَب أو نحوها ، وأسطول إفريقية كذلك مثله أو قريباً منه . وكان قائد الأساطيل بالأندلس ابن زماجس ، ومرفؤها للخط والإفلاع بجانة والمريّة . وكانت أساطيلها مُجمعة من سائر الممالك ، من كل بلد تتخذ فيه السفن أسطولاً / يزعج نظره إلى قائد من التواتية ، يدير أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ، وزايس يدير أمر جزيته بالترح أو بالجاذف ، وأمر إرسائه في مرفئه . فإذا اجتمعت الأساطيل لغزو مُحْتَمَل<sup>(1)</sup> أو غرض سُلْطاني مُهم ، عسكرت بمرفئها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وأنجاد عساكره ومواليه ، وجعلهم لنظر أمير واحد من أغل طبقات أهل مملكته ، 10 يجمعون كلهم إليه ، ثم يسرّحهم لوجههم<sup>(ب)</sup> ، ويتنظر إياهم بالفتح والغنمة .

وكان المسلمون لفهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للأُمم النصرانية قِبَل بأساطيلهم في شيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواجل فيه ، مثل ميوزقة 15 ومنوزقة<sup>(ج)</sup> وبابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة وأقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والفرنج . وكان أبو القاسم الشيعي وأبناؤه يغزون أساطيلهم من المهديّة جزيرة جنوة ، فتتقلب بالظفر والغنمة . وافتتح مجاهد العامري صاحب ذاتية من

(1) ج: محمل (ب) ل: لوجههم (ج) كذا كتبت في ج ي ، وفي ع ل: مركة .

ملوك الصواف، جزيرة سَرْدَانِيَّة في أساطيلهِ سَنَةِ خَمِيس وَأَرْبَعَمِائَةِ، وَارْتَجَعَهَا التَّصَارِي لَوْفَهَا. وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ لُجَّةٍ \* هَذَا الْبَحْرُ \* (١).

وَسَارَتْ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِ جَائِيَّةٌ وَذَاهِبَةٌ، وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُجِيزُ الْبَحْرَ فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ صِقْلِيَّةٍ إِلَى الْبَرِّ الْكَبِيرِ الْمُقَابِلِ لَهَا مِنَ الْغَدْوَةِ الشِّبَالِيَّةِ، فَتُوقِعُ بِمُلُوكِ

5 الْفَرَنْجِ وَتُشْجِنُ فِي مَمَالِكِهِمْ؛ كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ بَنِي أَبِي الْحُسَيْنِ مُلُوكِ صِقْلِيَّةِ، / الْقَائِمِينَ [1174]

فِيهَا بِذَعْوَةِ الْغُبَيْدِيِّينَ. وَانْحَاذَتْ أُمَمُ التَّصَارِيَّةِ بِأَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْجَانِبِ الشِّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مِنْ سَوَاحِلِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِيَّةِ وَجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ لَا يَتَغَدَّوْنَهَا. وَأَسَاطِيلُ

الْمُسْلِمِينَ قَدْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمْ ضَرَاءُ الْأَسَدِ بَقَرِيْسِيَّةِ، وَقَدْ مَلَأَتْ الْأَكْثَرُ مِنْ بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ غُدَّةً وَعَدِيداً، وَاخْتَلَفَتْ فِي طُرُقِهِ سِلْماً وَخَرْباً، فَلَمْ تَنْسَجْ (ب) لِلتَّصَارِيَّةِ

10 فِيهِ أَلَوَاحٌ.

حَتَّى إِذَا أَذْرَكَ الدَّوْلَةُ الْغُبَيْدِيَّةَ وَالْأُمُويَّةَ الْفُشْلُ وَالْوَهْنُ، وَطَرَفَهَا الْاِغْتِيلَالُ، مَدَّ التَّصَارِي أَيْدِيَهُمْ إِلَى جَزَائِرِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيَّةِ، مِثْلَ صِقْلِيَّةِ وَأَفْرِطُشَ وَمَالِطَةَ

فَمَلَكُوهَا، ثُمَّ أَلْحَوْا عَلَى سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَمَلَكُوا طَرَابُلُسَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَعَمَّا، وَاسْتَوَلَوْا عَلَى جَمِيعِ الثُّغُورِ بِسَوَاحِلِ الشَّامِ، وَغَلَبُوا عَلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ،

15 وَبَنَوْا عَلَيْهَا كَنِيسَةً لِمُظْهَرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ. وَغَلَبُوا بَنِي خَزْرُونَ عَلَى طَرَابُلُسِ،

ثُمَّ عَلَى قَائِسَ وَصَفَاثُسَ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِمُ الْجُزْيَ، ثُمَّ مَلَكُوا الْمَهْدِيَّةَ مَقَرَّ مُلْكِ الْغُبَيْدِيِّينَ مِنْ يَدِ أَعْتَابِ بُلْكَيْنِ بْنِ زَيْرِي، وَكَانَتْ لَهُمْ فِي الْمَائَةِ الْحَامِسَةِ الْكَرَّةُ بِهَذَا

الْبَحْرِ.

(١) سَقَطَ مِنْ ي (ب) فِي حَاشِيَةِ ع وَفِي ي: تَطْهَرُ.

وضَعَفَ شَأْنُ الْأَسَاطِيلِ فِي ذَوْلَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ إِلَى أَنْ انْقَطَعَ، وَلَمْ يَغْنَوْا  
بَشْيَءٍ مِنْ أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ؛ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُمْ بِهِ فِي الذَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ عَنَابَةٌ تَجَاوَزَتْ  
الْحَدَّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ. فَبُطِّلَ رَسْمُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ هُنَاكَ؛ وَبُقِيَتْ بِإِفْرِيقَتِهِ  
وَالْمَغْرِبِ فَصَارَتْ مُخْتَصَّةً بِهَا.

- 5 وكان الجانب الغربي من هذا التخر لنك العهد موفور الأساطيل، ثابت  
القوة، لم يتخففه عدو، ولا كانت لهم به كثرة. فكان قائد الأسطول به لعهد لثونة،  
بنو ميمون رؤساء جزيرة قادس، ومن أيديهم أخذها عبد المؤمن بنسليمهم وطاعتهم،  
وانتهى عدو أساطيلهم إلى المائة / من بلاد العدوتين جميعاً. (174ب)

- ولما استغفلت دولة الموحدين في المائة السادسة، وملكو العدوتين، أقاموا  
خطة هذا الأسطول على أنهم ما عرف وأعظم ما عهد. وكان قائد أساطيلهم أحد  
10 الصقلي، أصله من ضدغيثان الموطنين بجزيرة جزية من سديكش، أسرته التصاري  
من سواجلها وزبي عندهم، واشتغلصه صاحب صقلية واستكفاه، ثم هلك، وولي  
ابنه، فأستخظه بنغص النزعات، وخشي على نفسه فلحق بتونس، ونزل على السيد  
بها من بني عبد المؤمن؛ وأجاز إلى مراكش، فتلقاه الخليفة يوسف العسري ابن عبد  
15 المؤمن بالمبرة والكرامة، وأجزل له الصلة، وقلده أمر أساطيله، فجل في جهاد أمم  
النصارى، وكانت له آثار ومقامات مذكورة في دولة الموحدين. وانتهت أساطيل  
المسلمين على عهده في الكثرة والاستيلاء ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه.

ولما قام صلاح الدين يوسف بن أيوب، ملك مصر والشام لعهد، باشتراجاع  
ثغور الشام من يد الأمم النصارى، وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبناءه،

تتابعث<sup>(١)</sup> أساطيلهم الكُفْرىة بالمدد لتلك الثُغور من كل ناحية ، قُرْبَة لبنت  
المقدس الذي كانوا قد استولوا عليه ، فأمدّوهم بالعُدَد والأقوات ، ولم تقاؤهم  
أساطيلُ الإسكندرية لاستمرار الغلب لهم في ذلك الجانب الشرقي من البحر ،  
وتعدّد أساطيلهم فيه ، وضُغف المسلمین منذ زمانٍ طويلٍ عن مُهاجرتهم هنالك كما  
5 [أشْرنا]<sup>(ب)</sup> إليه قَبْلُ . فأوفد صلاح الدين على يعقوب المنصور ، سلطان المغرب  
لقهده من المؤخدين ، رسوله عبد الكريم بن مُنْقِذٍ ، من بَيْتِ بَني مُنْقِذٍ مُلُوكِ  
شِيزَر ، وكان ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في ذلته ، فَبَعَثَ عبد الكريم هذا منهم  
إلى ملك المغرب طالياً مدد الأساطيل لتحويل في البحر بين أساطيل الكفرة وبين  
مُرادهم من / إمداد التصاريتة من ثُغور<sup>(ج)</sup> الشام ، وأضخه كتابه إليه في ذلك ، من [175]  
10 إنشاء الفاضل البُيْهاسي ، يقول في افتتاحه: فَتَحَ اللهُ لِحُضْرَةِ سَيِّدِنَا أَنْبُوبِ الْمَنَاجِحِ  
والميامين؛ حُسْبًا قَلَهَ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِي فِي كِتَابِ الْفَتْحِ الْقُدْسِيِّ<sup>(١)</sup> . فَتَقَمَّ عَلَيْهِمُ  
الْمَنْصُورُ تَجَافِيهِمْ عَنْ خُطَابِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ ، وَتَحَلَّمَ عَلَى مَنَاجِحِ الْبِرِّ  
وَالْكَرَامَةِ ، وَزَدَّهُمْ إِلَى مُزِيلِهِمْ ، وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ .

(١) ي : تواترت (ب) سقط من ظ (ج) ل ع : بصور .

(1) لا توجد هذه الرسالة أو ما يتصل بأحداثها في كتاب الفتح القسبي في الفتح القدسي. وذكر أبو شامة في  
الروضين (2: 170-174) أنه بحث عن حقيقة الرسالة التي أرسلها السلطان إلى يعقوب المنصور لما  
اشتد أمر الفرغ على عكا، لأن القاضي الفاضل والعماد الأصفهاني لم يتعرضا لذلك في كتبهما؛ حتى  
أطلعه بعض الثقات على نسخة نُقلت من خط القاضي الفاضل فأوردها. ومستهلها مختلف عن  
المستهل الذي ذكره ابن خلدون؛ والزسول الموقد بالرسالة كما في مثنها هو أبو الحزم عبد الرحمن بن  
منقذ، وليس عبد الكريم. وأورد القلشندي (صبح الأعشى 6: 527) الرسالة المشار إليها بمستهلها  
المذكور، وفيها يلقب يعقوب المنصور بأمر المؤمنين! وانظر التعريف بابن خلدون ، 346 (نشرت).

وفي هذا اختصاص ملك المغرب بالأساطيل؛ وما حصل للتصاريّة في الجانب الشرقي من هذا البحر من الانتطالة، وعدم عناية الدّول بمضر والشّام لذلك العهد وما بعده، بشأن الأساطيل البحريّة والاستعداد منها للدّول.

ولما هلك يعقوب المنصور، واعتلت دّولة الموحّدين، واشتولت أمم الجلالفة على الأكثر من بلاد الأندلس، وألجأوا المسلمين إلى سيف البحر، وملكوا الجزائر 5 التي بالجانب الغربي من البحر الرّومي، قويّت رجّهم في بّسيط هذا البحر، واشتدّت شوكتهم، وكثرت فيه أساطيلهم، وتراجعت قوّة المسلمين فيه إلى المساواة معهم، كما وقع لعهد السّلطان أبي الحسن ملك زنّانة بالمغرب، فإنّ أساطيله كانت عند مراميه الجهاد في مثل عدّة التصاريّة وعديدهم.

ثم تراجعت عن ذلك قوّة المسلمين في الأساطيل، لضعف الدّولة، ونسيان 10 غوايد البحر، بكثرة الغوايد البدويّة بالمغرب وانقطاع الغوايد الأندلسيّة. ورجع النّصارى فيه إلى دينهم المعروف، من الرّزّة فيه، والمران عليه، والبصر بأحواله، وغلب الأئم في لجه<sup>(1)</sup> وعلى أغوايده. وصار المسلمون فيه كالأجانب، إلّا قليلاً من أهل البلاد السّاحليّة، لهم المرائ عليه لو وجدوا كثرة من الأنصار والأغوان، أو قوّة من الدّول تستجيش لهم أغواناً وتوضّح لهم في هذا الغرض منسلكاً. / وبقيت الرّئيّة 15 لهذا العهد في الدّول المغربيّة مَحفوظة، والرّسْم في معاناة الأساطيل والإنشاء والزّكوب مَهْوداً، لما عساة تدعو إليه الحاجة من الأغراض السّلطانيّة في البلاد البحريّة. والمسلمون يَنْشَبُّون الرّجّ على الكُفر وأهليه. فَمِنْ المُشْتَهَر بَيْن أَهْلِ الْمَغْرِبِ

(1) كنا في ط ل ح ، وفي ح : لُجته .

عن كتب الحدّاث، أنّه لا بُدّ للمسلمين من الكثرة على التضارّية، وافتتاح ما وراء  
البحر من بلاد الإفريقية، وأن ذلك يَكُونُ في الأساطيل. والله وكيّ المؤمنين.

### 35 • فصل، في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

اعلم أنّ السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يشغلهما على أمره. إلا  
5 أنّ الحاجة إلى السيف في أول الدولة، ما دام أهلها في تهديد أمرهم، أشدّ من  
الحاجة إلى القلم؛ إذ القلم في تلك الحال خادمٌ فقط مُتَقَدِّمٌ للحُكم السُلْطانيّ؛ والسيف  
شريك في المعونة. وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عضيتها كما ذكرناه، ويقلّ  
أهلها بما ينالهم من الهرم الذي قدّمناه، فتحتاج الدولة إلى الاستظهار بأرباب  
السيوف، وتضيق الحاجة إليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها، كما كان الشأن أول  
10 الأمر في تهديدها. فتكون للسيف مزية في الحالتين على القلم، ويكون أرباب  
السيف حينئذٍ أوسع جاهاً وأكثر نعمةً وأسنى إقطاعاً. وأمّا في وسط الدولة  
فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف، لأنّه قد تمهّد أمره، ولم يبقَ همّه إلاّ  
في تحصيل ثمرات الملك<sup>(1)</sup> من الجباية والضبط، ومباهاة الدول وتنفيذ الأحكام؛  
والقلم هو المعين له في ذلك؛ فتعظم الحاجة إلى ترفيعه، وتكون السيوف مهملةً  
15 في مضاجع غمودها، إلاّ إذا نابت نايبة أو دعيث إلى سدّ فجوة، وما سوى ذلك  
فلا حاجة إليها. فيكون أرباب الأقلام في هذه الحالة أوسع جاهاً، وأعلى رتبةً،  
وأعظم نعمةً وثروةً، / وأقرب من السلطان مجلساً، وأكثر إليه تزوّداً، وفي خلواته

[176]

(1) ل : المال .



نَجِيّاً ؛ لَأَنَّهُ حِينَئِذٍ آتَاهُ الَّتِي بِهَا يَسْتَظْهِرُ عَلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ مُلْكِهِ ، وَالتَّظَرُّ فِي  
أَعْطَافِهِ ، وَتَقْصِيفِ أَطْرَافِهِ ، وَالْمُبَاهَاةَ بِأَخْوَالِهِ ؛ وَيَكُونُ الْوُزَرَاءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ الشُّيُوفِ  
مُسْتَفْتَى عَنْهُمْ ، مُبْعَدِينَ عَنْ بَاطِنِ السُّلْطَانِ ، حَذِرِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ تَوَادِرِهِ .  
وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ ، مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ <sup>(1)</sup> لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ بِالْقُدُومِ : أَمَّا  
بَعْدُ ، فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفَرَسِ : أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَاءُ إِذَا سَكَنَتْ 5  
الْذُّهَاءُ . سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ .

### 36 • فَصْلٌ فِي شَارَاتِ الْمُلِكِ وَالسُّلْطَانِ الْخَاصَّةِ بِهِ

اغْلَمْ أَنَّ لِلْسُّلْطَانِ شَارَاتٍ وَأَخْوَالَ تَقْتَضِيهَا الْأَهْمَةُ وَالْبَذَخُ ، فَيُخْتَصُّ بِهَا  
وَيَتَمَيَّزُ بِأَنْبِيَاهَا عَنِ الرَّعِيَةِ وَالْبَطَانَةِ وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ فِي دَوْلَتِهِ . فَلْتَذَكَّرْ مَا هُوَ مُشْتَهَرٌ  
مِنْهَا بِمَبْلَغِ الْمَعْرِفَةِ ، ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف ، من الآية 76] . 10

#### أ. الآلَةُ

فَمِنْ شَارَاتِ الْمُلِكِ ، اتِّخَاذُ الْآلَةِ ، مِنْ نَشْرِ الْأَلْوِيَةِ وَالزَّيَابَاتِ ، وَقَرْعِ الطَّبُولِ ،  
وَالْتَفُخِ فِي الْأَبْوَاقِ وَالْقُرُونِ .  
وَقَدْ ذَكَرَ أَرِسْطُو فِي الْكِتَابِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي السِّيَاسَةِ <sup>(2)</sup> ، أَنَّ السَّرَّ فِي  
ذَلِكَ إِزْهَابُ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ ؛ فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الْهَائِلَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي النُّفُوسِ بِالرُّعَاةِ . 15

(1) ابن تقيي بردي : النجوم الزاهرة 1: 333 .

(2) السياسة العامية 194 .

ولغفري إته أُمَرَّ وَجَدَانِي فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ يَجِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ.  
وهذا السَّبَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو، إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ، فَهُوَ صَحِيحٌ بِغَضِ الْإِغْتِيَارَاتِ.  
وَأَمَّا الْحَقُّ فِي ذَلِكَ، فَهُوَ أَنَّ التَّفَسُّعَ عِنْدَ سَمَاعِ النَّعْمِ •<sup>(١)</sup> وَالْأَصْوَاتِ يُذَكِّرُهَا الْفَرْخَ  
وَالطَّرَبَ بِلا شَكٍّ، فَيُصِيبُ مِزَاجَ الرُّوحِ نَشْوَةً يَسْتَسْهِلُ بِهَا الصَّعْبَ، وَيَسْتَقْبِلُ فِي  
5 ذَلِكَ الْوَجْهَ الَّذِي هُوَ فِيهِ. وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْغَضَمِ، فَاتِّعَالُ الْإِبِلِ  
[بِالْحَذَاءِ]•<sup>(٢)</sup>، وَالْحَيْلُ بِالصَّغِيرِ وَالصَّرِيحِ كَمَا عَلِمْتُ؛ وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأَكِيداً إِذَا كَانَتْ  
الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً كَمَا فِي الْغَنَاءِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَخْدُتُ لِسَامِعِهِ/ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى.  
وَلَأَجْلَ ذَلِكَ تَتَخَذُ الْعَجَمُ فِي مَوَاطِنِ خُرُوبِهِمُ الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةَ، لَا طَبْلًا وَلَا بَوَقًا؛  
فِيخْدِقُ الْمُغْتَوْنَ بِالسُّلْطَانِ فِي مَوَكِبِهِ بِآلَاتِهِمْ وَيُغْتَوْنَ، فَيُخْرَكُونَ نَفْسَ الشَّجْعَانِ  
10 بَضْرْنِهِمْ إِلَى الْإِسْتِنَاتَةِ.

وَلَقَدْ رَأَيْنَا فِي حُرُوبِ الْقَرْبِ مِنْ يَتَعَتَّى أَمَامَ الْمُؤَكَّبِ بِالشَّعْرِ وَيُطْرِبُ،  
فَتَجِيئُ هِمُّ الْأُتْطَالِ بِمَا فِيهَا، وَيُسَارِعُونَ<sup>(ج)</sup> إِلَى مَجَالِ الْحَرْبِ، وَيَتَّبِعُ كُلُّ قَرْنٍ إِلَى  
قَرْنِهِ. وَكَذَلِكَ زَنَاتُهُ مِنْ أُمَمِ الْمَغْرِبِ، يَتَقَدَّمُ الشَّاعِرُ عِنْدَهُمْ أَمَامَ الصُّفُوفِ وَيَتَعَتَّى،  
فِيحَرِّكُ بَغْنَائِهِ الْجِبَالَ الرُّوَاسِيَّ، وَيَتَّبِعُ عَلَى الْإِسْتِنَاتَةِ مَنْ لَا يَطْلُرُ بِهَا، وَيُسَمِّنُ  
15 ذَلِكَ الْغَنَاءَ تَارِضُوكَايْتُ<sup>(د)</sup>. وَأَصْلُهُ كَلَّمَهُ فَرَجٌ يَخْدُتُ فِي التَّفَسُّعِ فَتَتَّبِعُ عَنْهُ  
الشَّجَاعَةُ، كَمَا تَتَّبِعُ عَنْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ بِمَا حَدَّثَ عَنْهَا مِنَ الْفَرْحِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) سقط ما بين التجميع من صورة نسخة ع ، أو ربما أن الكلمة كانت في ورقة طيارة نقلها بقية الأصول ثم اختفت (ب) ط:  
بالخفوة (ج) ل: يتسارعون (د) كنا في ط، وفي ج: تاصوكلت بإهال الحرف الذي قبل التاء الأخيرة، وفي ي: تارضو كالت،  
وما قبل الأخيرة حمل ، وفي ل، وهي الأتم: تاصوكلت برسم زين داخل الصاد على طريقة المؤلف في ضبط الإسماء كما يكتب اسم  
صكي (زكي) .

وأما تكثير الزيات [وتلوينها]<sup>(1)</sup> وإطالتها، فالقصد به التحويل لا أكثر؛ وربما  
يُحْدِث في النفوس من التحويل زيادة في الإقدام؛ وأحوال النفوس وتلوناتها غريبة.  
والله الخلاق العليم.

ثم إن الملوك والدول يخْتَلِفون في اتخاذ هذه الشارات، فمن مُكْثِرٍ وَمُقَلِّلٍ  
بِحَسَبِ اتِّسَاعِ الدَّوْلَةِ وَعَظَمِهَا.

5

فأما الزيات فإنها شعار الحروب مُذْ عَهْدِ الخليفة؛ ولم تُزَلْ الأُمَمُ تعقدها  
في مواطن الحروب والغزوات، ولعَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِ مِنَ الخلفاء.

وأما قِرْعُ الطُّبُولِ والتَّخَفُّعُ فِي الْأَنْوَاقِ، فكان المسلمون لأَوَّلِ الْمِلَّةِ مُتَجَافِينَ  
عَنْهُ، تَرَاهَا عَنْ غِلْظَةِ الْمُلْكِ وَرَفْضًا لِأَخْوَالِهِ، وَاحْتِقَارًا لِأُتَيْتِهِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنَ الْحَقِّ  
فِي شَيْءٍ. حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ مُلْكًا وَتَخَبَّحُوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَنَعِمِهَا، وَلَابَسْتَهُمْ  
الموالي من الفُرسِ والرُّومِ وأهل الدُّوَلِ السَّالِفَةِ، وَأَزَوْهُمْ مَا كَانَ أَوْلَىكَ يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
مَذَاهِبِ الْبَذَخِ وَالْتَّرَفِ، فَكَانَ تَمَّا اسْتَحْسَنُوهُ اتَّخَذُوا الْآلَةَ فَاتَّخَذُوهَا، وَأَذِنُوا لِعُمَاهُمْ فِي  
اتَّخَاذِهَا تَتَوَعَّا بِالْمُلْكِ وَأَهْلِهِ. / فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْعَامِلُ \* (ب) صَاحِبُ الشَّرِّ أَوْ قَائِدُ  
[177]  
الْجَيْشِ يَفْقِدُ لَهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوْ الْفُتَيْدِيِّينَ لَوَاءَهُ، وَيُخْرِجُ إِلَى نَفْسِهِ أَوْ عَمَلِهِ  
مِنْ دَارِ الْخَلِيفَةِ أَوْ دَارِهِ، فِي مَوْكَبٍ مِنْ أَصْحَابِ الزِّيَاةِ وَالْآلَةِ، فَلَا تُمَيِّزُ بَيْنَ مَوْكَبِ  
الْعَامِلِ وَالْخَلِيفَةِ إِلَّا بَكْرَةِ الْأُلُوبَةِ أَوْ قِلْتِنَا، أَوْ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ  
لِرَايَتِهِ، كَالسُّوَادِ فِي رَايَاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَإِنَّ رَايَاتِهِمْ كَانَتْ سُودًا حُزَنًا عَلَى شُهَدَائِهِمْ  
مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَنَفِيًّا عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ، وَلِذَلِكَ سُمُّوا الْمُسَوَّدَةَ.

15

(1) من: ل ج ي . وفي ظ: تلوينها (ب) إلى هنا ينتهي سطر الصفحة التي لم تصور من نسخة ع .

ولمّا افترق أمر الهاشميين، وخرج الطالبيتون على الغبّاسيين في كلّ جهة وعَصُر، ذهبوا إلى مُخالفتهم في ذلك، فاتَّخذوا الرّايات بيضاً، وسَمُوا المبيضة لذلك سائر أيام العُبيديّين، ومن خرج من الطّالبيين [في ذلك]<sup>(1)</sup> العهد بالمشرق، كالداعي بطبرستان، وداعي صغدة، أو<sup>(ب)</sup> من دعا إلى بدعة الزّافضة من غيرهم 5 كالقراطة .

ولمّا نزح المأمون عن لبس السّواد وشيعاره في دولته، غدل إلى لون الحُضرة، فجعل زاياته حُضراً .

وأما الاستيكتار منها فلا ينشئ إلى حدّ، وقد كانت آلة العُبيديّين لما خرج العزيز نزار إلى فتح الشّام، خمسمائة من البُند وخمسمائة من الأبواق .

10 وأما ملوك البربر بالمغرب من صنهاجة وغيرهم، فلم يختصوا بلون واحد، بل وشعروها بالذهب، واتَّخذوها من الحرير الخالص مُلوّنة، واشتقروا على الإذن فيها لعقّالهم. حتّى إذا جاءت دولة الموحّدين ومنّ بقدّم من زنّاة، فقَصّروا الآلة من الطّبول والبُند على السّلطان، وحظروها على سِواه من عمّاله، وجعلوها موكباً خاصاً يتبع أثر السّلطان في مسيره، يُسمّى السّاقّة. وهم فيه بين مُكثّر ومُقلّ، 15 باختلاف مذاهب البُول في ذلك؛ فمنهم من يقتصر على سَنع في العَدَد تبرّكاً

بالشُّعبة، كما هو في دولة الموحّدين وبني الأحرر بالأندلس؛ ومنهم / من يتلغ العشرة [177ب] والعشرين، كما هو عند زنّاة. وقد بلغت أيّام السّلطان أبي الحسن فيما أذكرناه مائة من الطّبول ومائة من البُند، مُلوّنة بالحرير ومُسوجة بالذهب، ما بين كبير وصغير.

(1) ط: تلك (ب) ل: ومن .

وتأذنون للولاء والعتال والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان يتضاء،  
وطبيل صغير أياهم الحزب، لا يتجاوزون ذلك.

وأما ذؤلة الترك لهذا العهد بالمشرق، فيتخذون أولاً راية واحدة عظيمة،  
وفي رأسها خضلة كبيرة من الشفر ويسمونها الشال<sup>(1)</sup> والجتر<sup>(ب)</sup> وهي مع العسكر على  
عمومه، ثم على رأس السلطان راية أخرى تسمى العصابة والشطفة<sup>(ج)</sup> وهي شعار  
السلطان عندهم، ثم تتعدّد الرايات ويسمونها السناجق، واحداً سنجق، وهو الراية  
بلسانهم. وأما الطبول فيقالون في الاستيكتار منها ويسمونها الكؤسات، ويبحون لكل  
أمير أو قائد عسكر أن يتخذ من ذلك ما شاء؛ إلا الجتر<sup>(د)</sup>، فإنه خاص بالسلطان.

وأما الجلالة لهذا العهد من أمم الإفرنجية بالأندلس، فأكثر شأنهم اتخاذ  
الألوية القليلة ذاهبة في الحور صعداً، ومعا قرع الأوتار من الطناير، ونفخ الفيطات،  
يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه في مواطن خروجه. هكذا يبلغنا عنهم وعن  
وزراءهم من ملوك العجم. وفي خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم  
آيات للعالمين<sup>(هـ)</sup>.

### ب. السري

وأما السري، والمنبر، والشحط، والكريي، وهو أغواذ منصوبة أو أرائك<sup>15</sup>  
منصدة جلوس السلطان عليها، مزيّعة عن أهل مجلسه أن يساوهم في الصعيد. ولم

(1) كنا في ط. وفي ج ل: الشاليش. وفي ي: الساليس. وفي ع: الجاليش (ب) جاءت الكلمة مكسورة الجيم في ع. ومخوفا  
في ل (ج) حاشية بخطه انفردت بها ع. ولم تُنقل عنها في الأصول الأخرى (د) كنا في الأصول الحقة، وفي نسخة ع البيت.  
واستبدلت في الحاشية بخطه بكلمة: العصابة (هـ) تضمن من الآية الكريمة رقم 22 من سورة الزوم.

يَزِلْ ذلك من سُنَنِ الْمَلِكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ فِي دُولِ الْعَجَمِ، وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى  
أَسِيرَةِ الذَّهَبِ؛ وَكَانَ لِسُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، سَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مُغَشًى  
بِالذَّهَبِ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا<sup>(1)</sup> تَأْخُذُ بِهِ الدُّوْلُ إِلَّا بَعْدَ الْإِسْتِيفَاحِ وَالتَّرَفِّ، شَأْنُ الْأُيُتْمَةِ كُلِّهَا  
كَهَا فَلَنَاهُ. / وَأَمَّا فِي أَوَّلِ الدُّوْلَةِ عِنْدَ الْبِدَاوَةِ فَلَا يَتَشَوَّفُونَ إِلَيْهِ.

[1178]

5 وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ مُعَاوِيَةُ، وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ، وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي  
قَدْ بَدَأْتُ؛ فَأَذِنُوا لَهُ؛ فَاتَّخَذَهُ، وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ، وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأُيُتْمَةِ.  
وَلَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بِمَصْرَ يَجْلِسُ فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ،  
وَيَأْتِيهِ الْمُتَوَقِّسُ إِلَى قَصْرِهِ وَمَعَهُ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ مَحْمُولٌ عَلَى الْأَيْدِي لَجُلُوسِهِ، شَأْنُ  
الْمُلُوكِ، فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُمْ أَمَامَهُ، وَلَا يَغْتَرُونَ عَلَيْهِ، وَفَاءً لَهُ بِمَا اعْتَقَدَ مَعَهُمْ مِنْ  
10 الذَّمِّ، وَاطْرَاحًا لِأُيُتْمَةِ الْمَلِكِ. ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِبَنِي الْعَبَّاسِ، وَالْعُتَيْدِيِّينَ، وَسَائِرِ  
مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا، مِنَ الْأُسَيْرَةِ وَالْمَنَابِرِ وَالثُّخُوتِ مَا عَفَى عَلَى الْأَكَابِرَةِ  
وَالصَّيَاغَةِ. وَاللَّهُ مُقَلِّبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

### ج. السَّكَّةُ<sup>(1)</sup>

وهي<sup>(ب)</sup> الْحَلْمُ عَلَى الدَّنَائِرِ وَالْدِّرَاهِمِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ بِطَاعِ حَدِيدٍ،  
15 تُنْقَشُ فِيهِ صُورٌ أَوْ كَلِمَاتٌ مَقْلُوبَةٌ، وَيُضْرَبُ بِهَا عَلَى الدَّنَائِرِ أَوْ التَّرْهَمِ، فَتُخْرَجُ رُسُومُ  
تِلْكَ التَّنْقُوشِ عَلَيْهَا ظَاهِرَةً مُسْتَقِيمَةً، بَعْدَ أَنْ يُعْتَبَرَ عِيَارُ التَّنْقُودِ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ فِي

(1) ي: لم (ب) ط: وهو.

(1) تَقْدِمُ الْحَدِيثَ عَنِ السَّكَّةِ فِي الْحِطُّطِ الدِّيْنِيَّةِ الْخِلَافِيَّةِ 31 هـ (ص 392) مِنْ خَيْثِ الْحِسْبَةِ عَلَيْهَا.

خلوصه بالسبك مَرَّةً بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدِّراهم والدنانير بوزنٍ مُعَيَّن يُصْطَلَحُ عليه، فيكون التعامل بها عدداً، وإن لم تُقَدَّرْ أشخاصها يكون التعامل بها وزناً.

ولفظُ السَّكَّةِ كان اسماً للطَّابع ، وهي الحديدة المتَّخذةُ لذلك، ثم يُقَالُ إلى آخرها، وهو النقوش المائلةُ على الدنانير والدِّراهم ، ثم يُقَالُ إلى القيام على ذلك والتَّظَرُّر في استيفاء حاجاته وشروطه، وهي الوظيفةُ، فصار عَلَماً عليها في عُزف الدُّول . 5

وهي وظيفةٌ ضروريةٌ للمُلك، إذ بها يَتَقَيَّرُ الخالص من النهرج بين الناس في التَّقود عند المعاملات، ويتَّقون في سلامتها من الغش، بختم السُّلطان عليها بتلك النقوش / المَعروفة. [178ب]

وكان مُلوكُ العجم يتخذونها ويتفُشون فيها تماثيل تكون مخصوصةً بها، مثل تَشال السُّلطان لَهْدَها، أو تَشال حِضن أو حَيوان أو مَضنوع أو غَيْر ذلك، ولم يَزَلْ 10 هذا الشَّأْنُ عند العجم إلى آخر أمرهم.

ولما جاء الإسلام، أُغْفِلَ ذلك لسداجة الدين وبداوة الغرب. وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة ووزناً؛ وكانت دنانيرُ الفُرس ودراهمُ بَنِ أَيْديهم يُرَدُّونَها في معاملتهم إلى الوزن، ويتصارفون بها بينهم؛ إلى أن فاحش الغش في الدنانير والدِّراهم لَفْظَةُ الدَّوْلَةِ عن ذلك، وأمر<sup>(1)</sup> عبدُ الملك الحُجَّاج، على ما نقلَ سعيدُ بنُ المسيَّب 15 وأبو الزناد، فَضَرَبَ الدِّراهم وتَمَيَّزَ المُغشوش من الخالص، وذلك سنة أربع وسبعين؛ وقال المدايني: سنة خميس وسبعين، ثم أمر بضرها في سائر التَّوَّاحي سنة ست وسبعين، وكُتِبَ عليها: ﴿الله أخذ الله الصَّدَقَاتِ﴾ (سورة الإخلاص، من الآية 1، والآية 2) .

(1) نقل هذه البيانات عن السكة من الماوردي: الأحكام السلطانية 406 - .

ثم ولي ابن هُبَيْرَةَ العراق أيام يزيد بن عبد الملك، فجَوَّد السُّكَّةَ؛ ثم بالغ خالد القسري في تجويدها، ثم يوسف بن عمر بغذه. وقيل أول من ضرب الدنانير والبرايم، مُضْعَبُ بن الزَّيْثَرِ بالعراق سنة سبعمين، بأمر أخيه عبد الله لما ولي بالحجاز<sup>(1)</sup>، وكتب عليها في أحد الوجهين: بركة، وفي الآخر: اسم الله؛ ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بستة، وكتب عليها باسم الله، الحجاج. وقدرُوا وزنها على ما كانت استقرت أيام [عمر]<sup>(ب)</sup>، وذلك أن التَّرهَمَ كان وزنه أوَّلُ الإسلام ستة دنانير<sup>(ج)</sup>، والمِثْقَالُ وزنه درهم وثلاثة أسباع التَّرهَمَ، فيكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل.

وكان السبب في ذلك، أن أوزان التَّرهَمَ<sup>(د)</sup> أيام الفرس كانت مختلفة، وكان منها على وزن المِثْقَالِ عشرون قيراطاً، ومنها اثنا عشر، ومنها عشرة. فلما اختيخ إلى تقديره في الزكاة، أخذ الوسط من الثلاثة، وذلك أربعة عشر / قيراطاً،<sup>(1179)</sup> فكان المِثْقَالُ دزهما وثلاثة أسباع دزهم. وقيل [إن التَّرهَمَ]<sup>(هـ)</sup> كان منها البغلي بثمانية دنانير، والطبري أربعة دنانير، والمغربي ثمانية<sup>(د)</sup> دنانير؛ واليميني دانق<sup>(ز)</sup>، فأمر عمر رضي الله عنه أن ينظر الأغلب في التعامل، فكان البغلي والطبري وهما اثنا عشر دانقاً، وكان التَّرهَمُ ستة دنانير، فإن زدت ثلاثة أسباعه كان مثقالاً، وإن أفضت<sup>(ح)</sup> ثلاثة أعشار المِثْقَالِ كان درهماً. 15

فلما رأى عبد الملك اتخاذه السُّكَّةَ لصيانة التَّشدين الجارين في معاملة المسلمين عن الغش، فعن مقدارها على هذا الذي استقرَّ لعهد عمر رضي الله

(1) ل: الحجاز (ب) سقط من ظ (ج) كذا جاء جمع الناق في جميع الأصول. ورد بعده فيها جميعاً على جمع دنانير (د) ل ي: الدراهم (هـ) من حاشية ع بخطه، لم نقلها عنها بقية الأصول (و) كذا في ظ ي ل، وفي ج ع: ثلاثة (ز) كذا في كل الأصول (ح) ظ، وفي الأصول الأخرى: وإذا شئت.



عنه، واتَّخَذَ طابع الحديد، وَشَّسَ فيه كلمات لا صوراً، لأنَّ العَرَبَ كانَ الكلامَ  
والبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاحِيْمَ وَأَظْهَرَهَا، مع أنَّ الشَّرْحَ يَنْهَى عَنِ الصُّورِ. فلَمَّا فَعَلَ ذلكَ  
اسْتَمَرَّ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ المِلَّةِ كُلِّهَا.

وكانَ الدِّينَارُ وَالزَّهْمُ على شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ، والكَتَابَةُ عَلَيْهَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِنَةٍ<sup>(أ)</sup>  
يُكْتَبُ فِي<sup>(ب)</sup> أَحَدِ الدَّوَائِرِ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا، وَصَلَاةٌ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ، وَفِي 5  
الْوَجْهِ الثَّانِي: التَّارِيخُ، وَاسْمُ الخَلِيفَةِ. هَكَذَا أَيَّامُ العَبَّاسِيِّينَ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ .

وَأَمَّا صِنْفُهَا، فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخِرَ الْأَمْرِ، اتَّخَذَهَا الْمَنصُورُ صَاحِبَ  
بِجَايَةِ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ [تَحَادُوس] (ج) فِي تَارِيخِهِ<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا جَاءَتْ ذُوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ، كَانَ مِمَّا سَنَّ لَهُمُ الْمُهْدِيُّ اتِّخَاذَ سِكَّةِ الدَّرَاهِمِ<sup>(د)</sup>  
مُرْتَبِعَ الشَّكْلِ، وَأَنْ يُرْسَمَ فِي دَائِرَةِ الدِّينَارِ شَكْلُ مُرْبَعٍ فِي وَسْطِهِ، وَيُنْصَلُّ مِنْ أَحَدِ 10  
الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا، وَمِنْ الْجَانِبِ الْآخَرِ كُتُبًا فِي السُّطُورِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ الْخُلَفَاءِ مِنْ  
بَعْدِهِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ، وَكَانَ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا الْعَهْدِ. وَقَدْ كَانَ  
الْمُهْدِيُّ، فِيمَا نَقُلُ، يَنْعَتُ<sup>(هـ)</sup> [قَبْلَ ظُهُورِهِ]<sup>(د)</sup> بِصَاحِبِ الزَّهْمِ الْمُرْبَعِ، نَعَتَهُ بِذَلِكَ  
الْمُتَكَلِّمُونَ بِالْحَدِّثَانِ مِنْ قَبْلِهِ، الْمُخْبِرُونَ فِي مَلَاحِمِهِمْ عَنِ ذُوْلَتِهِ .

(أ) من ط، وفي النسخ الأخرى: متوازية (ب) من ط، وفي ع ل ج ي: فيها من أحد (ج) من ل، وفي ط ج: ابن حباد، غير  
مضبوطة بالشكل، وفي ع: تخذ، وفي ضبط المم مشددة (د) كذا في كل الأصول (هـ) ي: يستى (و) سقط من ط ج

(١) محمد بن علي بن حباد الصنهاجي، قاضٍ أصله من قرية بجمزة (بو حمزة) من حوز قلعة بني حباد .  
والإشارة على الأغلب لكتابه المفقود: البذل المحتاجة في أخبار صنهاجة، وقد أفاد منه ابن خلدون في تكملة  
أخبار بني خزيون. انظر عنه ابن الأبار: تحفة القادم 193، الديري: عنوان البراية 212، الصفي:  
الوافي 4: 157، ومقدمة M. VONDERHEYDEN لكتاب ابن حباد: أخبار ملوك بني غيب وسيرتهم.

وأما أهل المشرق لهذا العهد، فسبكتهم غير مقدرة، وإنما يتعاملون بالدينار والدرهم وزناً بالصنجات المقدرة بعدة منها، ويطلبون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة / واسم السلطان كما يفعله أهل المغرب. ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ [179ب] الْعَلِيمِ ﴾ (سورة يس، من الآية 38).

### • تنبيه<sup>(1)</sup>

5

ولتختتم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم والدينار الشرعيتين وبيان مقدارهما.

وذلك أنَّ الدرهم والدينار مختلفا السكة في المقادير والموازن بالآفاق والأمنصار وسائر الأعمال. والشرع قد تعرض لذكرها وعلق كثيرا من الأحكام بهما، 10 في الزكاة والأنكحة والحدود وغيرها. فلا بد لها عنده من حقيقة ومقدار تتعين في تقديره وإرادته، وتجري عليها أحكامه دون غير الشرعي منها. فاعلم أنَّ الإجماع مُتَعَدِّدٌ منذ صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين، أنَّ الدرهم الشرعي هو الذي تزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب، والأوقية منه أربعين درهماً، وهو على هذا سبعة أعشار الدينار. ووُزن المِثْقَالُ من الذهب بثلثان وسبعون حبة من الشعير 15 الوسط. فالدرهم الذي هو سبعة أعشاره، خمسون حبة وخمسة حبة، وهذه المقادير كلها ثابتة بالإجماع. فإنَّ التزهم الجاهلي كان بينهم على أنواع أجودها الطبري، وهو

(1) ما بين الجيمين من نص هذا التنبيه كله، مشار إليه بعلامة المخرج في نسخة ع الأم، حيث كان مكتوباً في بطلافة مستقلة خارج كراسات الكتاب، ونقلته عنها نسخة ج وحدها قبل أن يُنقذ.

ثمانية دَوَاقٍ، والبَغْلِيُّ وهو أربعة دَوَاقٍ، فجعلوا الشَّرْعِيَّ منها ستَّةَ دَوَاقٍ. وكانوا  
يوجبون الزَّكَاةَ في مائةِ دِرْهَمٍ بَغْلِيَّةً ومائةِ طَبْرِيَّةٍ خمسةَ دَرَاهِمٍ وَسَطًا.

وقد اختلف الناس، هل كان ذلك من وَضْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وإجماع الناس  
بعده عليه، كما قلناه، ذَكَرَ ذلك الحِطَّائِيُّ في كتاب معالِمِ السَّنَنِ <sup>(1)</sup>، والمأزِدِيُّ في  
كتاب الأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ <sup>(2)</sup>، وأنكره المحققون من المتأخرين، لما يلزم منه أن يكون  
الدرهم والدينار الشَّرْعِيَّانِ مَجْهُولَيْنِ في عَصْرِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، مع تَعَلُّقِ الْحَقُوقِ  
الشَّرْعِيَّةِ بهما في الزَّكَاةِ وَالنِّكَاحِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا كما ذَكَرْنَاهُ. والحقُّ أَنَّهُمَا كَانَا مَعْلُومَيْنِ  
المقدار في ذلك العصر، بِحَرَيَّانِ الأَحْكَامِ يَوْمَئِذٍ بما يَتَعَلَّقُ بهما من الحقوق. وكان  
مِقْدَارُهَا غَيْرَ مُنَشَخَصٍ في الخارج، وإِنَّمَا كَانَ مُتَعَارَفًا بَيْنَهُم بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ الْمُتَّفَرِّدِ فِي  
مِقْدَارِهَا وَوُزْنِهَا؛ حَتَّى اسْتَفْضَلَتِ الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَعَظُمَتِ أَخْوَالُهَا، وَدَعَى الْحَالُ  
إِلَى تَشْخِصِهَا فِي الْمِقْدَارِ وَالْوُزْنِ كما هو عند الشَّرْعِ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ كُلِّفَةِ التَّقْدِيرِ.  
وقَارَنَ ذلك أيامَ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَشَخَّصَ مِقْدَارَهَا وَعَيْتَهَا في الخارج كما هُمَا في الذَّهْنِ،  
ونَقَشَ عليها السَّكَّةَ بِاسْمِهِ وَتَارِيخِهِ إِثْرَ الشَّهَادَتَيْنِ الْإِيمَانِيَّتَيْنِ، وطَرَحَ التَّقْوِذَ الْجَاهِلِيَّةَ  
رَأْسًا حَتَّى خَلَصَتْ وَبُقِشَتْ عَلَيْهَا سِكَكُهُ وَتَلَاشَى وجودُهَا؛ وهذا هو الحقُّ الَّذِي لَا  
مَحِيدَ عَنْهُ.

15

ثم بعد ذلك وَقَعَ اخْتِيَارُ أَهْلِ السَّكَّةِ فِي الدَّوَلِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمِقْدَارِ الشَّرْعِيِّ  
فِي الدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ، وَاخْتَلَفَتْ فِي ذَلِكَ الْأَقْطَارُ وَالْأَفَاقُ، وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى تَضُّوَرِّ

(1) معالم السنن 3: 55 .

(2) الأحكام السلطانية 405 .

مقاديرها الشرعية ذهناً كما كان في الصدر الأول، وصار أهل كل أفي يستخرجون الحقوق الشرعية من سيكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية.

وأما وزن الدينار بثنيتين وسبعين حبة من الشعير الوسط، فهو الذي قلّه المحققون، وعليه الإجماع، إلا أن ابن خزم<sup>(1)</sup> خالف ذلك، وزعم أنه أربعة وثمانون حبة، قل ذلك عنه القاضي عيّد الحق، وزدّه المحققون وعدوه وهما أو غلطاً، وهو الصحيح. والله يحق الحق بكلماته.

وكذلك تعلم أن الأوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس، لأن المتعارفة مختلفة باختلاف الأقطار، والشرعية متحدة ذهناً لا اختلاف فيها. والله ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾<sup>(2)</sup> [سورة الفرقان، من الآية 2].

## د. \* الخاتمة (ب)

10

وأما الخاتم فهو من الخطط [السلطانية]<sup>(ج)</sup> والوظائف الملوكية. والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الإسلام وتعدّه. وقد ثبت في الصحيحين<sup>(2)</sup>

(1) إلى هنا ينتهي نص التنبيه (ب) جدّد المؤلف ما كتبه في سياق أصله "ع"، فالتى الموجز التي حرره عن الخاتم، وأضاف بحظه ورقة ملاً ضغنيها بخط دقيق، استغضب فيها الحديث عن الخاتم منفصلاً وعن الطراز. وتقلّتها منها بقية التسع الأربع (ج) سخط من ط.

(1) جاء في المحلّ بالآثار (4: 53) قوله: "وبحثت أنا غاية البحث عند كل من وقتت بتدريزه، فكل اتفق لي على أن دينار الذهب بمكة وزنه اثنان وثمانون حبة وثلاثة أعشار حبة، بالحب من الشعير المطلق". وهو غير ما أشار إليه ابن خلدون.

(2) البخاري في العلم 1: 25 (65)، وفي الجهاد 4: 54 (2938)، وفي اللباس 7: 203 (5875)، وفي الأحكام 9: 83 (7162)، ومسلم في اللباس (2092).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الْعَجَمَ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابَنَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا؛ فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ، وَشَسَّ فِيهِ: مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ الْبُخَارِيُّ: جَعَلَ الثَّلَاثَ كَلِمَاتٍ فِي ثَلَاثَةِ أَشْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ، وَقَالَ: لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ مِنْهُ. قَالَ: وَخَتَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بئرِ أُرَيْسٍ<sup>(1)</sup>، وَكَانَتْ كَثِيرَةُ الْمَاءِ فَلَمْ يَذَرِكْ فَعَرَّهَا بَعْدَ، وَاعْتَمَ لِنَلِكِ عُثْمَانَ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ، وَصَنَعَ آخَرَ عَلَى مِثَالِهِ.

وَفِي كَيْفِيَةِ شَسِّ ذَلِكَ الْخَاتَمِ وَالْخَتَمَ بِهِ وَجُوهٌ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى الْآلَةِ الَّتِي تُجْعَلُ فِي الْإِضْصَعِ، وَمِنْهُ تَخْتَمُ، إِذَا لَبَسَهُ. وَيُطْلَقُ عَلَى النِّهَائَةِ وَالْتِمَامِ، وَمِنْهُ خَتَمْتُ الْأَمْرَ بَلَعْتُ آخِرَهُ، وَخَتَمْتُ الْقُرْآنَ، كَذَلِكَ، وَمِنْهُ خَاتَمُ التَّبَيِّنِ وَخَاتَمَةُ الْأَمْرِ. وَيُطْلَقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي تُسَدُّ بِهِ الْأَوَانِي وَالْذَنَانِ، وَيُقَالُ فِيهِ خَتَامٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَتَمَاهُ مِنْسَكٌ﴾ [سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ، مِنَ الْآيَةِ 26]. وَقَدْ غَلَطَ مَنْ فَسَّرَ هَذَا بِالنِّهَائَةِ وَالْتِمَامِ، قَالَ: لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي [شَرَاهِمٍ]<sup>(2)</sup> رِيحُ الْمِنْسَكِ؛ وَلَيْسَ الْمَغْنَى عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْجِتَامِ الَّذِي هُوَ<sup>(3)</sup> السَّدَادُ، لِأَنَّ الْحَمْرَ يُجْعَلُ لَهَا فِي النَّسْرِ سِدَادُ الطَّيْنِ أَوِ الْقَارَ يَحْفَظُهَا وَيَطْيِبُ عَرْفَهَا وَذَوْقَهَا، فَيَبُولِغُ فِي وَصْفِ حَمْرِ الْجِنَةِ بِأَنَّ سِدَادَهَا مِنَ الْمِنْسَكِ، وَهُوَ أَطْيَبُ عَرْفًا وَذَوْقًا مِنَ الطَّيْنِ وَالْقَارِ الْمَغْمُودَيْنِ فِي الدُّنْيَا.

فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاؤُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كُلِّهَا، صَحَّ إِطْلَاغُهُ عَلَى أَتْرَافِهَا النَّاشِئَةِ عَنْهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا تَقَسَّشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ ثُمَّ غُمِسَ فِي مُذَافٍ مِنْ طِينٍ

(1) تداخلت الكلمة في الأصل ع، فنقلها كاتب نسخة ط: شأهم، وجاءت في ج ع ي صحيحة (ب) ل: هو من السداد.

(2) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 4: 281.

أو مِداد، ووُضع على صفح القِرْطاس بقي أثر الكلمات في ذلك الصّفح، وكذلك إذا طُبع به على جسم لَين كالشَّمع، فإنّه يَبقى نَقْش ذلك المكتوب مُرتسماً فيه. وإذا كانت / كلماتٌ وازتَّسَمَتْ فقد تُقرأ من الجهة اليسرى، إن كان النّقْش على الاستقامة من اليمين، وقد تُقرأ من الجهة اليمنى، إن كان النّقْش من الجهة اليسرى، لأنّ الحتم يقلب جهة الخط في الصّفح عما كان في النّقْش من يمين أو يسار. فيُحتمل أن يكون الحتم بهذا الحاتم بغيره في المِداد و الطين، ووُضعه على الصّفح فتنقش الكلمات فيه، ويكون هذا من معنى النهاية والتام، بمعنى صحّة ذلك المكتوب وثبوته، كأنّ الكتاب إمّا يَمُ القلّ به بهذه العلامة، وهو من دونها مُلغى ليس بتام. وقد يكون هذا الحتم بالخط آخر الكتاب أو أوله بكلمات مُنظمة من تحميد أو تشبيح، أو باسم السّلطان أو الأمير، أو صاحب الكتاب من كان، أو شيء من نوعه، يكون ذلك الخط علامة على صحّة الكتاب وثبوته، ويُستقى ذلك في المتعارف علامة، ويُستقى خاتماً تشبيهاً له بأثر الحاتم الإضبعي في النّقْش؛ ومن هذا خاتم القاضي الذي يَتبع به للخصوم، أي علامته وخطه الذي تُنفذ بها أحكامه؛ ومنه خاتم السّلطان أو الخليفة، أي علامته. قال الرّشيد ليخبي بن خالد لما أراد أن يَسْتَوَزَرَ جُفَراً ويستبدل به من الفضل أخيه، فقال لأبيها يحيى: يا أبت، إني أردت أن أحول الحاتم من يميني إلى شالي، فكفى له بالحاتم عن الوزارة، لما كانت العلامة على الرسائل والصّكوك من وظائف الوزارة لغهدهم. ويُشهد بصحة هذا الإطلاق، ما نقله الطبري أن معاوية أرسل إلى الحسن عند مراوضته إياه في الصّلع، صحيفةً بيضاء ختم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة

[1180]

التي ختمت أسفلها ما شئت، فهو لك. ومعنى الختم هنا، علامة في آخر الصحيفة بخط أو غيره. ويحتمل أن يختم به في جنس لثني فتنتقش فيه حروفه، ويجعل على موضع الختم من الكتاب إذا خُزِمَ وعلى المودعات، وهو من السداد كما مر. / وهي في الوثجين آثار للخاتم، فيطلق عليه خاتم.

- 5 وأول من أحدث الختم على الكتب، أي العلامة، معاوية؛ لأنه أمر لغفرو بن الزبير عند زياد بالكوفة بمائة ألف، ففُحِص الكتاب وضيّرت المائة مائتين، ورفع زياد حسابه فأنكرها معاوية، وطلب بها غمراً وحسبه حتى قضاه عنه أخوه عبد الله. واتخذ معاوية عند ذلك ديوان الخاتم، ذكره الطبري<sup>(1)</sup>، وقال آخره: وخُزِمَ الكتب ولم تكن تُخزَم، أي جعل لها السداد. وديوان الخاتم عبارة عن الكتاب القائمين على إفاذ كتب السلطان والختم عليها، إما بالعلامة أو بالختم. وقد 10 يطلق الديوان على مكان جلوس هؤلاء الكتاب كما ذكرناه في ديوان الأعمال.

والجزام للكتب يكون إما بدسر الوزق كما في غزف كتاب المغرب، وإما بلصق رأس الصحيفة على ما تنطوي عليه من الكتاب كما في غزف أهل المشرق. وقد يجعل على مكان الدسر أو اللصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه. فأهل المغرب يجعلون على الدسر قطعة من الشمع يختمون عليها بخاتم يُقَشِّط 15 فيه علامة لذلك، فيرتسم النقش في الشمع. وكان في المشرق في الدول القديمة يختم على مكان اللصق بخاتم منقوش أيضاً قد عُسِمَ في مذاف من الطين معد لذلك،

(1) تاريخ الرسل والملوك 5 : 330 .

صَبْنُهُ أَحْمَر، فَيَرْقَسُ ذَلِكَ النَّقْشُ عَلَيْهِ. وَكَانَ هَذَا الطِّينُ مَعْرُوفًا فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِطِينِ الْحَتَمِ، وَكَانَ يُجْلَبُ مِنْ سِيرَاف، فَيُظْهِرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا.

فهذا الخاتم الذي هو الغلامَةُ المَكْنُوبَةُ، أَو النَّقْشُ لِلسُّدَادِ، وَالْحَزَمُ لِلْكَتَبِ، خَاصٌّ بِدِيَوَانِ الرِّسَالِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ لِلزُّوزِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ. ثُمَّ اخْتَلَفَ الْعُزْفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْسِيلُ وَدِيَوَانُ الْكُتَّابِ فِي الدَّوْلَةِ. ثُمَّ صَارُوا فِي دَوْلِ الْمَغْرِبِ يُعْدُونَ 5 مِنْ غَلَامَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ الْخَاتَمُ لِلإِضْبَاعِ، فَيَسْتَجِيدُونَ ضَوْعَهُ مِنَ الذَّهَبِ، وَيَرْصَعُونَهُ بِالْفُصُوصِ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالْفَرُوزِجِ وَالزُّمَرْدِ، / وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ شَارَةً فِي عِزِّهِمْ، كَمَا كَانَتْ الْبُرْدَةُ وَالْقَضِيبُ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ، وَالْمِظَلَّةُ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبْسِيَّةِ. وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ بِحِكْمَتِهِ.

[1181]

## هـ الطَّرَازُ

10

وَمِنْ أُنْهَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَمَذَاهِبِ الدَّوْلَةِ، أَنْ تُرْسَمَ أَسْمَاؤُهُمْ أَوْ عِلَامَاتٌ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طَرَزٍ<sup>(1)</sup> أَثْوَابِهِمُ الْمُعَدَّةُ لِبَاسِهِمْ، مِنَ الْحَرِيرِ أَوِ الدِّبَاجِ أَوْ الْإِبْرِيسَمِ، تُعْتَبَرُ كِتَابَةُ خَطِّهَا فِي نَسْجِ الثَّوْبِ إِنْجَامًا وَتَدْوَانًا بِخِطِّ الذَّهَبِ، أَوْ مَا يَخْلَفُ لَوْنُ الثَّوْبِ مِنْ<sup>(ب)</sup> الْحَيُوطِ الْمُلوَّنةِ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ، عَلَى مَا يُحْكِمُهُ الصَّنَاعُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ وَوَضْعِهِ فِي صِنَاعَةِ نَسْجِهِمْ. فَتَصِيرُ الثِّيَابُ الْمُلُوكِيَّةُ مُعْلَمَةً بِذَلِكَ 15 الطَّرَازِ، قَصْدًا لِلتَّنْوِيهِ بِإِسْهَائِهِ مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دَوَّنَهُ، أَوْ التَّنْوِيهِ بِهِنَ يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ تَشْرِيفَهُ بِذَلِكَ، أَوْ وَلايَتَهُ لَوَظِيفَةً مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِ.

(1) ل: طراز (ب) ي: عن .



وكان ملوك العجم من قبل الإسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك وأشكالهم ، أو أشكال وصور معينة لذلك . ثم اغتاض ملوك الإسلام عن ذلك بكتب أسماهم مع كلمات أخرى تجري مجرى القال أو الشبوحات . وكان ذلك في الدولتين من أنه الأمور وأفخم الأحوال . وكانت الدور المعدة لنسج أثوابهم في فصورهم تسمى دور الطراز لذلك ، وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ، ينظر في أمر الصناعات والآلة [الحاكة]<sup>(1)</sup> فيها ، وإجراء أوزانهم وتسهيل آلتهم ومُشازفة أغالهم . وكانوا يقدّرون ذلك لحواص دولتهم وثقات مواليم . وكذلك كان الحال في دولة بني أمية بالأندلس والطوائف من بعدهم ، وفي دولة الغنيدتين بمصر ، ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق . ثم لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه بضيق نطاقها في الاستيلاء ، وتعددت الدول ، بطلت هذه الوظيفة والولاية / عليها من أكثر الدول بالجملة . [181ب]

ولما جاءت دولة الموحدين بالمغرب بعد بني أمية أول المائة السادسة ، فلم يأخذوا بذلك أول دولتهم ، لما كانوا عليه من منازع الديانة والسداجة التي لقيوها عن إمامهم محمد بن تومرت المهدّي ، وكانوا يتوزعون عن لبس الحرير والذهب ، فسقطت هذه الوظيفة من دولتهم ، واستندرك منها أعقابهم آخر الدولة طرّفا لم يكن بملك الثباة . وأما لهذا العهد ، فأدرّكنا بالمغرب في الدولة المرينية لغنواها وشموخها ، رسأ جليلاً لقنوه من دولة ابن الأحمر معاصريهم بالأندلس ، واتبع هو في ذلك دول الطوائف ، فأق من بلنحة شاهدة بالأثر .

(1) ط : الحياكة .

وَأَمَّا دَوْلَةُ التَّرْكِ بِمَصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ، فَنَحْنُ مِنَ الطَّرِيقِ نَحْزِرُ زَاخِرٌ عَلَى  
 بِمَقْدَارِ مُلْكِهِمْ وَتَحْرَانِ بِلَادِهِمْ. إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُضَعُّ فِي دُورِهِمْ وَقُصُورِهِمْ، وَلَيْسَتْ  
 مِنْ وَطَائِفِ دَوْلَتِهِمْ، وَإِنَّمَا يُنْسَجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوْلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ ضُئَاعِهِ، مِنَ الْحَرِيرِ  
 وَمِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ، وَيُسَمَّوْنَهُ الرَّزْكُش، لَفْظَةً أُعْجِمِيَّةً، وَيُرْسَمُ اسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ  
 5 الْأَمِيرِ عَلَيْهِ، وَيُعْدُّهُ الصَّنَاعُ لَهُمْ فِيمَا يُعْدُّوْنَهُ لِلدَّوْلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ اللَّائِقَةِ بِهَا.  
 وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

### وَهَذَا الْمَسَاطِيطُ وَالسِّيَاحُ

أَعْلَمُ أَنَّ<sup>(أ)</sup> مِنْ شَارَاتِ [الْمَلِكِ]<sup>(ب)</sup> وَتَرْفِهِ، اتِّخَاذُ الْأَخْيَةِ وَالْمَسَاطِيطِ  
 وَالْقَارَاتِ، مِنْ ثِيَابِ الْكِتَانِ وَالصَّوْفِ وَالْقُطْنِ بِجُدُلِ الْكِتَانِ وَالْقُطْنِ، يُبَاهِي<sup>(ج)</sup> بِهَا  
 10 فِي الْأَسْفَارِ، وَتَتَوَخَّعُ مِنْهَا الْأَلْوَانُ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ، عَلَى يُسْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي التَّزْوَةِ  
 وَالنِّسَارِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ فِي بُيُوتِهِمُ الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ  
 الْمَلِكِ.

وَكَانَ الْعَرَبُ لِعَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ<sup>(د)</sup> بَنِي أُمَيَّةَ، إِنَّمَا يَسْكُنُونَ بُيُوتَهُمُ الَّتِي  
 كَانَتْ / لَهُمْ خِيَامًا مِنَ الْوَتْرِ وَالصَّوْفِ. وَلَمْ تَزَلْ الْعَرَبُ لِنَدِكَ الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقْلَ  
 15 مِنْهُمْ؛ فَكَانَتْ أَسْفَارُهُمْ لِعَزْوَاتِهِمْ وَخُرُوبِهِمْ يَطْعُونَهُمْ وَسَائِرِ جُلُلهُمْ وَأَخْيَانِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ  
 وَالْوَلَدِ، كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ. فَكَانَتْ غَشَاكِرُهُمْ لِنَدِكَ كَثِيرَةِ الْجِلَلِ، بَعِيدَةً  
 مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ، مُتَفَرِّقَةً الْأَخْيَاءَ، يَغِيْبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنَ الْأُخْرَى،

(أ) ي : اِنَّ هَذَا (ب) مسقط من ظ (ج) ل : فيياض (د) ي : في

كشأن الغرب. ولذلك ما كان عبدُ الملِك يحتاج إلى ساقيةٍ تُخَشِّرُ<sup>(١)</sup> الناس على أثره أن يقيموا إذا ظفَن. ويُقَلُّ أَنَّهُ استعملَ في ذلك الحِجَّاج حين أشار به رُوح ابن زُناح؛ وقَصَّته في إخراج فساطيط زُوح وخيامه لأوّل ولايته حين وَجَدَهُم مُقيمين في يَوْمِ رحيل عبدِ الملِك، قصّةٌ مشهورةٌ. ومن هذه الولاية تُعرَفُ رُثبةُ الحِجَّاج بينَ الغرب؛ فإنّه لا يتولّى إرادَتَهُم على الظَّفَن إلا من يَأْمَنُ بواجر السُّفهاء من 5 أحيائِهِم، بما له من الغصبيّة الحائلة دون ذلك، ولهذا اخْتُصّه عبدُ الملِك بمثل هذه الرُثبة، بقّةِ بَغائِهِ فيها بغصبيّته وصراِمَتِهِ .

فلما تَقَنَّتْ التَّوَلّةُ العربيّة في مذاهب الحضارة والبدخ، وتزلّوا المَدَن والأمنصار، وانتقلوا من سُكنى الجِيا م إلى سُكنى القُصور، ومن ظَهَر الخَف إلى ظَهَر الحافر، اتَّخذوا للسُّكنى في أسفارهم ثياب الكتان، يَسْتَعْمِلُونَ منها بُيُوتًا مُختلفةً 10 الأشكال، مُقدّرة الأُمثال، من القُوراء والمُسْتَطِيلَة والمرمّة، ويَحْتَمِلُونَ فيها بأنْغ مَذهَب الاختِبال والزينة، ويُدير الأميرُ أو القائدُ للعساكِر على فساطيطه وفأزاته من يَتَنهم سِياجًا من الكتان، يُسَمّى في المغرب باللسان الزَبْرِيّ الَّذي هو لسانُ أَهلِهِ: عَافِرَاك<sup>(ب)</sup>، بالكاف الّتي بين الكاف والقاف؛ ويَخْتَصُّ به السُّلطانُ بذلك القُطر لا يكونُ لغيره .

15

وأما في المشرق، فيَتَخَذُهُ كُلُّ أميرٍ / وإن كان دون السُّلطان. ثم جَنَحَت [182ب] الدَّعَةُ بالنِّساء والوِلدان إلى المَقام بِقُصورهم ومَنازِلهم، فَحَفَّ لذلك ظُهُرهم وتَقَارِصَت السَّاحُ بينَ مَنازِل العسكِر، واجْتَمَعَ الجِيشُ والسُّلطان في مُعسكِر واحدٍ، يُخَصِّرُهُ

(١) من ط ج ، وفي ع ل ي : الحُشَر (ب) رسمت في الأصول بنقطة تحت الكاف لتعديد اللفظ بها .

البَصْرَ فِي بَسِيطِهِ زَهْرًا أَيْقًا لاختلاف ألوانه. واستمرَّ الحالُ على ذلك في مذاهب  
الدُّول في بَذْجِهَا وَتَرْفِهَا.

وكذا كانت دُولُ الْمُوحِدِينَ وَرِثَاتُهُ الَّتِي أَظْلَلْنَا. كَانَ سَقَرُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي  
بُيُوتِ سَكَنَانِهِمْ قَبْلَ الْمُلْكِ، مِنَ الْحِيَامِ وَالْقِيَابِطِينَ. حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الدُّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ  
التَّرْفِ وَشَكْنَى الْقُصُورِ، عَادُوا إِلَى اتِّخَاذِ الْأَخْبِيَّةِ وَالْقَسَاطِيطِ، وَبَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ  
5 مَا أَرَادُوهُ، وَهُوَ مِنَ التَّرْفِ بِمَكَانٍ. إِلَّا أَنَّ الْعَسَاكِرَ بِهِ تَصِيرُ غُرُضَةٌ لِلتِّيَاتِ، لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي  
مَكَانٍ وَاحِدٍ تَشْفَلُهُمْ فِيهِ الصَّنِيعَةُ، وَلِحَقِّقَتِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ الَّذِينَ تَكُونُ الْإِسْتِنَاءُ  
دُونَهُمْ، فَيُحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَحْقُظٍ آخَرَ كَمَا نَذَرْنَا. وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ.

### ز. المَقْصُورَةُ لِلصَّلَاةِ، وَالدَّعَاءُ فِي الْخُطْبَةِ

وهما من الأمور الخِلاَفِيَّةِ، وَمِنْ شَارَاتِ الْمُلْكِ الْإِسْلَامِيِّ، وَلَمْ تُعْرَفْ فِي  
10 غَيْرِ دُولِ الْإِسْلَامِ.

فَأَمَّا التَّبَيُّتُ الْمَقْصُورَةُ لَصَلَاةِ السُّلْطَانِ، تَتَّخِذُ سِيَّاحًا عَلَى الْمِخْرَابِ فَتَحْوِزُهُ  
وَمَا يَلِيهِ، فَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ حِينَ طَفَعَتْهُ الْحَارِجِيُّ، وَالْقِصَّةُ  
مَعْرُوفَةٌ. وَقَبْلَ أَوَّلِ مَنْ اتَّخَذَهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ التِّيمَانِيُّ؛ ثُمَّ اتَّخَذَهَا  
15 الْحُلَفَاءُ مِنْ بَغْدَادِهَا، وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَعَيُّنِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ. وَهِيَ  
إِنَّمَا تَتَّخَذُ<sup>(1)</sup> عِنْدَ حُصُولِ التَّرْفِ فِي الدُّولِ وَالْإِسْتِيفَالِ، شَأْنُ أَحْوَالِ الْأُمَمَةِ كُلِّهَا،  
وَمَا زَالَ الشَّأْنُ ذَلِكَ فِي الدُّولِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا؛ وَعِنْدَ افْتِرَاقِ الدُّوْلَةِ الْعُبَيْسِيَّةِ وَتَعَدُّدِ

(1) ع: أَخَذَتْ.

التَّوَلَّ بِالشَّرْقِ، وكذا بالأندلس عند اقراض الدولة الأموية، وتعدَّد مُلوك الطَّوائِف.  
(183) وأما المغرب فكان / بنو الأغلب يتخذونها بالقُيْرُوان، ثم الخلفاء العُبيديُّون، ثم ولَّاهُم  
على المغرب من صنهاجة : بَنُو باديس بالقُيْرُوان، وبَنُو حَمَّادٍ بِالْقَلْعَة .

- ثم مَلَكَ المُوحِّدون سائرَ المغرب والأندلس؛ ومَحَضُوا ذلك الرِّسْمَ على  
طريقةِ البداةِ التي كانت شِعازهم. ولَمَّا اسْتَفْخَلَت الدولة وأخذت بِحَظِّها من  
5 الثَّرَفِ، وجاء يَغْقوبُ المُنْصُورُ ثالثُ مُلُوكِهِم، فَاتَّخَذَ هذه المُنْصُورةَ، وبَقِيَتْ من بَعْدِهِ  
سُنَّةٌ لِمُلُوكِ المغرب والأندلس. وهكذا الشَّأْنُ في سائرِ الدَّوَلِ، سُنَّةُ اللَّهِ في عِبَادِهِ.
- وأما الدُّعاءُ على المنابرِ في الحُطْبَةِ، فكان الشَّأْنُ أَوَّلًا عند الخلفاء ولايةِ  
الصلاة بأنفسِهِم. فكانوا يَدْعُونَ لذلك بَعْدَ الصَّلَاةِ على التَّيِّبِ عليه السلام والرِّضا عن أَصْحَابِهِ.
- 10 \*وَأَوَّلُ من اتَّخَذَ المِنْبَرَ غَمْرُو بنِ العاصِ، لما بَنَى جامعَهُ بِمِصْرَ؛ وَكَبَّ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا  
بَعْدَ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مِنْبَرًا تَرَقَّى بِهِ على رِقَابِ المُسْلِمِينَ، أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ  
تَقُومَ قائمًا والمُسْلِمُونَ تحتَ عَقَبَيْكَ؟! فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ لَمَّا كَسَرْتَهُ\* <sup>(1)</sup>. فلما حَدَّثَتْ  
الأُجْبَةُ، وَحَدَّثَ في الخلفاء المانعُ من الحُطْبَةِ والصَّلَاةِ، واستَنابُوا فِيهَا؛ فكان الخُطيبُ  
يُشِيدُ بِذِكْرِ الخليفةِ على المِنْبَرِ، تَتَوَيْها بِاسْمِهِ، ودَعَاءُ لَهُ بما جَعَلَ اللَّهُ مُضْلِحَةً الْعَالَمِ  
فِيهِ، وَلَأنَّ تلكَ السَّاعَةَ مَظِنَّةٌ لِلْإِجَابَةِ، وَلِما ثَبَّتَ عن السَّلفِ في قَوْلِهِم: من كانَتْ لَهُ  
15 دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعُها في السُّلْطَانِ. \*وَأَوَّلُ من دَعَا للخليفةِ في الحُطْبَةِ ابْنُ عَبَّاسٍ،  
دَعَا لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حُطْبَتِهِ وهو بالبَصْرَةِ عامِلٌ لَهُ عَلَيْها، فَقَالَ: اللَّهُمَّ انْصُرْ  
عَلِيًّا الْحَقُّ. واتَّصَلَ الْعَمَلُ على ذلك فيما بَعْدَ\* <sup>(ب)</sup>، وكان الخليفةُ يُفَرِّدُ بِذلك .

(1) ما بين النجمين حاشية كتبها المؤلف بخطه في جانب النص ع . ونقلها بقية الأصول عدا "ي" (ب) ما بين النجمين حاشية  
من نسخة ع بخط المؤلف . ونقلها الأصول في هذا الموضع ، عدا "ي" التي أوردتها بعد جملة "الرضا عن أصحابه" المتقدمة .

فلما جاء الحجر والاسْتِئْذَانُ، صار الْمُتَغَلِّبُونَ على التَّوَلُّ كَثِيرًا ما يُشَارِكُونَ الخليفةَ في ذلك، ويُشَادُّ بِاسْمِهِمْ عَقِبَ اسْمِهِ، وذهبَ ذلك بذهابِ تِلْكَ التَّوَلُّ، وصارَ الأَمْرُ إلى / اِخْتِصَاصِ السُّلْطَانِ بالدَّعَاءِ لَهُ على المِنْبَرِ دونَ مَنْ سِوَاهُ، وَحُظِرَ [183ب] أن يُشَارِكَهُ فِيهِ أَحَدٌ وَيَنْمُو إِلَيْهِ .

5 وكثيراً ما يُغْفَلُ المَاهِدُونَ من أَهْلِ الدَّوَلِ هذا الرُّسْمُ ، عندما تَكُونُ الدَّوْلَةُ في أَشْلُوبِ الغَضَاضَةِ وَمَنَاحِي البِدَاوَةِ في التَّفَاوُلِ والحَشُونَةِ ، وَيَقْتَعُونَ بالدَّعَاءِ على الإِهْجَامِ والإِجْهَالِ لِمَنْ وَلِيَّ أُمُورِ المُسْلِمِينَ . وَيُسْتَقُونَ مِثْلَ هَذِهِ الحِطْبَةِ إِذَا كَانَتْ على هَذَا المَنْحَى عِبَاسِيَّةً ، يَغْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدَّعَاءَ على الإِجْهَالِ إِنَّمَا يَتَنَالَوُ الْعَبَّاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي ذَلِكَ لِمَا سَلَفَ مِنَ الأَمْرِ ، وَلَا يَحْفَلُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالتَّضَرُّجِ 10 بِاسْمِهِ .

يُحْكِي أَنَّ يَغْفَرَايْنَ بْنَ زَيْتَانَ ، مَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الوَادِ ، لَمَّا غَلَبَهُ الأَمِيرُ أَبُو زَكَرِيَاءَ يَحْيَى بْنُ أَبِي خَفِصٍ على تِلْمِزَانِ ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الأَمْرِ إِلَيْهِ على شُرُوطِ شَرْطِهَا ، كَانَ فِيهَا ذِكْرُ اسْمِهِ على مَنَابِرِ عَمَلِهِ ، فَقَالَ يَغْفَرَايْنَ : تِلْكَ أَغْوَاذُهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا مَنْ شَاؤُوا . وَكَذَلِكَ يَغْفَقُوبُ بْنُ عَبْدِ الحَقِّ مَاهِدَ دَوْلَةِ بَنِي مَرْيَمَ ، 15 حَضَرَهُ رَسُولُ المُسْتَنْصِرِ الخليفةِ بَتُونِسَ مِنْ بَنِي أَبِي خَفِصٍ ، وَثَالِثُ مُلُوكِهِمْ ، وَتَخَلَّفَ بَعْضُ إِيَّامِهِ عَنْ شُهُودِ الحُجَّةِ ، فَقِيلَ لَهُ : لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ لِحُلُوقِ الحِطْبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ ؛ فَأَذِنَ فِي الدَّعَاءِ لَهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَخْذِهِمْ بِذِغْوَتِهِ . وَهَكَذَا شَأْنُ الدَّوَلِ فِي بَدَايِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الغَضَاضَةِ وَالبِدَاوَةِ . فَإِذَا انْتَهَتْ عِيُونُ سِيَاسَتِهِمْ ، وَنَظَرُوا فِي أَغْطَافِ مُلْكِهِمْ ، وَاسْتَتَمُّوا شَيْتَاتِ الحِضَارَةِ وَمَعَانِي البَذْخِ والأَهْمَةِ ، انْتَحَلُوا جَمِيعَ هَذِهِ

السَّماتِ وَتَقْنَتُوا فِيهَا، وَتَجَاوَزُوا<sup>(أ)</sup> إِلَى غَايَتِهَا، وَأَشْفُوا مِنَ الْمَشَارَكَةِ فِيهَا، وَجَزَعُوا مِنْ  
اِفْتِقَادِهَا وَخَلَوْ دَوْلَهُمْ<sup>(ب)</sup> مِنْ آثَارِهَا؛ وَالْعَالَمُ يُنْسَتَانِ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ زَقِيبٌ .

### 37 • فَضْلٌ ، فِي الْحُرُوبِ وَمَذَاهِبِ الْأُمَمِ<sup>(ج)</sup> فِي تَرْبِيَّتِهَا

اعْلَمَنَّ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمَقَاتِلَةِ لَمْ تَزَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيقَةِ مُنْذُ بَرَأَهَا اللَّهُ .  
[184] / وَأَضْلَاهَا إِرَادَةُ الْاِنتِقَامِ<sup>(د)</sup> بَعْضُ الْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ ، وَيتَغَضَّبُ لِكُلِّ مِنْهَا أَهْلُ غَضَبِيَّتِهِ . 5  
فَإِذَا تَذَامَرُوا لِذَلِكَ وَتَوَاقَفَتِ الطَّائِفَتَانِ ، إِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ الْاِنتِقَامَ ، وَالْأُخْرَى تُدَافِعُ ،  
كَانَتِ الْحَرْبُ . وَهُوَ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ ، لَا تَخْلُو عَنْهُ أُمَّةٌ وَلَا جِيلٌ .

وَسَبَبُ هَذَا الْاِنتِقَامِ فِي الْأَكْثَرِ ، إِمَّا غَيْرَةٌ وَمُنَافَسَةٌ ؛ وَإِمَّا غُدُونٌ ؛ وَإِمَّا  
غَضَبٌ لِلَّهِ وَلِدِينِهِ ؛ وَإِمَّا غَضَبٌ لِلْمَلِكِ وَسَعْيٍ فِي تَهْيِيدِهِ . فَالْأَوَّلُ ، أَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ  
الْقَبَائِلِ الْمُتَجَاوِزَةِ وَالْعَشَائِرِ الْمُتَنَاطِرَةِ ؛ وَالتَّانِي ، وَهُوَ الْغُدُونُ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأُمَمِ 10  
الْوَحْشِيَّةِ السَّاكِنِينَ بِالْفَقْرِ ، كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكِ وَالتُّرْكَانِ وَالْأَكْرَادِ وَأَشْبَاهِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا  
أَرْزَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ ، وَمَعَاشَهُمْ فِيمَا بَأْيَدِي غَيْرِهِمْ ، وَمَنْ دَافَعَهُمْ عَنْ مَتَاعِهِ آذَنُوهُ  
بِالْحَرْبِ ، وَلَا بُنْيَتَهُ لَهُمْ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رُزْيَةٍ وَلَا مُلْكٍ ، وَإِنَّمَا هُمُومُهُمْ وَنُصْبُ أَغْيَبِهِمْ  
غَلَبُ النَّاسِ عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ ؛ وَالتَّالِثُ ، هُوَ الْمُسْتَمْسِكُ فِي الشَّرِيعَةِ بِالْجِهَادِ ؛ وَالتَّرَابُغُ 15  
هِيَ حُرُوبُ التَّوَلَّى مَعَ الْخَارِجِينَ عَلَيْهَا وَالْمَانِعِينَ لَطَاعَتِهَا .

(أ) مِنْ ع ل ج ي ، وَفِي ظ : وَتَجَاوَزُوا (ب) ل : دَوْلَتِهِمْ (ج) ل : النَّاسِ (د) كَذَا فِي ع ي ل ظ ، وَفِي ج : إِرَادَةُ الْاِنتِقَامِ مِنْ بَعْضٍ .

فهذه أربعة أضناف من الحروب؛ الصنفان الأولان منها، حروب بُغْي وفِتْنَةٍ؛ والصنفان الأخيران، حروبٌ جِهَادٍ وَغَدَلٍ .

وصِفَةُ الحُرُوبِ الواقِعَةِ بَيْنَ أَهْلِ الحَقِيقَةِ مُنْذُ أَوَّلِ وُجُودِهِمْ، عَلَى تَوَعُّنٍ،  
نوعٌ بِالرَّخْفِ صُفُوفًا؛ ونوعٌ بِالكَرِّ والفَرِّ. فَأَمَّا الَّذِي بِالرَّخْفِ، فَهُوَ قِتَالُ الْعَجَمِ كُلِّهِمْ  
5 عَلَى ثَعَائِبِ أَجْيَالِهِمْ . وَأَمَّا الَّذِي بِالكَرِّ والفَرِّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ وَالبَزِيرِ مِنْ أَهْلِ  
المَغْرِبِ .

وَقِتَالُ الرَّخْفِ أَوْثَقُّ وَأَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكَرِّ والفَرِّ. وَذَلِكَ أَنَّ قِتَالَ الرَّخْفِ  
تُرْتَبُ فِيهِ الصُّفُوفُ وتُسَوَّى كَمَا تُسَوَّى الْقِدَاحُ أَوْ صُفُوفُ الصَّلَاةِ، وَيَقْسَمُونَ  
بِصُفُوفِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ قُدَمًا. فَذَلِكَ أَثَبَّتُ عِنْدَ الْمِصَاعِ، وَأَصْدَقُ فِي الْقِتَالِ، وَأَزْهَبُ  
10 لِلْعَدُوِّ؛ لِأَنَّهُ كَالْحَائِطِ الْمَمْتَدِّ / وَالْقَصْرِ الْمَشِيدِ، لَا يُطْمَعُ فِي إِزَالَتِهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ : (184ب)  
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ﴾ [سورة  
الصف، الآية 4]. أَيْ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ <sup>(1)</sup>: "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ  
كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا". وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ جُكْمُهُ إِجْبَابُ الثَّبَاتِ وَتَحْرِيمُ التَّوَلَّى  
فِي الرَّخْفِ؛ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ بِالصَّفِّ فِي الْقِتَالِ حِفْظُ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا، فَمَنْ وَلَّى الْعَدُوَّ  
15 ظَهَرَهُ فَقَدْ أَخْلَى بِالْمَصَافِ، وَبَاءَ بِإِثْمِ الْهَزِيمَةِ، كَأَنَّهُ جَزَّهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَمَكَّنَ مِنْهُمْ  
عَدُوَّهُمْ؛ فَعَظُمَ الذَّنْبُ لِعُمُومِ الْمُفْسَدَةِ، وَتَعَدَّيَا إِلَى الدِّينِ بِخَرْقِ سِيَاجِهِ؛ فَعَدَّ مِنْ  
الْكِبَايِرِ. وَيُظْهَرُ مِنْ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ أَنَّ قِتَالَ الرَّخْفِ آثَرٌ عِنْدَ الشَّارِعِ .

(1) هُوَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ. الْبُخَارِيُّ فِي الصَّلَاةِ 1: 129 (481) ، وَفِي الْمَظَالِمِ 3:

169 (2446)، وَفِي الْأَدَبِ 8: 14 (6026)، وَمُسْلِمٌ فِي الْأَدَبِ (2585) .



وأما قتال الكَرّ والقرّ، فليس فيه من الشدّة والأمن من الهزيمة ما في قتال الرّخف. إلّا أنّهم قد يتخذون وزراءهم في القتال مصافاً ثابتاً يلجأون إليه في الكَرّ والقرّ، ويقوم لهم مقام قتال الرّخف، كما نذكره بعد.

ثم إنّ الدول القديمة، الكثيرة الجنود، المتسعة الممالك، كانوا يُسمّون الجيوش والعساكر أقساماً، لأنّه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة، وخشروا من قاصية التواحي، استدعى ذلك أن يجهل بعضهم بعضاً إذا اختلطوا في مجال الحزب، واغتنزوا مع عدوّهم الطغف والضرب، فيخشى من توافقيهم فيما بينهم لأجل الكثرة والجهل بعضهم ببعض. فلذلك كانوا يُسمّون العساكر جموعاً مجموعاً، ويضمّون المتعارفين بعضهم إلى بعض، ويترتبونها قريباً من الترتيب الطبيعي في الجهات الأربع، ورئيس العساكر كلّها من سلطان أو قائد في القلب؛ ويسمّون هذا الترتيب التبعيّة، وهو مذكور في أخبار فارس والروم والتولّتين ضدّ الإسلام. فيجعلون بين يدي الملك عسكرياً منفرداً بصفوفه، مُتميّزاً بقائده وزيّته، يُسمّونه المقدّمة؛ ثم / عسكرياً آخر من ناحية اليمين عن موقف الملك يُسمّونه الميّمنة؛ ثم عسكرياً آخر من ناحية الشمال يُسمّونه الميسرة؛ ثم آخر من وراء العساكر يُسمّونه الساقة؛ ويقف الملك وأصحابه في الوسط بين هذه الأربع، ويسمّون موقفه القلب. فإذا تمّ لهم هذا الترتيب المُحكّم، إمّا في مدى واحد للبصر، أو على مسافة بعيدة، أكثرها اليوم واليوّمان بين كلّ عسكريين منها، أو كيفما أعطاه حال العساكر في القبلة والكثرة، حينئذ يكون الرّخف من بعد هذه التبعيّة.

واظنّ ذلك في أخبار الفتوح وأخبار التولّتين، وكيف كانت العساكر لعهد عبد الملك تتخلّف عن رحيله لبعد المدى في التبعيّة، فاختيج إلى من يسوقها

من خلفه، وعين لذلك الحجاج بن يوسف كما أشرنا إليه، وكما هو معروف في أخباره. وكان في التولية الأموية بالأندلس أيضاً كثير منه، وهو مجهول فيما لدينا، لأننا إنما أذكرنا دولاً قليلة القساكر لا تنتهي في مجال الحرب إلى التناكر، بل أكثر الجيوش من الصائفتين معا تجتمعهم لدينا جلة أو مدينة، ويعرف كل واحد منهم قريته، ويناديه في خومة الحزب باسمه ولقبه، فاستغني عن تلك التعبئة . 5

## 1. فصل:

ومن مذاهب أهل الكر والفر في الحروب، ضرب المضاف وراء عساكرهم من الجمادات والحيوانات العجم، فيتخذونها ملجأاً للختالة في كرمهم وفرهم، يطلبون به ثبات المقاتلة<sup>(1)</sup> ليكون أذوم للحزب وأقرب إلى القلب. وقد يفعل أهل الرخف أيضاً ليزيدهم ثباتاً وشدة . 10

فقد كان الفرس، وهم أهل الرخف، يتخذون الفيلة في الحروب، ويحملون عليها أبراجاً من الخشب أمثال الصروح، مشحونة بالمقاتلة والسلاح والزابات، ويصفونها وراءهم في خومة الحزب كأنها حصون، فتسوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم. وانظر / ما وقع من ذلك في القادسية، وأن فارس في اليوم الثالث [185] اشتدوا بهم على المسلمين، حتى اشتدت رجالات من القرب فتحاطوها وتحوها 15 بالسيوف على خراطيمها<sup>(ب)</sup>، فتقرت وكصت على أعقابها إلى مرابطها بالمداين، فحقت معسكر فارس لذلك، وانتهزوا في اليوم الرابع .

(1) كذا في ظ. وفي ل ع : المقاتلة، وكبت ملة في ي ج (ب) ل : خراطيمها وهو الأصح .

وأما الرُّومَ ومُلوك القُوط بالأندلس ، بَلْ وَأَكْثَرُ الْعَجَمِ ، فَكَانُوا يَتَّخِذُونَ  
لِذَلِكَ الْأَيْرَةَ ، يَنْصَبُونَ لِلْمَلِكِ سَرِيرَهُ فِي حُومَةِ الْحَرْبِ ، وَيَخْفُ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ  
وَحَاشِيَتَيْهِ وَجُنُودِهِ مِنْ هُوَ زَعِمَ بِالِاسْتِخَاةِ دُونَهُ ، وَتُرْفَعُ الرِّبَايَاتُ فِي أَزْكَانِ السَّرِيرِ ،  
وَيُحْدِثُ بِهِ سِيَاحَ آخَرٍ مِنَ الرِّمَاءِ وَالرَّجَالَةِ ، فَيَنْعَظُمُ هَيْكَلُ السَّرِيرِ ، وَيَصِيرُ فِتْنَةً  
لِلْمُقَاتِلَةِ ، وَمَلْجَأٌ لِلْكَثَرِ وَالْفَرِّ . وَقَعَلَ ذَلِكَ الْفُرْسُ أَيَّامَ الْقَادِسِيَّةِ ، وَكَانَ رُسُومُ جَالِسِ 5  
فِيهَا عَلَى سَرِيرٍ نَصَبَهُ لِحُلُوسِهِ ، حَتَّى اخْتَلَتْ صَفُوفُ فَارِسَ وَخَالَطَهُ الْعَرَبُ فِي  
سَرِيرِهِ ذَلِكَ ، فَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْفُرَاتِ ، وَقُتِلَ .

وأما أهل الكَرِّ والْفَرِّ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَكْثَرُ الْأُمَمِ الْبَدَوِيَّةِ الرِّحَالَةَ ، فَيَصُفُّونَ  
لِذَلِكَ إِبِلَهُمُ وَالظُّهْرَ الَّذِي يَحْمِلُ طَلْعَاتِهِمْ ، فَيَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ ، وَيُسَمُّونَهُ الْمَجْبُودَةَ .  
وَلَيْسَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا وَهِيَ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي حُرُوبِهَا ، وَغَرَاهُ أَوْثَقُ [مِنْ] 10  
الْخَوَلَةِ ، وَأَمِنْ مِنَ الْغَزَةِ وَالْهَزِيمَةِ . وَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ .

وَقَدْ أَغْفَلَنَاهُ الدُّوَلُ لِعَهْدِنَا بِالْجُمْلَةِ ، وَاجْتَنَاضُوا عَنْهُ بِالظُّهْرِ الْحَامِلِ لِلْأَثْمَالِ  
وَالْفَسَاطِيطِ ، يَجْعَلُونَهَا سَاقَةً مِنْ خَلْفِهِمْ ؛ وَلَا تُغْنِي عَنْهَا الْفَيْتَةُ وَالْإِبِلُ ، فَصَارَتْ  
الْعَسَاكِرُ بِذَلِكَ غُرْضَةً لِلْهَزَائِمِ ، مُسْتَشْعِرَةً لِلْفِرَارِ فِي الْمَوَاقِفِ .  
وَكَانَ الْحَرْبُ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ كُلِّهِ رَخْفًا . وَإِنْ كَانَ الْعَرَبُ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْكَثْرَ 15  
وَالْفَرَّ ؛ لَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا ، أَنَّ عَدُوَّهُمْ كَانُوا يَقَاتِلُونَ  
رَخْفًا ، فَيُضْطَرُّونَ إِلَى مُقَابَلَتِهِمْ بِمِثْلِ قِتَالِهِمْ ؛ الثَّانِي ، / أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَشْمِتِينَ فِي جِهَادِهِمْ  
لِمَا رَغِبُوا فِيهِ مِنَ الصَّبْرِ ، وَلَمَّا رَسَخَ فِيهِمُ مِنَ الْإِيمَانِ ؛ وَالرَّخْفُ إِلَى الْاسْتِخَاةِ أَقْرَبُ .

(1) ظ : في .

وأول من أبطل الصف في الحزب وصار إلى التفتنة كراديس، مزوان بن الحكم، في قتال الضحاك الخارجي والختيري بنده . قال الطبري<sup>(1)</sup> لما ذكر قتل الختيري : فولى الخوارج عليهم شينان بن عبد العزيز الشكري، ويلقب أبا الذلقاء؛ وقاتلهم مزوان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصف من يومئذ . انتهى . فتتوسى 5 قتال الرخف بإنطال الصف ، ثم توسى الصف وراء المقاتلة بما داخل الدول من الترف، وذلك أنها حينما كانت بدوية وسكناهم الحيام، كانوا يستكثرون من الإبل وسكنى النساء والولدان معهم في الأخياء؛ فلما حصلوا على ترف الملك وألفوا سكنى القصور والحواضر، وتركوا شأن البادية والفقر، نسوا لذلك عهد الإبل والطعائن، وضعب عليهم اتخاذها، فخلفوا النساء في الأسفار، وحملهم الملك والترف 10 على اتخاذ الفساطيط والأخبية، فاقصروا على الظهر الحامل للأثقال والأبنية، وكان ذلك صفهم في الحزب، ولا يعني كل الغناء، لأنه لا يدعو إلى الاستئانة كما يدعو إليها الأهل والمال؛ فيخف الصبر من أجل ذلك، وتفرقهم الهبات وتخرم صفوفهم .

## 2. فصل :

ولما ذكرناه من ضرب المضاف وراء القنسكر، وتأكيده في قتال الكر والفر، صار ملوك المغرب يستخدمون طوائف من الفزنج في جندهم، واخضعوا 15 بذلك، لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر. والسلطان يتأكد في حقه ضرب المضاف ليكون رذءاً للمقاتلة أمامه، فلا بد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم

(1) تاريخ الرسل والملوك 7 : 347 .

[186ب] / السُّلْطَانُ والعُسْكَرُ بِأَنْحِفَالِهِمْ؛ فَاخْتِاجُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا<sup>(أ)</sup> مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُغَوَّدَةِ الثَّبَاتِ فِي الرَّخْفِ، وَهُمْ الْإِفْرَنْجُ، وَيُرْتَبُونَ مَصَافَهُمُ الْمُخَدَّقُ بِهِمْ مِنْهَا؛ هَذَا عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعَانَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ؛ وَإِنَّمَا اسْتَحَقُّوا<sup>(ب)</sup> ذَلِكَ لِلضَّرُورَةِ الَّتِي أَرَيْنَاهَا مِنْ تَخَوُّفِ الْأَنْحِفَالِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانِ. وَالْفِرَنْجُ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ الثَّبَاتِ 5 فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ عَادَتُهُمْ فِي الْقِتَالِ الرَّخْفُ، فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ. مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ إِنَّمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ<sup>(ج)</sup> مَعَ أُمَمِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ وَقِتَالِهِمْ عَلَى الطَّلَاعَةِ؛ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ، فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ، حَذَرًا<sup>(د)</sup> مِنْ مُهْلَاثِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ؛ وَقَدْ أَبْذَيْنَا سَبَبَهُ. ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 282] .

### 3. فَضْلٌ<sup>(هـ)</sup> :

وَيَتَلَفَعْنَا عَنْ أَمْرِ التَّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ قِتَالَهُمْ مُنَاضِلَةً بِالسَّهَامِ، وَ<sup>(د)</sup> أَنْ تَغِيثَةَ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ، وَأَنَّهُمْ يَقْسِمُونَ عُسْكَرَهُمْ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ ، يَصْرِفُونَ صَفًّا وَرَاءَ صَفٍّ، وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خُيُوهِمَ ، وَيُفْرَعُونَ<sup>(ز)</sup> سِيَاهِهِمْ<sup>(ز)</sup> بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَتَنَاصَلُونَ

(أ) سقط من ل (ب) ل : استحقوا (ج) من هنا إلى ثلثي "فصل في اقسام القولة الواحدة بذولتين" سقط من أصل نسخة ع، ومقداره نحو كراسة واستكمل بخط دقيق نسخي متأخر، ونشير إلى نهاية هذا الترميم في مكانه من الفصل المذكور. وهذا الجزء المستكمل كثير الخطأ والتعريف لذلك توقفتنا عن اعتماده في المقابلة . للجهل بالمصدر الذي نقل عنه . وآخر الورقة التي يبدأ بعدها الشطط المُشْتَكِلُ فيها بعدد . كتب مالك النسخة "من ها هنا نقصت كراسة، فترجو من الله أن يعيدها ببينها" ونسى أفندي مرحومك خط (د) في ي ل : خشيته (هـ) سقط نص هذا الفصل من ي (و) سقط حرف العطف من ل (ز) كذا في ل ط، وفي ج: ويتكون كتابهم .

جُلوساً، وكلُّ صَفٍّ رِذْءٌ لِلَّذِي أَمَامَهُ أَنْ يَكْبَسَهُمُ الْعَدُوُّ، إِلَى أَنْ يَتَهَيَّأَ التَّصَرُّ لِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ عَلَى الْأُخْرَى؛ وَهِيَ تَعْنِيَةُ مُحْكَمَةٍ غَرِيبَةٍ .

#### 4. فَضْلٌ :

- وكان من مذاهب الأول في خروجهم، خَفَرُ الخَنَاقِ عَلَى مُعَسْكَرِهِمْ عِنْدَمَا 5  
يَتَقَارَبُونَ لِلرَّخْفِ ، حَذَرًا مِنْ مَعَرَّةِ الْبَيَاتِ وَالْهُجُومِ عَلَى الْمُعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ ، لِمَا فِي طَلَمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مُضَاعَفَةِ الْخَوْفِ ، فَتَلَوْدُ الْجِيُوشِ بِالْفِرَارِ ، وَتَجِدُّ التَّقْوَسِ فِي الظُّلْمَةِ سِتْرًا مِنْ عَارِهِ ، فَإِذَا تَسَاوَوْا فِي ذَلِكَ أَرْجَفَ الْمُعَسْكَرُ وَوَقَعَتِ الْهَزِيمَةُ .  
فَكَانُوا لِنَظَرِ الْخَنَاقِ عَلَى مُعَسْكَرِهِمْ إِذَا نَزَلُوا وَضَرَبُوا أُنْبِيَتَهُمْ ، وَيُدِيرُونَ /  
[1187] الْحَفَائِزَ نِطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ، جِضْنًا أَنْ يُجَالِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْبَيَاتِ فَيَسْتَخَازِلُوا .  
10 وَكَانَتْ لِلدَّوَلِ فِي أُمْتَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَلَيْهِ اقْتِدَارٌ ، بِاخْتِشَادِ الرِّجْلِ وَجَمْعِ الْأَيْدِي عَلَيْهِ  
فِي كُلِّ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ ، بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْغُفْرَانِ وَضَخَامَةِ الْمُلْكِ . فَلَمَّا  
خَرِبَ الْغُفْرَانُ وَتَبَعَهُ ضَعْفُ الدَّوَلِ وَقَلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ الْقَعْلَةِ ، نُسِيَ هَذَا الشَّأْنُ جُمْلَةً  
كَأَنَّهُ <sup>(1)</sup> لَمْ يَكُنْ . وَاللَّهُ خَيْرُ الْقَادِرِينَ .

- وَانْظُرْ فِي وَصِيَّةِ عَلِيٍّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَتَحْرِيزِهِ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صِفِّينَ ، تَجِدُ 15  
كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ .

قال في كلام له: فسوُّوا صفوفكم كالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ ، وَقَدِّمُوا الدَّارِيعَ  
وَأَخْرُوا الْحَابِسَ ، وَغَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ؛ فَإِنَّهُ أَثْبَتُ لِلسَّيُوفِ عَنِ الْهَامِ . وَأَلْتَأَوْا فِي

(1) لَمْ يَكُنْ :

أطراف الزماح؛ فإنه أضوُّن للأبسة. وعَضُوا الأبصار؛ فإنه أَرْنَطُ للجأش وأشكن للقلوب. وأَمِيتُوا الأصوات، فإنه أطرْدُ للفشل وأوْلَى بالزقا. وزاياتكم فلا تُمِيلوها ولا تُزِيلوها ولا تُجْعَلوها إلا بأيدي شُجْعانكم. واشتَعِنُوا بالصدق والصبر؛ فإنه بقْدَر الصبر يُنزل النصر.

5 وقال الأشترُ يَوْمَئِذٍ يُحَرِّضُ الْأَرْدَ : عَضُّوا على التواجد من الأضراس ، واستقبلوا القومَ بهامِك، وشُدُّوا شَدَّةَ قومٍ مُؤْتورين، يَنَارُونَ بِأَبَائِهِمْ وإخوانهم جنافًا على عَدُوِّهِمْ؛ و<sup>(١)</sup> قد وَطَّنُوا على المَوْتِ أنفسهم كيلا يُسَبِّقُوا بوثر، ولا يُلْحَقُهُمْ في الدُّنْيَا عَارٌ .

وقد أشار إلى كثيرٍ من ذلك أبو بكر الصِّيرَفي<sup>(١)</sup>، شاعرٌ لفتونة وأهل الأندلس، في كلمةٍ يَدْفَحُ فيها تاشفين بن علي بن يوسف، ويَصِفُ ثباته في حَزْبٍ شهداها، ويذكره بأمر الحزب في وصايا وتحذيراتٍ تُنبِّهك على مَعْرِفَةِ كثيرٍ من سياسة الحزب، يقول فيها: [من الكامل]

[187] / يا أَيُّهَا الْمَسْلُومُ الَّذِي يَتَّقَنُّعُ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْهَامُّ الْأَزْوَغُ  
ومن الَّذِي غَدَرَ الْقَدُوَّ بِهِ دُجَى فَانْقَضَ كُلُّ وَهُوَ لَا يَتَضَعُّعُ<sup>(ب)</sup>  
تَقْضِي الْفَوَارِسُ وَالطَّلْعَانُ يَضُدُّهَا عَنْهُ، وَيُذْمِرُهَا<sup>(ج)</sup> الْوَفَاءُ فَتَرْجِعُ  
واللَّيْلُ مِنْ وَضْعِ التَّرَائِكِ إِنَّهُ<sup>(د)</sup> صُنِجَ عَلَى هَامِ الْجِيُوشِ<sup>(هـ)</sup> مُلَمَّعُ

(١) سقط حرف العطف من ل (ب) الإحاطة: يترعرع (ج) الإحاطة: يجرها (د) الإحاطة: والطنيا (هـ) الإحاطة: .. على هام الكلمة مع .

(١) يحيى بن محمد الأنصاري، شاعر مؤرخ، غرناطي. ترجمته والقصيدة بكاملها في الإحاطة للسان الدين ابن الخطيب 4 : 407 - 415 .

أَنْتَى فَرَعْتُمْ<sup>(أ)</sup> يَا بَنِي صِنْهَاجَةَ  
وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَاشِيفِينَ وَإِنَّهُ  
إِنْسَانٌ عَنِينٌ لَمْ يَصْنَعْ<sup>(ب)</sup> مِنْكُمْ  
مَا أَنْتُمْ إِلَّا أَسْوَدُ خَفِيَّةٍ<sup>(ج)</sup>  
يَا تَاشِيفِينَ أَقِمِ لَجِيْشَكَ عُذْرَهُ  
وَالنِّيْكَمُ فِي الرُّوْعِ كَانَ الْمَفْرَعُ  
لِعِقَابِهِ لَوْ شَاءَ [فِيكُمْ]<sup>(د)</sup> مُوَضِّعٌ<sup>(هـ)</sup>  
جَفْنٌ ، وَقَلْبٌ أَسْلَمَتْهُ الْأَصْلَعُ  
كُلُّ بَكْلٍ<sup>(و)</sup> كَرِهَةٌ مُسْتَظْلِعٌ<sup>(ز)</sup>  
بِاللَّيْلِ<sup>(ح)</sup> وَالْقَدَرِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ

5

ومنها في سياسة الحزب :

أَهْدِيكَ مِنْ أَدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ<sup>(ط)</sup>  
لَا أَتْنِي أَذْرَى [بِهَا]<sup>(ي)</sup> ، لَكِبَهَا  
الْبُشْ مِنْ الْحَلِيقِ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي  
وَالْهَنْدَوَانِيُّ الرَّقِيقُ فَإِنَّهُ  
وَأَزَكَّبَ مِنْ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةً  
خَنْدِيقَ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبْتَ مَحَلَّةً  
وَالْوَادُ لَا تَغْبِرُهُ وَانْزِلْ عِنْدَهُ  
وَاجْعَلْ مُنَاجَزَةَ الْجِيُوشِ عَدِيشَةً  
كَانَتْ مُلُوكُ الْفُرْسِ قَبْلَكَ تُولَعُ  
ذَكَرَى تَحْضُ<sup>(ك)</sup> الْمُؤْمِنِينَ وَتَقْفَعُ  
وَصَّى بِهَا صَنْعَ الصَّنَائِعِ<sup>(ل)</sup> تَبْعُ<sup>(م)</sup>  
أَمْضَى عَلَى حَدِّ الدَّلَاصِ وَأَقْطَعُ  
جِصْنًا حَصِينًا لَيْسَ فِيهِ مَدْفَعٌ<sup>(ن)</sup>  
سَيِّئَانِ تَتَّبِعُ ظَافِرًا أَوْ تَتَّبَعُ  
بَيْنَ الْعُدُوِّ وَبَيْنَ جَيْشِكَ يَقْطَعُ<sup>(س)</sup>  
وَوَرَاءَكَ الصَّدْفُ الَّذِي هُوَ أَمْنَعُ

10

(أ) الإحاطة: قرعتم (ب) ط: منكم (ج) سقط البيت من الإحاطة (د) الإحاطة: يعينه (هـ) الإحاطة: خفية (و) الإحاطة: لكل (ز) ج ي: مستطلع (ح) الإحاطة: فالليل (ط) الإحاطة: أهديك من أدب الوعى جكأ بها (ي) سقط من ط (ك) ل ي: تحض (ل) الإحاطة: السوايع (م) سقط البيت من الإحاطة (ن) سقط البيت من الإحاطة. وفي ل: سقط .

(1) ينظر إلى قول أبي ذؤيب الهذلي (الديوان 172، المجالس والمساربات 160، المعاني الكبير 1039):

وعليها مشرودتان قضاها داود أو صنع السوايق بُعِثَ



وَإِذَا تَصَايَعَتِ الْجِيُوشُ <sup>(١)</sup> بِمَعْرِكَ ضَنْكِ ، فَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ تُوسِّعُ  
وَاصْطَدْمُهُ أَوَّلُ وَهْلَةٍ <sup>(ب)</sup> لَا تَكْثُرُ <sup>(ج)</sup> شَيْئًا فَاظْهَارُ الثُّكُولِ <sup>(د)</sup> يُضْنَعُ  
وَاجْعَلْ مِنَ الطَّلَاعِ أَهْلَ شَهَامَةٍ الصَّدُوقُ فِيهِمْ شَيْمَةٌ لَا تَخْذَعُ <sup>(هـ)</sup>  
لَا تَسْمَعُ الْكَذَابَ جَاءَكَ مُزْجَفًا <sup>(د)</sup> لَا رَأْيِي لِلْمَكْدُوبِ <sup>(د)</sup> فِيمَا يَضْنَعُ

[i188] / وقوله: واصْطَدْمُهُ أَوَّلُ وَهْلَةٍ لَا تَكْثُرُ، البتة، مُخَالِفٌ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ 5

فِي أَمْرِ الْحَزْبِ؛ فَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ التَّمِيزِ لَمَّا وَلَّاهُ خَزْبَ فَارِسَ  
وَالْعِرَاقَ، فَقَالَ لَهُ <sup>(١)</sup>: اسْمَعْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَشْرِكْهُمْ فِي الْأَمْرِ، وَلَا تُجَبِّئْ  
مُسْرَعًا حَتَّى تَتَبَّنَ، فَإِنَّهَا الْحَزْبُ، وَلَا يَضْلُحْ لَهَا إِلَّا الزَّجْلُ الْمَكِيثُ الَّذِي يَعْرِفُ  
الْفُرْضَةَ وَالْكَفَّ. وَقَالَ لَهُ فِي أُخْرَى: إِنَّهُ لَمْ يَتَغَيَّنْ أَنْ أَوْمَرَ سَلِيطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي  
الْحَزْبِ. وَفِي التَّسْرُوعِ فِي الْحَزْبِ - إِلَّا عَنِ بَيَانٍ - ضَيَاعٌ، وَاللَّهُ لَوْ لَا ذَلِكَ لِأَمْرَتِهِ. لَكِنْ 10  
الْحَزْبُ لَا يَضْلُحُهَا إِلَّا الْمَكِيثُ. هَذَا كَلَامُ عُمَرَ؛ وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنَّ التَّنَاقُلَ فِي الْحَزْبِ  
أَوَّلَى مِنَ الْخُفُوفِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَزْبِ. وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَ الضَّرِفِيُّ؛ إِلَّا  
أَنْ يُرِيدَ أَنَّ الصَّدْمَ بَعْدَ الْبَيَانِ، فَلَهُ وَجْهٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

## 5. فَضْلٌ :

وَلَا وَتَوْقٌ فِي الْحَزْبِ بِالطَّفَرِ، وَإِنْ حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدِيدِ؛ 15  
وَأَمَّا الطَّفَرُ فِيهَا وَالْعَلَبُ مِنْ قَبِيلِ الْبُخْتِ وَالْإِتْقَانِ؛ وَبَيَانُ ذَلِكَ: أَنَّ أَسْبَابَ

(١) الإحاطة: وإذا تكلمت الرجال (ب) ل: مرة (ج) الإحاطة: لا تردغ (د) الإحاطة: بعد القدم فالتكول (هـ) ... هذا  
البيت من الإحاطة (و) الإحاطة: وتوق من كذب الطلائع إنه (ز) كنا في الأصل، وفي النسخ: ليس لمكدوب رأي (اللسان).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك 3: 445.

القلب في الأكثر مُجتمعة من أمور ظاهرة، وهي: الجيوش ووفورها، وكمال الأسلحة واستجاذبها، وكثرة الشجعان، وترتيب المصاف، وصدق القتال، وما جرى مغمري ذلك ومن أمور خفية، وهي: إما من حيل البشر وخدعهم في الإزفاف والتشايخ التي<sup>(1)</sup> يقع بها التخذيّل، وفي التقدّم إلى الأماكن المنيعة، ليكون الحرب من عليّ، فيتوهم المنخفض لذلك ويتخاذل، وفي الكون في الفياض ومطعميّ الأرض، والتواري بالكدي عن العدو حتى تبدو لهم العساكر دفعة وقد توزّطوا، فيتلفتون إلى التجارة، وأمثال ذلك .

وإما أن تكون تلك الأسباب الحفّية أموراً سبأوية، / لا فُدرة للبشر على أكسبائها، تُلقى في الثلوب، فيستولي الرهب عليهم من أجلها، فتختل مراكزهم وتقع الهزيمة. وأكثر ما تقع الهزائم عن هذه الأسباب الحفّية، لكثرة ما يقتل كل واحد من الفريقين فيها حرصاً على القلب، فلا بدّ من وقوع التأثير في ذلك لأحدهما ضرورة. ولذلك قال ﷺ<sup>(1)</sup>: "الحرب خدعة". ومن أمثال العرب<sup>(2)</sup>: رُبّ جيلة أنفع من قبيلة.

فقد تبين أنّ وقوع القلب في الحروب غالباً عن أسباب خفية غير ظاهرة، ووقوع الأشياء عن الأسباب الحفّية وهو معنى البُحث كما تقرر في موضعه. فاعتبره، وتفهم من وقوع القلب عن الأمور السبأوية - كما شرّخناه - معنى

(1) ي ل ج : الذي .

(1) البخاري 4: 77 حديث (3028)، مسلم (1739) من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري. ثروى خدعة

بضم الحاء وفتحها، والفتح أفصح .

(2) الحسن البوسي: زهر الأم 3: 73 .

قوله ﷺ<sup>(1)</sup>: "نُصِرْتُ بِالرُّغْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ". وما وقع من غلبه للمُشركين في حياته بالقصد القليل، وغلبَ المُسلمين إِيَّاهم بغدَه كذلك في الفُتوحات . فإنَّ الله سُبْحَانَهُ وتعالى تَكَلَّلَ لِنَبِيِّهِ بِالْفَاءِ الرُّغْبِ في قُلُوبِ الكافرين، حَتَّى يَسْتَوِي على قُلُوبِهِمْ فيَنهَرُموا، معجزةً لرسوله ﷺ؛ فكان الرُّغْبُ في القُلُوبِ سَبَبًا للهِزَامِ في الفُتوحات الإسلامية كُلِّهَا؛ إِلَّا أَنَّهُ خَفِيَ عن العيون .

5

وقد ذَكَرَ<sup>(1)</sup> الطُّرْطُوشِيُّ<sup>(2)</sup> : أَنَّ مِنْ أَشْبَابِ القَلْبِ في الحُرُوبِ، أَنْ تَقْضَلَ عِدَّةُ الفُرْسَانِ المَشَاهِيرِ مِنَ الشُّجْعَانِ في أَحَدِ الجَانِبَيْنِ على عِدَّتِهِمْ في الجَانِبِ الآخر؛ مثل أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الجَانِبَيْنِ فِيهِ عَشْرَةٌ أو عِشْرُونَ مِنَ الشُّجْعَانِ المَشَاهِيرِ، وفي الجَانِبِ الآخر ثَمَانِيَّةٌ أو سِتَّةٌ عَشَرَ، فَالجَانِبُ الزَّائِدُ ولو بِوَاحِدٍ يَكُونُ لَهُ القَلْبُ؛ وَأَعَادَ في ذَلِكَ وَأَبْدَى؛ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي قَدَّمْنَا؛ وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ 10 وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ الْمُغْتَرِّبُ فِي القَلْبِ، حَالُ الغَضَبَةِ أَنْ يَكُونَ في إِحْدَى الجَانِبَيْنِ غَضَبِيَّةٌ / واحدةٌ جَامِعَةٌ لَكُلِّهِمْ، وفي الجَانِبِ الآخرِ عَصَائِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ، والجَانِبَانِ مَعًا مُتَقَارِبَانِ في الْعِدَّةِ ، فَإِنَّ الجَانِبَ الَّذِي غَضَبِيَّتُهُ وَاحِدَةٌ أَقْوَى وَأَغْلَبُ مِنَ الجَانِبِ الَّذِي هُوَ عَصَائِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، لِأَنَّ الغَضَائِبَ إِذَا كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً يَقَعُ بَيْنَهَا مِنَ التَّخَاذُلِ مَا يَقَعُ في 15 الْوُخْدَانِ الْمُفْتَرِقِينَ الْفَائِدِينَ لِلْغَضَبِيَّةِ، إِذْ تَنَزَّلُ كُلُّ عَصَابَةٍ مِنْهُمْ مَنَزَلَةً الْوَاحِدِ، وَيَكُونُ

(1) في ظ و حدها : وقد ذَكَرَ ذَلِكَ ، فَاسْتَغْنَتْهَا لِتَحْقِيقِ الرِّبْطِ .

(1) قُطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ فِي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ 1: 91

حَدِيثُ (335)، 1: 119 حَدِيثُ (438)، 4: 104 حَدِيثُ (3132). وَمُسْلِمٌ (521) .

(2) سِرَاجُ الْمُلُوكِ 2: 685 .

الجانِبَ الَّذِي عَصَائِيهِ مُتَعَدَّةٌ لَا يَقَاوِمُ الْجَانِبَ الَّذِي عَصِيَّتُهُ وَاحِدَةٌ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَتَقْتَهُمُ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ اصْحَحَ فِي الْاِغْتِيَارِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّرْطُوشِيّ؛ وَلَمْ يَخِجْهُ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا نِسْيَانُ شَأْنِ الْعَصِيَّةِ فِي جِيلِهِ وَبَلَدِهِ. وَأَنْتُمْ إِنَّمَا تَرْتَدُّونَ الدَّفَاعَ وَالْحِمَايَةَ وَالْمُطَالَبَةَ إِلَى الْوُجْدَانِ، وَالْجَمَاعَةُ التَّائِبَةُ عَنْهُمْ لَا يَقْتَبِرُونَ فِي ذَلِكَ عَصِيَّةً وَلَا نَسْبًا. وَقَدْ يَتَنَا 5 ذَلِكَ أَوَّلَ الْكِتَابِ، مَعَ أَنَّ هَذَا وَأَمْثَالَهُ عَلَى تَقْدِيرِ صِحَّتِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ، مِثْلُ اتِّفَاقِ الْحَيَنَيْنِ فِي الْعِدَّةِ، وَصِدْقِ الْقِتَالِ، وَكَثْرَةِ الْأَسْلِحَةِ، وَمَا أَشْبَهَهَا؛ فَكَيْفَ نَجْعَلُ ذَلِكَ سَبَبًا كَفِيلًا بِالْغَلَبِ؟ وَنَحْنُ قَدْ قَرَرْنَا الْآنَ أَنَّ شَيْئًا مِنْهَا لَا يُعَارِضُ الْأَسْبَابَ الْحَقِيقَةَ مِنَ الْحَيْلِ وَالْخَدَعِ، وَلَا الْأُمُورَ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ الرُّغْبِ وَالْخِذْلَانِ الْإِلَهِيِّ. فَاعْلَمْهُ وَتَقَهَّمْ أَحْوَالَ الْكَوْنِ. وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

## 6. فَضْلٌ :

10

وَيُلْحَقُ بِمَعْنَى الْقَلْبِ فِي الْحُرُوبِ، وَأَنَّ أَسْبَابَهُ خَفِيَّةٌ وَغَيْرُ طَبِيعِيَّةٍ، حَالُ الشَّهْرَةِ وَالصَّبِيَّةِ؛ فَقُلْ أَنَّ تُصَادِفُ مَوْضِعَهَا فِي أَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ النَّاسِ، مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ الْعُلَمَاءِ أَوْ الصَّالِحِينَ، أَوْ الْمُتَنَجِّلِينَ لِلْفَضَائِلِ عَلَى الْعُمُومِ. فَكَثِيرٌ مِمَّنْ اشتهرَ بِالشَّرِّ وَهُوَ بِخِلَافِهِ، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تَجَاوَزَتْ عَنْهُ الشَّهْرَةُ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَا / وَأَهْلُهَا. وَقَدْ تُصَادِفُ 15 مَوْضِعَهَا وَتَكُونُ طَبَقًا عَلَى صَاحِبِهَا . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الشَّهْرَةَ وَالصَّبِيَّةَ إِنَّمَا هِيَ بِالْأَخْبَارِ، وَالْأَخْبَارُ يَدْخُلُهَا الدَّهْوُلُ عَنِ الْمَقَاصِدِ عِنْدَ التَّنَاقُلِ، وَيَدْخُلُهَا التَّعَصُّبُ وَالشَّيْخِيَّةُ، وَيَدْخُلُهَا الْأَوْهَامُ، وَيَدْخُلُهَا الْجَهْلُ بِمُطَابَقَةِ الْحِكَايَاتِ لِلْأَخْوَالِ، لِحَفَافَتِهَا بِالتَّلْبِيسِ وَالتَّضَنُّعِ، أَوْ لَجَهْلِ التَّاقِلِ؛ وَيَدْخُلُهَا التَّقَرُّبُ لِأَصْحَابِ التَّجَلَّةِ وَالْمَرَاتِبِ

[189ب]

الدُّنْيَوِيَّةُ بِالنَّاءِ وَالْمَذَحِ ، وَتَحْسِينُ الْأَحْوَالِ وَإِشَاعَةُ الذِّكْرِ بِذَلِكَ . وَالتُّقُوسُ مُوَلَّعَةٌ مَجْبُوبَةٌ  
النَّاءِ ، وَالتَّاسُ مُتَطَاوِلُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا مِنْ جَاءٍ أَوْ تَرَوْهُ ، وَلَيْسُوا فِي الْأَكْثَرِ  
بِرَاقِبِينَ فِي الْفَضَائِلِ وَلَا مُنَافِسِينَ فِي أَهْلُهَا ؛ وَأَيْنَ مُطَابَقَةُ الْحَقِّ مَعَ هَذِهِ كَلِّهَا ؟  
فَتَحْصُلُ الشُّهُرَةُ عَنْ أَسْبَابٍ خَفِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ ، وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ . وَكُلُّ مَا حَصَلَ  
بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يَتَّبَعُ عَنْهُ بِالْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

5

### 38 • فَصْلٌ فِي الْجَبَايَةِ وَسَبَبِ نَقْصِهَا <sup>(١)</sup> وَتَقْوِيرِهَا

اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَايَةَ أَوَّلُ النَّوَلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةً الْوَزَائِعُ كَثِيرَةً الْجُمْلَةُ ، وَآخِرُ النَّوَلَةِ  
تَكُونُ كَثِيرَةً الْوَزَائِعُ قَلِيلَةً الْجُمْلَةُ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّوَلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى  
سَنَنِ الدِّينِ ، فَلَيْسَ إِلَّا الْمَغَارِمُ الشَّرْعِيَّةُ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْحَرَاجِ وَالْجُزْيَةِ ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ  
الْوَزَائِعُ ، لِأَنَّ مِقْدَارَ الزَّكَاةِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عُلِفَتْ ، وَكَذَا زَكَاةُ الْحُبُوبِ وَالْمَالِشِيَةِ ،  
وَكَذَا الْجُزْيَةِ وَالْحَرَاجِ وَجَمِيعِ الْمَغَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَهِيَ حُدُودٌ لَا تَتَعَدَّى . وَإِنْ كَانَتْ  
عَلَى سَنَنِ الْقَضِيَّةِ وَالتَّغْلَبِ فَلَا بُدَّ مِنَ الْبَدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا تَقَدَّمَ ، وَالْبَدَاوَةُ  
تَقْضِي الْمُسَامَحَةَ وَالْمُكَازَمَةَ ، وَخَفَضَ الْجِنَاحِ ، وَالتَّجَافِيَّ عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ ، وَالْغَفْلَةَ  
عَنْ تَحْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي التَّادِرِ ، فَيَقِلُّ لِنَظَرِ الْمِقْدَارِ الْوُظُفِيَّةِ الْوَاجِدَةِ ، وَالْوُزَيْعَةِ الَّتِي  
تَجْتَمِعُ الْأَمْوَالُ مِنْ مَجْمُوعِهَا . وَإِذَا قَلَّتِ الْوَزَائِعُ وَالْوُظَايِفُ عَلَى الرِّعَايَا نَشِطُوا لِلْقَمَلِ  
وَزَعَبُوا / فِيهِ ، فَيَكْثُرُ الْإِغْتَارُ ، وَيَتَزَايَدُ لِحْصُولُ الْإِغْتِيَاظِ بِقِلَّةِ الْمَغْرَمِ ، وَإِذَا كَثُرَ  
الْإِغْتَارُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الْوُظَايِفِ وَالْوَزَائِعِ ، فَكَثُرَتْ الْجَبَايَةُ الَّتِي هِيَ جُمْلَتُهَا . فَإِذَا

15

[1190]

(١) ي : قَلَّتْهَا وَكَثُرَتْهَا . وَفِي ل ، الْعُرَانُ غَسَّ ، وَالنَّيْ غَتَّلَ فِي الْمَالِيَّةِ يَحِطُّ الْمَوْلَى عَلَى صِنْتِهِ الْمَتْبَعَةِ .

اسْتَمَرَّتْ التَّوَلَّةُ وَاتَّصَلَتْ، وَتَعَاقَبَ مَلُوكُهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، وَاتَّصَفُوا بِالْكَيْسِ، وَذَهَبَ سِرُّ الْبِدَاوَةِ وَالسَّنَاجَةِ وَخُلْفُهَا مِنَ الْإِغْضَاءِ وَالتَّجَافِي، وَجَاءَ الْمَلِكُ الْعَصُوفُ وَالْحَصَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكَيْسِ، وَتَخَلَّقَ أَهْلُ التَّوَلَّةِ حِينَئِذٍ بِخُلُقِ التَّحَذُّقِ، وَتَكَثَّرَتْ عَوَائِدُهُمْ وَحَاجَاتُهُمْ بِسَبَبِ مَا انْفَعَسُوا فِيهِ مِنَ التَّعِيمِ وَالتَّرَفِّ، فَيَكْتَرُونَ

5    الْوُزَائِفَ وَالْوَزَائِعَ حِينَئِذٍ عَلَى الرِّعَايَا وَالْأَكْرَةَ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمَغَارِمِ، وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظِيفَةٍ وَوَزِيعَةٍ مَقْدَارًا عَظِيمًا لَتَكْثُرَ لَهُمُ الْجِبَايَةُ، وَيَضْعُونَ الْمَكُوسَ عَلَى الْبِصَاغَاتِ وَفِي أَبْوَابِ<sup>(أ)</sup> الْمَدِينَةِ كَمَا تَذْكُرُ بَعْدَ، ثُمَّ تَنْدَرُجُ الزِّيَادَاتُ فِيهَا مِقْدَارًا<sup>(ب)</sup> بَعْدَ مِقْدَارٍ، لَتَنْدَرُجَ عَوَائِدُ التَّوَلَّةِ فِي التَّرَفِّ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْفَاقِ بِسَبَبِهِ، حَتَّى تَنْقَلَّ الْمَغَارِمُ عَلَى الرِّعَايَا وَتَبْهَضَهُمْ وَتَصِيرَ عَادَةً مَفْرُوضَةً، لِأَنَّ الزِّيَادَةَ تَنْدَرُجُ قَلِيلًا قَلِيلًا،

10    وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ مِنْ زَادِهَا عَلَى التَّعِيمِينَ، وَلَا مِنْ هُوَ وَاضِعُهَا، إِنَّمَا [تَثَبَّتْ]<sup>(ج)</sup> عَلَى الرِّعَايَا كَانَتْهَا عَادَةً مَفْرُوضَةً، ثُمَّ تَزِيدُ إِلَى الْخُرُوجِ عَنْ حَدِّ الْإِغْتِدَالِ، فَتَذْهَبُ غَيْبَةً الرِّعَايَا فِي الْإِغْتِمَارِ لَذَهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نَفْسِهِمْ بِقِلَّةِ النِّفْعِ فِيهِ، إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْقَتِهِ وَمَغَارِمِهِ، وَبَيْنَ ثَمَرَتِهِ وَفَائِدَتِهِ، فَتَنْقُصُ<sup>(د)</sup> كَثِيرٌ مِنَ الْأَيْدِي عَنْ الْإِغْتِمَارِ جُمْلَةً، فَتَنْقُصُ جُمْلَةُ الْجِبَايَةِ حِينَئِذٍ بِنَقْصَانِ نَعْضِ تِلْكَ الْوُزَائِعِ مِنْهَا. وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مِقْدَارِ

15    الْوُزَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ التَّنْقُصَ فِي الْجِبَايَةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا نَقُصَّ، حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَوَزِيعَةٍ إِلَى غَايَةِ لَيْسَ وَرَاءَهَا نَفْعٌ وَلَا فَائِدَةٌ، لَكثْرَةِ الْإِنْفَاقِ حِينَئِذٍ فِي الْإِغْتِمَارِ، / وَكَثْرَةِ الْمَغَارِمِ وَعَدَمِ وِفَاءِ الْفَائِدَةِ الْمَرْجُوءَةِ بِهِ. فَلَا تَرَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصِ، وَمِقْدَارُ الْوُزَائِعِ وَالْوُزَائِفِ فِي زِيَادَةٍ، لِمَا يَغْتَقِدُونَهُ مِنْ جَبْرِ الْجُمْلَةِ بِهَا، إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ

[190ب]

(أ) فِي ي ل : الْأَبْوَابِ (ب) ل ي : بِمِثَارٍ (ج) ط : ثَبَتَتْ (د) ل : فَيَنْتَقِصُ .

الغفران بذهاب الآمال من الاعتجار، ويعود وبال ذلك على الدولة، لأن فائدة  
الاعتجار عائدة إليها .

وإذا فهمت ذلك، علمت أن أقوى الأسباب في الاعتجار، ثقل مقدار  
الوظائف على المتمرين ما أمكن؛ فبذلك تنشط النفوس إليه ليقيها بإذراك المنفعة  
فيه. والله مالك الأمور.

5

### 39 • فصل، في ضرب المَكُوسِ وأخير الدول

اعلم أن الدول تكون في أولها بدوية كما قلنا، فتكون لذلك قليلة  
الحاجات لعدم الترف وعوائده، فيكون خزنها وإنفاقها قليلاً، فيكون في الجباية  
حينئذ وفاءً بأزيد منها، بل يفضل منها كثير عن حاجتها. ثم لا تلبث أن تأخذ بيد  
الحضارة والترف وعوائدها، وتجري على نهج الدول السالفة قبلها، فيكثر لذلك خراج  
10 أهل الدولة، ويكثر خراج السلطان خصوصاً كثرة بالغه بنفقته في خاصته، وكثرة  
عطائه؛ ولا تفي بذلك الجباية. فتحتاج الدولة إلى الزيادة في الجباية، لما تحتاج إليه  
الحامية من العطاء، والسلطان من الثقة؛ فيزيد في مقدار الوظائف والوزائع أولاً  
كما قلناه، ثم يزيد الخرج والحاجات بالتدرج في عوائد الترف وفي العطاء للحامية،  
15 ويدرك الدولة الهزم، وتضعف عصابها عن جباية الأموال من الأعمال والقاصية،  
فتقل الجباية وتكثر العوائد، وتكثر بكثرها أزراق الجند وعطاؤهم. فيستخذت  
صاحب الدولة أنواعاً من الجباية يضرها على البياعات، ويفرض لها قدرًا مغلوماً على  
الأثمن في الأسواق، وعلى أغنيان السلع في أبواب المدينة. وهو مع هذا مضطر

لذلك، بما ذعاه إليه / تَرْفُ الناس من كثرة العطاء، مع زيادة الجيوش والحامية. ورتباً [191] يزيد ذلك في أواخر الدول زيادةً بالغةً، فتكسُد الأسواق لفساد الآمال، ويؤذُن ذلك باختلال الغفران، ويعوُد على الدولة؛ ولا يزال ذلك يتزايد إلى أن يَضْمَجَل.

وقد كان وقع منه بأمصار المشرق في أخريات الدولة العباسية والتبديدية 5 كثير، وفُرِضَت المغارم حتى على الحاج في الموسم، وأسقط صلاح الدين بن أيوب تلك الرسوم جملةً وأعادها<sup>(1)</sup> بآثار الخير. وكذلك وقع بالأندلس لفهد الطوائف، حتى محا رستم يوسف بن تاشفين أمير المرابطين. وكذلك وقع بأمصار الجريد بإفريقية لهذا العهد حين استبدَّ بها رؤساؤها. ﴿والله لطيف بعباده﴾ [سورة الشورى، من الآية 19].

#### 40 • فصل، في أن التجارة من السلطان مُضِرَّةٌ بالرعَايا، مُفسِدةٌ للجباية

10 اعْلَمْ أَنَّ الدولة إذا ضاقت جبايتها بما قَدَمناه من الترف وكثرة العوائد والتفقات، وقَصَرَ الحاصل من جبايتها على الوفاء بحاجاتها وتفتاتها، واحتاجت إلى مزيد المال والجباية، فتارةً بوضع المكوس، على ياعات الرعايا وأسواقهم كما قَدَمنا ذلك في الفصل قبله، وتارةً بالزيادة في ألقاب المكوس، إن كانت قد استحدثت من قبل، وتارةً بمقاسحة القتال والجباة وامتيكاع عظامهم، لما يرون أنهم قد حصلوا على طائِل من أموال الجباية لا يُظْهَرُ الحسبان، وتارةً باستحداث التجارة والفلح للسلطان، جزصاً على 15 تنمية الجباية. لَمَّا يرون التجار والفلاحين يَحْضُلُون على القوائد والغلات مع يسارة أموالهم، وأن الأرباخ تكون على نسبة رؤوس الأموال. فيتأخذون في اكتساب الحيوان

(1) ط ج ي، وفي ل: واعاض عنها بالخير.



والتبّات لاستغلاله، وفي شراء البضائع والتّعرض بها لحوالة الأسواق، يَحْسِبُونَ ذلك من إضرار الجبّاية وتكثير القوائد، وهو غَلَطٌ عَظِيمٌ، وإدخالٌ للضرر على الرّعايا من وُجُوه مُتَعَدِّدَة .

[191ب] / فَأَوَّلًا، مُضَايَقَةُ الْفَلَاحِينَ وَالتَّجَارِ فِي شِرَاءِ الْحَيَوَانِ وَالبَضَائِعِ، وَتَبْسِيرِ 5  
أَسْبَابِ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ الرّعايا مُتَكَفِنُونَ فِي الْبَسَارِ أَوْ مُتَقَارِبُونَ ، وَمُزَاخِمَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
تَنْتَهِي إِلَى غَايَةِ مَوْجُودِهِمْ أَوْ [تُشْرِبُ] <sup>(1)</sup> ، وَإِذَا رَافَقَهُمُ السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ، وَمَالُهُ أَغْظَمُ  
كَثِيرًا مِنْهُمْ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَحْضِلُ عَلَى غَرَضِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَاتِهِ، وَيَدْخُلُ  
عَلَى التَّفُوسِ مِنْ ذَلِكَ غَمٌّ وَنَكْدٌ .

ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ قَدْ يَنْتَزِعُ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ، إِذَا تَعَرَّضَ لَهُ غَضَبٌ أَوْ بَأْسٌ  
ثَنِي، أَوْ لَا يَجِدُ مِنْ يَنَافُسِهِ [فِي شِرَائِهِ] <sup>(ب)</sup> فَيَبْنَحُسُ شَنَهُ عَلَى بَائِعِهِ . 10

ثُمَّ إِذَا حَصَلَتْ فَوَائِدُ الْفِلَاحَةِ وَمُغْلُهَا كُلُّهُ مِنْ زَرْعٍ أَوْ خَرِيرٍ أَوْ غَسَلٍ أَوْ  
سُكَّرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْغَلَّاتِ، وَحَصَلَتْ بَضَائِعُ التَّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ،  
فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ وَلَا تَفَاقِ الْبِيَاعَاتِ، لَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالِيفُ التَّوَلُّةِ،  
فَيَكْلَفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ بِشِرَاءِ تِلْكَ الْبَضَائِعِ، وَلَا يَرْضَوْنَ  
فِي أَثْمَانِهَا إِلَّا الْقِيَمَ وَأَزِيدَ، فَيَنْشَوِعُونَ فِي ذَلِكَ نَاصً أَمْوَالَهُمْ ، وَتَبْقَى تِلْكَ الْبَضَائِعُ 15  
بِأَيْدِيهِمْ غَرُوضًا جَامِدَةً، وَيُمْكِنُونَ عَطْلًا مِنَ الْإِدَارَةِ الَّتِي فِيهَا كَسْبُهُمْ وَمَعَاشُهُمْ .  
وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الضَّرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ، فَيَبْسِعُونَ تِلْكَ السَّلْعَ عَلَى كَسَادٍ مِنْ  
الْأَسْوَاقِ بِأَبْخَسِ ثَمَنِ . وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى التَّاجِرِ أَوْ الْفَلَاحِ مِنْهُمْ بِمَا يَنْدُوبُ

(1) ظ : تزيهم (ب) من ل ي .

برأس ماله، فيَقْعُد عن سوقه، ويتَعَدَّد ذلك ويتَكَرَّر، ويدخل به على الرعايا من الغنَب والمضايقة وفساد الأرباح ما يَبْضُ آمالهم عن السعي في ذلك جُمْلَةً، ويؤدِّي إلى فساد الجباية؛ فإنَّ مُعْظَم الجباية إنَّما هي من الفلاحين والثَّجَّار، لا سبباً بعد وضع المكوس ونمو الجباية بها؛ فإذا انْقَضَ الفلاحون عن الفلاحة، وقَعَد التجار عن التجارة، ذَهَبَت الجباية جُمْلَةً أو دخلها النقص المتفاجش. 5

/ وإذا قايَسَ السُّلْطَانُ بين ما يُحْصَلُ له من الجباية وبين هذه <sup>(أ)</sup> الأرباح [1192] القليلة، وَجَدَهَا بالنسبة إلى الجباية أَقْلَ من القليل. ثمَّ إنَّه ولو كان مُفِيداً فيَذْهَبُ له بِحَظِّ عَظِيمٍ من الجباية فيما يُعَايَنُهُ من شراء وبيع؛ فإنَّه من البعيد أن يُؤْخَذَ منه فيه المكس. ولو كان غيرُه في تلك الصَّفَقَات لكان مَكْتَسِباً كُلَّهَا حاصلاً من جُمْلَةِ الجباية. 10 ثمَّ فيه التَعَرُّضُ لفساد عُمَرَانِه، واختلال التَّوَلَّى بِفساده ونقصه؛ فإنَّ الرعايا إذا قَعَدُوا عن تَمِير أُمُومِهِم بالفلاحة والتجارة، نُقِصَتْ وتَلَاشَتْ بالتَفَقُّات، وكان فيها تَلَاؤُفُ أحوالهم، فافْهَمَ ذلك.

ولقد كان الفُرس لا يُمْلِكُون عليهم إلَّا من أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ، ثمَّ يَخْتَارُونَهُ من أَهْلِ الْفَضْلِ والدين والأدب والسَّخَاءِ والسَّجَاعَةِ والكرم، ثمَّ يَشْتَرِطُونَ عليه مع ذلك القَدْلَ، وأن لا يَتَّخِذَ ضَيْعَةً فيَضِرَّ بِجيرانه، وأن <sup>(ب)</sup> لا يَتَاجَرَ <sup>(ج)</sup> فيُجِبَّ غِلَاءَ 15 الأشعار في البضائع، ولا يَسْتَخْدمَ الْعَبِيدَ فَإِنَّهُمْ لا يُشِيرُونَ بِخَيْرٍ ولا مَصْلَحَةٍ.

واعْلَمْ أنَّ السُّلْطَانَ لا يَنْقَرُ ماله ولا يُدِيرُ موجودَه إلَّا الجباية؛ وإِذْ رَأَاهَا إنَّما يَكُونُ بِالْعَدْلِ في أَهْلِ الْأَمْوَالِ والتَّطَرُّعِ لَهُمْ؛ فبذلك تَنْشَطُ <sup>(د)</sup> آمالهم، وتَنْشَرُخُ

(أ) ل: وبين ما يحصل له من الأرباح القليلة (ب) من ط وحدها (ج) ل: يتجر (د) كذا في ط ح، وفي ل: تبسط.

صدورهم للأخذ في تدمير الأموال وتبتيها؛ فتتظلم منها جباية السلطان. وأما غير ذلك للسلطان<sup>(1)</sup> من تجارة أو فلاح فإنما هو مضرّة عاجلة للرعايا وقساد للجباية ونقص للعبادة. ولقد ينتهي الحال هؤلاء المنتقلين للتجارة والفلاحة من الأمراء والمتغلبين في البلدان، أنهم يتعرضون لشراء الغلات والسلع من أربابها الواردين إلى بلدهم ، ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون، ويبيعونها في وقتها لمن تحت أيديهم 5 من الرعايا بما يفرضونه من الثمن. وهذه أشد من الأولى، وأقرب إلى فساد / الرعيّة [192ب] واختلال أحوالهم . ورؤيا يحمل السلطان على ذلك من يداخله من هذه الأصناف، أغني التجار والفلاحين بما هي صناعته التي نشأ عليها ، فيخمل السلطان على ذلك ويضرب معه بينهم لنفسه ليحصل على غرضه من جمع المال سريعاً ، سيما مع ما يحصل له من التجارة بلا مفرم ولا مكس ، فإنها أجدر بتمو المال<sup>(ب)</sup>، وأنسرغ في 10 تدميرها؛ ولا يفهم مع ذلك ما يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته؛ فينبغي للسلطان أن يخلو من هؤلاء، ويعرض عن سعاتهم المضرة بجبايته وسلطانه. والله يلهننا رشد أنفسنا، ويتقنا بصالح أعمالنا، لا رب غيره .

#### 41 • فصل ، في أن شروّة السلطان وحاشيته إنما تكون في وسط الدولة

والسبب في ذلك ، أن الجباية في أول الدولة تنوزع على القبيل وأهل 15 العصية بمقدار غنائمهم وعصبيّتهم ، ولأن الحاجة إليهم في تهديد الدولة كما قلناه من قبل . فترسهم في ذلك متجاف لهم عما يسمون إليه من الجباية ، مفتاض عن ذلك

(1) من ط ج وسقط من ل ي (ب) من ط ، وفي بقية الأصول : الأموال .

بما هو غرور من الاستبداد عليهم، فلهم<sup>(١)</sup> عليه عزة وله إليهم حاجة. فلا يطير في سهُنانه من الجباية إلا الأقل من حاجته. فتجد حاشيته لذلك وأذياله من الوزراء والكتاب والموالي مُلقين في الغالب، وجاههم مُتقلص لأنه من جاء مخدمهم، ونطاقه قد ضاق بمن يُراجعه فيه من أهل عصبته.

5 فإذا استنفحت طبيعته الملك، وحصل لصاحب الدولة الاستبداد على قومه، قبض أيديهم عن الجبايات، إلا ما يطير لهم بين الناس في سُهائهم، ونقلُ حطوطهم إذ ذاك لقلة غنائهم في الدولة بما / انكبح من أعينهم، وصار الموالي [١٩٣] والصنائع مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الأمر؛ فينفرد صاحب الدولة حينئذ بالجباية أو مُغظليها، ويحتوي على الأموال ويحتجها للثقة في مهمات الأحوال، 10 فتكثر ثروته، وتثقل خزائنه، ويتسع نطاق جاهه، ويقتر على سائر قومه، فيعظم حال حاشيته وذويه، من وزير وكتاب وحاجب وقولى وشرطي، ويتسع جاههم، ويقتنون الأموال ويتألقونها.

ثم إذا أخذت الدولة في الهزم، بتلاشي العصبية وفناء القبيل الماهدين للدولة، احتاج صاحب الأمر حينئذ إلى الأغوان والأنصار، لكثرة الحوارج والمنازعين 15 والثوار؛ وتوهم الاتيقات، فصار خراجُه لظهوره وأغوانه، وهم أرباب السبوف وأهل العصبيات، وأثقل خزائنه وحاصله في مهمات جبر الدولة، وقلت مع ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة الغطاء والإنفاق، فيقل الخراج، وتشد حاجة الدولة إلى المال، فيتقلص ظلُ الثغمة والترف عن الخواص والحجاب والكتاب بتقلص الجاه عنهم،

(١) ط ح . وفي ل ي : فله عليهم عزة .

وضيق يطاقه على صاحب الدولة. ثم تشتد حاجة صاحب الدولة إلى المال، وينفق أبناء البطالة والحاشية ما تأكل آبائهم من الأموال في غير سبيلها من إعانة صاحب الدولة، ويطلبون على غير ما كان عليه آبائهم وسلفهم من المناصحة، ويرى صاحب الدولة أنه أحق بتلك الأموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجاههم<sup>(1)</sup>، فيضطلعها ويتزعمها منهم لنفسه شيئاً فشيئاً واحداً بعد واحد، على نسبة رتبهم، وتتكبر الدولة<sup>5</sup> لهم، ويعود وبال ذلك على الدولة بفناء حاشيتها ورجالها وأهل الثروة والتعنة من بطانتها، ويتقوض بذلك كثير من مباني المجد / بعد أن يدغمه أهله ويرفعوه<sup>(ب)</sup>. [193ب]

وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني فخطبة، وبني برمك، وبني سهل، وبني طاهر، وأمثالهم. ثم في الدولة الأموية بالأنذلس عند انحلالها أيام الطوائف، في بني شهيد، وبني أبي عبدة، وبني حذيرة، وبني برد،<sup>10</sup> وأمثالهم؛ وكذا في الدول التي أذكرها لعهدنا؛ سنة الله ﷻ ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴿ [سورة الأحزاب، من الآية 62].

## 1. فصل :

ولما يتوقعه أهل الدول من أمثال هذه المعاطب، صار الكثير منهم يتزعجون إلى الفرار عن الرتب، والتخلص عن رتبة السلطان بما حصل بأيديهم من<sup>15</sup> مال الدولة إلى قطر آخر، ويتوزن أنه أهنأ لهم وأسلم في إنفاقه وحصول ثمرته؛ وهو من الأغلاط الفاجشة والأوهام المسفيدة لأخوالهم ودنياهم.

(1) في ج ل ي : وبجاهه (ب) ي : يزعمونه .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخِلَاضَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ الْحُصُولِ فِيهِ، عَسِيرٌ مُفْتَنٌ؛ فَإِنْ صَاحِبُ  
 هَذَا الْغَرَضِ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَلِكُ بِنَفْسِهِ، فَلَا تُكَنَّى الرَّعِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ طَرَفَةً عَيْنٍ، وَلَا  
 أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ الْمَزَاجُونَ لَهُ، بَلْ فِي ظُهُورِ ذَلِكَ مِنْهُ هَذَا مُلْكِهِ وَتَلَأَفَ نَفْسِهِ، لِمَجَارِي  
 الْعَادَةِ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ رِيقَةَ الْمُلْكِ يَغْسُرُ الْخِلَاضَ مِنْهَا، سَيِّئًا عِنْدَ اسْتِفْحَالِ الدَّوْلَةِ  
 5 وَضَيْقِ نِطَاقِهَا، وَمَا يَغْرِضُ فِيهَا مِنَ الْبُعْدِ عَنِ الْمَجْدِ وَالْجَلَالِ وَالتَّخَلُّقِ بِالشَّرِّ. وَأَمَّا  
 إِنْ كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْغَرَضِ مِنْ بَطَانَةِ السُّلْطَانِ وَحَاشِيَتِهِ وَأَهْلِ الرُّتَبِ فِي دَوْلَتِهِ،  
 فَقُلٌّ أَنْ يَحُلِّيَ يَنْتَهَ وَيَتَنَ ذَلِكَ.

أَمَّا أَوَّلًا، فَلَمَّا رَأَى الْمَلُوكُ أَنَّ ذَوِيهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ، بَلْ وَسَائِرَ رَعَايَاهُمْ مَمَالِكُ  
 لَهُمْ، مُطْلَبُونَ عَلَى ذَاتِ صُدُورِهِمْ، فَلَا يَسْتَمَحُونَ بِحَلِّ رِيقَتِهِ مِنَ الْخِدْمَةِ، ضَمَانَهُ  
 10 بِأَسْرَارِهِمْ وَأَخْوَالِهِمْ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَغَيْرُهُ مِنْ خِدْمَتِهِ لِيَسَوَاهُمْ.

وَلَقَدْ كَانَ بَنُو أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَمْتَنِعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّفَرِ لِفَرِضَةِ  
 الْحَجِّ، لَمَّا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ وَقُوعِهِمْ بِأَيْدِي بَنِي الْغَبَّاسِ؛ فَلَمْ يَخُجَّ سَائِرَ أَتْيَاحِهِمْ أَحَدٌ مِنْ  
 أَهْلِ دَوْلَتِهِمْ، وَمَا أُبَيِّحَ / الْحَجِّ لِأَهْلِ الدَّوْلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ شَأْنِ الْأُمُومَةِ [1194]  
 وَرُجُوعِهَا إِلَى الطَّوَائِفِ.

وَأَمَّا ثَانِيًا، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ سَمَحُوا بِحَلِّ رِيقَتِهِ هُوَ، فَلَا يَسْمَحُونَ بِالتَّجَافِي عَنْ  
 ذَلِكَ الْمَالِ، لِمَا يَزُودُ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا كَانَ رُيَّةُ جُزْءًا مِنْ دَوْلَتِهِمْ، إِذْ لَمْ يَكُنْ سَبَبُ  
 إِلَّا بِهَا وَفِي ظَلِّ جَاهِهَا؛ فَتَحُومُ نَفُوسُهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ ذَلِكَ الْمَالِ، أَوْ إِبْقَائِهِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
 مِنَ الدَّوْلَةِ، يَنْتَفِعُونَ بِهِ.

ثم إذا تَوَهَّنَا أَنَّهُ خَلَصَ بِذَلِكَ الْمَالُ إِلَى قُطْرٍ آخَرَ؛ وَهُوَ فِي التَّادِرِ الْأَقْلَى،  
فَتَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمُلُوكِ بِذَلِكَ الْقُطْرِ، وَيَتَزَعُونَ<sup>(أ)</sup> بِالْإِزْهَابِ وَالتَّخْوِيفِ تَغْرِضاً، أَوْ  
بِالْقَهْرِ ظَاهِراً، لَمَّا يَرَوْنَ أَنَّهُ مَالُ الْجَبَايَةِ وَالْبُؤْلِ، وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلْإِنْفَاقِ فِي الْمَصَالِحِ.  
وَإِذَا كَانَتْ عِيُونُهُمْ تَتَمَدَّدُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالنِّسَارِ الْمَكْتَسِبِينَ مِنْ وَجْهِهِ الْمَعَاشِ، كَمَا  
ذَكَرْنَاهُ، فَأُخْرَى بِهَا أَنْ تَتَمَدَّدَ إِلَى مَالِ<sup>(ب)</sup> الْجَبَايَةِ وَالْبُؤْلِ الَّتِي تَحْمَدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ 5  
بِالْقَرِيبِ وَالْعَادَةِ. وَانْظُرْ مَا وَقَعَ لِقَاضِي جَنْبَلَةَ، الثَّانِي بِهَا عَلَى ابْنِ عَمَّارٍ صَاحِبِ  
طَرَابُلُسَ، لَمَّا غَلَبَهُ الْفَرَنْجُ عَلَيْهَا وَنَجَا إِلَى دِمَشْقَ، ثُمَّ إِلَى بَنْدَادٍ، وَهِيَ السُّلْطَانُ  
بِرْكَارِقُ بْنُ مَلِكْشَاهُ، وَذَلِكَ آخِرُ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ، فَجَاءَهُ وَزِيرُ السُّلْطَانِ وَاسْتَقْرَضَ  
مِنْهُ غَالِبَ مَالِهِ، ثُمَّ اسْتَضَفُوهُ جَمِيعاً، وَكَانَ لَا يَغَيَّرُ عَنْهُ كَثْرَةً.

وَلَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو يَحْيَى زَكَرِيَاءُ بْنُ أَحْمَدَ اللَّخْيَانِيَّ، تَاسِعُ أَوْ عَاشِرُ 10  
مُلُوكِ الْخَفَصِيِّينَ بِإِفْرِيقِيَّةَ، الْخُرُوجَ عَنْ عَهْدَةِ الْمُلْكِ وَالْحَاقَ بِمَضَرَ، فِرَازًا مِنْ طَلَبِ  
صَاحِبِ الثَّقُوفِ الْغَزِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لِقَاؤُ تُوَيْسَ، فَاسْتَعْمَلَ اللَّخْيَانِيَّ الرَّخْلَةَ إِلَى ثَغْرِ  
طَرَابُلُسَ يُوزِي بِتَفْهِيدِهِ، وَرَكِبَ السَّفِينَ مِنْ هُنَاكَ، وَخَلَصَ إِلَى الْإِسْكََنْدَرِيَّةِ، بَعْدَ  
أَنْ حَمَلَ جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْنَ الْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالذَّخِيرَةِ، وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِخَزَائِنِهِمْ  
مِنَ الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْخَوَافِرِ، حَتَّى الْكُتُبِ، وَاخْتَمَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَى مَضَرَ، وَنَزَلَ عَلَى 15  
الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ سَنَةً / تِسْعَ عَشْرَةَ مِنَ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ، فَأَكْرَمَ نَزْلَهُ [194ب]  
وَرَفَعَ مَجْلِسَهُ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلِصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالتَّغْرِيفِ، إِلَى أَنْ خَصَلَ  
عَلَيْهَا، وَلَمْ يَبْقَ مَعَاشُ ابْنِ اللَّخْيَانِيَّ إِلَّا فِي جَرَائِيهِ الَّتِي فَرَضَ لَهُ؛ إِلَى أَنْ هَلَكَ فِي  
سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ، حَسْبَمَا نَذَرَهُ فِي أَخْبَارِهِ.

(أ) فِي بَقِيَةِ الْأَصُولِ : وَيَتَزَعُونَ (ب) ل ي : أَمْوَالُ .

فهذا وأمثاله من جملة اليوسواس الذي يغتري أهل الدول، لما يتوقعونه من ملوكهم من المقاطب، وإنما يخلصون إن اتفق لهم الخلاص بأنفسهم؛ وما يتوهمونه من الحاجة فغلطاً وزهماً. والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة<sup>(1)</sup> الدول، كافي في وجدان المعاش لهم بالجرايات السلطانية، أو الجاه في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة. والدول أنساب؛ لكن: [من الكامل]

الثفس راغبت إذا رغبتهَا وإذا تزد إلى قليل شفع<sup>(1)</sup>

والله ﴿الزاري ذو القوة المتين﴾ [سورة الناريات، من الآية 58].

## 42 • فصل، في أن نقص العطاء من السلطان نقص في الحياة

والسبب في ذلك، أن الدولة والسلطان هي السوق الأعظم للعالم، ومنه مادة العُمران. فإذا اختجس السلطان الأموال والجبايات، أو فقدت فلم يضرها في مصارفها، قل حينئذ ما بأيدي الحاشية، وانقطع أيضاً ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم، وقلت ثقتهم بجملة، وهم معظم السواد، وثقتهم أكثر مادة للأسواق من سيواهم؛ فيقع الكساد حينئذ في الأسواق، وتضعف الأرباح في المتاجر لقلّة الأموال، فيقل الحراج لذلك، لأن الحراج والجباية إنما تكون من الاعتار والمعاملات، وبقاق الأسواق، وطلب الناس للفوائد والأرباح. ووبال ذلك عايد على الدولة بالنقص

(1) ل: لخدمة .

(1) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، الديوان 145، وشرح أشعار الهذليين 1: 3 من قصيدة :

أمن المنون وزنتها توجع والأهر ليس بمفتب من بجرع



لجَلَّةِ أُمُوالِ السُّلطان حينئذٍ بِقِلَّةِ الخِراج . فَإِنَّ الدَّوْلَةَ - كما قُلناه - هي السَّوقُ  
 الأعظمُ، أُمُّ الأسواقِ كُلِّها، وأضلُّها ومادُّها في الدَّخْلِ والخِرج؛ فإذا كَسَدَتْ وفَلَّتْ  
 مَصاريِفُها، فأَجْزُرُ ما بَعْدَها من الأسواقِ أنْ / يَلْحَقَها مثلُ ذلكَ وأشدُّ منه. وأيضاً، [195]  
 فالْمالُ إِنِّها هو مُرَدَّدٌ بَيْنَ الرِّعْيَةِ والسُّلطانِ ، مِنْهُم إِلَيْهِ ، وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ ، فإذا خَبَسَهُ  
 السُّلطانُ عِنْدَهُ فَقَدَتِ الرِّعْيَةُ سُنَّةَ اللَّهِ في عِبادِهِ.

5

#### 43 • فَصْلٌ، في أَنَّ الظُّلْمَ مُؤَدِّنٌ بِخَرَابِ العُمُرانِ

اغْلَمْ أَنَّ العُدوانَ على النَّاسِ في أَمْوالِهِمْ، ذاهِبٌ بِأَمْوالِهِمْ في تَحْصِيلِها  
 وأَكْثاسِها، لما يَرَوْنَهُ حينئذٍ من أنَّ عَاقِبَتَها ومَصِيرَها اتِّبَهاها مِنْ أَيْدِيهِمْ. وإذا ذَهَبَتْ  
 أَمْوالُهُمْ في أَكْثاسِها وتَحْصِيلِها انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عن السَّعْيِ في ذلكَ. وعلى قَدَرِ  
 الاغْتِياءِ ونِسْبَتِهِ يَكُونُ انْقِياضُ الرِّعايا عن السَّعْيِ في الاكْتِسابِ . فَإِنَّ كانَ 10  
 الاغْتِياءُ كَثِيراً وعامّاً في جَميعِ أبوابِ المَعاشِ، كانَ القُعودُ عن الكَسْبِ كذلكَ،  
 لَنَهايَةِ بالأَمالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ مِنْ جَميعِ أَبْوابِها؛ وإنْ كانَ الاغْتِياءُ يَسيراً، كانَ  
 الانْقِياضُ عن الكَسْبِ على نِسْبَتِهِ. والغُفْرانُ ووُفُورُهُ وثِقائُ أَسْواقِهِ، إِنِّها هو  
 بالأَعْمالِ وسَعْيِ النَّاسِ في المَصالِحِ والمَكاسِبِ ذاهِبِينَ وجائِينَ. فإذا قَعَدَ النَّاسُ عن  
 المَعاشِ، وانْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عن المَكاسِبِ، كَسَدَتْ أَسْواقُ العُمُرانِ، وانْتَفَضَتْ 15  
 الأَحْوالُ، وابْدَعَرَ النَّاسُ في الآفاقِ مِنْ غَيْرِ تلكَ الإِبالَةِ، وفي طَلَبِ الرِّزْقِ فيما خَرَجَ  
 عن نِطاقِها. فَخَفَّ ساكِئُ القُطرِ، وَخَلَّتْ دِيارُهُ، وَخَرِبَتْ أَمْصارُهُ، وَاخْتَلَّ بِاخْتِلالِهِ  
 حالُ الدَّوْلَةِ والسُّلطانِ؛ لِما أَنَّها صِوْرَةٌ للعُمُرانِ تُفْسِدُ بِسَاسِ مادَّتِها ضَرُورَةً.

واظنر في ذلك ما حكاه المشعودي<sup>(1)</sup> في أخبار الفرس عن الموبدان، صاحب الدين عندهم أيام بهرام بن بهرام، وما عرّض به للملك في إنكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته على الدوّلة، بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم، حين سجع الملك أصواتها، وسأله / عن فهم كلامها، فقال: إنَّ بومًا ذكرًا عروم 5 يكاح بوم أنثى، وأنها شرّطت عليه عشرين قرية من الخراب في أيام بهرام لتسوخ<sup>(2)</sup> فيها، فقيل شرّطها، وقال لها: إن دامت أيام الملك أقطعتك ألف قرية، وهذا أسهل مرام. فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبدان وسأله عن مراده، فقال له: أيها الملك، إنَّ الملوك لا يتمّ عزّه إلا بالشرعية والقيام لله بطاعته، والتصرف تحت أمره وتبنيه؛ ولا قوام للشرعية إلا بالملك، ولا عزّ للملك إلا بالرجال، ولا قوام للرجال 10 إلا بالمال؛ ولا سبيل إلى المال إلا بالعمارة؛ ولا سبيل للعمارة إلا بالعدل. والغدُل الميزان المنصوب بين الحقيقة، نصبه الرب، وجعل له قِيَمًا، وهو الملك. وإنك أيها الملك عمدت إلى الضياع، فالتزعتها من أزيائها وعمّارها؛ وهم أزياب الخراج ومن تؤخذ منهم الأموال، وأقطعتنا الحاشية والخدم وأزياب البطالة، فتركوا العمارة، والظنر في العواقب وما يضلح الضياع، وسويحوا في الخراج لقهرهم من الملك. ووقع 15 الخيف على من بقي من أزياب الخراج وعمّار الضياع؛ فالتجّلوا عن ضياعهم، وخلّوا ديارهم، وآوؤا إلى ما يبدؤ أو تعدّر<sup>(ب)</sup> من الضياع فسكنوها، فقلت العمارة، وخرت الضياع، وقلت الأموال، وهلكت الجنود والرعية، وطعم في ملك فارس من

(1) سقط من ي (ب) سقط من ل .

(1) مروج الذهب 1: 292 - (595 - 599) .

جاؤهم من الملوك، لعلهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم دعائم الملك إلا بها. فلما سمع الملك ذلك أقبل على النظر في ملكه، وانزعجت الضياع من أيدي الحاضرة وزدت على أربابها، وحملوا على رؤسهم السالفة، وأخذوا بالعصاة، وقوي من ضعف منهم، / فقمرت الأرض، وأخضبت البلاد، وكثرت الأموال عند جباة الحراج، وقويت الجنود، وقطعت مواد الأعداء، وشجنت الثغور، وأقبل الملك على 5 مباشرة أموره بنفسه، فحسنت أيامه، وانتظم ملكه.

فَقَتَّهْمُ<sup>(١)</sup> من هذه الحكاية أَنَّ الظلم مخرب للغمران، وأن عائدة الخراب في الغمران على التولية بالفساد والانتقاض .

ولا تنظر في ذلك إلى أَنَّ الاعتداء قد يوجد بالانصرار العظيمة من الدول التي بها، ولم يقع فيها خراب، واعلم أَنَّ ذلك إنما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء 10 وأحوال أهل [المضر]<sup>(ب)</sup> . فلما كان المضر كبيراً، وعمرانه كثيراً، وأحواله متسعة بما لا يتخصر، كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيراً؛ إذ النقص إنما يقع بالتدريج؛ فإذا خفي بكثرة الأحوال واتساع الأعمال في المضر لم يظهر أثره إلا بعد حين. وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من أصلها قبل خراب المضر، ونحيي التولية الأخرى، فتزقعه مجدها، ويتجر النقص الذي كان خفياً فيه، فلا يكاد يشعر به، 15 إلا أَنَّ ذلك في الأقل .

والمراد من هذا، أَنَّ حصول النقص في الغمران عن الظلم والغدوان، أمر واقع لا بد منه، لما قدمناه ، وبالله عائد على التول .

(١) ج ل : فقه (ب) في ط : مصر .

ولا تَحْسِبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الْمَالِ أَوْ الْمَلِكِ مِنْ يَدِ مَايَكِهِ مِنْ غَيْرِ عَوَظٍ  
ولا سَبَب، كما هو في <sup>(أ)</sup> المشهور، بل الظُّلْمُ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ. وكلُّ مَنْ أَخَذَ مِنْكَ أَحَدًا،  
أَوْ غَضَبَهُ فِي عَمَلِهِ، أَوْ طَالَبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، أَوْ قَرَضَ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرِضْهُ الشَّرْعُ، فَقَدْ  
ظَلَمَهُ. فَجُبَاهُ الْأَمْوَالُ بِغَيْرِ حَقِّهَا ظَلَمَةٌ، وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ، وَالْمُنْتَهَبُونَ لَهَا ظَلَمَةٌ،  
5 وَالْمَانِعُونَ لِحَقِّكَ التَّاسِ ظَلَمَةٌ، / وَعُضَابُ الْأَمْلاكِ عَلَى الْعُيُوفِ ظَلَمَةٌ؛ وَبِالْ ذَلِكَ [ب196]  
كُلُّهُ عَائِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا، لِذَهَابِ الْأَمَالِ [مِنْ]  
أَهْلِهِ] <sup>(ب)</sup>.

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، وَهُوَ مَا يَنْشَأُ  
عَنْهُ مِنْ فُسَادِ الْعُمْرَانِ وَخَرَابِهِ، وَذَلِكَ مُؤَدِّئٌ بِانْقِطَاعِ التَّوَعُّدِ الْبَشَرِيِّ؛ وَهِيَ الْحِكْمَةُ  
10 الْعَامَّةُ الْمُرَاعَاةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ الصَّرُورِيَّةِ الْحَفِظِيَّةِ، مِنْ جِفْظِ الدِّينِ، وَالتَّنَاسُلِ،  
وَالْعَقْلِ، وَالنَّسْلِ، وَالْمَالِ. فَلَمَّا كَانَ الظُّلْمُ، كَمَا رَأَيْتَ، مُؤَدِّئًا بِانْقِطَاعِ التَّوَعُّدِ لِمَا أَدَّى  
إِلَيْهِ مِنْ تَخْرِيبِ الْعُمْرَانِ، كَانَتْ حِكْمَةُ الْحَظَرِ فِيهِ مَوْجُودَةً، فَكَانَ تَحْرِيمُهُ مُهِمًّا. وَأَدِلُّهُ  
مِنْ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَثِيرٌ، أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَأْخُذَهَا قَانُونُ الضُّبُطِ أَوْ الْحَضَرِ.

وَلَوْ كَانَ كُلُّ أَحَدٍ قَادِرًا عَلَيْهِ، لَوُضِعَ بِإِزَائِهِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةِ، مَا وُضِعَ  
15 بِإِزَاءِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ لِلتَّوَعُّدِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى اقْتِرَافِهَا، مِنَ الزَّانِ وَالْقَتْلِ  
وَالشُّكْرِ، إِلَّا أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ  
الْفُذْرَةِ وَالتَّسَلُّطَانِ. فَبُولَغَ فِي ذِمَّتِهِ وَتَكْثِيرِ <sup>(ج)</sup> الوَعِيدِ فِيهِ، عَسَى أَنْ يَكُونَ الْوَارِغُ فِيهِ  
لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ. ﴿وَمَا زِلْنَاكَ بِظُلَامٍ لِّلْغَيْبِ﴾ [سورة فصلت، مِنْ آيَةِ 46].

(أ) سقط من ي (ب) من ل ج ي ، وسقط من ط (ج) من ج ل ي ، وفي ط : تكبر .

ولا تقولُ إنّ العقوبة قد وُضعتْ بإزاء الجِراية في الشَّرْع، وهي من ظُلم القادر؛ لأنَّ المُحاربَ زَمَنَ جِرائته فادِرٌّ؛ فإنَّ الجوابَ عن ذلك من طريقتين:

أحدهما، أن تقولَ: العقوبة ❶ التي وُضعت في ذلك، إنّما هي بإزاء ❷ (١) ما يُشترَفُه من الجنابات في نفس أو مالٍ على ما ذهب إليه كثيرٌ، وذلك إنّما يكونُ بقدر القدرة عليه والمطالبة بجنابته، وأما نفس الجِراية فهي جُلُوء من العقوبة.

5

الطريق الثاني، أن تقولَ: المُحاربُ لا يوصُفُ بالقدرة؛ لأنّا إنّما نغني بقدرة الظالم، [197] اليد المبسوطة التي لا تعارضها قُدرة؛/ فهي المؤذنة بالخراب؛ وأما قُدرة المُحارب فإنّما هي إخافة يجعلها ذريعة لأخذ الأموال؛ والمدافعة عنها يتبد الكُلّ موجودة شرعاً وسياسةً؛ فلنست من القُدَر المؤذنة بالخراب. والله قادرٌ على ما يشاء.

10

## 1. فصل :

ومن أشدَّ الظّلامات وأعظمها إفساداً للفران، تكليف الأعمال وتسخير الرعايا بغير حقّ. وذلك أنّ الأعمالَ من قبيل المُمَوَّلَات، لما سُنِّيَتْ في باب الرزق؛ أنّ الرزق والكسب إنّما هو قِسْمُ أعمال أهل الغفران. فإذا مساعهم وأعمالهم كُلُّها مُمَوَّلَات ومكاسبُ لهم، بل (ب) (١) مكاسبُ لهم سواها؛ فإنَّ الرعيّة المُنتمِلين في 15 العِارة إنّما معاشهم ومكاسبهم من اِعمالهم ذلك. فإذا كلفوا العملَ في غير شأنهم، واتَّخَذُوا سُخْرِيّاً في غير معاشهم، بطلَ كَسْبُهم واعتَصَبوا قِيَمَةَ عَمَلهم ذلك، وهو

(١) سقط ما بين الجين من ي (ب) سقط من ظ .

مُتَمَوِّلُهُمْ، فدخل عليهم الضُّرُّ، وَذَهَبَ لَهُمْ حَطًّا كَبِيرٌ مِنْ مَعَائِشِهِمْ، بَلْ هُوَ مَعَاشِهِمْ بِالْجُمْلَةِ. وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ آمَالَهُمْ فِي الْعِمَارَةِ، وَقَعَدُوا عَنِ السَّعْيِ فِيهَا جُمْلَةً، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِفَاضِ الْعُمْرَانِ وَتَخْرِيهِ، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مِنْ بَشَاءٍ بَغِيرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 212] .

## 5 2. فَضْلٌ :

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَأَفْسَدُ لِلْعُمْرَانِ وَالتَّوَلَّةِ، التَّسَلُّطُ عَلَى [أموال] <sup>(١)</sup> النَّاسِ، فِي شِرَاءِ مَا يَتَيْنُ أَيْدِيَهُمْ بِأَنْجَسِ الْأَثْمَانِ، ثُمَّ فَرَضَ الْبُضَائِعَ عَلَيْهِمْ بِأَزْفَعِ الْأَثْمَانِ، عَلَى وَجْهِ الْغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشِّرَاءِ وَالتَّبَيْعِ. وَرَبَّمَا تَقَرَّضَ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَثْمَانُ عَلَى التَّرَاخِي وَالتَّاجِيلِ، فَيَتَعَلَّلُونَ فِي الْخَسَارَةِ الَّتِي تَلْحَقُهُمْ، بِمَا تُحَدِّثُهُمْ بِهِ الْمَطَامِعُ مِنْ جَبَرِ ذَلِكَ بِجَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ الْبُضَائِعِ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَاءِ، 10 \*ثُمَّ يَطَالِبُونَ بِتِلْكَ الْأَثْمَانِ مَعْجَلَةً فَيُضْطَرُّونَ\* <sup>(ب)</sup> إِلَى بَيْعِهَا بِأَنْجَسِ الثَّمَنِ، وَتَعَوُّدُ خَسَارَةٍ مَا يَتَيْنِ الصَّفَقَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ. وَقَدْ يُعَمَّ ذَلِكَ أَصْنَافُ / التَّجَارِ [197ب]

الْمُقِيمِينَ بِالْمَدِينَةِ وَالْوَارِدِينَ مِنَ الْآفَاقِ فِي الْبُضَائِعِ، وَسَائِرِ السُّوقَةِ وَأَهْلِ الذِّكَاكِينِ فِي الْمَأْكَلِ وَالْفَوَاكِهِ، وَأَهْلِ الصَّنَائِعِ فِيمَا يَتَّخِذُ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ، فَتَشْمَلُ الْخَسَارَةُ 15 سَائِرَ الْأَصْنَافِ وَالطَّبَقَاتِ، وَتَتَوَالَى عَلَى الشَّاعَاتِ، وَتُجْجَفُ بِرُؤُوسِ الْأَمْوَالِ، وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا وَلِجَةً إِلَّا الْقَعُودَ عَنِ الْأَسْوَاقِ، لِنَهَابِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فِي جَبَرِهَا بِالْأَرْبَاحِ، وَبِتَنَاقُلِ الْوَارِدُونَ مِنَ الْآفَاقِ لِشِرَاءِ الْبُضَائِعِ وَبَيْعِهَا مِنْ أَجْلِ <sup>(ج)</sup> ذَلِكَ ، فَتَكُودُ

(١) سقط من ظ (ب) ما بين التجميعين من ي (ج) ل : بسبب .

الأسواق ويَظَلُّ<sup>(١)</sup> معاش الرعايا، لأنَّ عامَّةَهُ من البَيع والشَّراء. وإذا كانت الأسواق عَطْلًا منها بَطَلَ معاشهم، وتَنقُصُ حَيَاةُ السُّلْطَانِ أو تَشُدُّ، لأنَّ مُعْظَمَهَا من أَوَاسِطِ التَّوَلَّةِ، وما بَعْدَهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ المَكُوسِ عَلَى البِيعَاتِ كَمَا قَدَّمَاهُ. وَيَؤُولُ ذَلِكَ إِلَى تَلَايِي الدَّوْلَةِ وَفَسَادِ عُمُرَانِ المَدِينَةِ. وَيَتَطَرَّقُ هَذَا الحَلْلُ عَلَى التَّدْرِيجِ، وَلَا يُشْعَرُ بِهِ.

- 5 هذا في ما كان بَأَمْنَالِ هَذِهِ الدَّرَائِعِ وَالْأَسْبَابِ إِلَى أَخْذِ الْأَمْوَالِ، وَأَمَّا أَخْذُهَا مَجَانًا، وَالْعُدْوَانُ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ وَحَزْمِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ، فَهُوَ يُفْضِي إِلَى الحَلِّ وَالْفَسَادِ دَفْعَةً، وَتَنْقِصُ الدَّوْلَةَ سَرِيعًا لَمَّا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الهَرَجِ الْمُفْضِي إِلَى الْإِنْتِقَاضِ.

- ومن أَجْلِ هَذِهِ الْمَفَايِدِ خَظَرَ الشَّرْعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، وَشَرَعَ الْمَكَايِصَ فِي البَيع والشَّراءِ، وَخَظَرَ أَكْلَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، سَدًّا لِأَبْوَابِ الْمَفَايِدِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى 10 انْتِقَاضِ الْعُمُرَانِ بِالْهَرَجِ أَوْ بَطْلَانِ الْمَعَاشِ .

- وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاعِي لَذَلِكَ كُلَّهُ ، إِنَّمَا هُوَ حَاجَةُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ إِلَى الْإِكْتِنَارِ مِنَ الْمَالِ بِمَا يَغْرِضُ لَهُمُ مِنَ التَّرَفِّ فِي الْأَحْوَالِ، فَتَكْثُرُ نَفَقَاتُهُمْ وَيَعْظُمُ الْخَرْجُ وَلَا يَبْقَى 15 بِهِ الدَّخْلُ عَلَى التَّوَانِينِ الْمُفْتَادَةِ، فَيَسْتَخْذُونَ أَلْقَابًا وَوُجُوهاً/ يُوسِعُونَ بِهَا الْجَبَايَةَ لِيَفِي لَهُمُ الدَّخْلُ بِالْخَرْجِ. ثُمَّ لَا يَزَالُ التَّرَفُّ يَزِيدُ، وَالْخَرْجُ بِسَبَبِهِ يَكْثُرُ، وَالْحَاجَةُ إِلَى 15 أَمْوَالِ النَّاسِ تَشْتَدُّ، وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ بِذَلِكَ يَضِيقُ، إِلَى أَنْ تَنْمَحِيَ دَائِرَتُهَا وَيَذْهَبُ رُسْمُهَا وَيَغْلِبُهَا طَالِبُهَا. وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْأُمُورِ، لَا رَبَّ غَيْرَهُ.

(١) ل : يَسُدُّ .

44 ۞ فَضْلٌ ، فِي الْحِجَابِ كَيْفَ يَمُوتُ فِي الدُّوَلِ ، وَأَنَّهُ يَنْظُرُ عِنْدَ الْهَرَمِ

اعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَكُونُ بَعِيدَةً عَنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ كَمَا قَدَّمَاهُ ،  
لأنَّهَا لَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَتِمُّ أَمْرُهَا وَيُحْصَلُ اسْتِيلَاؤُهَا ؛ وَالْبَدَاوَةُ هِيَ شِعَارُ  
الْعَصِيَّةِ .

5 وَالدَّوْلَةُ إِنْ كَانَ قِيَامُهَا بِالذِّينِ ، فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ ؛ وَإِنْ كَانَ قِيَامُهَا  
بِعِزِّ الْعَلْبِ فَقَطْ ، فَالْبَدَاوَةُ الَّتِي بِهَا يُحْصَلُ الْعَلْبُ بَعِيدَةٌ أَيْضاً عَنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ  
وَمَذَاهِبِهِ ، فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بِدَوِيَّةٍ ، كَانَ صَاحِبُهَا عَلَى حَالِ الْفَضَاةِ  
وَالْبَدَاوَةِ وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسَهُولَةِ الْإِذْنِ .

فَإِذَا رَسَخَ عِزُّهُ وَصَارَ إِلَى الْاِثْقَادِ بِالْمَجْدِ ، وَاجْتَاجَ إِلَى الْاِثْقَادِ بِنَفْسِهِ  
10 عَنْ النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِّ شُؤْنِهِ ، لَمَّا يَكْثُرُ حِينَئِذٍ مِنْ غَايِبَتِهِ ،  
فَيُتْلَبُ الْاِثْقَادُ مِنَ الْعَامَّةِ مَا اسْتَطَاعَ ، وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا بُدَّ مِنْهُ  
مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ دَوْلَتِهِ ، فَيَكُونُ<sup>(١)</sup> حَاجِباً لَهُ عَنِ النَّاسِ ، وَيَقْبِهُ بِبَابِهِ لِهَذِهِ  
الْوُضُيْفَةِ .

ثُمَّ إِذَا اسْتَفْضَلَ الْمَلِكُ وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَازِعُهُ ، اسْتَحَالَتْ خُلُقُ صَاحِبِ  
15 الدَّوْلَةِ إِلَى خُلُقِ الْمَلِكِ ، وَهِيَ خُلُقٌ عَرَبِيَّةٌ مَخْصُوصَةٌ ، يَخْتِاجُ مُبَاشَرَتَهَا عَلَى مُدَارَاتِهَا  
وَمُعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ لَهَا ، وَرَبَّمَا تَحْمِلُ تِلْكَ الْخُلُقُ مِنْهُمْ بَعْضٌ مِنْ مُبَاشَرَتِهِمْ فَوْقَ فِيمَا لَا

(١) مِنْ طَرَحٍ ، وَفِي لَيْ : وَيَتَّخِذُ .



[198ب] يُرضيهم، فسَخَطُوهُ وصاروا إلى حالة الانتقام منه. فانقرضت بمعرفة / هذه الآداب معهم الخواص من أوليائهم ، وخجبوا غير أولئك الخاصة عن لقاءهم في كل وقت، حفظاً على أنفسهم من معاينة ما يَسَخَطُهم، وعلى الناس من التعرض لعيابهم .

فصار لهم حجاب آخر أخص من الحجاب الأول، يُفضي إليهم منه خواصهم من الأولياء ويُجَبِّدونه من سواهم. والحجاب الثاني يُفضي إلى مجالس الأولياء، 5 ويُجَبِّدونه من سواهم من العامة.

فالحجاب الأول يكون في أول الدولة كما ذكرناه، كما حدث أيام معاوية وعبد الملك وخلفاء بني أمية، وكان القائم على ذلك الحجاب يُستقى عندهم الحاجب، جزياً على مذهب الاشتقاق الصحيح .

ثم لما جاءت دولة بني العباس، وحدث للدولة من الترف والعز ما هو 10 معروف، وكملت خلق الملك على ما يجب فيها، فدعا ذلك إلى الحجاب الثاني، وصار اسم الحاجب أخص به، وصار باب الخلفاء دازان للغاشية: دار للخاصة؛ ودار للعامة، كما هو منطور في أخبارهم .

ثم حدث في الدول حجاب ثالث أخص من الأولين، وهو عند محاولة 15 التحير على صاحب الدولة. وذلك أن أهل الدولة وخواص الملك إذا نصّبوا الأبناء من الأقباب، وحاولوا الاستبداد عليهم، فأول ما يندأ به ذلك المستبد أن يُجَبِّد عنه بطانة أبيه وخواص أوليائه، يُوهِمُه أن في مباشرتهم إياه خرق حجاب الهيبة، وفساد قانون الأدب، ليقطع بذلك عنه لقاء الغير، ويعوّده ملائسة أخلاقه هو،

حتى لا يتبدل به سواه، إلى أن يستحكم الاستيلاء عليه، فيكون هذا الجباب من دواعيه.

وهذا الجباب لا يقع في الغالب إلا أواخر التلول كما قدّمناه في الحجر، ويكون دليلاً على هزم التولة ونقاد قوتها. وهو مما يحشاه أهل التول على أنفسهم؛ لأن

5 القائمين بالتولة / يحاولون ذلك بطباعهم عند هزم التولة، وذهاب الاستبداد من أعقاب [199] ملوكها، لئلا زكّب في القوس من محبة الاستبداد بالملك، وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه. ﴿والله غالب على أمره﴾ [سورة يوسف، من الآية 21].

#### 45 • فصل، في انقسام التولة الواحدة بدولتين

اعلم أن أول ما يقع من آثار الهزم في التولة انقسامها. وذلك أن الملك

10 عندما يستفحل وتبلغ أحوال الترف والتعم إلى غايتها، ويستبد صاحب التولة بالمجد ويتفرد به، تأثف حينئذ عن المشاركة، ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع، بإهلاك من اشترب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه. فرمّا ازتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم، وتزعوا إلى القاصية، واجتمع إليهم من يلحق بهم في مثل حالهم من الاعتزاز والاستيرابة. ويكون نطاق التولة قد أخذ في التضايق ورجع عن

15 القاصية. فينشد ذلك التنازع من القرابة فيها. ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق التولة، حتى يقاسم التولة أو يكاد.

وانظر ذلك في التولة الإسلامية القريبة، حين كان أمرها عزيزاً مجتهداً، ونطاقها ممتداً في الاتساع، وعصبية بني عند مناف واحدة غالباً على سائر مضر،

فلم يَنْبُضْ عِرْقٌ من الجِلاَفِ سائرَ أَيامِهِمْ؛ إلّا ما كان من نَزْعَةِ الحِوارجِ المُسْتَمْتِينِ في شَأْنِ بَدْعَتِهِمْ، لم يَكُنْ ذلكَ لِنَزْعَةِ مُلْكٍ ولا رِياسَةٍ، ولم يَتِمَّ أَمْرُهُمْ لِمُزاحَمَتِهِمُ العَصِيَّةُ القَوِيَّةُ .

ثمَّ لما خَرَجَ الأَمْرُ من بَني أُمَيَّةَ ، واستَقَلَّ بنو العباسِ بالأمرِ ، وكانت الدَّوْلَةُ الغَرِيبَةُ قد بَلَغَتْ الغايَةَ من الغَلَبِ والثَّرَفِ، وآذَنْتْ بِالتَّقْلُصِ عن القاصِيَةِ، 5 نَزَعَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلُ إلى الأَنْدَلُسِ، قاصِيَةَ دَوْلَةِ الإِسْلامِ، فَاسْتَحْدَثَ بِها مُلْكاً، / واقتطعها عن دَعْوَتِهِمْ، وصَيَّرَ الدَّوْلَةَ دَوْلَتَيْنِ. [199ب]

ثمَّ نَزَعَ إِدْرِيسُ إلى المَغْرِبِ ، وَخَرَجَ بِهِ وَقامَ بِأَمْرِهِ . وأَمَرَ ابْنَتَهُ من بَعْدِهِ البَرابِرَةَ من أَوْزَةِ وَمَغِيلَةَ وَزَنانَةَ، واستَوَلَى على نَاحِيَةِ المَغْرِبَيْنِ. ثمَّ ازدادتِ الدَّوْلَةُ تَقْلُصاً، فاضْطَرَبَ الأَغالِيَةُ في الاِمْتِناعِ عَلَیْهِمْ . 10

ثم خَرَجَ الشَّيْعَةُ وَقامَ بِأَمْرِهِمُ كُتَّامَةُ وَصِناهَجَةُ، واستَوَلَوْا على إفْرِيقِيَّةِ والمَغْرِبِ، ثمَّ بَضُرَ والشَّامِ والحِجازِ، وغَلَبُوا على الأدارِسَةِ، وَقَسَمُوا الدَّوْلَةَ دَوْلَتَيْنِ أُخْرَتَيْنِ، وصارتِ الدَّوْلَةُ الغَرِيبَةُ ثَلَاثَ دُولٍ : دَوْلَةُ بَنِي العباسِ بِمَركَزِ [العرب] <sup>(1)</sup> ، وَأَصْطِلِمْ وَمادَّةُ الإِسْلامِ؛ ودَوْلَةُ بَني أُمَيَّةِ المُجَدِّدينَ بِالأَنْدَلُسِ مُلكُهُمُ القَدِيمُ وخِلافتُهُمُ بِالمَشْرِقِ؛ ودَوْلَةُ العُبَيْدِيِّينَ بِإِفْرِيقِيَّةِ وبِضُرَ والشَّامِ والحِجازِ. ولم تَزَلْ هَذِهِ الدُّوَلُ إلى 15 أن كان اقْتِراضُها مُتقارِباً أو جَمِيعاً.

وكذلك انْقَسَمَتِ دَوْلَةُ بَني العباسِ بِدُولٍ أُخْرَى: فَكانَ بِالجَزِيرَةِ والمَوْصِلِ بَنو جَمْدانَ، وبَنو عَقِيلَ بَعْدَهُمْ، وبِضُرَ والشَّامِ بَنو طُولونَ وبَنو طُغْجَ بَعْدَهُمْ، وكانَ

(1) ط: المَغْرِبِ .

بالقاصية بنو سامان فيما وراء النهر وخراسان؛ والغلوثة في الديلم وطبرستان؛ وآل ذلك إلى استيلاء الديلم على فارس والعراقين وعلى بغداد والحلفاء. ثم جاء السلجوقية فملكوا جميع ذلك؛ ثم انقسمت دولتهم أيضا بعد الاستفحال كما هو معروف في أخبارهم.

5 وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وإفريقية، لما بلغت إلى غايتها أيام باديس بن المنصور، خرج عليه عمه حماد، واقتطع ممالك المغرب<sup>(أ)</sup> لنفسه، ما بين جبل أوزاس إلى تلمسان وملوية، •<sup>(ب)</sup> واخترت القلعة بجبل كياته<sup>(ج)</sup> جبال المسيلة، ونزلها واستولى على مركزهم أشير بجبل تيطرى، واستحدث ملكا آخر قسيما لملك آل باديس، وبقي آل باديس بالقروان وما إليها، ولم ينزل ذلك إلى أن انقرض / أمرهما جميعا. 10

[200]

وكذلك دولة الموحدين، لما تقلص ظلها، تار بإفريقية بنو أبي حفص فاستقلوا بها، واستحدثوا ملكا لأغقابهم بتواجيبها. ثم لما استفحل أمرهم واستولى على الغاية، خرج بالممالك الغزية من أغقابهم الأمير أبو زكرياء يحيى ابن السلطان أبي إسحاق إبراهيم، رابع خلفائهم، واستحدث ملكا بجاية وقسنطينة وما إليها، 15 أوزنه بنيه، وقسموا به الدولة قسمتين، ثم استولوا على كبرسي الحضرة بتونس، ثم انقسم الملك ما بين أغقابهم، ثم عاد الاستيلاء فيهم.

(أ) في ل ي : الغرب (ب) إلى هنا ينتهي سقط الكراسة الضائعة من نسخة ع. ومنها نستأنف اعتداد المغالطة (ج) كنا في ع ل. وفي ط ي بإهمال الياء وإتمام التاء . وفي ج بإهمال الحرفين

وقد ينتهي الانقسام إلى أكثر من ذوتين وثلاثة، في غير أغياص الملك من قومه، كما وقع في ملوك الطوائف بالأندلس، وملوك العجم بالمشرق، وفي ملك صنهاجة بإفريقية؛ فقد كان لآخر ذوتهم في كل حصن من حصون إفريقية ثاير مستقبل بأمره كما نذكره<sup>(1)</sup>. وكذا حال الجريد والزاب من إفريقية فبئيل هذا العهد كما نذكره أيضاً.

5

وهكذا شأن كل دولة، لا بد وأن يتعرض فيها عوارض الهزم، بالتأثر والدعة ونقل ظل القلب، فيقتسم أغياصها أو من يغلب من رجال دولتها الأمر، وتتعدد فيها الدول. والله وارث الأرض ومن عليها.

#### 46 • فصل، في أن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع

- 10 قد قدّمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهزم وأسبابه واحداً بعد واحد، وبيننا أنها تحدث للدولة بالطعن، وأنها كلها أمور طبيعية لها. وإذا كان الهزم طبيعياً في الدولة كان حدوثه بمثابة حدوث الأمور الطبيعية، كما يحدث الهزم في المراج الحيواني. والهزم من الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها؛ لما أنه طبيعي، والأمور الطبيعية لا تبدل. وقد يتلبه كثير من أهل الدول من له بظلة في السياسة،/ فيرى ما نزل بذوتهم من عوارض الهزم وأسبابه ويحسبه مفعلاً
- 15 [200ب] الارتفاع، فيأخذ نفسه بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها عن<sup>(ب)</sup> ذلك الهزم، ويظن أنه

(1) في ي: تقدم ذكره (ب) ل: من.

لَحِقَهَا بِتَقْصِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ أَوْ غَفَلَتِهِمْ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهَا أَمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ  
لِلدَّوْلَةِ، وَالْعَوَائِدُ هِيَ الْمَانِعَةُ لَهُ <sup>(ق)</sup> مِنْ تَلَاْفِيهَا. وَالْعَوَائِدُ تَنْزِلُ مَنَزَلَةَ طَبِيعِيَّةٍ أُخْرَى؛  
فَإِنَّ مِنْ أَذْرَكَ مَثَلًا أَبَاهُ وَكَبْرَاءَ أَهْلِ بَيْتِهِ يَلْبَسُونَ الْحَرِيرَ وَالذَّبِيحَ، وَيَتَخَلَّلُونَ  
بِالذَّهَبِ فِي السِّلَاحِ وَالْمَرَآكِبِ، وَيَحْتَجِبُونَ عَنِ النَّاسِ فِي الْمَجَالِسِ وَالصَّلَواتِ، فَلَا  
5 تُمَكِّنُهُ مُخَالَفَةُ سُلْطَانِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْحُشُوتَةِ فِي اللَّبَاسِ وَالزَّيِّ وَالْإِخْلَاطِ بِالنَّاسِ؛ إِذِ  
الْعَوَائِدُ حِينَئِذٍ تَمْنَعُهُ وَتَمْنَعُ عَلَيْهِ مُزْنَكَبُهُ. وَلَوْ فَعَلَهُ لَزِمَ بِالْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ فِي  
الْخُرُوجِ عَنِ الْعَوَائِدِ دَفْعَةً، وَخُشْيَ عَلَيْهِ عَائِدَةُ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُهُ فِي سُلْطَانِهِ. وَانْظُرْ  
شَأْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي إِنْكَارِ الْعَوَائِدِ وَمُخَالَفَتِهَا، لَوْلَا التَّأْيِيدُ الْإِلَهِيُّ وَالتَّصَرُّفُ السَّامَوِيُّ. وَزَيْمًا  
تَكُونُ الْعَصِيَّةُ قَدْ ذَهَبَتْ فَتَكُونُ الْأُيُوهَةُ تَعَوُّضٌ عَنْ مَوْقِعِهَا فِي <sup>(ب)</sup> النَّفْسِ. فَإِذَا  
10 أُرْزِلَتْ تِلْكَ الْأُيُوهَةُ مَعَ ضَعْفِ الْعَصِيَّةِ تَجَاسَرَتْ الرِّعَايَا عَلَى الدَّوْلَةِ بِدَوَامٍ <sup>(ج)</sup> أَوْهَامِ  
الْأُيُوهَةِ. فَتَتَدَرَّعُ الدَّوْلَةُ بِتِلْكَ الْأُيُوهَةِ مَا أُمَكَّنَهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ الْأَمْرَ.

وَرُبَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ آخِرِ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ تُوهِمُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ اِزْتَفَعَ عَنْهَا، وَيَوْمِضُ  
دُبَالُهَا إِيْمَاضَةً [الْحُمُودُ، كَمَا يَقَعُ فِي الدُّبَالِ الْمُشْتَعِلِ، فَإِنَّهُ عِنْدَ مُقَارِنَةِ انْطِفَافِهِ يَوْمِضُ  
إِيْمَاضَةً] <sup>(د)</sup> تُوهِمُ أَنَّهَا اشْتَعَالٌ، وَهِيَ انْطِفَاءٌ. فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ، وَلَا تَتَفَلَّسِرْ اللهُ وَحِكْمَتَهُ  
15 فِي أَطْرَادِ وُجُودِهِ عَلَى مَا قُدِّرَ فِيهِ. [وَأ] <sup>(هـ)</sup> ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ،  
مِنَ الْآيَةِ 38].

(أ) ظ: لها (ب) ل ع ي ج: من (ج) ل ي: بذهاب (د) من: ع ل ج ي، وسقط من ظ (هـ) م ي ل، ولي  
ط ع ج: فلكل.

## 47 • فصلٌ ، في كَيْفِيَّةِ طُرُقِ الحَلَلِ لِلدُّوْكَ

اعْلَمْ أَنَّ مَبْنَى الْمُلْكِ عَلَى أَسَاسَيْنِ لَا بَدْ مِنْهَا. فَالْأَوَّلُ، الشُّوْكَهُ وَالْعَصِيَّةُ،  
[201] وَهُوَ الْمُعْتَبَرُ عَنْهُ بِالْجُنْدِ. / وَالثَّانِي، الْمَالُ الَّذِي هُوَ قِيَامُ أَوْلَئِكَ الْجُنْدِ وَإِقَامَةُ مَا يَحْتَاجُ  
إِلَيْهِ الْمُلْكُ مِنَ الْأَحْوَالِ.

وَالْحَلَلُ إِذَا طَلِقَ الدُّوْلَةُ طَرَفَهَا فِي هَذَيْنِ الْأَسَاسَيْنِ. فَلْتَذَكَّرْ أَوَّلًا طُرُوقَ 5  
الْحَلَلِ فِي الشُّوْكَهِ وَالْعَصِيَّةِ؛ ثُمَّ نَرْجِعْ إِلَى طَرَفِهِ فِي الْمَالِ وَالْجَيَاةِ.

1- وَاعْلَمْ أَنَّ تَعْهِدَ الدُّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا، كَمَا قُلْنَا، إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ، وَأَنَّهُ  
لَا بَدْ مِنْ عَصِيَّةٍ كُبْرَى جَامِعَةٍ لِلْعَصَائِبِ، مُسْتَتَبِعَةٌ لَهَا، وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
الدُّوْلَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ مِنْ عَشِيرِهِ وَقَبِيلِهِ. فَإِذَا جَاءَتْ لِلدُّوْلَةِ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ مِنَ التَّرَفِ  
وَجَذَعِ أَنْوْفِ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَجْدَعُ أَنْوْفَ عَشِيرِهِ وَدَوِي قُرْبَاهِ الْمُقَاسِمِينَ 10  
لَهُ فِي اسْمِ الْمُلْكِ. فَيَتَشَدَّدُ فِي جَذَعِ أَنْوْفِهِمْ بِأَنْتَلَعٍ مِنْ سِوَاهُمْ. وَيَأْخُذُهُمُ التَّرَفُ أَيْضًا  
أَكْثَرَ مِنْ سِوَاهُمْ، لِمَكَاتِهِمْ مِنَ الْمُلْكِ وَالْعِزِّ وَالْقَلْبِ. فَيُحِيطُ بِهِمْ هَادِمَانِ، وَهَئَا:  
التَّرَفُ وَالْقَهْرُ. ثُمَّ يَصِيرُ الْقَهْرُ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ، لَمَّا يَحْصُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ  
رُسُوحِ الْمُلْكِ لِمَصَاحِبِ الْأَمْرِ، فَتَتَقَلَّبُ غَيْرُهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مُلْكِهِ، فَيَأْخُذُهُمْ  
بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَلْبِ التَّعَمُّعِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا الْكَثِيرَ مِنْهُ، فَيَهْلِكُونَ وَيَقْلَوْنَ 15  
وَتَشُدُّ عَصِيَّتُهُ صَاحِبَ الدُّوْلَةِ مِنْهُمْ، وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكُبْرَى الَّتِي كَانَ يَجْمَعُ بِهَا  
الْعَصَائِبُ وَيَسْتَتَبِعُهَا، فَتَنْحَلُّ عُزْوَتُهَا، وَتَضَعُفُ شَكِيمَتُهَا، وَيَسْتَبْدِلُ مِنْهَا بِالْبَطَانَةِ  
مِنْ مَوَالِي التَّعَمُّعِ وَضَنَائِعِ الْإِخْسَانِ، وَيَشْجُدُ مِنْهُمْ عَصِيَّةً. إِلَّا أَنَّهُ لَا لَيْسَتْ مِثْلُ تِلْكَ

في شِدَّة السَّكِيمة ، لِفقدان الرِّجَم (والقَرابة منها)<sup>(١)</sup>. وقد كُنَّا قَدَّمنا، أنَّ شَأْنَ  
 العَصِيَّة وقُوَّها إِمَّا هي بِالقَرابة والرِّجَم ، لما جَعَلَ اللهُ في ذلك. فَيَنْفَرُ صاحِبُ  
 الدَّوْلة عن العَشِير والأَنْصار أَهْلِ<sup>(ب)</sup> الثَّغَرِ<sup>(ب)</sup> الطَّبيعِيَّة ، وَيَحْسُ بِذلك أَهْلُ  
 العَصَائِب الأُخرى، فَيَتَجاسرون عليه وعلى بَطانته تَجاسراً طَبيعياً، فَيُهْلِكُهُم صاحِبُ  
 5 الدَّوْلة، وَيَتَبَعُهُم بِالْقَتْلِ واحداً بَعْدَ واحدٍ. وَيَقْلَدُ الآخِرُ من أَهْلِ الدَّوْلة / في ذلك [201ب]  
 الأوَّل؛ مع ما يَكُونُ قد نَزَلَ بِهِم من مَهْلَكَةِ التَّرَف الَّذي قَدَّمنا. فَيَسْتَوِلِي عليهم  
 الهَلَاكُ بِالْتَّرَفِ والقَتْلِ، حَتَّى يَخْرُجوا عن صِنْفَةِ تلك العَصِيَّة، وَيُنْسُوا نُفْرَتَها  
 وَسَوَزَتَها وَيَصِيرُوا أَجْراءَ على الحِجَابَةِ، وَيَقْلُون لذلك، فَتَقِلُّ الحامِيَّة الَّتِي تَثُرُ  
 بِالْأَطْرافِ والثُّغور؛ فَيَتَجاسرُ الرِّعايا على نَقْضِ الدَّعْوة في الأَطْراف، وتَبادُرُ الخَوارجُ  
 10 على الدَّوْلة من الأَغْياصِ وَغَيْرِهِم إلى تِلْكَ الأَطْراف، لما يَزْجُون حينئِذٍ من حُصولِ  
 غَرْضِهِم بِمُتَابَعَةِ أَهْلِ القاصِيَةِ لَهُم، وَأَمْنِهِم من وُصولِ الحامِيَةِ إِلَيْهِم. ولا يَزَالُ ذلك  
 يَتَدَرَّجُ، ونِطاقُ الدَّوْلة يَتَضاعِقُ، حَتَّى تُصيرَ الخَوارجُ في أَقْرَبِ الأَمَكانِ إلى مَركَزِ  
 الدَّوْلة. وَرُبَّما انْقَسَمَتِ الدَّوْلة عِنْدَ ذلك بَدْوَلَتَيْنِ أو ثَلَاثَ على قَدَرِ قُوَّتها في الأَضلِّ  
 كما قُلْناهُ، وَيَقومُ بِأمرِها غَيْرُ أَهْلِ غَضَبِيَّتِها، لَكِنْ إِذْعاثا لأَهْلِ غَضَبِيَّتِها وَلَعَلَّهِم  
 15 المَغْهُود.

واغْتَبِرْ هَذا في دَوْلَةِ العَرَبِ في الإِسْلام ، انْتَهَتْ أَوَّلًا إلى الأَنْدَلُسِ والهِنْدِ  
 والصَّينِ . وكانَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّة نَافِذاً في جَميعِ العَرَبِ بَعْضِيَّةً عِنْدَ مَنافٍ، حَتَّى لَقِدَ  
 أَمْرَ سُلَيمانَ بنِ عَبْدِ المَلِكِ من دِمَشقَ بِقَتْلِ عَبْدِ العَزيزِ بنِ مُوسى بنِ نُصَيرِ بَغْرَطْبَةِ،

(١) سَطَطَ مِنْ ظ (ب) سَطَطَ مِنْ ي .



فَقُتِلَ ولم يَزِدْ أمره. ثم تَلَا شَتَّ عَصِيَّةٍ بَنِي أُمَيَّةَ بما أَصَابَهُم من التَّرفِ، فَانْقَرَضُوا. وَجاء بنو العباس فَفَقَّضُوا من أَعِنَّةِ بَنِي هاشِمٍ، وَقَتَلُوا الطَّالِبِيَّينَ وَشَرَدُوهُم ، فَانْخَلَّتْ عَصِيَّةُ عَبْدٍ<sup>(١)</sup> مَنَافٍ وَتَلَا شَتَّ، وَتَجَاسَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِم، فَاسْتَبَدَّ عَلَيْهِم أَهْلُ الْقَاصِيَةِ، مِثْلُ بَنِي الْأَعْلَبِ بِإِفْرِيقِيَّةَ، وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ، وَغَيْرُهُم، وَاسْتَسَمَّتِ الدَّوْلَةُ. ثُمَّ خَرَجَ بَنُو إِدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ، وَقَامَ الْبَزْزُ بِأَمْرِهِم إِذْعَانًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي لَهُم، وَأَمَّا أَنْ تَصِلَهُم مُقَاتِلَةٌ 5 أَوْ حَامِيَةٌ لِلدَّوْلَةِ.

فَإِذَا خَرَجَ الدَّعَاءُ آخِرًا فَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأَطْرَافِ وَالْقَاصِيَةِ، وَيَحْضِلُ لَهُم هُنَالِكَ / دَعْوَةٌ وَمُلْكٌ تَنْقَسِمُ بِهِ الدَّوْلَةُ. وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ مَتَى زَادَتْ الدَّوْلَةُ ثَقُلًا، [1202] إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَرْكَزِ، وَتَضْعُفُ الْبِطَانَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَخَذَ مِنْهَا التَّرفُ، فَتَهْلِكُ وَتَضْجَلُ، وَتَضْعُفُ الدَّوْلَةُ الْمُتَقَسِّمَةُ كُلُّهَا. 10

وَرُبَّمَا طَالَ أَمْدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَتَسْتَغْنِي عَنِ الْغَصِيَّةِ بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنْ الصَّنِيعَةِ فِي نَفْسِ أَهْلِ إِيَالَتِهَا ، وَهِيَ صَنِيعَةُ الْاِئْتِيَادِ وَالتَّسْلِيمِ مُنْذُ السَّنِينَ الطَّوِيلَةِ الَّتِي لَا يَغْفِلُ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ مَبْدَأَهَا وَلَا أَوَّلِيَّتِهَا ، فَلَا يَغْفِلُونَ إِلَّا التَّسْلِيمَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ، فَيَسْتَغْنِي بِذَلِكَ عَنِ قُوَّةِ الْغَضَائِبِ، وَيَكْفِي صَاحِبَهَا فِي تَهْيِيدِ أَمْرِهَا الْأَجْرَاءَ عَلَى الْحَيَاةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَمُرْتَزِقٍ ، وَيَقْضُدُ ذَلِكَ مَا وَفَّرَ فِي الثَّفُوسِ عَامَّةً مِنْ عَقِيدَةِ 15 التَّسْلِيمِ ؛ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَتَصَوَّرَ عِضِيَانًا أَوْ خُرُوجًا إِلَّا وَالْجُمْهُورُ مُنْكَرُونَ عَلَيْهِ مُخَالِفُونَ لَهُ ؛ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصَدِّيِّ لِنَظَرِ لَوْ تَجَمَّدَ مُحَمَّدٌ . وَرُبَّمَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْحَالِ أَسْلَمَ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمَنَازَعَةِ لِاسْتِحْكَامِ صَنِيعَةِ التَّسْلِيمِ وَالْاِئْتِيَادِ لَهُمْ . فَلَا

(١) ل : بني عبد مناف .

تَكَادُ التَّفَوُّسُ تَحْدُثُ سِرُّهَا بِمُخَالَفَةٍ، وَلَا يَخْتَلِجُ فِي صَمِيرِهَا انْحِرَافٌ عَنِ الطَّاعَةِ،  
 فَيَكُونُ أَسْلَمُ مِنَ الْهَرَجِ وَالْإِنْتِقَاضِ الَّذِي يَحْدُثُ بِالْقَصَائِبِ وَالْعَشَائِرِ. ثُمَّ لَا يَزَالُ  
 أَمْرُ الدَّوْلَةِ كَذَلِكَ وَهِيَ تَتَلَاشَى فِي ذَاتِهَا، شَأْنُ الْحَرَارَةِ الْفَرِيزَةِ فِي الْبَذَنِ الْعَادِمِ  
 لِلْغِذَاءِ، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَفْتِهَا [المقدور<sup>(1)</sup>]. فَهَلْ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿سورة الرعد، من  
 الآية 38﴾ ؛ وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ أَمَدٌ. وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

- 2- وَأَمَّا الْحَلُّ الَّذِي يَطْرُقُ مِنْ جِهَةِ الْمَالِ، فَاغْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا تَكُونُ  
 بِدَوِيَّةٍ كَمَا مَرَّ، فَيَكُونُ لَهَا خُلُقٌ بِالرَّفَقِ بِالرَّعَايَا، وَالْقَصْدُ فِي التَّفَقَّاتِ، وَالتَّعَقُّفُ عَنِ  
 الْأَمْوَالِ، فَتَتَجَافَى عَنِ الْإِمْنَعَانِ فِي الْجَبَايَةِ وَالتَّخَذُّلِ وَالْكَنَسِ فِي جَمْعِ الْمَالِ وَحُسْبَانِ  
 الْعُمَالِ، وَلَا دَاعِيَةً حِينَنُذِ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي التَّفَقَّةِ، فَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثِيرِ الْمَالِ.  
 10 ثُمَّ يَحْصُلُ الْإِسْتِيلَاءُ وَتَعَظُمُ، وَيَسْتَفْجِلُ / الْمُلْكُ فَيَدْعُو إِلَى التَّرَفِ، وَيَكْثُرُ الْإِنْفَاقُ [202ب]  
 بِسَبَبِهِ، فَتَعَظُمُ تَفَقَّاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعُمومِ، بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ  
 الْمِضَرِّ، وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزَّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ وَأَزْزَاقِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ. [ثُمَّ يَعْظُمُ  
 التَّرَفُ]<sup>(ب)</sup> فَيَكْثُرُ الْإِسْرَافُ فِي التَّفَقَّاتِ، وَيَتَنَشَّرُ ذَلِكَ فِي الرِّعِيَّةِ، لِأَنَّ النَّاسَ عَلَى  
 دِينِ الدَّوْلَةِ وَعَوَائِدِهَا. وَيَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى ضَرْبِ الْمَكُوسِ عَلَى أَثْنَانِ الْبِيعَاتِ فِي  
 15 الْأَسْوَاقِ لِإِذْوَارِ الْجَبَايَةِ، لَمَّا يَرَاهُ مِنْ تَرَفِ الْمَدِينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمُ بِالرَّفَةِ، وَلَمَّا يَحْتَاجُ  
 هُوَ إِلَيْهِ مِنْ تَفَقَّاتِ سُلْطَانِهِ وَأَزْزَاقِ جُنْدِهِ. ثُمَّ تَزِيدُ عَوَائِدُ التَّرَفِ فَلَا تَقِي بِهَا  
 الْمَكُوسَ، وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْخَلَتْ فِي الْإِسْطِطَالَةِ وَالْقَهْرِ لَمَنْ تَحْتَ يَدِهَا مِنْ  
 الرَّعَايَا ، فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرَّعَايَا ، مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ تَعَدُّ

(1) سقط من ط (ب) من : ل ي .

في بغض الأحوال بشبهة أو بغير شبهة. ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا على الدولة، بما لجقها من الفشل والهزم في العصبية، فيتوقع ذلك منهم، ويدأى تشكيته بإفاضة العطاء وكثرة الإنفاق فيهم، ولا يجد عن ذلك وليحة. ويكون جباة الأموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا الطور بكثرة الجباية، وكونها بأيديهم، وما اتسع لذلك من جاههم، فتتوجه التهم إليهم باختجان الأموال من الجباية، وتفسو<sup>5</sup> السعاية فيهم، بغضهم من بغض، للمنافسة والحسد<sup>(1)</sup>، فتعهم التكبث والمضادرات واجداً واحداً، إلى أن تذهب ثروتهم، وتلاشى أخوالهم، ويفقد ما كان للدولة من الأبهة والجمال بهم. وإذا اضطلمت بعهم<sup>(ب)</sup>، تجاوزتهم الدولة إلى أهل الثروة من الرعايا سيواهم. ويكون الوهن في هذا الطور قد لجق الشوكة وضعت عن الاستيالة والقهق، فتصرف سياسته صاحب الدولة / حينئذ إلى مداراة<sup>(ج)</sup> الأمور [1203] بتدل المال، ويراه أنفع من السيف لقلّة غنائه؛ فتعظم حاجته إلى الأموال، زيادة على الثقات وأزراق الجند، ولا تنفي فيما يريد، ويعظم الهزم بالدولة، ويتجاسر عليها أهل النواحي، والدول تنحلّ غراها في كلّ طور من هذه، إلى أن تضي إلى الهلاك، وتعرض لاشيلاء الطلاب. فإن قصدها طالب اترعها من أيدي القائمين بها، وإلا بقيت وهي تلاشى إلى أن تضمحل كالذبال في السراج إذا بقي زيشه<sup>15</sup> وطفيء. والله مالك الأمور ومدير الأكوان، لا إله إلا هو<sup>(د)</sup>.

(1) ي: الحقد (ب) ج: نعمتهم (ج): مداراة (د) سقط من نسخة ي بعد هذا، الفصلان التاليان: 48 - فصل في حدوث القول وتجدها كيف يقع، و 49 - فصل في أن الدولة المستعدة إذا تشو على الدولة المستترة بالمطالبة لا بالمناخرة. وارتبط آخر هذا النص مباشرة بفصل: وفور المعمران أواخر القول، وما يقع فيها من كثرة الموتان والجبايات.

## 48 • فَضْلٌ، فِي حَدُوثِ الدُّوَلِ وَتَجَدُّدِهَا كَيْفَ يَكُونُ

اعْلَمْ أَنَّ نَشْأَةَ [الدُّوَلِ] <sup>(أ)</sup> وَبِدَائِهَا إِذَا أَخَذَتِ الدُّوْلَةُ الْمُسْتَقَرَّةَ فِي الْهَرَمِ  
وَالانْتِقَاصِ، يَكُونُ عَلَى ثَوَاعِينِ :

- إِمَّا بِأَنْ يَنْبَدَّ وِلَاةُ الْأَعْمَالِ فِي الدُّوْلَةِ بِالْقَاصِيَةِ عِنْدَمَا يَنْقَلِصَ ظِلْمُهَا عَنْهُمْ،  
5 فَيَكُونُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دُوْلَةٌ يَسْتَجِدُّهَا لِقَوْمِهِ وَمُلْكٌ يَسْتَقَرُّ فِي نِصَابِهِ، وَيَرْتَبِعُهُ عَنْهُ  
أَنْبَاؤُهُ أَوْ مَوَالِيهِ، وَيَسْتَفْحِلُ <sup>(ب)</sup> لَهُمُ الْمُلْكُ بِالتَّدْرِيجِ، وَرُبَّمَا يَزْدَجَمُونَ عَلَى ذَلِكَ الْمُلْكِ  
وَيَتَنَازَعُونَ عَلَيْهِ، وَيَتَنَازَعُونَ فِي الْأَسْتِثْنَاءِ بِهِ، وَيَغْلِبُ مِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ لَهُ فَضْلُ قُوَّةٍ  
عَلَى صَاحِبِهِ، (وَيَتَنَزَّعُ) <sup>(ج)</sup> مَا فِي يَدِهِ؛ كَمَا وَقَعَ فِي دُوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ أَخَذَتْ  
دُوْلَتَهُمْ <sup>(د)</sup> فِي الْهَرَمِ، وَنَقَلَصَ ظِلْمُهَا عَنِ الْقَاصِيِ، فَاسْتَبَدَّ بَنُو سَامَانَ بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ،  
10 وَبَنُو خُدَّانَ بِالْمَوْصِلِ وَالشَّامِ، وَبَنُو طُولُونَ بِمِصْرَ. وَكَمَا وَقَعَ فِي الدُّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
بِالْأَنْدَلُسِ، وَافْتَرَقَ مُلْكُهَا فِي الطَّوَائِفِ الَّذِينَ كَانُوا وَلَاتَهَا فِي الْأَعْمَالِ، وَانْقَسَمَتْ <sup>(هـ)</sup>  
دُوْلًا وَمُلُوكًا أَوْرَثُوهَا مَنْ بَقِيَ مِنْ قَرَابَتِهِمْ أَوْ <sup>(و)</sup> مَوَالِيهِمْ. وَهَذَا النَّوعُ لَا يَكُونُ بَيْنَهُمْ  
وَبَيْنَ الدُّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ حَرْبٌ، لِأَنَّهُمْ مُسْتَقَرُّونَ فِي رِئَاسَتِهِمْ [وَمُلْكِهِمْ] <sup>(ز)</sup>، وَلَا  
يُطْفَعُونَ فِي الْأَسْتِثْنَاءِ عَلَى الدُّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ؛ وَإِنَّمَا الدُّوْلَةُ أَدْرَكَهَا الْهَرَمُ فَتَقْلُصَ ظِلْمُهَا  
15 عَنِ الْقَاصِيَةِ، وَتُجَزَّزَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا <sup>(ح)</sup>.

(أ) ط: الدولة (ب) ل: ويحدث (ج) ط: وينزع (د) سقط من ل (هـ) ل: صارت (و) ل: و (ز) من ل، وتقدم:  
"وإنما الدولة المستقرة مجزأة عنهم وتقلص ظلمها". وهذا المعنى مكرر في النص، فلم يثبت في المتن (ح) سقط ما بين التجميع  
من ل.

والنوع الثاني ، بأن يخرج على الدولة المستقرة<sup>(أ)</sup> خارج من مجاورها من الأمم والقبائل<sup>(ب)</sup>، إما بدعوة يحمل الناس عليها كما أشرنا إليه ، أو بأن يكون صاحب<sup>(ج)</sup> شوكة وعصية ، كبيراً في قومه ، قد استنحل<sup>(د)</sup> أمره فيهم فينسمو بهم إلى الملك<sup>(هـ)</sup>، وقد حدثوا به أنفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة المستقرة، وما نزل بها من الهزم؛ فيتعيّن له ولقومه الاستيلاء عليها ، وبما رسونها بالمطالبة إلى أن يظفروا بها ويروّثون أمرها كما ثبت بعد. [كما وقع للسلاجقة مع بني سُبُكْتِكِين، ولبنّي مرين بالمغرب مع الموحدين؛ والله غالب على أمره]<sup>(و)</sup>.

#### 49 • فصل ، في أن الدولة المستجدة إنما تستولي على الدولة المستقرة بالمطالبة بالمناجزة

وقد ذكرنا أن الدول الحادثة المتجددة<sup>(ج)</sup> نوعان:

10

نوع من ولاة<sup>(ط)</sup> الأطراف إذا تقلّص ظل الدولة عنهم وانحسر تبارها ، وهؤلاء لا تقع منهم<sup>(ي)</sup> مطالبة للدولة في الأكثر كما<sup>(ك)</sup> قدّمناه<sup>(ل)</sup> ، لأنّ قضاياهم الفئوع بما في أيديهم، وهو نهاية قوتهم .

(أ) سقط من ع (ب) سقط من ل (ج) في ل: "كبير قوم أولي شوكة وعصية، يستغل أمره فيهم". والمعنى موجود في النصّ المبت في المتن، وهو نص ط ع ج (د) سقط من ل (هـ) ل: ينسجل (و) توجد هنا زيادة في نسخة ل، خُزرت في ع ج ط بأسلوب أوضح، ويبدو أن ناسخها نقلها من نسخة أخرى غير ع، والزيادة هي: [عندما يرى خزم الدولة المستقرة، وبمعين هو أو قومه للاستيلاء عليها]، وبه ينتهي الفصل (ز) إلى هنا ينتهي هذا الفصل في نسخة ط ع ، وقد خرج المؤلف بمطّعه في نسخة ع مُخرّجاً شطب فيه جملة [كما بينت بعد] وذكر ما ابتدأه بعدها بمحسوزاً. وقد أدركته نسخة ج في شطبها (ح) سقط من ل (ط) ل: عمال (ي) لم (ك) سقط من ل (ل) ل: وهي .

والتوسع الثاني ، نوع الدّعاة والخوارج على الدّولة ، وهؤلاء لا بدّ لهم من  
 • (أ) المطالبة ، لأنّ (ب) قوتهم وافيّة بها ، (ج) فإنّ ذلك إنّما يكون في نصاب يكون له  
 من • (أ) العصيّة والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به (ج) . فتقع بينهم وبين الدّولة  
 المستقرّة حروب سجال ، تتكرر وتتصل إلى أن يقع لهم الانسلاء والطّفَر (د)  
 5 بالمطاولَة غالباً (هـ) . ولا يحصل لهم في الغالب طَفَر بالمناخزة . والسبب في ذلك أنّ  
 الطّفَر في الحروب إنّما يقع في (د) الأكثر (د) كما قدّمناه بأمر نفسانيّة وهميّة ، وإن  
 كان الغدّ والسّلاح وصدى القتال كفيلاً به ، لكنّه قاصر مع تلك الأمور الوهميّة كما  
 مرّ؛ ولذلك كان الجِداع من أنفع ما يستغل في الحرب ، وأكثر ما يقع الطّفَر به؛  
 وفي الحديث : "الحرب خدعة" (1).

- 10 والنّوَلَة المستقرّة قد/ صيرت العوائد المألوفة طاعناتها ضروريّة واجبة ، كما [204]  
 تقدّم في غير موضع ، فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدّولة المستجدة ، ويكسر من  
 هم أتباعه وأهل شوكته؛ وإن كان الأقربون (ز) من بطانته على بصيرة في طاعته  
 ومؤازرته ، إلّا أنّ الآخرين أكثر (ح) ، وقد داخلهم الفسل والكسل بتلك العقائد • في  
 التسليم للدّولة المستقرّة (ط) ، فيحصل بغض الثّور منهم (ط) ، ولا يكاد صاحب  
 15 الدّولة المستجدة لذلك يقاوم صاحب (ط) النّوَلَة المستقرّة . فيرجع إلى الصّبر

(أ) سقط ما بين الجيمين من ج (ب) ل: و (ج) سقط ما بين الجيمين من ل (د) سقط من ل (هـ) سقط من ج ع

(و) ج: غالباً (ز) ل: أهل بطانته (ح) ع: وهم الأكثر، قد (ط) سقط من ل .

(1) تقدّم تحريجه في صفحة 476 .

والمطاولَة، حتَّى يُتَّضح<sup>(١)</sup> هُزْمُ الدَّوْلَةِ المُستَقِرَّةِ، فتتضمَّج<sup>(ب)</sup> عقائدُ التَّسليمِ لها<sup>(٢)</sup> من قُوَّمه، وتُثبِّت<sup>(ج)</sup> منهم الهمُّ لِصدق<sup>(٣)</sup> المطالبةِ معه، فيتَّبعُ الظَّفَرُ والاسْتِيلاءَ<sup>(د)</sup>.

وأيضاً، فالدَّوْلَةُ المُستَقِرَّةُ كثيرةُ التَّرفِ بما استخكَمَ لهم من المُلْكِ،  
 5 [وتستوعبُه]<sup>(هـ)</sup> [من التَّعَمِّ واللَّدَاتِ، واختصَّوا به دُونَ غَيْرِهِم من أموالِ الجبَايةِ]<sup>(و)</sup>،  
 فيكثُرُ عندهم ازْتِباطُ الحَيُولِ، واستِجادةُ الأَسْلِحَةِ، وتَقْطُمُ<sup>(ز)</sup> فيهم الأُهمَّةُ المَلِكِيَّةُ،  
 ويُقبِضُ<sup>(ح)</sup> العطاءَ بَيْنَهُم من مَلوكِهِم اختِياراً واضطِّراراً،\* فيُرهَبونَ بذلك كُلَّهُ  
 عَدُوَّهُمْ\*<sup>(ط)</sup>. وأهلُ الدَّوْلَةِ المُستَجِدَّةِ بِمَغْزِلٍ عن ذلك؛ لما هم فيه من البَدَاوَةِ  
 وأخْوالِ<sup>(ي)</sup> الفقرِ والحِصَاةِ [الَّتِي يُفْقَدُ معها الاستِغْدَادُ من ذلك]<sup>(ك)</sup>، فتَنسَبِقُ إلى  
 10 قُلُوبِهِم أَوْهَامُ الرُّغْبِ بما يَلْفُحُهم عن<sup>(ل)</sup> أخْوالِ الدَّوْلَةِ المُستَقِرَّةِ<sup>(م)</sup> [وكثرةِ استِغْدَادِها]<sup>(ن)</sup>،  
 ويُجْمَعونَ عن قِتالِهِم من أَجْلِ ذلك، فيُضْطَرُّ<sup>(س)</sup> أميرُهُم<sup>(س)</sup> إلى المطاولَةِ حتَّى تَأْخُذَ  
 الدَّوْلَةُ المُستَقِرَّةُ مأْخذَهَا من الهَزَمِ، وَيَسْتَحْكَمَ الحَقْلُ فيها في العَصِيَّةِ والجَبَايَةِ،  
 فيُتْهَرُ حينئِذٍ صاحبُ الدَّوْلَةِ المُستَجِدَّةِ فُرْصَتُهُ في الاستِيعْلَاءِ عليها بَعْدَ حينٍ مُنْذُ  
 المطالبةِ. سُنَّةُ اللَّهِ في عِبَادِهِ.

(١) ل: يبين (ب) ل: تلك العقائد (ج) ل: وتغوى ههناهم على صدق المطالبة (د) سقط من ل (هـ) من ع ج . وفي ط:  
 وتوسعه (و) من ع ج، وسقط من ط ل (ز) ل: وعظم الأبهة (ح) ل: وقبض (ط) سقط ما بين النجيين من ل (ي)  
 البداوة الكمية بالفقر (ك) من ع ج، وسقط من ط ل (ل) ل: من (م) تضع نسخة ل بقية هذه الفقرة منفردة بذلك، على  
 النحو التالي: [ويلحق ههناهم الفشل من أجل ذلك، فيندل صاحب الدولة المستجدة عن المناجزة، ويضطر إلى المطاولَة، حتى  
 يأخذ الهزم مأخذاً من الدولة المستقرة، ويحيط الحقل بها من جميع جوانبها، فيبع الاستيلاء عليها. سنة الله في خلقه وعباده]  
 (ن) من ع ج، وسقط من ط ل (س) سقط من ل .

وأيضاً<sup>(١)</sup>، فأهل الدولة المستجدة كلهم مباينون لأهل الدولة المستقرة  
بأنسابهم وعوائلهم وفي سائر مناحيهم، ثم منافرون لهم ومنايدون بما وقع من هذه  
المطالبة، ويطمعهم في الاستيلاء عليهم، فتتمكن المباعدة بين أهل الدولتين سراً [204ب]  
وجهرًا، ولا يصل إلى أهل الدولة المستجدة خبر عن أهل الدولة المستقرة يصيبون  
منه غيرة<sup>(ب)</sup> باطنًا ولا ظاهرًا، لاقطاع المداخلة (المواصلة)<sup>(ج)</sup> بين الدولتين،  
فيقيمون على المطالبة وهم [معها]<sup>(د)</sup> في إخماد وتكول عن المناخزة، حتى إذا تأذن  
الله بزوال الدولة المستقرة، ونفاد عمرها، ووفور الخلل في جميع جهاتها، وانضح  
لأهل الدولة المستجدة مع الأيام ما كان يخفى عنهم من هزرها وتلاشيها، وقد  
عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أغلالها ونقصوه من أطرافها، فتنبعث همهم يدا  
واحدة للمناخزة، ويذهب ما كان يثبت في عزائمهم من التوهّمات، وتنتهي المطاولة  
إلى حدّها، ويقع الاستيلاء آخرًا بالمناخزة.

واعتبر ذلك في دولة بني العباس عند ظهورها [وبدايتها]<sup>(هـ)</sup>، كيف أقام  
الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة، واجتبايعهم على المطالبة عشرين سنين أو تزيد<sup>(و)</sup>.  
وحينئذٍ تمّ لهم الظفر واستولوا<sup>(ز)</sup> على الدولة الأموية.

(أ) جاءت هذه الفقرة في "ل" مغيرة في سياقها ليقية النسخ، حسبنا يلي: [وأيضاً فإن هذه الدولة المستجدة كلهم مباينون لأهل  
الدولة المستقرة جميع أحوالهم وعوائلهم وأنسابهم وسائر اعتباراتهم، ثم منافرون لهم يحدث هذه المطالبة ومنايدون، فلا يظلمون  
من أهل هذه الدولة على شيء، ولا يصل إليهم خبر من أخبارها يصيبون به غيرة منها، لاقطاع أسباب المداخلة بينها، فيمكنون  
التيين القديسة في مطالبتها وهم في إخماد وتكول عنها سائر أوقاتهم، حتى يتأذن الله بزوال الدولة المستقرة ونفاد عمرها، فيظهر ما  
كان مشتموزاً عن أهل الدولة المستجدة من هزرها وتلاشيها، وتثبت همهم جميعاً للمناخزة، ويذهب ما كان يثبت في عزائمهم من  
التوهّمات ويقع الاستيلاء [ل/ 204]. وهذا النص وبعض ما رُد من بقية هذا الفصل، يظهر أن ابن خلدون حرّره مجلداً على  
الصورة التي حفظت في نسخة "ل" وحدها، ثم أعاد النظر فيه وعُدّل تجلّه ومدّدها وحذف بعض عباراته. (ب) ع: غيرة فيهم  
(ج) من ع ج (د) حقط من ظ (هـ) من ع مقحمة بخطه (و) ل: أزيد (ز) ل: وحصل الاستيلاء.



وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوته في الديلم، كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك التاجية. ثم لما انقضى أمر العلوية وسما الديلم إلى ملك فارس والعراقين، فمكثوا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا أذهبان وفارس، ثم استولوا على الخليفة ببغداد.

- وكذا القنبديون، أقام داعيتهم بالمغرب أبو عبد الله الشيعي بين كُنامة من 5 قبائل البربر عشر سنين وتزيد، يطاول بني الأغلب بإفريقية حتى ظفر بهم، واستولوا على المغرب كله. وسَمَوْا إلى ملك مصر؛ فمكثوا ثلاثين سنة أو نحوها في طلبها، يجهزون إليها العساكر والأساطيل في كل وقت، ونجى المذد لمداقتهم برًا وبحرًا من بغداد والشام؛ وملكوا الإسكندرية والقيروم والضعيد، وتحطت دعوته من هنالك إلى الحجاز، وأقيمت بالحرمين. ثم نازل قائدُهم / جوهز الكاتب بعساكره مدينة مصر 10 واستولوا عليها، وافتلح دولة بني طُفج من أصولها، واخُتطت القاهرة، فجاء خليفته معذُّ المعز لدين الله، فزلها لستين سنة أو نحوها منذ استيلائهم على الإسكندرية. وكذا السلجوقية ملوك الترك، لما استولوا على بني سامان وأجازوا من وراء النهر، مكثوا نحوًا من ثلاثين سنة يطاولون ابن سُبُكْتِكِين بخراسان حتى استولوا على دولته؛ ثم رَحَفُوا إلى بغداد، فاستولوا عليها وعلى الخليفة بها بعد أيام من الدهر. 15 وكذا الظَّطر من بغداد، خرجوا من المفازة أغوام سبع عشرة وسبعمائة، فلم يتم لهم الاستيلاء [على العراقيين] إلا بعد حين من الدهر في ثلاثين سنة أو نحوها، وما استولوا على بغداد<sup>(1)</sup> إلا بعد أربعين سنة.

(1) من ل وحدها، وفي الأصول الأخرى: فلم يتم لهم الاستيلاء إلا بعد أربعين سنة.

وكذا أهل المغرب، خَرَجَ به المُرابطون من لَمْتُونَة على مُلوكة من مَغْرَاوَة،  
فَطَاوُلُوهم سِنِينَ حَتَّى اسْتَوَلُوا عَلَيْهِمْ. ثُمَّ خَرَجَ الْمُؤَحِّدُونَ بِذَغُوتِهِمْ على لَمْتُونَة فَمَكَّنُوا  
نَحْوًا من ثَلَاثِينَ <sup>(أ)</sup> سَنَةً مُحَارِبِينَهم <sup>(ب)</sup> حَتَّى اسْتَوَلُوا على كُرْسِيِّهم بِمَرَاكُش.

وكذا بَنُو مَرِين من زَنَاتَة، خَرَجُوا على الْمُؤَحِّدِينَ، فَمَكَّنُوا يُطَاوِلُونَهُمْ <sup>(ج)</sup> نَحْوًا  
من ثَلَاثِينَ سَنَةً، واسْتَوَلُوا على قَاسٍ واقتطعوها وأعمالها من مُلكِهِمْ؛ ثم أَقَامُوا في  
مُحَارِبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوَلُوا على كُرْسِيِّهم بِمَرَاكُش. حَسْبُهَا ذَلِكَ كُلُّهُ  
مَذْكُورٌ في تَوَارِيخِ هَذِهِ الدُّوَل.

فَهَكَذَا حَالُ الدُّوَلِ الْمُسْتَعِجَّةِ مع الْمُسْتَقَرَّةِ في الْمَطَالِبَةِ وَالْمُطَاوَلَةِ. سُنَّةُ اللَّهِ في  
عِبَادِهِ؛ ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [سورة الأحزاب ، من الآية 62] .

وَلَا يُقْتَرَضُ <sup>(د)</sup> ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ من الْفُتُوحَاتِ في الدُّوَلَةِ <sup>(هـ)</sup> الْإِسْلَامِيَّةِ، وَكَيْفَ  
كَانَ الْاسْتِغْلَاءُ على فَارِسٍ وَالرُّومِ لثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ من وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ [من غَيْرِ  
مُطَاوَلَةٍ] <sup>(و)</sup>؛ وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً من مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا ﷺ؛ سِرُّهَا  
اِسْتِثْنَاءُ الْمُسْلِمِينَ في جِهَادِ غَدُوِّهم اِسْتِغْنَاءً بِالْإِيمَانِ، وَمَا أَوْقَعَ اللَّهُ في قُلُوبِ غَدُوِّهم  
[كَفَاءَ ذَلِكَ] <sup>(ز)</sup> من الرُّعْبِ وَالتَّخَاذُلِ / فَكَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ [الْمَعْلُومَةِ] <sup>(ح)</sup> في  
مُطَاوَلَةِ الدُّوَلِ الْمُسْتَعِجَّةِ لِلْمُسْتَقَرَّةِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِقًا فَهُوَ من مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا،

(أ) ل : عشرين (ب) ل : يطاولونهم (ج) ل : في مطاولتهم ثلاثين سنة أو نحوها حتى استولوا (د) ط ج ، وفي ع : "ولا  
تعرض"، وفي ل : "ولا يقع في نظرك اعتراض". ومن هنا إلى بقية الفضل يوجد تباين في الصياغة وإيجاز الفردت بها نسخة "ل"  
(هـ) ط ، وسقطت من ج ، وشطبنت من ع (و) من ع ج (ز) ع ج ل : صلوات الله عليه (ح) ع ج ، وفي ط : كمي  
(ط) ع ج ، وفي ط : المستقرة .

صلوات الله عليه وسلامه، المتعارف ظهورها في الملة الإسلامية. والمعجرات لا تقاس عليها الأمور العادية، ولا يفترض بها<sup>(١)</sup>.

50 • فصل، في وقوم العُمران أو آخر الدول، وما يقع فيها من كسرة الموتان والمجاعات

إنه قد تقرر لك فيما سلف أن الدول في أول أمرها لا بد من الرفق في 5  
ملكها والاعتدال في إياقتها، إما من الدين إن كانت الدعوة دينية، أو من المكارمة  
والمحاسبة التي تقتضيها البداوة الطبيعية للدول. وإذا كانت الملكة رقيقة مُحسنة  
انبسطت آمال الزعيا، وانتشطوا للعمران وأشباهه، فتوفر وكثر التنازل. وإذا كان  
ذلك كله بالتدريج، فإنما يظهر أثره بعد جيل أو جيلين في الأقل. وفي انقضاء  
الجيلين تُشرف الدولة على نهاية عمرها الطبيعي، فيكون حينئذ العُمران في غاية 10  
الوفور والنماء.

ولا نقول إنه قد مر لك أن أواخر الدول يكون فيها الإجحاف بالزعيا  
وسوء الملكة، فذلك صحيح، ولا يعارض ما قلناه؛ لأن الإجحاف وإن حدث  
حينئذ وقلت الجبايات، فإنما يظهر أثره في تناقص العمران بعد حين، من أجل  
التدريج في الأمور الطبيعية. ثم إن المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في أواخر 15  
الدول؛ والسبب فيه:

(١) إلى هنا ينهي النص الذي أشرنا إليه في نسخة "ي" انظر صفحة 509.

أَمَّا الْمَجَاعَاتُ<sup>(١)</sup>، فَلْيَقْبِضِ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْفُلْحِ فِي الْأَكْثَرِ، بِسَبَبِ مَا يَتَّبِعُ فِي أَوَاخِرِ الدَّوَلِ مِنَ الْعُذْوَانِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَاتِ، (وَفِي الْبَيَاعَاتِ وَالْمُكُوسِ)<sup>(ب)</sup>، أَوْ الْفَيْتَنِ الْوَاقِعَةَ مِنْ<sup>(ج)</sup> انْتِقَاضِ الرِّعَايَا وَكَثْرَةِ الْحَوَارِجِ لِهَزَمِ الدَّوَلَةِ، فَيَقِلُّ اخْتِكَازُ الزَّرْعِ غَالِبًا؛ وَلَيْسَ صِلَاحُ الزَّرْعِ وَثَرْتُهُ مُسْتَمِرَّ الْوُجُودِ، وَلَا عَلَى وَثَرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ (الْأَمْطَارِ)<sup>(د)</sup> وَقِلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ، وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضْعُفُ، / وَيَقِلُّ [٢٠٦] 5 وَيَكْثُرُ، وَالزَّرْعُ وَالثَّارُ وَالصَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ، إِلَّا أَنَّ النَّاسَ وَاقِفُونَ فِي أَقْوَاتِهِمْ بِالْاخْتِكَازِ؛ فَإِذَا قُتِدَ الْاخْتِكَازُ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ لِلْمَجَاعَاتِ، فَغَلَا الزَّرْعُ، وَعَجَزَ عَنْهُ أَوَّلُوا الْخِصَاصَةِ فَهَلَكُوا، أَوْ كَانَ بَعْضُ السَّنَوَاتِ، وَالْاخْتِكَارُ مَقْفُودًا، فَشَمِلَ النَّاسَ الْجُوعُ.

وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أَسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْمَجَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، أَوْ كَثْرَةِ الْفَيْتَنِ 10 لَاخْتِلَالِ الدَّوَلِ فَيَكْثُرُ الْهَزَجُ وَالْقَتْلُ؛ أَوْ وَقُوعُ الْوَبَاءِ، وَسَبَبُهُ فِي الْغَالِبِ فِسَادُ الْهَوَاءِ بِكَثْرَةِ الْغُفْرَانِ، لَكَثْرَةِ مَا يُخَالِطُهُ مِنَ الْعَفْنِ وَالرَّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ. وَإِذَا فَسَدَ الْهَوَاءُ وَهُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمَلَابِسُهُ دَائِمًا، فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى مَزَاجِهِ. فَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ قَوِيًّا وَقَعَ الْمَرَضُ فِي الرِّثَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ الطَّوَاعِينُ، وَأَمْرَاضُهَا مَخْصُوصَةٌ 15 بِالرِّثَّةِ. وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ، فَيَكْثُرُ الْعَفْنُ بِهِ وَيَتَضَاعَفُ، فَتَكْثُرُ الْحُمَاتُ فِي الْأَمْرِجَةِ وَتَقْرُصُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ.

وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفْنِ وَالرَّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ<sup>(هـ)</sup> فِي هَذَا كُلِّهِ، كَثْرَةُ الْغُفْرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرَ الدَّوَلِ، لَمَا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حُسْنِ الْمَلَكَةِ وَرِفْقِهَا وَعَظَمِ الْحَيَاةِ

(١) ي: والموتان (ب) حاشية من ع يحمله (ج) ع: بانتقاض. ي: في انتقاض (د) سقط من ط (هـ) سقط من ل.

وقلة المغزم، وهو ظاهر. ولهذا تبين في موضعه في الحكمة، أن تحلل الحلاء والقفر بين الفئران ضروري، ليكون تنوُّج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن بمخالطة الحيوانات، ويأتي بالهواء الصحيح.

ولهذا أيضاً فإن المواتن يكون في المدن المؤفورة الفئران أكثر من غيرها بكثير، كحضر بالمشرق وفاس بالمغرب. والله يُقدِّر ما يشاء.

5

## 51 • فصل، في أن العمران البشري لا بد له من سياسة ينظم بها أمره

إنه قد تقدّم لنا في غير موضع أن الاجتماع للبشر ضروري، وهو / معنى [206ب]

الفئران الذي تشكّل فيه، وأنه لا بد لهم في الاجتماع من وازع وحاكم يزعجون إليه؛ وحكمته فيهم تارة يكون مستنيداً إلى شرع مُنزّل من عند الله، يوجب انقيادهم إليه إيمانهم بالتواب والعقاب عليه الذي جاء به مُبلّغه؛ وتارة إلى سياسة عقلية يوجب انقيادهم إليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بقدر معرفته بمصالحهم.

10

فالأولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة، لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة، ولمراعاه نجاة العباد في الآخرة؛ والثانية إنّما يحصل نفعها في الدنيا فقط.

وما شُفّع من السياسة المدنية فليس من هذا الباب، وإنّما مغنائه عند الحكماء، ما يجب أن يكون عليه كل واحد من أهل ذلك المجتمع في نفسه وحلقه، حتى يستغنوا عن الحكم رأساً؛ ويسمّون المجتمع الذي يحصل فيه ما ينبغي من ذلك بالمدينة الفاضلة؛ والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية. وليس مرادهم

15

السياسة التي يُجْزَلُ عليها أهلُ الاجتماع بالأحكام للفصالح العامة؛ فإن هذه غير تلك. وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة أو بعيدة الوقوع، وإنما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير .

ثم إن السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وتضمن :

5 أحدهما، تراضى فيها المصالح على العموم، ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص. وهذه كانت سياسة الفرس، وهي على وجه الحكمة. وقد أعانا الله عنها في الإملة ولعهد الخلافة، لأن أحكام الشريعة مُغْنِيَةٌ عنها في المصالح العامة والخاصة والآداب؛ وأحكام الملك مُنْدرِجَةٌ فيها .

10 الوجه الثاني، أن تراضى فيها مصلحة السلطان، وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستيالة، وتكون المصالح / العامة في هذه تبعاً. وهذه السياسة هي [1207] التي لساير الملوك في العالم من مسلم وكافر؛ إلا أن ملوك المسلمين يخرجون منها على ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بحسب مجدهم؛ فقوانينها إذاً مُجْتَمِعَةٌ من أحكام [شرعية]<sup>(1)</sup>، وآداب خلُقِيَّة، وقوانين في الاختجاع طبيعِيَّة، وأشياء من مراعاة الشؤكة والقصبة ضروريَّة. والاقتداء فيها بالشرع أولاً، ثم بالحكام في آدابهم، والملوك في سيرهم. 15

ومن أحسن<sup>(ب)</sup> ما كُتِبَ في ذلك وأوعيه، كتاب طاهر بن الحسين، قائد المأمون، لابنه عبد الله بن طاهر، لما ولّاه المأمون الرقة ومصر<sup>(1)</sup> وما يتنهما؛ فكتب

(1) ط: شهنة (ب) ع: ومن الشخن .

(1) عند ابن تليثور: مصر (بغداد 25-26)، وديار مصر ما كان في السهل فرب من شرقي الفرات نحو خزان الرقة (معجم البلدان 2: 494)

إليه أبوه طاهر كتابه المشهور، عيذ إليه فيه، ووضاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والحقوقية، والسياسات الشرعية والملوكية، وحثه على مكارم الأخلاق ومحابن الشيم بما لا يستغني عنه ملك ولا سوقة. ونص الكتاب منقولاً من كتاب الطبري<sup>(1)</sup> :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

5

أما بعد ، فعليك بثقوى الله وخذه لا شريك له ، وخشيته ، ومراقبته عز وجل ، ومزائله سُخْطه . واحفظ<sup>(أ)</sup> رعيته في الليل والنهار . والزَّم ما أَلْبَسَكَ الله من العافية ، بالذكر لِمَعَادِكَ ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومسؤول عنه ، والعقل في ذلك كله بما يَغْصِيكَ الله عز وجل ، ويُجِيبُكَ يوم القيامة<sup>(ب)</sup> من عقابه وألم عذابه ؛ فإن الله سبحانه قد أحسن إليك وأوجب عليك<sup>(ج)</sup> الزَّافَةَ بِمَنْ اسْتَرْعَاكَ أَمَرَهُمْ من عبادِهِ ، وألَزَمَكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ<sup>(د)</sup> ، والقيام بحقه وحدوده عليهم<sup>(هـ)</sup> ، والذب عنهم ، والدفع عن حريمهم وبتضيتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن [للسُّبُلِهِمْ]<sup>(و)</sup> ، وإذْخَالَ الرَّاحَةَ عَلَيْهِمْ<sup>(ز)</sup> . ومُواخَذُكَ / بما فَرَضَ عَلَيْكَ ، ومُوافَقُكَ<sup>(ح)</sup> عليه ، ومُسَائِلُكَ<sup>(ط)</sup> عنه ، ومُشِيكَ عَلَيْهِ بما قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ . ففَرِّغْ لِنَاكَ فَهْمَكَ<sup>(ي)</sup>

[207ب]

(أ) ج ع : حفظ (ب) بندان : لقائه (ج) سقط من ي (د) بندان : عليهم (هـ) بندان : فهم (و) من ل ، وفي بندان وفي الأصول : لتسليم . والطبري : لتسليم . (ز) بندان : عليهم في مساكنهم (ح) من ظ ، وفي بقية الأصول والطبري وبندان : وموافقك (ط) بندان : وسائلك (ي) بندان : ففرك .

(1) تاريخ الرسل والملوك 8 : 582-591 ، التكمال لابن الأثير 6 : 364 ، وأوردها قبلها ابن طيفور : بندان 19-28 ، وبينها جميعها اختلافات قليلة .

وَعَقْلُكَ وَبَصَرُكَ <sup>(١)</sup>، وَلَا يَشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ <sup>(ب)</sup>، [فَإِنَّهُ] <sup>(ج)</sup> رَأْسُ أَمْرِكَ وَمِلَاكُ شَأْنِكَ، وَأَوَّلُ مَا يُوفِّقُكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ لِرُشْدِكَ <sup>(د)</sup>.

وَلَيْكُنْ أَوَّلُ مَا تُلْزِمُ بِهِ نَفْسَكَ، وَتُنْسِبُ إِلَيْهِ فِعْلَكَ، الْمَوَاطِبَةَ عَلَى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ قَبْلَكَ، وَتَوَاقِعُهَا <sup>(هـ)</sup> عَلَى سُنَنِهَا، فِي إِبْسَاغِ الْوُضُوءِ لَهَا <sup>(و)</sup>، وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، وَتُرْتُلُ فِي قِرَاءَتِكَ، وَتَتَكَبَّرُ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهَدُكَ، وَلْتَضُدَّ فِيهَا لِرُتِكَ <sup>(ز)</sup> يَتَنَسَّكَ، وَاخْضُضْ عَلَيْهَا جَمَاعَةً مِنْ مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ، وَادْأُبْ عَلَيْهَا، فَاتِمَّا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية 45].

ثُمَّ أَنْبِغْ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسُنَنِ <sup>(ح)</sup> رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْمُشَافَرَةِ عَلَى خَلَائِقِهِ، وَاقْتِفَاءِ آثَارِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ. 10

وَإِذَا وَزَدَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَاسْتَيْقِنْ عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوَاهُ، وَبَلُزُومِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَخَلَالِهِ وَخَرَامِهِ، وَاتِّهَامِ <sup>(ط)</sup> مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْكَ. وَلَا تَمِيلَنَّ عَنِ الْغَدَلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ بَعِيدٍ.

وَأَثَرِ الْفَقْهِ وَأَهْلِهِ، وَالِدِّينَ وَحَمَلَتَهُ، وَكِتَابِ اللَّهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا تَزَيَّنُّ بِهِ الْمَرْءُ، الْفَقْهُ فِي دِينِ <sup>(ي)</sup> اللَّهِ، وَالطَّلَبُ لَهُ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَالْمَعْرِفَةُ 15

(١) بغداد والطبري: وحسبك ورؤيتك. الكامل: عقلك ونظرك (ب) بغداد: ولا يذهلك عنه ذاهل (ج) في ط: فإنيك (د) سقط من ي (هـ) كذا في ط ج ي، وفي ع: وتوقتها، وسقطت من ل، وفي الطبري: في مواقيها (و) سقط من ل (ز) ي: فيه رايتك (ح) ي: لسني (ط) بغداد: واتهم (ي) ي: في السن.



بما يَتَقَرَّبُ بِهِ <sup>(١)</sup> إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْحَزَنِ كُلِّهِ ، وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ <sup>(ب)</sup> وَالْأَمْرُ بِهِ ،  
وَالنَّهْيُ عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَوْثِقَاتِ كُلِّهَا ، وَبِهَا ، مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، يَزْدَادُ  
الْعَبْدُ مَعْرِفَةً لَهُ وَإِجْلَالاً لَهُ ، وَذِكْراً لِلدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ ، مَعَ مَا فِي  
ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ ، وَالْهَيْبَةِ لِسُلْطَانِكَ ، وَالْأَنْسَةِ بِكَ ، وَالثِّقَةِ  
/ بِعَذْلِكَ [1208]

5

وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِسَادِ <sup>(ج)</sup> فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَتَيْنَ شَعْأً ، وَلَا أَخْضَرَ  
أَمْنًا ، وَلَا أَجْعَ فَضْلًا ، مِنْهُ <sup>(د)</sup> . وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرَّشْدِ ، وَالرَّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى  
التَّوْفِيقِ ، وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ <sup>(هـ)</sup> إِلَى السَّعَادَةِ . وَقَوَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْإِقْتِسَادِ ،  
فَأَيِّرُهُ <sup>(و)</sup> فِي ذُنُوبِكَ كُلِّهَا .

- 10 وَلَا تَقْصُرْ <sup>(ز)</sup> فِي ظَلَبِ الْآخِرَةِ [وَالْأَجْرِ] <sup>(ح)</sup> وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّنَنِ  
الْمَعْرُوفَةِ ، وَمَعَالِمِ الرَّشْدِ ، وَلَا غَايَةَ <sup>(ط)</sup> لِلِاسْتِكْثَارِ فِي <sup>(ي)</sup> الْبِرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ  
يُطَلَّبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتُهُ ، وَمُرَافَقَةُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ . أَمَا تَعْلَمُ <sup>(ك)</sup>  
أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ <sup>(ل)</sup> الدُّنْيَا يُوْرِثُ الْعِزَّ وَيُحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَأَنَّكَ لَنْ تَحُوطَ  
نَفْسَكَ وَمَرْبَتَكَ <sup>(م)</sup> وَلَا تَسْتَظْلِحَ أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ ، فَأَيَّتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ تَمَّ أُمُورُكَ  
وَتَرِيدَ مَقْدَرَتَكَ ، وَتَضَلَّحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ . وَأَخْبِئْ ظَنُّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى تَسْتَقِيمَ لَكَ  
15 رِزْقِيَّتُكَ ، وَالتَّمِيسَ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِيمَ بِهِ التَّغَمَّةَ عَلَيْكَ .

(١) ل : منه (ب) بغداد : له (ج) ي : الاقتصاد (د) بغداد : من القصد (هـ) بغداد : مقاد (و) ج : وآثره (ز) ج : تقتصر  
(ح) م ي والطبري . وسقط من الأصول الأخرى ، وترك مكانه في ع (ط) كذا في ط ع ج ل . وفي ي : الرشيد والإعانة ،  
والاستكثر في البر ... (ي) بغداد : من (ك) ط ي ، وفي ح حشينة ع وفي ل ج والطبري : واعلم (ل) سقط من ل (م) ي :  
من بابه ولا تضلح .

ولا تَهْتَمُّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُؤَيِّهِ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ؛ فَإِنَّ  
 إِبْقَاعَ الثَّيَمِ بِالْبِرِّاءِ، وَالظَّنُّونَ السَّيِّئَةَ بِهِمْ، مَا تُثَمُّ؛ فَاجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حُسْنَ الظَّنِّ  
 بِأَصْحَابِكَ، وَاطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ، وَأَزْفُضْهُ فِيهِمْ، يُعْنِكَ ذَلِكَ عَلَى اضْطِنَاعِهِمْ<sup>(أ)</sup>  
 وَرِيَاضَتِهِمْ. وَلَا يَجِدَنَّ غَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانُ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا. فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ  
 5 وَهْنِكَ، فَيُذْجِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْقَمِّ فِي<sup>(ب)</sup> سُوءِ الظَّنِّ مَا يُنْغِصُ لَدَاذَةَ عَيْشِكَ. وَاعْلَمْ  
 أَنَّكَ تَجِدُ مُحْسِنَ الظَّنِّ قُوَّةَ وَرَاحَةٍ. وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ، وَتَذَعُو  
 بِهِ النَّاسَ إِلَى مُحِبَّتِكَ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا<sup>(ج)</sup>. وَلَا يَمْتَنِعُكَ حُسْنَ الظَّنِّ  
 بِأَصْحَابِكَ، وَالرَّافَةُ بِرِعَّتِكَ، أَنْ تَسْتَغْمَلَ الْمَسْأَلَةَ وَتَبْتَخُ عَنْ أُمُورِكَ، / وَالْمُبَاشَرَةَ  
 لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ، وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالتَّنَظَّرَ فِي \* مَا يَقْبُهَا وَيُضْلِحُهَا، بَلْ لَتَكُنْ الْمُبَاشَرَةُ  
 10 لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْحَيَاطَةَ لِلرَّعِيَّةِ فِي النَّظَرِ فِي \* خَوَائِجِهِمْ، وَخَمَلِ مَوْثِقَاتِهِمْ، آثَرُ<sup>(د)</sup>  
 عِنْدَكَ<sup>(هـ)</sup> مِمَّا سِوَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ وَأَخْيَرُ لِلشُّئَةِ .

وَأَخْلَصْ نِيَّتَكَ فِي جَمِيعِ هَذَا، وَتَقَرَّزْ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ تَقَرَّزْ مِنْ يَغْلَمُ أَنَّهُ مَسْئُولٌ  
 عَمَّا [صَنَعَ]<sup>(ز)</sup>، وَمُجْزَى بِمَا أَحْسَنَ، وَمَأْخُودٌ بِمَا [أَسَاءَ]<sup>(ح)</sup>. فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ  
 الدِّينَ جِزْرًا أَوْعِزًّا<sup>(ط)</sup>، وَرَفَعَ مِنْ أَتْبَعِهِ وَعَزَّرَهُ؛ فَاسْلُكْ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَزْعَاهِ نَهْجَ  
 15 الدِّينِ وَطَرِيقَهُ الْأَهْدَى<sup>(ي)</sup>.

وَأَقِمْ حُدُودَ اللَّهِ فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ وَمَا اسْتَحَقُّوهُ، وَلَا  
 تُعْطِلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَازُنْ فِيهِ<sup>(ك)</sup>، وَلَا تُؤَخِّرْ عُقُوبَةَ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ، فَإِنَّ مِنْ<sup>(ل)</sup> تَقْرِيطِكَ

(أ) ي: استطاعهم (ب) سقط من ي (ج) بغداد: لك (د) سقط ما بين النجيين من ي (هـ) ي: أسير (و) بغداد:  
 وأوجب (ز) ط: يصنع (ح) ط: أسمى (ط) في ط: وغذلاً، وما أبتناه من فية الأصول والطبري (ي) كذا في ط ج ي  
 وحاشية ع، وفي ل والطبري وبغداد: وطريقه الهدي (ك) ي والطبري: به (ل) ع ل: في .

في ذلك ما يُفْسِدُ عَلَيْكَ حُسْنَ ظَنِّكَ. واعِزْمْ<sup>(أ)</sup> على أَمْرِكَ في ذلك بالسُّنَنِ  
المَعْرُوفَةِ، وَجَانِبِ الْبَذَعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمْ لَكَ دِينُكَ وَتُحْمَ لَكَ مُرُوءَتُكَ .

وَإِذَا عَاهَدْتَ عَهْدًا فَفِ<sup>(ب)</sup> بِهِ، وَإِذَا وَعَدْتَ الْخَيْرَ فَأُنْجِزْهُ، وَأَقْبِلِ الْحَسَنَةَ  
وَادْفَعْ<sup>(ج)</sup> بِهَا، وَاعْضُ عَنْ غَيْبِ كُلِّ ذِي غَيْبٍ مِنْ زَعِيَّتِكَ، وَاشْدُدْ<sup>(د)</sup> لِسَانَكَ عَنْ  
قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ، وَانْبِغْضِ<sup>(هـ)</sup> أَهْلَ التَّمِيمَةِ؛ فَإِنَّ [أَوَّلَ]<sup>(و)</sup> فُسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا 5  
وَأَاجِلِهَا، تَقْرِبُ الْكَذُوبَ، وَالْجَرَاءُ عَلَى الْكَذِبِ؛ لِأَنَّ الْكَذِبَ رَأْسُ الْمَآثِمِ، وَالزُّورَ  
وَالْتِمَّةَ خَاتِمَتُهَا، لِأَنَّ التَّمِيمَةَ لَا يَسْلَمُ صَاحِبُهَا، وَقَابِلُهَا لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا  
يَسْتَقِيمُ لَطِيعُهَا أَمْرٌ.

وَاجِبٌ أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالصِّدْقِ، وَأَعِنِ الْأَشْرَافَ بِالْحَقِّ، وَوَاصِلِ<sup>(ز)</sup> الصَّغَفَاءِ،  
وَصِلِ الرَّجْمَ؛ وَابْتَغِ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَاعْزَازَ أَمْرِهِ، وَالتَّمِشِ فِيهِ ثَوَانَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ. 10  
وَاجْتَنِبِ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْخَوَرِ، وَاصْرِفْ عَنْهَا زَانِيَتَكَ، وَاطْهَرِ بَرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ  
لِرِعِيَّتِكَ. وَأَنْعِمِ بِالْعَدْلِ سِيَاسَتَهُمْ، وَقُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ، وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى  
سَبِيلِ الْهَدْيِ. وَامْلِكْ نَفْسَكَ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَآثِرِ الْوَقَارَ وَالْجَلْمَ، وَإِتَاكَ الْحِدَّةَ  
وَالطَّيِّشَ وَالْفُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ.

وَإِتَاكَ / أَنْ تَقُولَ أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ فِيكَ<sup>(ح)</sup> إِلَى 15  
نَقْصِ الرَّأْيِ، وَقِلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ وَخُذْهُ لَا • شَرِيكَ لَهُ •<sup>(ط)</sup>. وَاخْلُضْ لِلَّهِ [وُخْذَهُ]<sup>(ي)</sup>  
النِّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ<sup>(ك)</sup>.

(أ) ي : اعِزْمْ (ب) من ط ، والطبري وحاشية ع يحمله ، وفي ثنيت ثلغى ، وفي ي ج ل : فَأَوْفَ بِهِ ، وفي بغداد فَوْفَ بِهِ  
(ج) بغداد: وانضغ (د) في ط مملعة: واسدد (هـ) بغداد: أهله وأقرب (و) من ع ي والطبري، وسقط من ط ل ج (ز) بغداد  
: ووايس (ح) سقط من ي (ط) سقط ما بين النجيين من ي (ي) من ي (ك) سقط من ي .

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمَلِكَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَنْزِعُهُ مَنْ يَشَاءُ . وَلَنْ تَجِدَ تَغْيِيرَ<sup>(أ)</sup>  
 النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّعْمَةِ إِلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى جَهْلَةِ النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ  
 وَالْمُبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدُّوَلَةِ ، إِذَا كَفَرُوا بِعَمَلِ اللَّهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَطَالُوا بِمَا آتَاهُمْ<sup>(ب)</sup>  
 اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ .

5 وَدَغَ عَنْكَ شَرَّةَ نَفْسِكَ ، وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ وَكُوزُكَ الَّتِي تَذْخَرُ وَتَكْتَنِزُ<sup>(ج)</sup> الْبِرَّ  
 وَالتَّقْوَى وَالْعَدْلَ ، وَاسْتِضْلَاحَ الرِّعْيَةِ ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمْ ، وَالتَّقَفُّدَ لَأُمُورِهِمْ ، وَالْحِفْظَ  
 لِدُنْيَاهُمْ<sup>(د)</sup> ، وَالْإِغَاثَةَ لِلْمُهْوَفِهِمْ .

10 وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَسْوَالَ إِذَا كَثُرَتْ<sup>(هـ)</sup> وَذُخِرَتْ فِي الْخَزَائِنِ لَا تُنْفَى<sup>(و)</sup> ، وَإِذَا  
 كَانَتْ فِي صَلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفِّ الْمَوْثِقَةِ عَنْهُمْ ، نَمَتْ وَزَكَّتْ<sup>(ز)</sup> ،  
 وَصَلَحَتْ<sup>(ح)</sup> بِهَ الْعَامَّةُ ، وَتَزَيَّنَتْ بِهَ الْوَلَاةُ<sup>(ط)</sup> ، وَطَابَ بِهَ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقِدَ<sup>(ي)</sup> فِيهِ الْعُرُّ  
 وَالْمُنْعَةُ . فَلْيَكُنْ كَثْرُ<sup>(ك)</sup> خَزَائِنِكَ قُرْبَى الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَفَرْقُ<sup>(ل)</sup>  
 مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قِبَلَكَ حُقُوقِهِمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتَكَ\* مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ،  
 وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ\*<sup>(م)</sup> قَوَّيْتَ النِّعْمَةَ  
 عَلَيْكَ<sup>(ن)</sup> ، وَاسْتَوْجَبْتَ الْمَزِيدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَثُرَ بِذَلِكَ عَلَى جِبَايَةِ خَرَاجِكَ

(أ) في ج ي : تَغْيَرُ (ب) ي : أَعْطَاهُمْ (ج) ح : تَكَثَّرَ (د) ي : لِدُنْيَاهُمْ ، وفي ج ل والطبري وبغداد : لِدُنْيَاهُمْ (هـ) ي :  
 ل : الطبري ، وبغداد : كَثُرَتْ (و) كذا في الأصول الخمسة ، وفي حاشيتي ج ل بخط ابن خلدون بدلاً : لا تَنْخَرُ . ومثلها عند ابن  
 طينور (ز) في حاشية ج بخطه بدلاً عنها : وَزَيَّنَتْ (ح) كذا في ط ج ل ، وفي ي والطبري : صَلَحَتْ بِهَ (ط) كذا في ط  
 ج ل ، وفي ع ي : الْوَلَاةُ (ي) ببغداد : وَأَعْصَبَ (ك) ببغداد : أَكْثَرَ (ل) ي والطبري وبغداد : وَوَكَّرَ (م) سقط من ي  
 (ن) ي : لَكَ .

وجمع أموال زعيتيك وعملك أقدر، وكان الجميع<sup>(أ)</sup> لما شملهم من غذلك وإحسانك أنسكن<sup>(ب)</sup> لطاعتك، وأطيب نفساً بكل ما أزدت، فأجحد نفسك فيما حدّدت لك في هذا الباب، ولتغظم خشيتك<sup>(ج)</sup> فيه، وإِنَّمَا يَبْقَى من المال ما أتقى في سبيل الله (وفي سبيل حقّه)<sup>(د)</sup>. واعرف للشاكرين شكرهم<sup>(هـ)</sup> وأنبهم عليه.

- 5 وإِيَّاكَ أَنْ تُسَيِّئَ الدُّنْيَا وَغُرُوبَهَا هَؤُلَاءِ الْآخِرَةِ، فَتَهَاوُنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ، فَإِنَّ  
[209ب] التَّهَاوُنَ / يورث التفريط، والتفريط يورث البوار. وليكن عملك لله وفيه، وإزج  
التراب، فإن الله سبحانه قد استغنى عليك بغفته في الدنيا وأظهر لَدَيْكَ<sup>(و)</sup> فضله،  
فاغتنم بالشكر عليه فاغتنم، يزدك الله خيراً وإحساناً؛ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ  
يُثَبِّبُ<sup>(ز)</sup> بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَسِيرَةِ الْمُحْسِنِينَ، \* وَفُضِيَ الْحَقُّ فِيمَا خَلَّ<sup>(ح)</sup> من  
10 التَّعَمُّ، وَأَلْبَسَ من الكرامة\*<sup>(ط)</sup>.

- وَلَا تُخَفِّرْ ذَنْباً، وَلَا تُهْلِكْ حَاسِداً، وَلَا تَرْحَمَنَّ فَاجِراً، وَلَا تَصِلْ كَفُوراً،  
وَلَا تُدَاهِنَنَّ عَدُوّاً، وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَاماً، وَلَا تُؤْمِنَنَّ عَدَاوَةً، وَلَا تُؤَلِّقَنَّ فَايِساً، وَلَا تَتَّبِعَنَّ  
غَاوِيّاً، وَلَا تُتَمَدَّنَّ مُرَائِيّاً، وَلَا تُخَفِّرَنَّ<sup>(ي)</sup> إِنْسَاناً، وَلَا تُزِدَنَّ سَائِلاً فَقِيْرًا، وَلَا تُحَسِّنَنَّ  
بَاطِلاً، وَلَا تُلَاحِظَنَّ مُضْجِجاً، وَلَا تُخْلِفَنَّ مَوْعِداً، وَلَا تَرْهَبَنَّ<sup>(ك)</sup> أَفْجَرًا<sup>(د)</sup>، وَلَا تُظْهِرَنَّ  
15 غَضَباً، وَلَا تَأْتِيَنَّ بِذَخٍّ<sup>(ل)</sup>، وَلَا تَمَيِّشَنَّ مَرَحاً، وَلَا تُزَكِّينَنَّ<sup>(هـ)</sup> سَفَهًا<sup>(و)</sup>، وَلَا تُفَرِّطَنَّ فِي

(أ) الجمع (ب) الطبري، ي، ل ومتن ع: أنسلس، وغيره المؤلف في الحاشية بخطه (ج) في ي ج ل ومتن ع قبل التصديق  
المتب في الحاشية: ولعظم حلك (د) سقط من ط وجزء منه من ل (هـ) ي: شأنهم (و) ي وبنداد: طيك (ز) ي:  
يكسب (ح) ل: تمل، ضبطت خفيفة، ولعلها الأصوب، ففي بنداد: واقض الحق فيما خلت من التتم (ط) سقط من ي، وفي  
بنداد: واليس من العافية والكرامة (ي) بنداد: تجوز (ك) الطبري، وفي الأصول وبنداد: غزا (ل) ي: رضاء (م) الطبري  
وبنداد: ولا تركين (ن) ل: ي: شغيتا .

طَلَبَ الآخِرَةَ، وَلَا تَدْفَعُ الْأَنَامَ عَنَابًا<sup>(١)</sup>، وَلَا تُنْقِضَنَّ عَنْ ظِلْمٍ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ مُحَابَاةً، وَلَا تَقْلَبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِالْأَلْبَانِ.

وَأَكْثَرَ مُشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ، وَاسْتَعْمِلَ نَفْسَكَ بِالْجَلْمِ، وَخُذْ عَنْ أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ. وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلَ [الرِّقَّةِ]<sup>(ب)</sup> وَالتَّخْلِ<sup>(ج)</sup>،  
5 وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا، فَإِنَّ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَعْمِهِمْ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فُسَادًا لَمَّا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرٌ رَعِيَّتِكَ مِنَ الشَّيْخِ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كَثَرَ حَرِيصًا كَثَرَ الْكَيْدُ، قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ، وَإِذَا كَثَرَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَقْتَدِرُ عَلَى مُحِيطِكَ بِالْكَفِّ عَنْ أُمُومِهِمْ، وَتَرْكِ الْجَوْرِ عَلَيْهِمْ، وَيُدْوِمُ صَفَاءَ أَوْلِيَانِكَ لَكَ<sup>(د)</sup> بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحُسْنِ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ، فَاجْتَنِبِ الشَّيْخَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ، وَأَنَّ الْعَاجِيَّ بِمَنْزِلَةِ خَزِيٍّ،  
10 وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، من الآية 9]. / فَسَهِّلْ طَرِيقَ [الْجُودِ]<sup>(هـ)</sup> بِالْحَقِّ<sup>(و)</sup>، وَاجْعَلْ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْئِكَ [210] خَطًّا [وَنَصِيبًا]<sup>(ز)</sup>، وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَاعْذُذْ لِنَفْسِكَ خُلُقًا<sup>(ح)</sup>، وَأَرِضْ بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا. وَتَقَدَّرَ<sup>(ط)</sup> الْحِنْدُ فِي ذَوَابِهِمْ وَمَكَايِمِهِمْ، وَأَدْرَ عَلَيْهِمْ أَزْوَاقَهُمْ، وَوَسَّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَاشِهِمْ، لِيُذْهَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ فَاقَتَهُمْ، فَيَقْصَى لَكَ أَمْرُهُمْ،  
15

(١) كنا جأمت هذه الجملة في ط ع ل ي ج، ونقرأ الأيام والأنام، وهي غير واضحة، وفي الطبري: ولا تدفع الأيام عينا، وفي بغداد: ولا تدفع الأباي عبا، وكلمة بحرف (ب) من حاشية ع، وفي بقية الأصول: الزه، وفي بغداد: الدقة (ج) كنا في ط، وفي بقية الأصول وبغداد: النخل. ولعل الأقرب رواية ابن الأثير: أهل الذمة والتخل (د) ي ع: ووال من صفا لك من أوليائك. وعُذِلَتْ في حاشية ع إلى ما أخذت به ل ج ط (هـ) من المصادر الخارجية للرسالة، وفي الأصول: الجور ولا معنى له (و) أقم المؤلف هذه الجملة بمطه في الأصل ع، وأدرجها في المتن مُسَخَّ: ط ج ل ي (ز) سقط من ط (ح) كرت كل الأصول هنا جملة: وسهل طريق الجور بالحق. ولا معنى له، كما هو في الأصول الراوية للرسالة (ط) في المصادر الخارجية: وتقدَّرَ أمور الجند.

وَيَزِيدُ بِهِ قُلُوبَهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا. وَحَسْبُ ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّعَادَةِ، أَنْ يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَزَعِيَّتِهِ رَحْمَةٌ فِي غِذَاهُ وَحِيطَتِهِ وَانْصَافِهِ وَعِنَايَتِهِ وَشَفَقَتِهِ وَبِرِّهِ وَتَوْبِيعَتِهِ. فَرَائِلُ مَكْرُوهَةٍ إِخَذَى الْبَائِثِينَ بِاسْتِشْعَارِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ، وَلُزُومِ الْعَقْلِ بِهِ، تَلْقَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَجَاحًا وَصَلَاحًا وَقَلَاخًا.

- 5 واعْلَمْ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ. لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تُعَدَّلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي الْأَرْضِ. وَإِقَامَةُ الْفَضْلِ<sup>(أ)</sup> وَالْعَدْلُ فِي الْقَضَاءِ [وَالْعَمَلِ]<sup>(ب)</sup>، تَصْلُحُ أَحْوَالُ الرَّعِيَةِ، وَتَأْمِنُ السَّبِيلُ، وَيَنْتَصِفُ الْمَظْلُومُ، وَيَأْخُذُ النَّاسُ حَقُوقَهُمْ، وَتَخْصُنُ<sup>(ج)</sup> الْمَعِيشَةُ، وَيُؤَدَّى حَقُّ الطَّاعَةِ، وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَيَقُومُ الدِّينُ، وَتَجْرِي السَّنَنُ وَالشَّرَائِعُ، وَعَلَى مَجَارِهَا، • يَنْتَجِزُ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ فِي الْقَضَاءِ •<sup>(د)</sup>. وَاشْتَدَّ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَوَرَّعَ عَنِ التُّظْفِ، وَامْضَ 10 لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ، وَاقْلِلِ الْعَجَلَةَ، وَابْعُدْ عَنِ الصَّخْرِ وَالْقَلَقِ، وَاقْنَعْ بِالْقَسَمِ، وَلِنَسْكُنَ رَيْحَكَ وَيَبِيرَ جَدِّكَ، وَانْتَفِعْ بِتَجْرِبَتِكَ، وَانْتَبِهْ مِنْ ضَمَّتِكَ، وَاشْدُدْ<sup>(هـ)</sup> فِي مَنْطِقِكَ، وَانْصِفِ الْخَصْمَ، وَقِفْ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَأَبْلِغْ فِي الْحُجَّةِ، وَلَا تَأْخُذْكَ فِي أَخَرٍ مِنْ زَعِيمِكَ مُحَابَاةً وَلَا مُجَامَلَةً<sup>(و)</sup> وَلَا لَوْمَةً لِأَمْرِ، وَتَنْتَبِثْ، وَتَأَنَّنْ، وَرَاقِبْ، وَانْظُرْ، وَتَفَكَّرْ، وَتَذَبَّرْ، وَاعْتَزِرْ، / وَتَوَاضَعَ لِرَبِّكَ، وَازْفُقْ<sup>(ز)</sup> بِجَمِيعِ الرَّعِيَةِ، وَسَلِّطِ الْحَقَّ عَلَى 15 نَفْسِكَ، وَلَا تُشْرَعَنَّ إِلَى سَفْكَ دَمٍ - فَإِنَّ الدَّمَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَكَانٍ عَظِيمٍ - اسْتِهْكَامًا لَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا.

(أ) سقط من ل ي وبنداد والطبري والكمال (ب) من حاشية ع، ومن ل ج (ج) كذا في ط ع ل ج، وفي ي وبنداد والطبري والكمال؛ وعمن (د) سقط ما بين التجميعين من ي والكمال (هـ) ي والمصادر: واشدد (و) المصادر: محاماة (ز) في المصادر: وراقب.

وانظُر هذا الحراج الذي استقامت عليه الرعية، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعةً، ولأهله تويعةً ومنعةً؛ ولعدوه وعدوهم كبتاً وغَيْظاً، ولأهل الكُفر من مُعاهدتهم ذلاً وصغاراً، فوزَّعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه، ولا ترفعنَّ منه شيئاً عن شريف لشرفه. ولا عن غني لغناه، ولا عن كاتب لك، ولا 5 عن أحد من خاصتك ولا حاشيتك، ولا تأخذنَّ منه فوق الاختمال<sup>(أ)</sup>، ولا تكلفنَّ أمراً فيه<sup>(ب)</sup> شططاً، واخلل الناس كلهم على مُر<sup>(ج)</sup> الحق، فإن ذلك أجمع لألفتهم وألزم لرضا العامة.

واغلم أنك جُعِلت بولايتك خازناً وحافظاً وزاعياً. وإنا سُئِى أهلُ عملك زعيبتك لأنك راعهم وقِيمهم، فخذ<sup>(د)</sup> منهم ما أعطوك من غفهم<sup>(هـ)</sup>، وشُدْه<sup>(و)</sup> في قِوام أمرهم وصلاحهم، وثقوبهم وأودهم. واستغمل عليهم<sup>(ز)</sup> ذوي الرأي والتقدير والتجربة 10 [والخبرة]<sup>(ح)</sup> والعلم والفعل بالسياسة والعفاف. ووسّع عليهم في الرزق؛ فإن ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تَقَلَّدت وأشيذ إليك، ولا<sup>(ط)</sup> يسغفلنك عنه شاغلٌ، ولا يضرِفنك عنه صارفٌ. فإنك متى آثرتَه وقُمتَ فيه بالواجب استذعبت به زيادة الثقة من ريتك، وحسن الأخدوة في عملك، واجتزرت<sup>(ي)</sup> به الحجة من زعيبتك، 15 وأعنت على الصلاح، فذرت الخيرات ببلدك، وفشت الجارة بناحييتك، وظهر الجضب في كورك، وكثرت خراجك وتوقرت أموالك، وقويت بذلك على ارتضاء<sup>(ك)</sup> جُندك، وإرضاء<sup>(ل)</sup> العامة بإفاضة الغطاء فيهم من نفسك، وكثت محمود السياسة

(أ) المصادر: الاختمال له (ب) المصادر: ولا تكلفنَّ أمراً فيه شطط (ج) ي: أمر (د) من ط. وفي بقية الأصول: تأخذ (هـ) المصادر: غفوم ومغفهم (و) المصادر: وثقته (ز) المصادر: عليهم في كور عملك (ح) ط: الخبر (ط) ي: فلا يشغلك .. ولا يصرفك (ي) بغداد والطبري: واجتزرت النصيحة من ... (ك) من ط ج وحاشيتي ع ل، وفي منها: ارتضاء، وفي ي: ارتباط (ل) ي: وإرض.



[211] / مَرْضِيَّ الغَدَلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ، وَكَثْتُ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا غَدَلٍ وَآلَةٍ وَقُوَّةٍ وَعُدَّةٍ. فَتَأْفِسُ فِي هَذَا<sup>(أ)</sup> وَلَا تَقْدَمُ عَلَيْهِ شَيْئًا، تُحَمَّدُ مَغَبَّةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يَحْتَسِرُ<sup>(ب)</sup> أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِرِّهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ؛ حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مُعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا. وَإِنْ<sup>(ج)</sup>

أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ 5 فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرِجَاحَتَهُ فِيهِ حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالتُّضْعِ وَالصُّنْعِ فَامْنُضِهِ، وَإِلَّا، فَتَوَقَّفْ عَنْهُ، وَرَاجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ، ثُمَّ خُذْ فِيهِ عُدَّتَهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِ مِنْ أَمْرِهِ<sup>(د)</sup> وَقَدْ أَتَاهُ<sup>(هـ)</sup> عَلَى مَا يَهْوَى، فَأَغَاوَهُ<sup>(و)</sup> ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْتَظِرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ. فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ، وَبَاشِرْهُ بَعْدَ 10 غَوْنِ اللَّهِ بِالْقُوَّةِ؛ وَكَثِّرْ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ .

وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ<sup>(ز)</sup>، وَكَثِّرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ، فَإِنَّ لَعْدِ أُمُورًا وَحَادِثَ ثُلُهِيكَ عَنْ عَمَلٍ يَوْمَكَ الَّذِي أَخَّرْتَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ. فَإِذَا أَخَّرْتَ عَمَلَهُ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ عَمَلُ<sup>(ح)</sup> يَوْمَيْنِ فَيُثْبِتُكَ<sup>(ط)</sup> ذَلِكَ حَتَّى تَمْرَضَ مِنْهُ<sup>(ي)</sup>؛ وَإِذَا أَمَضَيْتَ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أَرَخْتَ بَدَنَكَ وَنَفْسَكَ، وَأَخَفَكْتَ أُمُورَ سُلْطَانِكَ.

وَانْظُرْ أَخْرَازَ التَّاسِ وَذَوِي السِّنِّ مِنْهُمْ، فَمَنْ تَسْتَلْقِيَنَّ صَفَاءَ طَوِيلِهِمْ، 15 وَسَهْوَتِ<sup>(ك)</sup> مَوَدَّتِهِمْ لَكَ، وَمَظَاهِرَتِهِمْ بِالتُّضْعِ وَالْمُخَالَصَةِ<sup>(ل)</sup> عَلَى أَمْرِكَ، فَاسْتَخْلِصْهُمْ<sup>(م)</sup> وَاحْسِنْ إِلَيْهِمْ.

(أ) ي: فيها (ب) ي وبغداد: يحبرك خبر (ج) ل: وإذا (د) ي: أمر أَمْرُهُ (هـ) بغداد والطبري: زائفة (و) بغداد والطبري: فتقواه (ز) المصدر: تؤخره لذلك (ح) ج: أفرغ (ط) المصدر: فيثبلك (ي) المصدر: تضرع عنه (ك) المصدر: تهذيب (ل) ي ج: المخالصة (م) بغداد: فاستخلصهم .

وتعاهد أهل البيوتات، تمن قد دَخَلْتُ عليهم الحاجة، فاختلِ مَوَاتِيهِمْ،  
وأصليح حالهم، حتَّى لا يجدوا لِحْلِيَّتِهِمْ مَسًا. وأفرِّد نفسك للتَّنَظَّر<sup>(١)</sup> في أمور الفقراء  
والمساكين ومن لا يُقَدِّر على زَفْع مظلمته<sup>(ب)</sup> إليك، والمُحْتَغَرِّ الَّذِي لا عِلْمَ له بِطَلَبِ  
حَقِّهِ، فنسل عنه/ أخفى مسألة، ووَكَّلَ بأمثاله أهل الصلاح من رَعِيَّتِكَ، ومُرِّم  
5 يرفع خوائجهم وحالاتهم إليك، لتتنظر فيها بما يضلح الله به أمرهم. وتعاهد ذوي  
النساء ويتاماهم وأراملهم، واجعل لهم أرزاقًا من نيت المال، اقتداءً بأمير المؤمنين،  
أعزَّه الله، في العطف عليهم والصلة لهم، ليضليح الله بذلك عَيْشَهُمْ، ويَزِدَّكَ به  
بِرَّةً وزيادةً. وأجر للأجراء من نيت المال، وقَدِّم حَمَلَةَ الثَّرَانِ منهم والحافظين  
لأكثره في الجارية على غيرهم. وانصب لمرضى المسلمين دُورًا وثوبهم، وثُؤَامًا  
10 يَزِفُّقُون بهم، وأطبَّاء يُعالجون أسقامهم، وأضعفهم بشهواتهم، ما لم يؤدَّ ذلك إلى  
سرف في نيت المال.

واعلِّم أنَّ الناس إذا أعطوا حقوقهم وأفضل أمانهم لم يرضهم ذلك، ولم  
تطلب أنفسهم دون زَفْع خوائجهم إلى ولايتهم، طمعًا في نيل الزيادة، وفصل الرفق  
منهم. ورُبَّمَا يَتَرَمُّ المتصَفِّحُ لأمر الناس لكثرة ما يَرُدُّ عليه، ويَشْغُلُ ذهنه وفكره  
15 منها بما يناله به مؤونه ومَشَقَّة. وليس من يَزْعَبُ في القذل ويعرف محاسن أموره  
في العاجل، وفصل ثواب الآجل، كالَّذِي يَسْتَقْبِلُ ما يَتَرَبُّه إلى الله، ويَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ.  
فأكبر الإذن للناس عليك، وأرهم<sup>(ج)</sup> وَجْهَكَ، وسكِّن<sup>(د)</sup> لهم حُرَاسَكَ،  
واخفِضْ لهم جَنَاحَكَ، وأظهر لهم بِشْرَكَ، ولِنْ لهم في المسألة والنطق، واغطف

(١) ي: بالنظر (ب) ج: مظلمة (ج) حاشية ع، وبعداد والطبري: فأرزلهم (د) سقط من ي.

عليهم بعبودك وفضلك. وإذا أُعْطِيتْ، فَأَعْطِ بِسَاحَةِ وَطِيْبِ نَفْسٍ، وَالتَّماسِ<sup>(١)</sup>  
لِلصَّنِيعَةِ وَالْأَجْرِ، مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا امْتِنَانٍ<sup>(٢)</sup>؛ فَإِنَّ النِّعْطَةَ عَلَى ذَلِكَ تَجَارَةً مُرِيحَةً  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

واعتبر بما تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا، وَمَنْ مَضَى مِنْ قَبْلِكَ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ  
[١212] وَالرَّئَاسَةِ فِي / الْقُرُونِ الْحَالِيَةِ وَالْأُمَمِ الْبَائِدَةِ . 5

ثُمَّ اغْتَصِمْ فِي أَخْوَالِكَ كُلِّهَا بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى<sup>(ب)</sup>، وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مُحِبَّتَيْهِ،  
وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَّتِهِ<sup>(ج)</sup>، وَإِقَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ، وَاجْتِنِبْ مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ،  
وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ .

وَاعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عَمَّا لَكَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَيُنْفِقُونَ مِنْهَا . وَلَا تَجْمَعْ حَرَامًا ، وَلَا  
تُنْفِقْ إِسْرَافًا . 10

وَأَكْثِرْ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ . وَلْيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ  
وَإِقَامَتُهَا، وَإِيْثَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ<sup>(د)</sup> وَمَعَالِيهَا. وَلْيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ  
مِنْ إِذَا رَأَى غَيْبًا فَيْكَ فَلَا تَنْتَعِهْ هَيْبَتُكَ مِنْ إِنْهَاءِ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرٍّ<sup>(هـ)</sup>، وَإِغْلَامِكَ  
مَا فِيهِ مِنَ النَّصْصِ؛ فَإِنْ أَوْلَيْتَ أَنْصَحَ أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرِيكَ لَكَ.

وَانْظُرْ عَمَّا لَكَ الَّذِيْنَ يَحْضُرُكَ وَكُتُبًا لَكَ، فَوْقَ لِكْلِ رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ 15  
وَقَفًا، يَدْخُلُ عَلَيْكَ<sup>(د)</sup> فِيهِ بِكُتُبِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ خَوَاصِّ عَمَّا لَكَ وَأُمُورِ كُورِكَ

(١) كذا وردت الجملة في متن ع وعوضها في الحاشية بحمله: "والنفس الصنعة والأخر غير مكدر [مكبد] ولا متان"؛ وقلتها نسخة  
ج. وهو ض ابن طيفور في بغداد (ب) ع ل ح ي: سبحانه وتعالى (ج) ي: وشئته (د) ظ وحدها، وفي بقية الأصول:  
الأمر (هـ) ي: في بيتر (و) سقط من ي .

وزَعَيْتِكَ. ثُمَّ قَرَعَ لَمَّا يُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ وَفَهْمَكَ وَغَفْلَكَ، وَكَتَرَ  
النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّذَيُّرَ لَهُ، فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَنْفَضَهُ، وَاسْتَخَرَّ اللَّهَ فِيهِ، وَمَا  
كَانَ مُخَالَفًا لَذَلِكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى التَّثَبُّتِ فِيهِ وَالْمَسْأَلَةِ عَنْهُ.

وَلَا تَتَمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا عَلَى غَيْرِهِمْ بِمَغْرُوفٍ ثَأْتِيهِ إِلَيْهِمْ. وَلَا تَقْبَلْ مِنْ  
5 أَحَدٍ<sup>(1)</sup> إِلَّا الْوَفَاءَ وَالِاسْتِيقَامَةَ وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَصْغُرْ<sup>(ب)</sup> الْمَعْرُوفَ إِلَّا  
عَلَى ذَلِكَ.

وَتَقَهَّمْ كِتَابِي إِلَيْكَ وَأَكْبِرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ، وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ  
أُمُورِكَ، وَاسْتَخِرْهُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ الصَّلَاحِ وَأَهْلِهِ. وَلَيْكُنْ أَكْثَرُ سِرِّتِكَ وَأَفْضَلُ  
رَغْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رِضًا، وَلِدِينِهِ نِظَامًا، وَلِأَهْلِهِ عِزًّا وَتَسْكِينًا، [وَلِلْمِلَّةِ]<sup>(ج)</sup>  
10 وَالذِّمَّةَ عَدْلًا وَصَلَاحًا .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ / وَتُوفِّقَكَ وَرُشْدَكَ وَكَلَاءَتَكَ<sup>(1)</sup>؛ [212ب]  
وَالسَّلَامَ.

وَحَدَّثَ الْأَخْبَارِيُّونَ أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ، لَمَّا ظَهَرَ وَشَاعَ أَمْرُهُ، أُعْجِبَ بِهِ  
النَّاسُ، وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ، وَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِ قَالَ: مَا أَتَى أَبُو الطَّيِّبِ، يَغْنِي طَاهِرًا،

(أ) المصادر: من أحد منهم (ب) بغداد: تصغر (ج) المصدر، و ع ل .

(1) في رواية ابن طيفور: (بغداد 28) يسخر طاهر بن الحسين في الدعاء لابنه، ويكمل الرسالة بما يلي :  
[ وَأَنْ يَنْزِلَ عَلَيْكَ فَضْلُهُ وَرَحْمَتُهُ بِتَمَامِ فَضْلِهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ لَكَ، حَتَّى يَجْعَلَكَ أَفْضَلَ أَمْثَالِكَ نَصِيبًا،  
وَأَوْفَرَهُمْ حَقًّا، وَأَسْنَمَهُمْ ذِكْرًا وَأَمْرًا، وَأَنْ يَهْلِكَ غَدُوكَ وَمَنْ تَأْوَلَّكَ وَغِيًى عَلَيْكَ، وَيَزُرُّكَ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
الْعَافِيَةِ، وَيُخْجِرَ الشَّيْطَانَ عَنْكَ وَوَسَاوِسَهُ، حَتَّى يَسْتَغْلِي أَمْرُكَ بِالْعَزِّ وَالْقُوَّةِ وَالتَّوْفِيقِ، إِنَّهُ قَرِيبٌ بِحَبِيبٍ ].

شيئاً من أمر الدنيا والدين والتذير والرأي والسياسة، وإصلاح الملك والرعية، وحفظ السلطان، وطاعة الخلفاء، وتقويم الخلافة، إلا وقد أخمكه وأرضى به.

ثم أمر المأمون فكتب به إلى جميع القمائل في التواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه.

هذا أحسن ما وقفت عليه في هذه السياسة؛ والله يلهم من يشاء من

عباده.

5

52 • فصل، في أمر الفاطمي وما يذهب إليه الناس في شأنه، وكشف الغطاء

عن ذلك

اعلم أن من المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار، أنه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجلٍ من أهل البيت يؤيد الدين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسعى بالمهدي.

10

ويكون خروج الدجال وما بعده من أشرار الساعة، الثابتة في الصحيح، على أثره؛ وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتى بالمهدي في صلاته.

ويحتجّون في هذا الباب بأحاديث خزنها الأئمة، وتكلم فيها المتكبرون

15

لذلك، وربما عارضوها ببعض الأخبار.

وللمتصوفة المتأخرين في أمر هذا الفاطمي طريقة أخرى، ونوع من

الاستدلال؛ وربّما يفتتيدون في ذلك على الكشف الذي هو أضلّ طرائقهم.

ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الباب <sup>(1)</sup> ، وما للمُتَكِرِينَ فيها من المطاعين، وما لهم في إنكارهم من المُسْتَنَد، ثم نُبَيِّنُهُ بِذِكْرِ كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ / وآرائهم، لِيَتَبَيَّنَ لَكَ الصَّحِيحُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فنقول:

[213]

إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأُئِمَّةِ <sup>(1)</sup> خَرَجُوا أَحَادِيثَ الْمَهْدِيِّ، مِنْهُمْ التِّرْمِذِيُّ، وَأَبُو دَاوُدَ،  
 5 وَالْبَزَّازُ، وَابْنُ مَاجَةَ، وَالْحَاكِمُ، وَالطَّبْرَانِيُّ، وَأَبُو يَغْلَى الْمُؤَصِّلِيُّ، وَأَسْتَنْدَوْهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ الصَّحَابَةِ، مِثْلَ: عَلِيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَطَلْحَةَ، وَابْنَ مَسْعُودٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسَ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأُمِّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ، وَثَوْبَانَ، وَفَرَّةَ بِنَ إِيَّاسَ، وَعَلِيَّ الْهَلَالِيِّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ، بِأَسَانِيدَ زُيَاهَا تَقَرُّصُ لَهَا الْمُتَكِبِرُونَ كَمَا نَذَكِرُهُ الْآنَ. لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَرْخَ مُقَدَّمٌ عَلَى  
 10 التَّغْدِيلِ؛ فَإِذَا وَجَدْنَا طَفْعًا فِي بَعْضِ رِجَالِ الْإِسْنَادِ بِقِفْلَةٍ، أَوْ سُوءِ حِفْظٍ، أَوْ قِلَّةٍ <sup>(ب)</sup> ضَبْطٍ <sup>(ب)</sup>، أَوْ ضَعْفٍ، أَوْ سُوءِ رَأْيٍ، تَقَرَّقَ ذَلِكَ إِلَى [صِحَّةٍ] <sup>(ج)</sup> الْحَدِيثِ وَأَوْزَهْنَ مِنْهُ. وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ زُيَاهَا يَتَطَرَّقُ إِلَى رِجَالِ الصَّحِيحَيْنِ؛ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُخَدِّثِينَ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهَا، كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَالْإِجْمَاعُ أَيْضًا قَدْ اتَّصَلَ فِي الْأُئِمَّةِ عَلَى تَلَقُّيْهَا بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِمَا؛ وَفِي الْإِجْمَاعِ أَعْظَمُ جَايِزَةٍ  
 15 وَأَخْسَنُ دَفْعٍ. وَلَيْسَ غَيْرُ الصَّحِيحَيْنِ بِمُنَابِتِهِمَا فِي ذَلِكَ؛ فَقَدْ نَجَدُ مَجَالًا لِلْكَلَامِ فِي أَسَانِيدِهِمَا بِمَا يُقَالُ عَنْ أُئِمَّةِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ.

(1) ي: الشان (ب) سقط من: ج ي (ج) من: ج ل ي، وفي ط: سوء .

(1) انظر أيضاً أبا نُعَيْمِ الْأَصْهَانِي: الْأَرْمُونُ حَدِيثًا فِي الْمَهْدِيِّ (تحقيق علي باقر ، عرناثا، طهران - محرم

ولقد توغل أبو بكر بن أبي خَيْثَمَةَ، على ما نقل الشَّهْزَائِيُّ عنه، في جمعه للأحاديث الواردة في المَهْدِيِّ، فقال: ومن أغربها إسنادًا، ما ذكره أبو بكر الإنشكاف في فوائده الأخبار، مُسْتَنَدًا إلى مالك بن أنس، عن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال، قال رسول الله ﷺ<sup>(1)</sup>: "من كَذَّبَ بالمَهْدِيِّ فقد كَفَرَ، ومن كَذَّبَ بالذَّخَانِ فقد كَذَّبَ". وقال في طُلُوع الشَّمْسِ من مغربها مثل ذلك، فيما أخيب. 5 [213ب] وحسبك بهذا غُلُوًّا. والله أعلم بصحة طريقه إلى مالك / بن أنس؛ على أن أبا بكر الإنشكاف عندهم مُتَّبَعٌ وَضَّاعٌ.

وأما الترمذي، فخرج هو<sup>(2)</sup> وأبو داود<sup>(3)</sup> بسندهما إلى ابن مسعود، من طريق عاصم بن أبي النجود، أحد القراء السبعة، عن زُرِّ بن حَنْثِين، عن عبد الله ابن مسعود<sup>(4)</sup>، عن النَّبِيِّ ﷺ: "لو لم يَتَّقِ من الدُّنْيَا إلا يومَ قال زائدة: : لطول 10 الله ذلك اليوم، حتَّى يَتَّبِعَ فيه رجلًا مَتًى أو من أهل بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي، واسمُ أبيه اسمُ أبي". هذا لَفْظُ أبي داود وسَكَتَ عليه. وقال في رسالته المشهورة: إِنَّ ما سَكَتَ عليه في كتابه فهو صَالِحٌ. وَلَفْظُ الترمذي: "ولا تذهب الدنيا حتَّى يَمْلِكُ العرب رجلٌ من أهل بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمَهُ اسْمِي". وفي لَفْظٍ آخر<sup>(4)</sup>: "حتَّى

(1) ي: ابن عباس .

(1) كذا في الأصول المعتمدة للكتاب، وينظر الحاروي في الفناوي للسيوطي 2: 161 وفيه: ومن كَذَّبَ بالذَّخَالِ فقد كَذَّبَ .

(2) الجامع الكبير (2230) .

(3) السنن (4282) .

(4) الجامع الكبير (2231) .

يلي رجلٌ من أهل بنيّ"، وقال في كليهما: حديثٌ حسنٌ صحيح. ورواه أيضاً<sup>(1)</sup> من طريق عاصم موقوفاً على أبي هُرَيْرَةَ. وقال الحاكم<sup>(2)</sup>: رواه الثَّوْرِيّ وشُعْبَةُ وزائدةٌ وغيرهم من أئمة المسلمين عن عاصم. قال: وطُرُق عاصم عن زَرٍّ عن عبد الله كلها صحيحةٌ على ما أصْلَتْه من الاحتجاج بأخبار عاصم، إذ هو إمامٌ من أئمة المسلمين. انتهى 5

إلا أنّ عاصمًا قال فيه أخذ بنُ حَنْبَلٍ<sup>(3)</sup>: كان رجلاً صالحاً قارئاً للقرآن خيراً ثقةً، والأعمشُ أحفظُ منه؛ وكان شُعْبَةُ يُختار الأعمشُ عليه في تثبيت الحديث . وقال العجليّ<sup>(4)</sup>: كان يُخْتَلَفُ عليه في زَرٍّ وأبي وإيل؛ يُشير بذلك إلى ضَعْفِ رِوَايَتِهِ عنها .

وقال محمد بن سَعْدٍ<sup>(5)</sup>: كان ثقةً، إلا أنه كان كثير الخطأ في حديثه . 10  
وقال يعقوب بن سُفْيَانٍ<sup>(6)</sup>: في حديثه اضطرابٌ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتمٍ<sup>(7)</sup>: قُلْتُ لأبي، إن أبا زُرْعَةَ يقول: عاصمٌ ثقةٌ؛ فقال: ليس مَحَلُّه هذا . وقد تكلم فيه ابنُ عُثَيْمَةَ ، فقال: كُلُّ من أسَمَهُ عاصمٌ

(1) الجامع الكبير (2231) .

(2) المستدرک 4 : 442 .

(3) العلل 1 : 137 ، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم 6 : 340 الترجمة 1887 .

(4) معرفة الثقات 2 : 6 .

(5) الطبقات 6 : 351 .

(6) تهذيب الكمال 13 : 477 .

(7) الجرح والتعديل 6 : 341 الترجمة 1887 .



سَيِّءُ الْحِفْظِ. وقال أبو حاتم: مَخْلُهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصَّنَقِ، صَالِحُ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَكُنْ  
بِذَلِكَ الْحَافِظِ. وَاخْتَلَفَ فِيهِ / قَوْلُ النَّسَائِيِّ. [214]

وقال ابن خراش <sup>(1)</sup>: فِي حَدِيثِهِ نُكْرَةٌ .

وقال أبو جعفر العُقَيْلِيُّ <sup>(2)</sup>: لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْحِفْظِ .

وقال الثَّارِقُطْنِيُّ <sup>(3)</sup>: فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ . 5

وقال يَحْيَى الْفُطَّانُ <sup>(4)</sup>: مَا وَجَدْتُ رَجُلًا اسْمُهُ عَاصِمٌ إِلَّا وَجَدْتُهُ زِدِيَّ الْحِفْظِ.

وقال أيضًا <sup>(5)</sup>: سَمِعْتُ شُعْبَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي الْجَوْودِ فِي النَّقْصِ مَا فِيهَا.

وقال الذَّهَبِيُّ <sup>(6)</sup>: ثَبَّتَ فِي الْقِرَاءَةِ، وَهُوَ فِي الْحَدِيثِ دُونَ الثَّبَتِ، صَدُوقٌ

يَهْمُ؛ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ. وَإِنْ اخْتَجَّ أَحَدٌ أَنَّ الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَاهُ، فَلَا بُدَّ أَخْرَجَاهُ  
مَقْرُونًا بغيره لَا أَضْلًا؛ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . 10

وخرَّجَ أَبُو دَاوُدَ <sup>(7)</sup> فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مِنْ [رَوَايَةٍ] <sup>(1)</sup> فِطْرَ

ابن خَلِيقَةَ، بِالْفَاءِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي بَرَّةَ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ

(أ) سقط من ظ .

(1) نقله من تهذيب الكمال 13 : 478 .

(2) كذلك، وأصل الخبر عن العُقَيْلِيِّ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (ص 22، جزء عاصم)، وَهُوَ لَيْسَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنْ

كِتَابِهِ الضُّعْفَاءُ 3: 336 .

(3) سَوَالَتِ الْبِرْقَانِي لِلْبَارِقُطْنِيِّ رَقْمَ 338 .

(4) مِنْ تَارِيخِ دِمَشْقَ ص 22 (جزء عاصم) .

(5) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ .

(6) مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ 2 : 357 .

(7) الشُّعْبَةُ (4283) .

عليه السلام، قال: "لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يتلوها عدلاً كما ملئت جوراً".

وفطر بن خليفة وإن وثقه أحد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم، إلا أن البجلي قال: حسن الحديث وفيه تشيع قليل. وقال ابن معين مرة: 5  
يُثَقِّبُ شيعي. وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: كنا نمر على فطر، وهو مطروح لا نكتب عنه. وقال مرة: كثر أمر به وأدعه مثل الكلب. وقال الثارقلني: لا يُخْتَجُّ به. وقال أبو بكر بن عتياب: ما تركت الرواية عنه إلا لسوء مذهبه. وقال الجوزجاني: زائع غير ثقة<sup>(1)</sup>. انتهى.

وخارج أبو داود<sup>(2)</sup> أيضاً بسنده إلى علي رضي الله عنه، عن هارون بن 10  
المغيرة، عن عمرو بن أبي قيس، عن شقيب بن خالد، عن أبي إسحاق السبيعي، قال، قال علي ونظر إلى ابنه الحسن فقال: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وآله، سيخرج من ضلبي رجل يسقى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً. وقال هارون: حدثنا عمرو بن أبي قيس، عن مطرف / بن طريف، عن أبي الحسن، عن هلال بن عمرو، سمعت علياً 15  
يقول، قال النبي صلى الله عليه وآله: "يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث [بن حراث]<sup>(1)</sup>، على مقدمته رجل يقال له منصور، يوطيء أو يَمَكِّن لآل محمد كما مكثت قريش لرسول الله، وحب على كل مؤمن نصره، أو قال: إجابته؛ سكث عليه أبو داود.

(1) من: ع ج ي .

(1) هذه الأقوال جميعها في تهذيب الكمال 23: 314-316 وانظر التعليق عليه .

(2) السنن (4290) .

وقال في موضع آخر في هارون <sup>(1)</sup> : هو من الشيعة . وقال السلمياني <sup>(2)</sup> :  
فيه نظر . وقال أبو داود في عمر بن أبي قيس <sup>(3)</sup> : لا بأس به ، في حديثه خطأ .

وقال الذهبي <sup>(4)</sup> : صدوق له أوهام . وأما أبو إسحاق السبيعي <sup>(1)</sup> ، وإن خرج  
عنه في الصحيحين ، فقد ثبت أنه اختلط آخر عمره ، وروايته عن علي منقطعة .  
وكذا رواية أبي داود عن هارون بن المغيرة <sup>(5)</sup> . وأما السند الثاني ، فأبو الحسن فيه 5  
وهلال بن عمرو مجهولان ؛ ولم يعرف أبو الحسن إلا من رواية مطرف بن طريف  
عنه . انتهى .

وخرج أبو داود أيضاً <sup>(6)</sup> عن أم سلمة ، وكذا ابن ماجه <sup>(7)</sup> ، والحاكم في  
المستدرک <sup>(8)</sup> ، من طريق علي بن نقيل ، عن سعيد بن المسيب ، عن أم سلمة ،  
قالت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " المهدي من عترتي ، من ولد فاطمة " . لفظ 10  
الحاكم : سمعت رسول الله ﷺ يذكر المهدي فقال : " نعم ، هو حق ، وهو من بيتي  
فاطمة " .

(1) كنا في ظل لي ، وفي ع ج : الشيعي .

(1) تهذيب الكمال 30 : 111 .

(2) تهذيب التهذيب 11 : 13 .

(3) تهذيب الكمال 22 : 205 .

(4) ميزان الاعتدال 3 : 285 الترجمة 6429 .

(5) ودليل ذلك أنه قال : حدثت عن هارون بن المغيرة .

(6) الشنن (4284) .

(7) سنن ابن ماجه (4086) .

(8) المستدرک 4 : 557 .

ولم يتكلم عليه بتصحیح ولا غیره. وقد ضعفه أبو جعفر الغنّی<sup>(1)</sup> وقال: لا ینتفع علی بن نقیل علیه، ولا یعرف إلاّ به.

وخرّج أبو داود أيضاً<sup>(2)</sup>، عن أم سلمة، من رواية صالح، أبي الخليل<sup>(3)</sup>، عن صاحب له، عن أم سلمة، عن النبي ﷺ، قال: "يكون أخيراً عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبناء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام، وعصائب أهل العراق/ فيبايعونه. ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب، فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب. والحيّة لمن لم<sup>(4)</sup> يشهد غنيمه كلب، فيقتسم المال، ويعمل في الناس بسنة بينهم، ويلقي الإسلام بحرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين. ثم يتوق ويصلي عليه المسلمون. قال أبو داود: قال بعضهم عن هشام: تسع سنين، وقال بعضهم: سبع سنين. ثم رواه أبو داود<sup>(4)</sup> من رواية أبي الخليل، عن عبد الله بن الحارث، عن أم سلمة، فتبين بذلك المهتم في الإسناد الأول. ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا معقر<sup>(5)</sup>.

(1) سقط من ي .

(1) الضعفاء الكبير 3 : 253 .

(2) السنن (4286) .

(3) هو صالح ابن أبي مرجم الضبّعي ، أبو الخليل البصري .

(4) السنن (4288) .

(5) الرواية التي سئني بها المهتم هي رواية ضعيفة، لأنها رواية أبي العوام عن قتادة عن أبي الخليل، وأبو العوام هنا هو عمران بن ذؤير القطان الذي سيترك في تضعيفاً، فكان المؤلف ما عرف أن أبا العوام هو عمران القطان! ودليل ذلك قوله: "ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغر" وعمران القطان ليس من رجال الصحيحين، وإنما أخرج له البخاري وخذه استشهاده.

وقد يُقال: إنه من رواية قتادة، عن أبي الحليل؛ وفتادة مُدَلَّس، وقد عَنَّقَنه، والمُدَلَّس لا يُثْبَل من حديثه إلا ما صَرَّح فيه بالسَّماع؛ مع أنَّ الحديث ليس فيه تصريحٌ بِذِكْرِ المَهْدِيِّ. نعم، ذكره أبو داود في أنبأه.

وخرَّج أبو داود<sup>(1)</sup> أيضاً وتابعه الحاكم<sup>(2)</sup>، عن أبي سعيد الخدري، من طريق عمران القطان، عن قتادة، عن أبي نَصْرَةَ، عن أبي سعيد الخدري، قال، 5 قال رسولُ الله ﷺ: "المهدي مَنِّي، أَجَلِي الجَنَّة، أَقْنَى الأنف، يَمْلَأُ الأرض قِسْطاً وَعَدلاً كما مِلْتُمَا ظُلْماً وَجَوْزاً، يَمْلِك سَنَعِ سِنِينَ". هذا لفظُ أبي داود، وسكت عليه. ولفظُ الحاكم: "المهدي مَنَّا أَهْلَ التَّيْنِ، أَشْمُ الأنف، أَقْنَى أَجَلِي، يَمْلَأُ الأرض قِسْطاً وَعَدلاً، كما مِلْتُمَا جَوْزاً وَظُلْماً، يَعِشُ هَكَذَا؛ وَيَسْطُو سَازَهَ وَاصْبَعَيْنِ مِنْ يَمِينِهِ، السَّبَابَةَ وَالْإِبْهَامَ، وَعَقْدُ ثَلَاثَةٍ. قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شَرْطِ 10 مُسْلِمٍ<sup>(3)</sup>؛ ولم يخرِّجاه. انتهى.

وعمران القطان مُخْتَلَفٌ في الاختِلاج به، وإِنَّمَا أُخْرِجَ له البخاري استِشْهَاداً لا أَضْلاً. وكان يَجْعِي القطان لا يُحَدِّثُ عنه. وقال يَحْيَى بنُ مَعِين: ليس بالقَوِي؛ وقال مَرَّة: لَيْسَ بِشَيْءٍ. وقال أحمد بن حنبل: / أَرَجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحاً [215ب] الحديث. وقال يزيد بن زُرَيْع: كَانَ حَرْوَرِيّاً، وَكَانَ يَزِي السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ القَبِيلَةِ. 15 وقال النَّسَائِيُّ: ضَعِيفٌ. وقال أبو عُثَيْبَةَ الأَجْرِي: سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ: مَنْ

(1) السنن (4285).

(2) المستدرک 4: 557.

(3) هكذا قال الحاكم، وهو غلط، فإن عمران القطان لم يخرِّج له مسلم شيئاً.

أصحاب الحسن، وما سمعتُ إلا خيراً. وسمعتُه ذكره مرةً أُخرى، فقال: ضعيف؛  
أفتى في أيام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقوى شديدة، فيها سفك الدماء<sup>(1)</sup>.  
وخرج الترمذي<sup>(2)</sup> وابن ماجه<sup>(3)</sup> والحاكم<sup>(4)</sup> عن أبي سعيد الخدري من  
طريق زيد الغقي، عن أبي الصديق التاجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: حُشِنَا  
5 أن يكونَ بعدَ نَبْتِنَا حَدَثٌ، فسألنا نبيَّ الله، فقال: "إنَّ في أمتي المهديَّ، يَخْرُجُ،  
يَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ يَسَعًا؛ زَيْدُ الشَّائِكُ؛ قال، قُلْنَا: وما ذاك؟ قال: "سنين"  
قال: "فيجيءُ إليه الرَّجُلُ فيقول: يا مَهْدِيَّ أَعْطِنِي". قال: "فَيَخْتَوِيهِ فِي ثَوْبِهِ مَا  
استطاع أن يَحْمِلَهُ". لَفْظُ التِّرْمِذِيِّ، وهذا حديثٌ حَسَنٌ. وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهِ  
عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ. وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَةَ وَالْحَاكِمِ: يَكُونُ فِي أَمْتِي  
10 الْمَهْدِيُّ، إِنْ قُصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، فَتَنْقَمُ أَمْتِي فِيهِ نَقْمَةٌ لَمْ يَسْمَعُوا<sup>(1)</sup> مِثْلَهَا قَطُّ،  
تُؤْتِي الْأَرْضُ أَكْلَهَا وَلَا تَدْخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا؛ وَالْمَالُ يَوْمِئِذٍ كُدُوسٌ، فيقومُ الرَّجُلُ فيقول:  
يا مَهْدِيَّ أَعْطِنِي! فيقول: خُذْ". انتهى .

وَزَيْدُ الْغَقِيِّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الثَّارِقُطْنِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: إِنَّهُ  
صَالِحٌ، وَزَادَ أَحْمَدُ: إِنَّهُ فَوْقَ زَيْدِ الرِّقَاشِيِّ وَقُضِّلَ بِنِ عِيسَى، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ:  
15 ضَعِيفٌ، يَكْتَسِبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى: لَا شَيْءَ.

(1) كُتِبَ فِي الْأَصُولِ وَعَدَ ابْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ: لَمْ يَسْمَعُوا .

(1) هذه الأقوال كلها في تهذيب الكمال 22: 329 - 330 .

(2) الجامع الكبير (2232) .

(3) السنن (4083) .

(4) المستدرک 4: 558 .

وقال مرة: يَكْتَبُ حَدِيثُهُ، وهو ضَعِيفٌ. وقال الجَوْزْجَانِي: مُتَابِعٌ. وقال أبو زُرْعَةَ: لَيْسَ بِقَوِيٍّ، وَاهِي الْحَدِيثِ ضَعِيفٌ. [وقال أبو داود<sup>(1)</sup>: لَيْسَ بِذَاكَ، وقد حَدَّثَ عَنْهُ شُعْبَةُ. وقال النَّسَائِيُّ: ضَعِيفٌ<sup>(ب)</sup>]. وقال ابن عَدِي: عَامَّةٌ مَا يَرْوَاهُ وَمَنْ يَرْوَاهُ عَنْهُمْ ضُعَفَاءُ؛ عَلَى أَنَّ شُعْبَةَ قَدْ رَوَى عَنْهُ، وَلَعَلَّ شُعْبَةَ لَمْ يَرْوِ عَنْ أَضْعَفٍ مِنْهُ<sup>(1)</sup>.

وقد يُقَالُ إِنَّ حَدِيثَ التِّرْمِذِيِّ وَقَعَ تَفْسِيرًا لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ<sup>(2)</sup> مِنْ 5 حَدِيثِ جَابِرٍ، قَالَ: / قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْتَوِي الْمَالَ خَشْيًا إِلَّا يَغْدُهُ عَدَا". وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ<sup>(3)</sup> قَالَ: "مَنْ خُلِفَايَكُم خَلِيفَةٌ يَحْتَوِي الْمَالَ خَشْيًا". وَمِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْهَا، قَالَ<sup>(4)</sup>: "يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَفْسُمُ الْمَالَ وَلَا يُغْدُهُ". انْتَهَى. وَأَحَادِيثُ مُسْلِمٍ لَمْ يَقَعْ فِيهَا ذِكْرُ الْمَهْدِيِّ، وَلَا دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ بِهَا.

وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا<sup>(5)</sup> مِنْ طَرِيقِ عَوْفٍ الْأَعْرَابِيِّ، عَنْ أَبِي الصَّدِيقِ التَّاجِيِّ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُثْلَأَ الْأَرْضُ طُلْمًا وَجُزًّا وَعُدُونًا، ثُمَّ يُخْرَجُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَنْ يَمْلُؤُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ طُلْمًا وَعُدُونًا".

(أ) ي: أبو حاتم (ب) سقط من ظ.

(1) هذه الأقوال كلها في تهذيب الكمال 10: 58 - 59.

(2) صحيح مسلم (2913) (67).

(3) المصدر نفسه (2914) (68).

(4) المصدر نفسه (2913) (2914) (69).

(5) المستدرک 4: 557.

وقال فيه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه.

وزواه الحاكم<sup>(1)</sup> أيضاً من طريق سُلَيْمان بن عُبيد، عن أبي الصديق التاجي،  
عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: "يُخْرَجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ،  
يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَابَهَا. وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَّاحاً، وَتَكْثُرُ الْمَالِيَّةُ،  
وَتَقْطُمُ الْأُمَةُ؛ يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا"؛ يعني جَجَجًا. وقال فيه: حديث صحيح 5  
الإِسْنَاد، ولم يُخرجاه. مع أن سُلَيْمان بن عُبيد لم يُخرِجْ له أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ. لكن ذكره  
ابن حِبَّانَ فِي التَّحْقَاتِ<sup>(2)</sup>. ولم تَر أَحَدًا تَكَلَّمَ فِيهِ.

ثم رواه الحاكم أيضاً<sup>(3)</sup> من طريق أسد بن موسى، عن حماد بن سلمة، عن  
مَطَرِ الْوَرَّاقِ، وأبي هَارُونَ الْغُبَيْدِيِّ، عن أبي الصديق التاجي، عن أبي سعيد  
[الخدري]<sup>(4)</sup> أن رسول الله ﷺ قال: "ثُمَّلًا الْأَرْضُ جُوزًا وَظُلْمًا، فَيُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ  
عِثْرَتِي فَيَمْلِكُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ غَدًا وَقِسْطًا، كَمَا مِلْثُ جُوزًا وَظُلْمًا".  
وقال الحاكم فيه: هذا حديث صحيح على شرط مُسْلِمٍ.

وإنما جَفَلَهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، لَأَنَّهُ أَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، وَعَنْ شَيْخِهِ  
مَطَرِ الْوَرَّاقِ. وَأَمَّا شَيْخُهُ الْآخَرُ، وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْغُبَيْدِيُّ، فَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ؛ وَهُوَ  
ضَعِيفٌ جَدًّا، مُتَّبَعٌ بِالْكَذِبِ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى بَسْطِ أَقْوَالِ الْأُئِمَّةِ فِي تَضْعِيفِهِ. 15

(1) من ل .

(1) المستدرک 2 : 557 - 558 .

(2) التقات 6 : 392 .

(3) المستدرک 2 : 558 .



وأما الزاوي له عن حماد بن سلمة، وهو أسد بن موسى، / يُلقَّب أسد السنة، وإن قال البخاري: مشهور الحديث، واستشهد به في صحيحه، واخْتِجَّ به أبو داود والنسائي، إلا أنه قال مرة أخرى: هه، لو لم يُصَفَّ كان خيراً له. وقال فيه أبو محمد ابن خزم: مُتَكَرِّر الحديث <sup>(1)</sup>.

ورواه الطبراني في مُعْجَمه الأوسط <sup>(2)</sup>، من رواية أبي الواصل عند الحميد 5  
ابن واصل، عن أبي الصديق التاجي، عن الحسن بن يزيد السعدي، أحد بني بهذلة، عن أبي سعيد الخدري، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "يُخْرِجُ رَجُلٌ من أُمَّتِي يقول بسنتي، يُرْزَلُ الله له القَطْرُ من السماء، وتُخْرَجُ لَهُ الأرض من بَرَكِهَا، تُسَلِّقُ الأرض منه قِسْطًا وعَذْلًا كما مُلِثَ جُورًا وظُلْمًا، يَفْعَلُ على هذه الأمة سَنَعٌ سنين، ويُنْزَلُ نَبْتُ المَقْدِسِ". 10

وقال فيه الطبراني: رواه جماعة عن أبي الصديق، ولم يُدْخِلْ أَحَدٌ منهم يَنْتَه وبن أبي سعيد أحدًا إلا أبو الواصل، فإنه رواه عن الحسن بن يزيد، عن أبي سعيد. انتهى.

وهذا الحسن بن يزيد ذكره ابن أبي حاتم، ولم يُعْرِفه بأكثَرِ مما في هذا 15  
الإسناد من روايته عن أبي سعيد، ورواية أبي الصديق عنه. وقال الذهبي في

(1) الكلام في أبي هارون العبدى لا معنى له، لأنه مقرون بغيره، وهو مطر الوراق، ولو شقه ابن خلدون لوجده، وإن روى له مسلم، ضعيفًا، فقد ضَعَفَهُ يحيى النُّطَّان، وأحمد بن حنبل، وابن معين، والنسائي، وابن سعد، وأبو داود، والعقيلي، والبارقطني، وابن عدي، وإِنَّمَا رَوَى له مسلم مُتَابِعَةً. انظره مفصلاً في تحرير التقریب 3: 384.

(2) المعجم الأوسط (1079).

الميزان<sup>(1)</sup>: إِنَّهُ مَجْهُولٌ. لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ جَبَّانٍ<sup>(2)</sup> فِي الثَّقَاتِ. وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ فَلَمْ يَخْرُجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّيِّئَةِ. وَذَكَرَهُ ابْنُ جَبَّانٍ<sup>(3)</sup> فِي الثَّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ، وَقَالَ فِيهِ: يَزُوي عَنْ أَنَسٍ، وَرَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعَتَّابُ بْنُ بَشِيرٍ.

وخرَّج ابن ماجه في كساب السنن<sup>(4)</sup> له عن عبد الله بن مسعود، من

- 5 طريق يزيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ، إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي ﷺ، اغرورقت عيناه وتغير لونه؛ قال: فقلْتُ: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال: "إنَّا أهلُ بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإنَّ أهلَ بيتي سيَلْقَوْنَ بُغْدِي/ بلاءً وتُشْرِيذاً وتَطْرِيذاً، حتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَاياتٌ سودٌ،<sup>[217]</sup> فيَسْأَلُونَ الْحَيَرَ فلا يُعْطَوْنَ، فيقاتِلُونَ فيُنْصَرُونَ، فيُغْطَوْنَ ما سألوا فلا يَقْبَلُونَهُ، حتَّى يَذْفَعُوها إلى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فيملأُها قِسْطًا كما ملأوها جَوْزًا؛ فَمَنْ أَدْرَكَ ذلكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ ولو خَبَرًا على الثَّلَجِ". انتهى.

- وهذا الحديث يُعرف عند المُحدِّثين بِحَدِيثِ الرَّايَاتِ. وَيَزِيدُ ابْنُ أَبِي زِيَادٍ زَاوِيَهُ، قَالَ فِيهِ شُعْبَةُ: كَانَ رَقَاعًا؛ يَعْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ: كَانَ مِنْ كِبَارِ أُمَّةِ الشَّيْعَةِ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ؛<sup>15</sup> وَقَالَ مَرَّةً: حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ. وَقَالَ يُحْيَى بْنُ مَعِينٍ: ضَعِيفٌ. وَقَالَ الْعِجْلِيُّ: جَائِزٌ

(1) ميزان الاعتدال 1: 527 الترجمة 1966 .

(2) الثقات 4: 124 .

(3) لم يهتد إليه في الثقات .

(4) السنن (4082) .

الحديث، وكان بأخرة يُلَقَّن. وقال أبو رُزْعة: لَيْسَ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتُجُّ بِهِ. وقال أبو حاتم: لَيْسَ بِالْقَوِيِّ. وقال الجَوْزْجَانِيُّ: سَمِعْتُهُمْ يُضَعِّفُونَ حَدِيثَهُ. وقال أبو داود: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ، وَغَيَّرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ. وقال ابنُ عَدِيٍّ<sup>(1)</sup>: هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ. وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ لَكِنْ مَقْرُونًا بغيره<sup>(2)</sup>.  
 وبالجُمْلَةِ فالأَكْثَرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ. وَقَدْ صَرَّحَ الْأَيْمَنُ بِتَضْعِيفِ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ 5  
 عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ حَدِيثُ الزَّايَاتِ. فَقَالَ وَكِيعٌ بْنُ الْجَرَّاحِ فِيهِ: لَيْسَ بِشَيْءٍ. وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ. وَقَالَ أَبُو قُدَامَةَ: سَمِعْتُ أَبَا أُسَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الزَّايَاتِ، لَوْ حَلَفَ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا قَسَامَةً مَا صَدَّقْتُهُ، أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ؟ أَهَذَا مَذْهَبُ عَلْقَمَةَ؟ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ. وَأَوْرَدَ الْقُتَيْبِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الضُّعْفَاءِ. وَقَالَ الدَّهْلِيُّ: لَيْسَ بِصَحِيحٍ<sup>(3)</sup>. 10  
 وَخَرَّجَ ابْنُ مَاجَةَ<sup>(4)</sup> عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَوَايَةِ يَاسِينَ الْعِجْلِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُهْدِيُّ مَثَلُ أَهْلِ النَّيْتِ، يُضِلُّهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ".

[217ب] / وَيَاسِينَ الْعِجْلِيُّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ ابْنُ مَعِينٍ: لَيْسَ بِهِ بِأَسٍّ، فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ<sup>(5)</sup>: فِيهِ نَظَرٌ. وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ فِي اضْطِلَاحِهِ قَوِيَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جَدًّا. وَأُزِيدَ لَهُ 15

(1) الكامل في ضعفاء الرجال 7 : 2130 .

(2) كل هذه الأقوال مقبسة من تهذيب الكمال 32 : 137-140 .

(3) بل قال في مختصر المستدرک : موضوع .

(4) السنن (4085) .

(5) التاريخ الكبير 1 : 317 الترجمة 994 ، قال : في إسناده نظر .

ابن عدي<sup>(1)</sup> في الكامل، والذهبي في الميزان هذا الحديث على وجه الاستينكار له،  
وقال هو معروف به<sup>(2)</sup>.

وخرَّج الطبراني في مُعْجَمه الأوسط<sup>(3)</sup>، عن علي رضي الله عنه، أنه قال  
للثي<sup>عليه السلام</sup>: أيمًا المَهْدِيَّ أم من غيرنا يا رسول الله؟ فقال: "بل متا، بنا يَحْتَم الله كما  
5 بنا فَتَح، وبنا يُسْتَقْدُون من الشُّرك، وبنا يُولَّف الله بين قُلُوبهم بعد عداوة بَيِّنَة، كما  
بنا أَلَف بين قُلُوبهم بعد عداوة الشُّرك". قال علي رضي الله عنه: أمؤمنون أم  
كافرون؟ قال: "مَفْتُون وكافر". انتهى.

وفيه عبد الله بن لَهِيعة وهو ضَعِيفٌ مَعْرُوفٌ الحال. وفيه عمرو بن جابر  
الحَضْرَمِي، وهو أضعفُّ منه. قال أحمد بن حنبل: روى عن جابر مناكير، وبلغني  
10 أنه كان يَكْذِب. وقال اللُّسَائِي: ليس بِثِقَةٍ؛ وقال: ابنُ لَهِيعة كان شَيْخًا أَحْمَقَ  
ضَعِيفَ الْعَقْلِ، وكان يَقُول: علي في السحاب. ويجلس مَعَنَا فَيُبَصِّر سَعَابَةً فيقول:  
هذا علي قد مرَّ في السحاب.

وخرَّج الطبراني أيضًا<sup>(4)</sup> عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:  
"يَكُونُ في آخِرِ الزَّمانِ فِتْنَةٌ يُحْصَلُ النَّاسُ فيها كما يُحْصَلُ الذَّهَبُ في المِغْدَن. فلا  
15 تَسُبُّوا أَهْلَ الشَّامِ ولكن سُبُّوا أَشْرَارَهُمْ، فإنَّ فيهِم الأَبْدالَ؛ يوشِكُ أن يَرْسَلَ على  
أَهْلِ الشَّامِ سَيْبٌ من السَّماءِ فيُفَرِّقُ جَماعَتَهُمْ، حتَّى لو قاتَلْتَهُمُ التَّعَالِبُ غَلَبَتْهُمُ؛ فعند

(1) الكامل في ضعفاء الرجال 7: 2643.

(2) تهذيب الكمال 31: 181، ميزان الاعتدال 4: 359 الترجمة 9444.

(3) المعجم الأوسط (157).

(4) المصدر نفسه (3917).

ذلك يخرج خارج من أهل بئني في ثلاث رايات، الكثير يقول هم خمسة عشر ألفاً، والمقلل يقول هم اثنا عشر ألفاً، أمازتهم أمث أمث، يلقون سبغ رايات، تحت كل راية منها رجل يطلب الملك، فيقتلهم الله جميعاً، ويرد الله إلى المسلمين ألقمهم ونغمهم وقاصمهم ودانيمهم . [218]

5 وفيه عبد الله بن لهيعة، وهو ضعيف مقروء الحال .

ورواه الحاكم في مستدركه<sup>(1)</sup> فقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وفي روايته: "ثم يظهر الهاشمي فيرد الله الناس إلى ألقمهم..." إلخ، وليس في طريقه ابن لهيعة؛ وهو إسناده صحيح كما ذكر<sup>(2)</sup>.

وخرج الحاكم في المستدرك<sup>(3)</sup> عن علي رضي الله عنه، من رواية أبي الطفيل، عن محمد بن الحنفية، قال: كنا عند علي، فسأله رجل عن المهدي، فقال 10 علي: هيات؛ ثم عقد يده سبعة، فقال: ذاك يخرج في آخر الزمان، إذا قال الرجل: الله الله قيل. فيجمع الله قوماً قرعاً كقرع السحاب، يؤلف الله بين قلوبهم لا يستوحشون إلى أحد، ولا يفترحون بأحد دخل فيهم، على عدة أصحاب بدر، لم ينسبهم الأولون، ولا يذكركم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر. قال أبو الطفيل، قال ابن الحنفية: أشرده؟ قلت: نعم، قال: فإنه يخرج 15

(1) المستدرك 4 : 553 .

(2) المؤلف بهذا يصح الحديث إذ لم يجد في إسناده الحاكم علة، ويرى الدكتور بشار عواد أن علة هو تابعة عبد الله بن زُرَّارَ راويه عن علي رضي الله عنه، فإنه لم يرو له البخاري ومسلم شيئاً، بل ليس له في الشَّئْنِ سوى حديث واحد عن علي، في الحرير والذهب وأنها حرام، ولم يوثقه سوى العجلي وابن سعد، وهما زخوان في التوثيق. (تهذيب الكمال بتعليقه 14 : 518) .

(3) المستدرك 4 : 556 .

من بين [هذين] <sup>(1)</sup> الأخشبين. قلت: لا جرم والله، لا أرىمها حتى أموت، فمات بها، يعني مكة.

قال الحاكيم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين . انتهى .

وإنما هو على شرط مسلم فقط، فإن فيه عمارة الدهني ويونس بن أبي إسحاق، ولم يخرج لما البخاري؛ وفيه عمرو بن محمد الغفري، ولم يخرج له البخاري 5  
اختجاجاً بل استشهاده، مع ما يتضمّن إلى ذلك من تشجيع عمارة الدهني؛ وهو وإن وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي وغيرهم، فقد قال علي بن المديني عن سفيان: إن بشر بن مزوان قطع عُزُوبِيته، قلت: في أي شيء؟ قال: في التشجيع.

وخرج ابن ماجه <sup>(1)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه، من رواية شغد بن غبند الحميد بن جعفر، [عن] <sup>(ب)</sup> علي بن زياد النخعي، عن عكرمة بن عمار، عن 10  
إسحاق بن عبد الله، / عن أنس، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "نَحْنُ وَلَدُ عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وخزعة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي". انتهى .

وعكرمة بن عمار <sup>(2)</sup>، وإن أخرج له مسلم، فإنما أخرج له متابعة. وقد ضعفه 15  
بعض وثقه آخرون. وقال أبو حاتم الرازي: هو مُدْلَس <sup>(3)</sup>. فلا يقبل، إلا أن

(1) في الأصول: هذه (ب) ط: بن .

(1) السنن (4087).

(2) تهذيب الكمال 20 : 258-264 .

(3) هكذا قال ، وألني في الجرح والتعديل 7 : 10 الترجمة 41 وتهذيب الكمال 20 : 261 "وربما دلس"؛ وفرق بين العبارتين .

يُصْرَحُ بالسَّخَرِ. وَعَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: أَتَى فِي الْمِيزَانِ<sup>(1)</sup>: لَا يُذَرَى مِنْهُ؛ ثُمَّ قَالَ: الصَّوَابُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ<sup>(2)</sup>. وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ<sup>(3)</sup> وَلِأَنَّ وَثَّقَهُ يَقْبُوبُ ابْنَ شَيْبَةَ، وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ، قَالُوا: لِأَنَّهُ [رَأَاهُ]<sup>(4)</sup> يَفْتِي فِي مَسَائِلَ وَيُخْطِئُ فِيهَا. وَقَالَ ابْنُ جَبَّانٍ<sup>(4)</sup>: كَانَ تَمَنُّ فَخْشَ حَظْوُهُ فَلَا يَحْتَجُّ بِهِ. وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: سَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدَّعِي أَنَّهُ سَمِعَ 5 عَرَضَ كُتُبَ مَالِكٍ، وَالتَّاسُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَهُوَ هَهُنَا يَفْتَدِي لَمْ يَحْجُجْ، كَيْفَ سَمِعَهَا؟! وَجَفَلَهُ الذَّهَبِيُّ تَمَنُّ لَمْ يَفْذَحْ فِيهِ كَلَامٌ مِنْ تَكَلَّمَ فِيهِ<sup>(5)</sup>.

وخرَّجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ<sup>(6)</sup> مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، قَالَ مُجَاهِدٌ، قَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ النَّبْتِ مَا خَدَّشْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ؛ قَالَ، فَقَالَ مُجَاهِدٌ: فَإِنَّهُ فِي سِرِّهِ لَا أَذْكُرُهُ لِمَنْ تَكْرَهُ! قَالَ، 10 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَتَى أَهْلُ النَّبْتِ أَرْبَعَةٌ؛ مَتَى السَّفَاحُ، وَمَتَى الْمُنْذِرُ، وَمَتَى الْمَنْصُورُ، وَمَتَى الْمَهْدِيُّ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُجَاهِدٌ: فَبَيْنَ لِي هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ، فَقَالَ: أَمَّا السَّفَاحُ فَرُبَّمَا قَتَلَ أَنْصَارَهُ وَعَقَّا عَنْ عُنُوقِهِ؛ وَأَمَّا الْمُنْذِرُ، أَرَأَاهُ قَالَ: فَإِنَّهُ يُعْطِي الْمَالَ الْكَثِيرَ، لَا

(1) سقط من ط.

(1) ميزان الاعتدال 3: 127 الترجمة 5843.

(2) وعبد الله بن زياد الباهلي قال فيه البخاري: منكر الحديث (التاريخ الكبير 5: 95 الترجمة 269)، وإنما

يشير إلى حديثه هذا.

(3) تهذيب الكمال 10: 287.

(4) الجرحين 1: 357.

(5) يشير المؤلف إلى رسالة الذهبي، من تكلم فيه وهو مؤثِّق.

(6) المستدرک 4: 514.

يتعاطف في نفسه، ويُسبك القليل من حقه؛ وأما المنصور فإنه يعطى النضر على غدوه الشطر بما كان يعطى رسول الله ﷺ، يزغب منه غدوه على مسيرة شهرين، والمنصور يزغب منه غدوه على مسيرة شهر؛ وأما المهدي الذي يملأ الأرض / عدلاً كما ملئت جوراً، وتأمّن البهائم السباع، وتلقي الأرض أفلاذ كبدها، قال، قُلْتُ: وما أفلاذ كبدها؟ قال: أمثال الأشطوانة من الذهب والفضة . 5

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يُخرجاه، وهو من رواية إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، عن أبيه، وإسماعيل ضعيف، وأبوه إبراهيم وإن خرج له مسلم، فالأكثر على تضعيفه.

وخرج ابن ماجه<sup>(1)</sup> عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: "يُقْتَلُ عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الزبايا السوداء من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يُقتله قوم". ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: "إذا رأَيتُموه فبايعوه ولو خبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي". انتهى . 10

ورجاله رجال الصحيح؛ إلا أن فيه أبا قلابة الجزمي، وذكر الذهبي وغيره أنه مُدلس؛ وفيه سفيان الثوري، وهو مشهور بالتدليس<sup>(2)</sup>؛ وكل واحد منهما عنعن ولم يصرح بالسماع، فلا يُقبل؛ وفيه عبد الرزاق بن همام، وكان مشهوراً 15

(1) السنن (4084) رجاله ثقات لكنه منكر، رواه عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسامة الرخبي عن ثوبان. وقد خولف فيه سفيان. فرواه الحاكم: 4: 463 والبيهقي في دلائل النبوة 6: 516 من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن خالد الحذاء به موقوفاً .  
(2) أقصى ما قبل فيه: ربما دلس .



بالتَّشْيِيعِ، وَغَمِي فِي آخِرِ غُفْرِهِ فَلَاطُ؛ قَالَ ابْنُ غَدِي<sup>(1)</sup>: حَدَّثَ بِأَحَادِيثٍ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَنَسَبُوهُ إِلَى التَّشْيِيعِ. انْتَهَى.

وخرَّجَ ابْنُ مَاجَةَ<sup>(2)</sup> عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الرُّيَيْدِيِّ، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهَيْعَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ غَمْرُو بْنِ جَابِرِ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُخْرِجُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِنُونَ لِلْمَهْدِيِّ"، يَعْنِي سُلْطَانَهُ. 5  
قَالَ الطَّبْرَائِيُّ: تَفَرَّدَ بِهِ ابْنُ لَهَيْعَةَ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي حَدِيثِ عَلِيِّ الَّذِي خَرَجَهُ الطَّبْرَائِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ، أَنَّ ابْنَ لَهَيْعَةَ ضَعِيفٌ، وَأَنَّ شَيْخَهُ غَمْرُو بْنُ جَابِرٍ أَوْعَفُ مِنْهُ.

وخرَّجَ الْبَزَّازُ / فِي مُسْنَدِهِ<sup>(3)</sup>، وَالطَّبْرَائِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ<sup>(4)</sup>، وَاللَّفْظُ لِلطَّبْرَائِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "يَكُونُ فِي أُمَّتِي 10 الْمَهْدِيِّ، إِنْ قَصُرَ فَسَيَنْجُ، وَإِلَّا فَتَمَانٍ، وَإِلَّا فَتَنْجُ، تَنْجُمُ أُمَّتِي فِيهَا نِعْمَةٌ لَمْ يَنْجُمُوا بِمِثْلِهَا؛ تُرْسِلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ مِذْرَازًا؛ وَلَا تَذْخَرُ الْأَرْضُ شَيْئًا مِنَ الثَّبَاتِ؛ وَالْمَالُ كُدُوسٌ، يَقُومُ الرَّجُلُ يَقُولُ: يَا مَهْدِيَّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ حُدًى".

قَالَ الطَّبْرَائِيُّ وَالْبَزَّازُ: تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ الْعَجَلِيُّ. زَادَ الْبَزَّازُ: وَلَا يُفْلَمُ تَابِعُهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ؛ وَهُوَ وَإِنْ وَثَّقَهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ جَبَّانٍ أَيْضًا بِمَا ذَكَرَهُ فِي الثَّقَاتِ، 15 وَقَالَ فِيهِ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ: صَالِحٌ، وَقَالَ مَرَّةً: لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، فَقَدْ اخْتَلَفُوا فِيهِ. وَقَالَ

(1) الكامل 5: 1952 .

(2) التشنج (4088) .

(3) كشف الأستار (3326) .

(4) المعجم الأوسط (5402) .

أبو زُرْعَة: ليس عندي بذلك ؛ وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: رأيت محمد بن مروان العنيليّ وحَدَّث بأحاديث وأنا شاهدٌ لم أكثبها، تركها على عمد. وكتب بعض أصحابنا عنه؛ كأنه ضَعَفَه <sup>(1)</sup>.

وخرَّج أبو يعلى الموصليّ في مُسنَّده <sup>(2)</sup>، عن أبي هريرة ، قال: حَدَّثني خَليلي أبو القاسم عليه السلام، قال: "لا تقوم الساعةُ حتَّى يخرج عليهم رجلٌ من أهل بيتي، فيضربُهم حتَّى يَرجعوا إلى الحقِّ". قال، قلتُ: ومَ يَمُلك؟ قال: "خمسًا واثنَين". قال، قلتُ ؛ وما خمسًا واثنَين؟ قال: "لا أَدري". انتهى .

وهذا السند ، وإن كان فيه بشير بن نَهِيك ، وقال فيه أبو حاتم: لا يُحتجُّ به ، فقد احتجَّ به الشيخان ، وثقه الناس ، ولم يُلْتَفَتوا إلى قول أبي حاتم: لا يُحتجُّ به. إلا أنَّ فيه مُرَجَّحِي بن رجاء البشكريّ، وهو مُخْتَلَفٌ فيه. قال أبو زُرْعَة: ثقه؛ <sup>10</sup> وقال يحيى بن معين: ضعيفٌ؛ وقال أبو داود: ضعيفٌ؛ وقال مرةٌ: صالحٌ. وعلَّق له البخاريّ في صحيحه جُذْمًا واحدًا <sup>(3)</sup>.

وخرَّج أبو بكر البزار في مُسنَّده <sup>(4)</sup> / والطبراني في مُعْجمه الكبير <sup>(5)</sup> [220] والأوسط <sup>(6)</sup> ، عن قُرَّة بن إياس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لَتُمْلَأَنَّ الأرضُ

(1) هذه الأقوال مقبسة من تهذيب الكمال 26 : 389-390 .

(2) مسند أبي يعلى (6665) وعنه الهيثمي في مجمع الزوائد 7 : 433 حديث (12401) وإسناده ضعيف .

(3) هو في العبدن من صحيحه 2 : 21 عقيب حديث رقم (953) ، وهذا الحديث أورده الهيثمي في مجمع الزوائد 7 : 433 حديث رقم 12401 وعزاه لأبي يعلى ، وأعله بما أعله المؤلف .

(4) كشف الأستار (3325) .

(5) المعجم الكبير 19 : 32 .

(6) المعجم الأوسط (8321) .

جُوزًا وظُلْمًا، فإذا مُلِثَ جُوزًا وظُلْمًا بَعَثَ اللهُ رَجُلًا مِنِّي اسْمُهُ اسْنِي، واسْمُ أَبِيه اسْمُ أَبِي، يَتْلُوها غَدًا وقِسْطًا كما مُلِثَ جُوزًا وظُلْمًا؛ فلا تَتَنَعَّ السَّمَاءُ شَيْئًا من قَفْظِها، ولا الأَرْضُ شَيْئًا من نَبَاتِها. يَلْبَثُ فيكم سَبْعًا أو ثَلَاثِينَ أو ثَمِنًا؛ يَغْنِي سِتِينَ. انْتَهَى.

5 وفيه داود بن المخبر بن قحذم، عن أبيه، وهما ضعيفان جدًا<sup>(1)</sup>.

• وَخَرَجَ الطَّبْرَائِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ<sup>(2)</sup>، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "يُخْرَجُ نَاسٌ مِنْ قَبْلِ الْمَشْرِقِ يُرِيدُونَ رَجُلًا عِنْدَ الْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْنَدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ حُسِيفَ بِهِمْ، فَيَلْحَقُ بِهِمْ مِنْ تَخَلَّفَ فَيُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَهُمْ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ مِنْ كَانَ أَخْرَجَ مُسْتَكْرَهَا؟ قَالَ: يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ كُلَّ امْرِئٍ عَلَى نَبِيَّتِهِ". انْتَهَى.

10 وفيه سلمة بن الأبرش<sup>(3)</sup>، وهو ضعيف؛ وفيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس، وقد عَنَّنَ وَلَا يُقْبَلُ إِلَّا أَنْ يُصَرَّحَ بِالسَّمْعِ<sup>(4)</sup>.

وَخَرَجَ الطَّبْرَائِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ<sup>(4)</sup> عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَهْرٍ مِنَ الْمَاهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَسَارِهِ، وَالْعَبَّاسُ عَنْ

(1) سقط ما بين التجميعين من ي .

(2) هذه العلة أعلاه الجشي في جمع الروائد 7 : 432 حديث 12396 .

(3) المعجم الأوسط (4042) وهو في جمع الروائد 7 : 434 حديث 12403 .

(4) هو سلمة بن الفضل ، الأبرش .

(4) المعجم الأوسط (4142) .

يَمِينِهِ، إِذْ تَلَاخَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَغْلَظَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ يَدَ الْعَبَّاسِ وَيَدَ غُلَيْبٍ، فَقَالَ: "سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ جُوزًا وَظُلْمًا، وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمْلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا. فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ بِالْفَتَى التَّيْمِيِّ، فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، وَهُوَ صَاحِبُ رَايَةِ الْمُهَدِّيِّ". انْتَهَى .

5 وفيه عبدُ الله بن عُمرُ العُمَرِيُّ وعبدُ الله بن لَهِيْعَةَ، وهما ضَعِيفَانِ. انْتَهَى .

/ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ (2)، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُنَيْدٍ اللَّهِ، عَنْ [220ب] النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "سَتَكُونُ فِتْنَةٌ لَا يَهْدَأُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا جَاشَ مِنْهَا جَانِبٌ، حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: إِنَّ أَمِيرَكُمْ فُلَانٌ". انْتَهَى .

10 وفيه الْمُتَنَّى بن الصَّبَّاحِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا. وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ تَصَرُّعٌ بِذِكْرِ الْمُهَدِّيِّ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوهُ فِي أَنْبَاءِهِ وَتَرْجَمَتِهِ اسْتِثْنَاءً .

هَذِهِ جُمْلَةُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَهَا الْأَثَمَةُ فِي شَأْنِ الْمُهَدِّيِّ وَخُرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ. وَهِيَ كَمَا رَأَيْتُ، وَلَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا عَلَى التَّقْدِ إِلَّا الْقَلِيلُ، أَوْ الْأَقْلُ مِنْهُ .

وَرُبَّمَا تَمَسَّكَ الْمُتَكِبُّونَ لِشَأْنِهِ بِمَا زَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ الْجَنْدِيُّ، عَنْ أَبَانِ ابْنِ صَالِحٍ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ، عَنِ الْحَسَنِ الْبُضْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: "لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ" (3) .

(1) هَكَذَا فِي الْأَصُولِ وَفِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ ، وَفِي جَمْعِ الزَّوَانِدِ 7 : 436 : فَتَى .

(2) الْمَعْجَمُ الْأَوْسَطُ (4663) .

(3) قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (4039) وَأَبُو نَعْمٍ فِي جَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ 9 : 161 وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ 4 :

441 وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَقَضَلَهُ 1 : 155 وَالْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ مَدِينَةِ السَّلَامِ 5 : 361 وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْعِلَلِ الْمُنْتَاهِيَةِ، فِي الْأَحَادِيثِ الْوَاهِيَةِ (1447) وَالشُّوَكَاثِيُّ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ 195 وَالْمَرْزِيُّ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ 25 : 148 .

وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندي: إنه ثقة. وقال البيهقي: نثرّد به محمد بن خالد. وقال الحاكم فيه: إنه رجلٌ مجهول. واختلّف عليه في إسناده، فمرة يزورونه كما تقدم، ونُسب ذلك إلى مُحمّد بن إدريس الشافعي؛ ومرة يزوي عن محمد بن خالد، عن أبان، عن الحسن، عن النبي ﷺ مُرسلاً. قال البيهقي: فرجع إلى رواية محمد بن خالد وهو مجهول، عن أبان ابن أبي عيّاش وهو مترك، عن 5 الحسن عن النبي ﷺ، وهو مُنقطع. وبالجملة فالحديث ضعیف مُضطرب<sup>(1)</sup>. وقد قيل إن معنى "لا مهدي إلا عيسى"؛ أي لا يتكلم في المهدي إلا عيسى؛ يُحاولون بهذا التأويل رد الاختجاج به، أو الجمع بينه وبين الأحاديث، وهو مدفوعٌ بحديث جزيج ومثله من الخوارق.

- 10 وأما المتصوّفة، فلم يكن المتقدّمون منهم يخوضون في شيء من هذا، وإنّا كان كلامهم في المجاهدة بالأغفال وما يحصل عنها من نتائج المواجه والأحوال. وكان كلام الإمامية<sup>(1)</sup> والرافضة من الشيعة في تفضيل / علي رضي الله عنه، والقول بإمامته وأداء الوصية له بذلك من النبي ﷺ، والتبرّي من الشيخين كما ذكرناه في مذهبه<sup>(ب)</sup>. ثم حدث فيهم من تغد ذلك القول بالإمام المغصوم، وكثرت التأليف في مذاهبهم. وجاء الإشاعيلية منهم يدعون ألوهية الإمام بنوع الحلول؛ وآخرون 15 يدعون رجعة من مات من الأئمة بنوع التناضح أو الحقيقة<sup>(ج)</sup>؛ وآخرون ينتظرون

(1) ل: الإباضية (ب) في ع ل ج ي: مذهبهم (ج) سقط من ي .

(1) هذه الأقوال كلّها مقبسة باختصار من تهذيب الكمال 25 : 148 - 150 .

مَجِيءٍ مِنْ يُفْطَعُ بِمَوْتِهِ مِنْهُمْ؛ وَآخَرُونَ يَنْتَظِرُونَ عَوْدَ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ، مُسْتَدِلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ الْمُهَدِّيِّ وَغَيْرِهَا .

ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْكَلَامُ فِي الْكَشْفِ وَفِيَا وَرَاءَ حِجَابِ الْحِجْسِ . وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ ، فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالزَّائِدِيَّةَ ، لِقَوْلِهِمْ بِالْوَهْمَةِ الْإِئْتَةِ أَوْ حُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ . وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا 5 الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْأُنْدَالِ ، وَكَانَتْ يُحَاكِي مَذْهَبَ الزَّائِدِيَّةِ فِي الْإِمَامِ وَالْتِقَاءَهُ . وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ ، وَتَوَعَّلُوا فِي الدِّينَانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ ، حَتَّى لَقَدْ جَعَلُوا مُسْتَدَنِّدَ طَرِيقَتِهِمْ فِي لِيَاسِ الْحِزْقَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ \* أَلْبَسَهَا الْحَسَنَ الْبُضْرِيَّ \*<sup>(١)</sup> ، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ بِالْأَتْرَامِ الطَّرِيقَةِ ؛ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْدهُمْ بِالْجُنَيْدِ مِنْ شُيُوخِهِمْ . وَلَا يُعْلَمُ هَذَا عَنْ 10 عَلِيٍّ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ . وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيٍّ [كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ] <sup>(ب)</sup> ؛ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْوَةٌ فِي طُرُقِ الدِّينِ <sup>(ج)</sup> ؛ وَفِي تَخْصِيصِ هَذَا بِعَلِيٍّ دُونَهُمْ رَاحَةٌ مِنْ التَّشْجِيعِ قَوِيَّةٍ ، يُفْهَمُ مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا تَمَّا تَقَدَّمَ دُخُولُهُمْ فِي التَّشْجِيعِ وَانْخِرَاطُهُمْ فِي سِيلِكِهِ .

فَامْتَثَلَاتُ كُتُبِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ مِنَ الزَّائِدِيَّةِ ، وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ ، 15 بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْفَاعِلِيَّةِ الْمُتَنْظَرِ . وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُقْلِبُهُ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْقَنُهُ بَعْضٌ عَنْ بَعْضٍ ، / وَكُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ . وَرُبَّمَا يَسْتَدِنُّ بَعْضُهُمْ فِي ذَلِكَ [221ب] إِلَى كَلَامِ الْمُتَجَمِّعِينَ فِي الْفِرَاقَاتِ ، وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَاحِمِ ؛ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا فِي الْبَابِ الَّذِي يَبْلِي هَذَا .

(١) سقط من ي (ب) سقط من ط (ج) ع: الهدي .

وأكثر من تكلم من هؤلاء المتصرفة المتأخرين في شأن الفاطمي، ابن  
القرني<sup>(1)</sup> الحائلي في كتاب غنقاء مغرب<sup>(2)</sup>، وابن قتيبي في كتاب خلع التغلبي<sup>(3)</sup>،  
وعبد الحق بن سبعين، وابن أبي وإطيل<sup>(4)</sup> من تلميذه، في شرحه لكتاب خلع  
التغلبي. وأكثر كلياتهم في شأنه الغارز وأمثال، وربما يصرحون في الأقل، أو يصرح  
مفسرو كلامهم.

5

وحاصل مذهبهم فيه ، على ما ذكر ابن أبي وإطيل: أن النبوة بها ظهر  
الحق والهدى بعد الضلال والعتى ؛ وأنها تعقبها الخلافة ؛ ثم يعقب الخلافة الملك ؛  
ثم يعود الملك<sup>(ب)</sup> تجبراً وتكبراً وباطلاً . قالوا : ولما كان [في] المعهود من سنة  
الله رجوع الأمور إلى ما كانت، وجب أن يخيا أمر النبوة والحق بالولاية؛ ثم  
يجلّفها؛ ثم يعقبها الدّجل مكان الملك والنّسل؛ ثم يعود الكفر بحاله كما كان قبل  
10 النبوة. يُشيدون بهذا إلى ما وقع بعد النبوة من الخلافة ، ثم بعدها الملك، وهي  
ثلاث مراتب. فكذاك أيضاً الولاية التي لهذا الفاطمي الذي يُحيي أمر النبوة  
والحق، ثم خلافة أمره بعده، ثم الدّجل بعدها، وهو الباطل الذي كُتي عنه بخروج

(1) كذا في جميع الأصول المحمّدة للنص معزّلاً، والمشهور فيه أنه معرّف بالتكثير (ب) من ل (ج) سقط من ط .

(1) ... في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب، 92، 93 (تحقيق هينساوي الشريف- القاهرة 1998) .

(2) ... واثباس التور من موضع القدمين. لأحمد بن قتيبي، حققه الدكتور محمد الأمrani. (آسني- المغرب)،  
وأصل ابن قتيبي من المولدين أمراء تطيلة، أسلم جدّه عند فتح الأندلس، وأورد ابن حزم نسبه في  
الجهرة 499، 502- ترجمه الذهبي: تاريخ الإسلام 12: 188 ، الصفدي: الوافي 7: 297، المراكشي:  
المعجب 281 .

(3) لم شق على ترجمته ولا على شرحه لكتاب ابن قتيبي .

الدَّجَال. فهي ثلاثُ مراتبٍ على نسبةِ الثلاثِ مراتبِ الأولى، ثم يعودُ الكُفرُ كما كان قبلِ الثبوتِ . قالوا : ولما كان أمرُ الخلافةِ لقريشٍ حُكْمًا شرعيًّا بالإجماعِ الَّذي لا يُوْهِنُهُ إنكارُ من لم يُزاوِلْ عِلْمَهُ، وَجِبَ أن تكونَ الإمامَةُ فِيمَنْ هو أَحْصَى مِنْ قُريشٍ بالنبيِّ ﷺ ، أَمَا ظاهراً فَكُنِيَ عِنْدَ الْمُطَلِّبِ، وَأَمَا باطِناً فَمِمَّنْ كان مِنْ حَقِيقَةِ الآلِ، وَالْآلُ: هُم مَن إذا حَضَرَ لم / يَغِبُ مِنْ هُوَ آلُهُ. 5

[1222]

وابنِ العَرَبِيِّ الحائِطِي سَمَّاهُ في كِتابِ غَنَقاءِ مُغَرِّبٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ: خاتَمَ \*الأُولِياءِ، وَكُنِيَ عَنْهُ بِلَبَنَةِ الفِضَّةِ<sup>(1)</sup>، إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ البُخَارِيِّ<sup>(2)</sup> فِي بابِ خاتَمِ \*النَّبِيِّينَ؛ قالَ ﷺ: "مَثَلِي فِيمَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِياءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بَيْتًا وَاتَّكَلَهُ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعُ لَبَنَةٍ، فَأَنَا تِلْكَ اللَّبَنَةُ". فَيُفْسِّرُونَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ بِاللَّبَنَةِ الَّتِي أَكْمَلَتِ الْبُنْيَانَ، وَمَعْنَاهُ النَّبِيُّ الَّذِي خَصَلَتْ لَهُ الثَّبُوتُ الْكَامِلَةُ. 10  
وَيُسَمُّونَ الْوِلَايَةَ فِي تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَا بِالثَّبُوتِ ، وَيَجْعَلُونَ صَاحِبَ الْكِمالِ فِيهَا خاتَمًا لِلأُولِياءِ، [أَي] (ب) حائِزًا لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ خاتِمَةُ الْوِلَايَةِ ، كَمَا كانَ خاتَمَ الْأَنْبِياءِ حائِزًا لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي فِيهَا خاتِمَةُ الثَّبُوتِ. وَلَمَّا كُنِيَ الشَّارِعُ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ الحاتِمَةِ بِلَبَنَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ، وَهِيَ عَلَى نِسْبَةِ واحِدَةٍ فِيهَا (ج)، فَهِيَ لَبَنَةٌ واحِدَةٌ فِي التَّمْثِيلِ ؛ ففِي الثَّبُوتِ لَبَنَةٌ ذَهَبٌ؛ وَفِي الْوِلَايَةِ لَبَنَةٌ فِضَّةٌ ؛ لِلتَّفَاوُتِ بَيْنَ الْمَرْتَبَتَيْنِ ، 15

(1) سقط ما بين النجمين من ي (ب) سقط من ط (ج) ظ : بها .

(2) يذكر ابن العربي في غنقاء مغرب: "ختم الأولياء"، ولم يذكر لبنة الفضة، وإنما جاءت الإشارة إلى ذلك وإلى حديث البخاري في الفتوحات المكية 2: 94 - وفي شرح عبد الرزاق القاشاني لفصوص الحكم

42، 43 (الجلي، القاهرة 1966) .

(2) الجامع الصحيح 4 : 226 حديث (3535) .



كما بين الذهب والفضة . فيجعلون لبنة الذهب كناية عن النبي ﷺ ؛ ولبنة  
الفضة كناية عن هذا الولي الفاطمي المنتظر ؛ وذلك خاتم الأنبياء ، وهذا خاتم  
الأولياء .

- وقال ابن العربي فيما نقل ابن أبي وإطيل عنه : وهذا الإمام المنتظر هو  
من أهل البيت ، من ولد فاطمة . وظهره يكون بعد مُضيّ خ ف ج من الهجرة ،  
5 ورسم حروفاً ثلاثة يُريدُ عذدها بحساب الجُمَّل ، وهو الحاء المُعجمة بواحدة من  
فوق ، بستائة ؛ والفاء أُخْتُ القاف ، بثمانين ؛ والحاء المُعجمة بواحدة من أسفل ،  
بثلاثة ؛ وذلك سيئته وثلاث وثمانون سنة ، وهو في آخر القرن السابع . ولما  
انصرم هذا العصر ولم يظهر ، حل ذلك بغض المُقلّدين لهم على أن المراد بتلك المدة  
مؤلده ، وعبر بظهوره عن مؤلده ، وأن خروجه يكون عند العشر والسبعائة ،  
10 وأنه الإمام الناجم من ناحية المغرب . / قال : وإذا كان مؤلده كما زعم ابن العربي  
[222ب] سنة ثلاث وثمانين وستائة ، فيكون عُمره يوم خروجه ستاً وعشرين سنة .

قال : وزعموا أن خروج الدجال يكون سنة ثلاث وأربعين وسبعائة من  
النيزم المُحمّدي . وابتداء اليوم المُحمّدي عندهم من يوم وفاة النبي ﷺ إلى تمام ألف  
سنة .

15

وقال ابن أبي وإطيل في شرحه كتاب خلع الثقلين: الولي المنتظر القائم بأمر  
الله المُشار إليه بمُحمّد المهدي<sup>(1)</sup> وخاتم الأولياء ، ليس هو بنبي ، وإنما هو وليّ ابتعته

(1) سقط من ج .

رُوحُهُ وَحَبِيبُهُ. قَالَ ﷺ<sup>(1)</sup>: "العالم في قَوْمِهِ كَالْتَبَيِّ فِي أُمَّتِهِ". وقال<sup>(2)</sup>: "علماء أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ". وَلَمْ تَنْزَلِ الْبُشْرَى تَتَابَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ النِّزْمِ الْمُحَمَّدِي إِلَى قُبَيْلِ الْحَقْسِيَّةِ نِصْفَ الْيَوْمِ. وَتَأَكَّدَتْ وَتَضَاعَفَتْ بِتَبَاشِيرِ الْمَشَائِخِ بِتَقْرِيْبِ وَقْتِهِ، وَازْدِلَافِ زَمَانِهِ مُنْذُ انْقَضَتْ، إِلَى هَلَمْ جَزَاءً.

5 قال: وَذَكَرَ الْكِندِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، وَيُجَدِّدُ الْإِسْلَامَ، وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ، وَيَفْضَحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ، وَيَصِلُ إِلَى رُومَةٍ فَيَفْتَحُهَا، وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا، وَيَفْتَحُ قُسْطَنْطِينَةَ، وَيَصِيرُ لَهُ مُلْكُ الْأَرْضِ، فَيَتَقَوَّى الْمُسْلِمُونَ وَيَغْلُو الْإِسْلَامُ، وَيُظْهِرُ دِينَ الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ وَقْتُ صَلَاةٍ؛ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(3)</sup>: "مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ".

10 وقال الْكِندِيُّ أَيْضًا: الْحُرُوفُ الْغَرِيبَةُ غَيْرُ الْمُفْجَمَةِ، يَغْنِي الْمَفْتَتَحُ بِهَا سُورَ الْقُرْآنِ، مَجْلَمٌ عَدِيدٌ بِحِسَابِ<sup>(1)</sup> الْجُمْلِ<sup>(2)</sup>، سَبْعُمِائَةٌ وَثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعُونَ، وَسَبْعَةٌ دَجَالِيَّةٌ. ثُمَّ يَنْزِلُ عِيسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيُضْلِحُ الدُّنْيَا، وَتَنْشِي الشَّأْءُ مَعَ الذَّنْبِ. ثُمَّ مَبْلَغُ مُلْكِ الْعَجَمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عِيسَى مِائَةٌ وَسِتِّينَ عَامًا، عَدَدُ الْحُرُوفِ الْمُفْجَمَةِ وَهِيَ: ق ي ن، ذَوَلَّةُ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ عَامًا.

(1) سقط من ي .

(1) لم تقف عليه بهذا اللفظ .

(2) موضوع لا أصل له ، ذكره القاري في كتاب المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ، رقم (196) .

(3) قطعة من حديث بريدة بن الحَصْبِ الْأَسْلَمِيِّ، أخرجه أحمد في مسنده 5 : 349، ومسلم في صحيحه، حديث رقم (176)، والترمذي في الجامع الكبير (152)، وابن ماجه في السنن (667)، والنسائي في المجتبى 1: 258 .

قال ابن أبي واطيل: / وما وَرَدَ من قَوْلِه "لا مَهْدِيَّ إِلَّا عِيسَى". فمعناه لا مَهْدِيَّ سِوَايِ هِدَايَتِه، وقيل: لا يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عِيسَى. وهذا مَذْفُوعٌ بِحَدِيثِ جُرَيْجٍ وَغَيْرِهِ.

- وقد جاء في الصحيح<sup>(1)</sup> أَنَّهُ قَالَ: "لَا يَزَالُ هَذَا الْأُمَرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً"، يعني قُرَيْشًا. وقد أُعْطِيَ الْوُجُودُ أَنْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ 5 فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَيَكُونُ فِي آخِرِهِ. وَقَالَ: "الْخِلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ أَوْ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ أَوْ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ"<sup>(2)</sup>. وَاتِّضَاعُهَا فِي خِلَافَةِ الْحَسَنِ، وَأَوَّلُ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ، فَيَكُونُ أَوَّلُ أَمْرِ مُعَاوِيَةَ خِلَافَةً أَخْذًا بِأَوَائِلِ الْأَنْشَاءِ، فَهُوَ سَادِسُ الْخُلَفَاءِ، وَأَمَّا سَابِعُ الْخُلَفَاءِ فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ثُمَّ الْبَاقُونَ خَمْسَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ ذُرِّيَةِ عَلِيٍّ، يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ: "إِنَّكَ لَدُو قُرَيْنِهَا"، يُرِيدُ الْأُمَّةَ، أَيْ إِنَّكَ خَلِيفَةٌ فِي أَوَّلِهَا، وَذُرِّيَّتُكَ 10 فِي آخِرِهَا.

وَرَبَّمَا اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْقَائِلُونَ بِالرَّجْعَةِ. فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمُشَارُ إِلَيْهِ عِنْدَهُمْ بِظُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. وَقَدْ قَالَ ﷺ: "إِذَا هَلَكَ كِبْرَى فَلَا كِبْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ. وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كَوَرُهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ"<sup>(3)</sup>.

(1) في صحيح مسلم (1822) من حديث جابر بن سمرة .

(2) المحفوظ: "الخلافة ثلاثون عامًا" حسب، من حديث سفيان مولى رسول الله، أخرجه أحمد في المسند 220/5، وأبو داود في سننه (4647)، والنسائي في سننه الكبرى (8155)، وابن جبران في صحيحه (6943)، وليس في شيء منها إحدى وثلاثون أو ستة وثلاثون .

(3) من حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري 8: 160 حديث رقم (6630) ومسلم (2918) وهو عنده من حديث جابر بن سمرة (2919) .

وقد أُنْفِقَ عُمْرُ بَنِي الْحَطَّابِ كَوَزْ كِبْسَرَى فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَالَّذِي يُهْلِكُ قَيْصَرَ وَيُنْفِقُ  
 كَوَزَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْمُنْتَظَرُ حِينَ يَفْتحَ الْقُسْطَنْطِينَةُ، "فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا،  
 وَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ"<sup>(1)</sup>، كَذَا قَالَ ﷺ. وَمَدَّةُ حُكْمِهِ بَضْعٌ، وَالْبِضْعُ مِنْ ثَلَاثٍ  
 إِلَى تِسْعٍ، وَقِيلَ إِلَى عَشْرٍ. وَجَاءَ ذِكْرُ أَرْبَعِينَ؛ وَفِي نَقْضِ الرِّوَايَاتِ سَبْعِينَ. وَأَمَّا  
 5 الْأَرْبَعُونَ فَإِنَّهَا مُدَّةُ وَمَدَّةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ،  
 عَلَى جَمِيعِهِمُ السَّلَامُ.

قال، وذكر أصحاب النجوم والقرانات: أَنَّ مَدَّةَ بَقَاءِ أَمْرِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ  
 بَعْدِهِ مِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا، فَيَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَارِيًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَالْعُدُلِ  
 أَرْبَعِينَ / أَوْ سَبْعِينَ، ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ فَتَكُونُ مُلْكًا. انْتَهَى كَلَامُ ابْنِ أَبِي وَاطِلِيلَ. [223ب]  
 10 وقال في مَوْضِعٍ آخَرَ: نُزُولُ عِيسَى يَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْغُصْرِ مِنَ النَّوْمِ  
 الْمُخْمَدِيِّ حِينَ تَنْصُفِي ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ.

قال: وذكر الكِنْدِيُّ، يَفْقُودُ بْنُ إِسْحَاقَ، فِي كِتَابِ الْجَفَرِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ  
 الْقِرَائَاتُ: أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الْقِرَاءَ إِلَى الثَّوْرِ عَلَى رَأْسِ صَخٍّ<sup>(2)</sup>، بِحَرْفَيْنِ<sup>(1)</sup>، الضَّادِ  
 الْمُعْجَمَةِ، وَالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، يُرِيدُ ثَانِيَةً وَتِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةَ مِنَ الْهَجْرَةِ<sup>(2)</sup>، يَنْزِلُ الْمَسِيحُ  
 15 فَيُخْضِكُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ. قَالَ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ<sup>(3)</sup>: أَنَّ عِيسَى يَنْزِلُ عِنْدَ

(1) ع: بخري.

(1) لا يصح في هذا حديث عن النبي .

(2) بحساب الجمل على طريقة المغاربة تساوي 98 وعند المشاركة 808، فلا وجه لما ذكره .

(3) صحيح مسلم (2137) .

الْمَنَازَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْقَ، يَنْزِلُ بَيْنَ مَهْرودَتَيْنِ، يَغْنِي حُلَّتَيْنِ مُزَعَفَرَتَيْنِ  
 صَفْرَاوَتَيْنِ مُصَصَّرَتَيْنِ، وَاضْعًا كَفَيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ الْمَلَكَيْنِ، لَهُ لَيْقَةٌ، كَأَنَّمَا أُخْرِجَ مِنْ  
 دِيْمَاسٍ، إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّوْلُو، كَثِيرٌ خَيْلَانِ  
 الْوُجْهِ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: مَرْبُوعُ الْخَلْقِ إِلَى الْبَيْضِ وَالْحُمْرَةِ. وَفِي آخَرَ: أَنَّهُ يَتَرَوَّجُ  
 فِي الْقَرْبِ. وَالْقَرْبُ دَلْوُ الْبَادِيَةِ؛ يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَرَوَّجُ مِنْهَا وَلَيْدُ زَوْجَتِهِ، وَذَكَرَ وَفَاتَهُ بَعْدَ  
 5 أَرْبَعِينَ عَامًا. وَجَاءَ: أَنَّ عَيْسَى يَمُوتُ بِالْمَدِينَةِ \* وَيُذْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمرَ بْنِ  
 الْخَطَّابِ \* (١). وَجَاءَ: أَنَّ أَبَا يَكْرَ وَعُمَرَ يُخْشَرَانِ مِنْ بَيْنِ نَبِيِّنَ (ب).

قال ابنُ أبيِ واطيل: وَالشَّيْعَةُ يَقُولُ [لأنه] (ج) هُوَ الْمَسِيحُ، مَسِيحُ الْمَسَاحِ  
 مِنْ آلِ مُخَمَّدٍ؛ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضُهُمْ حَدِيثَ "لَا مَهْدِيَّ إِلَّا عَيْسَى"، أَيْ لَا يَكُونُ  
 10 مَهْدِيَّ إِلَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي نَسَبَتْهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ نَسَبَةً عَيْسَى إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْمَوْسَوِيَّةِ فِي الْإِتِّبَاعِ وَعَدَمِ النِّسْخِ.

إِلَى كَلَامٍ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا كَثِيرٍ، يُعَيِّنُونَ فِيهِ الْوَقْتَ وَالرَّجُلَ وَالْمَكَانَ،  
 فَيَنْقُضِي الزَّمَانُ وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى تَجْدِيدِ رَأْيِ آخَرَ، مُنْتَحِلِ  
 - كَمَا تَرَاهُ - مِنْ مَفْهُومَاتٍ لِقُوَّةٍ وَأَشْيَاءَ تَخْيِيلِيَّةٍ وَأَحْكَامٍ مُجُومِيَّةٍ. فِي هَذَا انْقَضَتْ  
 15 أَعْمَارُ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَالْآخِرِ.

وَأَمَّا الْمُضَوِّفَةُ/ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ، فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ مُجَدِّدٍ  
 [١224] لِأَحْكَامِ الْمَلَّةِ وَمَرَامِ الْحَقِّ، وَيَتَحَيَّنُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قَرَّبَ مِنْ عَصْرَانَا. فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ

(١) سقط ما بين النجمين من ج (ب) ع : نبئين (ج) سقط من ط .

من وَلَدِ فَاطِمَةَ، وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُ الْقَوْلَ فِيهِ، سَمِعْنَاهُ<sup>(1)</sup> عَنْ جَمَاعَةٍ، أَكْبَرُهُمْ أَبُو يَتَقُوبُ الْبَاسِي كَبِيرُ الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ، كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ، وَأَخْبَرَنِي بِذَلِكَ عَنْهُ حَافِظُهُ صَاحِبُنَا أَبُو زَكَرِيَاءَ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ الزُّوَيْلِيِّ أَبِي يَتَقُوبِ الْمَذْكُورِ .



5 هذا آخِرُ مَا أَطْلَعْنَا عَلَيْهِ، أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامِ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَمَا أَوْزَدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ، قَدْ اسْتَوْفَيْنَا جَمِيعَهُ بِمَنْلَفِ طَافِقَتِنَا .

وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعَرَّ لَدَيْكَ، أَنَّهُ لَا يَتِمُّ دَعْوَةُ مِنَ التَّيْنِ أَوْ الْمَلِكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ وَعَصِيَّةٍ تُظَاهِرُهُ وَتُدَافِعُ عَنْهُ مِنْ يَدْفَعُهُ<sup>(1)</sup>، حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ . وَقَدْ قَرَرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ بِالْبَرَاهِينِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي أَرْتِئَاكَهَا هُنَالِكَ . وَعَصِيَّةُ الْفَاطِمِيِّينَ وَالطَّالِبِيِّينَ بِلِ وَفَرِيشِ أَجْمَعٍ، قَدْ تَلَاسَّتْ مِنْ جَمِيعِ الْآفَاقِ، وَوُجِدَ أَمَمٌ آخَرُونَ [اسْتَفْتَلَتْ]<sup>(ب)</sup> عَصِيَّتَهُمْ عَلَى عَصِيَّةِ فَرِيشِ، إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْحِجَازِ فِي مَكَّةَ وَالْيَمَنِيعِ وَالْمَدِينَةِ<sup>(ج)</sup>، مِنَ الطَّالِبِيِّينَ بَنِي حَسَنٍ وَبَنِي حُسَيْنٍ وَبَنِي جَعْفَرٍ، مُتَشَبِّهُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا . وَهُمْ عَصَائِبُ بَدَوِيَّةٍ مُفْتَرِقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ وَأَرَائِهِمْ، يَتَلَفُّونَ الْآلَافَ مِنَ الْكَثَرَةِ . فَإِنْ صَحَّ ظُهُورُ هَذَا الْمَهْدِيِّ، فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ، وَيُؤَلِّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي أَتْبَاعِهِ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصِيَّةُ وَافِيَةٍ 15

(1) ل : يرافعه (ب) ظ : اشعلت (ج) ي : بالمدينة .

(1) انظره في التصريف بأبن خلدون 387 ( تحقيق محمد بن تاووت الطنجي، القبروان للنشر - تونس 2006 م ) .

بإظهار كلمته وحمل التاس عليها . وأما على غير هذا الوجه ، مثل أن يدعو الناس فاطمي منهم إلى مثل ذلك الأمر في أفق من آفاق الأرض من غير عصبية ولا شوكة ، إلا مجرد نسبة في أهل البيت ، فلا يتم ذلك ولا يمكن ، لما أسلفناه من البراهين الصحيحة .

- (224ب) / فأما ما تدعيه العامة والأغيار من الدهماء ، من لا يرجع في ذلك إلى عقل 5  
يديه ولا علم يقوده ، فيختصنون ذلك على غير نسبة وفي غير مكان ، تقليدا لما  
اشتهر من ظهور رجل فاطمي ، ولا يعلمون حقيقة الأمر فيه كما بيته . وأكثر ما  
يختصنونه في القاصية من الممالك وأطراف العمران ، مثل الزاب بإفريقية ، والسوس  
من المغرب . وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا بماسة من أرض  
السوس ، يختصنون هنالك لقاءه ، زعمًا منهم أنه يظهر بذلك الرباط ، وأنه يبايع 10  
هنالك . ولما كان ذلك الرباط بالقرب من الملتصين من كذالة<sup>(1)</sup> ، واغترادهم أنه منهم  
أو قائمون بدعوته ، مزعمًا لا مستند له ، إلا غرابة تلك الأمم ونعدهم عن يقين  
المعرفة بأحوالها من كثرة أو قلة أو ضعف أو قوة ، ولئيد القاصية عن منال  
الدول<sup>(ب)</sup> وخروجها عن نطاقها ؛ فتتوى عندهم الأوهام في ظهوره هنالك لخروجه  
عن رتبة التول ومنال الأخكام والقهر ؛ ولا مخصول لديهم في ذلك إلا هذا . ولقد 15  
يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول للتلبيس بدعوة تميته النفس تمامها ،  
وسواسًا ومُخَمًا . وقُتِل كثير منهم .

(1) الكاف في ع ل مضومة ومنقوطة من تحت لضبط التطق (ب) ع ي: الدولة .

أخبرني شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْإِبِلِيِّ ، قَالَ : خَرَجَ بِرِبَاطٍ مَاسَةً لِأَوَّلِ  
 الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَعَصْرُ السُّلْطَانِ يُوسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ ، رَجُلٌ مِنْ مُنْتَجَلِي التَّصَوُّفِ ،  
 يُعْرَفُ بِالنُّوْزِرِيِّ - نَسَبُهُ إِلَى نُوزَرٍ مُصَغَّرًا - وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنْتَظَرُ ، وَاتَّبَعَهُ  
 الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِ الشُّوسِ مِنْ صَنَّاكِهِ <sup>(١)</sup> وَكَرُولِهِ <sup>(٢)</sup> ، وَعَظُمَ أَمْرُهُ وَكَادَ يَسْتَفْجِلُ ،  
 5 وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ الْمَضَامِدَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ ، فَدَسَّ عَلَيْهِ الشُّكَيْسِيُّونَ مِنْ قَتْلِهِ بَيَاتًا ، وَانْحَلَّ  
 أَمْرُهُ.

وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي غُمَارَةٍ فِي آخِرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ وَلَقَبُوهَا السَّنْعِينَ مِنْهَا ، رَجُلٌ <sup>[١225]</sup>  
 يُعْرَفُ بِالْقَبَّاسِ ، وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ ، وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ مِنْ غُمَارَةٍ ، وَدَخَلَ مَدِينَةَ بَادِسَ  
 غَنَوَةً وَخَرَقَ أَسْوَاقَهَا ، وَانْحَلَّ إِلَى بَلَدِ الْمَرْمَةِ فَقُتِلَ بِهَا غِيلَةً ، وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ. وَكَثِيرٌ مِنْ  
 10 هَذَا التَّمَطُّ.

وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْمَذْكُورُ بِغَرِيبَةٍ فِي مِثْلِ هَذَا ، وَهُوَ أَنَّهُ صَعِبَ فِي حَجَّتِهِ مِنْ  
 رِبَاطِ الْعُبَادِ ، وَهُوَ مَذْفَنُ الشَّيْخِ أَبِي مَذِينٍ فِي جَبَلٍ يَلْفُسَانِ الْمُطَّلَّ عَلَيْهَا ، رَجُلًا مِنْ  
 أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ ، كَانَ مُتَّبِعًا كَثِيرَ التَّلْمِيزِ وَالْحَادِمِ ؛ قَالَ : وَكَانَ  
 الرِّجَالُ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالتَّقَاتِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ ؛ قَالَ : وَتَاكَذَّبَ الصُّخْبَةُ بَيْنَنَا فِي  
 15 تِلْكَ الطَّرِيقِ ، فَانْكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ ، وَأَتَمُّ إِنَّمَا جَاؤُوا مِنْ مَوْطِنِهِمْ بِكَرْبَلَاءَ لَطَلَبَ هَذَا  
 الْأَمْرِ ، وَانْجَحَالَ دَعْوَةُ الْفَاطِمِيِّ بِالْمَغْرِبِ ؛ فَلَمَّا عَاينَ دَوْلَةَ بَنِي مَرْيَمَ ، وَيُوسُفَ بْنِ  
 يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ مُنَازِلَ لَيْلُفْسَانَ ، قَالَ لِأَصْحَابِهِ : ارْجِعُوا بَنَاءَ ، فَقَدْ أَزْرَى بَنَاءُ الْفَلْطُ ،  
 وَلَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقْتُنَا.

(١) فِي لِ رَسْمَتِ زَايٍ دَاخِلِ الصَّادِ ، وَيُحْتَمَلُ كَافٌ كَرُولَةٍ مِنْ نَحْتِ ، لَصِطِ التَّلَطُّ عَلَى قَاعَتِهِ .



وَيَدَلّ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ ، عَلَى أَنَّهُ مُسْتَبْصِرٌ فِي أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا  
 بِالْعَصِيَةِ الْمَكْفِيَةِ لِأَهْلِ الْوَقْتِ ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ غَرِيبٌ فِي ذَلِكَ الْوَطَنِ <sup>(أ)</sup> وَلَا شَوْكَةَ  
 لَهُ ، وَأَنَّ عَصِيَّتَهُ تَبِي مَرِينٍ لِمَا لَكَ الْعَهْدُ لَا يَقَاوِمُهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، اسْتَكَنَّ  
 وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَقْصَرَ عَنْ مَطَامِعِهِ ؛ وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَيْقِنَ أَنَّ عَصِيَّةَ الْفَوَاطِمِ  
 وَقُرَيْشٍ أَجْمَعٍ قَدْ ذَهَبَتْ ، لَا سِيَّمَا فِي الْمَغْرِبِ . إِلَّا أَنَّ التَّعَصُّبَ لَشَأْنِهِ لَمْ يَتْرُكْهُ لِهَذَا 5  
 الْقَوْلُ ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة ، من الآية 216] .

وقد كانت بالمغرب لهذه العصور القريبة <sup>(ب)</sup> ، وفي الغرب من سكّانه <sup>(ب)</sup> ،  
 نَزْعَةٌ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالسُّنَّةِ ، لَا يَتَشَجَّلُونَ فِيهَا دَعْوَةَ فَاطِمِيٍّ وَلَا غَيْرِهِ ،  
 وَإِنَّمَا يُنْزِعُ مِنْهُمْ فِي بَغْضِ الْأَخْيَانِ الْوَاحِدِ فَالْوَاحِدِ / إِلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ ، [225ب]  
 وَيَقْنَى بِذَلِكَ وَيَكْثُرُ تَابِعُهُ ؛ وَأَكْثَرُ مَا يُغْنَوْنَ بِإِصْلَاحِ السَّائِلَةِ لَمَّا أَنَّ كَثْرَ <sup>(ج)</sup> فَسَادِ  
 10 الْأَغْرَابِ فِيهَا ، لَمَّا قَدَّمْنَا مِنْ طَبِيعَةِ مَعَاشِهِمْ ، فَيَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ  
 بِإِصْلَاحِ السَّائِلَةِ مَا اسْتَطَاعُوا . إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ فِيهِمْ لَا تَسْتَحْكِمُ ، لِمَا أَنَّ تَوْبَةَ  
 الْعَرَبِ وَرُجُوعَهُمْ إِلَى الدِّينِ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِقْصَارَ عَنِ الْغَارَةِ وَالتَّهَبِ ؛ لَا يَقُولُونَ  
 فِي تَوْبَتِهِمْ وَإِقْبَالِهِمْ عَلَى مَنَاجِي الدِّيَانَةِ غَيْرَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهَا [الْمَغْصِيَّة] <sup>(د)</sup> الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا  
 قَبْلَ التَّوْبَةِ ، وَمِنْهَا تَوْبَتُهُمْ . فَتَجِدُ تَابِعَ ذَلِكَ الْمُتَشَجَّلِ لِلدَّعْوَةِ وَالْقَائِمِ بِزَعْمِهِ بِالسُّنَّةِ ، 15  
 غَيْرَ مُتَقَمِّقِينَ فِي فُرُوعِ الْإِفْتِدَاءِ وَالِاتِّبَاعِ ، إِنَّمَا دِينُهُمُ الْإِغْرَاضُ عَنِ النَّهْيِ وَالتَّبَغْيِ  
 وَإِفْسَادِ السَّائِلَةِ ، ثُمَّ الْإِقْبَالُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْمَعَاشِ بِأَفْضَى بُحْدِهِمْ . وَشَتَانُ بَيْنِ  
 طَلَبِ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ صِلَاحِ الْخُلُقِ ، وَبَيْنِ طَلَبِ الدُّنْيَا ، فَاتِّفَاقُهُمَا مُمْتَنِعٌ ، فَلَا

(أ) : ج. الموطن (ب) : سقط من ي (ج) : ع. ح. أكثر (د) : ظ. : المغصية .

تَسْتَحْكُمُ لَهُمْ صِبْغَةً فِي الدِّينِ ، وَلَا يَكْمُلُ لَهُمْ نُزُوعٌ عَنِ الْبَاطِلِ عَلَى الْجَفَلَةِ ، وَلَا يَكْثُرُونَ.

وَتُخْتَلَفُ حَالُ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ مِنْهُمْ فِي اسْتِحْكَامِ دِينِهِ وَوِلَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَابِعِهِ؛ فَإِذَا هَلَكَ انْخَلَّ أَمْرُهُمْ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ.

5 وقد وَقَعَ ذَلِكَ بِإِفْرِيقَةِ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي كَنْبٍ مِنْ سُلَيْمٍ، يُسَمَّى قَائِمِ بْنِ مَرْأِ بْنِ أَحْمَدَ، فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ، ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ بَادِيَةِ رِيَّاحٍ، مِنْ بَطْنٍ مِنْهُمْ يُعْرَفُونَ بِمُسْلِمٍ، وَكَانَ يُسَمَّى سَعَادَةَ، وَكَانَ أَشَدَّ دِينًا مِنَ الْأَوَّلِ وَأَقْوَمَ طَرِيقَةً فِي نَفْسِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَقْبَلْ أَمْرُ تَابِعِهِ لَمَّا ذَكَرْنَاهُ، حَسْبَمَا يَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ قَبَائِلِ سُلَيْمٍ وَرِيَّاحٍ.

10 ومن بَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاشٌ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ يَنْشَبُّونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَيُتَلَبَّسُونَ فِيهِ ، وَيَتَجَلَّوْنَ اسْمَ السُّنَّةِ ، وَلَيْسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلَ ، فَلَا يَمُتُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِهِمْ . / سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ .

[1226]

53 • فَضْلٌ ، فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ ، وَفِيهِ الْكَلَامُ عَلَى الْمَلَا حِمِ وَالْكَشْفُ عَنْ مُسَمَى الْجَفْرِ

15 اعْلَمْ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّفُ إِلَى غَوَائِبِ أُمُورِهِمْ، وَعِلْمُ مَا سَيَخْذُلُهُمْ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ مَوْتٍ أَوْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، سَبَبًا لِحَوَادِثِ الْعَامَّةِ، كَمَعْرِفَةِ<sup>(1)</sup> مَا يَقْبِي مِنَ الدُّنْيَا، أَوْ مَعْرِفَةِ مَدَدِ الدُّوَلِ وَبَقَائِهَا؛ فَالْتَّطَلُّعُ إِلَى هَذَا طَبِيعَةٌ لِلْبَشَرِ

(1) ل: كَيْلَم .

مُجِبُّونَ عَلَيْهَا، وَلِذَلِكَ نَجَدُ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يَتَشَوَّفُونَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ. وَالْأَخْبَارُ عَنِ الْكُفَّانِ فِي قَصْدِهِمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالسُّوقَةِ مَعْرُوفَةٌ .

والقد<sup>(١)</sup> نجد في المَدُن صنفًا من الناس يَنْتَجِلُونَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ لِإِعْلَامِهِمْ بِحِرْصِ النَّاسِ عَلَيْهِ، فَيَنْتَقِصُونَ لَهُمْ فِي الطَّرِيقَاتِ وَالذِّكَاكِينَ، بِتَعَرُّضِهِمْ لِمَنْ يُسَائِلُهُمْ عَنْهُ، فَيَغْدُو عَلَيْهِمْ وَيَرُوحُ فَيَسْوَأُ الْمَدِينَةَ وَجَنَابَهَا بَلْ وَكَثِيرٌ مِنْ ضُعْفَاءِ الْعُقُولِ، 5 يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي الْكَشْبِ وَالْجَاهِ وَالْعِشْرَةِ وَالْعَدَاوَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ؛ مَا يَبِينُ خَطَأَ فِي الرُّمْلِ، وَيُسَمُّوهُ الْمُتَجَمِّمَ، وَطَرِيقَ الْحَصَى وَالْحُبُوبِ، وَيُسَمُّوهُ الْحَاسِبَ، وَنَظَرَ فِي الْمَرَايَا وَالْمِيَاوِ، وَيُسَمُّوهُ ضَارِبَ الْمُثَلِّدِ؛ وَهُوَ مِنَ الْمُتَكْرَرَاتِ الْفَاشِيَةِ فِي الْأُمُصَارِ، لَمَّا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَمِّ ذَلِكَ، وَأَنَّ الْبَشَرَ مَخْجُوبُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ أُنْطَلِعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ بَوْلَايَةٍ . 10

وَأَكْثَرُ مَا يُعْنَى بِذَلِكَ وَيَنْطَلِعُ إِلَيْهِ، الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ فِي آمَادِ دَوْلِهِمْ<sup>(ب)</sup>. وَلِذَلِكَ انْصَرَفَتِ الْعِنَايَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ. وَكُلُّ أَمَةٍ مِنَ الْأُمَمِ يَوْجَدُ لَهُمُ الْكَلَامُ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنْتَجِمٍ أَوْ وَئِيٍّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، مِنْ مُلْكٍ يَزَيِّبُونَهُ، أَوْ دَوْلَةٍ يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا، وَمَا سَيَخْدُثُ لَهُمْ مَعَ الْأُمَمِ مِنَ الْحُرُوبِ وَالْمَلَاجِمِ، وَمُدَّةَ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَعَدَدَ الْمُلُوكِ فِيهَا، وَالْتَقَرُّصَ لِأَسْمَائِهِمْ، وَيُسْتَعَى بِمِثْلِ هَذَا الْحَدِّثَانِ. 15

[226ب] وَكَانَ فِي الْعَرَبِ/ الْكُفَّانُ وَالْعَرَّافُونَ، يَزْجَعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ؛ وَقَدْ أَخْبَرُوا بِمَا سَيَكُونُ لِلْعَرَبِ مِنَ الْمُلْكِ وَالْأَمَلِ، كَمَا وَقَعَ لِشَقِّ وَشَطِيحٍ فِي تَأْوِيلِ رُؤْيَا زَيْبَعَةَ بِنِ

(١) ط : وقد (ب) في ل ي ج ع : ذنهم .

فَضَر من ملوك اليمن، أخبرهم بملك الحبشة بلادهم ثم رُجوعها إليهم، ثم ظهور الملة والدولة للغرب من بعد ذلك. وكذا تأويل سَطِيح لرؤيا الموبدان، بعث إليه بها كينرى مع عبد المسيح وأخبره بظهور الدولة للغرب. وكذا كان في جيل النيز كهان، وكان من أشهرهم موسى بن صالح، من بني يفرن، ويقال من غمرت، وله 5 كلمات حدانئية على طريقة الشفر برطانتهم وفيها حدان كثير، ومُعْظَمه فيما يكون لزناثة من الملك والدولة بالمغرب، وهي مُدَاوَلَة بَيْن (١) أهل الجبل. وهم يزعمون تارة أنه وِي، وتارة أنه كاهن. \* وقد يزعمون في بعض مزاعمهم أنه كان نبياً، لأن تاريخه عندهم قَبْل الهجرة بكثير. (ب).

وقد يَسْتَنْدُ الجبل في ذلك إلى خَر الأنبياء إن كانوا لعندهم، كما وقع لسني 10 إسرائيل؛ فإن أنبياءهم المتعاقبين فيهم كانوا يُخْبِرُونَهُمْ بِمَثَلِهِ عِنْدَمَا يَتَعَتَتُونَ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ.

وأما في الدولة الإسلامية، فوقع منه كثير فيما يَرْجِعُ إلى بقاء الدنيا ومُدَّتِها على العموم، وفيما يَرْجِعُ إلى التَّوَلُّدِ وأغبارها على الخصوص. وكان المَعْتَقِدُ في ذلك صَدْرُ الإسلام آثاراً مَقُولَةً عن الصحابة، وخصوصاً مُسْلِمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مثل: 15 كَتَبَ الْأَخْبَارَ، وَوَهَبَ بِنِ مُنْبَتِهِ، وَأَمثالهما. (وَرَبَّمَا) (ج) اقْتَبَسُوا بَعْضَ ذَلِكَ مِنْ طَوَاهِرِ مَأْثُورَةٍ وَأَتَاوِيَلَاتٍ مُخْتَلَةٍ.

ووقع لجعفر الصادق وأمثاله من أهل التبت كثير من ذلك، مُسْتَنْدُهُمْ فِيهِ، وَاللَّهُ أَغَمُّ، الكَشْفُ بما كانوا عليه من الولاية؛ وإذا كان مثله لا يُنْكَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ

(١) ج: من: (ب) سقط ما بين النجمين من ع (ج) ع ج ل ي، وسقط من ط.

الأولياء في ذوبهم وأعقابهم، وقد قال عليه السلام <sup>(1)</sup>: "إن فيكم محدثين". فهم أولى الناس بمثل هذه/ الرتب الشريفة والكرامات المؤهوبة. وأما بعد صذر الملة، وحين عكف الناس على العلوم والاضطلاحات، وتزجت كتب الحكماء إلى اللسان العربي، فأكثر مُعْتَمِدِهِمْ في ذلك كلام المتجمنين؛ ففي الملك والتول وسائر الأمور العامة؛ من القرائن، وفي المواليد والمسائل وسائر الأمور الخاصة؛ من الطوالع لها، وهي 5 شكل الغلك عند حدوثها.

فلنذكر الآن ما وقع لأهل الأثر في ذلك، ثم نرجع إلى كلام المتجمنين :

أما أهل الأثر، فلهم في مدة الملة وبقاء الدنيا [ما وقع في كتاب الشهابي، فإته نقل عن الطبري ما يقتضي أن مدة بقاء الدنيا منذ الملة] <sup>(1)</sup> خمسمائة سنة <sup>(2)</sup>.  
 10 ويخص ذلك بظهور كذبه. ومُسْتَنْدُ الطبري في ذلك أنه نقل عن ابن عباس <sup>(3)</sup>، أن  
 الدنيا جُمُعَةٌ من جمع الآخرة، ولم يذكر لذلك دليلاً. وسيرُهُ، والله أعلم، تقدير الدنيا  
 بأيام خلق السموات والأرض، وهي سبعة، ثم النجوم بألف سنة، لقوله تعالى:  
 ﴿وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ﴾ [سورة الحج، من الآية 47]. قال: وقد

(1) سقط من ظ .

(1) نص الحديث في صحيح مسلم (2398) وغيره من حديث عائشة: "قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، إن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم". ويُظَنَرُ مُسْنَدُ الْحَيْثِي (253) ،  
 ومُسْنَدُ أَحَد : 6 ، 55 ، وجامع الترمذي (3693) وتعليق المحقق عليه.

(2) الروض الأنف : 2 : 405 .

(3) المصدر نفسه ، وتاريخ الرسل والملوك : 1 : 16 .

ثبت في الصحيحين<sup>(1)</sup> أنه ﷺ قال: "أجلكم في أجل من كان قبلكم، من صلاة الغضر إلى غروب الشمس". وقال<sup>(2)</sup>: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، وأشار بالسبابة والوسطى، وقدر ما بين صلاة الغضر وغروب الشمس عند ضرورة ظل كل شيء مثليه، يكون على التقريب نصف سبع؛ وكذلك فضل الوسطى على السبابة؛ فتكون هذه المدة نصف سبع الجمعة كلها، وهو خمسمائة سنة. ويؤيده 5 قوله عليه السلام<sup>(3)</sup>: "لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم"، فدل ذلك أن مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة. وعن وهب بن منبه أنها خمسة آلاف وستمائة، أغني الماضي. وعن كعب وزهبي أن مدة الدنيا كلها ستة آلاف سنة.

ثم قال السهيلي<sup>(4)</sup>: وليس في الحديثين ما ينشهد لشيء مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه. فأما قوله: / "لن يعجز الله أن يؤخر هذه الأمة نصف يوم"، [227ب] فلا يقتضي نفي الزيادة على النصف. وأما قوله: "بعثت أنا والساعة كهاتين"، فإنما فيه الإشارة إلى القرب، وأنه ليس بينه وبين الساعة شيء غيره، ولا شرع غير شرعه.

(1) هكذا قال، وقد نرد البخاري بإخراجه دون مسلم، من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر: 146، و 3 : 177 ، و 4 : 207، و 6 : 235، و 9 : 169 و 191 .

(2) أخرجه البخاري في الرقاق من صحيحه 8 : 131 حديث رقم (6504) ومسلم في الفتن من صحيحه (2951) من حديث أنس بن مالك .

(3) من حديث أبي ثعلبة الحاشني ، أخرجه أحمد 4 : 193 ، وأبو داود (4349)، والحاكم في المستدرک 4 : 424، وذكره ابن حجر في فتح الباري 11 : 351 وقال : رواه ثقات ولكن رجع البخاري وثقه .

(4) الروض الأنف 2 : 405 .

ثم رَجَعَ السَّهْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الْمِلَّةِ مِنْ مُذَرِّكِ آخِرٍ، لَوْ سَاعَدَهُ التَّحْقِيقُ،  
وهو أَنَّ جَمْعَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي [أَوَائِلِ السُّورِ] <sup>(1)</sup> يَنْدُ حَذْفُ الْمُتَكَرِّرِ، قَالَ:  
وهي أَرْبَعَةٌ عَشَرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ : "أَلَمْ يَنْسُطِغْ نَصَّ حَقِّ كَرَّةً". فَأَخَذَ عِدَّهَا  
بِحَسَابِ الْجُمْلِ <sup>(1)</sup> فَكَانَ تِسْعَمِائَةً وَثَلَاثَةً، تُضَافُ إِلَى الْمُتَقْصِي مِنَ الْأَلْفِ الْآخِرَةِ قَبْلَ  
يَفْتَتِهِ، فَهَذِهِ هِيَ مُدَّةُ الْمِلَّةِ. قَالَ : وَلَا يَنْبَغُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ مُقْتَضِيَّاتِ هَذِهِ 5  
الْحُرُوفِ وَفَوَائِدِهَا.

قُلْتُ: وَكَوْنُهُ لَا يَنْبَغُ، لَا يَقْتَضِي ظَهْرُهُ وَلَا التَّغْوِيلَ عَلَيْهِ .

وَالَّذِي حَمَلَ السَّهْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السَّيْرِ لِابْنِ  
إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ ابْنِ أَخْطَبٍ <sup>(2)</sup> مِنْ أَخْبَارِ الْيَهُودِ، وَهُوَ أَبُو يَاسِرٍ وَأَخُوهُ حُيَيٌّ،  
حِينَ سَمِعَا "أَلَمْ" مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، وَتَأَوَّلَاهَا عَلَى بَيَانِ الْمُدَّةِ هَذَا الْحِسَابِ، 10  
فَبَلَغْتُ إِحْدَى وَسِتِّينَ، فَاسْتَشَرْنَا الْمُدَّةَ. وَجَاءَ حُيَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ: هَلْ مَعَ  
هَذَا غَيْرُهُ؟ فَقَالَ: "الْمَصَّ"، ثُمَّ اسْتَزَادَ فَقَالَ: أَلَرَّ، ثُمَّ اسْتَزَادَ فَقَالَ: أَلَمَرَّ، فَكَانَتْ  
إِحْدَى وَسِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ، فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ. وَقَالَ: لَقَدْ لُبَّسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ،  
حَتَّى مَا نَذَرِي أَقْلِيلًا أَعْطَيْتَ أَمْ كَثِيرًا، ثُمَّ ذَهَبُوا عَنْهُ. وَقَالَ لَهُمْ أَبُو يَاسِرٍ: مَا 15  
يُنْذِرُكُمْ، لَعَلَّهُ أَعْطَانِي عِدْدَهَا كُلُّهَا بِسِتِّينَ مِائَةً وَأَرْبَعِ سِنِينَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَتَزَلَّ قَوْلُهُ  
تَعَالَى: ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة آل عمران، من الآية 7]. انتهى.

(1) سقط من ظ .

(1) عند السهلي (2 : 405) : أبي جاد (أي : أبجد) .

(2) سيرة ابن هشام 2 : 170 - .

ولا يقوم من القصة دليل على تقدير الملة بهذا العدد<sup>(1)</sup>، لأن دلالة هذه الحروف على تلك الأعداد ليست طبيعية ولا عقلية. وإنما هي بالتواضع والاضطلاح الذي يسمونه حساب الجمل. نعم، إنه قديم/ مشهور، وقدم الاضطلاح لا يضريه حجة، وليس أبو ياسر وأخوه حيي ممن يؤخذ رأيه في ذلك دليلاً، ولا بين علماء اليهود، لأنهم كانوا بادية بالحجاز، غفلاً من الصنائع والعلوم، حتى من علم شريعتهم وفقه كتابهم وملاهم، وإنما يتلقفون أمثال هذا الحساب كما يتلقف القوام في كل ملة. 5 فلا ينهض للشهين دليل على ما ادعاه من ذلك.

ووقع في الملة في حديث دُولها على الخصوص، مُستند من الأثر إجمالي، في حديث خرجه أبو داود<sup>(2)</sup> عن حذيفة بن اليمان، من طريق شيوخه محمد بن يحيى الذهلي، عن سعيد بن أبي مزيم، عن عبد الله بن فروخ، عن أسامة بن زيد 10 اللبني، عن ابن لبيصة بن دؤب، عن أبيه، قال، قال حذيفة بن اليمان: والله ما أدرى أنبي أصحابي أم تناسوا، والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته. وسكت عليه أبو داود، وقد تقدم أنه قال في رسالته: ما سكت عليه في كتابي فهو صالح. 15

(1) هذه القصة رواها ابن إسحاق عن محمد بن السائب الكلبي - وهو منهم بالكذب كما في التقريب - عن أبي صالح باذان (أو باذام) وهو ضعيف، عن ابن عباس، عن جابر بن عبد الله بن رباب. وقد ذكرها الطبري من طريق ابن إسحاق في تفسير سورة آل عمران 6 : 177 ، 179 .  
(2) الشنن ، في الفتن (4243) .



وهذا الحديث إذا كان صحيحاً فهو مُجْمَلٌ، وَيُتَقَرَّرُ فِي بَيَانِ إِحْوَاجِهِ وَتَعْيِينِ مُبْهَاتِهِ إِلَى آثَارِ أُخْرَى تَجُودُ أَصَانِدُهَا. وَقَدْ وَقَعَ هَذَا الْحَدِيثُ فِي غَيْرِ كِتَابِ السُّنَنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ. فَوَقَعَ فِي الصَّحِيحَيْنِ <sup>(1)</sup> مِنْ حَدِيثِ حُدَيْفَةَ أَيْضاً، قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيباً، فَمَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَهُ، حَفِظَهُ مِنْ حَفِظِهِ وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ، قَدْ عَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ هَؤُلَاءِ. وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ: 5 مَا تَرَكَ شَيْئاً إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا ذَكَرَهُ.

وَفِي كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ <sup>(2)</sup> مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ صَلَاةِ الْغُصْرِ بَنَارٍ ، ثُمَّ قَامَ خَطِيباً ، فَلَمْ يَدَعْ شَيْئاً يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا/ أَخْبَرَنَا بِهِ ، حَفِظَهُ مِنْ حَفِظِهِ وَنَسِيَهُ مِنْ نَسِيهِ . انْتَهَى . [228ب]

10 وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى مَا ثَبَتَ فِي [الصَّحِيحَيْنِ] <sup>(1)</sup> مِنْ أَحَادِيثِ الْفَتَنِ وَالْأَشْرَاطِ لَا غَيْرَ ، لِأَنَّهُ الْمَعْمُودُ <sup>(ب)</sup> مِنَ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْعُمُومَاتِ . وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي اقْتَرَفَ بِهَا أَبُو دَاوُدَ فِي هَذَا الطَّرِيقِ شَاذَةٌ مُنْكَرَةٌ، مَعَ أَنَّ الْأُمَّةَ اخْتَلَفُوا فِي رِجَالِهِ؛ فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ <sup>(3)</sup> فِي ابْنِ قُرُوحٍ <sup>(ج)</sup>: أَحَادِيثُهُ مَنَاقِيرُ؛ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ <sup>(4)</sup>: تَعْرِفُ مِنْهُ وَتُنْكِرُ؛ وَقَالَ ابْنُ عَدِي <sup>(5)</sup>: أَحَادِيثُهُ غَيْرُ

(1) من ي، وفي الأصول الأخرى: الصحيح (ب) ل: المفهوم (ج) ط: ابن أبي فزوخ .

(1) حديث حذيفة أخرجه البخاري في الفتر من صحيحه 8: 154 (6604) ، ومسلم في الفتن (2891) .

(2) الجامع الكبير (2191) .

(3) رواه الجوزجاني ، عنه ، في كتابه أحوال الرجال ، الترجمة 276 .

(4) التاريخ الكبير 5: 169 الترجمة 537 .

(5) الكامل في ضعفاء الحديثين 4: 1517 .

مَحْفُوظَةٌ. وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خُرِّجَ لَهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ، وَوَقَّهَ ابْنُ مَعِينٍ، فَإِنَّمَا خُرِّجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا<sup>(1)</sup>، وَضَعْفُهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ<sup>(2)</sup> وَأَخَذَ بِنِ حَنْبَلٍ<sup>(3)</sup>، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ<sup>(4)</sup>: يَكْتَبُ حَدِيثَهُ وَلَا يُخْتَجُّ بِهِ. وَابْنُ قَيِّصَةَ بْنُ دُؤَيْبٍ مَجْهُولٌ<sup>(5)</sup>. فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ، مَعَ شُدُودِهَا كَمَا مَرَّ.

5 وقد يَسْتَنِدُونَ فِي حَدَثَانِ التَّوَلُّ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَفْرِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمٌ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ طَرِيقِ الْآثَارِ أَوْ التُّجُومِ، لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يَعْرِفُونَ أَوَّلَ ذَلِكَ وَلَا مُسْتَنَدَهُ.

وَعَلِمَ أَنَّ كِتَابَ الْجَفْرِ كَانَ أَضْلَهُ أَنَّ هَارُونَ بْنَ سَعِيدٍ الْعِجْلِيُّ، وَهُوَ رَأْسُ الزَّيْدِيَّةِ، كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَزُودُهُ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ، وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَبَقَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى الْعُمُومِ، وَلِبَغْضِ الْأَشْخَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ، وَقَعَ ذَلِكَ الْجَفَرُ وَنُظَرَاتِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْكَشْفِ الَّذِي يَقَعُ لِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ. وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ جَعْفَرٍ فِي جِلْدٍ ثَوْرٍ صَغِيرٍ، فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونُ الْعِجْلِيُّ وَكَتَبَهُ، وَسَمَّاهُ الْجَفَرُ، بِاسْمِ الْجِلْدِ الَّذِي كَتَبَ مِنْهُ، لِأَنَّ الْجَفَرَ فِي اللَّفْظِ هُوَ الصَّغِيرُ، وَصَارَ هَذَا الْاسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ عِنْدَهُمْ. وَكَانَ فِيهِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنَ الْمَعَانِي غَرَائِبُ / مَرْوِيَّةٌ عَنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ. 15

[229]

(1) وروى له مسلم في الشواهد حسب ، كما في تحرير التزيين 1 : 111 .

(2) كما في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 2 : 285 الترجمة 1032 .

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه .

(5) إن لم يكن هو إسحاق بن قبيصة بن ذؤيب - وهو صدوق - فهو أخ له ، وهو عندئذ مجهول ، كما في

تهذيب الكمال 34 : 468 .

وهذا الكتاب لم يتَّصِلْ رِوَايَتُهُ وَلَا عُرِفَ عَيْنُهُ، وَإِنَّمَا تَطْلُرُ مِنْهُ <sup>(١)</sup> شَوَادٌ <sup>(ب)</sup>

من الكلمات لا يَضَحُّهَا دَلِيلٌ. وَلَوْ صَحَّ السُّنَدُ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعَمُ  
الْمُسْتَنَدِ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ، فَهَمُّ أَهْلِ الْكِرَامَاتِ؛ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ  
يُحَدِّثُ <sup>(ج)</sup> بَعْضَ قَرَابَتِهِ بِوَقَائِعَ تَكُونُ لَهُمْ فَتَحْصِحُ كَمَا يَقُولُ. وَقَدْ حَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَمَّةٍ زَيْدٌ  
مِنْ مَضْرَعِهِ وَعَصَاهُ، فَخَرَجَ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ. وَإِذَا كَانَتْ الْكِرَامَاتُ 5  
تَقَعُ لِفِرْعِهِمْ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عَلَمًا وَدِينًا وَآثَارَةً مِنَ النُّبُوَّةِ، وَعِنَايَةً مِنْ اللَّهِ بِالْأَصْلِ  
الْكَرِيمِ، تَشْهَدُ لِفُرُوعِهِ الطَّيِّبَةِ. وَقَدْ يُنْقَلُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، غَيْرُ  
مَنْسُوبٍ إِلَى الْجَفْرِ؛ وَفِي أَخْبَارِ ذَوَلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ كَثِيرٌ مِنْهُ.

وَانْظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِ فِي لِقَاءِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْعِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمُهَدِّيِّ  
مَعَ أَبِيهِ <sup>(د)</sup> مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ، وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ، وَكَيْفَ بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ خُوْشَبٍ دَاعِيَتِهِمْ 10  
بِالْيَمَنِ، فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبِتَّ الدَّعْوَةَ فِيهِ، عَنْ عِلْمِ لِقَائِهِ <sup>(١)</sup>، أَنَّ ذَوَلَتَهُمْ  
تَمَّ هُنَالِكَ؛ وَأَنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ لَمَّا بَنَى الْمُهَدِّيَّةَ بَعْدَ اسْتِيفَالِ ذَوَلَتِهِمْ بِأَفْرِيقِيَّةٍ قَالَ <sup>(٢)</sup>: تَبَيَّنَتْهَا  
لِيُغْتَصِمَ بِهَا الْقَوَائِمُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ؛ وَأَرَاهُمْ مَوْقِفَ صَاحِبِ الْجِمَارِ بِسَاحَتِهَا، وَتَلَّغَ  
هَذَا الْخَبْرَ حَافِظُهُ إِسْمَاعِيلُ الْمَنْصُورُ، فَلَمَّا حَاضَرَهُ صَاحِبُ الْجِمَارِ أَبُو يَزِيدَ

(١) فِي ج: عَنْهُ (ب): ل: شَوَادٌ (ج): ل: يُحَدِّثُ (د): مِنْ ط: ع، وَجَاءَتْ فِي ج ي مَمْلُوءَةً.

(1) أَصْلُ هَذَا فِي دَعْوَةِ الْحَوْلَانِي وَأَبِي سَفْيَانَ الَّذِينَ هَيَّأَ الْأَمْرَ لِصَاحِبِ الْبُنْدَرِ كَمَا سَمِیَاهُ. انْظُرِ الْقَاضِي النِّعْمَانَ  
ابْنَ مُحَمَّدٍ: افْتِتَاحُ الدَّعْوَةِ 28 - .

(2) كَانَ الْمُهَدِّيُّ إِذَا نَظَرَ إِلَى جُضْأِهَا وَأَبْوَابِهَا وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِذَلِكَ، يَقُولُ: هَذَا كُلُّهُ عُدَّةٌ لِسَاعَةِ مِنْ نَهَارٍ.  
(افْتِتَاحُ الدَّعْوَةِ 328 وَهُوَ نَصُّ مَعَاوِرَ لِلْمُهَدِّيِّ)، وَقَالَ لَمَّا أَكْمَلَهَا وَأَدَارَ أَسْوَاظَهَا: الْيَوْمَ أَمِنْتُ عَلَى  
الْفَاطِمِيَّاتِ. (ابْنُ الْأَثِيرِ: الْكَامِلُ 8: 95).

بالمهدية، كان يسأل عن مُنتهى موقفه، حتى جاءه الخبر ببلوغه إلى المكان الذي  
عين جده غيبه الله، فأيقن بالظفر، وبرز من البلد، فهزّمه واتبعه إلى ناحية الزاب  
فظفر به وقتله. ومثل هذه الأخبار عنهم كثيرة .

وأما المحصون، فيستبدون<sup>(1)</sup> في حدّان الدّول إلى الأحكام التّجويمة؛ أما  
5 في الأمور العامّة مثل الملك والدّول، فمن القرانات، وحُصوصاً بين العلويّين. وذلك  
أن العلويّين/ رُحل والمُشتري يقرّنان في كلّ عشرين سنة مرة، ثم يعود القران إلى  
برج آخر في تلك المُثْلثة من التثليث الأيمن، ثمّ بعده إلى آخر كذلك، إلى أن  
يتكرّر في المُثْلثة الواحدة اثنتي عشرة مرة، يستوفي برّوجها الثلاثة في ستين  
سنة، ثمّ يعود فيستوفونها في ستين أخرى، ثمّ يعود ثالثة، ثمّ رابعة، فيستوفي  
10 المُثْلثة<sup>(ب)</sup> بنتي عشرة مرة، وأربع عودات في مائتين وأربعين سنة، ويكون انتقاله  
من كلّ بُرج على التثليث الأيمن، ويتّقل من المُثْلثة إلى المُثْلثة التي تليها، أغني إلى  
البرج الذي يلي البرج الأخير من القران الذي قبله في المُثْلثة. وهذا القران الذي هو  
قران العلويّين، ينقسم إلى كبير وصغير ووسط؛ فالكبير هو اجتماع العلويّين في  
درجة واحدة من الفلك، إلى أن يعود إليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة واحدة.  
15 والوسط هو اقتران العلويّين في كلّ مُثْلثة اثنتي عشرة مرة، وبعد مائتين وأربعين  
سنة يتّقل إلى مُثْلثة أخرى. والصغير هو اقتران العلويّين في بُرج، وبعد عشرين  
سنة يقرّنان في بُرج آخر على تثلثه الأيمن وفي مثل درجه أو دقايقه .

(1) ي : فيستبدون (ب) سقط من ط .

- مثال ذلك، وقع القرآن أولَ دقيقةٍ من الحمل، وبعد عشرين<sup>(1)</sup> سنة يكون أولَ دقيقةٍ من القوس، وبعد عشرين في الأسد، وهذه كلها نارية، وهذا كله قرآنٌ صغير. ثم يعود إلى أول الحمل بعد ستين سنة، ويسعى ذور القرآن، وغود القرآن، وبعد مائتين وأربعين ينتقل من النارية إلى الترابية، لأنها بعدها، وهذا قرآنٌ وسط. ثم ينتقل إلى الهوائية، ثم المائية؛ ثم يرجع إلى أول الحمل في تسعةائة وستين سنة، وهو الكبير. 5
- والقرآن الكبير يدلّ على عظام الأمور، مثل تغيير الملك والدول، وانتقال الملك<sup>(ب)</sup> من قوم إلى قوم. والوسط على ظهور المتغلبين والطالين للملك. والصغير على ظهور الخوارج والدعاة، وخراب المدن أو عمرانها. ويقع أثناء هذه القرائات / قرآنُ الخمسين في برج السرطان، في كلّ ثلاثين سنة مرة، ويسعى الرابع. ويرج 10
- السرطان هو طالع العالم، وفيه وبال رُحل وهبوط المريح، فتتظلم دلالة هذا القرآن في الفتن والحروب، وسفك الدماء، وظهور الخوارج، وحركة القساكر وعضيان الجند، والوباء والقحط؛ ويدوم ذلك أو ينتهي على قدر السعادة والثحوسة في وقت قرائنها وعلى قدر تنسيير الدليل فيه.
- قال جرّاش<sup>(1)</sup> بن أحمد الحاسب، في الكتاب الذي ألفه لنظام الملك: 15
- ورجوع المريح في القرب له أثر عظيم في الملة الإسلامية، لأنه كان دليلها، فإن

(1) من ط.، وسط من الأصول الأخرى (ب) ع: الملة

(2) هكذا في الأصول ولعله مصحف، فقد ذكرت كتب المشتبه جراس وجرّاش وخرّاس، وليس بينها الجيم. وورّد مرة في نسخة ع: خراس. ولم تقف له على ترجمة. ويبدو أنه كان منتجاً للحسن بن علي الطوسي، نظام الملك (408 - 485هـ / 1018 - 1092م) أثناء وزارته للسلطان إلب أرسلان أو لابنه ملك شاه

المولد التبوي كان عند قِران العلويين بُرُج القُرب؛ فكلُّما رجع هنالك حَدَثَ  
تَشْوِيشٍ [في] <sup>(١)</sup> اِخْتِلَافًا، وكَثُرَ المَرَضُ في أَهْلَ العِلْمِ والدين وَنَقَصَتْ أَخْوَالُهُمْ، وَرَبَّما  
انْهَدَمَ بَعْضُ بُيُوتِ العِبَادَةِ. وَلَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ عِنْدَ قَتْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
وَمَزَّوَانٍ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ، وَالْمُتَوَكِّلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ. فَإِذَا رُوِيَ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ  
5 أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ .

وَذَكَرَ شَاذَانَ الْبُلْخِي: أَنَّ الْمِلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثَةِ عَشَرَ سَنِينَ. وَقَدْ ظَهَرَ  
كُذْبُ هَذَا الْقَوْلِ. وَقَالَ أَبُو مَغَشَّرٍ: يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ؛  
وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ.

وَقَالَ جَرَّاشٌ: رَأَيْتُ فِي كُتُبِ الشُّدْمَاءِ، أَنَّ الْمُتَجَمِّينَ أَخْبَرُوا كِبَرِيَّ عَنْ  
10 مُلْكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ الثُّبُوتِ فِيهِمْ، وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الرُّهْرَةُ، وَكَانَتْ فِي شَرْفِهَا، فَيَبْقَى الْمُلْكُ  
فِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً .

وَقَالَ أَبُو مَغَشَّرٍ فِي كِتَابِ الْقِرَانَاتِ: إِنَّ الْقِسْمَةَ إِذَا انْتَهَتْ إِلَى السَّابِعَةِ  
وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْحَوْتِ وَفِيهَا شَرَفُ الرُّهْرَةِ؛ وَوَقَعَ الْقِرَانُ مَعَ ذَلِكَ بِرُجِّ الْقُفْرَبِ، وَهُوَ  
دَلِيلُ الْعَرَبِ؛ ظَهَرَتْ حِينَئِذٍ ذَوْلَةُ الْعَرَبِ، وَكَانَ مِنْهُمْ / نَبِيٌّ، وَتَكُونُ قُوَّةُ مُلْكِهِ  
15 وَمُدَّتُهُ عَلَى قَدَرِ مَا بَقِيَ مِنْ دَرَجَاتِ شَرَفِ الرُّهْرَةِ، وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً  
بَقَرِيْبٍ مِنْ بُرْجِ الْحَوْتِ، وَمُدَّةُ ذَلِكَ سِتُّ مِائَةٍ وَعَشْرُ سَنِينَ. وَكَانَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ  
عِنْدَ انْتِقَالِ الرُّهْرَةِ، وَوُقُوعُ الْقِسْمَةِ أَوَّلَ الْحَمَلِ، وَصَاحِبُ الْحَدِّ الْمُشْتَرِي .

(١) مِنْ ظَ، وَفِي عَ لَ يَ : عَلَى .

وقال يَنْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ: إِنَّ مُدَّةَ الْمِلَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سِتِّمِائَةِ وَثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، قَالَ: لِأَنَّ الزُّهْرَةَ كَانَتْ عِنْدَ قِرَانِ الْمِلَّةِ، فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَسِبْعًا وَأَرْبَعِينَ دَقِيقَةً مِنَ الْحَوْتِ. فَالْبَاقِي إِخْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَمَانِي عَشْرَةَ دَقِيقَةً، وَدَقَائِقُهَا سِتُّونَ، فَيَكُونُ سِتِّمِائَةً وَثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً. قَالَ: وَهَذَا مُدَّةُ الْمِلَّةِ بِاتِّهَاقِ الْحُكَمَاءِ، وَتَقْصُودُ الْحُرُوفُ الْوَاقِعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ، بِحَذْفِ الْمُكَرَّرِ وَاعْتِبَارِهِ بِحَسَابِ الْجُمْلِ. 5  
قُلْتُ: وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ السَّهْلِيُّ<sup>(1)</sup>، وَالْغَالِبُ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مُسْتَنَدٌ السَّهْلِيُّ فِيمَا نَقَلْنَا عَنْهُ.

قَالَ جَرَّاشٌ<sup>(2)</sup>: وَسُئِلَ هُزْمُزْدُ إِفْرِيدُ<sup>(ب)</sup> الْحَكِيمُ عَنْ مُدَّةِ أَرْدَشِيرَ وَوَلَدِهِ مُلُوكِ السَّاسَانِيَّةِ، فَقَالَ: دَلِيلُ مُلْكِهِ الْمُشْتَرِي، وَكَانَ فِي شَرْفِهِ، فَيُعْطَى أَطْوَلُ السَّنِينَ وَأَجْوَدُهَا، أَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ تَدْبِرُ<sup>(ج)</sup> الزُّهْرَةُ وَتَكُونُ فِي شَرْفِهَا، وَهِيَ 10  
دَلِيلُ أَنَّ الْعَرَبَ يَمْلِكُونَ، لِأَنَّ طَالِيعَ الْقِرَانِ الْمِيزَانَ، وَصَاحِبَهُ الزُّهْرَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَ الْقِرَانِ فِي شَرْفِهَا، فَدَلُّ أَتَمِّهِمْ يَمْلِكُونَ أَلْفَ سَنَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً.

وَسَأَلَ كَثِيرَى أَنْوَشَرَوَانَ وَزِيرَهُ بَرَزْجُمَهْرَ الْحَكِيمَ عَنْ خُرُوجِ الْمَلِكِ مِنَ فَارِسَ إِلَى الْعَرَبِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَائِمَ مِنْهُمْ يُولَدُ لِحَفْصِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ ذَوَلْتِهِ، وَيَمْلِكُ 15  
الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ، وَالْمُشْتَرِي يُفَوِّضُ التَّدْبِيرَ إِلَى الزُّهْرَةِ، وَيَنْتَقِلُ الْقِرَانُ مِنَ الْهَوَائِيَّةِ إِلَى الْعُثْرَبِ، وَهُوَ مَائِيٌّ، وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ. فَهَذِهِ الْأَدِلَّةُ تُضَيِّحُ لِلْمِلَّةِ بِمُدَّةِ ذَوْرِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ أَلْفٌ وَسِتُّونَ سَنَةً.

(أ) فِي ل: خِرَاش (ب) ع ي: إِفْرِيد (ج) فِي ع: تَقْدِيرٌ، وَرَبَّمَا الصَّوَابُ: تَقْدِيرٌ.

(1) الرُّوسُ الْأَنْفَ 2: 405 - 406.

وسأل كسرى أنبزويز أليوس الحكيم عن ذلك، فقال مثل قول نزر مجهر.  
 وقال نوفيل الرومي المنتقم أيام بني أمية: إِنْ / دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ تَبْقَى مُدَّةَ الْقِرَانِ الْكَبِيرِ [1231]  
 تَسْعَاةَ وَسِتِينَ سَنَةً ، فإذا [عاد] <sup>(1)</sup> القرآن إلى بزج العُقرَب كما كان في ابتداء المِلَّةِ ،  
 وتغيَّرَ وَضْعُ الْكُوكَبِ عَنْ هَيْئَتِهَا فِي قِرَانِ الْمِلَّةِ ، فحِثَّيْزُ إِمَّا يَفْتَرُ الْعَمَلُ بِهِ ، وَإِمَّا  
 5 يَتَجَدَّدُ مِنَ الْأَحْكَامِ مَا يُوْجِبُ خِلَافَ الطَّنِّ .

قال جراش: واتفقوا أنّ خراب العالم، يكون باستيلاء الماء والتار حتّى  
 تَهْلِكَ سَائِرُ الْمَكُونَاتِ ، وذلك عندما يُقْطَعُ قَلْبُ الْأَسَدِ أَرْبَعًا وَعَشْرِينَ دَرَجَةً؛ الَّذِي  
 هُوَ حَدُّ الْمَرْيَخِ ، وذلك بعد مَضِيِّ تِسْعَاةَ وَسِتِينَ سَنَةً .

وذكر جراش: أن ملك زابلستان <sup>(ب)</sup> وهي <sup>(ج)</sup> غزنة <sup>(ج)</sup>، بعث إلى المأمون  
 10 بحكيمه ذوبان، أنخفه به في هديّة، وأنه تصرّف للمأمون في الاختيارات <sup>(د)</sup> ليخروب  
 أخيه، ولعقد اللّواء لطاهر، وأنّ المأمون أعظم حكمته، فسأله عن مُدَّةِ مُلْكِهِمْ ،  
 فأخبره باقْطَاعِ الْمُلْكِ مِنْ عَقِبِهِ وَاتِّصَالِهِ فِي وَلَدِ أَخِيهِ ، وأن العَجَمَ يَتَغَلَّبُونَ عَلَى  
 الْخِلَافَةِ ، الدَّيْلَمُ أَوَّلًا فِي دَوْلَةِ حَسَنَةِ ، خَمْسِينَ سَنَةً ، ثُمَّ تَسُوءُ حَالُهُمْ ، حتّى يَظْهَرَ  
 التَّرْكُ مِنْ [شمال] <sup>(هـ)</sup> الشَّرْقِ فَيَمْلِكُونَ إِلَى الشَّامِ وَالْفُرَاتِ ، وَيَفْتَحُونَ بِلَادَ الرُّومِ ، ثُمَّ  
 15 يَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللَّهُ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ كُتُبِ الْحُكَمَاءِ ،  
 وَمِنْ أَحْكَامِ صَصَّةَ بْنِ دَاهِرٍ <sup>(و)</sup> الْهِنْدِيِّ الَّذِي وَضَعَ الشَّطْرَنْجَ .

(أ) في ظ : عاتن . (ب) كنا ضبطها بأفرت بالحرف (البلدان 125/3) . وضبطت بالحركات في ع ل : زابلستان (ج) سقط  
 من ي ، وجاءت مستتركة في حاشية ع بحمله (د) كنا وردت في ع ل بالياء الحانة النحوية ، وجاءت في بقية الأصول بمسلة  
 (هـ) سقط من ظ (و) ج : داهم .



قلت : والتَّرك الذين أشار إلى ظهورهم بغد الدِّيلم هُم السُّلجوقية ، وقد انقَضَتْ دَوْلَتُهُمْ أَوَّلَ القَرْنِ السَّابع .

قال جراش : وانتقالُ القِران إلى المُتلفَةِ المائِية في بَرَج الحوت ، يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة ليزْدَجِرْد ، وتُغداها إلى بَرَج العُقرب حيثُ كان قِرانُ المِلَّة سنة ثلاث وخمسين . قال : والذي في الحوت هو أَوَّلُ الانْتِقال ، والذي في العُقرب 5 نُسْتَخْرَج منه دلائلُ المِلَّة . قال : وتحويلُ السَّنة الأولى من القِران الأول في المُتلفات المائِية في ثاني رَجَب سنة ثمان وستين وثمانمائة ، ولم يَسْتَوَفْ <sup>(1)</sup> الكلام على ذلك .

وأما مُسْتَنَدُ المُتَجَمِّين في دَوْلَةِ دَوْلَةٍ على الحُصوص ، / فمن القِران الأوسط ، وهَيْئَةُ الفَلَك عِنْد وَقوعه ، لأنَّ له دِلالةً عِنْدَهم على حُدوث البُول ، وبَهاجها من العُمران ، والقائمين بها من الأُمم ، وَعَدَدُ مُلوَكهم ، وأشْهُائهم ، وأَعْمارهم ، 10 ونَحْلهم ، وأَذْيائهم ، وغَوائِدهم ، وخُرُوبهم ، كما ذَكَر أبو مَعشَر في كتابه في القِرانات . وقد تَوَخَّذ هذه الدِّلالة من القِران الأصغر إذا كان الأوسط دالاً عليه ، فمن هذا يُوْخَذُ الكلامُ في البُول .

وقد كان يَغقُوبُ بن إسحاق الكِندي منجَم الرُّشيد والمأمون ، وَضَعَ في القِرانات الكاتِبَةُ في المِلَّة كتاباً سَمَّاه السَّيعة بِالْجَفَر ، باسم كتابهم المُنسُوب إلى جَعْفَر 15 الصادق ، وَذَكَر فيه - فيما يُقال - حَدَثانَ دَوْلَةِ بَني العباس ، وأنها نَهايتَه ، وأشار إلى اقْتِراضها ، والحادِثَةِ على بَعدادِ أَنَّهُ يَتَمُّع في مُنتَصَفِ المائَةِ السَّابعة ؛ وأن اقْتِراضها يكون باقْتِراضِ المِلَّة .

(1) ع : يسوفي .

ولم يَقِفْ على شَيْءٍ من خَبَرِ هذا الكتاب ، ولا رَأَيْنَا من وَقَفَ عليه؛ وَلَعَلَّهُ  
 غَرِقَ في كُتُبِهِم الَّتِي طَرَحَهَا هولاكو مَلِكُ الطُّظُر<sup>(1)</sup> في دِجْلَةَ عند اسْتِغْلَانِهِمْ على  
 بَغْدَاد، وَقَتْلِ الْمُسْتَعَصِمِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ. وقد وَقَعَ بِالْمَغْرِبِ جُزءٌ مُنْسُوبٌ إلى هذا  
 الكِتَابِ، يُسَمُّونَهُ الْجُمْرَ الصَّغِيرَ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَضَعَ لِنَبِيِّ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، لِذِكْرِ الْأَوَّلِينَ  
 5 من مُلُوكِ الْمُؤَحِّدِينَ فِيهِ على التَّفْصِيلِ، وَمُطَابَقَةً ما تَقَدَّمَ عن ذَلِكَ من حَدِّثَانِهِ  
 وَكَذِبَ ما بَعْدَهُ .

وكان في ذُؤْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ من بَعْدِ الْكِندِيِّ مُنْجَمُونَ وَكُتُبٌ في الْحَدِّثَانِ؛  
 وَاَنْظُرْ ما نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ<sup>(1)</sup> في أَخْبَارِ الْمُهْدِيِّ عن أَبِي بُذَيْلٍ من ضَانِعِ الدُّوَلَةِ، قال:  
 بَعَثَ إِلَيَّ الرِّبَيعُ وَالْحَسَنُ في غَزَاتِهِمَا مَعَ الرَّشِيدِ أَيَّامَ أَبِيهِ ، فُجِئْتُهَا جَوْفَ اللَّيْلِ، فإِذَا  
 10 عِنْدَهَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الدُّوَلَةِ، يَغْنِي الْحَدِّثَانِ، وَإِذَا مُدَّةُ الْمُهْدِيِّ فِيهِ عَشْرُ سِنِينَ؛  
 فَقُلْتُ: هَذَا الْكِتَابُ لَا يَخْفَى عَنِ الْمُهْدِيِّ، وَقَدْ مَضَى مِنْ ذُؤْلَتِهِ ما مَضَى، فإِذَا وَقَفَ  
 عَلَيْهِ كُنْتُمْ قَدْ نَعَيْتُمْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ؛ قَالَا: فَمَا الْحِيلَةُ؟ فَاسْتَدْعَيْتُ عَنَبْسَةَ الْوَرَّاقِ، مَوْلى  
 آلِ بُذَيْلٍ، وَقُلْتُ لَهُ: اسْتَخِرْ لِي هَذِهِ الْوَرَقَةَ؛ / وَاكْتُبْ مَكَانَ عَشْرَةِ أَرْبَعِينَ، فَقَعَلَ . [232]  
 فَوَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ الْعَشْرَةَ فِي تِلْكَ الْوَرَقَةِ، وَالْأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ، مَا كُنْتُ شَكَّكْتُ  
 15 أَتَمَّهَا هِيَ .

ثم كَتَبَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي حَدِّثَانِ الدُّوَلِ مَنْظُومًا وَمَنْثُورًا وَرَجَزًا ما  
 شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ؛ وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُفْتَرَقٌ كَثِيرٌ مِنْهَا ، وَتُسَمَّى الْمَلَاحِحُ؛ وَبَقِصُهَا

(1) يَمْتَنِعُ عَلَى الظَّاهِرِ الْمَعْلُومَةِ ، لِتَحْدِيدِ النِّطْقِ بِهَا عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي ضَبَّطَهَا بِأَنْ تَكُونَ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالنَّالِ .

(1) تَارِخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ 8: 146 .

في حَذَنانِ المِلَّةِ على العُومِ، وبعضُها في ذُوْلَةِ ذُوْلَةِ على الحِصْصِ؛ وكُلُّها [مُنْسُوبٌ]<sup>(1)</sup> إلى مَشاھيرَ من أَهلِ الحَلِيقَةِ، وَلَيْسَ مِنْها أَضَلُّ يَعمَدُ على رِوَايَتِهِ عن وَاضِعِهِ المُنْسُوبِ إِلَيْهِ .

فَين هَذِهِ المَلاحِمِ بِالْمَغْرِبِ، قَصِيدَةُ ابْنِ مُرَّانَةَ<sup>(2)</sup>، مِنْ بَحْرِ الطَّوِيلِ، على رِوَايَةِ الرِّاءِ مَطْلَعُهَا: (ب)، وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الثَّاسِ. وَيَحْسِبُ العامَّةُ أَنَّها مِنَ الحَذَنانِ العامِ، 5 فَيُطَبِّقُونَ كَثِيرًا مِنْها على الحَاضِرِ والمُسْتَقْبَلِ. وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ شُيُوخِنَا أَنَّها مَحْصُوصَةٌ بِذُوْلَةِ اَلْفَتْوَةِ، لِأَنَّ الرُّجُلَ كانَ قُتَيْلَ ذُوْلَتِهِمْ، وَذَكَرَ فِيها اسْتِيلاءَهُمْ على سَبْتِهِ مِنْ أَيُّدِي مَوالِي بَنِي حَمُودَ، وَمُلْكِهِمْ لَعْدُوهُ الأَنْدَلُسِ .

وَمِنَ المَلاحِمِ بِأَيُّدِي أَهْلِ الْمَغْرِبِ أَيْضًا، قَصِيدَةُ تُسَمَّى التَّبَعِيَّةَ، أَوَّلُها: [مِنَ الْمُتَظَارِبِ]

طَرِيتُ وَمَا ذَاكَ مِثِّي طَرَبُ      وَقَدْ يَطْرَبُ الطَّائِرُ الْمَغْتَضَبُ 10  
وَمَا ذَاكَ مِثِّي لِلْهُيِ أَرَاهُ      وَلَكِنْ لِيَتَذَكَّرَ<sup>(ج)</sup> بَعْضُ السَّبَبِ

قَرِيبًا مِنْ خَفْسَمَانَةَ بِنْتِ، أَوْ أَلْفِ فِيمَا يُقَالُ؛ ذَكَرَ فِيها كَثِيرًا مِنْ ذُوْلَةِ الْمُؤَحِّدِينَ، وَأَشَارَ إِلَى الفَاطِمِيِّ وَغَيْرِهِ، وَالطَّاهِرُ أَنَّها مَضْنُوعَةٌ .

وَمِنَ المَلاحِمِ بِالْمَغْرِبِ أَيْضًا، مَلْعَبَةٌ مِنَ الشَّعْرِ الرَّجَلِيِّ مَنْسُوبَةٌ لِبَعْضِ

(1) مِنْ ع ل ج ي ، وَفِي ط : مَنْسُوبَةٌ (ب) مَكَانَ الطَّالِعِ بَعْدَهَا فِي ع ج وَالتَّجْمُودِ، بِاضٍ، وَفِي حَاشِيَةِ ل: كُنَّا (ج) ل ج : لَقَدْ كَانَ

(2) سَبْتِي، عَالِمٌ بِالْحِسَابِ وَالْفَرَائِضِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْفَقْهِ، لَهُ تَرْجُمةُ قَصِيرَةٍ فِي مَعْجَمِ الْبَلْبَانِ 3 : 183 ، وَأَشَارَ الْمُقَرَّبِيُّ إِلَى قَصِيدَةٍ لَهُ فِي الْكُوفَانِ وَالْحَوَادِثِ ( أَزْهَارُ الرِّيَاضِ 1 : 37 ، وَأَبْدَلُ التَّائِثَرِ التَّوْنِ فِي اسْمِهِ تَائَةً ، خَطَأً ) .

اليهود، ذكر فيها أحكام القرانات لعصره، الغلوين والتخسين وغيرهما، وذكر ميثته  
قتيلاً بفأس. وكان كذلك فيما زعموه. وأوله<sup>(١)</sup> :

في صينغ ذا الأزرقي لش فيه خيبارا فافهموا يا قوم هذي الإشارا  
نجم زحل أخبز [بذي]<sup>(ب)</sup> العلاما وبدل الشكلا وهي سلاما  
/ شاشية زرقا بذل العماما وطاشرا ازرق بذل الغفارا<sup>(ج)</sup> [232ب]

يقول في آخره:

قد تم ذا التجنيس لإنسان يهودي يضلّب على واذا فاش في يوم عيد  
حتى نجيه الناس من البوادي وقتل يا قوم على الغفارا<sup>(د)</sup>  
وأياته نحو الخمسة، وهي في أحكام القرانات التي دلت على ذولة الموحدين .

ومن ملامح المغرب أيضاً، قصيدة من عروض المتقارب، على زوّي الباء،  
10 في حدّثان ذولة بتي أبي خفص بثونس من الموحدين، منسوبة لابن الأبار. وقال لي  
قاضي قسطنطينة، الخطيب الكبير أبو علي بن باديس ، وكان بصيراً بما يقول ، وله  
قدّم في علم النجوم ، فقال لي : إنّ هذا ابن الأبار ليس هو الحافظ الكاتب  
مقتول المستنصر، وإنّما هذا رجل خياط من أهل تونس، تواطت شهرته مع شهرة  
الحافظ. وكان والدي رحمه الله يُشيدني الأبيات من هذه الملحمة ، وبقي بقصّها في  
15 حفظي ، مطلعها : [من المتقارب]

(١) اعتمدنا في ضبط بعض الكلمات ما ورد خاصة في نسختي ع ل ، وقد سجل ابن خلدون الأبيات التالية في نسخة ع بخطه

(ب) ط : بهادي (ج) كنا في ل ج . وفي ع : الغفارا (د) في ي : الغفارا. وفي ح : الغفارا .

عَذِيرِي مِنْ زَمَنِ قُلُبِ      يَغُرُّ بِبَارِقِهِ الْأَشْنَبِ

ومنها في ذِكْرِ اللَّخَيَّاتِ تاسعُ مُلُوكِ السُّوْلَةِ :

فَيَنْبَغُ مِنْ جَنْبِهِ قَائِدًا      وَيَبْقَى هُنَاكَ عَلَى مَرْقَبِ  
فَتَأْتِي إِلَى الشَّيْخِ أَخْبَارُهُ      فَيُقْبَلُ كَالْجَمَلِ الْأَجْرَبِ  
وَيُظْهِرُ مِنْ عَذْلِهِ سِيرَةً      وَتِلْكَ سِيَاسَتُهُ مُسْتَخْلِبِ

5

ومنها في ذِكْرِ أحوالِ ثُونِسَ عَلَى الْعُمُومِ :

فَإِذَا رَأَيْتِ الرُّسُومَ أَمَحَتْ      وَلَمْ يَزَعْ حَقٌّ لَدِي مَنْصِبِ  
فَحَذِّ فِي التَّرْحُلِ عَنْ ثُونِسَ      وَوَدَّعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبِ  
فَسَوْفَ تَكُونُ بِهَا فِتْنَةً      تُضِيفُ الْبَرِيءَ إِلَى الْمَذْنِبِ

[233] وَوَقَفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْخَمَةٍ أُخْرَى فِي ذُوْلَةِ نَبِي أَبِي حَنْصَ / هَوْلَاءِ بِنُتُونِسَ ،  
فِيهَا بَعْدَ السُّلْطَانِ أَبِي بَحْجَى الشَّهْرَ ، عَاشِرِ مُلُوكِهِمْ ، ذَكَرَ أَخِيهِ مُحَمَّدٌ ؛ يَقُولُ فِيهِ :

10

وَيَعْدُ ، أَبُو عَبْدِ الْإِلَهِ شَقِيْقُهُ      وَيُعْرِفُ بِالْوَقَابِ فِي نُسَخَةِ الْأَصْلِ

إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَفْلِكْ بَعْدَ أَخِيهِ ، وَكَانَ يُعْتَبَرُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ .  
وَمِنْ مَلَاحِمِ الْمَغْرِبِ أَيْضًا ، الْمَلْعَبَةُ الْمُنَسُوْبَةُ إِلَى الْهَوْشَنِيِّ ، عَلَى لُغَةِ الْعَامَّةِ فِي  
عَرُوضِ الْبَلَدِ ، أَوَّلُهَا :

15

دعني يا دَمْعِي الهَتَّان      فترث الامطار ولم تفتز  
واشتفت كلها الوردان      واتي تملأ وتغدز  
البلدان كلها تروى      فاوقاتا مثل ما تدرى  
وانتين الصيف والشتوا      والفاكا والربيع تجري  
قال حين صحت الدغوا      دغني تبكي ومن غدري  
أيا دَبَر في ذي الأزمان      ذا القرن اشتد وتزمرز

5

وهي طويلة ومَحفوظة بين<sup>(١)</sup> عامة [أهل]<sup>(ب)</sup> المغرب الأقصى ؛ والغالب عليها الوضع ، لأنه لم يصح منها قول إلا على تأويل يُعرفه<sup>(ج)</sup> العامة ، أو يجازف فيه من ينتجها من الخاصة .

ووقفتُ بالشرق على ملحة منسوبة لابن العربي<sup>(د)</sup> الحاتمي في كلام طويل شبه الأنغاز ، لا يعلم تأويله إلا الله ، تتخلله أوقافٌ عديدة ، وزمورٌ ملفوزة ، وأشكالٌ حيواناتٍ تامة ، وزووسٌ مقطعة ، وتماثيلٌ ، من حيواناتٍ غريبة . وفي آخرها قصيدة على روي اللأم ، والغالب أنها كلها غير صحيحة . لأنها لم تتبن على أصل علمي من نجامة ولا غيرها .

10

\* ومن غريب ما شيفت بعض الخواص يتناقضونه بمضّر عن ملحمة ابن العربي ، ولعلها غير هذه ، أنه تكلم على [طالع]<sup>(هـ)</sup> بناء القاهرة ، وأنه جعل مدة

15

(١) ل: في (ب) زيادة مقعة بخطه في ع (ج) سقط من ل (د) يذكره دائماً معزناً ، والمشهور فيه التكبير (هـ) ظ: طالع

[233ب] عُمرانها / أُرْبَعَانَةٌ وستين سَنَةً، من دلالات ذلك [الطَّالع]<sup>(1)</sup> التَّجْوِيمِيَّةُ، وَيُنْتَهِي ذَلِكَ إِلَى حُدُودِ الثَّلَاثِينَ بَعْدَ الثَّمَانِيَةِ. لِأَنَّا إِذَا حَمَلْنَا عَلَى الْأُرْبَعَانَةِ وَالسَّتِينَ حَسَابَ الْقَمَرِيِّ لِأَنَّهَا شَمْسِيَّةٌ، فَزَيْدٌ عَلَيْهَا بِحَسَابِ ثَلَاثَةِ، لِكُلِّ مِائَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فَتَكُونُ أُرْبَعَانَةً وَأَرْبَعًا وَسَبْعِينَ سَنَةً، بِحَمْلِهَا عَلَى ثَلَاثِيَّةٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ، تَارِيخُ بِنَائِهَا، يَكُونُ ثَمَانِيَةَ سَنَةٍ وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً. هَذَا إِنْ صَحَّ كَلَامُ ابْنِ الْعَرَبِيِّ، 5 وَصَدَّقَتْ الدَّلَائِلُ التَّجْوِيمِيَّةُ\*<sup>(ب)</sup>.

[وَذَكَرَ لِي مِنْ أَشْئٍ بِمَعْرِفَتِهِ مِنْ أَهْلِ بَصْرَ، عَنْ مَلْحَمَةِ ابْنِ الْعَرَبِيِّ ذَلِكَ فِي الْعِشْرِينَ بَعْدَ الثَّلَاثِيَّةِ، وَقِيلَ فِي..... فِي الثَّلَاثَةِ عَشَرَ، وَقِيلَ فِي..... وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ كُلَّهُ]<sup>(ج)</sup>.

- 10 وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ مَلَاحِمٌ أُخْرَى مُنْسُوَّةٌ لِابْنِ سَيْنَا وَابْنِ [أَبِي] عَقَبٍ<sup>(1)</sup>، وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصَّحَّةِ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِرَائَاتِ .  
[عَلَى أَنَّ مَلَاحِمَ ابْنِ أَبِي الْعَقَبِ مَذْخُولَةٌ؛ وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ خَلَّكَانَ<sup>(2)</sup> عَنْ كِتَابِ الْأَغَانِي<sup>(3)</sup> فِي تَرْجُمَةِ ابْنِ الْقُرَيْبِ<sup>(4)</sup> أَنَّ ابْنَ أَبِي الْعَقَبِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ<sup>(5)</sup> بَنَ عَبْدِ

(1) ط: الطوالع (ب) ما بين النجمين مثبت في حاشية ع بخطه ونقله عنه ط ج ل وسقط من ي (ج) هذه الفقرة امتداد للفقرة السابقة، الحقها المؤلف بها في حاشية ع بخط متصل، وتوقف عن نقلها من الحاشية كل الأوصال الأخرى لغرض كنهها، وصورة قراءتها، فابتناها على بطلانها .

(1) هكذا ضبطها المؤلف بخطه، وفي كتاب الأغاني بكسر القاف؛ وبعض ملاحمه في افتتاح الدعوة 66-

(2) وفيات الأعيان 1: 254 .

(3) الأغاني 2: 9 .

(4) ابن خلكان: المصدر نفسه 1: 250 وهو أيوب بن زائد الهلالي، والبرية جذه .

(5) في وفيات الأعيان: يحيى .

الله بن أبي العقب، من الأمور التي اشتهرت ولا وجود لها في الخارج، مثل مجنون  
لنيل وابن القريّة، والله أعلم بذلك<sup>(1)</sup>.

ووقفت بالمشرق أيضاً على ملخمة في خذّان دولة التّرك، منسوبة  
إلى رجل من الصّوفيّة يُسمّى الباجزقي<sup>(1)</sup>، وكلّها ألفاظ بالحروف، أوّلها: [من]

5 [البسيط]

إِنْ شِئْتُ تَكْشِفُ سِرَّ الْجَفْرِ يَا سَكْنِي      مِنْ عِلْمٍ خَيْرٍ وَصِيٍّ وَالِدِ الْحَسَنِ  
فَافْهَمْ وَكُنْ وَاعِيًا خَزْفًا وَجَمَلَهُ      وَالْوَصْفَ فَاغْفَلْ كِفْغَلِ الْحَاقِقِ الْفَطْنِ  
أَمَّا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكَرُهُ      لَكُنْتِي أَذْكَرُ الْآتِي مِنَ الزَّمَنِ  
يَبِيرُسُ يُسْقَى بِحَاءٍ بَعْدَ خَمْسَتَيْهَا      وَحَاءٍ مِمَّ بِطَيْشٍ نَامَ فِي الْكِتَنِ

ومنها:

10

شَيْنٌ لَهُ أَثَرٌ مِنْ تَحْتِ سُرَّتِهِ      لَهُ الْقَضَاءُ قَضَاءٌ أَيُّ ذِي الْمِئِنِ  
فِيضُ وَالسَّامُ مَعَ أَزْضِ الْعِرَاقِ لَهُ      وَأَذْرِيحَانُ مِنْ مُلْكٍ إِلَى الْيَمَنِ

ومنها:

وَأَلْ نَوَارِ لَمَّا نَالَ ظَاهِرُهُمْ      الْفَائِكُ الْبَايْتُ الْمَغْنِيُّ بِالشَّجَنِ

ومنها:

15

(1) حاشية الفردت بها نسخة ع ولم تنقلها النسخ الأخرى لصعوبة قراءتها في الأصل .

(1) ضبطها المؤلف بخطه في نسخة ع مفتوحة الجيم، وكذلك وردت في ل ، والصواب الضم، منسوب إلى  
باجزقي: من قرى بين النهرين (ياقوت: معجم البلدان 1: 313) وأشار ابن تفردي في النجوم الزاهرة  
9: 724 إلى أنه صاحب الملحة الباجزقيّة، وله غيرها عدة تصانيف أخر .



اخْلَعْ سَعِيدًا ضَعِيفَ اللِّسَنِ سَيْنَ أَتَى  
قَزَمَ شُجَاعٌ لَهُ عَقْلٌ وَمَشُورَةٌ  
ولا واقف ونونٌ لُرٌّ في قَزَنٍ  
يُنْسَى بِجَاءٍ وَابْنٌ بَعْدَ ذُو شَجِينٍ  
ومنها:

من بَعْدَ بَاءٍ مِنَ الْأَعْوَامِ قَتَلْتُهُ  
/ هذا هو الْأَعْرَجُ الْكَلْبِيُّ فَأَعْرَجَ بِهِ [٢٣٤]  
يَأْتِي مِنَ الشَّرْقِ جَيْشُ التُّرْكِ يَقْدِمُهُمْ  
فَقَبِلَ ذَاكَ فَوَيْلَ الشَّامِ أَجْمَعِهَا  
إِذَا إِذَا<sup>(ب)</sup> زُلْزِلَتْ يَا وَيْحَ يَضْرُ مِنْ التَّرِ  
طَاءَ وَطَاءَ<sup>(ب)</sup> وَعَيْنٌ<sup>(ج)</sup> كُلَّهُمْ حُسِسُوا  
يُسَيِّرُ الْقَافَ قَافًا نَحْوَ أَحْمَدِهِمْ  
يَلِي الْمَشُورَةُ مِمَّ الْمَلِكِ ذُو اللِّسَنِ  
فِي عَصْرِهِ فَتَنٌ نَاهِيكَ مِنْ فَتَنِ  
غَارٍ عَنِ الْقَافِ قَافٌ جُرٌّ<sup>(١)</sup> بِالْفَتَنِ  
فَانْدَبَ بِشَجْوٍ عَلَى الْأَهْلِينَ وَالْوَطَنِ  
لَزَالٍ مَا زَالَ عَامًا غَيْرَ مُقْتَضِنٍ  
هَلَكِي وَيُنْفِقُ أَمْوَالًا بِلَا تَمَنِ  
هَوْنٌ بِهِ إِنَّ ذَاكَ الْحِصْنَ فِي مَكَنِ  
ومنها:

وَيَنْصَبُونَ أَخَاهُ وَهُوَ صَالِحُهُمْ  
لَا مَ أَلْفَ [ شَيْنٌ لِذَاكَ تِي<sup>(د)</sup> ]  
ومنها:

تَمَثَّثَ وَلَا يَتَمَتَّعُ بِالْحَاءِ لَا أَحَدٌ  
[ومنها]<sup>(هـ)</sup>، وَيَقَالُ إِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ [برقوق]<sup>(د)</sup> وَقُدُومُ أَبِيهِ عَلَيْهِ  
بِمَضْرُ:

(١) ع: خُرْ (ب) كَذَا مَكْرُوءٌ فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ (ج) كَذَا فِي ظ ع، وَاحْتَلَّتِ الْعَيْنُ فِي بَقِيَّةِ الْأَصُولِ (د) جَاءَ هَذَا الضَّمِيرُ مَحْذُورًا  
فِي جَمِيعِ الْأَصُولِ، وَوَضَعْنَا حَاصِرَيْنِ لَمَّا يُمْكِنُ اسْتِكْمَالُهُ لِيَسْتَفِيدَ الْوِزْنَ، مِثْلَ [وَكَذَا] (هـ) سَقَطَ مِنْ ط (و) مِنْ ع بِحَقْلِهِ.

يَأْتِي إِلَيْهِ أَبُوهُ بَعْدَ هِجْرَتِهِ وَطَوِيلِ غَيْبَتِهِ وَالشُّظْفِ وَالْتَرَنِ  
وَأَبْيَانُهَا كَثِيرَةٌ ، وَالْغَالِبُ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ ، وَمِثْلُ ضَنْعَتِهَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرًا  
وَمَقْرُوفٍ الْإِثْبَاحِ .

حَكَى الْمَوْزَخُونُ <sup>(1)</sup> لِأَخْبَارِ بَعْدَادِ ، أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَيَّامُ الْمُقْتَدِرِ وَرَاقٌ ذِكْرُهُ يُعْرَفُ  
5 بِالْأَنْبَالِي ، يُبْلِي الْأَوْرَاقَ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِحَطِّ عَتِيقٍ ، يَزْمُرُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ  
أَهْلِ التَّوَلَّةِ ، وَيُشِيرُ بِهَا إِلَى مَا يُعْرَفُ مِثْلَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَسْوَاقِ الرَّفْعَةِ وَالْجَاهِ ، كَانَتْهَا  
مَلَاحِمٌ ، وَيَحْصُلُ بِذَلِكَ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا . وَأَنَّهُ وَضَعَ <sup>(2)</sup> فِي بَعْضِ ذَفَائِرِهِ  
مِمَّ مُكَرَّرَةٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِحٍ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ ، \* وَكَانَ عَظِيمًا فِي  
التَّوَلَّةِ \* <sup>(3)</sup> ، فَقَالَ لَهُ : هَذَا كِتَابَةٌ عَنْكَ ، وَهُوَ مُفْلِحُ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ ، مِمَّ مِنْ كُلِّ  
10 وَاحِدَةٍ ، وَذَكَرَ عِنْدَهَا <sup>(ب)</sup> مَا يَعْلَمُ فِيهِ رِضَاؤُهُ تَمَّا يَنَالُهُ مِنَ الْمَلِكِ <sup>(ج)</sup> وَالسَّلْطَانِ ، وَتَصَبَّ  
لَهُ عَلَامَاتٌ لِنَدِّكَ مِنْ أَسْوَاقِهِ <sup>(د)</sup> الْمُتَقَارِفَةِ <sup>(هـ)</sup> مَوَّهَ بِهَا عَلَيْهِ ، فَبَدَّلَ لَهُ مَا أَغْنَاهُ بِهِ .

ثُمَّ وَضَعَهُ [لِلْوَزِيرِ] <sup>(هـ)</sup> / الْحَسَنِ <sup>(3)</sup> بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِحٍ هَذَا ، [234ب]  
وَكَانَ مَفْزُولًا ، فَجَاءَهُ بِأَوْرَاقٍ مِثْلِهَا ، وَذَكَرَ اسْمَ الْوَزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ ، وَبِعِلَامَاتٍ

(1) سقط ما بين النجسين من ي (ب) كذا في ط ج ل ، وفي ع : عنه ، وفي ي : عنه ما أرواه (ج) ي : الدولة (د) موثقها في ع يائس (هـ) من ع بخطه وفي بقية الأصول : الوزير .

(1) أورد هذا الخبر ابن الأثير : الكامل 8 : 230 - .

(2) جعل ابن خلدون الفعل مبنياً للنائب كما فعل ابن الأثير .

(3) كذا في جميع الأصول ، وصوابه الحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب ، ولآه الخليفة  
المقتدر العباسي الوزارة سنة 318 هـ وبقي فيها سبعة أشهر . ( ابن الأثير : الكامل 8 : 232 ، 238 ) .

ذكرها، وأنه يلي الوزارة للثامن عشر من الخلفاء، وتشتقي الأمور على يديه، ويتهر الأعداء، وتغمر الدنيا في أيامه. ووقف مقلحا على الأزراق، وذكر فيها كواين<sup>(1)</sup> أخرى وملاجم من هذا النوع، بما وقع وما لم يقع، ونسب جميعه إلى دانيال. فأعجب به مفلح، ووقف عليه المقتدر، فاهتدى من تلك الرموز والعلامات إلى ابن وهب لظهورها، وكان ذلك سببا لوزارته، بمثل هذه الحيل<sup>(ب)</sup> العريضة في الكذب 5 والجهل، بمثل هذه الألغاز.

والظاهر أن هذه الملمحة التي ينسبونها إلى الباجزقي من هذا النوع.

ولقد سألت الشيخ أكل الدين - رحمه الله<sup>(ج)</sup> - شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملمحة، وعن هذا الرجل الذي تُنسب له من الصوفية، وهو الباجزقي، وكان عارفا بطرائقهم، فقال: كان من المعروفين بالقرنذلية المبشدين 10 في خلق اللحية، وكان يتحدث عن كون من الملوك لعصره بطريق الكشف، ويؤمى إلى رجال معتبين عنده، ويلغز عنهم بحروف يعتيها في ضميره لمن يراه منهم. ورتما نظم ذلك في أبيات قليلة كان يتعاهد [إنشادها]<sup>(د)</sup>، فتوقلت عنه، وولع الناس بها وجعلوها ملمحة مرموزة. وزاد فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر، وشغل العامة بفك رموزها، وهو أمر ممتنع؛ إذ الرمز إنا يهدي إلى كشفه 15 قانون يعرف قبله، أو يوضع له؛ / وأما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها [235] مخصوصة بهذا التاظم [لا يتجاوزها]<sup>(هـ)</sup>.

(1) ج: كواين (ب) ي: الحيلة (ج) سقط من ج ل ي وذكرت في ط (د) من حاشية ع وحدها بخطه وفي بقية الأصول: يتعاهدها (هـ) من ي .

فرايْتُ من كلام هذا الرّجل الفاضل شفاء لما كان في النفس من أمر هذه المَلَحَمَةِ. ﴿وما كنا لننتدي لولا أن هدانا الله﴾<sup>(1)</sup> [سورة الأعراف، من الآية 43].

كَمَلَّ التَّصَفِّ الأوَّل من المَقْدَمَةِ، وبِكَماله كَمَلَّ السَّفَر الأوَّل من كتاب الظَّاهِرِي في العَبَر، بأخبار القَرَب والعَجَم والبَزَر، يتلوه في الجُزء الثاني الفُصل

---

(1) بعد نهاية هذا الفصل في حدثان القول والام، والكلام على الملاحم، والكشف عن مستوى الجفر، وهو آخر الفصل الثالث من الكتاب الأول، سَجَّل ابن خلدون بخطه في مسودته وأصله "ع" نفلًا عن تاريخ ابن كثير، اطلع عليه في دمشق أثناء حضوره مع الركب السلطانيّ حصة الملك التاصر فرج بن الظاهر بقوق سنة 803 هـ، ولم يرَ في الأصول الأخرى: ط ل ج ي، التي كتبت قبل نهاية القرن الثامن الهجري. والنص في البداية والنهاية 115/13، ونظم الجفر على عروض النون غير موجود في المطبوع منه، يقول:

[ثم وَقَفْتُ بعد ذلك وأنا بِدمشق، عند خلولي مع الرّكاب السُّلْطانيّ بها، على قضاء المالكِيَّة بِمِصر، فَوَقَفْتُ على تاريخ ابن كثير في سَنَةِ أربع وعشرين وسبعمائة، في ترجمة التّعريف بهذا الرّجل، فقال: شَمَسَ الدِّين محمد الباجُزَيّنيّ الَّذِي نُسِبَ إليه الفِرْقَةُ الصَّالَةِ الباجُزَيّنيّة، والمشهور عنهم إنْكَارُ الصَّانِع، وكان والده إجمال الدّائِن غنْد الرّحيم بن عُمر المُوصِلِيّ رجلاً صالحاً من عُلماء الشَّافِعِيّة، ودرّس في مدارس بِدمشق ونَشَأ ابنه هذا بين الفُقهاء، فاشتغل قليلاً ثم أَقْبَلَ على السُّلوك، ولازمته جماعةٌ متّين هو على طريفته، ثم حَكَم القاضي المالكِيّ بِإرافة ذيه، وهرب إلى المشرق، ثم أقام البَيْتَةَ بالعداوة بَيْنَهُ وبَيْن من شَهِدَ عليه، وحَكَم الحنْبَلِيّ بِخَفِّ ذيه، وأقام بالقابون مُدَّة سنين، وتُوُقِّيَ [إِلَى] الأربعاء سادس عشر ربيع الآخر سنة [724هـ]<sup>(1)</sup>.

وقال ابن كثير: ومن يشفر الباجُزَيّنيّ في نظيه الجُفَر [من البسيط]

فاسمع وكُن واعياً خَزْفاً ومُجَلِّهً      والوصف فافهم بفهم الحاذق الفطن

(1) مكانه بياض في ع، وتاريخ الوفدة من ابن كثير.

الرابع من الكتاب الأول : في البلدان والأنصار والمدن وسائر الغفران الحضري، إلى آخر المقدمة . والله ولي الإمداد والعون .

في قُصْدِ بَصْرٍ وما بالشَّامِ يُحْدِثُهُ      رَبُّ السَّهَواتِ من (خَيْرٍ) ومن مِخْنِ  
يَبْرِشْ يُسْقَى بِكَاسٍ بعدَ تَحْسِنِها      وحاءٍ ميمٍ بِطَلِيشْ<sup>(١)</sup> نائمٍ في اللَّبَنِ  
(يا) وَنِجْ جَلَقْ ماذا خَلَقْ سَاحَتِها      وأخربوا جَامِعاً اللهُ كَيْفَ بُني  
(يا) وَيَلْها كَمَ عَدَوا في الدِّينِ، كَمَ قَتَلُوا      وكَمَ دَمٍ سَفَكُوا من عَالمٍ ودَني  
وكَمَ سَماعٍ وكَمَ سَنِي وكَمَ نَهَوا      وخَرَقُوا ثُمَّ من شَابٍ ومن يَقي  
والكونُ مُغَمِّمٌ والأزْجاءُ مُظْلِمَةٌ      حَتَّى خَافَتْها نَاحَتْ على الفَنِي  
يا لِلْبرايا أَمّا لِلدِّينِ مُنْتَصِرٌ      قوموا إلى السَّامِ من سَهْلٍ ومن خَزَنِ  
عَزَبِ العِراقِ ومُضَرٍّ والصَّعيدِ أَتَوا      ومَوْتَ الكُفْرِ فيها عَزَمَ [...] مرثي [

(١) كنا ، وقد قرأ : بطليز .



المحنوى

• أبرزنا في هذا الفهرس بعض الموضوعات المهمة داخل الفصول، بتناوين مطابقة لحتواها ، ووضعناها داخل حاصرتين، مع أرقام الصفحات التي وردت فيها، تيسيراً للبحث، وميزناها داخل نص المقدمة بخط مغاير.

وكذلك فعلنا بكلمة "فصل" التي أوردتها المؤلف هكذا مجردة داخل فصوله المطولة ، فأثبتنا موضوعها أمامها .



# المحتوى

الصفحة

\*3 - 90\*

مُهَيِّئًا - إبراهيم شيوخ

الاستهلال

1

[الدِّبَاجَةُ فِي فَنِّ التَّارِيخِ، وَتَرْتِيبِ الْكِتَابِ، وَتَسْمِيَتِهِ، وَاهْدَاؤُهُ]

11

المقدمة

فِي فَضْلِ عِلْمِ التَّارِيخِ، وَتَحْقِيقِ مَذَاهِبِهِ، وَإِثْمَانِهِ بِمَا  
يُغْرِضُ لِلْمُؤَرِّخِينَ مِنَ الْمَغَالِطِ وَالْأَوْهَامِ، وَذِكْرِ شَيْءٍ  
مِنْ أَسْبَابِهَا

20

1. فصل، [في أوهاام كبير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ،  
وبعض الحكايات المذخولة للمؤرخين التي لقنها عنهم ضَعْفَةُ  
التَّظَرُّ، وَالْعَقْلَةُ عَنِ الْقِيَّاسِ]

20

• [في تفسير إرم ذات العباد]

22

• [في سبب نكبة الرشيد للبرامكة]

29

• [حال ابن الحكم والمأمون]

32

• [في العبيدين والظُّلَمِ فِي نَسَبِهِمْ]

37

• [الطَّاعَتُونَ فِي نَسَبِ إِدْرِيسَ بْنِ إِدْرِيسَ]

- 41 • [القدْحُ في الإمام المَهْدِيّ صاحب دولة الموحدين]
- 44 • [فنّ التاريخ وما يحتاج إليه صاحب هذا الفن]
- 46 • [ما ينقله المؤرخون من أحوال المحتاج]
- 52 • [مقدمة في كيفية وضع الحروف التي ليست من لغة العرب]

## 55 الكتاب الأول:

في طبيعة الغفران في الحقيقة، وما يفرض فيها من البدو  
والخضر، والتقلّب، والكسب، والمعاش، والعلوم، والصنائع،  
وتخويها، وما لذلك من العلل والأسباب

## 69 الفصل الأول من الكتاب الأول:

في الغفران البشري على الجملة، وفيه مقدمات:

## 69 [المقدمة الأولى:

[ في أن الاجتماع للإنسان ضروري ]

## 73 المقدمة الثانية:

في قسّط الغفران من الأرض، والإشارة إلى  
بغض ما فيه من البحار والأنهار والأقاليم

## نُكْمَلَةُ هَذِهِ الْمَقْدَمَةِ الثَّانِيَةِ:

81

في أَنَّ الرِّيحَ الشَّمَالِيَّ مِنَ الْأَرْضِ، أَكْثَرُ عُمرَانَا مِنَ  
الرِّيحِ الْجَنُوبِيِّ، وَذِكْرُ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ

87 - 86

صورة الجغرافيا

88

[بيان الخريطة]

89

تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

93

1 • فصل، [في تقسيم الجغرافيتين لكل من الأقاليم  
المتبعة إلى عشرة أجزاء متساوية]

94

• الإقليم الأول

101

• الإقليم الثاني

104

• الإقليم الثالث

115

• الإقليم الرابع

127

• الإقليم الخامس

136

• الإقليم السادس

142

• الإقليم السابع

147

## المقدمة الثالثة:

في المعتدل من الأقاليم والمنحرف، وتأثير  
الهواء في ألوان البشر، والكثير من أخوالهم

في أثر الهواء في أخلاق البشر

في اختلاف أحوال الفئران في الحُصْب  
والجوع، وما يَنْشَأُ عن ذلك من الآثار في  
أبدان البشر وأخلاقهم

في أضاف المذركين للغيث من البشر  
بالفطرة أو بالرياضة، ويتقدمه الكلام في  
الوحي والرؤيا:

• [ تفسير حقيقة النبوة ]

• [ الكهانة ]

• [ الرؤيا ]

1 • فصل، [في ما يَرْتَم من ذكر أسماء عند النوم  
تكون عنها الرؤيا]

2 • فصل، [في أن أشخاصاً يُخبرون بالكائنات قبل  
وقوعها]

3 • فصل، [في أن من المتصوفة قوم أشبه بالمجانين  
من الفُقلاء، وما يقع لهم من عجائب  
الإخبار بالمغيبيات]

198 4 • فصل، [في زَعَمَ بعض الناس أن هناك مدارك  
للغيب من دون غَيْبَةٍ عن الحِس]

199 • [خط الرنل]

205 5 • فصل، [في أن طوائف يضعون قوانين لاستخراج  
الغيب، ليست من مدارك النفس  
الروحانية، ولا من الحدس المنبني على  
تأثيرات التجم]

205 • [حساب التيم]

208 • [وايزجة العالم]

## 215 الفصل الثاني من الكتاب الأول:

في العمران البدوي، والأمم الوخشية  
والقبائل، وما يفرض في ذلك من الأحوال،  
وفيه أصول ونهيدات:

215 1 • فصل، في أن أجيال البدو والحضر طبيعية

217 2 • فصل، في أن جيل العرب في الخليقة طبيعي

218 3 • فصل، في أن البدو أقدم من الحضر وسابق  
عليه. وأن البادية أصل الغمران والأمصار ومدد لها

220 4 • فصل، في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من  
أهل الحضر

- 223 5 • فصلّ، في أن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة  
من أهل الحضّر
- 224 6 • فصلّ، في أن معاناة أهل الحضّر للأحكام،  
مُفيدة للتأسّ فيهم، ذاهبة بالمنفعة منهم
- 227 7 • فصلّ، في أن سُكّنى البدو لا يكون إلاّ  
للقبائل أهل العصبية
- 229 8 • فصلّ، في أن العصبية إنّما تكون من الانحياز  
بالنسب أو ما في مَفْناه
- 230 9 • فصلّ، في أن الصريح من النسب إنّما يوجد  
للمتوحّشين في القُر، من الغرب ومن في مَفْناهم
- 232 10 • فصلّ، في اختلاط الأنساب كيف يقع
- 233 11 • فصلّ، في أن الرئاسة على أهل العصبية لا  
تكون في غير نُسبهم
- 236 12 • فصلّ، في أن البنيّة والشرف بالأصالة  
والحقيقة لأهل العصبية، ويكون لغيرهم بالجهار  
والسُّبّه
- 238 13 • فصلّ، في أن البنيّة والشرف للموالي وأهل  
الاضطّاع، إنّما هو بمواليهم لا بأنسابهم
- 240 14 • فصلّ، في أن نهاية الحسب في العقب الواحد  
أربعة آباء

- 243 15• فضلٌ، في أن الأَمَمَ الوُخْشِيَّةَ أَقْدَرُ على  
التَّقَلُّبِ مِنْ سِوَاهَا
- 244 16• فضلٌ، في أن الغَايَةَ الَّتِي تَجْرِي إِلَيْهَا الْعَصِيَّةُ  
هِيَ الْمَلِكُ
- 246 17 • فضلٌ، في أن من عَوَائِقِ الْمَلِكِ، حُصُولُ  
التَّرَفِ وَانْتِهَاسِ الْقَبِيلِ فِي التَّعِيمِ
- 247 18 • فضلٌ، في أن من عَوَائِقِ الْمَلِكِ ، حُصُولُ  
الْمُنَّةِ لِلْقَبِيلِ ، وَالِاتِّقَاذَ لِسِوَاهُمْ
- 250 19• فضلٌ ، في أن من علامات الملك ، التَّنَافُسُ  
فِي الْجِلَالِ الْحَمِيدَةِ، [وَالْعَكْسُ]
- 253 20• فضلٌ، في أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ وَخْشِيَّةً كَانَ  
مُلْكُهَا أَوْسَعَ
- 255 21 • فضلٌ، في أن الملك إذا ذَهَبَ عَنْ بَعْضِ  
الشُّعُوبِ مِنْ أَمَةٍ ، فَلَا بُدَّ مِنْ عَوْدِهِ إِلَى  
شَفْعِ آخَرِ مِنْهَا ، مَا دَامَتْ لَهُمُ الْعَصِيَّةُ
- 257 22• فضلٌ، في أن المغْلُوبَ مَوْلَعٌ أَبَدًا بِالْإِفْتِدَاءِ  
بِالْغَالِبِ ، فِي شِعَارِهِ، وَزِيَّهِ، وَتَحْلِيَّتِهِ، وَسَائِرِ  
أَخْوَالِهِ وَعَوَائِدِهِ
- 258 23 • فضلٌ ، في أن الأُمَّةَ إِذَا عَظِيثَتْ وَصَارَتْ فِي  
مُلْكَةٍ غَيْرِهَا، أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْفَنَاءُ

260 24 • قَضَلْ ، فِي أَنَّ الْقَرْبَ لَا يَتَقَلَّبُونَ إِلَّا عَلَى  
الْبَسَائِطِ

260 25 • قَضَلْ ، فِي أَنَّ الْقَرْبَ إِذَا تَقَلَّبُوا عَلَى الْأَوْطَانِ  
أَسْرَعَ إِلَيْهَا الْحَزَابُ

263 26 • قَضَلْ ، فِي أَنَّ الْقَرْبَ لَا يَحْضُلْ لَهُمُ الْمُلْكُ إِلَّا  
بِصَبْغَةٍ دِينِيَّةٍ مِنْ بُيُوتِهِ أَوْ وَلايَةٍ أَوْ أَثَرٍ عَظِيمٍ  
مِنَ الَّذِينَ عَلَى الْجُمْلَةِ

264 27 • قَضَلْ ، فِي أَنَّ الْقَرْبَ أَبْعَدُ الْأَقَمِ عَنْ سِيَّاسَةِ  
الْمُلْكِ

266 28 • قَضَلْ ، فِي أَنَّ الْبَوَادِي مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ  
[مُتَقَلِّبُونَ] لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ

## 269 الفصل الثالث من الكتاب الأول :

فِي الدُّوَلِ ، وَالْمُلْكِ ، وَالْخِلَافَةِ ، وَالْمَرَاتِبِ  
السُّلْطَانِيَّةِ ، وَمَا يَقْرِضُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ مِنَ  
الْأَخْوَالِ ، وَفِيهِ قَوَاعِدٌ وَمُقْتَمَاتٌ :

269 1 • قَضَلْ ، فِي أَنَّ الْمُلْكَ وَالذُّوْلَ الْعَامَّةَ إِنَّمَا  
تَحْضُلُ بِالْقَبِيلِ وَالْعَصْبَةِ

270 2 • قَضَلْ ، فِي أَنَّهُ إِذَا اسْتَقَرَّتِ الذُّوْلَةُ وَتَمَهَّدَتْ ،  
فَقَدْ يُسْتَفْتَى مِنَ الْعَصْبَةِ



- 274 • 3. فَضْلٌ ، فِي أَنَّهُ قَدْ يَحْدُثُ لِبَغْضِ أَهْلِ  
التَّصَابِ الْمَلَكِيِّ دَوْلَةٌ تَسْتَعْنِي عَنِ الْعَصِيَّةِ
- 275 • 4. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ التُّوَلَّ الْعَامَّةَ الْإِسْتِيلَاءَ ،  
الْعَظِيمَةَ الْمُلْكُ ، أَضْلَاهَا الدِّينُ ، إِمَّا مِنْ  
نُبُوَّةٍ أَوْ دَعْوَةٍ حَقٍّ
- 276 • 5. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ الدَّعْوَةَ الدِّينِيَّةَ ، تَزِيدُ التُّوَلَّةَ  
فِي أَضْلَاهَا قُوَّةً عَلَى قُوَّةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ  
لَهَا مِنْ عَدَدِهَا
- 277 • 6. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ الدَّعْوَةَ الدِّينِيَّةَ مِنْ [غَيْرِ]  
غَصْبِيَّةٍ لَا تَتِمُّ
- 282 • 7. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ كُلَّ دَوْلَةٍ لَهَا جِصَّةٌ مِنَ الْمِهَالِكِ  
وَالْأَوْطَانِ لَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
- 284 • 8. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ عَظَمَ التُّوَلَّةِ وَاتِّسَاعَ نَظَائِفِهَا  
وَطَوِيلَ أَمْدِهَا ، عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي  
الْقِلَّةِ وَالْكَثْرَةِ
- 286 • 9. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ الْأَوْطَانَ الْكَثِيرَةَ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَصَائِبِ ، قَلٌّ أَنْ تَسْتَخْلِكَ فِيهَا دَوْلَةٌ
- 290 • 10. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمُلِكِ الْإِنْفِرَادَ  
بِالْمَجْدِ
- 291 • 11. فَضْلٌ ، فِي أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمُلِكِ التَّخَرُّفَ

- 292 12• فَضْلٌ ، فِي أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْمَلِكِ الدُّعَاةَ  
وَالشُّكُونَ
- 293 13• فَضْلٌ ، فِي أَنَّهُ إِذَا اسْتَحْكَمَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ  
مِنَ الْإِثْرَادِ بِالْمَجْدِ وَحُصُولِ التَّعْرِفِ وَالِدُّعَاةِ ،  
أَقْبَلَتِ النَّوْلَةُ عَلَى الْهَرَمِ
- 297 14• فَضْلٌ ، فِي أَنَّ النَّوْلَ لَهَا أَعْيَارٌ طَبِيعِيَّةٌ كَمَا  
لِلْأَشْخَاصِ
- 300 15• فَضْلٌ ، فِي انْتِقَالِ النَّوْلَةِ مِنَ الْبَدَاوَةِ إِلَى الْحَصَارَةِ
- 304 16• فَضْلٌ ، فِي أَنَّ التَّعْرِفَ يَرِيدُ النَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا  
قُوَّةً إِلَى قُوَّتِهَا
- 306 17• فَضْلٌ ، فِي أَطْوَارِ النَّوْلَةِ وَاجْتِلَافِ أَخْوَالِهَا  
وَبَدَاوَةِ أَهْلِهَا بِاجْتِلَافِ الْأَطْوَارِ
- 308 18• فَضْلٌ ، فِي أَنَّ آثَارَ النَّوْلَةِ كُلِّهَا عَلَى نِسْبَةِ  
قُوَّتِهَا فِي أَضْلُهَا
- 312 • [عَمَلٌ بِمَا يُحْمَلُ إِلَى نَيْتِ الْمَالِ بِغِنَادِ أَيَّامِ  
الْمَأْمُونِ مِنْ جَمِيعِ التَّوَاحِي ]
- 317 • [ مَا اسْتَصْفَاهُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَاوُونَ  
مِنْ ذَخِيرَةِ سَلَار ]
- 322 19• فَضْلٌ ، فِي اسْتِظْهَارِ صَاحِبِ النَّوْلَةِ عَلَى  
قُوَّتِهِ وَأَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَنِّينِ

- 323 • فُضِّلَ، في أحوال المَوَالِي والمُضْطَّعِينَ في  
الدَّوْل
- 326 • فُضِّلَ، فيما يَقْرَضُ في الدَّوْل من خَجَر  
السُّلْطَان والاستِئْجَاد عَلَيْهِ
- 327 • فُضِّلَ، في أَنَّ الْمُتَغَلِّبِينَ على السُّلْطَان لَا  
يُشَارِكُونَهُ في اللَّقَب الخاصِّ بِالْمَلِك
- 328 • فُضِّلَ، في حَقِيقَةِ الْمُلْكِ وَأَصْنَافِهِ
- 330 • فُضِّلَ، في أَنَّ إِزْهَافَ الْحَدِّ مُضِرٌّ بِالْمَلِكِ  
وَمُغْشِدٌ لَهُ فِي الْأَكْثَرِ
- 332 • فُضِّلَ، في مَعْنَى الْخِلَافَةِ وَالْإِمَامَةِ
- 334 • فُضِّلَ، في اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ فِي حُكْمِ هَذَا  
الْمَنْصَبِ وَشُرُوطِهِ
- 344 • فُضِّلَ، في مَذَاهِبِ الشَّيْعَةِ فِي حُكْمِ الْإِمَامَةِ:
- 347 • [ الْغُلَاة ] •
- 348 • [ غُلَاةُ الْإِمَامِيَّةِ ] •
- 349 • [ الْوَاقِفِيَّةِ ] •
- 350 • [ الْكَيْسَانِيَّةِ ] •
- 350 • [ الزَّيْدِيَّةِ ] •
- 352 • [ الْإِمَامِيَّةِ ] •

- 353 • [ الإِسْمَاعِيلِيَّة ]
- 353 • [ الإِثْنَا عَشْرِيَّة ]
- 354 28• فصلّ، في القلاب الخلافة إلى المُلْك
- 365 29• فصلّ، في مَغْنَى التَّبِعَةِ
- 367 30• فصلّ، في ولاية العهد
- 381 31• فصلّ، في الحُطْطِ الدِّينِيَّةِ الخِلَافِيَّةِ :
- 382 • [ أ- إِمَامَةُ الصَّلَاة ]
- 383 • [ ب- الفُتْيَا ]
- 384 • [ ج- القَضَاء ]
- 391 • [ د- العَدَالَةُ ]
- 392 • [ هـ- الحِسْبَةُ وَالسِّكَّةُ ]
- 394 32• فصلّ، في اللَّقَبِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّهُ مِنْ سِيَمَاتِ الخِلَافَةِ
- 400 33• فصلّ، في شَرْحِ اسْمِ النَّبَا وَالتَّبْطَرُكِ فِي الْمَلَّةِ التَّضَارِئِيَّةِ، وَاسْمِ الْكُوهْنِ عِنْدَ الْيَهُودِ
- 407 34• فصلّ، في مَرَاتِبِ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ وَأَلْقَابِهَا:
- 410 • [ أ- الْوِزَارَةُ ]
- 416 • [ ب- الْجِيَابَةُ ]

- 420 • [ ج - ديوان الأعمال والحجيات ]
- 425 • [ د - ديوان الرسائل والكتابة ]
- 433 • [ هـ - الشُرطة ]
- 434 • [ و - قيادة الأساطيل ]
- 442 • 35 فضل، في التماوت بين مراتب السيف  
والقلم في الدول
- 443 • 36 فضل، في شارات الملك والسلطان الخاصة  
به :
- 443 • [ ١ - الآلة ]
- 447 • [ ب - السرير ]
- 448 • [ ج - السكة ]
- 452 - تنبيه [ في ذكر حقيقة الدرهم والدينار  
الشرعيتين ]
- 454 • [ د - الخاتم ]
- 458 • [ هـ - الطراز ]
- 460 • [ و - القساطيط والستايج ]
- 462 • [ ز - المقصورة للصلاة، والدعاء في  
الحظبة ]
- 465 • 37 فضل، في الحروب ومنهاج الأمم في  
ترتيبها

- 468 1 • فصل، [من مذاهب أهل الكر والفَر  
في الحروب]
- 470 2 • فصل، [في ضَرْب المصافِّ وراء  
الغنكر]
- 471 3 • فصل، [في أنَّ القتال عند أَمِّ التَّرك  
يكون مناضلةً بالسَّهام، وتغيَّته الحرب  
عندهم بالمصافِّ]
- 472 4 • فصل، [في خَفَر الخنايق على  
المُعسكر خَدراً من مَعَرَة البيات]
- 475 5 • فصل، [في الظفر والقَلْب إِنْما يَحْصَل  
بأشباب مُخْتَمِعة من أمور ظاهرة  
وأخرى خَفِيَّة]
- 478 6 • فصل، [في أنَّ كلَّ ما يَحْصَل بسببِ  
خَفِيٍّ فهو الَّذي يُعَبَّر عنه بالبُخْت]
- 479 38 • فَضْل، في الجبَاية وسببِ نَقْصِها وَوُقُورها
- 481 39 • فَضْل، في ضَرْب المَكُوسِ أَوَاخِرِ التَّوَلِّ
- 482 40 • فَضْل، في أنَّ التَّجَارَة من السُّلْطان مُضِرَّة  
بالرَّعايا، مُفْسِدَة للجبَاية
- 485 41 • فَضْل، في أنَّ ثَرَوَة السُّلْطان وَحاشِيَتِه، إِنْما  
تَكُون في وَسْطِ الدَّولة

- 487 1 • فصل، [في التروع إلى الفرار عن  
الزُتب، لما يتوقع من المعاطب]
- 490 42 • فصل، في أنْ تُقَصَّ الغطاء من السلطان  
نقص في الجباية
- 491 43 • فصل، في أنْ الظلم مؤذِنٌ بحرابِ الغمران
- 495 1 • فصل، [في أنْ من أشدَّ الظَّلامات  
وأعظمها إفساداً للغمران، تكليف  
الأعمال وتسخير الرعايا بغير حق]
- 496 2 • فصل، [في أنْ التسلُّط على أموال  
الناس من أعظم الظلم]
- 498 44 • فصل، في الحِجاب كيف يقع في الدُّول،  
وأنه يَظُم عند الهرم
- 500 45 • فصل، في انقسام الدُّولة الواحدة بدولتين
- 503 46 • فصل، في أنْ الهرم إذا نزل بالدولة لا يقع
- 505 47 • فصل، في كيفية طروق الحلال للدُّول
- 510 48 • فصل، في حدوث الدُّول وتجديدها كيف  
يقع
- 511 49 • فصل، في أنْ الدُّولة المستجدة إنما تستولي  
على الدُّولة المنتصرة بالمطاولة لا بالمناجزة

- 517 • فضل، في وُلور العُفْران أواخر اللؤل، وما  
يَقَعُ فيها من كَثْرَةِ المَوْتان والمَجَاعات
- 519 • فضل، في أَنَّ العُفْرانَ البَشْرِيَّ لا بُدُّ له من  
سِيَاسَةٍ يَتَقَطَّمُ بها أَمْرُه
- 521 • [كتاب طاهر بن الحسين، قائد  
المأمون، لانيه عبد الله بن طاهر]
- 535 • فضل، في أَمْر الفاطمي وما يَذْهَبُ إليه  
التأش في شَأْنِه، وكَشَفِ البِطَاء عن ذلك
- 536 • [من خُتُج أحاديث المَهْدِي من  
الأئمة]
- 559 • [المتصوفة]
- 561 • [المتصوفة وحاصل مذهبهم]
- 568 • [رأي ابن خَلْدُون]
- 572 • فضل، في خَدَتان اللؤل والأُمَم، وفيه الكلام  
على الملاجم والكُشَف عن مُسَمَّى الجُفَر
- 575 • [ما وقع لأهل الأثر في ذلك]
- 582 • استِنَاد المنجَمين إلى الأحكام  
التجوميّة]
- 588 • [الملاجم]





# Kitāb al-‘Ibar wa Dīwān al-Mubtada’ wa-l-Khabar

fi Ayyām al-‘Arab wa-l-‘Ajam wa-l-Barbar wa man  
‘Āṣarahum min Dhawī al-Sultān al-Akbar

By  
Walī al-Dīn ‘Abd al-Raḥmān b. Muḥammad  
IBN KHALDŪN

BOOK ONE: THE PROLEGOMENA

*Collated with the autograph manuscripts  
and prepared with glossaries and indexes by*

Ibrahim Chabbouh & Ihsan Abbas

Tunis 2006

